دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه العلوم العربية والبلاغة والعلوم اللاهوتية والفرق والمذاهب الدينية والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وفي هذا الباب تراجم أشهر مشهوري
الشرق والغرب والجغرافية العمومية والطبيعة والكيمياء والفلك
والعلوم الاجتماعية والروحية والطب وقانون الصحة
والفوائد الحيوية والمنزلية والعقاقير والاقرباذين
وسائر ما يهم الانسان فى جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

المجلد التاسع

﴿ صدر في شهر يوليه سنة ١٩١٧ ﴾

حاز هذا الكتاب رضاء نظارة المعارف العمومية والجامعة
الازهرية فقررتاه لجميع معاهدهما

يصدر فى كل شهر عدد فى ثمانين صحيفة
الاشتراك السنوي ستون قرشا صاغا تدفع جملة
اوتقسيطا كل شهر خمسة قروش

وهو واد يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة ثم يقطع طريق الكوفة الى طريق البصرة حتي يصب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين

ومسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن علي ساحل البحر. ومسقط رستاق بساحل بحر الخزر دون الباب والأبواب جيله مسلمون (أي الناس الساكنون به) لهم قوة وشوكة بين باب الأبواب واللكز أحدثه كسري أنوشروان

نقول انمدينة مسقط التي هي الآن قصبة بلاد عمان يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس

﴿مسك به﴾ يمسك أخذ به وتعلق واعتصم. و(مسّك به) اعتصم به ومثله (أمسك به) و (تمسّك به وتماسك واستمك) بمعني اعتصم. و (فيه مُسكة من خير) أي بقية

﴿المسك﴾ مادة تستخرج من افراز كيس خاص يحمله حيوان يسمى بالظبي المكي. وهو حيوان من ذوات الثدي من الحيوانات المجترة العادمة القرن له ظلفان وله اربع معدات وقناة معوية طويلة. قامته كقامة الظبي ويكاد يكون عادم الذنب وهو مغطى بوبر كثيف اسمر من طرفه السائب بلون القرفة وابيض من قاعدته شديد التجعد صاب غليظ سهل التفتت أشبه بأبر القنفذ منه بالشعر. هذا الحيوان لا يخرج الا ليلا ويعيش وحيداً في جبال تبيت و بلاد التتار والساحة الواسعة بين سيبريا والصين. شكله ظريف وهو خفيف في الجري

أنواعه قليلة ومعظمها يعيش في البلاد الحارة. أشهر أنواعه هو الذي وصفناه هنا وهو يتميز بشريطين أبيضين محدودين بالسواد ومنفصلين أحدهما عن الآخر بشريط أسود وذلك علي طول العنق. والذي يميزه جيداً هو الكيس الذي يحمله الذكر البالغ يتولد تحت جلد الخثلة امام القلفة وهو الذي يفرز المسك ويكون مخزنا حافظا له

هذا الكيس محفور بقلم يمتد فيه القضيب وفيه قناة قاذفة للافراز فتحتها امام القلفة وذلك الكيس هو المفرز المسك ويكون صغيرا في الحيوانات المسنة وكبيرا زمن الازدواج فكأنه مرتبط بعمل التناسل وهو غشاء رقيق جاف محاط بمنسوج

خلوي مملوء بعروق وفيه من الباطن غضون شبه صمامات يتكون منها حواجز غير تامة وهو ملتصق من الخارج بجزء من جلد الحيوان بل ربما أحاط به كله . وزن كل كيس خال من الجلد من ٥ الي ٨ دراهم وفيه تفرطح واستطالة واستدارة وقطره من ٥ الى ٦ سنتيمترات ودائرته من ١٤ الي ١٥ سنتيمترا

أنواع هذه الاكياس في المتجر اثنان أحدهما أكياس مسك تونكين وهو الصيني والاجود وانما نسب الى تونكين لأن الاوروبيين يتناولونه من هذه المملكة وأما الانجليز فيأخذونه من الصينيين بواسطة الهنود، والوجه الظاهر لهذه الاكياس ملتصق بجلد رقيق من الحيوان مغطي بشعر اشقر . وهذه الاكياس مملوءة وفيها استدارة وليس فيها تقوس سوس

وثانيهما مسك كبردان ويظهر انها تأتي من التبيت ولذلك يسمي مسكها التبيتى ويكون أقل اعتبارا من السابق وهي غالبا مستطيلة مستدقة الطرفين مغطاة بجلد ثخين شعره مبيض فضى وليست عظيمة الامتلاء وتكون أحيانا مثقبة من أكل السوس وقد يوجد في كل نوع منهما ما يشبه الآخر . والصفة المميزة للنوع هي الرائحة التى تظهر جيدا اذا ادخل دبوس في الكيس

ويوجد في المتجر نوع يسمونه مسك بنغالة ونسب اليها لأنه يمر بها في طريقه الي أوروبا أكياسه مستديرة وعليها شعر أشقر كالذي على أكياس مسك تونكين وانما تكون رائحة هذا المسك ضعيفة تشبه رائحة مسك كبردان ولا تكون مثقبة ويظهر انها مصنوعة باليد وذلك هو ماتسميه العرب بالهندي ويقولون عنه انه دم يؤخذ من الحيوان بالذبح ويضرب مع كبده وبعره ويجفف . وهذا كما لايخفي خطأ عظيم

المسك حبوب متجمعة غير منتظمة لونها اسمر محمر أي قاتم تشبه في المنظر الدم المتجمد المجفف ورائحته خاصة به قوية الانتشار وطعمه كريه فيه مرار وملمسه لطيف قطني ورطوبته قليلة وقابلة للتجفيف ويكون متوسط السائلية في الحيوان الحى واكثر صلابة في الحيوان الميت . مقدار مايحتوي عليه الكيس من المسك من درهمين الي ستة داهم علي

حسب سن الحيوان

حلل الكيماويون المسك فوجدوه مركباً من دهن طيار وراتينج وجسم دهني شمعي

وقد قارن بعضهم بين مسك تونكين ومسك كبردان فرأوا ان ١٠٠ غرام من الأول مكونة من ٣٣ ر ٨ من كربونات النوشادر و ٥ ر ٧ من شمع نقي و ٨٣ر. من راتينج و ٥٠ من جلاتين أي مادة هلامية و ٨٠ ر ٢٥ من مادة زلالية واغشية حيوانية و ٥٠ر ٢ من ملح الطعام و٨٣ر. من البوتاسا و ٣٣ ر ٣ من كربونات الكلس و ٦٨ ر ١١ من اجزاء مفقودة ولم يوجد فيه شيء من دهن طيار

وأما الثاني فمركب من ٥ من روح النوشادر و ٥ من شمع غروي و ٥٠ من مادة هلامية و ٣٦ من أغشية حيوانية و٢ من كربونات الكلس و٢ من اجزاء مفقودة ولم يوجد فيه زلال ولا دهن طيار

المسك شديد الالتهاب يحترق بشعلة بيضاء ويبقى فحما اسفنجيا خفيفا جدا والماء المغلي والكحول يذيبان جزءا منه والاتير الكبريتي يكاد يذيبه كله. ورائحته تضعف شيئا فشيئا بتعريضه للهواء بدون أن يفقد من وزنه شيئا محسوسا اذا كان جافا فلذا يجب حفظه في اوان من زجاج جيدة السد بسدادة زجاجية

وذكر العرب ان اجود المسك مارعي حيوانه السنبل وانه يغش بالراوند ونشارة العود وبالقرفة والقرنفل والزراوند والسنبل ودم الأخوين والجاوي ونحوها تسحق مع مثلها من عصارة طحال الماعز المجففة ودم الحمام ودهن البيض ويخدم الكل بماء الورد الممسك ويطيب بالمسك الطيب ويعلق في الكنف مدة وقد يزاد على ذلك ماء التفاح

قالوا وربما كان غشه بمجرد الدم المجفف او خرء بعض الطيور أو الميعة أو برادة الحديد أو نحو ذلك وكثيرا ماينذي بالبول . وتسهل معرفة هذا الغش بضعف رائحة هذا المسك ولونه وعدم وتوافق اجزائه وعدم ذوبانه كله على النار

(خواصه الدوائية) اذا استعمل المسك بمقدار من قمحة الي اربعة قمحات فانه يوقظ الجهاز الهضمي ويزيد القوي

بسرعة في المجموع الحيـواني فان كانت المعدة حينئـذ متهيجة شعر بعد ازدراده بثقل وحرارة في القسم المعـدي وجشاء وجفاف في المـريء . فاذا أدمن من استعمال مقادير منه من ٤ قمحات الي ٦ في كل ساعة حتى بلغ المقـدار في اليوم ٢٤ قمحة أو درهما أو اكثرنفذت قواعده الفعالة فى البنيـة واثرت في منسوجاتها واحدثت تنبها عاما . فقد يعرض رعاف وازدياد في التنفس الجلدي وتظهر ظواهر عصبية تدل على ان المسك أثر علي المراكز العصبية كالصداع والدوار والسبات بل النوم غير الاعتيادي والهبوط والاضطراب والحركات التشنجية وارتجاف الأعضاء الصدرية والبطنية فيعلم من ذلك ان التأثير العصبي تغير عن حاله بعد استعمال هذا الجوهر وتكدر سيره في الجسم

توجد رائحة المسك في البـول وفي المواد الثفلية والتنفس الجـلدي وعرق المستعملين له . وتكثر تلك الرائحـة في افرازات بعض المرضي بحيث ان اليد التى تمس نبضهم تبقي حافظة زمنـا طويلا لرائحة المسك . واذا فتحت جثة من استعمله وجدت تجاويف صدورهم و بطونهم مملوءة من عطريته النافذة أيضا في جميع منسوجاتهم بل وفي الجوهر المخي . فاذا لم يشاهد شيء من ذلك كان المسك رديئا

أهم ما في المسك من الخواص تأثيره تأثيراً خاصاً في الجهاز المخى الشوكي فأرادوا أن يستفيدوا من ذلك التـأثير فائدة في الأمراض التي لا يكون هـذا الجهاز فيها عمليا حيث ترسل مراكزه لجميع أجزاء الجسـم تأثيرا غير منتظم يحـرض في الاعضـاء الدورية والتنفسية والهضميـة حركات مرضية وتكدرات محزنة

وزعم الطبيب (كولان) انه أعظم الجواهر المعروفة مضادة للتشنج ومدحه في النقرس المتنقل والثابت . فيمكن أن يقال بوجـه عام انه يصح استعماله في علاج الأعراض العصـبية الثقيـلة التى تضاعف الأمراض الأخر وتصاحبها على أنها نتيجة أو عرض لها أو أصـل متميز عنها . ولهذا استعمله بعضهم مع النجاح في بعض الالتهابات الرئوية المصاحبـة للهذيان . ومدحوه أيضاً في الحمى التيفوسية المضاعفة بعوارض عصبية غير منتظمـة كالهذيان واهتزاز الأطراف والحركات التشنجيـة والضجر واختـلاط القوي

الحساسة ونحو ذلك وتلك أعراض ناشئة من المراكز العصبية فالمسك يسكنها ويعيد التأثير العصبي للحالة الموافقة لقوانين البنية الحيوانية وبذلك يحسن حال المريض ولكن ذلك بشرط سلامة القناة الهضمية. لأنها ان لم تكن سليمة سبب تعاطيه تهيجا في معداتهم وأعراضاً أخري مؤلمة وقلقا في القسم المعدي. أما من كان حسهم متكدرا أو معدوما فيقبلون تلك الأدوية ولا يتضررون منها عاجلا ولكن ادمان استعمالها قد يسبب فيهم اضطرابا وانخراما في الوظائف وذلك علامة على الشدة التي طبعها ذلك الجوهر في آفات الجهاز المخي الشوكي

نعم شوهد أن المسك قد يحرض انفعالا ربما كان نافعا لكن حصول مثل ذلك غير يقيني فلا تعلم جيداً الأحوال التي يكون المسك نافعاً فيها

وذكروا انه دواء قوي الفعل في الفواق وخفقانات القلب وارتجاف المريء والمعدة والأمعاء فالمسك بخاصته المنبهة يزيد في تلك العوارض ولكنه اذ كان له فعل خاص علي الجهاز المخي الشوكي فيمكن أن يذهب أحيانا الاستعداد المرضي الذي في تلك المراكز ويعيد تأثيرها في الأعضاء الي حالته الاعتيادية وربما كانت الفوائد الحاصلة منه في علاج الآفات العصبية آتية من تلك القوة التي تكون في تلك الحالة مسكنة وربما نسب لها وصف هذا الجوهر بأنه مضاد للتشنج أو للآفات العصبية

وقد ذكروا مشاهدات من الالتهابات البلوراوية والرئوية المصاحبة للهذيان أعطى فيها المسك بمقدار من ٤ قمحات الي خمسة في كل ساعتين أو أربع ساعات نحو انحطاط الداء وبعد الفصد عدة مرات فنتج منه نوم مريح وتعريق لطيف وانقطاع فجائي للعوارض الشديدة الثقل. لكن ينبغي أن يعلم أنه يوجد حينئذ مع التهاب المنسوج الرئوي أو البلوراوي حالة مرضية في المخ وغيره من المراكز العصبية. ولا يصير المسك نافعاً الا بارجاعه الجهاز الشوكي لحالته الاعتيادية وأوصوا به في الصرع وذكروا مشاهدات تقوي هذا الرأي. ولكن أسباب هذا الداء مختلفة والدواء الواحد لا يمكن ان يقاومها كلها. علي انه قد يوجد في هذا الداء آفات تتجدد أدواراً وهي التي

تحرض النشبات أفيستطيع المسك أن يمنع ظهورها ؟ ثم انه يوجد في هذا الداء آفات دائمة لا يعلم هل مجلسها في المخ أو على مسير الحبيلات العصبية أو في القلب . وذلك لأن نشبات الصرع يحفظ دوامها التهاب مخي جزئي أو درن في اللب المخي أو في حبيل عصبي أو تيبس أو تنوع مرضي آخر في جزء من هذا اللب أومن هذه الحبيلات أوضخامة في البطين الأيسر أو اتساع في الفوهة الشريانية التي في ذلك البطين أو نحو ذلك . والمسك لا يقدر علي رد شئ من تلك الآفات

وقد منع بعضهم استعماله اذا كانت بنية المريض ممتلئة أي دموية حيث يتوجه الدم فيها بقوة نحو الرأس فيجب قبل استعماله استفراغ الأوعية لتحفظ من العوارض التي قد تحرضها قواعده المنبهة في الجسم الممتلئ دما وشدة فاعلية

وذكروا انه دواء قوي الفاعلية في الخوريا أي الرعشة مع انه يوجد في هذا الدواء قوتان تؤثران في الأطراف فالارادة المخية تبقي حافظة لسلطتها في العضلات فاذا أمرت بشئ انقادت لها هذه الأعضاء فتحصل فيها الحركات الارادية وهناك قوة أخري متولدة من التهييج المتعب للب النخاعي الذي للمخ وسيما النخاع الشوكي فهذه تحرض انقباضات عضلية وهناك عضلات يلزم بقاؤها في سكون لكنها تدخل في الفعل دخولا في غير محله فحركاتها تكدروتخرم جميع الحركات التى يريد المريض فعلها فاذا أراد المريض ارسال كوب لفمه مثلا عسر علي ذراعه أن تبتدئ في الانثناء بل تنجذب الي الأسفل أو الى الأعلى أو الي الجانب بالعضلات التي تنقبض لمعارضة اختيار المريض فتخط تلك الذراع عدة انثناآت وينفدفع الكوب في الاتجاهات المتعارضة جداً قبل أن يصل الى محله المقصود

وكذاهذا الشخص المصاب بالخوريا أو الرعشة يريد أن يمشي فحينمايوجه ساقه الى الامام تنقبض عضلات منه قهراً فتجذب هذه الساق الى الجانب أو تحفظها مثنية علي الفخذ فلا تتقدم الرجل الى الأمام لتقبل الجسم فيسقط ذلك الجسم على الأرض . ويعسر أن تدرك المنفعة التي تحصل من المسك في هذه

العوارض أوفي الآفة التي انتجتها لأنه لايمكنه أن يعيد تحت سلطة الارادة العضلات لحلها الذي فارقته الا بعد أن يتسلط على السبب الذي حرض انقباضاتها ايقدر المسك على أن يعيد للنخاع حالته الاعتيادية ويعطى للتأثير العصبي سيره الاعتيادي ؟

وذكروا نفعه في الخوف من الماء في داء الكلب ولكن ليست المادة المعدية الكلبية هي التي يفسدها المسك كما زعموا وانما تعارض قوته العوارض التى ينتهي الحال بأن تحرضها هذه المادة المعدية في الجسم الحاوي لها . وبالجملة لم يثبت له عظيم فاعلية في ذلك

وذكروا نفع استعماله في الهستريا وان بعض العصبيات التى سقط رحمهن اذا شممن رائحته يرجع فيهن هذا العضو الى محله الطبيعي

وذكروا أيضاً ان بعض النساء اذا شممن رائحته يحصل لهن تقلص في الرحم وتلك حالة مهمة تجعل استعماله صعبا لهن . لأنه لا يعلم من قبل هل تقع المرأة من استعماله في التقلص أم لا

والخلاصة انه قد ثبت بالمشاهدات فاعليته فى الهستريا كما نفع عندالقدماء في معظم الأمراض العصبية كالخدروالفالج واللقوة والرعشةوالبلادةوالوحشةوالخفقان وانه يقوي الحواس ويمنع ضرر الأدوية والسموم والمسهلات اذا دخل فيها ويوصل كل دواء الى مايراد منه

وقد يجمع المسك مع نترات البوتاس لتلطيف فعله المنبه بخلافه مع الكافور فانه لزيادة فعله كما هو مع الأفيون أو الراتينجيات أو البلاسم أو العنبر أو الأدهان الضارة أو اكسيد الخارصين أو غير ذلك من مضادات التشنج

ويجمع مع الكبريت الذهبي للانتيمون ليزيل منه معظم رائحته بدون أن يتخلل تركيبه وأما القرمز المعدني فيغيره فقط الي رائحة البصل . وجمعوه مع روح النوشادر لايقاف الغنغرينا وجعل هذا الجوهر قاعدة لمركبات دوائية وقتية كثيرة كالجلاب المسكي لفولير والمسحوق التونكيني وهو مخلوط من ١٦ قمحة من المسك مع ١٢ من الزنجفر وتلك الكمية تستعمل كلها في الصين لعلاج داء الكلب وكاقراص وحبوب مسكية نوشادرية مضادة للتشنج ومقوية للقوة

التناسلية . ويستعمل أيضاً لتعطير بعض الأشربة الروحية

(مقدار استعماله) مقداره من ٤ قمحات الي نصف درهم حبوبا أو معلقا في جرعة بمساعدة جسم لعابي والمخلوط المسكي يصنع بأخذ غرام من كل من المسك والصمغ العربي والسكر و ٤٨ من ماء الورد والاستعمال من أوقية الى أوقيتين في كل ساعتين أو ثلاث ساعات

وقد تنوع الجرع فمن ذلك تصنع جرعه بأخذ أوقية ونصف من كل من مقطر زهر الزيزفون وماء زهر البرتقان واوقية من شراب بلسم طلو و٢٤ قمحة من مسحوق الصمغ و ٦ قمحات من المسك و يعمل ذلك حسب الصناعة جرعة تستعمل بالملاعق الصغيرة

والحبوب المضادة للهستريا تصنع بأخذ غرام من كل من المسك وخلاصة الفاليريانا و١٢ قمحة من خلاصة الأفيون وتصنع ١٦ حبة (ملخص من المادة الطبية)

﴿ الامساك ﴾ ويقال له القبض يعتري بعض الناس فيمتنعون عن التبرز ٢٤ ساعة أو يومين أو ثلاثة وأكثر وهو ليس بمرض ولكنه عرض ثقيل جداً يسبب اعراضاً كثيرة كالكرب والألم في الرأس والثقل فيه والدوار أو قلة الشهية وغير ذلك وهو يكثر بين العصبيين وبين الذين يعيشون معيشة جلوسية والذين يكثرون من أكل اللحوم أو الأطعمة المنبهة أو الذين يقتصرون على حمية شديدة أو يشربون أشربة روحية بكثرة أو من يهمل التبرز في وقت الحاجة اليه ويكثر في الحوامل أيضاً

(علاجه) يقوم علاجه اولا بجعل وقت معين للتبرز والقيام لقضاء الحاجة في تلك الساعة وان لم يكن هناك ميل للتبرز وذلك لتنبيه وظيفة الامعاء

ومن علاجاته أيضاً أن يأخذ حقنة باردة . والماء البارد يفيد أكثر من الفاتر لانه مقو ينبه الامعاء الى حركتها الطبيعية بخلاف الفاتر أو الساخن فانهما يكسبانها خمولا وضعفا . واذا لم يكف وحده يضاف اليه ملعقة من زيت الزيتون أو الغليسرين أو قليل من الملح أو الصابون أو السكر

ومما جرب في الامساك دلك البطن باليد وهو أن يستلقي المصاب على ظهره

قبل خروجه من السرير ويضع على كفه قليلا من الفازلين لتسهيل انزلاق كفه على بطنه ثم يأخذ في دلك بطنه فيتجه من الجهة اليمني تحت الخاصرة في خط مستقيم يقع البطين تحت السرة بقيراطين وهو الموضع الذي يمتد فيه المستقيم الذي يحمل الفضلات فيمر بيده ضاغطا على ذاك الخط حتى ينتهي الى الجهة اليسري ثم ينزل يميل نحو العانة على خط مستقيم متتبعاً سير بقية المعي الغليظ ويكرر هذا العمل مراراً عديدة ثم يدلك بطنه دلكا مستديراً حول السرة ثم يعمد الي الطريقة الأولى ثم يعود للثانية وهكذا نحو ربع ساعة ثم ينهض من السرير الي محل الخلاء فيفيده هذا الدلك في ازال الفضلات وتنبيه وظيفة الامعاء . ولو دأب عليها المصابون بالقبض لوصلوا الى شفاء مابهم من كسل الامعاء وخمولها على شرط ترتيب أوقات التبرز وعدم امساكه متي حدث شعور بالضرورة اليه

فان استعصي الامساك على هذه الوسائل يعمد المصاب الي وسائل أخري وذلك بأن يكثر من أكل الخضر والفواكه فيأكل التفاح والكمثري والخوخ والتين والعنب والبطيخ والشمام والاجاص (البرقوق) وغيرها صباحا وظهرا وعشيا وان يكثر من المشي والتنزه في الهواء الطلق وان يقلل من أكل القوابض كالرمان والعجينيات واللحم والافاويه

واللبن الحليب يفعل فعل بعض الملينات أوالمسهلات فيؤخذ كوب منه محلى بقليل من العسل الأبيض قبل النوم

ومن الملينات الجيدة في ازالة القبض الراوند فهو يباع على حالة مسحوق أو اقراص صغيرة فيؤخذ نصف غرام قبيل النوم من مسحوقه أوحبة من حبوبه فان لم تفد حبة ونصف أو حبتان فتكون ملينا حسنا في اليوم التالى مع تقوية المعدة وعدم احداث قبض بعد اللين

ومن العلاجات الحسنة له الصبر والمانيزيا . وفي الصبر عيب وهو أن يجعل احتقانا في الاوعية الدموية التي حول المقعدة فيسبب البواسير فليجتنبه المصابون بها وكذا النساء المعرضات لأمراض حمية أو لأنزفة دموية

ومن الملينات نقيع عرق السوس ومسحوقه وهو يباع في مخازن الأدوية في حقات من الصفيح

من الناس من يبادرون عند كل قبض بأخذ مسهل وهو خطأ عظيم فان المسهلات تحدث انقلابا عظيما فى اعضاء التبرز وافرازا كبيرا فى الغدد المعوية لا يعمد اليه الطبيب الا عند الضرورة القصوي فلا يجوز لأحد الناس أن يعتمد هذه الوسيلة الا بأمر من الطبيب الحاذق الحريص علي صحة الشخص . والملينات أفضل منها فهى تحدث اللين بدون أن تصيب الوظائف التبرزية بصدمة قوية بل تفعل فعل الأغذية في البنيه فتنبه وظائف التبرز بلطف

ويحسن بنا هنا أن نأتي علي مقارنة فعل المسهلات بالملينات ليتبين القارئ فضل الثانية علي الأولي فلا يعتمد الا عليها

(تركيب الجواهر الملينة وفعلها ومقارنتها بالمسهلات) الجواهر الملينة مركبات من لعاب وسكر وزيت ثابت وحوامض نباتية . وأما الجواهر المسهلة فهى قواعد مرة وخلاصية وملونة باملاح

الجواهر الملينة طبيعتها غذائية وموادها الكيماوية كثيراً ماتتسلط عليها القوي الهضمية فتغير طبيعتها وتحولها الى كيموس والجواهر المسهلة ليست قابلة للانهضام ولا يمكن استخدامها في تركيب القواعد المصلحة للجسم

الملينات ترخي منسوج الامعاء فاذا حصل عقب استعمالها استفراغات ثفلية فذلك لكونها صارت جسما ثقيلا متعباً فتسعي هذه الاعضاء في التخلص منها سريعاً أي بدفع جميع ما تحتوي عليه في باطنها.ولكن المسهلات تحدث في الطرق الهضمية تهيجاً يثير الحركة التقلبية فى الامعاء والاستفراغات التى تتبع استعمال مسهل يتركب معظمها من أثفال مخاطية ومصلية وصفراوية وهو الذي حرضها

الملينات تفعل على جميع المنسوجات الحية انطباعا مرخيا أو معدلا ولا يتبع استعمالها بكدر أصلا في التأثير العصبي ولا ينتج أصلا جملة العوارض التى تكون تابعة لافراط الاسهال . وأما الجواهر المسهلة فلها على أعصاب المجموع العقدي وعلي النخاع الشوكي فعل لا ينبغى انكاره . فاذا استعملت بمقدار كبير فانها تعطي للتأثير العصبي صفة أخري وتحدث اعتقالات في الفخذين والساقين . ثم ان

امتصاص جزيئاتها يثير دورة الدم و يرفع درجة الحرارة الحيوانية وغير ذلك

الملينات تستعمل في الامراض الناتجة من التهيجات والالتهابات وأما الجواهر المسهلة فكثيراً ما تزيد في قوة هذه الآفات فاذا استعملت الملينات في الأمراض الحادة فانها كما هو واضح تلطف الاحتراق الحمى وتقلل شدة العوارض المرضية . وأما المسهلات فاذا استعملت في هذه الاعراض فانها تزيد في الحمى وتقوي جميع الامراض وقد استفيدت منافع جليلة من المسهلات في الاحتقانات الدموية التى تكون في المخ وفي أعضاء الصدر ونحو ذلك. وأما الملينات فاستعمالها في هذه أقله أن يكون غير نافع . والمسهلات تكون قوية الفعل فى الأوذيمات الخلوية . وأما استعمال الملينات في ذلك فتعين غالبا على زيادة هذه الأحوال المرضية

﴿ مسّاه ﴾ قال له مساك الله بالخير و (أمسى) دخل في المساء و (المَساء) ما بين الظهر الى المغرب

﴿ مشَجه ﴾ يمشُجه خلطه . و (مشِج ومَشَج) أي مختلط جمعه أمشاج

﴿ المِشمِش ﴾ يسمى باللسان النباتي (ارمينيا كاوبجاريس) وأصله من بلاد الارمن ثم نقل الي رومية وانواعه كثيرة

(الاقليم والارض) تنضج ثماره في شمال فرانسا والارض التي توافق شجر الخوخ توافقه

(تكاثره) يطعم على شجر البرقوق وشجر اللوز وشجر المشمش المتحصلة من البزر

فشجر البرقوق هو الاكثر استعمالا وتنتخب منه الاصناف القوية لاجل تطعيمها وشجر اللوز اقل استعمالا من شجر البرقوق لان المطعم عليه ينفصل منه بسهولة وشجر المشمش جيد لذلك وتطعم هذه الاشجار بالازرار أو التطعيم الاكليلي أو بالتطعيم بالشق

ويزرع هذا الشجر اما فى بستان الفاكهة واما في بساتين الخضر فيزرع في بستان الفاكهة في الهواء المطلق ويعطى له الشكل الهرمي ويزرع في بساتين الخضر كما يزرع شجر الخوخ فتحصل منه محصولات وافرة

ولاجل أن يعيش الشجر زمنا طويلا

وتتحصل منه محصولات وافرة علي الدوام لاينبغي أن يترك ونفسه بل يلزم تقليمه في كل شتاء وبدون ذلك يتغطي نحـو قاعدته بفروع عديدة شرهـة غير لازمة تجذب نحوها العصارة اللينفاوية فتميت معظم فروع هيكل الشجرة والفـروع الثمرية فبعد زمن يسير يكون عدد الفروع اليابسة كعدد الفروع الرطبة تقريبا فاذا قرطت قمم الفروع مرتين فى زمن الانبات امتنع بذلك نمو الفروع غير اللازمة التى هي مضرة من وجهـين أولهما انها تمتص أغلب العصارة اللينفاوية وثانيهما انه ينشأ عن ازالتها مرض الصمغ الذي هو مميت لشجر المشمش في الغالب

(تقوية شجر المشمش) هذا الشجر ينتهي بعد مضي ١٥ أو ١٨ سنة بأن يصير سقيما فتتجرد فروعه من الفريعات الثمرية وتجف . ونمو الفروع الشرهة السفلى غير اللازمة ثم قطعها كل سنة ينشأ عنه هذا السقم فمتي حصـل ذلك ينبغى أن يقوي هذا الشجر ولأجل ذلك يكفي أن تقلم فروع هيكل الشجرة نحو قاعدتها فوق النقطة التى يمو فيها فرع شره فهذه الفروع الحديثة الشرهة يتكون منها هيكل جديد ويتأتي تكرار هـذا العمل مرارا متعاقبة اذا اقتضت الحاجة ذلك

(امراضه) المرض الذي يخشى منه علي هذا الشجر كثيرا هو الصمغ ويعالج بالطرق التى أسلفنا ذكرها

(اجتناء ثمـاره وحفظهـا) يجني المشمش كما يجني الخوخ ولا يتأتي حفظه رطبا وانما يجفف كالبرقوق بعد نزع عجمه منه فاذا عطن المجفف منه في المـاء ثم طبخ مع السكر حسبما تقتضيـه الصناعة تحصلت منه مربي لذيذة الطعم (من كتاب الزراعة لاحمد بك ندي)

(خواصه الغذائية والطبية) المشمش من الفواكه المغذية المولدة للدم ولـكن فيه ثقل فيجتنب الاكثار منه

وقد ذكر له اطباء العرب خواص طبية جليـلة فقالوا انه ينفع من الحكة واللهيب والعطش وهيجان الحارين والحميات المحرقة والبخار المتغير ويفتح السـدد ويلين الصلابات ويعدل أمزجة المحرورين بشرط أن يتبع بما يخرجه عن البدن بسرعة كالسكنجبين وربوب الفاكهة ومن اتبعه بالمـاء والعسل وتقيأه أخرج مافي المعدة من الاحتراقات حتي الكرائية

والزنجارية وقطع الحمي

وهو يضر المبرودين (يعني العصبيين)

والمشايخ ومن غلب عليه البلغم ويضر المعدة لفساده وحمضه ويولد الرياح الغليظة . ومن فصد بعد اكله شاهد بياض الدم وبذلك يوجب البرص اذا أدمن ولا يجوز فوق طعام ولا على ريق الا بقصد القيء ويصلحه الانيسون والمصطكي بالعسل في المبرودين والا فبالسكر . ومما قيل تبين أن الخوخ أجود منه بكثير ويابسه أجود من طريه

ولبه المر حار يابس في الثانية والحلو حار رطب في الاولي ودهن كل يفتح السدد وينعم البشرة ويزيل الصلابات والخشونات والآثار . والمر يفتت الحصي شرباً ويفتح الصمم قطوراً . ويسكن مع الافيون كل ضارب لوقته ويقوي فعل المسهلات. وليس له بمفرده قوة في ذلك وأجزاء شجرته باردة يابسه في الثانية اذا طبخت وشربت أدرت وأسقطت الديدان وتحل الاورام نطولا وورقه يقطع الاسهال

من خواصه التركيب في اللوز والخوخ وكل في الآخر .

وقد ينقع المشمش ثم يضرب ويصفى من نواه ويفرش على ألواح قد دهنت بالسيرج في الشمس وقد رقق كالملبن فيجف وهو المعروف بقمر الدين

﴿ مشط ﴾ الشعر يمشطه سرحه ومثله (مشّطه) و (امتشط) مطاوع و (المِشط) آلة التمشيط

﴿ المُشاقة ﴾ ما سقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط . و (امتشقه) اختطفه واختلسه . و (قدّ ممشوق) أي طويل مع رقة

﴿ الماشية ﴾ الابل والغنم والبقر جمعها مواش و (المشاؤون) من الفلاسفة هم أتباع أرسطو لانه كان يحدثهم في الفلسفة وهو ماش

﴿ المصر ﴾ الحاجز بين الشيئين والمدينة جمعه أمصار . و (المَصير) المعي جمعه مُصْران وجمع المصران مصارين

﴿ مصر ﴾ من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكرا في التاريخ وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم . موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقا وهي عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتي جبال يختلف ارتفاعها بين ٥٠ و٣٥٠ مترا

وهما سلسلة جبال العرب جهة الشرق وسلسلة جبال ليبيا جهة الغرب . وخلف هاتين السلسلتين صحراوان تمتد احداهما شرقا الى البحر الأحمر وتسمى صحراء العرب والثانية تتصل بالصحراء الكبري وتسمى صحراء ليبيا

يحد مصر شمالا البحر الأبيض وشرقا بلاد الشام والعرب والبحر الأحمر وجنوبا بلاد النوبة وغربا طرابلس الغرب والصحراء

مساحة مصر (٦٠٠٠٠٠) كيلو متر أي (١٥٠) مليون فدان بما فيها الصحاري . ومن غير الصحاري تبلغ مساحته (٢٦٠٠٠) كيلو متر أي (٦١٥٨٠٧٧) فدانا . يزرع منها (٥٦٥٠٠٠٠) فدان والباقي أرض قابلة للزراعة ولم تزرع

أما عدد أهلها فيبلغ الآن نحو ١٣ مليون وكان سنة ١٨٠٠ (٢٤٦٠٢٠٠) وفي سنة (١٨٢١) حين احصاء محمد على باشا (٤٤٧٦٤٤٠) وفي احصاء سنة (١٨٨٢) في عصر توفيق باشا بلغ (٦٨١٣٩١٦) وفي سنة (١٨٩٧) بلغ بلغ (٩٧٣٤٤٠٥) وبلغ في سنة(١٩٠٧) ١١١٤٣٠٠٠ وقد صار الآن أي في سنة (١٩١٧) ١٢٥٦٦٠٠٠ واليك جدولا أصدرته مصلحة الاحصاء عن الاحصاء الأخير لسنة (١٩١٧) فيه تفصيل الأهالي في المديريات والمحافظات مع مقارنتها بعدد أهلها في سنة (١٩٠٧)

الاقسام الادارية		الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاحصاء سنة ١٩١٧	الزيادة في المئة
	مصر	٦٤٦٠٠٠	٧٨٥٠٠٠	٢١٫٥
	الاسكندرية	٣٥٢٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	٢٣٫٦
المحافظات	القنال	٦١٠٠٠	٩٠٠٠٠	٤٧٫٥
	السويس	١٨٠٠٠	٣٤٠٠٠	٨٨٫٨
	دمياط	٥١٠٠٠	٣١٠٠٠	—
مجموع سكان المحافظات		١١٣٨٠٠٠	١٣٧٥٠٠٠	٢١٫٩

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة ١٩١٧	الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاقسام الادارية	
١٤،١	٨٨٤٠٠٠	٧٧٥٠٠٠	البحيره	الوجه البحري
٧،٦	٩٤٧٠٠٠	٨٨٠٠٠٠	الشرقيـة	
١٣،٥	٩٧٧٠٠٠	٨٦١٠٠٠	الدقهليـة	
١١،٠	١٦٤٩٠٠٠	١٤٨٥٠٠٠	الغربية	
٢١،١	٥٢٧٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	القليوبية	
١٠،١	١٠٦٨٠٠٠	٩٧٠٠٠٠	المنوفية	
١١،٩	٦٠٥٢٠٠٠	٥٤٠٦٠٠٠	مجمـوع سكان الوجه البحري	
١٠،٩	٩٦٩٠٠٠	٨٧٧٠٠٠	اسيوط	الوجه القبلى
٧،٧	٢٥١٠٠٠	٢٣٣٠٠٠	اصـوان	
٢٠،٧	٤٤٩٠٠٠	٣٧٢٠٠٠	بني سويف	
١٤،٧	٥٠٧٠٠٠	٤٤٢٠٠٠	الفيوم	
٧،٧	٨٥٤٠٠٠	٧٩٣٠٠٠	جرجا	
١١،٨	٥٢٣٠٠٠	٤٦٨٠٠٠	الجيزة	
٧،٥	٨٢٩٠٠٠	٧٧١٠٠٠	قنـا	
١٦،٠	٧٥٧٠٠٠	٦٥٣٠٠٠	المنيا	
١١،٥	٥١٣٩٠٠٠	٤٦٠٩٠٠٠	مجموع سكان الوجه القبلي	
١٢،٧	١٢٥٦٦٠٠٠	١١١٤٣٠٠٠	المجموع العام (موقتا)	

(التاريخ القديم للأمة المصرية) ينقسم التاريخ القديم لهذه الأمة الى ثلاثة أدوار : دور الجاهلية ، ودور الأسر المالكة المصرية ، ودور الحكم اليوناني في مصر

فأما الدور الأول فأوله مجهول وينتهي الي سنة (٥٠٠٤) قبل الميلاد . وأما الدور الثاني فيبدأ من سنة (٥٠٠٤) ق م الى سنة (٣٣٢) قبل الميلاد . وأما الدور الثالث فيبدأ من تلك السنة الي سنة (٣٠) ق م

ثم يلي هذا تاريخها الحديث وهو يبتدئ من سنة (٣٠) حيث استولي عليها المسلمون الى اليوم

(الدور الأول) تاريخ الأمة المصرية في عهد الجاهلية غامض لايعرف عنه شئ كبير وغاية ماعرف ان هذه الأمة كانت منقسمة الى قبائل على كل منها رئيس مستقل ثم توحدت هذه القبائل واوجدت مملكتين احداهما في الوجه البحري والأخري في الوجه القبلي .

في هذه الدور كان للكهنة نفوذ قوي فرتبوا للأمة ديانتها ووضعوا لها اسماء آلهتها وكان مقرهم مدينة طيبة وتسمى بالقبطية ابيدوس هي الآن العرابة المدفونة والخربة قبلي جرجا بينها و بين البلينا ساعتان

يبدأ التمدن المصري من سنة (٥٠٠٤) حيث بدأ المصريون يلبسون جلود الحيوانات و يستعملون النحاس والفخار ويتخذون السيوف والمدي والأواني وينسجون التيل و يصنعون الآجر (الطوب) ويشيدون المباني و يستخرجون الذهب والفضة و يبنون السفن و يتجرون عليها

(الدور الثاني) يبدأ من سنة (٥٠٠٤) الى (٣٣٢) ق.م. وهو دور الأسر المالكة أو دور الفراعنة . بلغ عدد هذه الأسر (٣١) اسرة ملكت البلاد من أول سنة (٥٠٠٤) الى سنه (٣٣٢) ق م وهي ثلاث طبقات :

(١) الطبقة الأولي تشمل العشر الأسر الأولي ومدة حكمها ١٩٤٠ سنة

(٢) والطبقة الثانية تشمل السبع الأسر التالية ومدة ملكها ١٣٦١ سنة

(٣) والطبقة الثالثة تشمل الاربعة عشرة اسرة الاخيرة ومدتها ١٣٧١ سنة

(الطبقة الأولى) من سنة (٥٠٠٤) الي سنة (٣٠٦٤) اولها الأسرة الأولى من سنة (٥٠٠٤) الي (٤٧٥١) زعيمها الملك (مينا) أو (مينيس) تزوج أبوه بأميرة من الوجه البحري فصار مينا حاكما بالوراثة على الوجهين فاول ماوجه اليه همه اضعاف سلطة الكهنة وتقوية شوكة الملكية و بني هيكلا للمعبود (بتاه) بقرب الجيزة وحول مجري النيل من سفح الجبل

الغربي الي مجراه الحالى وبني مدينة منف أو منفيس وهي الآن ميت رهينة والبدرشين ثم بني جسرا لوقاية مدينته من النيل يعرف الآن بجسر قشيشة

مات وخلفه ابنه (تيتا) فأسس في منفيس القصور واشتغل بعلم الطب وعمل مجموعا للوصفات الطبية توجد الآن بمكتبة برلين

(الاسرة الثالثة) من سنة (٤٤٤٩ الي ٤٣٣٥) ق م كانت في منف تقدم على عهدها فن النقش والبناء وجر الأثقال. بني في مدتها الهرم المدرج بسقارة قرب البدرشين بناه الملك (ذوسر) الذي تولى سنة (٤٣٨٥) ق م وبني في مدتها الهرم الكاذب بميدوم أمام محطة الرقة الآن ببني سويف بناه (سنفرو) آخر ملوك هذه الاسرة. وهو أول من بني السفن الحربية ومن أشهر أعمال هذه الاسرة أبو الهول الباقي للآن بقرب اهرام الجيزة

(الاسرة الرابعة) من سنة (٤٢٣٥ الى سنة ٣٩٥١) بمنف بني فى عهدها الاهرام الثلاثة الموجودة بالجيزة فبني الأكبر (خوفو) في ثلاثين سنة وبني الثاني (خافرع) ابنه. أما الهرم الثالث فبني جزءا منه الملك (مَن كاوْرَع) وتوجد جثته الآن بدار الآثار بلندن وأتمت بناءه الملكة (نيتوخريس) من الاسرة السادسة

(الأسرة الخامسة) أصلها من جزيرة أسوان (الفنتين) من سنة (٣٩٥١) الي (٣٧٠٣) ق.م. في عهدها بنيت اهرام أبوصير بالجيزة من ملوك هذه الأسرة الملك (رع أُسُرآن) صاحب المقبرة الشهيرة بجهة سقارة ثم الملك أوناس وله هرم بالجنوب الغربي للهرم المدرَّج بسقارة

(الاسرة السادسة المنفية) من (٣٧٠٣ الى ..٣٥) ق. م. أشهر ملوكها مَرِي - رع الذي حارب النوبة وليبيا واستولي على طورسيناء وجعل لمصر شهرة عظيمة. وخلفه ابنه (مرنرع) الاول فغزا النوبة وأحضر منها أسلاباً كثيرة، ثم الملك (نفر - كا - رع) الذي حكم مصر مائة سنة، حافظت فيها على رونقها ومجدها. وقام بعده (مرنرع) الثاني وقد وقعت ثورة بعد سنة من حكمه قتل فيها. ثم خلفته زوجته (نيتوكريس)

قال هيرودوت : « ان نيتوكريس لما تولت ، دَبَّرتْ مكيدة لقاتلي زوجها فعملت سرداباً يوصل بين قاعة ، أعدت فيها وليمة فاخرة ، وبين النيل ، ثم دعت قاتلي زوجها وبينما هم في تلك القاعة ، اذ فتحت طريق السرداب من النيل ، فدخل ماؤه الى القاعة وأغرق من فيها » . وهي التي أتمت بناء الهرم الثالث بالجيزة . وقد أعدت لنفسها مدفنا بأعلي الحجرة التي دُفن فيها الملك (منقورع)قبلها بخمسمائة سنة .

(الاسرتان السابعة والثامنة المنفيتان والأسرتان التاسعة والعاشرة الاهناسيتان) من سنة (..٣٥ الي ٣٠٦٤ ق . م .) لايعلم شيء يذكر عن هذه الأسر

قال لبسيوس المؤرخ عن الطبقة الأولي « انه في زمنها كثر علي الآثار اسم (أوزيريس) والتوسل اليه ، وأتقنت صناعة التصوير ، وامتازت الصور باعتدال القامة واستدارة الوجه واشراقه . وكان القوم في ذلك العهد يُعْنون بالكتب ، فجعلوا لها دوراً ومراقبين ، واهتموا بعمل التقاويم السنوية ، فبينوا فيها وقت شروق الكواكب وغروبها لاسيما الشعري اليمانية، التي كان ظهورها علامة علي زمن الفيضان ورأس السنة »

الطبقة الثانية من سنة(٣٠٦٤ ـ ١٧٠٣) ق . م .

(الأسرة الحادية عشرة الطيبية) من سنة (٣٠٦٤ ـ ٢٨٥١) ق . م . من أشهر ملوكها (منتوُهِتبْ الثالث) الذي له صورة في جزيرة الكنوز وهو منتصر علي أمم أجنبية يقاتلها . وله وقائع منقوشة باتقان في وادي الحمامات بمديرية قنا ، كان هذا الملك يخصّ بالعبادة الاله خِمْ معبود مدينة قفط .

وفي دار الآثار المصرية لهذه الأسرة أسلحة وآلات للصناعة وجدت بجهة ذراع ابي النجا .

(الاسرة الثانية عشرة الطيبية)من سنة (٢٨٥١ الى ..٢٦) ق . م .

دخلت هذه الأسرة فى دور جديد من الوحدة بعد أن كانت مقسمة بين أمرائها . فلم يكن لملك مصر غير السلطة الاسمية ، فلما حكمت هذه الأسرة كسرت شوكة الامراء وكان أول من ملك منها (آمن ـ ام ـ حَتْ) الأول الذي انتصر علي قبائل واواي ـ الذين

كانوا العدو الألد للمصريين ـ وأسر قبيلة المتاثيو بصحراء ليبيا ، وأعاد لمصر مجدها وكان لهذا الملك هرم في اللاشت ، وله كتاب تداولتـه المدارس القديمـة لعظيم فائدته .

(الملك أوسرتسـن الأول) هو صاحب المسلة القائمة الآن بعين شمس البالغ ارتفاعها ٢٠٫٢٧ مترا ، والمـكتوب على كل من جوانبها الأربعة بالقلم الهيروغليفي الألقاب الآتية : « ان هوروس ، الشمس ، حياة المولودين ، ملك الوجهين القبلي والبحري ، خبر ـ كارع ، سيد التاج المزدوج ، حيـاة المولودين ، إبن الشـمس ، أوسرتسن ، صـديق أرواح أون ، الخالد ، الإله هوروس ، الذهبي ، المولود من الاله الـكريم خبر ـ كا ـ رع ، هو الذي صنع هذا الأثر فى أول السنة الثلاثين لحـكمه الخالد الي الأبد » . وكان بجانبها مسلة أخري سـقطت في أواخر القرن الثالث عشر . وقد كان أمام المسلتين هيكل الشمس المشرقة المسمى (توم) . ووجدت للملك المذكور مسلة ثالثـة بجوار قرية أبجيج بالفيوم أقامها تعظيما لمعبودات ذلك الإقليم . ويُعَدّ هـذا الملك من المؤسسين الأُوَل لمعبد الـكَرْنك بطيبة ، وله هرم في اللاشت .

(أوسرتسن الثـاني) كانت مصر في عهده محافظة على مجدها . من آثاره هرم اللاهون (بالفيوم) المقامة بجواره مقبرة التماسيح . وللملك المذكور مقبرة بالمنيا بناها له خنوم ـ هتب ، بجوارها الآن بلدة بني حسن ، وعليها نقوش تدل على أحكام الوراثة في ذلك العصر ، وعلي أن (خنوم ـ هتب) كان قريب الملك وواليا عـلي المنيا ، وعلي أنه أصلح هذا القسم وأحيا اسم والده نهيري الذي كان واليا قبله ، وعلى أنه شيد المعابد وأقام بها التماثيل ورتب لها ما يلزم للقرابين وعيّن لهـا كاهنا أقطعه الملك أراضي كثيرة فرتب للأموات الصـدقات في جميـع الأعياد المشهورة ، وعلي قبر (خنوم هتب) المذكور رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال العسكرية وألحان الموسيقي وتربية المواشى ، وبعض قواعد الأحكام وتدبير المنزل ، وفيها صور طقوس دينية وتاريخية وملاحظات علي الملاحة وعلم الحيوانات .

(أوسرتسن الثالث) كان هذا الملك صاحب عزم وحزم نال بهما شهرة

عظيمة فعبده الناس بعد وفاته . من أعماله انه أرسل جيشا لمقاتلة النوبيين قصد توسيع مملكته . وشيد في وادي حلفا ، بالقرب من الشلال الأول ، قلاعا واستحكامات. وأقام حجرين لحد فاصل بين مصر والنوبة مكتوباً علي أحدهما : « هذا حد مصر الجنوبي وضع في السنة الثالثة من حكم الملك أوسرتسن الثالث المخلّد الذكر . لا يجوز لأي أسود كان أن يتجاوز هذا الحد أثناء سفره الا اذا كان في سفينة تقل حيوانات من بقر وغنم وحمير من قبل بني الأسود » . ولهذا الملك هرم فى دهشور بجنوب سقارة . وقد عرف الناس قدره فعدوه حامي المصر، ورجلا مقدسا . و بعد مضي خمسة عشر قرنا من تاريخ موته أي في عصر الأسرة الثامنة عشرة ، شيد له توتميس الثالث معبداً في سمنة كتب عليه أدعية كان المصريون يتغنون بها في ذلك الزمن .

(آمِنْ - آم - هَتْ الثالث) - : هو ابن الملك السالف شيد العمارات الفخمة في الفيوم . ولما رأي أن النيل يفيض بكثرة في بعض أيام السنة ويتناقص في البعض الآخر اهتم بخزن ماءه وقت الفيضان ، في أرض منبسطة بالفيوم ، أحاطها بجسر سماه (ميري) أي بحيرة وقد أطلق اليونان عليها اسم (موريس) . وكانت تلك البحيرة اذا طفحت وقت الفيضان يتصرف ماؤها الزائد في البحيرة الطبيعية المعروفة ببركة هارون . وقال هيرودوت : « ان في داخل مسطح البحيرة كانت مشيدة مدينة كروكودو بوليس أو ارسينو (مدينة الفيوم) وكان في وسط البحيرة هرمان عظيمان يعلوهما تمثالان أحدهما تمثال الملك والثاني تمثال زوجته المسماة سبك - نفرورا » . وقد زعم بعضهم أن القاعدتين العظيمتين الموجودتين بجهة بيَهْمو (بالفيوم) ربما كانتا قاعدتي الهرمين المذكورين . وزعم غيرهم انهما آثار موردة لشحن وتفريغ المراكب المارة بالبحيرة حيث هناك سلالم بتمثالين . وقد وجد رسم هذه البركة في صحيفة بردية محفوظة بالمتحف المصري . ومن أعمال هذا الملك المدينة الشهيرة التي لغرابتها ظنها المؤرخون القدماء قصراً واحداً وسموه (لابيرانته) وهي لفظة مصرية أصلها (لابور - أهونت) أي معبد فم البحيرة

وكان يجتمع في قسم منها كبار المملكة وحكامها بأمر الملك ، ويتداولون فى شؤون المملكة . وقد أقام ذلك الملك بجوار هذه المدينة هرم (هوارة المقطع) ، وله آثار في وادي الحمامات يؤخذ منها أنه استخرج المعادن وأخصها الفيروزج من طور سيناء ،

(الملكة سبك ـ نفرورا) زوجة الملك السالف وأخت الملك (آمن ـ آم ـ هت الرابع) ، تولّت الملك بعد أخيها

مما تقدم يعلم ان مصر في عهد حكم هذه الاسرة كانت سائرة في طريق الرقي فانتظم فيضان النيل ، وأزهرت المدارس

(الاسرة الثالثة عشرة الطيبية) من سنة (٢٦٠٠ الى ٢٣٩٨) ق م

يطلق على معظم ملوك هذه الاسرة لقب (سَبَكْ هُتِب) و(نُفِرْ هُتِب) وجدت أسماء ملوكها مرتبة في جدولين على ورقة تورينو ، وعدتهم سبعة وثمانون ملكا .

حافظت مصر في عهد هذه الاسرة علي مدنيتها ، كما دلت على ذلك الآثار التي وجدت في جزيرة (أرجو) بجوار دنقلة وفي جهة (صان)

وقال مريت باشا عن هذه الأسرة : « ان آثارها توجد جهة الكاب (جنوبي اسنا) وجهة أسيوط » .

(الأسرة الرابعة عشرة السخوية) من سنة (٢٣٩٨ الي ٢٣١٤) ق . م .

لم يعرف شيء عن كثير من ملوكها ، أما آثارها ففي مديرية اسيوط . قال ماسبرو : « ان انقراض هذه الأسرة نشأ من فتنة ضد آخر ملك لها »

(الأسرة الخامسة عشرة) طيبية وعربية من سنة (٢٣١٤ الى ٢٠٠٠) ق . م . ينقسم ملوك هذه الأسرة الي قسمين : وطنيين تاريخهم مجهول حكموا الوجه القبلي وجعلوا عاصمتهم طيبة . وأجانب وهم العرب المعروفون بالهكسوس حكموا الوجه البحري واتخذوا مدينة (أواريس) قاعدة لهم ثم جعلوا عاصمتهم مدينة صان .

أغار العرب على هذه البلاد وانتشروا في انحائها وأخذوا يحرقون المعابد والقرى وينهبونها ، وعلى ذلك هاجر الامراء الوطنيون الى الوجه القبلي ، وحكموا هناك

فى مدينة طيبة ، واصبح الوجه البحري في قبضة العرب فعيّنوا لهم ملكا اسمه (سلاطيس) واتخذوا (منف) مقراً لهم ثم قام بعد سلاطيس خمسة ملوك خافوا من الأمراء الوطنيين فاتخذوا مدينة أواريس قاعدة لهم . وقد كان المصريون يمقتون العرب ويضمرون لهم العداء .

(الأسرة السادسة عشرة) العربية من سنة (... الى ١٧٥٠) ق.م.

أثار ملوك هذه الأسرة حربا عوانا على المصريين فأخذوا منهم الجزء الشمالي للوجه القبلي وأعقب ذلك وفود كثيرين من السوريين والعرب الى مصر .

جلبت هذه الاسرة الخيل الى مصر ومن ملوكها . (رع - كا - نن) وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد) قال بعض المؤرخين : « انه في مدة هذا الملك وفد علي مصر جماعة الاسمعيليين الذين شروا يوسف الصديق من اخوته و باعوه الى فوطيفار رئيس شرطة مصر فأتي بيوسف الي منزله فبهر حسن يوسف زوجة فوطيفار فراودته عن نفسها فأبي ، فتسببت في سجنه ، وكان السجن يومئذ في الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (بي) و تعرف للآن « بسجن يوسف »

ويقول بعض المؤرخين إن مجئ بني اسرائيل من أرض كنعان الى مصر كان بعد طرد العرب منها ، أي في مدة الأسرة الثامنة عشرة الوطنية ، حيث أقام يوسف بمدينة منف وتسلط علي سائر البلاد في أيام الملك توتميس الذي تولي بعد طرد العرب .

وقد انقرضت هذه الأسر العربية بسبب الحروب التي أثارتها المناقشات الدينية بين ملوكها و بين الوطنيين من أمراء الوجه القبلي وجلس (تا - آ) الاول على سرير الملك ، وأسس في الصعيد الأسرة السابعة عشرة .

الأسرة السابعة عشرة — طيبية وعربية - من سنة (١٧٥٠ الى ١٧٠٣) ق . م .

كانت مصر في عهد هذه الأسرة تحت حكم حكومتين : وطنية قاعدتها طيبة ، وعربية قاعدتها أواريس . ولما تولي الملك (تا - آ) شهر الحرب على العرب ، و بمساعدة الامراء له طردهم تدريجا ، وقام خلفاؤه بعده فجدوا في حربهم طلبا لاستقلال مصر فلم يبق لهم

الا معسكرهم الحصين في أواريس. وأخيراً تغلّب عليهم (أهمِس) الأول وطردهم نهائيا ، فلم يبق الا النذر اليسير منهم ، ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطئ المنزلة محترفة صيد السمك وقنص الطيور وهكذا انتهت الطبقة الثانية على أحسن حال

(الطبقة الثالثة) من سنة (١٧٠٣ - ١٤٦٢) ق . م .

(الأسرة الثامنة عشرة الطيبية)

من سنة (١٧٠٣ - ١٤٦٢) ق . م .

ظهرت هذه الاسرة بمظهر القوة فانفردت بالسلطة ، فاتسعت مصر وزادت ثروتها وسميت امبراطورية . واول براطرتها آه - ميس (اهميس) ، ويسمى أيضا أمازيس وهو الذي قام بجيشه وحاصر قلعة أواريس براً وبحراً (كما ذكرنا) ففتحها وطرد العرب مقتفياً أثرهم الى نهر الفرات بأرض الجزيرة (مابين النهرين) ، فخلّص مصر منهم بعد أن ملكوها خمسمائة سنة . ثم أصلح هذا الامبراطور المعابد المتداعية للسقوط ، واستخدم أسري العرب في نقل الأحجار من (طرة) ، واصلح معبد (بتاه) بمنف ومعبد (آمون) بالكرنك ، وهدم قلعة أواريس ، وهجر مدينة صان وقد وجدت جثته بكنز الدير البحري .

(تهوتمِس) أو (توتميس) الأول أي ابن توت . تغلّب على بلاد النوبة واتيوبيا - وكانت تلك البلاد تصدّر لمصر الحيوانات والحبوب والجلود والعاج والأخشاب والمعادن ولا سيما الذهب . ثم غزا توتميس العرب بفلسطين وأرض كنعان ووصل الى نهر الفرات . ولهذا الملك عمارات كثيرة ومسلة توجد في معبد آمون بالكرنك .

(الملكة هاتاسو) هي ابنة توتميس الأول . أقيمت وصية على أخيها القاصر توتميس الثالث فتولت الحكم وشرعت في تشييد الهياكل وتعيين القرابين والصدقات لها - وكانت تحكم بلاد الشام والنوبة . بنت مراكب حربية وارسلتها الي البحر الاحمر للاستيلاء على بلاد بونت (اليمن والصومال) ، فسلم أهلها بدون قتال . ثم أسست معبد الدير البحري في مدينة طيبة . وكتبت على جدرانه قصة غزوتها لبلاد البونت ، ومن أعمالها أيضاً أنها انشأت معامل لصنع الزجاج وأقامت مسلتين بمعبد الكرنك ، ولم تزل

واحدة منهما الى الآن مكتوبا عليها : « ان الملكة هاتاسو أقامتها لتخليد ذكر والدها توتميس الأول » . ولما بلغ أخوها سن الرشد أشركته معها في الحكم وماتت بعد أن حكمت معه مدة ٢١ سنة

(توتميس الثالث) هو من أعظم ملوك مصر امتنع في بدء حكمه أهل الشام عن دفع الجزية ، وخرج عليه أغلب سكان آسيا فهزمهم شر هزيمة ، وفتح الشام ، ووصل الي (نينوي) ببلاد الجزيرة وقهر بلاد النوبة ، ونقش انتصاراته على جدران هيكل الكرنك وعلي حجر محفوظ بالمتحف المصري وفيه صورته أيضاً وبني أسطولا عظيما كانت له السيادة علي الجزء الشرقي من البحر الأبيض . وفتح بمساعدة هذا الاسطول جزيرة قبرص والأناضول (آسيا الصغري) ، فاتسع نطاق التجارة وعاش المصريون في عهده عيشاً رغدا . وأقام مسلتين في عين شمس أحضرتهما الملكة كليوبطرة سنة ٤٤ ق . م . الي الاسكندرية فسميت باسمها

مات توتميس الثالث سنة ٤٤ من حكمه بعد أن نشر العلوم والمعارف وانشأ معامل الزجاج والفخار ، وقد كان عصره من أعظم العصور لمصر ، وجثته محفوظة بالمتحف المصري.

(آمن - حُتِبْ) أو امنوفيس الثالث لما صعد علي سرير الملك كانت مملكته تمتد من أعالي الفرات الي الشلال الرابع ، ولشهرته في الأقطار سماه اليونان (ممنون) . وفي عصره اشتدت الفتن في الشام فأطفأها ، بحسن التدبير والسياسة ، وكان ماهراً في صيد الاسود ، و يعرف ذلك من النقوش المرسومة فى هيكل الأقصر وفي صخور بالقرب من جزيرة فيلي أو فيليا . ولهذا الملك آثار عظيمه منها : هيكل للمعبودة (مُوت) زوجة آمون ، وأنشأ أيضا على شاطئ النيل الأيسر تجاه الأقصر معبداً كان هذا المعبد من أعظم الآثار المصرية ولم يبق منه الآن الا التمثالان الكبيران الموضوعان على يمين و يسار الداخل الى المعبد ، يمثل كل منهما صورة الملك ، و يعرفان (بشامة وطامة) ، و يعرف التمثال الموجود في الجهة البحرية عند الافرنج باسم (ممنون)

(آمن - حُتِبْ) أو آمنوفيس) الرابع

كان هذا الامبراطور قبل توليه

الملك عابداً للشمس وكاهنا لها ، فلما تولى، حمل الناس على عبادتها ورفض غيرها من سائر المعبودات ، وسمي نفسه (خوت - إن - أتن) أي نور قرص الشمس ، وصار يمحو أسماء أجداده المذكورة مع اسم المعبود (آمون) لبغضه له . وقد سري اليه هذا المعتقد من أمه (تامي) التي كانت تقدس الشمس ،وأمر هذا الملك بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب المنيا على الشاطئ الشرقي للنيل . وجعلها قاعدة للحكومة بدلا من مدينة طيبة التى فيها المعبود آمون ، ونقل الي مدينته الجديدة تمثال قرص الشمس في معبد بناه لها وصارت الديانة الشمسية شعاراً له ولمشايعيه ، ومع ذلك كان محافظا على بلاده جريا على عادة أجداده . ومن آثاره هيكل ومسلة بطيبة، مات عن غير وارث فتولي بعده خمسة ملوك ، قامت في مدتهم فتن عظيمة في انحاء البلاد بسبب تغيير الديانة وتعدد أحزابها ، وأخيراً قام الأهالي ودكوا هيكل الشمس وخربوا المدينة الجديدة ، وأحرقوا جثة الملك فضعف المصريون لكثرة المنازعات بينهم ، وعلى ذلك طمعت فيهم الأمم الأخري وخرج من طاعتهم أهل آسيا وسورية وانضموا الي الخيتاس .

(الأسرة التاسعة عشرة الطيبية)

من سنة (١٤٦٢-١٢٨٨) ق . م . اجتهد ملوك هذه الأسرة فى اخضاع امارات آسيا ، حتي انه لما تولى (سيتي الأول) أبو الملك رمسيس الأول خف الى الاعمال النافعة ، وعزز جانب المملكة المصرية ، مقتدياً بجده توتميس الثالث ، فهجم على سكان آسيا الغربية ، وتوجه بجيشه الي فلسطين وحارب الخيتاس فتغلب عليهم ، ولكنهم استمروا علي العناد حتى ارتبط معهم بمعاهدة . وشيد جزءاً كبيرا من معبد الكرنك اسمه « ايوان المائة العمود » كما شيد هيكلا في العرابة المدفونة ، وهو الذي رسم لأول مرة الخرائط الجغرافية ، ووصل نهر النيل بالبحر الأحمر ، بواسطة ترعة حفرها من تل بسطة (الزقازيق) متجهة نحو الشرق في وادي الطميلات (رأس الوادي) الى أن تصب في البحيرات المرة ، وفتح طريقا للقوافل ، من قرية رداسية (باقليم اسنا) الي معبد الذهب الموجود

بجبل أتوكي ، . ولهذا الملك قبر في بيبان الملوك ، أما جثته فمحفوظة بالمتحف المصري .

(رمسيس الاكبر) وهو (رمسيس الثاني) يسميه اليونان سيزوستريس (١٤٠٥ ـ ١٣٣٩ق م)

كان أكبر ملوك مصر سطوة وجاها وأعظمهم قوة و بأساً . وضعه أبوه وهو في سن الطفولة علي حجره فأدي له الشعب التحية والاكرام . وكان أبوه يستصحبه في الحفلات الرسمية يعلو هامته تاج صغير من الذهب . ولما قصد صحراء ليبيا في احدي غزواته استصحبه وهو في العاشرة من عمره

تولي رمسيس الاكبر فتمرد عليه سكان شمال سورية فهزمهم في أرض الآموريين ونقش حوادث انتصاراته في مسلة منصوبة على شاطيء «نهر الكاب» شمالى (بيروت) . وقد عصاه أيضاقبائل الخيتاس وكاتي وكَرْكَميش التى يخترقها نهر الفرات ، زحفوا عليه حتى وصلوا الي وادي الأُرُونْط (نهر العاصي) المارّ بمدينة حماة وأنطاكية ، فبرز رمسيس لحاربتهم بالقرب من قادش واذ ضل وجيوشه الطريق شعر بالخطر الذي أحدق به فعقد مجلساً من قواده وما لبثوا أن هجم عليهم الاعداء فلاذ معظم جيشه بالفرار و بقي رمسيس منفرداً ، فانقض بعربته عليهم ـ بعد ان تضرع الي المعبود آمون ـ وخاض غمار القتال على مرأي من أتباعه ، فأحاط به ألفان وخمسمائة عربة في كل منها ثلاثة محاربين ، فهزمهم شر هزيمة (كذا) فاضطربت قلوبهم وخرج رمسيس من وقعة قادش أو وقعة الخيتاس رافعاً راية الغلبة . ثم جمع جيوشه ووبخهم

و بعد قتال وحروب دموية دامت ١٦ سنة بين رمسيس والخيتاس ، سألوه الصلح وعقدوا بينهم معاهدة . ثم سار رمسيس بجيشه الى بلاد ايتوبيا وفتحها وحمل منها شيئا كثيرا من الذهب والعاج وريش النعام . و بني أسطولا كان له السيطرة علي البحر الأبيض والبحر الأحمر وبحر الهند وجزائره ، حتى ان أهالى أفريقية كانوا يؤدون الجزية لمصر من الذهب وخشب الآبنوس وسن الفيل وسن فرس البحر وجلده والحيوانات النادرة الوجود ، وكذلك بلاد العرب فانها كانت تؤدي لها الذهب

والفضة والحديد والنحاس والمر والبخور ، ومثلها بلاد الهند فانها كانت تبعث اليها بالحجارة الكريمة والمواد المعدنية والأقمشة الثمينة . و بعد ذلك شرع رمسيس في اقامة المباني والآثار بكل مدينة ، فبني هيكل الرمسيوم بطيبة وهيكل أبسمبل (بالقرب من كروسكو) ومعبد الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف وتل بسطة ، ونصب مسلتي الاقصر ، ونشر العلوم والفنون والزراعة حتى بلغت مصر في الحضارة شأوا بعيداً ، وقد جعل بعد ذلك اقامته في مدينة تانيس (صان) ، وسخر بني اسرائيل في بناء مدينتي رمسيس (رعمسيس) و بيتوم (هيروبوليس) بأرض جاسان ، وأمر بأن تقاس أراضي مصر فقيست بالسهم والقيراط والفدان . وكان له جدول فيه أسماء المشهورين من أجداده ، ومجموعة بردية كتاريخ للممالك التي فتحها و بلغت اثنتي عشرة مملكة ، وقد نظم (بنتاؤر) الشاعر المصري الشهير قصيدة منقوشة علي معبد الكرنك وعلى غيره من المعابد الشهيرة امتدحه بها لتشجيعه العلوم ومحبته لأبيه . وكان رمسيس بطلا مهيباً تقياً ورعا . مات بعد أن حكم ٦٧ سنة ودفن في بيبان الملوك وخلفه (منفطا) وهو الثالث عشر بين أبنائه . وقد وجدت جثة رمسيس الأكبر بكنز الدير البحري بعد أن اعتدت عليها أيدي اللصوص فسلبتها تاجها وصولجانها ، و بعد أن ظلت محجوبة نحو ثلاثة آلاف ومائتى سنة . وهي الآن بالمتحف المصري .

(مر - إن - بتاه) ومعناه محجوب بتاه ، و يسمى أيضاً (منفطا الاول) وهو لقب جده (سيتي الاول)

تولى منفطا وله من العمر ستون سنة وفي أيامه أغار الليبيون على مصر من جهة الغرب ، والخيتاس من جهة الشرق ، قاصدين فتح الوجه البحري ، فأقام منفطا الاستحكامات على ضفة فرع رشيد ، وأرسل طائفة من جيشه الى مواقع العدو ، و بينما هو كذلك اذ رأي في المنام معبوده (بتاه) يقلده سيفا و يأمره بأن يبرز الى ميدان القتال بنفسه فامتثل وكسر الاعداء في حرب حمى وطيسها ، وقصة هذه الوقعة تُري منقوشة علي معبد الكرنك . ولهذا الملك عمارات وآثار بطيبة ومنف ، وله مقبرة ببيبان الملوك . وقد عثر على

جثته المستر لورث سنة ١٨٩٩ م. في قبر أمنهوتب الثاني بطيبة، قال بعض المؤرخين ان خروج بني اسرائيل من مصر علي يد موسى عليه السلام كان في حكم (منفطا الاول) وقال غيرهم بل كان ذلك في حكم ابنه (سيتى الثاني)

سيتى الثاني: ـ هو ابن منفطا الاول وكان ناذراً نفسه لثالوث طيبة «آمون، وزوجته موت، وابنهما خنسو» فبني محرابا في معبد الكرنك وقبرا في بيبان الملوك، وفي آخر أيامه نازعه المُلْك رجل اسمه «سِيتاه» أو «امنميس» فاختل الأمن وسادت القلاقل ومات سيتى بعد أن حكم سنتين، وقد عُثر علي جثته في قبر آمنهوتب الثاني بطيبة، فانفرد الولاة كل بولايته، ومن ثم كثر وفود الأجانب على مصر

الاسرة العشرون الطيبية من سنة (١٢٨٨ ـ ١١١٠) ق. م. عددملوكها اثنا عشر ملكا، أطلق كل منهم على نفسه اسم رمسيس، وأول هؤلاء الملوك رمسيس الثالث وهو من أعظم ملوك مصر حفلة تتويجه تُري منقوشة علي أسوار مدينة (آبو) بطيبة. ولما تولى وطد دعائم الأمن فى البلاد و بعد ثلاث سنين هاج الليبيون فأخضعهم، ثم ثار أهل سورية و باتحادهم مع بعض قرصان (لصوص) البحر، من شواطئ آسيا الصغري وشواطئ كريت، هجموا علي الوجه البحري، فقابلهم رمسيس الثالث بأسطوله العظيم وكسرهم على شواطئ سورية واغرق سفنهم وأسر كثيرين منهم وهذه الوقعة تري منقوشة في الرواق الاول من معبد (آبو). ثم بني رمسيس سوراً بالقرب من السويس لحماية مصر، وأمر بزيادة القرابين لآمون، و بعث بالسفن الي بلاد بونت لجلب البضائع، وأرسل تجريدات الى سيناء فأخضعها، وحصلت مصر في مدته على شيء من الراحة فاشتغلت بالتجارة والزراعة والصناعة، ومات رمسيس الثالث بعد أن حكم ٣٢ سنة ودفن ببيبان الملوك، وتابوته وجثته محفوظان بالمتحف المصري.

رمسيس الرابع: ـ هو ابن رمسيس الثالث وكان عهده عهد سلام ـ فزار معظم مدن مصر وكان مغرما بالعمارات فشجع المهندسين وقربهم منه، والنقوش الموجودة في وادي الحمامات، تدل علي ذلك كما

تدل على أنه كان يستخرج من هنـاك حجر الجـرانيت « الصوان » والرخام السماقي وله قبر ببيبان الملوك منقوشة فيه أدعية وابتهـالات المعبودات . ومات رمسيس الرابع بعد أن حكم احدي عشرة سـنة وقـد وجـدت جثته في قـبر أمنهوتب الثاني بطيبة وهي محفوظة بالمتحف المصري .

ومن أشهر خلفائه رمسيس السادس فانه كان فلكيا ماهراً ، وكانت له المؤلفات النفيسة فى علم الزراعة ، وقد وجـدت جثته بالدير البحري . أما باقي ملوك هذه الأسرة فلم يشتغلوا بالحـروب ، وتركوا السياسة للـكهنة . وانغمسوا في الـترف والبذخ . فضعفت لذلك شوكتهم وزالت هيبتهم . وقـد أنشـأ « هَر ـ هيرو » رئيس كهنـة آمون حزباً مضاداً لحزب الرمسيسيين ، فتفرقت كلمة المصريين وانتهي « هر ـ هيرو » هـذا بأن انتزع السلطة من رمسيس الرابع عشر وجعلها في قبضة الـكهنة .

(الأسرة الحـادية والعشرون) الطيبية والتانيسية من سنة (١١١٠ ـ ٨٩٠ ق م) ـ : رأس هر ـ هيرو حكومة طيبة ولما كان ذلك بغير حق شرعى ساءت الأحوال وفقـدت مصر كثيرا من مستعمراتها . ومما زاد الحـال اضطراباً أن قبض (هر ـ هيرو) على من بقي من الرمسيسيين ـ وعـددهم أربعة أمراء ـ ونفاهم الي الواحات . ولما مات هر ـ هيرو تولى ابنه الـكاهن بيانخي ، الذي لضعف عزيمته كثرت الفتن واختل الأمن حتى نُبشت القبور . وخلف بيـانخي ابنـه الـكاهن بنيوتم أو بنيوزم وفي أيامه هجم علي مصر نمرود (ملك آشور) بجيش جرار وانتزعها منه وأدخلها تحت حكمـه سنة ٩٨٠ ق م . ولمـا مات نمرود دفن بالعرابة المـدفونة وخلفه ابنـه الملك (شَشَنْق) في حكم مصر وآشور .

أما ملوك تانيس فقد قال عنهم العلامة ماسبرو : « انه لما أراد هر ـ هيرو حَصْر الملك في أسرته عارضه سكان الوجـه البحري وأقاموا سيمنتو ـ مياميون ملكا عليهم فاتخذ مدينة تانيس قاعدة لحكومته ونفي بعضاً من الـكهنة الي ايتوبيا ولكن الايتوبيين لضعفه وضعف خلفائه الاربعة خرجوا عن طاعـة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن قبطي من نَسل (هر ـ هيرو)

ثم التجأ ملوك تانيس الى الدولة الآشورية وصاهروا ملوكها ، فانتقضت عليهم البلاد الموالية لهم ونشأ عن ذلك ضعف المصريين وتملك الآشوريين .

(الأسرة الثانية والعشرون البسطية) : (أشورية) (٩٥٠ — ٨١٠ ق م) — : قاعدتها مدينة بسطة المعروفة بتل بسطة جنوبي الزقازيق ، وأول ملوكها « ششنق » ولد هذا الرجل في مصر ولذلك احترم معبوداتها . غزا أرض فلسطين وقصد أورشليم بألف ومئة عربة وستين ألف فارس ، وقاتل رحبعام بن سليمان عليه السلام ونهب أموال القصور الملكية وسلب التروس السليمانية الذهبية ، وقد رسمت هذه الحادثة على السور القبلي من معبد الكرنك كما رسمت عليه صورة ملك يهوذا موثق اليدين ، ثم شاد ايوانا قبلي هيكل رمسيس الثالث يسمى « ايوان البيلسطة » . ومات بعد ان قطع دابر نابشي القبور وبعد ان حكم ٢١ سنة . ثم خلفه (أوسوركون أو أسرخان) فحارب مملكة يهوذا . ولما التقي بملكها في « وادي صَعَد » وقع الرعب في قلبه فمات وخلفه ابنه (تاكاوت) الذي لم يقف له التاريخ علي أثر . وقد كان ضعفه وضعف الملوك الآشوريين باعثا الى استيلاء جماعة من التانيسين المصريين على المملكة .

الأسرة السادسة والعشرون التانيسية من سنة (٨١٠ ـ ٧٢١) ـ ق م

أول ملوكها (بتسوباستيس) حكم الوجه البحري وأخذ في تقوية المملكة ونزع طيبة من الاتيوبيين ودام حكمه أربعين سنة وقام بعده أربعة ملوك كانت أيام هذه الأسرة أيام مشاغبات وتحزبات فانقسمت مصر الي ولايات صغيرة ، أما مستعمراتها فانها استقلت بالحكم .

الأسرة الرابعة والعشرون الصاوية من سنة (٧٢١ ـ ٧١٥ ق م)

أول ملوكها (تفنخت) كان حاكما على مدينة منوتي : ولما تولي المملكة كانت مصر منقسمة الي عشرين مملكة ، فأخضع كل هذه الممالك ثم قام بجيوشه الي الصعيد فوصل الي قسم أرمنت وحاصر قسم أهناس الذي كان تحت حكم الإتيوبيين . ولما بلغ ذلك (بيانخى) ملك اتيوبيا حضر بنفسه وهزم تفنخت وضم مصر الى ملكه وأناب عنه تفنخت في حكمها . ولما

توفى تفنخت خلفه ابنــه بوخوريس أو با كوريس وكان قانونياً متضلعاً ذا رأي صائب . فـنزع السلطة من يد الامراء وخلع عن مصر نير الاتيوبيين . أما بيانخى فمات على أثر وصوله الى إيتوبيا وقام بعـده (كاشتا) الذي لم يكن من أسرة ملكية . ثم خلفه ابنه (سباقون أو شبقة) واذ وقف على ما أتاه با كوربس بن تفنخت قصد مصر لمحاربته . ولما رأي سباقون ان أمراء مصر يمقتون با كوريس لنزعه السلطة منهم تعاون بهم عليه كما تعاون بهم بيانخى علي تفنخت من قبل . ولما وقع با كوريس في قبضة سباقون طرحــه في النار . وهكذا عادت مصر الي حكم اتيوبيا وتشتتت الأسرة الصاوية المصرية في الدلتا تترقب خروج الاتيوبيين من مصر

الأسرة الخـامسة والعشرون الصـاوية — اتيوبية سنة (٧١٥ — ٦٨٠ ق م) ـ :

ان السـبب في احتلال الاتيوبيين لمصر هو اختلاف كلمـة أمراء مصر في الأسرة الســابقة واشتعال نار الفــتن الداخلية ، فقضى الله ان يتولى أمر مصر ملك جبار يدير شؤونها ، فأتاح لها سباقون الاتيوبي (الذي أتينا عـلي ذكرها في الأسرة السابقة) فلقب نفسه بالألقاب الفرعونية وأبقي كل أمير علي ولايته ثم قوي جسور النيل وطهر الترع وعمر مدينة بسطة وأصلح معابد طيبة وحكم بالعدل وأبدل عقوبة القتـل بالأشغال الشاقة فتمتعت مصر بالسكينة علي يديه . وحدث أن مملـكة آشـور كانت في ذاك الوقت مستظهرة عـلى الفينيقيين وعـلى بني اسرائيل والفلسطينيين فرأي هؤلاء من الصـواب ان يتحالفوا مع (سـباقون) لينقذهم من شر الآشوريين ، فبعث (هوشع) ملك بني اسرائيل بهدايا الي سـباقون وطلب منه التحالف عـلي (سَلْمناسر) ملك آشور فأجابه سباقون الي طلبه ، ولما علم سلمناسر بذلك ، أسر هوشع أولا وحاصر مدينة السامرة ، ثم مات وتولى بعـده (سرجون) فاقتدي بسلفه وفتح السامرة ثم زحف بجيوشه على فلسطين . فلما رأي سباقون ان سرجون غدر بحلفائه انضم بجيوشه الى أحدهم ـ (مانون) ملك غزة

فقابلتهم جيوش الآشوريين وأسرت

حانون وهرب سباقون الي مصر مهزوما ، فعصاه سكان الوجه البحري وطردوه الى طيبة و بذلك استقلت مدينة صا الحجر و بسطة وأهناس . ثم مات سباقون وترك حكم الصعيد وإتيوبيا لابنه (سبيخون) وكان النزاع قائماً بين الأسرتين الصاوية والتانيسية طمعاً في الاستيلاء على الوجه البحري . فلما تولي سبيخون انتقم من الأسرتين اللتين ناصبتا والده العداء وانفرد بملك مصر ، وما لبث أن قتله (طهراقة أو ترهاقة) الاتيوبي وانتزع منه المُلك وساعد أمراء سورية وفلسطين ضد الأشوريين ، فأغار (آشور أخى الدين) ملك آشور علي مصر من ناحية فرع الطينة (هو احد فروع النيل و يسمي الآن بحر البقر) وهزم طهراقة والاتيوبيين ونهب مدينة منف وطيبة سنة ٦٧٢ ق.م. ثم اشتغل باصلاح مصر وردالى أمرائها وعددهم عشرون - امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وأقام (نخاو الأول) أمير صا الحجر (أو أمير منف) رئيسا عليهم وكان نخاو هذا ذا نشاط وغيرة . ثم رجع (آشور أخى الدين) الى نينوي عاصمة بلاده . و بعد مدة أغار طهراقة على مصر فبلغ (آشور أخى الدين) أمره وكان قد تنازل لابنه (أشور بانيبال) فسار هذا لمحاربة الاتيوبيين وتغلب عليهم وأرجع الحكم ثانية الى أمراء مصر . ولما عاد الي وطنه أعاد طهراقة الكرة علي مصر واسترد طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل أبيس . ولما علم بذلك ملك آشور عاد الي مصر وهزم الاتيوبيين أمام طيبة ونهب المدينة . وأخذ الآشوريون مسلتين نصبوهما في نينوي ، واستمرت مصر تابعة لمملكة آشور و باضمحلالها استولى (تنوات ميامون) ملك اتيوبيا وربيب (ابن زوجة) طهراقة) على الوجه القبلى بواسطة طائفة من الاتيوبيين كانوا قد أسسوا لهم حزباً قوياً في طيبة . أما أمراء الوجه البحري فعارضوه وحاربوه ، فأشار عليهم رئيسهم (بكرور) بأن يؤدوا له الطاعة .

(الفترة ما بين الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين) مدتها ١٥ سنة وفيها ضعفت مصر وشقّ على أهلها تحمل حكم ملوك اتيوبيا ، فقام حكام مدن الوجه البحري وطردوا الاتيوبيين وملّكوا عليهم (بسامتيك)

ابن نخاو الاول . ولقد أورد هيرودوت هذه الحادثة في قصة غريبة فقال : « ان كاهناً أنبأ أمراء الوجه البحري الاثني عشر بأن سيأتي يوم يشرب فيه أحدهم الشراب في قدح حديدي تقرباً من المعبود بتاه ، وبذا يصير ملكا على مصر وحدث أنه بينما كان أولئك الأمراء مجتمعين للتنادم على الشراب تقرباً لذلك المعبود ، وبينهم احدي عشرة كأساً من الذهب ، أخذ كل منهم كأساً وبقي بسامتيك بدون كأس فنزع مغفره الحديدي عن رأسه وشرب فيه . فتذكر رفقاؤه نبوءة الكاهن فأكرهوا بسامتيك على أن يختلى في أجمة شمالى الدلتا . واتفق أن رست بتلك الجهة سفن تحمل رجالا أشداء من ملاحي اليونان لينهبوا الشواطي فتحالف معهم بسامتيك على أن ينصروه وانضم اليهم حزبه أيضاً فتغلب بسامتيك »

الأسرة السادسة والعشرون الصاوية من سنة (٦٥٠ الى ٥٢٠ ق م) لما انفرد (بسامتيك الاول) بالحكم انفتح لمصر ثانية باب المجد وعاد اليها رونقها القديم ، وبعد أن أتم فتح الوجه البحري حتى مدينة مونفيس الشهيرة الآن بمنوف ، فتح الوجه القبلي الي الشلال الأول . ولما كان بسامتيك غريباً عن الأسرة المالكية فلم يكن لذريته حق الوراثة قانوناً ، غير ان تزوجه بأميرة من السلالة المالكية جعل لذريته ذلك الحق ، فتزوج (تانبت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) حاكمة الوجه القبلي وبذلك صار ملكا شرعياً . وكان معظم أبطال المصريين في مبدأ حكمه قد هلكوا فاعتري مصر الخراب من حروب الاتيوبيين والآشوريين ومن ثم شرع بسامتيك في اصلاح الترع والطرق واعادة الأمن الي نصابه وتعمير المعابد . فأتقنت صناعة النقش والرسم وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال ، ثم عمد بسامتيك فشيد حصوناً وقلاعاً في مضايق طرق الشام وضواحي بحيرة المنزلة خوفا من هجوم الآشوريين على بلاده ، وحصن الشلال الأول ، وجعل جزيرة أسوان معسكراً لصد هجمات الاتيوبيين ثم حصن النقطة المشيدة عليها الاسكندرية اليوم اتقاء غزو الليبيين . ولما أتم كل ذلك انتقل من حالة الدفاع الي حالة

الهجوم فغزا النوبة ثم أرض كنعان . قال هيرودوت « ان بعد هذه الفتوحات دهمت مصر مصيبة كبري وهي وفود الأجانب من يهود و يونان عليها ، فأكرم بسامتيك مثواهم وأقطعهم — ولا سيما اليونان و بعض سكان الأناضول (الكاريون) أرضاً بالقرب من تل بسطة ليسكنوها — فأدخل اليونان أولادهم في المدارس المصرية فنبغ منهم الفلاسفة صولون وفيثاغورس وافلاطون ، فنقلوا الى بلادهم هذه العلوم . وكان بسامتيك في عنايته بشأن هؤلاء الأجانب ناظراً الي الفائدة التجاريه التي تعود علي بلاده منهم ولكن هؤلاء الاجانب سعوا في تكدير راحة البلاد وسلب أموال الاهالى فنفروا منهم وقد جاء انعام بسامتيك على اليونان بالرتب والوسامات ضغثاً علي ابالة فاستاء منه المصريون لذلك ، وازدادوا استياء عند ماضم الي حرسه فريقاً من أولئك الأجانب ، ومن ثم عزم بعض الأهالي علي هجر البلاد واخلائها لبسامتيك وأصفيائه الاجانب . فاجتمع منهم نحو المائتين والار بعين ألفاً وكلهم شاكي السلاح وجعلوا وجهتهم بلاد اتيو بيا ، ولم يعلم بسامتيك بخبرهم الا بعد خروجهم من مصر ، فسار في أثرهم واستعطفهم بمعبودات بلادهم فلم يقو على مصالحتهم . أما ملك اتيو بيا فقابلهم بكل حفاوة واتخذهم جنوداً له . ومن هؤلاء تكونت أمة عظيمة بين النيل الابيض والازرق . لما رأي بسامتيك بلاده مجردة من جنودها البواسل عض اصبع الندم وأخذ في تدريب غيرهم ولكنه لما رأي ان ارجاع مصر الى سطوتها القديمة بعيد اشتد قلقه ومات سنة ٦١١ ق م فدفن في صا الحجر وخلفه ابنه نخاو

الملك نخاو الثاني (نِخو) من سنة (٦١١ الى ٥٩٥) ق م — : — سُمِّي باسم جده وتولى طاعنا في السن فسلك بهمة ونشاط مسلك مشهوري الفراعنة التوتميسيين والسيتيين حتي أعاد لمصر مجدها ، فأتم نظام الجيش الوطني الذي دربه والده في آخر أيامه ، ورتب قواده و بني سفنا حربية وأبدل السفن القديمة بسفن جديدة تسير بالمجاذيف (الأغربة) رغبة في الاستيلاء على سواحل البحرين الأحمر والأبيض . ثم هم بمشروع عظيم وهو ايصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض

وذلك بقطع برزخ السويس - وكان قد سبقه الى هذا المشروع سيتي الأول - ، فأعاد نخاو حفر الترعة من مدينة بسطة الي بركة التمساح والبحيرات المرة . قال هيرودوت : « إن مئة وعشرين ألف نفس هلكت في حفر هذه الترعة فتشاءم نخاو ولم يتم حفرها لا سيما بعد ما أخبره الكهنة بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية . ثم أمر نخاو بعض رجاله بأن يطوفوا حول أفريقية فساروا من البحر الأحمر الى المحيط الهندي ثم الى بحر الظلمات « المحيط الأطلسى » بعد أن ساروا حول « رأس الرجاء الصالح » حتى بلغوا بوغاز « أعمدة هرقول » المعروف ببوغاز جبل « طارق » أو « زقاق سبتة » ومروا منه الى البحر الأبيض فوصلوا الى مصر في ثلاث سنين ، وقالوا انهم في بعض المواقع رأوا الشمس في الجهة الشمالية ، مما يثبت أنهم مروا بخط الاستواء . وفي هذه الأثناء انحطت قوة الآشوريين بسبب حروبهم مع الليديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وصعد الي كركميش عن طريق الفرات بجيش جرار ، ولما اجتاز مدينة (أشدود) الى مضيق (كرملي) صدته

عساكر « يوشيا » ملك يهوذا . فهزمها ثم عرج على قادش فكركميش حتي وصل الي الفرات مدخلا تلك البلاد فى حوزته . ولما نزل بجوار مدينة حماة بلغه ان اليهود تظاهروا ثانية بالعصيان وجعلوا (يهوآحاز) بن يوشيا ملكا عليهم فاستدعاه اليه وعزله وولي (الياقيم) أخاه بدله وسماه (يهوياقيم) وحكم على شعب يهوذا بغرامة قدرها مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . و بعد ان استولى على سورية وفلسطين رجع الى مصر ومعه (يهوآحاز) المعزول . أما مملكة بابل فانها في ذاك الوقت استظهرت على مملكة آشور وخربت نينوي سنة (٦٢٤)ق.م. ومن ثم سقطت آشور ولم تقم لها قائمة بعد ، وهمَّ (نبوُخذُ نَصَّر)أو (بختنصر)ملك بابل (٦٠٩-٥٦١ق م) باسترجاع سورية وفلسطين من نخاو ، فتقاتلا عند نهر الفرات بالقرب من كركميش سنة ٦٠٥ ق م فانهزم نخاو ، ولكن (نبوخذ نصر) اضطر ان يعقد معاهدة معه لفتنة ثارت ببابل . أما يهوياقيم ملك يهوذا فانه لم يفلت من شر بختنصر فصعد اليه وقيده بسلاسل من نحاس وسحبه الى

بابل ، وبعد ذلك بسنتين مات نخاو الثاني وخلفه ابنه بسامتيك الثاني

الملك بسامتيك الثاني — : لما تولى قامت عليه اتيوبيا فأخضعها سنة ٥٩١ق . م . ومات ولم يعلم من سيرته شيء وخلفه ابنه (يوه — آب — رع) أو أبرياس. وفي عصره استنجد به (صدقيا) ملك يهوذا على (نبوخذ نصر) ملك بابل ، وكان إرَمْيا النبي ينذر صِدْقيَّا وأسلافه بالكف عن فعل الشر لئلا يؤول أمر مملكتهم الي الدمار فلم يصغ أحد اليه وخرج صدقيا عن طاعة البابليين وامتنع عن أداء الجزية فغضب (نبوخذنصر) لذلك وسار بنفسه الى أورشليم وقتل صدقيا وفقأ عينيه وسلب أمتعة الهيكل وأحرقه سنة ٥٨٦ق . م وسبي من بقي من اليهود الى بابل (السبي البابلي) . غير ان بعض اليهود التجأ الي مصر فقبلهم أبرياس وانتشروا فى مجدل (شرق الدلتا) ومنف والصعيد فأراد (نبوخذنصر) ان ينتقم من ملك مصر لأخذه بناصر اليهود . فأغار (نبوخذنصر) على مصر وقتل ملكها وأقام حاكما عليها من قبله ثم ساق أمامه اليهود الذين استوطنوها

ولما استنجد أهالى سواحل ليبيا بالملك أبرياس على قبائل اليونان سكان القيروان رأي من الصواب ألا يرسل الى أهل هذه القبائل جنوداً يونانيين من من جنسهم فأرسل اليهم جيشاً من الوطنيين ، ولما اشتبكت الحرب بين الفريقين جهة (ايراته) انهزمت فرقة الجيش المصري ، فقامت مصر على الملك لمخاطرته بجنودها الوطنيين دون جنوده اليونانيين وانتشر العصيان حتي عمّ جميع البلاد ، فبعث اليهم الملك رجلا اسمه أهمس ليسكن هياجهم ، فأخذ يشير عليهم بالهدوء والسكينة وبينما هو كذلك اذ أقبل عليه أحد الجنود وألبسه مغفرا وصاح الجند بأعلى صوت . « قد رضيناك ملكا علينا » فقبل ذلك أهمس وسار معهم لمحاربة الملك ابرياس الذي لم يكن في صفة غير الجنود الأجانب البالغ عددهم ثلاثون الفا ، فالتقي الفريقان عند مدينة صا الحجر وانهزم الملك وجنوده ووقع أسيراً في قبضة أهمس . فقتله الجنود خنقا

الملك أهمس الثاني (اموزيس) — : لما جلس على عرش مصر تزوج بحفيدة

الملك بسامتيك وحافظ على سطوة مصر في فينيقيا وأتم فتح جزيرة قبرص في البحر الأبيض ، وكان ذكي الفؤاد حسن السياسة فهابته الأمم . ولما كان يخاف علي مملكته من بطش الفرس (العجم) حسن علاقته مع ملكهم (كورش) وصفا له الجو خمساً وعشرين سنة فارتقت الزراعة ونمت التجارة وسعدت مصر في أيامه . ومن مآثره انه حتم على كل مصري ان يثبت اسمه في آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها وان يبين صناعته وأسباب معيشته ، وعاقب من خالف ذلك او كان متشرداً عائشاً من النصب والاحتيال . ولما كانت زوجته مقيمة بطيبة رمّم ما بها من الآثار ثم بني في صا الحجر مداخل لمعبد (نيت) ونصب أمامها تماثيل لأبي الهول ومسلتين كبيرتين .

وقد حذا هذا الملك حذو سلفه في الترحيب باليونان حيث أسكنهم مدينة نقراطيس (هي نبيرة الحالية غربي اتياي البارود) واباح لهم اشهار ديانتهم ، فنموا وكثروا وراجت تجارتهم ، غير انهم لم يقابلوا الاحسان بمثله اذ كانوا ينقلون أخبار مصر الي الخارج ، مما تسبب عنه طمع الأمم فيها لا سيما الفرس الذين كانوا يتحينون الفرص لشن الغارة عليها . واتفق ان مات كورش ملك الفرس وخلفه ابنه قمبيز فطلب ان يتزوج بابنة أهمس ظناً منه ان أباها يرفض طلبه فيحاربه . غير أن أهمس أدرك هذه المكيدة وأرسل اليه ابنة أبرياس سلفه بدل ابنته ، فناداها قمبيز يوما باعتبارها ابنة أهمس فأنكرت عليه ذلك ، فحقد قمبيز علي أهمس وعول على ان يغزو مصر طمعا في كثرة خيراتها وفيض نيلها ، ولم يثنه عن عزمه الا خوفه من ضياع جيشه في الصحراء المتسعة ، اذ كان لا يعرف طريقا غيرها يوصله الي مصر . غير أن يونانياً يدعي (فانيس) - كان بين جنود مصر الأجانب - دله على أقرب الطرق ، وباشارة هذا الخائن عقد قمبيز معاهدة مع قبائل سورية التي كانت على تلك الطريق لتنقل الى جيشه الماء على ظهور نوقها . وعلى ذلك سار الجيش الفارسي ، وما بلغ مدينة الطينة حتى علم بوفاة أهمس وتولية ابنه بسامتيك الثالث .

الملك بسامتيك الثالث - : دارت رحي القتال بين قمبيز الفارسى وهذا

الملك، وبعد أن دافع المصريون دفاعا طال أمده كانت الغلبة لقمبيز بسبب كثرة جيوشه وانتشار جواسيسه الأجانب المنتظمين في الجيش المصري. ثم تقدم قمبيز الي منف وحاصرها واستولى عليها قسراً وقتل كثيرا من الأعيان وأمر بسامتيك وارسله الى فارس فمات هناك وبذلك دخلت مصر تحت حكم الفرس المرة الأولى

الأسرة السابعة والعشرون – الفارسية الاولى – من سنة (٥٢٧ – ٤٠٦) ق.م. أول ملوكها قمبيز (٥٢٧ – ٥٢٢ قم) سلك في مبدأ أمره مسلك العقلاء فأبقى مصر على عبادتها واحترم امتيازات أمرائها وقرب أمناء الديانة المصرية منه وتعلم الحكمة المصرية من الكاهن (أوزاموس) وعزم على أن يجعل مصر حصناً يستعين به علي فتح أفريقية ولما كان فتح قمبيز لمصر قدأفزع الأمم المجاورة أتاه الليبيون ودفعوا الجزية وكذلك القورينيون سكان (قورينة وهي برقة الآن). قال هيرودوت : « أراد قمبيز أن يغزو ثلاث أمم مختلفة في آن واحد، وهم القرطاجيون سكان مدينة قرطاجة والآمونيون سكان واحات آمون (واحات سيوة) والكوشيون وهم الاتيوبيون فجهز لغزو القرطاجيين سفنا يقودها الفينيقيون . واذ كان بين هؤلاء والقرطاجيين صلة قرابة فشلت هذه الغزوة . وأرسل الي هذه الواحات خمسين الف جندي لفتحها وهدم هيكل المشتري فضلوا الطريق ونفد منهم الزاد وهبت عليهم ريح السموم فأغرقتهم في بحر الرمال وبذلك لم يتجاوزوا حدود مصر . ولما رأي قمبيز ما آل اليه أمر الاتيوبيين من رفعة المكانة بسبب كثرة الذهب ببلادهم، طمع فيهم وأرسل اليهم رُوّاداً من وادي الكنوز بأسوان يحسنون لغة اتيوبيا ويحملون الهدايا لملكها فعرف الاتيوبيون أنهم جواسيس قمبيز ولكنهم رحبوا بهم، وأعجب ملكهم بهدية الشراب (من نبيذ التمر) التي كانت بين تلك الهدايا . وأراد أن يتحف قمبيز بهدية عظيمة ، فأحضر قوسا وأوترها بحضور رُسُل قمبيز وقال لهم : « ان ملك اتيوبيا ينصح ملك الفرس أن يحضر بنفسه لمحاربته اذا استطاع هو أو أحد رعيته أن يوتر قوساً مثل هذه ».

وما بلغت هذه العبارة آذان قمبيز حتي طاش عقله وهمّ بجيشه علي غير انتظام قاصدا (نباتا) عن طريق الصحراء باعتبارها أقرب طريق الى اتيوبيا فانحرف عن شواطئ النيل وتوغل بعساكره الكثيرة في صحراء كروسكو ، ولما قطع ربع الطريق وصل الي سهول رملية ، فنفد زاده وأكل الجيش الحيوانات التي كانت تحمل ما معه من الأثقال ، ثم أكل بعضهم بعضاً بالاقتراع . واذ خاف قمبيز علي نفسه من الهلاك رجع بجيشه القهقري ولما وصل الي طيبة اراد أن يستعيض خسائره الجسيمة فسلك مسلك القسوة والجور وسلب أمتعة الهيا كل وذخائرها ، واذ صادف دخوله منف يوم احتفال الأهالى بعيد العجل ابيس ، توهّم انهم فرحون بهزيمته فقتل الكهنة و بعض الأمراء وطعن العجل أبيس وخرب مدينة عين شمس ونهب النفائس المدفونة في القبور . وقد أسهب المؤرخون فى وصف عُتُوّه وقبح أعماله حتى قالوا انه كان في بلاده (فارس) يلهو بقتل الاعجام ويذبحهم كالأغنام وان عتهه وتوحشه أدّيا به الى قتل أخته وزوجته . قال هيرودوت : « بينما كان قمبيز يركب جواده في المكان الذي طعن فيه العجل أبيس قاصداً بلاد الفرس ليخلع عن عرشها من اغتصب مُلكهُ بها اذ انساب سيفه من غمده فجرحه في فخذه جرحا مات على أثرة »

الملك دارا الأول - : لما جلس علي سرير ملك فارس نظم امورها ووسع ممتلكاتها وضرب نقوداً من الذهب استعملت في مصر بدل النقود المصرية التى كانت علي أشكال الحلقات والجعارين وغيرها ، وفرض على مصر جزية من الغلال تكفي لمؤونة جيش الاحتلال البالغ قدره اثني عشر ألفا . قال دەروجه: « ان دارا أحسن معاملة القبط لينزع من صدورهم ما كمن فيها من فظائع قمبيز ، فاحترم دياناتهم وكهنتهم غير انه أساء صنعا بعدم خلعه (أرياندس) الفارسي من منصب نيابة مصر - وكان قمبيز قد أسنده اليه - اذ قد أفسد اريا ندس أعمال دارا مما هاج المصريين ودعا دارا الى عزله وقتله ولم يكفه ذلك بل حضر بنفسه الي مصر وهدأ خواطر أهلها وتوجه الي منف ليظهر اسفه لموت العجل أبيس وهكذا

أخمد نار الفتنة » .

وقال هيرودوت : « قبل ان يبارح دارا مصر زار معبـد (بتاه) واراد ان يصنع تمثالا بجوار تمثال رمسيس الأكبر فمنعه الكهنة قائلين : ان ماأتيته من فتح وغزو لا يذكر بجانب ما أتاه رمسيس الأكبر لأن رمسيس فتح بلاد السكيثة (التركستان الصينية والروسية الآن) التي لم تفتحها انت . فامتثل لقول الكهنة واحترم رأيهـم » . ثم مهـد دارا طرق التجـارة فوصل البحر الأحمر بالبحـر الابيض بواسطة الترعة التى لم يتم حفرها نخاو الثاني ، وفتح ايضـا طريق قفط الموصل الي البحر الأحمر وطريق اسيوط الممتد الى العرابة المدفونة فأسوان . وحصّن الواحات الكبري واصلح معبد آمون غير ان المصريين مع كل ما كان عليه دارا من حسن السياسة كانوا يترقبون فرصـة الاستقلال . ولمـا اراد يونانيو ساردس هي (سارت الآن) ان يتخلصـوا من سلطة الفرس وسـاعدهم سكان أثينا عـلى ذلك ، غضب دارا وتوجه الى بلاده وارسل حمـلة الى اثينا تحت قيادة (هبتياس) فعـبروا بحر الأرخبيل ، فقابلهم الآثينيون بقيـادة (ملتياس) وانتصروا عليهم عنـد سهل (مرتون) سـنة ٤٩٠ ق م .

أما مصر فطردت جيش الاحتلال الفارسيّ وولت خبيش ملكا عليها سنة (٤٧٦) ق.م. وقد كان خبيش هذا من ذرية بسامتيك ـ : بدأ حكمـه بتحصين مصر والوجه البحري بالقلاع خوفا من هجوم الفرس . وفي هـذه الآونة مات دارا سنة (٤٨١) ق.م . وخلفه في فارس ابنه (شيارش أو زركسيس) الذي هجم علي مصر وقهرها ونهب معابدها

وفي حكم الملك ارتخشيارش الفارسى (٤٦٥ ـ ٤٢٥) ق.م . استقل المصريون أيضاً ونصّبوا ايناروس بن بسامتيـك الثالث ملكا عليهم ، ولما لم يقو بجيشه الصغير علي مقاومـة الفرس تحـالف مـع الآثينيين ، ولـكنّ ارتخشيارش اجتهد في اضرام نار الشقاق بين الطرفين. فرشى الآثينيين لينقطعوا عن مساعدة مصر وقد نجح فيما سعى . ومن ثم هجم الفرس علي مصر وأسروا ايناروس وأرسلوه الى فارس وقتل هناك واقيم ابنه (ثانيراس) مكانه . ولما مات ارتخشيارش قام بعده

(شيارش الثاني فسوغديانوس فدارا الثاني) ، وفي هذه الاثناء ضعفت شوكة الفرس فاستدعى المصريون (أمبرتيوس) الذي كان امير الدلتا ونصير ايناروس وجعلوه ملكا عليهم فاستظهر في الحرب علي الفرس وطرد جنودهم المحتلة وبموت دارا الثاني انقرضت من مصر أسرة الفرس الأولي وكانت مدتها ١٢١ سنة واستقلت مصر استقلالها الأخير الذي دام ٦٦ سنة

الاسرة الثامنة والعشرون الصاوية (٤٠٦ ـ ٣٩٩ ق . م .) لما ارتقي (أمبرتيوس) عرش مصر ثارت نار الفتن بسبب توليته لانه لم يكن من السلالة الملكية ، فسعي في اخمادها وتوطيد سطوته ، فلما اعترف له جماعة الثائرين بالسيادة أطلق على نفسه الالقاب الفرعونية وأصلح في سني حكمه السبع كل مادمرته ايدي الفرس من المعابد ، وأحيا الصنائع الاهلية ، ثم أدركته الوفاة فحالت دون نفاذ بقية مشروعاته الجليلة .

الاسرة التاسعة والعشرون المنديسية ، منديس هي الآن تمي الامديد الموجودة بقرب المنصورة (٣٩٩ ـ ٣٧٨) ق . م . عدد ملوكها أربعة ومدتهم ٢١ سنة . أولهم الملك نفريتس الاول ولم يعلم التاريخ سبب ارتقائه العرش ولكنه يعلم أنه كان باذلاً همته في تقوية مملكته ووقايتها من الفرس مقتدياً في ذلك بالملوك الصاويين ، فعقد المعاهدات مع خصوم فارس ، غير أن الفارسيين لم يهجموا على مصر في مدته لاشتغالهم بحروب اخري . مات نفريتس وخلفه الملك (أخوريس) فتعاهد مع أهل جزيرة قبرص وأثينا والقيروان وحصن بلاده من غارة الفرس الذين هجموا على مصر فردهم خائبين ، وسعى في اصلاح ماخربته أيديهم كما دلت على ذلك النقوش المرسومة علي هيكل طيبة ، ومات أخوريس سنة ٣٨٢ ق . م . فخلفه الملك (بسامونيس) الذي لم يقف له علي أثر غير صورته المنقوشة في الكرنك ومعبده الصغير في طيبة . وخلفه الملك (نفريتس الثاني) ابن الملك أخوربس ولم يحكم الاَّ أربعة شهور عزله الجيش بعدها ، ومن آثاره تمثال أبي الهول المحفوظ بمتحف باريس .

الأسرة الثلاثون السمنودية من سنة (٣٧٨ ـ ٣٤٠ق . م .)ـ: عدد ملوكها ثلاثة : أولهم (نخت ـ هورهيب) المشهور بنقطانب الأول . كانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات لاهتمام الفرس اذ ذاك باسترجاع مصر ، ولما هجم الفرس ـ البالغ عددهم مائتا الف ـ على مصر وهزموا خفر السواحل قام نقطانب بجيشه وكسرهم وخلص مصر من أيديهم، وهكذا رفرف الأمن على الربوع المصرية ، فبني نقطانب هيكل (ايزيس) جهة بهبيت وبوّابة في معبد خُنسو بالكرنك ثم مات (وتابوته محفوظ بمتحف لندن) وخلفه الملك تاخو الذي فكر في أن يصد عن مصر هجمات الفرس قبل وصولهم اليها فأبرم معاهدة مع أهل اسبارطة (باليونان) تقضي عليهم بأن يكونوا يداً واحدة في مقاتلة الفرس اذاهاجموا فينيقية . وكان جيش تاخو مؤلفا من ١٨ الف وطني و١٠ آلاف أجنبي ومائتي سفينة بحرية ، غير ان الجنود الوطنيين كانوا متحزبين ضد ملكهم لميله الي الجيش الأجنبي فما بارح الملك مصر حتى تمرد عليه الجنود الوطنيون وعزلوه وأقاموا قائدهم (نقطانيبوس) ملكا عليهم باسم نقطانب الثاني (٣٥٧ ـ ٣٤٠ ق . م) فاستمر هذا في تجهيز المعدات الحربية واقامة المتاريس والاستحكامات لمقاتلة الفرس الذين تولى عليهم (أوخوس) ابن أرتخشيارش واتحد نقطانب مع أهل صور وصيدا ، واذحارب الفرس الصوريين أرسل اليهم نقطانب أربعة آلاف مقاتل لمساعدتهم فانهزم الصوريون وحرق أوخوس مدينة صور وتقوي على مصر ، ونزل بجوار قلعة الطينة والتقي بجيش نقطانب الثاني ، ولما كان ثلثا هذا الجيش من الأجانب انهزم نقطانب الثاني أمام الفرس فجمع أمواله وهرب الى بلاد اتيوبيا سنة ٣٤٠ ق . م . ومن ذلك الحين غربت شمس المملكة الفرعونية وانقطعت سلسلة ملوك المصريين ومال دعام عزهم وطويت صحيفتهم الناصعة فى سجلات التاريخ .

الأسرة الحادية والثلاثون ـ الفارسية الثانية ـ (٣٤٠ ـ ٣٣٢ ق . م) . ـ بعد ان تخلصت مصر من حكم الفرس ستا وستين سنة تغلبوا عليها ثانية وأسر

أوخوس هذه الأسرة وعدد ملوكها ثلاثة : أولهم أوخوس وتولى باسم (ارتخشيارش) أو أزدشير الثالث فاتبع طريق القسوة في فارس وفي مصر فمات مسموما ، وخلفه الملك (أرسيس) ثم (كودومانوس) باسم دارا الثالث الذي في عهده ضعفت دولة الفرس لاختلاط ملوكها باليونان كما ضعف قبلهم المتأخرون من ملوك القبط . وفي هذه الأثناء أخذت مقدونيا (شمال اليونان) في الظهور تحت حكم ملكها فيلبش أو فيليب ، ولما مات فيليب هذا خلفه ابنه (الاسكندر الاكبر) في السنة التى تولي فيها دارا الثالث وهي سنة ٣٣٦ ق . م . فوسع مملكة أبيه ثم بدد شمل فارس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ ق . م . ومن ذلك الحين دخلت مصر تحت حكم المقدونيين كما ستري .

وقد عثر علي حجر نقشت عليه حرب الفرس مع المقدونيين في مصر ، وغضب المعبود خنوم على مصر ، وتنبؤه بزوال حكومة القبط ، والقصر على تخليد ذكري ملوكهم على ممر السنين . وكانت مصر اذ ذاك أصابها الدمار لما كان عليه الفرس من طغيان وبغى حيث سلبوا أموالها وكنوزها العلمية والفنية وعمروا بها بلادهم التي كانت غريقة في بحور الجهالة والهمجية .

(الدور الثالث)

حكم اليونان (الأسرة المقدونية البطالسة) . (٣٣٢ ـ ٣٠ ق م)

الأسرة المقدونية من سنة (٣٣٢ ـ ٣٠٥) ق م

أول ملوكها الاسكندر الأكبر عامل المصريين بالرفق واللين وأطلق لهم حرية العبادة ورفع عنهم المغارم التى كانوا يؤدونها للفرس واحترم المعبودات آمون وبتاه والعجل أبيس وقدم لها الهدايا والقرابين ، وفي سنة ٣٣٢ ق م بني مدينة الاسكندرية في المكان المسمي (راكوني) وأباح للأجانب من يونان وسوريين وغيرهم ان يستوطنوا بها ، وأسند ولاية مصر الي أمير وطني اسمه (اقليومنوس) ، ثم سار بجيشه الى آسيا وقهر دارا الثالث ملك فارس بقرب مدينة (اربل) عند الموصل سنة ٣٣١ ق م ، وبعد ذلك غزا الهند ورجع الي مدينة بابل بموكب عظيم وقضي بها سنة أقام في خلالها المواسم والمآدب احتفاء

بانتصاراته ، ولما بلغ من العمر ٣٣ سنة أصيب بحمى مات على أثرها سنة ٣٢٣ ق م . وكان له أخ من أبيه اسمه (فيلبس اريدس) وابن من بنت دارا الثالث اسمه (هرقولوس) ، فاجتمع رؤساء الجند وولوا أخاه اريدس سنة ٣٢٠ق م فوزع الايالات على طوائف أمراء الجند وقلد (بطليموس لاغوس) النيابة على مصر . ولما مات اريدس خلفه هرقولوس باسم الاسكندر الثاني سنة ٣١٧ ق م وحكم ست سنوات وبموته انقرضت الأسرة المقدونية وتقسمت مملكة الاسكندر بين قواده فاستقل بطليموس بحكم مصر وكون الأسرة المشهورة بدولة البطالسة .

دولة البطالسة (٣٠٥ ـ ٣٠ق.م.)

انفصلت هذه الأسرة عن مملكة مقدونيا انفصالا تاما وجعلت عاصمتها مدينة الاسكندرية . عدد ملوكها ١٤ وآخرهم الملكة كليو بطرة

الملك بطليموس الأول (سوتير)

(٣٢٣ ـ ٢٨٥ق.م)ـ : كان والياً على مصر مدة ١٧ سنة ولما استتب له الملك سنة ٣٠٥ ق . م تفرغ لتنظيم شؤون مصر وبني الهياكل ، وأسس المدرسة والمكتبة الشهيرة « بدار الحكمة » بالاسكندرية وفي أيام بطليموس انتشرت التجارة وكثر وفود الأجانب على مصر لاسيما اليونان اذ كانوا من جنس الأسرة المالكة ـ وأصبحت اللغة اليونانية لغةَ البلاط الملكي ، أما اللغة القبطية فظلت لغة الأمة كما ظلت الأوامر المَلكية تكتب بها متبوعة باليونانية . وقدأرسل بطليموس قائده (نيكاتور) لفتح سورية وأسر كثيرين من اليهود وضم الي مصر برقة وجزيرة قبرص (بالبحر الأبيض) وفينيقية ـ ثم تنازل لابنه بطليموس الثاني وتوفي سنة ٢٨٣ ق م .

الملك بطليموس الثاني (فيلادلفوس)

(٢٨٥ـ٢٤٧) ق . م ـ : نهج منهج أبيه في رفع شأن العلوم والفنون فجمع الكتب المفيدة وأرسل البعثات لاستكشاف شواطيء البحر الأحمر والمحيط الهندي وتأسيس المراكز التجارية هناك وجدد ترعة سيتي الأول التي أصلحها نخاو الثاني وأتمها دارا الثالث ، ثم أمر بترجمة التوراة من العبرانية الي اليونانية (هي الترجمة السبعينية) وأوعز الي مانيثون

بوضع تاريخ لمصر ، وشيد منارة بالاسكندرية في محل طابية برج الزفر لتهتدي بها السفن ، وبني هيكل أنس الوجود القريب من خزان اسوان ثم مات وخلفه ابنه بطليموس الثالث

بطليموس الثالث (ايفرجيتس) (٢٤٧ـ٢٢١ ق م) أشهر الحرب على سلوقيوس ملك سورية وانتصر عليه ثم غزا البلاد التي في غرب الفرات وأخضع الجزيرة والعراق وتوغل في فارس حتي وصل الى هَمَذان وبَلْخ واسترد معبودات المصريين التي كان قد أخذها قمبيز في اغارته على مصر ، ثم عجل بالعودة الي الاسكندرية لفتنة قامت بها فأخمدها ومن ثم نحا نحو أبيه فوسع دائرة العلوم والفنون وسلم ادارة المكتبة الي العلامة (ايراتوستين) وأسس معبد (إدفو) ذا الأبراج الشاهقة ، وفي أيامه سقط صنم جزيرة رودس ثم مات بطليموس الثالث وخلفه ابنه بطليموس الرابع

الملك بطليموس الرابع (فيلوباتير) (٢٢١ـ٢٠٥) ق . م كان صبياً مشتغلا عن الرعية بانهماكه في الملاذ والملاهي ، وكان وزيره (سوسبيوس) ينقل اليه أخباراً كاذبة ليحفظ مكانته عنده . وحدث ان انطيوخوس الثالث ملك سورية أغار على مدينة سيلوقية التى يخترقها نهر الأرونط التي كانت من أملاك مصر ، فألح الناس على بطليموس أن يذهب بنفسه لمقاتلة ملك سورية فسار اليه ومعه سبعون الف جندي بين قبط ويونان فالتقي الفريقان بين العريش وغزة فانهزم ملك سورية وولى مدبراً الي (رفح) ودخل بطليموس يافا وسار الي أورشليم وسأل كاهن اليهود أن يريه «قدس الاقداس» وأواني الهيكل فأبي فحقد بطليموس على اليهود وما عاد الي الاسكندرية حتى أمر باستئصال شأفتهم ، ثم وسع معبد ادفو ورمم دير المدينة ثم انهمك في اللهو فمات وخلفه ابنه بطليموس الخامس

الملك بطليموس الخامس المسمي إبيفان أي الماجد (٢٠٥ـ١٨١) ق . م تولى المُلك وهو في الخامسة من عمره وفي عهده أثار العامة فتنة ضد وصيّه (اغاسقليس) الذي كان أحد وزراء أبيه وكانت تلك الفتنة سبباً في سقوط اغاسقليس المذكور عن الوصاية ومن ثم عهد بها الي (اريستومين) . ولما بلغ

ابيفان سن الرشد تزوج بكليو بطرة بنت انطيوخوس الثالث ملك سورية ، وقد ارتكب من المظالم ماحمل الأهالي على المناداة بخلعه غير انه تدارك الأمر بأن بعث الي روميه سنة ١٩١ ق . م . بألف رطل من الذهب ضمن هدايا أخري ، فأيده مجلس شيوخها (السناتو) ولكنه مات مسموماً فخلفه ابنه بطليموس السادس

الملك بطليموس السادس (فيلوماتير) (١٨١-١٦٤) ق.م. تولى الملك قاصراً فقامت أمه كليو بطرة بنت انطيوخوس بالأمر بحزم وعزم غير أن أخاها (سلوقيوس) ملك سوريا قام يغزو مصر دون أن يراعي حرمة أخته وابنها القاصر الان المنية لم تمهلها فمات وخلفه انطيوخوس الرابع الذي اتبع طريق سلوقيوس وهجم على مصر ووصل الي منف سنة ١٧٣ ق.م فخافت كليو بطرة بطشه ومن ثم أرسلت الجمهورية الرومانية قائدا اسمه (بو بيليوس) تغلب علي عسكر سورية وأخرجهم من مصر ، ولما كان انطيوخوس الرابع ملك سوريا قاسياً على اليهود باورشليم فر من وجهه اونياس بن حنانيا رئيس كهنة اليهود والتجأ الى بطليموس وطلب منه التصريح ببناء هيكل لليهود بمصر على مثال هيكل بيت المقدس - وكان عدد اليهود بمصر يومئذ يقرب من المائة الف نسمة . فأذن له بتشييد الهيكل الذي اشتهر بعد ذلك باسم اونياس

الملك بطليموس السابع المسمي أو باتير أي الممجد أباه (١٤٦-١١٧ق م) قامت عليه الرعية بسبب ظلمه وقسوته فالتجأ الى جزيرة قبرص ولم يرجع الي الملك الا بمساعدة الرومان ولما مات خلفه أخوه بطليموس الثامن

الملك بطليموس الثامن المسمي لاتيروس (١١٧-١٠٧) : اتخذ له جيشاً أجنبياً وسام الرعية خسفاً فمقتته ، ولما استفحل شره ثارت عليه رعيته فهرب الى قبرص ثم أعيد ثانية (٧٨-٨١) ق.م حيث اشتغل بتشجيع العلوم الأدبية التى تلقاها على المعلم ارستارخس الشهير . وفي أيامه سافرت البعثة العلمية المصرية لاكتشاف بحر الهند برياسة القائد هورشيش القوزيقي الذي كان يحسن الأرصاد الفلكية فتبين مواقع الأرض وتخطيطها وطاف حول افريقية . ثم مات

بطليموس الثامن وخلفه العاشر « لموت التاسع سنة ٨٨ ق . م . »

الملك بطليموس التاسع المسمى فسكون (١٠٧ـ٨٨) ق م. كانت أمه تبغضه وتحب أخاه الاسكندر فقام بينهما وبين بطليموس نزاع شديد وقعت نتائجه علي رؤوس المصريين حيث قامت الفتن الداخلية وكثرت الأحزاب مما أدي الى خلع بطليموس وتولية أخيه الاسكندر ، وما تولي هذا حتى طغى وكرهته أمه فقتلها وغضبت عليه الرعية فهرب من وجهها هاجراً مصر وعلي ذلك استدعي بطليموس ثانية وكانت طباعه قد تهذبت فبقي ملكا حتى مات .

الملك بطليموس العاشر (ديونيروس) (٨١ـ٨٠ق.م) ـ : تولى بمعاونة السناتو الروماني ، ولما رأي الجنود المصريون ان الرومان يتداخلون فى شؤون مصر بدون حق وان بطليموس راض عن ذلك ، عقدوا النية على قتله فقتل ذبحا بعد تسعة عشر يوما من حكمه وبذلك انقرض نسل لاغوس

الملك بطليموس الحادي عشر « أوليتس » (٨٠ـ٥١) ق . م لما تولى أوليتس احتج ورثة لاغوس على توليته لدي الجمهورية الرومانية فقاوم أوليتس هذا الاحتجاج بهدايا أرسلها مع وفد الي بعض أمراء هذه الجمهورية . ولما انعقد المجلس الروماني للنظر في الأمر قام المستشار « رولوس » وطلب من المجلس أن يضم مصر الى الدولة الرومانية فعارضه الخطيب (تيشرون) وقال : « ان موقع مصر الجغرافي يقضى ببقائها مستقلة » فوافقه المجلس . وحدث بعد ذلك ان ثار المصريون على أوليتس فهرب الى قبرص ومنها الى رومية وظل بها حتي سنة ٥٥ق م حيث أقيم « بومبيوس » قنصلا على الرومان وأمر قائده « بينوس » بأن يعيد أوليتس الى مصر ويرد اليه تاجها ، فقام بينوس بجيش يقوده معه « مرقس انطنيوس » صديق أوليتس ، ولما وصلوا الى الاسكندرية قاتلهم « أرخيلاوس » زوج بنت أوليتس فقتلوه وأقروا أوليتس علي سرير الملك ، ولما استقر له الأمر انتقم من معارضيه وصادرهم في أموالهم وسلمها لبينوس ومرقس اللذين تركاه وقفلا عائدين الى رومية متقلين بالذهب بعد أن أبقيا مع

أوليتس من يحميه وقد مات ممكنا الرومان من شؤون مصر فخلفه ابنه بطليموس الثاني عشر.

الملك بطليموس الثاني عشر (٥١ـ ٤٧) ق. م كان قاصراً وكانت أخته كايو بطرة المشهورة في التاريخ تبلغ من العمر ١٧ سنة. وقد أوصي أبوهما قبل وفاته بأن تشارك كايو بطرة أخاها القاصر في الملك لتدفق دلائل الذكاء من عينيها وكان لها ولع بالسياسة واستعداد للسيادة والحكم. فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين. ولما وقعت العداوة بين « يوليوس قيصر » و « بومبيوس » اللذين كانت بيدهما رياسة الدولة الرومانية ـ أرسل بومبيوس أكبر أولاده مع قائد من حزبه اسمه « كونليوس سيبوس » الي مصر يطلب من كايو بطرة اعانته على خصمه فأمدته بستين سفينة حربية وخمسمائة جندي، ولما كان ذلك علي غير رغائب أوصيائها حرضوا الأهالى عليها حتى فرت الى سورية ولم تجد نجدتها لبومبيوس نفعاً فجاء الى مصر فاراً من وجه يوليوس. فقبض عليه بطليموس وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله امام مدينة الفرما. ولما حضر يوليوس قيصر الى الاسكندرية وعلم بمقتل خصمه حزن عليه وحنق علي بطليموس ورد كايو بطرة الى مصر لتحكمها بالاشتراك مع أخيها.

أما المصريون فكانوا ناقمين على الأسرة المالكة وعلى تداخل الرومان في شؤون البلاد فأشاروا علي الأمير « أخِلاَّس » قائد الجيوش المصرية بأن يزحف على الاسكندرية ويطرد قيصر منها. فاتفق الوزير « بوطين » الطواشى مع أخلاّس وهجما على الاسكندرية ومعهما ٢٣ الف جندي، فارتبك قيصر وفضّل احراق سفنه الحربية علي وقوعها في أيديهم. وبينما كان على شفا الهزيمة اذ جاءه جنود من سورية يقودها « ميتريدات » عاونوه على قهر الاسكندرية فغرق بطليموس في النيل وعلى أثر ذلك طلب أهالى الاسكندرية الصلح فأجابهم قيصر الي طلبهم وعين لهم بطليموس الثالث عشر ملكا بالاشتراك مع أخته كايو بطرة وأخيراً رجع الى رومية

الملك بطليموس الثالث عشر (٤٧ ـ ٤٣) ق. م تزوج بأخته كايو بطرة

فأصبحت صاحبة الكلمة والسلطة التامة في مصر ثم توجهت مع زوجها الي رومية لتوثيق عري المودة بينها وبين يوليوس قيصر فقابلها الرومانيون بالاجلال والترحيب وأقامت بقصر علي نهر التيبر. ولما قويت شوكة يوليوس قيصر أراد حزب الجمهورية أن يتخلص منه بقتله، فأوعز بذلك الى (بروتوس) الذي جرد خنجراً طعن به قيصر في المحفل العام فى ١٥ مارس سنة ٤٤ ق م. وقال قيصر وهو يحتضر: «لقد طعنت أباك ياهذا!». قيل وقد كان بروتوس بن قيصر من السفاح غير انه الى وقت اعتدائه عليه لم يكن يعلم هذا السر، وبعد موت قيصر أصبحت كايو بطرة فاقدة النصير، لاسيما بعد ان فقدت زوجها الذي قيل انها دست له السم لتتوصل الي تمليك أصغر أولادها بطليموس الرابع عشر وهو على دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر (٤٠ ـ ٣٠) ق. م وفي مدة حكم بطليموس الرابع عشر، كان مرقس أنطنيوس ـ الذي قاد الجيش المساعد لبطليموس الزامر كما مر ـ رئيساً لمجلس رومة مع شريكه (أكتافيوس)، فلما رأي انطنيوس

كايو بطرة أذهله جمالها فعشقها وأهمل بسببها شؤون وظيفته مفضلا الاقامة معها ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرياسة خرج من مصر مكرها، فتوجه الى ايطاليا ومنها الى سورية لغزو الفرس، وقد طلبت كايو بطرة منه أن يعطيها جزيرة قبرص وبلاد العرب لتوسيع ملكها وترويج تجارة الاسكندرية التى كسدت اذ ذاك. وبينما هو في الطريق عرج علي مصر ليقوم بطلبات كايو بطرة، وقد حاول اضعاف الجمهورية الرومانية، وأعطى لقب ملك لولديه من عشيقته، فحكم عليه المجلس بالعزل وأشهر الحرب على مصر. فتأهبت كايو بطرة وتبعها أنطنيوس الى ساحة القتال في مدينة (أكتيوم) التي هي (أزيو) علي ساحل موريا في اليونان، وكان ذلك في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق.م. وبينما الحرب تدور رحاها اذ انفصل ستون سفينة عن باقي العمارة البحرية، فولت كايو بطرة هاربة من القتال تمخر البحر على احدي هذه السفن ـ قال بعض الكتاب: «ولا يعلم ان كان هرب كايو بطرة لفزعها من الحرب أو لاتفاق وقع بينها وبين أكتافيوس رئيس

الجمهورية» ـ وولي أنطنيوس وراءها غير ان أكتافيوس اقتفي أثرهما فسلمته كليو بطرة مدينة الفرما التي هي مفتاح مصر وأرادت بهذه الخيانة ان تخطب ودّه عازمة على تقريبه منها باقصاء عشيقها عنها ، ولما وصل أنطنيوس الي الاسكندرية قابلته كليو بطرة بفتور ، وباشارة من تلك الخائنة انفصل الجيش عن أنطنيوض وانضم الي أكتافيوس ، ولكنها عادت فشعرت بسوء فعلها فتوارت في مدفن كانت قد شيدته لتدفن فيه وأشاعت انها تريد الانتحار ، فلما علم أنطنيوس بذلك طعن نفسه بخنجر ، ثم بلغه وهو في النزع ان كليو بطرة لم تزل على قيد الحياة فأمر ان يجمعوه بها فأنزلوه في جهة من المدفن حيث مات شر ميتة وأما كليو بطرة فكانت تتظاهر والخنجر في يدها بطلب الموت قاصدة ان تفتن أكتافيوس كما فتنت عمه يوليوس قيصر وغيره فخاب ظنها ، ولما خافت الأسر قتلت نفسها شر قتلة .وقيل انها وضعت ثعبانا في سلة ومكنته من ثديها فقتلها ، واما أكتافيوس ، فقدقتل ابنها بطليموس قيصرون ، ولما عاد الى رومية عمل لكليو بطرة تمثالا وبجانبه ثعبان ينهشها. وبموتها انتهى حكم اليونان (البطالسة) لمصر سنة ٣٠ق.م. وأصبحت هذه البلاد ايالة تابعة لحكومةرومية الي سنة ٦٤٠م.

قال المؤرخون : ومع ان مصر تأخرت في أيام هذه الدولة ورجعت القهقري، الا أنها كانت كثيرة المفاخر والمآثر . فان البطالسة أطلقوا الحرية لجميع أهل البلاد وجعلوهم متساوين أمام الشريعة ، وأتموا كما ذكرنا عمارات كثيرة في بلاد النوبة وجزيرة البربي التى هي أنس الوجود وبنوا مدينة أرمنت وحسنوا طيبة وأقاموا فيها هي دير المدينة وقد شيدت كليو بطرة هي دندرة ومدينة ادفو القديمة . ولم تضعف دولة البطالسة الا بعد معاهدتها مع رومية حيث أخذت في الاضمحلال والفناء .

(لخصنا الفذلكة المتقدمة من (مختصر تاريخ الأمة القبطية تأليف الفاضل سليم افندي سليمان فاننا ألفيناه اجمع ملخص لما يهم معرفته من تاريخ قدماء المصريين . وكان اعتمادنا عليه تنويها بفضل مؤلفه)

(دور الدولة الرومانية) يبتدئ هذا

الدور من سنة (٣٠) ق م الي سنة (٦٤٠) بعد الميلاد فكانت مصر تابعة لحكومة رومية الي سنة (٣٩٥) فلما انقسمت هذه المملكة الي قسمين شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومية وقعت مصر في حصة المملكة الشرقية من السنة المذكورة انظر (رومان)

فكان النظام المتبع في حكومة مصر أن ترسل اليها الحكومة الرومانية بالحكام من رومية أولا الى سنة (٣٩٥) ثم من القسطنطينية بعد ذلك الى سنة (٦٤٠) وفي تفصيل سيرة هؤلاء الحكام تطويل وغاية ما يقال ان مصر شهدت في ذلك العهد من المظالم مالم تره في أي عصر من عصورها ولا سيما فيما يختص بالاضطهادات لأجل الدين. فان المصريين أخذوا بالديانة المسيحية في منتصف القرن الأول للميلاد بدعوة مرقس صاحب الانجيل. فانه وفد الى مصر في منتصف القرن الأول ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون. واول كنيسة شيدت في هذه البلاد كانت بالاسكندرية سنة (٦٨)

فلم يرق هذا الدين في أعين الرومانيين في أورو بافعارضوه ومنعوا انتشاره وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة فصاروا يحرقونهم أو يعذبونهم حتي يموتوا تعذيبا وأوعزوا الى نوابهم في مصر أن يجروا على هذه الطريقة فجروا عليها في معاملة القبط فأزهقوا منهم أرواحاً لاتحصى وظل الحال على هذا المنوال الى أن تولى الامبراطور الروماني ديقلاديانوس من سنة ٢٨٤ الى ٣٠٣ فعزم على ابادة المسيحيين فأعمل فيهم السيف في أوروبا وأمر نائبه على مصر ان يحذو حذوه فى هذه البلاد ثم حضر هو نفسه الى هذه البلاد وأعمل في أهلها الحديد والنارحتى قتل منهم مايزيد عن الثمان مئة الف نسمة وهي من الاضطهادات الكبري التي قلت امثالها في تاريخ البشر

ولم يكن الحكم الروماني من الوجهة المدنية على اسلوب يحبب أهل هذه البلاد فيهم فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتي ضج الناس ولم يجدوا لهم محيصا غير الاستسلام فصبروا مكرهين الي سنة (٦٤٠) حتي أتاهم العرب مخلصين

(دور المسلمين في تاريخ مصر)

يبتدئ هذا الدور من سنة (٦٤٠) الي ماشاء الله ويحسن بنا اعطاء تفصيلات عن هذا الدور لابد منها لأن هذا الدور أساس حياة مصر الحالية ومن أصوله تستمد أصول المصريين الحيوية

لما امتد ملك المسلمين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى الشام الح عمرو بن العاص على الخليفة أن يأذن له في فتح مصر وأراه سهولة ذلك وان المصريين ينتظرون من يغزو بلادهم ليثوروا معه على ظالميهم الرومانيين الى غير ذلك من الاقناعات حتى قبل منه ذلك فعهد اليه فيه سنة ١٨ وجهزه بجيش صغير فسار حتى بلغ الفرَمَا وكانت بلدة بالقرب من قطية علي بعد يوم منها وكانت محصنة فافتتحها بعد ماقاتل الرومانيين بها نحوا من شهر وانما كان دفاعهم فيها شديدا لأنها باب مصر . ثم سار عمرو حتي بلغ بلبيس وكانت محصنة أيضاً فافتتحها بعد قتال عنيف وكان بها ابنة المقوقس القبطي وهو نائب الرومان على مصر السفلى فأرسلها الي والدها لم يمسسها سوء فوقع ذلك لدي المقوقس أحسن وقع

ثم طلب عمرو من أمير المؤمنين المدد فأرسل اليه أربعة آلاف رجل فسار بهم حتي نزل على حصن قوي على شاطئ النيل بضفته الشرقية يقال له بابل أو بابليون شيده الفرس قديما وكان هذا الحصن أمام مدينة منفيس على الضفة الغربية وكان بها المقوقس فأخذ عمرو في مقاتلة الرومان يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف آخرين وجعل على كل الف رجلا من مشهوري القواد وكتب اليه : « اني قد أمددتك بأربعة آلاف علي كل الف منهم رجل بمقام الف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومَسلمة بن مُخلَد واعلم انه صار معك اثني عشر الفا ولا تغلب اثني عشر الفا من قلة »

وكان الرومان قد خندقوا عليهم والقوا بالخنادق حسك الحديد أي شوك الحديد وهو مايعبر عنه الآن بالأسلاك الشائكة . فلما امتنع الحصن على المسلمين وضع الزبير بن العوام سلما الي جانب الحصن وصعد عليه وتبعه كثير من المسلمين فلم يشعر الرومان الا وقد دهمهم العرب فأخذوا في الهرب وتمكن الزبير

واصحابه من فتح باب الحصن فخاف المقوقس على نفسه فهرب هو وأكابر القبط من منفيس ولحقوا بجزيرة فى وسط النيل وأمروا بقطع الجسر الذي يوصل بينها وبين الحصن وكان مصنوعا بسفن متلاصقة بعضها بجانب بعض

وأرسل المقوقس الي عمرو بن العاص يحسن له أمر الصلح ويخوفه من جيوش الرومانيين فقبل القائد العربي أن يصالح على أحد هذين الشرطين وهما : اما الاسلام واما الجزيه . فقبل المقوقس الجزية علي أن يدفع كل قبطي في مصر من شريف ووضيع دينارين عن نفسه وليس علي من لم يبلغ الحلم ولا الشيخ الهرم ولا على النساء شيء وان لهم ارضهم واموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها وأحصى من تستحق عليه الجزية يومئذ فبلغوا أكثر من ستة ملايين . فلما بلغ ملك الرومان مافعله المقوقس أرسل اليه يقبح رأيه ويأمره بقتال العرب مستعينا بالقبط وبمن فى مصر من جنود الرومان وكان يبلغ عددهم مئة الف

فلم يرد المقوقس أن يخرج مما دخل فيه وترك الرومان للعرب حتي تفيء الى أمر الله واعتزل هو وقومه القتال .

أما هراقل امبراطور الرومان فأرسل الى مصر جيوشا كثيفة التقت مع العرب مرارا فكان العرب ينتصرون في كل مرة حتى أوصلوهم الي الاسكندرية فتحصنوا بها وكانت حصونها لا ترام . وكان القبط يمدون المسلمين بما يحتاجون اليه من الأطعمة والعلوفة . وكان الرومانيون تأتيهم الامداد من بلادهم بطريق البحر حتى هم هيراقل بالمسير بنفسه الي مصر فمات وهو يستعد لذلك سنة (٢٠) هجرية فانكسرت شدة الرومانيين بالاسكندرية ورجع منهم عدد عظيم وبقي عمرو ينازل من بقي منهم حتى افتتحها يوم الجمعة من شهر المحرم سنة (٣٠) هجرية الموافقة ٢٢ دسمبر سنة (٦٤٠) ميلادية بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا

ثم ان عمرو أخذ يتعقب من هرب من فلول الجيش الروماني الى داخل البلاد فلما بلغ الرومانيين ان حامية الاسكندرية من المسلمين قليلة عادوا فاحتلوا الاسكندرية وحصنوها فعاد اليها عمرو بن العاص فافتتحها ثانية وأقام بها وكتب بذلك الى أمير المؤمنين فرد عليه

بأنه لا يجاوزها وقبح رأيه في تتبع من هرب

ثم عاد عمرو الى المكان الذي كان نزله المسلمون عند محاصرتهم لحصن بابليون وكان عمرو ترك به فسطاطه منصوباً فبني المسلمون حوله بيوتا واختطوا خططا صارت فيما بعد مدينة أطلق عليها اسم الفسطاط وهي مصر القديمة وبني بها مسجده المشهور للآن وهو الذي تصلى به آخر جمعة من رمضان رسمياً تذكاراً لفتح المسلمين لمصر .

من أعمال عمرو بن العاص النافعة حفره خليجاً يوصل النيل بالبحر الأحمر لسهولة المواصلة مع بلاد العرب ونقل الغلال الي تلك البلاد وبه تمكن من نقل الحبوب الى بلاد العرب زمن القحط وكان ذلك الخليج يسمي بخليج أمير المؤمنين . وأبطل عادة القاء عذراء الي النيل تقرباً اليه بها باعتبار الوهيته

ثم أرسل عمرو جيشا لفتح برقة فصالحه أهلها

ولما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتولى الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبدالله ابن أبي سرح فسار سيرة حسنة محمودة وغزا ثلاث غزوات ذات شأن : غزا أفريقية وقتل ملكها ، وغزا الأساورة حتي بلغ دنقلة وغزا الصواري . وبلغ خراج مصر في مدته أربعة عشرة ألف ألف دينار أي ١٤ مليون دينار فلما لقي عثمان عمرو بن العاص قال له قد علمت ان اللقحة درت بعدك . فقال عمرو نعم ولكنها أجاعت أولادها .

والذي جباه عبد الله بن أبي سرح هو الجزية عن عدد النفوس غير الخراج والأموال الديوانية . مات عبد الله بن أبي سرح سنة (٣٥) بعد ان استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته احدي عشرة سنة ونحو نصف سنة

فلما تولى الخلافة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ولى مصر سعد بن عبادة الأنصاري فأقام قليلا ثم مات

فعقبه محمد بن أبي بكر فوصل الى مصر في نصف رمضان سنة (٣٧) فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو ابن العاص في جيش الي مصر فحدث قتال عنيف بينه وبين محمد بن أبي بكر وانتهي

القتال بغلبة عمـرو فهرب محمد فظفر به معاوية بن جديع فقتله ثم جعله في جيفة حمار وأحرقه بالنار سنة (٣٨) فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولي عامر بن عقبة الجهني من قبل معاوية وصرف عنها سنة (٤٧) فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر.

ثم تولي مَسلمة بن مُخَلَّد الانصاري من قبل معاوية وتوفي في ولايته سنة (٦٢) فكانت ولايته خمس عشرة سنة واربعة أشهر

ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الأسدي من قبل يزيد بن معاوية وعزل سنة (٦٤) فكانت ولايته سنة واحد عشر شهرا

ثم تولي عبد الرحمن بن عقبة بن حجر من قبل عبد الله بن الزبير فأقام تسعة أشهر

ثم تولي عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم سنة (٦٥) فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما

ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك سنة (٨٠) وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته اربع سنين وعشرة أيام

ثم تولى قرة بن شريك العبسي من قبل الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦) فكانت ولايته ست سنين الا أياما

ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦) الي غاية صفر سنة (٩٩) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز سنة (٩٩) ومات سنة (١٠١) فكانت ولايته سنتين ونصف سنة

ثم تولى بشر بن صفوان الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك سنة (١٠١) وفي ولايته استولي الرومان على تنيس سنة (١٠٢)

ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو شريك المذكور باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وعزل سنة (١٠٥) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام سنة (١٠٥) فوقع وباء بمصر فهرب منها ولم يلها الا نحواً من شهر

ثم تولى الحر بن يوسف بن يحيي ابن الحكم من قبل عبد الملك واستقال

سنة (١٠٨) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمي من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد أسبوعين

ثم تولي عبد الملك بن رفاعة ثانية فقدم مصر سنة (١٠٩) ومات في نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة

ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه فأقره هشام بن عبد الملك فتوفي وهو وال في جمادي الآخرة سنة (١١٧) فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر

ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فأقام سبعة أشهر

ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانية من قبل هشام بن عبد الملك سنة (١١٩) فحصل بينه و بين القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه أفريقية وخرج في ربيع الاخر سنة (١٢٤) فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين

ثم تولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانية من قبل هشام سنة (١٢٤) ولما مات هشام واستخلف بعده أخوه الوليد ابن يزيد أقر حفصاً . ثم صرف عن الولاية سنة (١٢٥) فكانت مدة ولايته سنة وشهرين

ثم تولى عيسي بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى أن عزله مروان الاخير ابن مروان الاول سنه (١٢٦) فكانت مدة ولايته خمسة أشهر

ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور في المحرم وعزله في سنته

ثم تولى حفص بن الوليد ثالثة على كره فأقام رجب وشعبان ثم عزل في المحرم سنة (١٢٨)

ثم تولي حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلي من قبل مروان المذكور في المحرم سنة (١٢٨) فاجتمع الجند على منعه فأبي عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فأخذ في طلب من كان سبباً للفتنة فجمعوا له فضرب أعناقهم . ثم صرف من ولايته في جمادي الاولى سنة (١٣١) و بعثه مروان الى العراق فقتل فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولي المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان سنة (١٣) وتوفي سنة (١٣٢) فكانت جملة ولايته عشرة أشهر

ثم تولي عبد الملك بن مروان من قبل أبيه مروان الخليفة فكان آخر نواب خلفاء بني امية وذلك في سنة (١٣١)

(من تولي مصر من قبل الدولة العباسية) جاءت الدولة العباسية فكان أول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح وقدم في المحرم سنة ٣٣ فقتل كثيراً من شيعة بني أمية وحمل طائفة منهم الي العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الي صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء

ثم تولى أبوعون بن عبد الملك الجرجاني في مستهل شعبان سنة ٣٣ فوقع وباء بمصر فهرب أبوعون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة ١٣٥ ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن على ثانية على مصر في ربيع الأول سنة ١٣٦ ومات السفاح في ذي الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فأقر صالحا علي ولايته

ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات

ثم تولى أبوعون ثانية من قبل المنصور في ربيع الأول سنة ١٤١ ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولي موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور في ربيع الآخر سنة (١٤١) فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولى محمد بن الأشعث الخزاعي من قبل المنصور في ذي الحجة سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولي حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل في عشرين ألفا من الجند في شهر رمضان سنة (١٤٣) ثم صرف في ذي القعدة سنة (١٤٦) فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة أشهر

ثم تولى يزيد بن حاتم المهلب من قبل المنصور في نصف القعدة سنة (١٤٦) وصرف عنها في ربيع الآخر سنة (١٥٢) فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر

ثم تولي عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور فى ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها في رمضان سنة (١٥٤) فكانت ولايته

سنتين وشهرين

ثم تولي محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من أخيه عبد الله فأقره المنصور ومات في نصف شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف شهر

ثم تولى موسي بن على بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور و بويع لولده محمد المهدي أقر موسي المذكور الى ذي الحجة سنة (١٦١) فكانت ولايته ست سنين وشهرين

ثم تولى عيسي بن لقمان بن محمد الجمحي من قبل المهدي في ذي الحجة سنة (١٦١) وصرف عنها في جمادي الأولى سنة (١٦٢) وصرف عنها في رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة أشهر

ثم تولي منصور بن زيد الزغبي وهو خال المهدي من قبل المهدي في رمضان سنة (١٦٢) وصرف في نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام

ثم تولى يحيي أبو داود من خراسان من قبل المهدي فى ذي الحجة سنة (١٦٢) وكان أبوه تركياً من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الحرب فمنع من اقفال الدروب بالليل ومن اقفال الحوانيت ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلى أداؤه فكان الرجل يضع ثيابه في الحمام ويقول ياأبا داود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيمهله يوماً ثم يأتي بها ممن أخذها فكانت الأمور على هذا المنوال واستمر الى المحرم سنة (١٦٤) فكانت ولايته قريباً من سنتين

ثم تولى ابراهيم بن صالح بن على ابن عبدالله بن عباس من قبل المهدي في المحرم سنة (١٦٤) وفي ولايته خرج دحية ابن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخي ابراهيم ولم يحفل بأمره حتي ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدي وعزله عزلا قبيحاً في ذي الحجة سنة (١٦٧) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي موسى بن مصعب من قبل المهدي في ذي الحجة سنة (١٦٧) فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم أهل مصر بأجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله في شهر شوال سنة

(١٦٨) فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته (انا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها) فقال الليث اللهم لا تمقتنا

ثم تولى عصامة بن عمرو باستخلاف موسي بن مصعب و بعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار فحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معاً ورجع الجيشان منهزمين واستمروا الى سلخ المحرم سنة (١٦٩)

ثم تولى على بن سنان بن على من قبل الهادي سنة (١٦٩) ولما مات الهادي واستخلف هرون الرشيد أقر على بن يوسف المذكور فأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى في عدم هدمها مايزيد على خمسين ألف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات عزل في ربيع الأول سنة (١٧١)

ثم تولى عيسي بن موسى العباسى من قبل الرشيد فأذن للنصارى في بناء الكنائس التي هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة العلامتين الليث بن سعد وعبد الله ابن أبي لهيعة ثم صرف عن مصر سنة (١٧٢) فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ونصف شهر

ثم تولي مسلمة بن يحيي البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها في شعبان سنة (١٧٣) فكانت ولايته احد عشر شهراً

ثم تولي محمد بن زهير الأزدي من قبل الرشيد في شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غاية ذي الحجة سنة (١٧٣) فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الأزدي فدخلا مصر في المحرم سنة (١٧٤) فأخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة

ثم صرف داود المذكور عن ولايته في المحرم سنة (١٧٥) فكانت ولايته سنة ونصف سنة

ثم تولى موسى بن عيسي العباسي من قبل الرشيد في شهر صفر سنة (١٧٥)

وصرف في شهر صفر سنة (١٧٦) فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانية من قبل الرشيد في غرة ربيع الأول سنة (١٧٦) وتوفي في ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوماً

وقام بعده بالأمر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد

ثم توفي عبدالله بن المسيب من قبل الرشيد سنة (١٧٦) فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما و بعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله

ثم صرف عبدالله المذكور في رجب سنة (١٧٨) فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر

ثم تولي هرثمة بن أعين من قبل الرشيد في شهر رمضان سنة (١٧٨) فأشار عليه الرشيد بالمسير الى أفريقية فكان مقامه شهرين ونصف شهر

ثم تولى عبد الله بن صالح العباسي من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبدالله بن المسيب وصرف في سلخ سنة (١٧٨) فكانت مدته شهراً واحدا ونصفا

ثم تولى عبد الله بن المهدي من قبل أخيه الرشيد في المحرم سنة (١٧٩) فاستخلف ابن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيي خليفة عنه في رمضان سنة (١٧٩) وصرف في جمادي الآخرة سنة (١٨٠) فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولي عبد الله بن المهدي ثانية من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه في جمادي الآخرة سنة (١٨٠) وصرف في رمضان سنة (١٨١) فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر

ثم تولى اسماعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعي في جمادي الآخرة سنة (١٨٢) فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولى اسماعيل بن عيسي العباسي

سنة (١٨٢) وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور

ثم تولي الليث بن فضل من أهل بيروت من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد

ثم عاد وتوجه ثانية بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكلما أتم سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب

ثم صرف عن مصر في جمادي الآخرة سنة (١٨٧) فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر

ثم تولي احمد بن اسماعيل العباسي من قبل الرشيد في جمادي الآخرة سنة (١٨٧) ثم صرف في رمضان سنة (١٨٩) فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصف شهر

ثم تولي عبدالله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في شوال وصرف في شعبان سنة (١٩٠) فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى رمضان سنة (١٩٠) وصرف في ربيع الآخرة سنة (١٩٢) فكانت مدة ولايته سبعة أشهر. ثم تولى دلهم الكلبي من قبل الرشيد فى ربيع الآخرة سنة (١٩٢) وصرف في صفر سنة (١٩٣) فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولى الحسن التحتاح من قبل الرشيد في ربيع الأول سنة (١٩٣) فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الأمين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة لأخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام وكان سيره في ربيع الأول سنة (١٩٣) فكانت مدة ولايته سنة واحدة

ثم تولى الحاتم بن هو من قبل الأمين في ربيع الثاني سنة (١٩٤) وصرف في جمادي الآخرة سنة (١٩٥) فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر

ثم تولي حاتم الاشعث الطائي من قبل الامين وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السري بن الحكم

عصبياً للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فأجابوه و بايعوه للمأمون لثمان بقين من جمادي الأولى سنة (١٩٦) وأخرجوا حاتما الأشعث فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان ابن أبي نصر من قبل المأمون في رجب سنة (١٩٦) فبلغ الأمين ما كان بمصر فكتب الي ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الي جماعة تعاونه ببيعة الأمين وخلع المأمون ولما قتل الأمين صرف عبادة في شهر صفر سنة (١٩٨) فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولي المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون في ربيع الآخرة سنة (١٩٨) ثم صرف في شوال فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولى العباس بن موسي العباسي من قبل المأمون في ذي القعدة سنة (١٩٨) وعزل سنة (١٩٩)

ثم تولي المطلب ثانيا من قبل المأمون في المحرم سنة (٢٠٠) وعزل في شعبان من السنة المذكورة

ثم تولى السري بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون في مستهل رمضان سنة (٢٠٠) وتوفي السري المذكور سنة (٢٠٤) وهي السنة التي مات بها الشافعي رضى الله عنه

ثم تولى محمد بن السري المذكور من قبل المأمون وتوفي في شعبان سنة (٢٠٦) فكانت ولايته أربعة عشر شهراً

ثم تولى عبد الله بن السري باجماع من الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون في ربيع الآخرة سنة (٢١١)

ثم تولى عيسي بن يزيد الجلودي باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة سنة (٢١٣)

ثم تولي الأمير أبو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فأقر موسى علي الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه في صفر سنة (٢١٤)

ثم تولي عمر بن الوليد التميمي باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف في ربيع الآخرة

سنة (٢١٤) فكانت ولايته شهرين

ثم تولي عيسي الجلودي ثانية باستخلاف ابي اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فأقبل أبو اسحق فى أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة (٢١٥) في اتراكه ومعه الأساري . ثم تولى عبدويه ابن جبلة من قبل أبي اسحق فاستمر الى غاية سنة (٢١٥ وتوجه الى برقة

ثم تولي عيسى بن منصور الرافعى من قبل أبي اسحق المذكور في أول سنة (٢١٦) فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادي الاولى من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الي أن قدم عبد الله المأمون الي مصر سنة (٢١٧) فسخط على عيسي وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبي منهم من سبي وقتل منهم من قتل

ثم ولى الخليفة المعتز بالله باك التركي أميراً على مصر فأناب عنه أحمد بن طولون فولاه أمارة مصر بالنيابة عنه وذلك سنة (٢٥٤) فاستقل بها وكان مؤسساً للدولة الطولونيه من سنة (٢٥٤) الي (٢٩٢) ه

أصل احمد بن طولون من التركستان وكانت أسرته تسكن بجوار بحيرة لوب ببخاري الصغري فأسر أبوه في احدي الوقائع الحربية وجيء به الي أبي اسد الصمامي وكان من عمال المأمون يدفع له اتاوة سنوية من المماليك والخيل . فكان طولون في جملة من أرسلهم ابن أسد من المماليك الي المأمون سنة (٢٠٠) فأعجب به المأمون والحقه بحاشيته وما زال يرقيه حتي جعله رئيس حرسه ولقبه بأمير الستر فبقي طولون نحوا من عشرين سنة في هذا المنصب على عهد المأمون والمعتصم وفي هذه الاثناء رزق بابنه احمد ابن طولون فرباه تربية عالية فشب تقياً حسن الأخلاق لين العريكة . ولما توفي والده سنة (٢٣٩) ولاه الخليفة أمارة الستر بدلا عنه ولكنه كان مغرماً بالعلم يتردد الي ترسوس لتلقي الدروس بها ثم استأذن أمير المؤمنين أن ينقطع في ترسوس لتلقي العلم بها فأذن له في ذلك مع بقاء القابه ومرتباته لحين عودته فأتقن احمد بن

طولون هنالك علم الحديث وغيره وعاد الي بغداد وقد أخذ من المعارف بقسط وافر . فرأي ان الاتراك قدعزلوا المستعين وبايعوا المعتز وآل أمر الأول الى التغريب بواسط فوكلوا به احمد بن طولون . فلما أراد المعتز قتل المستعين خوفا من عودته الي الخلافة أمر احمد بن طولون وهو الموكل به أن يقتله فأبي فسير اليه المعتز من قتله فلما علم احمد بن طولون بذلك عظم لديه هذا الأمر فجهزه ودفنه فرفعت هذه الحادثة من قدر احمد بن طولون في نظر الناس ولما تعين باك التركي والياً على مصر أرسل احمد بن طولون اليها بالنيابة عنه

دخل ابن طولون مصر وكان على خراجها احمد بن المدبر فتلقاه باحتفاء عظيم وأرسل اليه بهدية فلم يقبلها احمد بن طولون فتخوف ابن المدبر من ذلك وأخذ يسعي في خلعه . أما احمد فلم يبال به بل أخذ في تعزيز حصون مصر واستحكاماتها واعداد الجنود من أهلها فكتب الأمير اماجور التركي والى الشام الي الخليفة يخوفه من ابن طولون ويذكر له انه قد صار له فيها دولة وكتب له مدير الخراج ابن المدبر بمثل ذلك أيضاً . فأرسل اليه الخليفة بترك مصر والانتقال الى سامرا واستخلاف من شاء فهم بتلبية الأمر ولكنه أدرك انها حيلة لاصطياده فجهز احمد بن محمد الواسطى كاتب سره وأرسله بالنيابة عنه الى سامرا وزوده بالهدايا الفاخرة الى الوزير فملك اهواءه وسعى له عند الخليفة حتى الغي أمره السابق وأقره على مصر كما كان وصرح له بنقل اسرته اليها

وفي سنة (٢٥٧) قتل باك التركي فخلفه برقوق التركي وهو حمو احمد بن طولون فأقره على مصر جميعها وأحال اليه جباية خراجها أيضاً فصار هو المتصرف المطلق بها

وفي سنة (٢٦٢) أرسل الموفق الي أحمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع انه كان من نصيب المفوض (لأن الخليفة المعتمد قسم الأعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة المعتمد الى ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق فأقر ابن طولون علي تسليم المال الموفق فسلمه لنحرير خادمه وأخذ ما كان معه من الكتب فوجد فيها

كتبا باسم بعض قواده يستميلهم اليه ويعدهم ويمنيهم فقبض عليهم احمد بن طولون وقتلهم

فلما وصل المال الي الموفق استقله فأرسل لأحمد بن طولون يوبخه فردعليه أحمد جوابا غليظا . فلما وصل الجواب الي الموفق حنق حنقا عظيما وعزم علي عزله فعرض ولايتها علي كل جدير بها فأبوا لاحسان ابن طولون وأياديه لديهم فعرضها علي اماجور والي الشام فأباها بتاتا . فلما رأي ذلك أرسل قائده موسى بن بغا لاخراج احمد بن طولون من مصر بالقوة فلما وصل الي الرقة اختلفت جنوده عليه لقلة المال فاضطر للرجوع

وفي سنة (٢٦٤) توفي اماجور أمير الشام وتولي ابنه مكانه فطمع ابن طولون في ضمها الي ملكه فسار اليه فخضع له ابن اماجور بلا حرب فأقره عليها وأتبعها بملكه . ولما ذهب احمد بن طولون للشام مرة ثانية لقمع فتنة ثارت بها عهد بادارة البلاد لابنه عباس فأغراه بعض الناس بشق عصا الطاعة علي أبيه فلما علم أبوه بذلك وقصده خاف عباس فأخذ الاموال التي في خزائن مصر وسار الي برقة وأخذ يستميل اليه أهل المغرب فلم تصادف دعوته قبولا وأخذ احمد بن طولون يكاتبه ويلاطفه فلم يقبل وما زال متشردا في طرابلس الي سنة (٢٦٧) حتي اتبعته عصابة قوية فسار بها الى الاسكندرية لخلع أبيه . فأرسل أبوه وزيره احمد الواسطي فحاربه وانتصر عليه وأمسكه حياً وجاء به الي والده في منتصف سنة (٢٦٨) فاعتقله وقتل كل من كان سبباً في غوايته

وفي سنة (٦٩) اضطر ابن طولون للذهاب الى الشام لقمع فتنة ثارت بها فأخذ معه ابنه عباسا واستخلف على مصر ولده خمارويه وبينما هو يحارب انطاكية أصيب بمرض عضال فحمل الي مصر علي الهودج فتوفي سنة (٢٧٠)

فقام بالأمر بعده خمارويه بن احمد من سنة (٢٧٠ الي ٢٨٢) فلما بويع له أحضر أخاه وطلب ان يبايعه فأبي فأعاده الى معتقله ثم قتله بايعاز القائد أبي عبدالله ثم خاف أبو عبدالله هذا من امكان ندم خمارويه على مافعل فيعود الي الانتقام منه فكاتب الموفق وأخذ يصف له بذخ خمارويه ويطمعه في أخذ الشام من يده

لما توفي أحمد بن طولون طلب أسحق بن كنداج عامل الجزيرة وابن أبي الساج عامل الكوفة من الموفق أن يأذن لهما في استخلاص الشام من يد خمارويه فأذن لهما فسارا اليها وفتحاها . فأغضب ذلك خمارويه فسار في جيشه وجعل القيادة لسعيد قائده فبلغ المعتضد ذلك فسار من دمشق نحو الرملة فأتاه خبر خمارويه وكثرة من معه من الجنود فهم بالعود فلم يمكنه أصحاب خمارويه فدارت رحى الحرب وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فارتاع لذلك خمارويه وكان حدثا لا عهد له بالقتال فعمد الى الهرب هو ومن معه من الاحداث ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لا يشك في النصر فخرج اليه سعيد القائد ببقية الجيش فتوهم المعتضد ان خمارويه قد عاد فحدثت موقعة عظيمة قتل فيها من جنود بغداد عدد لا يحصى وبعد الوقعة تفقد سعيد خمارويه فلم يجده ثم علم انه هرب الى مصر وكان معه أخوه أبو العشائر فأقامه للعسكر مقام أخيه فوزع بينهم الغنائم. فلما بلغ خبر هذا النصر خمارويه خجل من هربه ولكنه فرح بما حدث على يد قائده ووزع الأموال والصدقات واحتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما

وفي سنة (٧٥) خلع ابن أبي الساج عامل الجزيرة طاعة خمارويه فسار اليه وقاتله وهزمه وولى مكانه أسحق بن كنداج

وفي سنة (٧٩) توفي الخليفة المعتمد وتولى المعتضد فأرسل خمارويه يتحبب اليه وأرسل له هدايا فاخرة وعرض عليه أن يزوج ابنته قطر الندى لابن الخليفة علي . فقبل الخليفة ان يكون الزواج له هو وحصل الزفاف على أحسن ما يكون سنة (٢٨٢) وفي هذه السنة قتل خمارويه قتله خدمه خوفا من تحقيق كان شرع فيه لما بلغه وجود علاقات غرامية بين بعض نسائه وبعض قواده

ثم تولى بعده جيش بن خمارويه من سنة (٢٨٢) الى (٢٨٣) هـ وكان يلقب بأبي العساكر فلم يلبث ان ثار عليه الجنود طالبين خلعه وتولية عمه فلاطفهم كاتبه علي بن احمد حتى رجعوا فقتل جيش عمين له وثار الجند عليه فرمى اليهم بالرأسين فهاجوا وماجوا واقتحموا قصره وقتلوه شر قتلة وكانت ولايته تسعة أشهر

تولي بعده هرون بن خمارويه من سنة (٢٨٣ الى ٢٩٢) فأخذ الناس يثورون عليه بايعاز طغج بن جف حاكم الشام التابع له

وفي سنة (٢٨٥) قصد المعتضد بالله استرجاع بلاد الشام من هرون فارتاع لهذا الخبر وصالحه على ان يتنازل له عن قنسرين والعواصم كلها بلا حرب فقبل الخليفة المعتضد ذلك

وفي سنة (٩٣) أرسل الخليفة المكتفي بالله قائده محمد بن سليمان بالجيوش لاستخلاص مصر من يد هرون ابن خمارويه فافتتحها ودخل الفسطاط ووقع الفشل في جيوش هرون فقاتل بعضهم بعضا فلما اشتد بينهم القتال سار هرون بنفسه لاطفاء الثائرة فأصيب بطعنة من أحد المغاربة فسقط ميتا في ١٨ صفر سنة (٢٩٢)

تولي بعده شيبان بن احمد بن طولون وهو عم هرون فلم يهنأ بالحكم لأن الأمة أبت قبوله ملكا عليها وخابرت محمد بن سليمان قائد الخليفة المكتفي أن يعطيهم الأمان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بني طولون وشردهم في البلاد وعادت مصر كما كانت تابعة للخلافة العباسية

فتولى مصر عيسى النوشري من قبل الخليفة المكتفي من سنة (٢٩٢) الي (٢٩٥)

ثم خلفه محمد بن الخليج فلم يلبث الا قليلا حتي اقتضت الأحوال اعادة النوشري اليها فتولاها حتي مات سنة (٢٩٧)

فولاها المقتدر تكين الخزري أبا منصور فبقي فيها الي سنة (٣٠٢)

فتولاه زكاء الرومي أبو حسن الأعور وبقي فيها خمس سنوات الى سنة (٣٠٧)

فأعيد تكين ثانية فبقي فيها الى ان توفي سنة (٣٢١) وكان له ولد يدعي محمدا فاستولى على الحكومة بدون اذن أمير المؤمنين . فأراد هذا ان يعاقبه علي جرأته فولى على مصر محمد بن طغج الأخشيد وكان هذا حاكما في دمشق وأصله من أولاد ملوك فرغانة كان المعتصم ابن هرون الرشيد قد استقدم من فرغانة جماعة وصفوا له بالشجاعة والتقدم في الحروب فبالغ في اكرامهم وأقطعهم قطائع في سر من رأي . وكان من هؤلاء

جف جد محمد بن طغج فأقام بسر من رأي ثم توفي في بغداد سنة (٢٤١) وخرج أولاده الى البلاد في طلب المعاش واتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون فاستخدم فى حكومة مصر ثم انحاز طغج الى أصحاب أسحق بن كنداج فأعجب به وأخذه من أسحق وقدمه على جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتي قتل خمارويه فسار طغج الي الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فلم يتزلف اليه طغج فأغري به الخليفة المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر. توفي طغج بالسجن وبقي ابنه محبوسا مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى أخذ بثار أبيه منه وهرب الي الشام وأقام متغربا بالبادية سنة

ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري ولم يزل بصحبته الى سنة (٣١٦) ثم فارقه وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فأقام بها الي سنة (٣١٨) فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة (٣٢١) لكنه لم يذهب الى مصر لأن الخليفة جعل بدله أحمد بن كيغلغ بعد توليته بشهر

وفي سنة (٣٢٢) عزل الخليفة القاهر بالله وتولاها الراضي بالله فعزل ابن كيغلغ عن مصر وولي مكانه محمد بن طغج فقدم لتسلم الولاية فامتنع ابن كيغلغ عن تسليمه فقاتله محمد بن طغج وانتصر عليه وهرب احمد بن كيغلغ بمعن معه من ذويه ولحق ببرقة ثم سار منها الي القيروان والتجأ الي أبي القاسم القائم بأمر الله الخليفة الفاطمى وحرضه على المسير الي مصر فجهز الفاطمي جيشاً عرمرما لفتحها. فبلغ ذلك واليها محمد بن طغج فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله الفاطمي وصلت الى تلك الحدود وانتصرت علي حاميتها واستولت على الاسكندرية وتقدمت الى الفسطاط واحتلت قسما كبيرا من الصعيد. ثم رأي القائم بأمر الله ان جنوده ربما لا يقوون على فتح العاصمة فأجل ذلك الى وقت آخر منتظرا قرب انحلال الخلافة العباسية

وفي الواقع كانت الخلافة العباسية

قد بطلت سطوتها، وذهبت قوتها فطمع أصحاب الولايات كل في ولايته وكان من بينهم محمد بن طغج طمع في مصر فأعلن استقلاله سنة (٣٢٤) فاضطر الخليفة الى تثبيته لعجزه عن مقاومته واضاف اليه سورية

وفي سنة (٣٢٧) أنعم عليه بلقب الأخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم ومعني هذه اللفظة ملك الملوك

وفي سنة (٣٢٨) قلد الراضي بالله ابن رائق أمير الأمراء ببغداد اعمال حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها وطمحت عينه الي ملك الشام وكان عليها بدر بن عبد الله عاملا من قبل الاخشيد . فحاربه وهرب بدر الى مصر ثم تقدم ابن رائق قاصداً مصر حتى اذا بلغ العريش لقيته جنود الاخشيد فانتصرت عليه انتصارا باهرا ولم يكد يرجع الا في فلول من أصحابه فأراد محمد بن طغج أن يتم انتصاره على خصمه فأرسل خلفه أخاه أبا نصر بن طغج ليتعقبه فثبت له ابن رائق في دمشق وهزمه شر هزيمة وقتله ثم حدث بين الزعيمين صلح بأن تكون لاحدهما مصر وللآخر سورية وذلك سنة (٣٢٩)

وفى سنة (٣٣٠) اتصل بطغج بن جف الاخشيد ان محمد بن رائق قتل فانتهز هذه الفرصة لاسترداد الشام فسار اليها واستولى على دمشق وماجاورها

وفي سنة (٣٣٣) أغار سيف الدولة بن حمدان علي حلب وملكها وتقدم الى حمص فأرسل اليه الاخشيد جيشاً تحت قيادة قائده كافور فانتصر عليه سيف الدولة وملك حمص وحاصر دمشق فامتنع عليه أهلها .وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام لمقاتلة سيف الدولة فالتقي الجمان في قنسرين فحصلت بينهما معارك شديدة فلم ينهزم واحد منهما فقفل سيف الدولة راجعا الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق . ثم عاد سيف الدولة الى حلب وملكها

وفي سنة (٣٣٤) توفي الاخشيد محمد بن طغج في دمشق وسنه ٦٠ سنة فكانت مدة حكمه ١١ سنة و٣ أشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف

تولي بعده ابنه ابو القاسم انوجور وكان صغيرا فقام كافور قائد الاخشيد

وكان اسود خصيا بتدبير الدولة . وعلم سيف الدولة بموت الأخشيد فاغتنم هذه الفرصة وقدم دمشق واستولي عليها فلما بلغ ذلك كافور أسرع الى سيف الدولة بجيش عظيم فلقي سيف الدولة بالرملة قادما من دمشق لملاقاته فالتحم الجيشان وبعد معارك دموية انهزم سيف الدولة الى الرقة واسترد كافور منه دمشق

وفي سنة (٣٤٩) توفى انوجور محمد الاخشيد بعد أن حكم ١٤ سنة وعشرة أيام كان الحاكم فيها في الحقيقة وزيره كافور

تولى بعده أخوه علي الملقب بأبي الحسن الأخشيد وقام كافور بتدبير الدولة في أيامه كما كان في أيام أخيه

ثم توفي على بن الاخشيد سنة (٣٥٥) بعد أن حكم خمس سنوات وشهرين ويومين

فاستقل كافور بمصر وكتب له أمير المؤمنين المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالى بالله . فلم يقبل كافور الكنية وتلقب الأخشيدي واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات . كان كافور جواداً ممدوحا سيوسا كثير الخشية لله والخوف منه . وكان يداري المعز لدين الله الخليفة الفاطمي بالمغرب ويهاديه

ثم توفي كافور سنة (٣٥٧) بعد أن حكم سنتين وأربعة أشهر

فقام بالأمر بعده احمد أبو الفوارس ابن علي بن محمد الاخشيد وكان سنه ١١ سنة فقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبد الله بن طغج . وكانت الدولة الفاطمية التي قامت بالمغرب تتحين الفرص للسقوط على مصر فلما ضعف أمر هذه الدولة رأي المعز لدين الله الخليفة الفاطمى ان الفرصة سانحة لضرب ضربة قاضية يحتاز بها مصر فأرسل اليها جيشاً كثيفا تحت قيادة قائده جوهر الصقلي فستولي عليها سنة (٣٥٩) وما زال يقاتل الأخشيدية حتى أجلاهم عن من مصر سنة (٣٦٢) وزال حكم الدولة الأخشيدية وتلتها الدولة الفاطمية

فاختط كافور القاهرة ليجعلها مقر الخلافة الفاطمية وبني الجامع الازهر وحضر المعز لدين الله الي القاهرة سنة (٣٦١) وتخذها عاصمة ملكه

ولما توفي سنة (٣٦٥) كما تقدم خلفه

ابنه العزيز الي سنة (٣٨٦) وكان أهل مكة خطبوا للمعز أبيه فلما مات امتنعوا عن الخطبة له فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصرت مكة والمدينة وضيقت عليهما حتى خضعتا

وفي سنة (٣٨٦) خلفه ابنه الحاكم بأمر الله بن العزيز فأصيب كما يقال بمرض في عقله وأتي من الأعمال الجنونية بما لم يرو مثله التاريخ وظهر مذهب الدرارية فجاهر باتباعه فاحتقره الناس وكرهوه. ومن افعاله الغريبة المخالفة للاصول الاسلامية اضطهاده لليهود والنصاري والزامهم بحمل علامة تميزهم عن المسلمين وذلك بأن يحمل اليهودي اذا دخل الحمام جرسا والنصراني صليبا من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وان يكون مكشوفا ليراه الناس. ومنعهم من ركوب الخيل وأباح ركوب البغال والحمير علي سروج من الخشب والسيور السود وان لا يستخدموا مسلما وان لايشتروا عبداً ولا أمة فأسلم منهم عدد عديد هربا من هذه البدع

ثم أمر مرة بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد فأباحها ثم أمر بهدم كنيسة القمامة ثم عاد فأمر ببنائها على نفقته الخاصة وفتح عدة مدارس ورتب فيها العلماء ثم قتلهم وأخربها. وأمر الناس بأغلاق محلات تجاراتهم نهارا وفتحها ليلا ثم أبطل هذا الامر وأمر النساء بعدم الخروج من بيوتهن وأمر بعدم أكل الملوخية. ثم ادعي الالوهية وفتح له سجلا يكتب فيه الذي يؤمن به اسمه فكان عدد من كتبوا أسماءهم سبعة عشر ألفا

وفي سنة (٤١١) خرج يطوف ليلا في جبل المقطم كعادته فلم يعد فخرج أهل الدولة للبحث عنه فوجدوا حماره مقطوع الايدي ثم وجدوا ثيابه مزررة ومطعونة عدة طعنات بالسكاكين فأيقنوا بقتله. قيل ان أخته ست الملك أوعزت الى أحد قواده ابن دواس بقتله فأرسل رجلين فقتلاه ثم أمرت رجالها بقتل ذلك القائد فقتلوه

ولكن أصحابه الذين كانوا يتابعونه في مذهبه أنكروا ولا يزالون ينكرون موته ويقولون انه اختفي في بستانه داخل سرداب وانه سوف يخرج في آخر الزمان وفي وادي التيم وجبل لبنان وغيرهما من بلاد الشام قوم يقال لهم الدروز لا يزالون

يعتقدون خروجه فى آخر الزمان ليملأ الارض عدلا بعد أن ملئت ظلما (انظر دروز)

ثم تولى ابنه الظاهر لاعزاز دين الله من سنة (٤١١) الى (٤٣٧) وكان سنه لا يجاوز السبع سنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الى ان توفيت بعد أربع سنين وكان يخطب باسمه في مصر والشام وافريقية وكان حسن السيرة عادلا الا انه كان منهمكا على اللذات

خلفه ابنه المستنصر بالله من سنة (٤٢٧) الي (٤٨٧)

في سنة (٤٣٤) ظهر بمصر رجل كان يشبه الحاكم بأمر الله فادعي انه هو فتبعه خلق كثير ممن يعتقدون برجوعه فقاتلهم رجال المستنصر حتى أبادوهم

وفي سنة (٤٤٤) عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب الفاطميين وانهم كاذبون في دعواهم الانتساب الى عليّ عليه السلام . ولكن هذا لم يمنع على بن محمد من اقامة الخطبة للمستنصر بتلك البلاد

وكانت والدة المستنصر قد استولت على السلطة بمصر فضعف أمر الدولة وانقسم جيشها الذي كان يتألف من العبيد والترك الي حزبين فاجتمع الأتراك تحت قيادة ناصر الدوله بن حمدان وقاتلوا العبيد قتالا عنيفا وهزموهم واستولوا على الحكم وقبض على والدة المستنصر وعزم على قطع الخطبة له والدعوة للعباسيين فعلم القائد التركي الدكز بقصده فقتله سنة (٤٦٥) وبقي الأمر مضطربا بمصر الى سنة (٤٦٧) فاضطر المستنصر لاستدعاء بدر الجمالى وكان متوليا سواحل الشام وطلب اليه ارغام المشاغبين على الطاعة فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما فعادت مصر الى أحسن ما كانت عليه من الخفض والنماء و بقيت مصر بعد ذلك عشرين سنة لم يحدث فيها ما يوجب الذكر

وفي سنة (٤٧٧) توفي قائد الجيوش بمصر بدر الجمالى وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه وتلقب بالأفضل

ثم توفي المستنصر سنة (٤٨٧) وكانت مدة خلافته ستين سنة

خلفه ابنه المستعلى بالله وكان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الأفضل وبايع ابنه الثاني أحمد ولقبه

بالمستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية وتبعه أهلها وخطبوا له ولعنوا الأفضل وسار الأفضل اليهم بالاسكندرية فهزموه ثم أعاد الكرة وتغلب عليهم وأخذ المستعلي أخاه وبني عليه حائطا فمات علي أشنع حالة . وتوفي المستعلي سنة (٤٩٥)

خلفه ابنه الآمر بأحكام الله وكان عمره لا يجاوز الست سنين فقام بتدبير الملك أمير الجيوش الأفضل وفي عهده خرجت الشام من حكمهم الى الصليبيين بعد حروب كثيرة ولم يبق لهم فيها الا عسقلان

وفي سنة (٥١١) خرج بدوان ملك الصليبيين لفتح مصر فبلغ تنيس فأدركه مرض فعاد بعسكره الي أورشليم وعكف الافضل على اصلاح البلاد وأقام مرصداً بجوار المقطم ، فلما ثقلت وطأته على الآمر بأحكام الله أمر بقتله فقتل سنة (٥١٥) فولى بدله عبد الله بن البطائحي ولقبه المأمون فصار أشد عليه من الأفضل فقتله سنة (٥١٩) وصلبه .

كان الآمر بأحكام الله سيئ السيرة مولعاً باللهو لا يسمع بامرأة جميلة الا أحضرها وفى سنة (٥٢٤) خرج الى متنزه له فكمن له عشرة من الباطنية فقتلوه وعمره أربع وثلاثون سنة

وكان له شعر منه قوله :

اصبحت لا أرجو ولا أتقي
سوي الهى وله الفضل
جدي نبي وامامي أبي
ومذهبي التوحيد والعدل

تولى بعده الحافظ لدين الله من سنة (٥٢٤) الي (٥٤٩) وكان كثير اللهو واللعب وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمانه فتقول الناس في علاقاتهما أقوالا كثيرة ، فاستدعي الوزير عباس ابنه نصيراً واطلعه علي ما يقوله الناس وأغراه بقتل الظافر ليمحو عنه ما يتحدث به الناس فقتله سنة (٥٤٩) ولأجل ان يخفي الوزير جريمته عزي قتله لأخوي الظافر جبريل و يوسف وقتلهما ظلما

ثم أتي بابن الظافر وهو أبو القاسم عيسي ولم يكن له الا خمس سنين فأجلسه على سرير الملك و بايعه الناس بالخلافة ولقب الفائز بالله

فانفرد الوزير عباس بادارة الملك فلم يرق ذلك في أعين نساء القصر فكتبن الى طلايع بن زريك وكان والياً علي منية

خصيب وأعمالها (مديرية المنيا) وأرسلن اليه بشعورهن طي الكتاب يستغثن به من عباس ومظالمه و يطلبن اليه القدوم الى القاهرة ليسلمن الأمور اليه فسار طلايع ابن زريك في جنوده قاصداً القاهرة فهرب الوزير العباس بأمواله وأهله الى الشام فلقيه الأفرنج فقتلوه وغنموا مامعه

أما زريك فتولي الوزارة في القاهرة وتلقب بالملك الصالح

وفي سنة (٥٥٥) توفي الخليفة الفائز بالله وكانت البلاد قد وصلت في أيامه الي منتهى الضعف حتي انها كانت تدفع للصليبيين شبه جزية ليمتنعوا عن غزو مصر

ثم ان الوزير طلايع بن زريك هم باختيار أحد كبار الفاطميين للخلافة فنهاه أصحابه قائلين لا يكن عباس أحزم منك اذ كان يولى الصغار ليخلو له الجو، فاختار طلايع أبا محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ وهو حينئذ غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . واستبد الوزير بالأمر وشتت شمل الأعيان في البلاد ليأمن شرهم فأغاظ ذلك كبار رجال الدولة وسواهم وكان من الناقمين عليه عمة العاضد فأغرت به بعض الرجال فوقفوا في دهليز القصر وأخذوا يطعنونه بالسكاكين حتى جرحوه جراحا بالغة فحمل الي قصره وأرسل الى العاضد يعاتبه على ما حدث ويلقي عليه تبعته مع ماله من اليد في توليته الخلافة . فأرسل اليه العاضد يؤكد له بأنه لم يكن الآمر بما حصل وليس له به علم وأظهر له شديد الأسف علي ما كان . فأرسل اليه الوزير يقول ان كنت بريئا مما جري فأرسل اليَّ عمتك لأنتقم منها . فأرسلها اليه فقتلها ثم مات هو أيضا بعد أيام وذلك سنة (٥٦٦) وكان شجاعاً جواداً كريماً فاضلا ، شديد المغالاة في التشيع صنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد وهو يتضمن أمامة على ابن أبي طالب والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك

وله شعر كثير منه قوله يؤيد مذهبه :

يا أمة سلكت ضلالا بينا
حتي استوي اقرارها وجحودها
ماتم الي ان المعاصي لم يكن
الا بتقدير الاله وجودها

لو صح ذا كان الاله بزعمكم
منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا ان يكون الهنا
ينهي عن الفحشاء ثم يريدها

مات الوزير طلايع بن زريك الملقب بالملك الصالح فعهد بالوزارة من بعده لابنه زريك وتلقب بالملك العادل

وكان الملك الصالح قد عين أحد رجاله واسمه شاور أعمال الصعيد فأحسن السيرة وأخذ بالحزم في الأمور حتي اجتمعت القلوب علي حبه فلما رأي الملك الصالح ذلك عزم على عزله ولكنه خاف من عاقبة الاقدام علي هذا الأمر فتركه علي عمله . فلما تولي الوزارة ابنه الملك العادل أغراه بعضهم بعزله فعزله فلما وصل اليه الرسول بكتابه قبض عليه وسار بجنوده الي القاهرة فهرب الملك العادل ولكن تمكن شاور من القبض عليه وقتله سنة (٥٥٨)

ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد ولقبه بأمير الجيوش

وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام طمع في الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه فثار على خصمه في شهر رمضان من السنة المذكورة واضطره لترك القاهرة والهرب الي الشام ملتجئا الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي . واستوزر العاضد ضرغاما ولقبه الملك المنصور

أما شاور فانه أخذ يحسن للسلطان نور الدين فتح مصر ويكشف له عن وجوه ضعفها ، ولكن السلطان كان يخشى بأس الافرنج فى طريقه الى تلك البلاد فيقدم رجلا ويؤخر أخري . وما زال به شاور حتي رضي بأن يرسل الي مصر جيشاً تحت قيادة قائده أسد الدين شيركوه . وكان مع هذا القائد يوسف ابن أخيه نجم الدين (هو يوسف صلاح الدين رأس الدولة الأيوبية) ولكنه كان صغير السن. فسار هذا الجيش حتى وصل الى مدينة بلبيس . فلما علم الوزير ضرغام بقدوم جيش الشام أرسل أخاه ناصر الدين بالجيوش المصرية فانهزم وعاد الى القاهرة واستمر أسد الدين شيركوه في زحفه حتي بلغ القاهرة فخرج الوزير ضرغام من باب زويلة هاربا فتبعه الناس بالسب والشتم حتى قرب من مسجد السيدة نفيسة فأمسكوه هناك واحتزوا رأسه وبموته عادت الوزارة الى

شاور . وأقام أسد الدين شيركوه بمعسكره خارج القاهرة .

فلما استتب الأمر لشاور لم يف بوعده للسلطان نور الدين وأرسل يطلب الى شيركوه العودة الى الشام فامتنع من اجابة طلبه وأخذ يذكره بايمانه لنور الدين فلم يؤثر ذلك فيه . فلما رأي شيركوه هذه الخيانة زحف علي مديرية الشرقية فامتلكها كلها . وعمد شاور الي الاتحاد مع الافرنج على دفعه عن مصر فلبي الافرنج هذه الدعوة بكل ارتياح لتحقيق مطامعهم القديمة في امتلاك مصر وحاصر الجميع شيركوه فلم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئا وكان السلطان نور الدين في هذه الاثناء يقاتل الافرنج بالشام وينتصر عليهم فاضطر الافرنج المقاتلون بمصر أن يرجعوا عن شيركوه وترك هو أيضاً مصر ورجع لمولاه فوجده منتصرا على الافرنج فانضم اليه وافتتح معه عدة حصون

ثم ان شيركوه أخذ يحث السلطان نور الدين على فتح مصر وما زال به حتي عينه لذلك سنة (٥٦٢) فلما علم شاور بقدومه استمد الافرنج فأمدوه . أما شيركوه فما زال ينتصر على كل من يقف في وجهه حتي وصل الى اطفيح ومنها عبر النيل الى البر الغربي واستولى على الجيزة وكثير من بلاد الصعيد

ولما وصلت امداد الافرنج الي مصر اتحدت مع جنود شاور وقصدوا جميعاً الجيزة فعاد شيركوه من الصعيد ولقيهم جميعا وهزمهم . ثم تقدم الى مصر السفلى منتصراً حتي بلغ الاسكندرية وملكها وولاها يوسف صلاح الدين

ولكن الافرنج جاؤا بامداد كثيرة وقطعوا عليه خط الرجعة فاضطر شيركوه لمصالحتهم فسلم البلاد الي شاور وعاد الي الشام

فازدادت مطامع الافرنج بمصر فطلبوا من شاور أن يكون لهم قنصل بمصر وأن تكون مفاتيح أبواب القاهرة بأيديهم وأن يحمل اليهم جزية سنوية فقبل شاور ذلك كله ولكن الافرنج كانوا قد استقدموا جيشاً جراراً لامتلاك مصر نهائيا . فقدم ذلك الجيش ودخل مديرية الشرقية وحاصر بلبيس وافتتحها وذبح جميع من فيها . وعزم جيش الافرنج على التقدم لفتح القاهرة . فكتب شاور يستنجد بالسلطان نور الدين فأنجده بشيركوه فجاء

مصر ثالث مرة

ولكن شاور خاف من قدوم شيركوه فاتحد مع الافرنج على أن ينسحبوا في مقابل دفع مليون جنيه فانسحبوا فقابلهم شيركوه وهو قادم من الشام في بلبيس فقاتلهم حتى شردهم ودخل القاهرة وقابل الخليفة العاضد فأسر اليه قتل شاور. فأمر شيركوه ابن أخيه صلاح يوسف بن أيوب وعز الدين جرديك بقتل شاور فترصدا له بطريق الامام الشافعي فقتلاه. فولى العاضد الوزارة لشيركوه ولقبه بالملك المنصور

لم يكد شيركوه يتم هذه الاعمال حتى توفي سنة (٥٦٤) فولى العاضد الوزارة لابن أخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فأبت الجيوش الشامية اعتباره وزيراً لصغر سنه فأرضاهم بالعطايا الجزيلة

ثم ظهر لصلاح الدين خصم اسمه مؤتمن الخلافة جوهر الخصي حدثته نفسه بخلع صلاح الدين فاتفق مع جماعة من الاعيان والجنود المصرية وأرسلوا للافرنج يستقدمونهم وجعلوا الكتب في نعل حتى لا تضبط بالطريق وسار الرسول حتى وصل الى قرب بلبيس فاشتبه في أمره أحد رجال صلاح الدين ففتشه فلم يجد معه غير ذلك النعل الجديد فشقه فوجد فيه تلك الكتب فأرسلها هي والرسول الي صلاح الدين فعلم من مقابلة خطوطها بمن كتبها ووقف على جلية الأمر فأغضى عن مؤتمن الخلافة مدة ثم أرصد له من قتله

وكان ممن ساعد مؤتمن الدولة كثير من زعماء الشيعة منهم العوريس وقاضي القضاة وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي وكان متولى كبرها (أي انه كان أكبر زعماء هذه الفتنة) فأراد صلاح الدين أن يفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الي أن أتاه أخوه طوران شاه وحكي له ان عمارة امتدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضي الى اليمن ويحمله على الاستبداد به وعرض في تلك القصيدة بالمقام النبوي تعريضا يؤاخذ عليه وهو قوله:

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به
الى سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته
كما يقول الوري لحما على وضم
وكان أول هذا الدين من رجل
سعي الى أن دعوه سيد الأمم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد واستعمل صلاح الدين علي القصر

خصيا له ابيض يقال له قراقوش

غضبت الجنود المصرية وا كثرهم من السودان لقتل مؤتمن الدولة الخصي واجتمعوا خمسين الفا وقاتلوا جنود صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليهم لولا شجاعة طوران شاه أخي صلاح الدين فانهزموا شر هزيمة ثم طلبوا الأمان

ولما استتب الأمر لصلاح الدين كتب اليه السلطان نور الدين بقطع الخطبة للفاطميين وجعلها باسم العباسيين فكتب اليه صلاح الدين يرجوه ارجاء هذا الأمر الى حين . فكتب اليه نور الدين بوجوب الاسراع في ذلك فلم تسعه مخالفته وكان قد قدم الي مصر عالم فارسي اسمه الامير العالم الخبشاني فلما رأى احجامهم وعدم تجاسرهم خوفا من الفتنة قال لهم أنا أبتدئ بقطعها وأخطب للمستضئ العباسي . فلما كانت الجمعة الاولى من المحرم سنة (٥٦٧) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للخليفة المستضئ فلم ينكر عليه أحد . فأمر صلاح الدين فى الجمعة الثانية جميع الخطباء أن يخطبوا باسم الخليفة العباسى . وكان الخليفة الفاطمى مريضاً فلم يعلمه بما حصل أحد و بقي جاهلا هذا الأمر الي أن توفي في تلك السنة و به انقرضت الدولة الفاطمية سنة (٥٦٤)

لما توفي الخليفة الفاطمى العاضد استولي صلاح الدين على قصره وصادر جميع ما به من الذخائر والأعلاق وأرسل نور الدين يبشر الخليفة العباسي بما حصل فأرسل الى نور الدين سيفين علامة الملك على الشام ومصر وأرسل الي صلاح الدين خلعا ومعها الشعار العباسي الاسود فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان في مصر أحزاب للفاطميين فلم يقووا علي احداث أي شغب لتغيير الحكم الجديد

وأحس نور الدين ان صلاح الدين يريد استخلاص مصر لنفسه والاستقلال بها! فأمره بالشخوص الى الكرك لينجده على الفرنج فأظهر صلاح الدين الامتثال ثم عاد فجأة موهما بأنه حدث مايقتضى عودته و بلغه ان نور الدين يقصد اخراجه من مصر بالقوة أو القبض عليه فيها فجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم : « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الرأي ؟ » فقال

عمر بن أخيه : « نقاتله ونقصده » فأنكر عليه أبوه هذا القول وقال له : « أنا أبوكم ولو رأيت نور الدين لنزلت وقبلت الارض بين يديه والرأي عندي أن تكتب الي نور الدين كتابا تقول فيه بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فأي حاجة الى هذا؟ يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك وما ههنا من يمنع

ثم أخذ صلاح الدين ابنه في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ولكن اذا أظهرنا له الطاعة تمادي الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع الولد نصيحة أبيه وكسر من حدته

فلما وصل كتاب صلاح الدين الى نور الدين سكن من غضبه وهدأ من غيظه وترك قصد مصر واهتم بالصليبيين كما كان

ولكن صلاح الدين كان لا يزال متخوفا من بطش نور الدين فاتفق مع أولاده وأهل دولته على الحصول علي مملكة أخري حتى اذا تمكن نور الدين من طردهم من مصر التجأوا اليها . فاستولوا على اليمن لهذا القصد

ثم عاد الجفاء بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائيا علي فتح مصر ومعاقبة صلاح الدين فأدركه الموت قبل أن ينفذ عزمه سنة (٥٦٩)

قام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح وعمره احدي عشرة سنة فأظهر صلاح الدين الطاعة له . ولكن قواده اختلفوا عليه لصغر سنه وذهب كل منهم بما في يده . واتفق أن شمس الدين بن الداية والى حلب أرسل يستدعي الملك الصالح اليه ليقيم بحلب فلبي الدعوة وأخذ معه كمشتكين فعظم أمره (أمر كمشتكين) وقبض على شمس الدين وغيره وحبسهم واستبد بالأمر فخافه ابن المقدم الذي كان واليا على دمشق فاتفق مع غيره من الولاة وكاتبوا صلاح الدين ليتسلم الملك فسار اليهم صلاح الدين فاستقبلوه أحسن استقبال ونزل بدار أبيه ولكن القلعة أظهرت عليه العصيان فاستمالها بالمال . ثم ترك صلاح الدين دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الي حمص فملكها ثم حماة فأخضعها ، ثم قصد حلبا سنة (٥٧٠) وبها الملك الصالح بن نور الدين فجمع

رعيته من أهل حلب وقال لهم : « قد عرفتم احسان أبي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وأنا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وزاد على هذا كثيراً وبكي فبكي الحاضرون وعاهدوه علي مكافحة صلاح الدين فكانوا يخرجون ويقاتلونه عند جبل جوشن ولا يستطيع القرب من المدينة .

ثم ان الملك الصالح كاتب ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين وكان صلاح الدين ظلب حصار حلب وقصد حمص لرد الفرنج عنها ثم سار الى بعلبك فملكها . فلبي سيف الدين غازي دعوة ابن عمه الملك الصالح وأمده بجيش تحت قيادة أخيه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكي فوصل هذا الجيش الى حلب وانضم اليه جنود الملك الصالح وقصدوا صلاح الدين فأرسل هو يبذل الملك الصالح حمص وحماة على أن تبقي له دمشق ويكون فيها نائباً عن الملك الصالح فلم يجيبوه الى ماطلب وساروا الي قتاله فقابلهم عند قرون حماة فكسرهم وغنم أموالهم وتعقبهم حتي حصرهم في حلب

فقطع صلاح الدين الخطبة باسم الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطة فطلب اليه الملك الصالح أن يصالحه على أن يكون له مابيده من الشام ويترك ما بقي له فصالحه علي ذلك ورحل عن حلب . ولما وصل الى حماة وصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي سنة (٥٧١) حاصر حلبا ثم طلب اليه أهلها الصلح فصالحهم وترك للملك الصالح قلعة عزاز وسبب ذلك ان الملك الصالح أخرج الى صلاح الدين اختاله صغيرة فلاطفها صلاح الدين وقال لها ماذا تريدين ؟ فقالت له قلعة عزاز . وكانوا قد لقنوها ذلك فسلمها اليهم ورحل عنهم الى مصر بعد أن دوّخ الشام واستخلف عليه أخاه توران شاه

وكان صلاح الدين قد سلم امور مصر عند ذهابه الى الشام لوزيره الأمير بهاء الدين الأسدي الملقب بقراقوش وهو خصي فارسى وأمره باحداث المبانى اللازمة لتقوية البلاد وعمارتها فأنفذ الوزير اشارته على أحسن ما يكون ونظم الري فأتت الأرض بمحاصيل عظيمة

وأمر صلاح الدين بعد عودته وزيره ببناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل ولا تزال تلك القلعة موجودة الى اليوم

واتهم الأهالي الوزير بهاء الدين بالظلم والاستبداد بالرأي ولقبوه بقراقوش أي الطير الأسود وهو العقاب وينسب اليه العامة أحكاما تناقض المعقول يبعد صدورها منه لا لشئ غير ان مثل صلاح الدين لا يعتمد الا على الرجال الأكفاء وخصوصاً حين غيبته عن البلاد فلو لم يعلم ان بهاء الدين هذا مل‌ء مركزه لما ترك له البلاد وهي علي مقربة من عهد الانقلاب

فلما عاد صلاح الدين الى مصر غزا الفرنج انطاكية فسطا عليهم صلاح الدين في فلسطين فخرج من مصر سنة (٥٧٣) وسارا الى عسقلان فنهبها وتفرق عسكره يغيرون ويغنمون من الفرنج وأحرقوا الرملة وأخربوا عمل اللد فاشتد رعب الناس منهم

فلما بلغ ذلك ملك أورشليم خرج لصلاح الدين فقاتله وهزمه وغنم ما معه وعاد المصريون الي بلادهم مكسورين

وفي سنة (٥٧٥) سار صلاح الدين الي الشام وفتح حصنا كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحران فدكه وعاد الي مصر

وفى سنة (٥٨٧) سار صلاح الدين من مصر لقتال الفرنج والسبب في ذلك ان الملك الصالح بن نور الدين كان قد توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا المعاهدة التى كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج علي الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام فأسرع صلاح الدين الي سورية فجاء حلبا وحصرها فسلمت اليه ثم استولي على الرها ورقة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ثم تركها واستولي على آمد بعد قتال عنيف ثم عاد الي دمشق فطار صيت صلاح الدين وصار له الحكم المطلق علي مصر والشام والجزيرة واليمن فكان لا يوجد في هذه البلاد الشاسعة من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط مالكه

وقد كان الفرنج مهادنين لصلاح الدين فتجارأ (رانودوشاتيليون) والى الكرك وهو فرنجى علي خرق شروط الهدنة وهجم سنة (٥٨٣) علي قافلة

المسلمين وغنمها وأسر رجالها

فأرسل اليـه صلاح الدين يطلب اليه أن يرد أسري المسلـمين و يعطيهم ما أخذه منهم احتراما لشروط الهـدنة فأبي فأعلن صلاح الدين انتقاض الهدنة وعزم علي اخـراج الفرنج من سورية فأغار على الكرك وأرسل ابنه للاغارة علي عكا فغنما غنائم شتي . ثم تقدم صلاح الدين وحاصر طبرية وفتحها فزحف اليه الفرنج فخرج اليهم صلاح الدين من طبرية والتقي الجمعـان في حطين فأحيط بجيش الفرنج وقتل أكثر فرسانه واسر الملك جوفروا ملك اورشليم ورانود صـاحب الكرك وغيرهما من الامراء

فلما انتهت الموقعـة جلس صلاح الدين في خيمته والى جانبه جوفروا ملك الفرنج فأعطاه السلطان ماء مثلوجا فشرب ثم ناول جوفروا الكوب لرانود فشرب هو أيضا . فقال صلاح الدين للترجمـان قل للملك : «أنت الذي سقيت هذا أما أنا فما سقيته» يريد بذلك ان جوفروا آمن ولـكن رانود غير آمن . وكان السلطان شديد الحنق على رانود هـذا لأنه هو الذي خرق الهدنة فقام وضرب عنقه بنفسه فاضطرب الملك جوفروا عند ذلك وخشي على نفسه فهدأ صلاح الدين روعه .

ثم سـار صلاح الدين الى عـكا فصالحه فرنجها علي الخروج منها مع أخذ مايقدرون عليه من اموالهم وتركوا الباقي وكان شيئا كثيرا جدا

وفي مدة اقامة السلطان بعكا تفرق عسكره الى النـاصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها وأسروا رجالهـا وسبوا نساءها واطفالها

ثم أرسل السلطان عسكرا الي نابلس فأتي السامرة وبها قبر زكريا عليه السلام فأخـذه من النصاري وسـلمه للمسلمين

ثم سار الي تبنين فحاصرها وضايقها فأطلق أهلها الأسري المسلـون الذين كانوا عندهم فلم يرض السلطان أن يتركهم علي ذلك بل ضايقهم حتي طلبوا الأمان فأمنهم وسار الى صيدا واجتاز في طريقه على صرفند فأخذها بلا قتـال . وكان صاحب صيدا عنـد سماعه بمجيء صلاح الدين أخلاها فدخلها صلاح الدين

وسار منها الى بيروت فقاتله اهلها قتالا عنيفا و بينما هم يقاتلون اذ ضج الناس ضجة عظيمة وتساءلوا عن الخبر فقيل ان المسلمين اقتحموا المدينة من جهة أخري فاتضح لهم ان الخبر مكذوب ولكن لم يمكن تسكين ثائرة الناس فاضطر المحاربون لطلب الأمان فأمنهم السلطان. ثم أرسل سرية من رجاله الى جبيل من أعمال لبنان فتسلمتها

ولما هزم صلاح الدين الافرنج بطبرية أرسل يبشر أخاه الملك العادل بمصر ويأمره بالمسير الي بلاد الفرنج من جهة مصر فأسرع الى ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم مافيه وسار منه الى مدينة يافا فملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها وأسر نساءها وأتي بها من انواع القسوة ما لم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم جدا بفتح عسقلان وبيت المقدس لانه اذا أخذهما لم يبق للفرنج ملجأ فسار قاصدا عسقلان فحاصرها وقاتلها حتي استولى عليها . ثم بعث سرية من جيشه الى غزة وبيت جبريل والتبرون فأخذوها بغير قتال

ثم جمع جنوده وقصد بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة (٥٨٣) وكان الفرنج قد أخذوا أهبتهم للقائه فجمعوا رجالاتهم المعدودين وفرسانهم المقدمين وحصنوا بيت المقدس تحصينا عظيما فلما قدم صلاح الدين طوقها وأخذ يقذفها بالمجانيق حتى اشتد على اهلها الكرب فطلبوا الأمان فلم يقبل صلاح الدين وقال للرسول لا أفعل بكم الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه

فلما رجع الرسول خرج الى صلاح الدين أحد عظمائهم . وقال له اعلم اننا في المدينة خلق كثيرون فان لم تقبل أن تؤمننا عمدنا الى نسائنا وأولادنا فقتلناهم واحرقنا جميع مالنا ثم اخربنا الصخرة والمسجد الأقصي وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسري المسلمين وعددهم خمسة آلاف أسير ثم نخرج اليكم مقاتلين مستميتين فلا يقتل الواحد منا حتى يقتل أمثاله منكم فنعيش أعزاء أو نموت كراما

ففكر صلاح الدين في الأمر واستشار أصحابه فأشاروا عليه باعطائهم الأمان فأمنهم وعاد بيت المقدس الي المسلمين كما كان

فلما حدث هذا الحدث الجلل هاج الاوروبيون في اوربا وأخذ رجال الدين يشعلون في صدورهم نيران الحمية فأرسلت أوروبا الي الشام جيشا عرمرما لاستنفاذ بيت المقدس من صلاح الدين تحت قيادة ملك الانجليز ريشارد قلب الاسد وفيليب ملك فرنسا وفريدريك ملك المانيا فسار بعضهم براً و بعضهم بحرا الى أن نزلوا على عكا سنة (٥٨٥) وحاصروها برا و بحرا الا ان صلاح الدين تمكن من انجادها بعد قتال فتح لجيشه طريقا اليها ودامت الحرب سجالا حول عكا ثم صادفوا السلطان نفسه وحملوا علي قلب جيشه فأزالوه وأخذوا يقتلون جنوده الي أن بلغوا الى خيمة السلطان فقاتلهم حرس السلطان حتى قتلوا منهم نحوعشرة آف نسمة وانهزم بعض جنود صلاح الدين فوصل بعضهم الى طبرية و بعضهم الى دمشق

ومرض السلطان بالقولنج فرحل عن عكا الي الخروبة بأمر الأطباء فتمكن الفرنج من حصار عكا ثانيــة . ولما إنقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتأجج حول عكا واشتد الحال علي المحصورين وكان قد أصاب السلطان مرض أعجزه عن الحرب فطلب أهل عكا الأمان فأجيبوا اليه وتسلم الافرنج عكا بعد حصارها نحو سنتين

بعد أن استقر الفرنج بعكا ساروا قاصدين يافا فصادفهم ٢٠٠ الف مقاتل من جنودالشام فدارت بين الجيشين رحي الحرب فانهزم جنود صلاح الدين هزيمة شنعاء واستولي الفرنج على يافا . ثم عزموا على قصد بيت المقدس فقابلهم صلاح الدين فردهم عنه . فعقد الفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر تكون في خلالها أبواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصاري يدخلونه بلا سلاح

فعزم صلاح الدين على غزو آسيا الصغري وأخذ مافيها للمسلمين وللملك الروم وفتح القسطنطينية والتطرق من هناك الي الفرنج في بلادهم . ولكنه أصيب بحمي شديدة قضت عليه سنة (٥٨٩) هـ ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا و بنتا واحدة

من صفاته انه كان حسن الخلق صبورا علي مايكره كثير التغافل عن

ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم مايكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه . وكان طاهر المجلس لايذكر أحدا في مجلسه الا بالخير

لما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الأفضل نور الدين فأخذ لنفسه دمشق والساحل و بعلبك وصرخد و بصري و بانياس وشوش وجميع الأعمال الى الداروم

وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولي عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى أعمالها وأطاعه صاحب حماة . وكان الملك العادل أخو صلاح الدين بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لأحد من ولد أخيه فأرسل اليه الملك الافضل وهدده بالقتال ان لم يحضر لدمشق و يبايع له ففعل

فانقسمت الدولة الأيوبية الى ثلاث دول : مصر وهي للعزيز ، ودمشق وهي للأفضل ، وحلب وهي للظاهر

تولى مصر العزيز بن يوسف صلاح الدين من سنة (٥٨٩ الي ٥٩٥) وكان معه بمصر موالى أبيه وهم لايحبون الأفضل فأغروا العزيز بانتزاع دمشق من يده فسار الى دمشق وحاصر أخاه فأرسل هذا الى عمه العادل وأخيه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق وأصلحوا بين الأخوين

وفي سنة (٥٩١) عاودت الملك العزيز فكرة فتح دمشق فسار اليها فشغب عليه بعض جنوده فاضطر للرجوع . وكان الملك الافضل قد كتب لعمه العادل يستنجده فلما رجع العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل فنزلوا على بلبيس فطلب الملك مناجزة حاميتها فمنعه عمه . وقصد الأفضل المسير الي مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل أيضاً وقال له (مصر لك متى شئت) وكاتب الملك العزيز سراً ان يرسل القاضي الفاضل ليصلح بين الأخوين فأصلح بينهما وأقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الي دمشق

وفي سنة (٥٩٢) اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق وأخذها من الأفضل وتسليمها للعادل فتم ذلك وسار الافضل الى قلعة صرخد

في سنة (٥٩٣) أخذ الملك العادل يافا من الفرنج وأخذ الفرنج بيروت من

المسلمين

وفي سنة (٥٩٥) توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الا شهراً

تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولكونه كان صغيراً لا يجاوز سنه الثمان سنين استدعي رجال الدولة عمه الملك الأفضل من الشام ليتولى الوصاية عليه . فأرسلوا اليه بقلعة صرخد فجاء مختفياً خوفا من عمه الملك العادل الذي كان بدمشق

فلما استقر الأفضل بمصر حسن له أخوه الملك الظاهر صاحب حلب ان يقاتل عمه الملك العادل وينتزه دمشق فخرج الأفضل قاصداً تلك المدينة وأنجده أخوه الظاهر ثم حدث بينهما شقاق أدي الى تركهما دمشق لصاحبها . فلما رأي العادل ذلك زحف على ابن أخيه بمصر سنة (٥٩٦) وهزمه ففر الي القاهرة فتبعه اليها فطلب الأفضل الصلح على شرط أن يعطى ميافارقين وحاني وسميساط فأجابه العادل الي ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة وسافر الأفضل الى صرخد

تولي مصر الملك العادل أخو صلاح الدين من سنة (٥٩٦) الي (٦١٥) ﻫ علي انه وصى علي الملك المنصور محمد بن العزيز بن صلاح الدين ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة واعلن ملكيته

فاتفق الملك الأفضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين علي مقاتلة عمهما وأخذ ما بيده فبدآ بحصار دمشق وكان عليها الملك المعظم بن العادل فأخذاها وحدث بينهما اختلاف أدي الي تفرقهما فزحف عليهما العادل فأخضعهما لحكمه وبذلك توحد ملك صلاح الدين بعد أن كان قد تقسم

وفي سنة (٥٩٩) ﻫ قاتل الملك العادل الفرنج في حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما فهزمهم .فقتل منهم كثيرا

وفي سنة (٦٠٠) ﻫ وصل كثير من الفرنج بحرا الى عكا قاصدين بيت المقدس فنهبوا كثيرا من بلاد المسلمين فخرج لهم الملك العادل من دمشق ونازلهم ثم تقررت هدنة بين الفريقين كان من شروطها أخذ الفرنج يافا والناصرة وغيرها ونصف اللد والرملة . ولما رجع الملك العادل الى مصر أغار الفرنج علي

يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة وصيدا واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين الا الكرك على ان يتركوا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاث مئة الف دينار عوضا عن تخريب اسوار بيت المقدس ليعمروه بها . فعادوا الى القتال وقطع المسلمون النيل فركب الماء أكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يمرون منها الا جهة ضيقة . ونصب الكامل على النيل جسورا عبر المصريون عليها فملكوا الطريق الذي يسلكه الفرنج ان أرادوا العود الى دمياط فانحصر الفرنج في تلك البقعة وندموا علي عدم قبولهم شروط الصلح ولما يئسوا من النجاة أحرقوا خيامهم واثقالهم وزحفوا الى المصريين فحالت الأوحال دون مايرغبون وقات أقواتهم فراسلوا الكامل يطلبون الأمان ليسلموه دمياط بلا عوض . وأقبل الملك المعظم الذي قطع الخط علي الفرنج فاشتدت قوة المصريين فتم الصلح بين الفريقين علي تسليم دمياط والرضاء من الغنيمة بالاياب وكان ذلك في سنة (٦١٨) ه

وفي سنه (٦٢٦) وصل الي الشام فريدريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولى على كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل علي دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على أن يسلموا الى فريدريك بيت المقدس ومواضع أخري علي أن تستمر أسواره خرابا فاستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه

وكان الملك المعظم بن الملك العادل قد مات سنة (٦٢٤) وتولى بعده ابنه الملك الناصر فزحف عليه الكامل وأخذ منه دمشق وعوضه عنها الكرك والبلقاء والصلت والأغوار والشوبك واعطاها لأخيه الملك الاشرف

أحس الملك الكامل سنة (٦٣٥) بزكام فدخل الحمام وسكب على نفسه ماء شديد الحرارة فحدثت له حمي مات منها في السنة المذكورة . وكان عاقلا فاضلا حسن السياسية كثير الاصابة شديد الهيبة محبا للفضائل واهلها

خلفه ابنه العادل من سنة (٦٣٥) الي سنة (٦٣٧) ه فأقام بالملك سنتين

ثم حصره جماعة من المماليك بعد أن قبضوا عليه وارسلوا الى الصالح أيوب بن الكامل فسار هو والناصر داود الي مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه

تولي الملك الصالح من سنة (٦٣٧) الى (٦٤٧) فأول عمل عمله أن قبض على ايبك الاسمر وعلي غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا علي أخيه العادل وأودعهم السجون وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكنا لنفسه

في سنة (٦٢٨) قدم الخوارزميون هاربين امام جنكيز خان ملك التتر الي سورية الشرقية فأرسل اليهم الملك الصالح رسلا ليعاهدهم علي قتال الفرنج وأمراء سورية الذين يوالونهم فأجاب الخوارزميون واخترقوا سورية الى أن بلغوا غزة فحاربوا الفرنج عند أسوارها وأنجدهم الملك الصالح من جهة مصر فانهزم الفرنج فتبعوهم حتي استولوا على غزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الأسري والرؤوس الى مصر ودقت فيها طبول البشائر عدة أيام وذلك سنة (٦٤٢) ثم سارت جنود الكامل والخوارزميون الي دمشق ففتحوها وعوضوا صاحبها بعلبك و بصري والسواد . ولم يف الملك الصالح للخوارزمية ماوعدهم به فانقلبوا عليه وساعدوا صاحب دمشق الذي انتزعوها منه وهو الصالح اسماعيل وانضم اليهم صاحب الكرك فحاصروا جميعا دمشق . فانفق الملك الصالح صاحب مصر والملك المنصور صاحب حمص واهل حلب علي قتال الخوارزمية وهم محاصرون لدمشق فحدث بين الفريقين قتال شديد انتهى بهزيمة الخوارزميين وقتل رئيسهم حسام الدين

وفي سنة (٦٤٧) وصل الملك لويز التاسع ملك فرنسا الى دمياط في جيش عظيم لامتلاكها . فأمدها الملك الصالح بجيش بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكون أمام الفرنج بظاهر دمياط . فلما وصل الفرنج عبر فخر الدين من البر الغربي الي البر الشرقي ووصل الفرنج الي البر الغربي وقاتلوا حامية دمياط وهزموها فهربوا وهرب الاهالى معهم وتركوا المدينة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على مابها وعظم ذلك علي الملك الصالح وأمر بشنق حامية دمياط المهزومة فشنقت

حماة وأخذوا منها غنائم كثيرة

وفي سنة (٦٠٣) سار الملك العادل من مصر الى الشام فنازل عكا فصالحه أهلها ثم وصل الي دمشق وكان الفرنج قد أكثروا الاغارة علي حمص فاستعان صاحبها أسد الدين شيركوه بالملك الظاهر فأنجده حتي وصل العادل وأخذ في مكافحة الافرنج الى الشتاء فلبثه في دمشق

وفي سنة (٦١٤) وصلت امداد الفرنج الي عكا فقصد الملك العادل الرملة ومنها الى لد وقصده الفرنج من عكا فسار هو الي نابلس فسبقه الفرنج اليها فنزل علي بيسان فتقدم الفرنج اليه وكانت جنوده قليلة فلم ير أن يقاتلهم لكيلا تكون هزيمة . وتقدم الفرنج الى بيسان فأخذوا كل مافيها ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس ثم رجعوا الي عكا بعد أن غنموا شيئا كثيرا ثم جاؤا الى صور وقصدوا الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا ثم نازلوا قلعة الطور (علي رأس جبل بالقرب من عكا) ثم رجعوا عنها

أقام الفرنج بعكا الى سنة (٦١٥) وساروا بحرا الى دمياط وأرسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها وكان علي النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد الي النيل . فلما نزل الفرنج الى ذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط . وبعث الملك العادل الي ابنه الكامل بمصر أن يخرج في جنوده ويقف أمامهم ففعل ونزل بالعادلية قريبا من دمياط . والح الفرنج على منازلة ذلك البرج أربعة أشهر حتي ملكوه ووجدوا سبيلا الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط . فبني الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وأغرقوها وراء الجسر لتمنع المراكب من الدخول الي النيل فحول الافرنج مجري النيل وأصعدوا مراكبهم اليه

اشتد خوف العادل من نزول الفرنج الي دمياط فرحل من مرج الصفر قاصدا مصر فأدركه أجله سنة (٦١٥) ه وكان قد قسم البلاد في حياته بين أولاده

فكانت مصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وماوليها للمعظم عيسى ، وخلاط وماوليها و بلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى ، والرها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للخضر ارسلان شاه

فلما توفى العادل استقل كل منهم بعمله فتجزأت دولة صلاح الدين مرة ثانيـة

تولى الكامل بن العادل من سنة (٦١٥) الى (٦٣٥) ه وكان الفرنج محاصرين لدمياط والحال في غاية الخطورة وفي تلك الاثناء ثار الأمير عماد الدين بن المشطوب الكردي طالبا عزل الكامل وتولية الفائز . فترك الكامل جنوده ونزل الي اشمون طناح فلما لم يجده جنده تركوا معسكرهم وتبعوه فانتهز الفرنج هذه الفرصة فنزلوا الى دمياط وضيقوا عليها الحصار حتي فتحوا المدينة فنهبوها . وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسي نجدة لأخيه فطردا الأمير عماد الدين ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب الجزيرة وصار من جنده

أما الفرنج فبعد أن ملكوا دمياط بثوا سراياهم الى ماجاورها من البلاد وشرعوا في تحصينها وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فأخذوا يفدون اليها من كل فج . فنزل الملك الصالح أمام طلخا ليمنع الفرنج من التقدم الى داخلية البلاد وأقام معسكرا في محلة المنزلة وأمر بتحصين المعسكر ببناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق وصارت هذه المدينة تدعي بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى انتصاره علي الفرنج هناك . وكتب الي أخيه الملك المعظم بدمشق والملك الاشرف بالجزيرة يستنجدهما ويحثهما على الحضور بنفسيهما . وكان الملك الاشرف مشغولا عن نجدته بما أصاب بلاده من اختلاف الكلمة ولما استقامت له الأمور سار هو وأخوه صاحب دمشق سنة (٦١٨) ه الى مصر وكان الفرنج قد زحفوا من دمياط الى أن نزلوا أمام الملك الكامل و بينهما بحر اشمون وشنوا الحرب عليه . فقصد الملك المعظم دمياط رأساً ليقطع خط الرجعة علي الفرنج وزحف الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد بينهم القتال ففرض الكامل عليهم أن

من أمراء الايوبيين فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر

وبقيت حالة الحرب بين المصريين والشوام حتي أرسل الخليفة العباسى فأصلح بينهم سنة (٦٥١) على أن يكون للمصريين نهر الاردن وللملك الناصر دمشق وحلب وما وراء ذلك

وكان المعز ايبك قائد الجنود وزوج شجرة الدر يطمح الي خلع الاشرف وتبوء الملك . وكان اقطاي الجامدار من أمراء المماليك يدافعه عن ذلك فأرصد له المعز ايبك ثلاثة من المماليك البحرية فقتلوه فأغضب ذلك مماليك اقطاي فثاروا ثم لحقوا بصاحب دمشق

فخلع المعز ايبك الملك الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر أمراء بني أيوب بمصر وخطب للمعز ايبك . ولما وصل المماليك الناقمون على المعز ايبك الى دمشق حسنوا لصاحبها أن يزحف علي مصر فسار وملك غزة وبرز ايبك وجنوده الي العباسية واستراب من المماليك العزيزية الذين كانوا انضموا في الواقعة السابقة بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق فعاد هؤلاء وانضموا الي صاحبها

وترددت الرسل بين المعز وبين الناصر صاحب دمشق فاتفقوا علي أن يكون الحدود بين مصر والشام العريش

ثم أراد المعز ايبك سنة (٦٥٥) أن يتزوج بنت لؤلؤ صاحب الموصل فغارت الملكة شجرة الدر وقتلته في الحمام

فتولى بعده على بن المعز ولقب بالمنصور فانتقم لابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة (٦٥٥) اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاي الجامدار يريدون الفتك به فاستوحش منهم وأجلاهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيث صاحب الكرك وأرسل صاحب دمشق عسكرا فى أثرهم فانهزموا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فحسنوا له فتح مصر فزحف عليها بجنوده والمماليك معه حتي التقي بجيش المصريين بالعباسية فانهزم صاحب الكرك ومن معه وكان في جملة المماليك الذين حسنوا له فتح مصر بيبرس البندقداري الذي صار بعد ذلك ملكا علي مصر . فعاد أولئك المماليك الى الكرك فلم يزل صاحب دمشق مرتابا

منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق فظفروا به واستفحل أمرهم بالكرك . فسار الناصر اليهم بنفسه سنة (٦٥٧) ومعه صاحب حماة فحاصرا الكرك فأرسل صاحبها الى الناصر يطلب اليه الصلح فشرط عليه ان يحبس المماليك فأجاب الى شرطه واتصل الخبر الى بيبرس أميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام

وفي هذه الأثناء قدمت عساكر التتار الي الشام وملكوها وهرب الناصر الى مصر أولا ثم الي بلاد العرب ثم حسّن له أصحابه أن يقصد هولاكو ملك التتار فأقبل عليه ووعده برده الي ملكه وأبقاه عنده

فزحف صاحب مصر وهو يومئذ الملك المظفر قطز علي الشام لمقاتلة التتار فانهزموا وقتل قائدهم النائب عن هولاكو فأحضر هولاكو الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ، ثم قتل الظاهر والصالح بن الأشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني أيوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة (٦٥٩) وحلت محلهم دولة المماليك البحرية

وقد قدمنا ان سبب اتصالهم بالملك ان الملك الصالح بن الكامل بن العادل الأيوبي كان قد استكثر من المماليك وبني لهم قلعة بين شعبتي النيل أزاء المقياس وسماهم لهذا السبب بالبحرية . فكانوا عصبة سلطانه ، ومادة قوته ، وخاصة قصره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير ورديفه فارس الدين اقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري . ولما توفي الملك الصالح سنة (٦٤٧) وهو يحارب الفرنسيين بالمنصورة تحايلت محظيته شجرة الدر علي تولية ابنه توران شاه فقتله المماليك كامر ثم اجتمع أمرهم على تولية شجرة الدر فتزوجها رئيس المماليك عز الدين ايبك وخلعها وتملك بدلها من سنة (٦٤٨) الى (٦٥٥) ولم يصف له الأمر فان كبير الأيوبيين بالشام الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها طلب الأمر لنفسه فبايعه أهل مشام وأغروه بأخذ مصر فسار

عن آخرها ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها فاشتد عليه المرض فمات سنة (٦٤٧) ه

كان هذا الملك عالي الهمة طاهر اللسان كثير الصمت جمع من المماليك مالم يجمعه غيره حتى كان أكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

تولي بعده ابنه الملك المعظم توران شاه من سنة (٦٤٧) الي سنة (٦٤٨) ولم يكن حاضراً لما توفي أبوه بل كان على حصن كيفا وكان للملك الصالح جارية محظية تدعي شجرة الدور ذات رأي وسياسة فكتمت وفاته وقالت لجمهور الأمراء والأعيان « ان السلطان يأمركم أن تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الأمير فخر الدين أتابكا لادارة الأحكام» فقبل جميع الأمراء هذا الأمر بالطاعة ثم أرسلت هذه الأوامر الي القاهرة (لأنه توفي في ساحة القتال بالمنصورة) فبايع جميع من فيها وكانت تبعث الرسائل مختومة بختم الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه . ثم أرسل فخر الدين قاصداً لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا وشاع موت السلطان ولكن لم يجسر أحد أن يتفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط للمنصورة وكان الأمير فخر الدين المذكور في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا فصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه . ثم حمل المصريون والمماليك البحرية على الفرنج فردوهم عن الزحف . ووصل الملك المعظم توران شاه الي المنصورة واشتد القتال بين المصريين والفرنج براً وبحراً فدارت الدائرة علي الأخيرين وغنم المسلمون منهم ٣٢ مركباً وكان المسلمون قد قطعوا خط رجعتهم الى دمياط فانهزموا فتبعهم المصريون وقتلوا منهم عدداً كبيراً يبلغ الثلاثين ألفا وانحاز لويز ملك فرنسا وجماعة من قواده الي بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الملك المعظم توران شاه وأحضروا الي المنصورة واعتقل الملك لويز في دار فخر الدين ووكل به الطواشي صبيح المعظمى ولم يزل معتقلا حتي فداه الفرنسيون بتسليم دمياط للمسلمين

وكان الملك المعظم توران شاه قد أحضر معه من كيفا بعض مماليكه فتسلطوا على مماليك أبيه وأغروا الملك

المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه فمال الملك المعظم لتنفيذ أغراضهم فاجتمعوا علي قتاله وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي تولي السلطنة المصرية في دولة المماليك فهرب الملك المعظم منهم والتجأ الي برج من خشب كان هناك فأضرموا فيه النار فلما وصلت اليه رمي بنفسه الى الخليج فجاءوا اليه ورموه بالسهام وهو في الماء فمات غريقا جريحا .

فلما قتل وقعت الفتنة بين الأمراء وتنازعوا الملك فاستدركت شجرة الدر مملوكة الملك الصالح ومحظيته الأمر وطلبت الملك لنفسها فبايعها الجميع علي أن يكون عز الدين ايبك الصالحي قائداً عاما للجنود وخطب باسم شجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وسميت والدة خليل نسبة الي ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيراً

أول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين على اطلاق سراح ملكهم لويز في مقابل نزولهم عن دمياط وذلك في ٣ صفر سنة (٦٤٨)

ولما استقر الأمر لشجرة الدر بمصر أرسل الامراء المصريون الي الأمراء الذين بدمشق فى الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق وأطاعته سورية كلها

فلما رأي المصريون ان الشام خرجت من يدهم لاستخفاف الناس بهم من تمليك امرأة قيادهم هموا باسقاطها فرأي عز الدين ايبك ان يتزوجها و يجلس على سرير الملك مكانها ففعل وتلقب بالملك المعز ولكن لم يصف له الأمر فان الأمراء قرروا أن يسند الامر الى واحد من ذرية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاختاروا الملك الأشرف موسى بن يوسف صاحب اليمن

تولي الملك الاشرف بن يوسف سنة ٦٤٨ فتوجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحاب من ذلك شراً فسار قاصداً مصر وصحبه كثير من أمراء الأيوبيين فلما التقي العسكران بقرب العباسية انهزم المصريون ولكن حدث أن جماعة من مماليك الملك الناصر انحازوا الي المعز ايبك قائد المصريين فكر بهم على الشاميين فهزمهم وأسر ايبك جماعة

اليها . فلما بلغ المماليك الخبر أرادوا أن يحتالوا بتولية أحد بني أيوب ليكفوا ألسنة الناس عنهم ويكون لهم الحكم في الحقيقة فبايعوا لموسى الذي كان أبوه يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الأشرف وعينوا المعز ايبك رئيس المماليك الذي كان تولى الملك وصيا عليه. فلم تمنع هذه الحيلة الملك الناصر من التقدم الي مصر فبلغها هو وأكثر أمراء الأيوبيين سنة (٦٤٨) فجمع المعز ايبك جنوده وخرج للقائهم فالتقوا بالعباسية فانهزم المصريون أولا ثم كروا فهزموا أهل الشام ورجع ايبك الي مصر منصورا فأظهر فارس الدين أقطاي من الشجاعة مالا مثيل له وكان زعيما لحزب من المماليك الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الأشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم فلم يرق ذلك في عين عز الدين ايبك فأضمر له السوء فاستدعاه اليه يوما سنة (٦٥٢) للمشاورة وكان قد أكمن له ثلاثة من مواليه فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه فثار حزبه وقصدوا القلعة وطلبوا زعيمهم فألقي اليهم عزالدين ايبك رأسه فارتابوا في الأمر وأجمع أمراؤهم ركن الدين بيبرس البند قداري وسيف الدين قلاوون الصالحي وسيف الدين سنقر الأشقر على المهاجرة الي الشام فيمن ينضم اليهم من المماليك البحرية واختفي من تخلف منهم وصادر عز الدين ايبك أموالهم وذخائرهم . فلما تخلص منهم قبض علي الملك الأشرف وخلعه وسجنه وأمر بأن يخطب باسمه وكانت امرأته شجرة الدر لا تلد فاتخذ له سراري فولدت له احداهن ولداً أسماه نور الدين عليا ثم عزم علي مصاهرة بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل فغارت زوجته شجرة الدر وأغرت جماعة من خصيانها علي قتله في الحمام سنة (٦٥٥) ﻫ

تولى بعده ابنه نور الدين على باجتماع كلة أمراء المماليك على مبايعته فأمر بقتل شجرة الدر امرأة أبيه . وفي هذه الاثناء أخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الي الشام فاستصغر أمراء المماليك سلطانهم نور الدين على لعدم ممارسته الحروب وتحققوا انه لصغر سنه غير كفء لمحاربة التتار فخلعوه سنة (٦٥٧) بعد أن حكم

سنتين فقط وولوا سيف الدين قطز المعزي من مماليك المعز ايبك

المظفر سيف الدين قطز تولى من سنة (٦٥٣) الى سنة (٦٥٨) وكان معروفا بالشدة والصرامة والاقدام فتلقب بالمظفر فقبض علي نور الدين وقتله . وكان التتار بعد استيلائهم علي بغداد قد تقدموا بقيادة هولاكو خان بن تولي خان وعبروا الفرات ووصلوا الى الشام فأهلكوا فيها الحرث والنسل وبهم انقرض بنو أيوب من الشام كما انقرضوا من مصر . ولما ضاق الحال بأهل الشام كتبوا الي السلطان المصري سيف الدين قطز يستنجدونه . وفى هذه الأثناء وصل الي قطز أيضا رسالة من هولاكو يدعوه الى الخضوع. فلم يكن من قطز الا أن ضرب أعناق رسل هولاكو ونهض على رأس جيشه الي الشام لمقاتلة التتار وتقدم كتبغا قائد التتار للقائه فالتقيا بالغور على عين جالوت فاقتتلا قتالا عنيفا انهزم بعده التتار هزيمة شنيعة وقتل قائدهم وتتبعهم المصريون فأفنوهم وهرب من بقي منهم الى المشرق

وأرسل السلطان قطز بيبرس البندقداري وراءهم لطردهم عن البلاد كلها فأظهر بيبرس من المقدرة والشجاعة ما جعل السلطان يتنازل له عن حلب ثم لم يف السلطان بما وعد فأضمر له بيبرس الشر ثم اتفق مع بعض الأمراء على قتله فقتلوه سنة (٦٥٨)

تولي بعده بيبرس من سنة (٦٥٨) الي (٦٧٦) ه فلقبوه بالظاهر فأزال ما كان أحدثه سلفه من المكوس . ولما علم علم الدين سنقر بقتل قطز أعلن استقلاله بالشام فأرسل اليه الملك الظاهر أستاذه علاء الدين البندقداري فهزمه وأمسكه وأحضره الى مصر فاعتقله الظاهر

وفي سنة (٦٦٠) قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه أحمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد بن الخليفة الناصر العباسى فيكون عم المستعصم آخر خلفاء بني العباس الذي قتله التتار سنة (٦٥٦) فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه أكابر الرجال والعلماء وأثبت القاضي نسب احمد المذكور فبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلافة العباسية الا انه لم يكن لهم من الأمر شيء فقد كانوا ممثلين للخلافة

الصورية ليس الا وكانوا يلقبون بالأئمة

ثم أراد الملك الظاهر بيبرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين من يد التتار فأنفق أموالا طائلة في اعداد المعدات الحربية ثم نهض الي بغداد ومعه الخليفة المستنصر بالله فلما وصلوا دمشق عاد بيبرس الي مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل أن يصل اليها وصل اليه التتار فقاتلوه وقتلوه هو وأكثر جيشه ولم تكن خلافته غير نحو خمسة أشهر

وكان بحلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباس بن علي هاجر اليها مختفيا من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الي مصر و بويع له بالخلافة ولقب الحاكم بأمر الله

وكان الفرنج لا يزالون مالكين لكثير من بلاد فلسطين فعزم بيبرس على اخراجهم منها وتجهز للمسير لقتالهم ونهض سنة (٦٦٣) ه من مصر ونازل قيصرية وفتحها وهدمها ثم سار الى أرسوف ففتحها وعاد الى مصر . ثم عاد الى الشام ثانية ففتح جيشه العليقات وحلبا وعرفا ونزل هو علي صفد وضيق عليها الخناق ثم فتحها بالأمان وقتل أهلها عن آخرهم

ثم وجه جيشه الى الأرمن فوصل الي بلاد سيس فانتصر علي صاحبها وغنم منها مغانم شتى وعاد الظاهر الى مصر .

وفي سنة (٦٦٨) عاد الظاهر الي الشام وأغار على عكا فرأي انها لا تنال فتوجه الى دمشق ثم حماة وجهز عسكراً الى بلاد طائفة الاسماعيلية فأخذوا مصياف وعاد هو الي دمشق ومنها الى مصر

وفي سنة (٦٦٩) رجع الملك الظاهر الى الشام فنازل حصن الأكراد وكان للفرنج وملكه ثم تسلم قلعة العليقة و بلادها من الاسماعيلية . ثم جهز أسطولا لغزو قبرس فتحطم وأسر الفرنج من كان فيه من المصريين فلم يثن ذلك همة بيبرس بل أمر بانشاء أسطول آخر للأخذ بالثار ولكنه مات قبل أن يتم ماعزم عليه سنة (٦٧٦) وكان بدمشق ودفن فيها قرب الجامع الأموي وكتم مملوكه بدر الدين بيلبك المعروف بالخاندار موته وارتحل بالجيش ومعهم المحفة مظهراً أن الملك فيها وأنه مريض ولما وصل بدر

الدين الى القاهرة أعلن موته و بايع لابنه بركة خان . وكانت مدة بيبرس نحو ١٧ سنة

تولى بعده ابنه السعيد بركة خان من سنة (٦٧٦) الى (٦٧٨) فقام بتدبير ملكه مملوك أبيه بدر بيلي باي فسعدت البلاد في أيامه الا أن مدته لم تطل فمات وكان السعيد يكره الأمراء ويتهمهم بأنهم قتلوا بيلي باي ثم اختار لوظيفة الاتابكية أي الوزارة آق سنقر فلم يلبث معه الا يسيراً حتي أمر بخنقه فلم يجسر أحد أمراء المماليك أن يتولوا هذا المنصب وأضمروا للسعيد الشر

وفي سنة (٦٧٧) سار الملك السعيد من مصر الى الشام فلما وصل الى دمشق أرسل بعض جيشه بقيادة الاميرسيف الدين قلاوون للاغارة على سيس ببلاد الأرمن فشنوا الغارة عليهم وعادوا منها بالغنائم ، وأجمعوا على الثورة ضد الملك السعيد وخلعه ومروا على دمشق ولم يدخلوها فأرسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم مع والدته فلم يأبهوا به وتابعوا مسيرهم الي مصر فسبقهم اليها الملك ودخل القلعة وتحصن بها فأخذ من معه يتركونه وينضمون للثائرين فأدرك سوء مصيره فأطاعهم على الانخلاع علي أن يعطى الكرك بالشام فأعطيها فذهب اليها

ثم اتفق أكابر المماليك على اقامة أخيه سلامش ملكا فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وشهورا واختاروه بهذا السن ليكون الأمر لهم وأقاموا الأمير سيف الدين قلاوون الألفي وصياً عليه . ثم أجمع الأمراء على خلعه وأرسلوه الى الكرك منفيا

تولى بعده سيف الدين قلاوون من سنة (٦٧٨) الى سنة (٦٨٩) وتلقب بالمنصور فلما علم بذلك سنقر الأشقر الذي كان قلاوون ارسله والياً على الشام أيام كان وصيا أعلن الاستقلال وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر فجهز له الملك المنصور قلاوون جيشا بقيادة علم الدين سنقر الحلبي فبرز اليه سنقر الأشقر فانهزم وهرب الى الرحبة وكاتب اباقا بن هولاكو التتاري يطمعه في ملك الشام وسار فاستولي علي صهيون وبرزنة والشغر وبكاس وعطار وشيزر وفاميه

فسار قلاوون من مصر حتى وصل الي غزة قاصدا دفع التتار عن البلاد وكانوا قد وصلوا الي حلب فعاثوا فيها فسادا ثم عادوا الى بلادهم فعاد قلاوون الى مصر

وفي سنة (٦٨٠) سار قلاوون الى الشام لاصلاح أحوالها فبلغه ان اباقا خان ابن هولاكو سلطان التتار يقصد الاغارة على الشام فلبث حتي وافاه جيش التتار بقيادة منكوتمر بن هولاكو فالتقي الفريقان في ظاهر حمص وحصل قتال عنيف انتصر فيه المصريون انتصارا باهرا فانهزم منكوتمر وكان اباقاخان أخوه يحاصر الرحبة فتبعه في الهزيمة

وفي سنة (٦٨١) توفي اباقا خان ابن هولاكو وتولى الملك بعده تكدار بن هولاكو فأسلم وتسمي احمد وارسل الي الملك قلاوون يعلمه بذلك

وفي سنة (٦٨٤) استولى علي حصن المرقب بالشام وكان للفرنج

وفي سنة (٦٨٦) جهز جيشاً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرنطاي وأمرهم بالمسير الى قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الأشقر كما مر فاضطر سنقر لتسلمها شارطا الأمان. وسار حسام الدين طرنطاي الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج فحصره وتسلمه بالأمان وهدمه ولما وصل سنقر الأشقر الى مصر أمنه السلطان وعفا عنه

وفي سنة (٦٨٨) خرج الملك المنصور قلاوون الى الشام ونازل طرابلس وكانت بيد الفرنج ففتحها ولم ينج من أهلها الا النزر اليسير

ثم عاد الملك المنصور الى مصر وأخذ يتجهز لفتح عكا ولكن المنية أدركته فمات سنة (٦٨٩) بعد أن ملك احدي عشرة سنة وثلاثة أشهر

تولى بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل ففوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا وأراد تتميم مقصد أبيه من فتح عكا فشخص الي الشام ونازل حصن الأكراد وفتحه ثم سار الي عكا وحاصرها ثم افتتحها عنوة وفتك بمن كان فيها من الفرنج وغنم غنائم لاتحصي. فاضطر الفرنج بعد سقوط عكا أن يخلوا صيدا وبيروت وصور بلا قتال وذلك سنة (٦٩٠)

ثم توجه الملك الأشرف سنة (٦٩١) الى قلعة الروم وهي حصن حصين علي

جانب الفرات ففتحها وغنم غنائم عظيمة واستناب عنه بالشام عز الدين ايبك الحموي وعزل علم الدين ايبك الشجاعي وكذلك عزل قرا سنقر نائب السلطنة بحلب واستصحبه وولى مكانه سيف الدين بيلي باي . وعند وصوله الى مصر قبض على سنقر الأشقر وآخرين من أمراء المماليك ولم يعلم عنهم بعد ذلك شئ

وفى سنة (٦٩٣) ركب للصيد في نفر يسير من أصحابه فقصده بعض أمراء المماليك بينهم بيدرا ولاجين وقرا سنقر فابتدره بيدرا بطعنة في كتفه ثم أردفها لاجين بأخري فوقع الملك قتيلا وتركوه ملقي على الارض فحمله ايدمر الفخري الي القاهرة . واليه ينسب الخان المشهور بالقاهرة بخان الخليل أو الخان الخليلي وكان فى مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبناه علي انقاضها

تولى مكانه بيدرا وتلقب بالملك القاهر ولكنه لم يستقر في الملك غير يوم واحد فان مماليك الملك الاشرف قاتلوه ومن معه فتغلبوا عليهم فانهزم بيدرا وتفرق عنه أصحابه فأدركه خصومه وقتلوه ورفعوا رأسه علي رمح واستتر لاجين وقرا سنقر

فاتفق أمراء السلطنة علي تولية محمد بن قلاوون أخى الملك الاشرف فولوه ولقبوه بالملك الناصر وسنه لايزيد عن ٩سنين وعينوا الأمير زين الدين كتبغا وصياعليه . أمالاجين وقرا سنقرفاقطعهما كتبغا الاقطاعات العظيمة ليكونوا عونا له عند طلبه الملك . فانهسنة(٦٩٤) اعتقل الملك الناصر بقلعة الجبل واعلن خلعه وتولية نفسه

جلس كتبغا على سرير الملك ولقب نفسه الملك العادل وجعل لاجين نائبا وفي عهده حدث قحط عظيم حتي أكل الناس الميتة والقطاط

وفي سنة (٦٩٦) خرج الملك العادل من دمشق متوجها الى مصر فلما وصل الي نهر العوجا باغته نائبه لاجين محاربا فكر كتبغا راجعا الي دمشق ولم يجد من يأخذ بناصره فاضطر لخلع نفسه وطلب الي خصمه لاجين أن يعطيه ملكا يأوي اليه فأعطاه صرخد

تولى بعده لاجين من سنة (٦٩٦) الى (٦٩٨) ولكن بعد أن أخذ عليه

المماليك شروطا منها أن لا يستبد برأي دونهم وان لا يسلط مماليكه عليهم فأجابهم الى ذلك . ولقب بالملك المنصور وارسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصوري

وفى سنة (٦٩٧) اغار اغارة على بلاد سيس الارمنية وعاد بغنائم شتى ثم أمر لاجين بعمل غارة ثانية فخاف ملك الارمن فأرسل اليه يطلب الصلح فشرط عليه أن يكون الحد الفاصل بين ملك مصر وملك الارمن نهر جيحون وأن يكون للمصريين كل مادونه من المدن والقري والحصون فأجابهم ملك الأرمن الي ذلك فكان في ذلك مالا يحصي من الثروة

وفى سنة (٦٩٨) وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج

بعد مقتل لاجين اتفق الامراء على احضار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك واسناد السلطنة اليه ثانية فأحسن السياسة واجاد التدبير

فى سنة (٦٩٩) خرج قازان بن ارغون ملك التتار بجيش كثيف فعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ونزل الى وادي مجمع المروج بين حمص وحماة و بلغ الملك الناصر ذلك فنهض له ولقيه في شرق حمص فحدث قتال شديد انهزم فيه المصريون شر هزيمة وتبعهم التتار حتى غزة والقدس وبلاد الكرك وأخذوا منهم غنائم كثيرة

ثم أعاد الملك الناصر تنظيم جيشه وزحف به علي التتار فأجلاهم عن الشام بعد أن هزمهم هزيمة شنيعة

وفي سنة (٧٠٢) حدث زلزال هائل بمصر والشام فأخرب بلادا كثيرة وخرجت المياه من عيونها في باطن الارض فأغرقت خلقا كثيرا

في زمن هذا الملك استبد سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير بالامر حتي لم يبق للملك الناصر غير الاسم فأظهر أنه ينوي الحج فلما انتهى الى الكرك أمر الأمراء الذين حضروا معه بالانصراف وكشف لهم انه جعل قصد الحج وسيلة للمقام بالكرك

فاتفق الأمراء علي تعيين بيبرس الجاشنكير من سنة (٧٠٨ الي ٧٠٩) فاستمر سلار نائبا للسلطنة فتلقب بيبرس بالملك المظفر ركن الدين . ولكن لم يكن امراء المماليك مخلصين له فأخذوا

يستميلون الناس سرا الى الملك الناصر قلاوون المخلوع حتي كثرت احزابهم فلما تحققوا من نفسهم القوة ساروا الي الكرك واعلموا الملك الناصر بما عليه الناس من طاعته ومحبته فلما تأكد الملك من صدقهم سار الي دمشق واستولى عليها ثم بدأ بتجهيز الجيش للمسير الي مصر واخرج بيبرس منها ثم سار حتي وصل الى غزة فاضطر بيبرس أن يخلع نفسه وطلب الأمان وأن يعطي الكرك أوحماة أو صهيون فقال الملك لاعطائه صهيون ولكن بيبرس عاوده الطمع فهرب الي الوجه القبلى طامعا في الاستيلاء عليه فأرسل الناصر من أسره واعتقله فكانت مدة السلطان بيبرس احد عشر شهرا

عاد الملك الناصر محمد قلاوون وتولي السلطنة من سنة (٧٠٩) الي (٧٤١) وكانت هذه المرة الثالثة فلم يحدث في ايامه فتن ولا حروب فصرف جل اهتمامه لتحسين حال الزراع والصناع فراجت التجارة في مدته واغتني الناس وكثرت المحصولات حتى بيع أردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال على ذلك الي أن توفي بعد أن صفا له الجو ٣٢ سنة

تولى بعده ابنه المنصور ابو بكر بن محمد من سنة (٧٤١) الي (٧٤٢) ه وتلقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير أبيه بتدبير مملكته : ولكن لم يكن الملك المنصور أهلا للملك فنزع الى لذاته وشهواته وصار يمشي في طرق المدينة متنكرا مخالطا السوقة فخلعه قوصون بعد أن ملك سبعة وخمسين يوما

تولي بعده الاشرف علاء الدين كجك ابن محمد قلاوون وهو أخو المتقدم ولاه قوصون واستبد عليه . فلما بلغ أمراء المماليك بالشام استبداد قوصون بايعوا احمد بن الملك الناصر أخي أبي بكر وكجك وكان مقيما بالكرك لأن أباه كان قد ولاه عليها فكاتبه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وحرضاه على طلب الملك ، و بلغ الخبر قوصون فأرسل قطلو بغا الفخري بالجنود لمحاصرة الكرك و كتب الي طنبغا الصالحى نائب دمشق للمسير في عساكره للقبض على طشتمر وأخضر وكان قطلو بغا في نفسه شئ من قوصون لاستبداده فلما خرج بالجنود من مصر

بعث بيعته الي احمـد بن الملك الناصر بالكرك وسار الي الشام يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور فاستولي قطلو بغا علي الشام كله بدعوة احمـد و بعث الي الأمراء بمصر فأجابوه وهاجوا الأمة لخذلان قوصون فهجموا علي دوره واقتحموا القلعة وقبضوا عليه وحبسوه بالاسكندرية فمات في الحبس . وخلفوا الأشرف علاء الدين كجك بن محمد

تولى بعده الناصر شهاب الدين احمد ابن محمد من سنة (٧٤٢ الي ٧٤٣) ه اذ قدم من الكرك ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلو بغا الفخري فاستولى على الملك ولقب الملك الناصر وولى طشتمر نيابة السلطنة و بعث قطلو بغا الفخري الى دمشق وقبض على اخضر والى حلب وولى عليها مكانه ايدغمش و بلغ الخبر الى قطلو بغا الفخري قبل وصوله الي دمشق فعدل الى حلب وقبض علي ايدغمش و بعث به الى مصر فاعتقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لارتيابه فيه فاستوحش الأمراء من السلطان وارتاب هو في اخلاصهم فرحل الي الكرك بعد ثلاثة أشهر من بيعته وأخذ معه طشتمر وايدغمش معتقلين و بعث اليه أمراء المماليك بالرجوع فامتنع وقال « هذه مملكتى (أي الكرك) انزل من بلادها حيث شئت » ثم عمد الى طشتمر وايدغمش فقتلهما فعين المماليك مكانه أخاه اسماعيل

تولى اسماعيل بن محمد ولقب الملك الصالح من سنة (٧٤٣ الى ٧٤٦) ه فولي نيابة السلطنة لآق سنقر السلاري . وأرسل الجنود الى الكرك للقبض علي أخيه فيها وهو الملك الناصر المخلوع فحدثت وقائع كثيرة قتل فيها الملك الناصر

استبد الملك الصالح بالملك وقبض علي نائبه آق سنقر واعتقله بالاسكندريه وقتله وولى مكانه انجاح الملك . ثم توفي سنة (٧٤٦) ه

تولي بعده الكامل زين الدين شعبان بن محمد من سنة (٧٤٦ الى ٧٤٧) وهو أخو المتقدم ولقب بالملك الكامل فجعل نيابة السلطان لأرغون العلاوي وأرسل انجاح الملك ليكون نائبا بصفد ثم استرده من طريقه و بعثه معتقلا الي دمشق حتي توفي في معتقله . ثم أطلق الملك الكامل يده بالعسف في أمراء المماليك

خوفا من أن يتألبوا عليه ، ولكن ذلك دعاهم الى التآمر عليه فانتقض عليه طنبغا اليحياوي نائبه بدمشق وقام علي رأس جيش لمحاربته فساق الملك الكامل الجنود الي الشام واعتقل حاجي وحسينا أخويه بالقلعة وثار الأمراء بمصر وركبوا الي قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل أرغون العلاوي نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزماً ودخل من باب السر مختفياً وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدم بينه وبينهما وأغلقوا الابواب . ودخل الأمراء القلعة من بعده فأخرجوا حاجي أخا السلطان من معتقله وبايعوه وقبضوا على الكامل واعتقلوه ثم قتلوه في اليوم الثاني وكان ملكه سنة وشهراً

تولى المظفر زين الدين حاجي ابن محمد من سنة (٧٤٧) الى (٧٤٨) ه وهو السادس من أبناء محمد بن قلاوون الذين تولوا الملك من بعده . فعهد المظفر بنيابة الملك الى أرغون شاه والحجازي وولي طقتمر الأحمدي النيابة بحلب والصلاحي النيابة بحمص . ولم يكن المظفر أقل استبداداً من أخيه الكامل فقبض علي نائبه الحجازي والناصري وقتلهما وأرسل ارغون شاه نائبه الى صفد لينوب عنه بها فاستوحش منه الامراء وانتقض عليه اليحياوي نائب دمشق وتبعه نواب الشام فى الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الأمراء بها للوثوب علي المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد وقبض عليهم وقتل بعضهم واعتقل الآخرين وبعث بعضهم الى الشام فقتلوا بالطريق وكان عددهم خمسة عشر فولى من غده بدلهم . وكان المظفر قد أرسل بعض خاصته لدمشق ليستطلع أمر اليحياوي فحمل الناس علي قتله فقتلوه فاستقام الأمر للمظفر ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الأمراء الى قبة النصر فركب المظفر في مواليه لمقاتلتهم ولما تجددت الثورة بمصر وخرج الأمراء الي قبة النصر ركب المظفر في مواليه لمقاتلتهم ولما تورط في الزحف اليهم أسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه علي تربة أمه خارج القلعة وكان ملكه سنة وثلاثة أشهر

تولي بعده الناصر حسن بن محمد من سنة (٧٤٨ الى ٧٥٢) ه كان سابع

الاخوة أولاد محمد بن قلاوون . لقب الملك الناصر وقام بيقاروس القاسمي بأمر دولته ثم شرع في العسف فعزل أمراء واستعمل غيرهم وقتل ونفي كثيرين منهم وقبض أخيراً على نائبه بيقاروس واعتقله واستعمل بدله الأميرطاز . فأغري طاز هذا بقية الامراء على خلع الناصر ففعلوا

تولى بعده الصالح صلاح الدين بن محمد من سنة (٧٥٢ الي ٧٥٥) هـ وهو ثامن الاخوة من أولاد قلاوون فثارت بينه و بين الامراء فتن أدت الى القتال فانتصر عليهم . وفي أيامه كثر فساد العربان في الصعيد فجرد عليهم الأمير شيخو فقاتلهم وأبادهم . وأمر أن تكون عمائم اليهود والنصاري دون عشرة أذرع وأن يمنعوا من تولي الامور بالدواوين وأن لا يدخل واحد منهم الحمام الا بصليب في رقبته وأن لايدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان تكون أُزُر النصاري زرقاء واليهود صفراء . فكان نتيجة هذا الجنون ان كرهه الامراء فدخلوا عليه وخلعوه

وأعادوا الناصر حسن بن محمد ثانية من سنة (٧٥٥) الى (٧٦٢) هـ فعزل وولى الامراء واستبد شيخو بالدولة وكان سرغتمش رديفه في الولاية الي أن وثب يوما بعض الموالي علي شيخو في مجلس السلطان وضربه بالسيف ثلاثا فأصاب رأسه ووجهه وذراعيه فأمر السلطان بقتل المملوك الذي ضربه . ثم مات شيخو وهو اول من سمي بالأمير الكبير واستقل رديفه سرغتمش بتدبير مهام الملك الي أن نقم عليه الملك فقبض عليه وعلي جمهور من الامراء واعتقلهم بالاسكندرية واستبد برأيه في الملك وكان يأنس بالعلماء والقضاه و يجمعهم في داره و يفاوضهم في المسائل العلمية ويحسن اليهم

وكان للسلطان مملوك اسمه يلبغا رقاه الي أن جعله قائداً لألف فحدث انه استوحش منه فخاف يلبغا على نفسه فالتزم معسكره لايخرج منه فركب اليه الملك الناصر ليلة لاغتياله وكان الخبر وصل الي يلبغا فخرج من معسكره وكمن له مع جنوده في بعض الجهات فلما قرب منهم خرجوا اليه فهرب السلطان ومن معه الي القلعة ولم يجد لجنوده خيولا لأن الخيول كانت بالربيع فلبس الملك لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزلا من القلعة في آخر الليل قاصدين الشام فعثر

بهما بعض المماليك فأحضروهما الى الامير يلبغا فكان ذلك آخر عهد الناس به

تولى بعده محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فلقبه يلبغا بالمنصور وقام بكفالته واستبد بالرأي فامتعض نائب دمشق المسمى استدمر من ذلك فاستقل بدمشق

فلما علم يلبغا بذلك قصده على رأس جيش ومعه الملك المنصور وحاصره فنزل هو واصحابه على الأمان فقبض عليهم واعتقلهم بالاسكندرية وولى الأمير الماردانى نائبا بدمشق وقطلو بغا الاحمدي نائبا بحلب

ثم ارتاب يلبغا في اخلاص الملك المنصور فعزله واعتقله وولي مكانه الملك الأشرف شعبان بن حسن من سنة (٧٦٤) الي (٧٧٨) وكان عمره عشر سنين فلقبه الملك الأشرف وتولى الوصاية عليه

حدث انه في سنة (٧٦٧) قصد ملك قبرس الاسكندرية بأساطيله ونزل اليهاوسيي كثيرا من أهلها ونهبها بعد أن هزم حاميتها ثم عاد من غده موقرا بالغنائم فقصد يلبغا والملك الأشرف الاسكندرية علي رأس جيش فبلغهم وهم في الطريق ان القبرسيين أقلعوا عن المدينة فلم يثنهم ذلك بل قصدوا الاسكندرية وشاهدوا ماحل بها من الويل فعزم يلبغا أن ينتقم من ملك قبرس فأمر ببناء مئة سفينة فلما أوشك هذا الاسطول على التمام ببيروت حدثت عوائق منعته من اتمام مرامه

طال استبداد يلبغا بالناس والامراء الي أن صار يجدع الانوف ويصلم الآذان حتي انه فعل ذلك بأخي استدمر كبير خواصه فاستوحش منه وفاتح الامراء في الثورة على يلبغا وكاشفوا السلطان بذلك فسرح يلبغا الي البحيرة وأخذ الجميع يتشاورون في غيبته علي الايقاع به فبلغه ذلك فحضر الي القاهرة وخلع الملك الأشرف ونصب أخاه (اتوك) ولقبه الملك المنصور واستعد هو لمحاربة السلطان الأشرف لأنه كان غائبا عن القاهرة فلما قرب منهم أخذ جنود يلبغا يرمونه بالسهام ثم ادركته الجنود وانفض اصحاب يلبغا عليه فولى منهزما الي داره فقبض عليه الملك الاشرف واعتقله ثم حدث انه كان مقبلا علي الملك ليتضرع اليه

فقابله بعضهم بالطريق فقطع رأسه

فقام بتدبير الملك استدمر الناصري ورديفه بيبغا الأحمدي وغيرهما من الامراء واظهروا الاستخفاف بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان فركب في مماليكه وجنوده وبعض العامة فهزم الخارجين عليه وقبض علي استدمر فشفع فيه الامراء فأطلقه وأبقاه في وظيفته .

ثم انتقضوا عليه ثانية فقاتلهم وتغلب عليهم وقتل كثيرين منهم واعتقل بعضهم واستدعي سنكلى بغا من حلب وجعله اتابكا واستقدم الأمير عليا الماردانى من دمشق وولاه النيابة

وفي سنة (٧٧٤) توفي سنكلي بغا الاتابك فولي السلطان مكانه الجائي اليوسفي وكان أميرا للسلاح عنده فبطر النعمة وخرج علي مولاه فأمر بقتله فهرب ثم مات غريقا . واستدعي السلطان ايدمر العزي وكان نائبا بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجائي المذكور ورفع رتبته واستقر السلطان الأشرف في دولته مستبدا بالأمر

ثم أراد الملك الأشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة (٧٧٨) فلما انتهى الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض مماليك يلبغا الذين كان قد ردهم الى خدمة الدولة فاضطر السلطان الي الرجوع لمصر من طريق البحر وكان عند سفره استخلف بها ابنه عليا بكفالة قرطاي الطازي فسولت لقرطاي نفسه الانتقاض واتفق مع بعض الامراء علي ذلك فأتي بالأمر علي بن الاشرف و بايعه واستدعي الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وأخذ كفالة السلطان وجعل ايبك البدري رديفا له وأما السلطان فبلغه وقعة القاهرة وهو بالطريق فأسرع بالرجوع اليها وانتهى بمن معه الى قبة النصر ليلا فغشى أصحابه النعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واختفي و بلغ اهل الثورة أمرهم فوثبوا عليهم وقتلوهم . وجاءت امرأة الي ايبك فدلته علي السلطان في بيت جارتها فأخرجه واستدل منه علي الخزينة ثم قتله خنقا وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

تولي بعده الملك المنصور على بن شعبان من سنة (٧٧٨) الى (٧٨٣) ه وقام بأمر دولته قرطاي الطازي ورديفه ايبك البدري . وكان قرطاي كثير

الانهماك على لذاته وشهواته فاستبد رديفه بأمور الدولة واغرى السلطان على اسناد نيابة المملكة اليه فلم يمانعه قرطاي في ذلك وغاية ما فعله انه طلب الأمان لنفسه من ايبك فأمّنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة .

ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه كثيرون من الامراء فندب ايبك الجيش للسير الى الشام وجعل في مقدمته ابنه احمد وأخاه قطاوبجا ثم خرج بالساقة مع السلطان والامراء والجنود . فثار الامراء الذين كانوا بالمقدمة على أخيه فرجع اليه منهزما فاضطر ايبك للرجوع الى القاهرة مع السلطان والجنود فخرج ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع أخيه فأوقعوا به وقبضوا عليه فسرح ايبك اليهم من بقي معه من الامراء ثم هرب واختفي ولم يلبث أن ظهر فقبض عليه واعتقل بالاسكندرية

وأقام الأمراء بيبقا النساطري مكانه فلم يمضوا له الطاعة الواجبة وبقي أمرهم مضطربا فاستدعوا طشتمر من الشام وسلموه زمام الدولة ثم انتقضوا عليه واستدعوه الى القلعة وقبضوا عليه واعتقلوه بالاسكندرية

فقام بالأمر من بعده الامير برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب الأول على الثاني وبعث به الي الاسكندرية فحبس بها ثم قتل . واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان سوي الاسم

تولى بعد المنصور الملك الصالح حاجي من سنة (٧٨٣) الي (٧٨٤) وجعل برقوقا نائبا للسلطنة وكان الملك الصالح صغير السن فقام برقوق بكفالته فولي كثيرين من أصحاب يلبغا الذين كانوا أنصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك ومالت نفوسهم الي أن يستقل أميرهم بالدولة . وكان برقوق حسن السيرة جميل الأثر في البلاد فأنس به الناس وأحبوه وبلغ الامراء هذا الأمر فامتعضوا وأخذوا يتناجون في حيلة ليوقعوا به فنمى اليه خبرهم فقبض عليهم فقتل بعضا واعتقل ونفي البعض الآخر

ثم تفاوض أصحاب برقوق في أمر نصبه ملكا عليهم فجمع في رمضان سنة

(٧٨٤) الخاصة من الجنود والعلماء والاعيان فأجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح و بعث برقوق أميرين من الامراء فأدخلا السلطان الى بيته وتناولا السيف من يده وأحضراه الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على سرير الملك وأتاه الناس يبايعونه وكان الملك الصالح آخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفتهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

أول دولة المماليك الجراكسة الملك الظاهر برقوق وانما دعيت كذلك نسبة الى أصل ملوكها فانهم من الأمة الجركسية

أما برقوق هذا فكان مملوكا اشتراه يلبغا أيام كان نائب السلطنة بمصر فرباه وعلمه الفقه والعلوم الاسلامية المعروفة حتي انه كان يلقبه يلبغا بالشيخ وتعلم أيضا آداب الملك وأتقن الرماية وما زال في خدمة يلبغا الى أن قضى الله عليه فتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا فسجن برقوق هذا في الكرك هو وأمير آخر خمس سنين ثم أطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام اذذاك فاستدعي الملك الاشرف برقوقا وأضافه الي حاشية ولده الامير على فلم يزل برقوق معه حتي صار في دولته نائب السلطنة . ولما توفي السلطان على عين برقوق أخاه السلطان حاجي ملكا ثم طمع فى الجلوس على سرير الملك كما رأيت فتم له ما أراد وخلع السلطان الصالح حاجي واستبد بالامر دونه فى ١٩ رمضان سنة (٧٨٤) كما مر ولقب بالملك الظاهر

لما استتب الأمر للملك الظاهر برقوق قبض على بيبقا الناصري واعتقله ثم أفرج عنه فسار الى حلب وأغري بعض الامراء على الانتقاض على السطان وبلغ ذلك السلطان فاعتقل أولئك البعض من الامراء فاجتمع بعض الامراء الى بيبقا الناصري المذكور بقصد الثورة سنة (٧٩١) واتصل الخبر بطرابلس وكان بها جماعة من الامراء يرومون الفتنة فعمدوا الي الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة وحبسوه . وفعل مثل ذلك أهل حمص وغيرها و بلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فأرسل الجنود لقتال هؤلاء الثائرين . فلما وفد هذا الجيش الى دمشق أرسل سفراء الي بيبقا الناصري

ليعيده الي الطاعة فاعتقل السفراء ولم يجب وسار للقاء جيش السلطان فلما حدث القتال دارت الدائرة على جيوش الملك الظاهر ودخل الناصري دمشق واستولي عليها وعاثت عساكره في نواحيها واستعد السلطان برقوق للمدافعة

أما الناصري فبعد هذا الانتصار عمد الى الزحف على مصر حتي وصل الي بلبيس ثم تقدم الي بركة الحاج وبرز السلطان في مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه وبعض الجنود والعامة يهرعون الي الناصري حتي أن بعض الامراء طلبوا منه الأمان خوفا من بطشه فرأي السلطان ان مركزه قد تحرج فعمد الى ملاطفة بيبقا فكتب اليه بالصلح فأشار عليه أن يتواري بشخصه مخافة ان يصيبه أحد بسوء فتواري وباكر الناصري وأصحابه القلعة واستدعوا السلطان حاجي بن الاشرف وهو الذي خلعه برقوق واستولى على سرير الملك بعده فأعادوه الى ملكه ولقبوه بالملك المنصور واستدعوا الامراء المعتقلين بالاسكندرية فحضروا وركب الناصري وأصحابه للقائهم واشرك الناصري الجوباني في تدبير المملكة

ثم طلب الامراء الملك برقوقا فما زالوا يبحثون عنه حتي استدلوا عليه وتشاوروا في امره فكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبي بيبقا الناصري والجوباني الا الوفاء له فأرسلوه الي الكرك واعتقلوه بها ووكل به بيبقا الناصري أحد خواصه واوصاه بخدمته ومنعه ممن يريده بسوء

أما الامراء الثائرون فجعلوا الجوباني اتابك السلطان المنصور وبيبقا الناصري رأس النوبة الكبري (أي مدبر الدولة) ثم بعثوا بذلار نائبا على دمشق وكمشيقا نائبا على حلب وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كان هواهم مع برقوق منهم سودون والطرنطاي نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بالاسكندرية والشام ثم تتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا اكثرهم واجلوا بقيتهم الى الشام

كان منطاش يريد بدخوله مع الناصري ومتابعة هواه في الثورة على السلطان أن يناله قسط كبير من الأمر والثروة فلما لم يشركوه في الأمر أخذ يوقظ الفتنة النائمة ووافقه عليها كثير من امراء المماليك وبلغ الخبر بيبقا الناصري والجوباني فعزما على نفي منطاش

الى الشام فتمارض وأقام في بيتـه أياما ليحكم التدبير فأرسـل بعض رجال الثورة الى الجوباني فترصدوا له في بيته وقتـلوه وركب منطاش الى الرميلة واجتمع اليه من تابع اهواءه في الثـورة وبرز بيبغا الناصري له وأمر الأمراء بالحمـلة علي أصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الي ذلك فأحجم الناصري عن الحملة في ذلك النهار

وفي الغـد تزايدت جموع منطاش فهاجمه الناصري فانهزم وانفض اصحابه عنـه فهرب لايدري له وجها فاسـتقل منطاش بتدبير الدولة ونصب في وظائفها من شـاء من أصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بأن يقتل السلطان برقوق وكان النـاصري قد أوصاه أن يمنعه ممن يريده بسوء فلم يفعـل وشعر برقوق ان منطاش يريد اغتياله فأرسل غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزموهم وقتـلوا قائدهم واستولى السلطان برقوق علي قلعة الكرك وبايعه أهلها وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه مماليكه من كل جهة . و بلغت أخباره الي منطاش فأوعز الي ابن با كيش نائب غزة أن يسير في جنوده اليه وتردد برقوق في لقائه ثم عزم علي الشخوص الي دمشق فسار اليها ومعـه الف رجل أو يزيدون فأرسل جنتمر نائب دمشق اليه جيشاً لمدافعته فانهزم ذلك الجيش واستمر السلطان برقوق في زحفـه علي دمشق ثم أحس بأن ابن با كيش وجنوده يتبعونه فـكر اليهم ليلا وصبحهم على غفلة منهم فانهزموا واستولى السلطان على مامعهم واستفحل أمره فقصد دمشق ونزل بميدانها فأغلق اهلها أبوابها فأقام محاصراً لها الى المحرم من سنة (٧٩٢)

أما منطاش فانه رأي أن لامناص من مقـابلة السلطان برقوق بكل قوته فخرج من مصر علي رأس جيش ومعـه الملك المنصور والخليفة والقضاة والعـلماء في أواخر سـنة (٧٩١) وكان برقوق اذ ذاك محاصرا دمشق فترك حصارها ونزل بقرب شقحب وحـدثت بين الفريقين هنالك وقعة هائلة انتهت بفوز السلطان برقوق واستحوازه على الملك المنصـور والقضاة والخليفة والعلماء ولحق منطاش بدمشق موهما نائبها بأنه قد انتصر على السلطان برقوق وان الملك المنصور قادم على أثره . ثم ماهي الا أيام حتي وافاه

السلطان برقوق فقاتله وهزمه وأثخن في جنوده ثم عاد الى شقحب وحمل الملك المنصور على التنازل عن الملك وحمل الخليفة والعلماء على اعادة الملك اليه وسار بهم الى مصر فدخلها في ٤ صفر سنة (٧٩٢) فأفرج عن الامراء المعتقلين بالاسكندرية والتفت الى منطاش فأخذ يرسل اليه بالامراء لمقاتلته وكانت الحروب بينهم سجالا حتي انتهي الأمر باضمحلال أمره فهرب الى حي من العرب يقال لهم آل فضل وتزوج منهم وأقام بينهم فصاروا يدافعون عنه . ثم وفد على السلطان برقوق أحد أمراء آل فضل ووعده بتسليم منطاش اليه فوعده السلطان ومناه فرجع ذلك الأمير وقبض على منطاش وسلمه الي نائب حلب و بعث السلطان أميرا من مصر فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الي القاهرة سنة (٧٩٥) فعلق على باب القاهرة ثم دفعه الى أهله فدفنوه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة (٧٩٦) فر احمد بن اويس صاحب بغداد أمام تيمورلنك التتري الذي كان قد ملك أكثر البلاد الشمالية وأثخن فيها وحاصر بغداد فهرب صاحبها المذكور وجاء الي السلطان برقوق مستنجدا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجابه السلطان الى طلبه وجهزه بجنود الى الشام وكان تيمورلنك بعد أن استولى علي بغداد زحف على تكريت وحاصرها ٤٠ يوما وملك ديار بكر والرها . فكتب السلطان الظاهر برقوق الى جليان نائب حلب أن يخرج الى الفرات بجيشه ليترصد تيمورلنك ثم أرسل اليها بمدد من دمشق مع كشيقا الاتابك وغيره وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان الى شعبان من السنة المذكورة متربصا لخصمه وبدا لتيمورلنك أن يقصد بلاد الهند فقصدها فعاد الملك الظاهر برقوق الي مصر

وفي سنة (٨٠١) ه أرسل تيمورلنك للملك الظاهر برقوق يطلب اليه أن يخطب باسمه علي منابر مصر فأجابه السلطان اجابة تدل على الازدراء والاستخفاف وتريه انه عازم علي قتاله وابتدأ الظاهر من يومه يجمع الجنود لمحاربته ولكن

أدركته منيته قبل أن ينفذ ماعزم عليه سنة (٨٠١) ه

تولى بعده ابنه الناصر فرج من سنة (٨٠١ الى (٨٠٩) وكان عمره عشر سنين فظن الناس ان الاحوال تضطرب في أيامه ولكن لم يحرك أحد ساكنا

وفي سنة (٨٠٣) أغار تيمورلنك على بلاد الشام ونازل حلبا وافتتحها ومثل بأهلها تمثيلا شنيعاً فخاف أهل الشام وقدموا طاعتهم اليه . أما أهل بعلبك فامتنعوا عليه فسار اليهم وضيق عليهم الحصار فطلب أهلها الأمان فلم يؤمنهم بل أوغل فيهم قتلا وتمثيلا

فاتصل الخبر بالملك الناصر فخرج بجيشه لملاقاة تيمورلنك الذي كان بجوار بداريا اذ ذاك . فحدثت عدة مناوشات بينهما ثم حدث خلاف في جيش السلطان فعاد فريق منهم الى مصر . ودخل بعض خواص السلطان فخوفه من احتمال وقوعه أسيرا في يد تيمورلنك ومما يتوقع من سوء معاملته له فداخله الذعر فرجع قاصدا مصر من ليلته . فلما علم تيمورلنك بهرب خصمه أحاط بدمشق وملكها وقتل أعيانها وسبي نساءها وأحرقها هي والجامع لأموي وكان فيه جم غفير من الملتجئين اليه من النساء والأطفال والشيوخ فهلكوا جميعا حرقا . ثم أخرب جميع المساجد والمعابد والقلاع وارتكب جنوده من الفظائع مالا يوصف كعادتهم

ثم سار تيمورلنك عن دمشق الى ماردين و بغداد فملكهما وحارب بايزيد السلطان العثماني وقهره سنة (١٤٠٢) ميلادية

وفي هذه السنة أرسل تيمورلنك الى السلطان فرج بمصر هدايا نفيسة واعتذر اليه عما فعله بسورية من الفظائع

وفي سنة (٨٠٨) ه وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج على نفسه واختفي ولم يعلم أحد أين ذهب بعد أن ملك ست سنين وأشهرا

فبايع أهل الحل والعقد أخاه عبد العزيز بن برقوق ولقبوه الملك المنصور ثم ظهر الملك الناصر من مخبأه فأمسك أخاه المنصور عبد العزيز وحبسه ثم قتل فكانت مدة ولايته ٤٧ يوما

فعاد الملك الناصر فرج ثانية . فى سنة (٨٠٨) ظهر أمير عربي اسمه يعبر ابن مهني فوثب على دمشق وامتلكها

وهزم نائب السلطان بهـا وشكا الناس من جوره فقصده الملك الناصر فأزاله عنها وجدد بناء الجامع الاموي

وفى سنة (٨٠٥) اتفق الاميرشيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصـل الى غزة فر بعض عسكره الى الامير شيخ ونوروز فقصـدهما السلطان بمن معه فتوجها الى القاهرة عن طريق بعلبك ووادي التيم فجد في طلبهما حتى أدركهما بالناصرة فاقتتلوا قتالا شـديدا فانهزم السلطان وهرب الى دمشق فحاصراه بها ثم طلب الامان فأمناه . فلما نزل من القلعة قبضا عليه وسجناه وادعي عليـه أحدهم بقتل أخيـه ظلما فحكموا عليـه بالقتل فقتـلوه وألقوه عريان علي مزبلة ثلاثة أيام وأضيفت السلطنة الى الخليفة بمصر المستعين بالله أبي الفضـل العباس ابن محمد العباسي وصـار خليفة وسلطانا مدة ستة أشهر

وكان الأمير شيخ المحمودي الذي ثار علي الناصر يعمل على ان ينال السلطنة فلما ولى الخليفة السلطنـة ولى هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام ثم تطلع الأمـير شيخ المذكور لانتزاع السلطنة من يد الخليفة وتذرع لنيل غرضه بقوله فثاروا على الخليفة وعزلوه من الخلافة والسلطنة معا وولوا السلطنة للأمير شيخ المذكور وولوا الخلافة الفضـل داود العباسي

تولى الملك الأمير شيخ المحمودي الظاهري أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اعتقه وقدمه في المـراتب الي أن صار مقدم ألف في دولة الملك النـاصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام أيضاً وأسره تيمورلنك في حلب ثم نجا من الأسر وكانت له أمور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم انضم الى نوروز نائب الشام في عصيانه ولمـا قتل الملك الناصر وولي الخليفة العباسي كان الأمير شيخ قائداً للجنود بمصر فخلع الخليفة كما تقدم وجلس مكانه في سرير الملك سنة (٨١٥) وتلقب بالملك المؤيد

من صفاته انه كان عاقلا حسن السياسـة فسعدت البـلاد في أيامه ولم يكدرها الا عصـيان نوروز نائب الشام عليه لأنه لمـا رأي استبداده بالمملكة وخيانته العهود التي كانت بينهما بقي يخطب

باسم الخليفة العباسي علي منابر دمشق واستمر واضعا يده علي البلاد الشامية من غزة الى الفرات الي سنة (٨١٧) التي فيها سار الملك المؤيد بالجنود من مصر الى الشام ومعه الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الأربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد فسلم نوروز نفسه فقطع رأسه وأرسله الي القاهرة فعلق على باب زويلة ثم دفن

أقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق أياما لتنظيمها ثم عاد الي مصر واستمر سلطانا على مصر والشام الى أن مات سنة (٨٢٤) وهو الباني لمسجد المؤيد المشهور بالقاهرة بقرب باب زويلة

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الأمراء وبايعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلا لم يتجاوز الثانية فعارض الخليفة في توليته ولكنه اضطر للاذعان فبايع له ولقبه الملك المظفر . وقام الأمير تتر بتدبير الدولة حتى يبلغ رشده ثم طمع في الملك فخلع المظفر وجلس علي السرير مكانه سنة(٨٢٤)

استتب الأمر للأمير تتر وخطب باسمه على منابر مصر والشام وتلقب بالملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلا فتوفي في سنة توليته

تولى بعده الملك الصالح محمد بن تتر من سنة (٨٢٤) الي (٨٢٥) هو ابن المتقدم وكان عمره احدي عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي فصار صاحب السلطة التامة فاستوحش لذلك أمراء المماليك فثار عليه برس باي فقيده وأرسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باي وتعصب له جماعة من الأمراء فخلعوا الملك الصالح محمد بن تتر ونادوا ببرس باي ملكا فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما

تولي بعده برس باي وتلقب بالملك الأشرف من سنة (٨٢٥) الى (٨٤١) وكان عاقلا حسن السياسة فأزال المظالم التي أحدثها سلفه وسعدت البلاد في أيامه واغتني الفقراء . من أعماله التي تدل علي وفور عقله منعه الناس من تقبيل الأرض بين يديه كعادة الملوك الذين سبقوه وابداله ذلك بتقبيل اليد فقط

أرسل في سنة (٨٢٩) جيشا الي قبرس لقتالها ولا تنس ان القبرسيين

سقطوا على الاسكندرية في عهد الأشرف شعبان فأحدثوا فيها من المنكرات مالا يوصف ثم رحلوا عنها فبلغ جيشه الى الماغوصة ثم الي الملاحة وحدث قتال شديد بين الجيشين فانهزم ملك قبرس فأسر عساكر السلطان نحو ٧٠٠ أسير وملك حصن لامسون وقتل أخو الملك وأسر الملك نفسه فأحضروه الي مصر بعد أن نهبوا قصره وأحرقوه وأحرقوا معه دوراً أخري كثيرة وغنموا شيئا كثيراً . ولما بلغوا بملك قبرص الى القاهرة اصطفت جنود مصر صفين أمام باب القلعة وأدخلوا الملك بينهما مقيداً راكباً بغلا فسجن . ثم اتفق الملك مع السلطان ان يفدي نفسه بمئتى الف دينار يدفع له نصفها معجلا والنصف الآخر عند عودته الي قبرص وأن يدفع له جزية سنوية ٣٠ ألف دينار فقبل السلطان ذلك

في هذه السنة أي (٨٢٦) أكملت عمارة المدرسة الاشرفية عند سوق الوراقين بالقاهرة

وفي سنة (٨٣٣) حدث في مصر طاعون شديد اجتاح منها خلقا كثيرا حتى مات في يوم واحد نحو ٢٤ ألف نسمة وضج الناس وصار بعضهم يودع بعضاً كأنهم في ساحة حرب لامناص فيها من الموت الزؤام

وفي سنة (٨٤١) مرض السلطان الملك الأشرف برسباي وحدثت له ماليخوليا فأمر بنفي الكلاب من القاهرة الي الجيزة . ورسم أن لا تخرج المرأة من بيتها فكانت المرأة اذا أرادت الخروج لحاجة حصلت على رخصة من المحتسب وعلقتها برأسها ليباح لها ان تمشي في السوق

توفي الأشرف في تلك السنة بعد ان ملك ١٧ سنة وستة أيام

تولي بعده ابنه العزيز يوسف ولقب الملك العزيز وكان عمره أربع عشرة سنة فقام بتدبير دولة الاتابك جقمق فاستبد بالأمور وصار صاحب الحل والعقد حتى دبت عقارب الفتن بينه و بين بقية الأمراء المماليك فأخذوا في معاكسته وكان الملك العزيز بيد جقمق كالالعوبة . وهمّ جماعة بقتل جقمق فلم يمكنهم انصاره من الأمراء المشايعين له فانتشب القتال بين الطائفتين فهزمت الطائفة الثائرة فاتفق أنصار جقمق بعد هذا النصر العظيم على تمليكه وخلع العزيز فحصل ذلك وتولي

جقمق الملك باسم الملك الظاهر

تولي الملك الظاهر من سنة (٨٤٢) الى (٨٥٧) فتلقب بالملك الظاهر فوزع المناصب والاقطاعات علي حزبه فولى نيابة السلطنة بمصر لأقبغا التمرازي وهو آخر من تولى هذه الوظيفة بمصر لأن المماليك أبطلوها بعده

وفي سنة (٨٤٣) خرج اينال الحكمى نائب الشام عن الطاعة وتابعه على ذلك تعزي برمش نائب حلب فأرسل الظاهر اليهما العساكر ونصب الأتابك اقبغا التمرازي المذكور نائبا بالشام بدل اينال. فسار التمرازي وحارب الثائرين وهزمهم وأسرهم وضرب أعناقهم وأرسل برؤوسهم الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة (٨٥٧) شعر الظاهر بقرب أجله فاستدعي القائم بأمر الله وقضاة المذاهب الاربعة وخلع نفسه من الملك وعين بدله ولده عثمان

انشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويحب الفقراء ويواسيهم

تولي بعده ابنه عثمان جقمق فلقب بالملك المنصور فعين اينال العلائي رئيسا لجيشه. واضطر لنقص مرتبات الجنود لعدم توفر المال لديه فثار عليه الامراء وخلعوه وعينوا اينال قائد جنوده ملكا عليهم وحاصروا الملك عثمان بالقلعة وقطعوا عنه الماء وضيقوا عليه وعلى من معه حتى اضطر للتسليم فقبض عليه اينال وارسله معتقلا الي الاسكندرية فكانت مدته ٤٣ يوما

تولي الملك اينال العلائي ولقب بالأشرف من سنة (٨٥٧) الى (٨٦٥) كان عاقلا حسن السيرة سعدت الأمة في عهده ولم يحدث في أيامه مايهم التاريخ من الحوادث. ولما مات كان الأسف عليه عاما

تولى بعده ابنه احمد فلقب المؤيد وكان عمره ٣٨ سنة وأهلا للملك بصيرا بمصالح الرعية فغدر به المماليك وخلعوه وبايعوا قائد جنوده خوش قدم

تولى خوش قدم من سنة (٨٦٥) الي (٨٧٢) ولقب بالظاهر ولم يكن جركسي الأصل بل روميا اشتراه التاجر ناصر الدين وباعه الملك المؤيد شيخ فاعتقه فبلغ رتبة جامدار ثم صار خاصيكيا في عهد الملك المظفر ثم رقي الى مقدم

الف بدمشق . ولما نقم السلطان علي الأمير قاني بك حاجب الحجاب نفاه واستحضر خوش قدم وانعم عليه باقطاع الأمير المذكور سنة (٨٥٤) ثم صار أميرا للسلاح في دولة الملك الأشرف اينال ولما توفي وتولى بعده ابنه احمد جعل خوش قدم قائدا للجنود . ولما خلع المماليك السلطان أحمد أينال عينوه سلطانا ولقبوه بالملك الظاهر سنة (٨٦٥) فكان حكيما باراً حليما محبا للرعية ساهرا على راحتها فأجمع الكل على طاعته وحبه فحكم ست سنين ونصف سنة كانت كلها سلاما ورخاء وتوفي سنة (٨٧٢)

تولى بعده الملك الظاهر بلباي المؤيدي نسبة الى الملك المؤيد شيخ وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمى الملك الظاهر وكني بأبي نصر ولقب سيف الدين . عين تمربغا قائدا للجنود ووزع بقية المناصب على خاصته وقبض على بعض الامراء وسجنهم بالاسكندرية وقطع مرتبات بعض الخدم فنفرت منه القلوب وحدثت فتنة أفضت الى اجتماع الامراء سنة (٨٧٣) خلعوا فيه الملك الظاهر بلباي بحضور الخليفة والقضاة الاربعة واتفقوا على أن يبايعوا رئيس الجنود تمربغا ثم قبضوا على بلباي وقيدوه وأرسلوه معتقلا الي الاسكندرية فكانت مدة حكمه شهرين الا أربعة أيام

تولي تمربغا سنة (٨٧٣) ولقب بالظاهر وهو رومي الأصل كان كفؤا للحكم وله المام ببعض العلوم . فجعل الامير قايت باي قائدا لجنوده ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الأمراء . ثم وقعت وحشة بينه و بين مماليك السلطان خوش قدم فاتفق رئيسهم خير بك مع بعض الامراء علي خلع الملك الظاهر والبيعة لنفسه فهجموا على قصر السلطان وقبضوا علي جماعة من أمرائه وخيل للأمير خير بك انه قد تم له الأمر فأخذ يوزع المناصب من ليلته . وكان قائد الجنود قايت باي غائبا فأسرع الى مصر تلك الليلة فثار مع رجاله على خير بك واسقطه في تلك الليلة نفسها ودعا الناس الى مبايعته وسار من غده الي القلعة . فلما رأي خير بك ماحل به أخرج السلطان تمربغا من السجن وأجلسه على منصة

الملك وقبل الأرض بين يديديه وقال له اقتلني فقد كنت باغيا عليك. فقال له السلطان: «قضى الأمر ولم يبق لى ولا لك بقاء» ودافع رجاله وخير بك عنه دفاع الأبطال فلم يغنوا عنه شيئا وقبض عليهم قايت باي وسجنهم بالقلعة. وأرسل السلطان تمر بغا مكرما الى دمياط. وكانت مدته ٥٨ يوما

تولى قايت باي من سنة (٨٧٢) الي (٩٠١) ولقب بالملك الأشرف وهو جركسى الاصل كان من مماليك الملك الظاهر جقمق اشتراه من تاجر اسمه محمود فأعتقه وجعله جامدارا ثم خاصيكيا ثم دويدارا وتوفي الظاهر جقمق وتملك الظاهر بلباي فجعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمر بغا جعله أتابك الجنود أي قائدها فتم الأمر كما رأيت سنة (٨٧٢) وسمى الملك الأشرف وكني أبا نصر ولقب سيف الدين

لما تولي هذا الملك كانت البلاد على أسوأ حالات الاضطراب فاستعمل الحزم والعزم فى معاملة المفسدين حتي عادت السكينة الي البلاد وعمها العدل ولم تحدث مدة ملكه الطويلة شيء من الفتن بعصره فالتفت الأشرف الي الخارج ورأي ان هنالك دولة تتربص بمملكته الدوائر الا وهي المملكة العثمانية وكان السلطان العثماني في عصره بايزيد فطمع في الاستيلاء على الشام ومصر فأرسل جيشه سنة (٨٩٢) لفتح سورية فبلغ الملك قايت باي الخبر فأرسل جيشه لصد الترك فحدثت بينهما موقعة قتل فيها خلق كثير من الطرفين وانهزم الترك ورجعوا الى ادنة فتبعهم اليها الجرا كسة وحاصروها وأخذوها منهم

وفي سنة (٨٩٤) طمع الترك في الاستيلاء على حلب فأرسل قايت باي جيشا تحت قيادة قانصوه الشامي فاستولي على بعض بلاد الترك ثم حصل صلح بين بايزيد والأشرف وتبادلوا اطلاق الأسري

مات هذا السلطان وعمره (٨٦) سنة بعد أن حكم ٢٩ سنة وأربعة أشهر وأياما ولم تتفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة وقد خلف كثيراً من الآثار التي تخلد ذكره منها مدرسة بمكة وعمارة المسجد المكي ومدرسة ببيت المقدس ومدرسة بدمشق وأخري بغزة ورابعة

بدمياط وخامسة بالاسكندرية وجامع بالصحراء وآخر بالروضة وغير ذلك

تولى بعده الناصر محمد بن قايتباي من سنة (٩٠١ الى ٩٠٢) وكان عمره ١٤ سنة فانهمك على اللعب فلم يرق في نظر الناس فاجتمع أمراء الجراكسة والخليفة والقضاة وعزلوه وولوا مكانه قائد الجنود قانصوه خمس مئة (لقب بذلك لأنه اشتري بخمس مئة دينار)

تولي قانصوه خمس مئة ولقب بالملك الأشرف فأمر بالقبض على الملك الناصر فتعصب له بعض المماليك وحدث بين الفريقين قتال فتغلب حزب الناصر على حزبه وحاصروه هو ومعه الخليفة والقضاة يومين حتي جرح قانصوه وأغمى عليه فحمله بعض غلمانه وعاد الناصر الي الملك

عاد الملك الناصر محمد بن قايتباي من سنة (٩٠٢ الى ٩٠٤) فتوجه اليه الخليفة والقضاة الأربعة وهنأوه بانتصاره بعد ان كانوا بالأمس مع خصمه قانصوه يفتون له بما يحب ويهوي . ورجع الناصر الى ما كان عليه من اللعب وشرب الخمر حتي سئم الناس وتربصوا به لاغتياله

وفي سنة (٩٠٤) خرج السلطان الى الجيزة فقضى هنالك ثلاثة أيام مع ندمانه وخلانه في أشد حالات التهتك والخلاعة ثم ركب في آخر تلك الأيام عائداً الى القاهرة ولم يكن معه الا ابناء عمه و بعض سلاحداريته فمر علي الطالبية وكان هناك طومان باي الأمير الجركسى فخرج مسرعا للقاء السلطان وسأله أن ينزل عنده فأبي فقدم له كأسا من لبن فوقف السلطان وهو على جواده ليتناول ذلك اللبن وطومان باي آخذ بلجام فرسه واذا بخمسين مملوكا خرجوا من الخيام التى هنالك فعاجلوه بالسيوف فقتلوه شر قتلة ونسب ذلك الى طومان باي

فاتفق المماليك على تعيين قانصوه الأشرفي وهو خال الملك الناصر فبايعوه ولقبوه بالملك الظاهر وكنوه أبا سعيد فعين الأمير جان بلاط قيادة الجنود واستعمل دولتباي في نيابة حلب والأمير قصروه فى نيابة الشام و بلباي في نيابة طرابلس

وكان طومان باي يطمع في السلطنة فهرب الى الصعيد فأرسل اليه السلطان يستدعيه وحلف له بأن يحسن اليه ويكرمه فلم يرجع فأحس الملك الظاهر بقرب

الشر فأخذ يستعد للحصار وملأ القلعة بالمؤن والذخائر وقبض على بعض المماليك المشايعين له ووزع السلاح علي خاصته وحضر طومان باي من الصعيد في رجاله واتفق مع رئيس الجنود وهو الأمير جان بلاط علي احداث ثورة فكان ما أراد واستمرت الحرب ثلاثة أيام وانتهت بهزيمة شيعة الملك وهرب هو في زي امرأة الي المقابر. فعثروا عليه بعد خمسة عشر يوما وأرسلوه الي الاسكندرية معتقلا بعد أن تولي سنة وثمانية أشهر ويومين

تولي بعده جان بلاط ولقب بالأشرف من سنة (٩٠٥) الي (٩٠٦) فأظهر قصروه نائب الشام العصيان فأرسل اليه جان بلاط امير جنوده طومان باي لاخضاعه. ولكن طومان باي هذا بدل أن يحارب الثائر انضم اليه وعادا معاً الى القاهرة لخلع جان بلاط وخاف الأمراء شر طومان فأخذوا يتخلون عن الأشرف وينضمون اليه. وتقدم طومان باي فقبض علي الملك وقيده بقيد ثقيل وأرسله الى الاسكندرية معتقلا ثم أمر بخنقه وكانت مدة ملكه ستة أشهر وثمانية عشر يوما

تولى بعده طومان باي ولقب الملك العادل سنة ٩٠٦) وكان عند بيعته بدمشق فصلى الجمعة بالمسجد الأموي ثم دخل قلعة دمشق وسكنها وخطب له بالشام: ثم قصد مصر وفي خدمته قائد جنوده قصروه الذي كان نائب الشام ففرح به الناس لبغضهم لجان بلاط فلما تمكن طومان باي من الملك قتل قصروه واستخف بالأمراء المقدمين فحقدوا عليه واتفق الأمير قنبل أمير السلاح وقانصوه الغوري الدويدار الكبير وغيرهما علي الثورة عليه فهرب طومان باي واختفي ثم عثروا عليه فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي كان أعدها لنفسه أيام امارته في اطراف الصحراء فكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف شهر

تولي قانصوه الغوري ولقب الملك الأشرف وكان لين العريكة سهل الازالة في أي وقت أرادوا لأنه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا. ولما عرضوا عليه الملك قال لهم اقبله علي شرط أن لا تقتلوني فاذا أردتم عزلى فاخبروني وأنا أتنازل لكم عن الملك فعاهدوه علي ذلك وفرح الناس

بولايته. كان كثير الدهاء والفطنة شديد الطمع كثير الظلم فأخذ يغري بعض الامراء ببعض ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الدسم حتى أباد كبراءهم ودهاتهم

وفي سنة (٩٢٢) بلغ قانصوه ان السلطان سليم العثماني يقصد الشام ومصر فتجهز له وخرج الى دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثماني للمفاوضة معه في الصلح وكان ذلك خدعة من السلطان سليم ليمنع قانصوه من الاستعداد. فخلع قانصوه على الوفد وأرسل الى السلطان سليم الامير مغلباي الدويدار للمفاوضة في الصلح فقبض السلطان سليم عليه ووضعه في الحديد وأراد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه فتركه. ثم أمر السلطان سليم جنوده بأن يسيروا نحو حلب فوصلوا الي عنتاب وملكوا ملطية وغيرهما فلما بلغت هذه الاخبار الملك قانصوه خرج من حلب وسير أمامه النواب والجنود وعاد اليه الأمير مغلباي سفيره وقص اليه ما لقيه من الاهانات وبلغه رسالة السلطان العثماني وهي: « قل لسلطانك أن يلاقينا بمرج دابق » فاضطرب قانصوه من ذلك

وفي يوم الاربعاء ١١ رجب سنة (٩٢٢) رحل قانصوه الي مرج دابق فوصله في ١٥ منه واقبلت عليه جنود السلطان التركي فحصلت بين الفريقين معركة دموية انجلت عن هزيمة الجراكسة وقتل قانصوه الغوري وتشتت جيوشه شذر مذر ووقع كل ما كان معه فى قبضة سليم الأول

كانت مدة ولاية السلطان الغوري ١٥ سنة و ٩ اشهر. من آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية في اول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

دخل السلطان سليم حلب فملكها ثم توجه الي حماة وحمص فاستولي عليهما ثم قصد دمشق فاستقبله أهلها وطلبوا منه الأمان فتم له ملك سورية برمتها فأقام عليها العمال وسار منها الي مصر

تولي بعد السلطان قانصوه طومان باي ابن أخيه وكان يدير الملك في غيبته فلقبوه الملك الأشرف فبدأ يستعد لملاقاة الاتراك. أما السلطان سليم فلم يمهله فقد قسم عسكره الى فرقتين أرسل فرقة من تحت الجبل الأحمر وفرقة لمقاتلة الجراكسة

في الريدانيه فهزمتهم وشتتت شملهم وثبت الملك الأشرف طومان باي يقاتل مع نفر قليل الى أن خاف أن يقبض عليه فهرب واختفي ودخل القاهرة جماعة من الترك شاهرين سيوفهم وذلك في أواخر سنة (٩٢٢) ه

فلما هلت سنة (٩٢٣) أمر السلطان سليم جنوده بالكف عن النهب وأمر باحضار من قبض عليه من الجراكسة فضرب اعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣ من المحرم دخل السلطان القاهرة في موكب عظيم

أما طومان باي فانه لما اختفي جمع عسكرا كثيفا ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم وأحاط بها فنشب بينهم القتال ودام الليل كله واستمر الى اليوم التالى فانهزم الجراكسة بعد أن قاتلوا قتال الجبابرة وكان اشد مالقوه من هذه الحرب مدافع السلطان سليم وبارووده ولم يكن معهم منها شيء

فهرب طوماي باي الى الصعيد ولحق به هنالك كثيرون من الامراء والعساكر فلما قوي شأنه تقدم الى الجيزة فبرز اليه الترك وحصلت بين الفريقين موقعة هائلة أخري تغلب الجراكسة في أولها ثم دارت عليهم الدائرة في آخرها وولي طومان باي منهزماً فلاقاه حسن بن مرعي في ضيعة اسمها البوطة وكان صديقه من زمان بعيد فأنزله ضيفا عنده وحلف له أن لا يخونه ولا يدل عليه واذا بالعربان احتاطوا به من كل جهة وهو لا يدري وأعلموا السلطان العثماني بمكانه فأرسل جماعة من جنوده فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وأتوا به اليه فأبقاه مقيداً أياما وفي يوم ١١ ربيع الاول سنة (٩٢٣) أمر بشنقه على باب زويلة فكانت مدته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما وبموته انقرضت دولة المماليك وأصبحت سورية ومصر فى قبضة العثمانيين

وكانت مصر مقر الخلافة الاسلامية من بني العباس كما قدمنا من عهد السلطان الظاهر بيبرس فكان الخليفة على عهد السلطان سليم المتوكل علي الله محمداً فطلب السلطان الى الخليفة ان يتنازل له عن الخلافة فتنازل له وسلمه الآثار النبوية وهي الراية والسيف والبردة وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين فأصبحت الخلافة في سلاطين الترك من ذلك الحين

وفي سنة (٩٢٣) عاد السلطان سليم الى مقر ملكه بالآستانة بعد ان ولى مصر خير بك أمير الامراء طعمة له طول حياته وكان وعده بذلك من قبل فتولاها ومات سنة (٩٢٦) ه

فصارت مصر مع العثمانيين كما كانت مع الدولة الرومانية يُرسل اليها الولاة لمدد قصيرة فتولاها بعد خير بك مصطفي باشا ثم قاسم جزل باشا ثم احمد باشا الملقب بالخائن سنة (٩٣٠) ه وكان السلطان سليمان بن سليم قد ولى الصدارة أودا باشا وكان احمد باشا والى مصر أقدم منه في الخدمة وكان يؤمل ان يرقي الي رتبة الصدارة قبله فأراد السلطان ان يسترضيه فولاه على مصر فصار الصدر الأعظم يتحين الفرصة لاتهامه بما يوجب قتله فأوعز الي أمراء الجراكسة بمصر أن يجتمعوا عليه و يقتلوه ويولوا أحدهم مكانه الى ان يرسل اليهم والياً جديداً فعثر أحمد باشا على هذه المكيدة فأظهر الاستقلال بمصر وضرب السكة باسمه وكان قد حبس بالقلعة أميرين كبيرين من أمراء المماليك وهما وهب جانم الحمزاوي ومحمود بك وأراد قتلهما فبلغهما انه دخل الحمام فكسرا السجن وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا وناديا من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحته خلق كثير وسار سردارهم جانم الحمزاوي ومحمود بك وتوجها بالجنود الي الحمام فكبسوه على احمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه فأعجله عن حلق النصف الثاني هجوم الجنود فهرب الي سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الي ان وصل الى الأرض فنهبوا جميع ما كان عنده من السلاح والذخيرة ثم اقتفوا أثره فأدركوه بمنية جناج بالغربية فقتلوه في أواخر سنة (٩٣٠) ه وجزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت في باب زويلة ثم جهزت وأرسلت الى السلطان نفسه فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة

تولى بعده ابراهيم باشا سبعة أشهر ثم طلب لتولى الصدارة العظمى فخلفه سليمان باشا الخادم سنة (٩٣١) ه فعين الأمير كيوان سنة (٩٣٣) لمساحة قري مصر وضبط أراضيها كل أقليم على حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك

دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وسميت دفاتر ترابيع سنة (٩٣٣) ثم عينه السلطان باليمن سنة (٩٤١)

ثم تولى خسرو باشا سنة (٩٤١). ثم عاد سليمان باشا الخادم لولاية مصر وبقي فيها الي سنة ٩٤٥)

ثم تولى داوود باشا سنة(٩٤٥)فبني مدرسة عظيمة بسويقة اللالة بمصر ووقف لها أوقافا جمة وبقي بمصر الى سنه (٩٥٥) فكانت مدته احدي عشرة سنة وشهرا وعشرين يوما وتوفي بمصر

ثم تولي مصطفي باشا صغصغان فلم تزد مدة ولايته عن أربعة أشهر ونصف شهر

ثم تولى على باشا الي سنة (٩٦١) فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر و٢٦ يوماً

ثم توالت ولاة لا فائدة في ذكرهم عقبهم سنان باشا سنة (٩٧٥) فورد عليه الامر بالتوجه لفتح اليمن واسترجاعها من الزيديين الثائرين فتوجه اليها ومعه جماعة من اكابر صناجق مصر وكان أولئك الصناجق قد اتهموا بقتل أحد الولاة فلم يرجع منهم الي مصر أحد

فتح سنان باشا اليمن واسترجعها من يد الثائرين الزيديين. ثم تولى بعده اسكندر باشا الفقيه وهو جركسى الأصل فبقي الي سنة (٩٧٩) ثم عاد سنان باشا فأحدث فيها مآثر جليلة ومساجد جميلة وربط وتكايا في كثير من البلاد السورية والمصرية بحيث فاق في ذلك كل من تقدم من الولاة. ثم توجه لزيارة قبر السيد البدوي فبلغه ان الأمير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن غير ملتفت لغير اللعب واللهو ولكنه مع ذلك يستند الى معونة الصدر الأعظم سياوش باشا فخشي سنان باشا من ضياع الأموال الديوانية فعزله عن ولايته وجعل مكانه الأمير علام بن بغداد وقبض علي الامير منصور وسجنه بالقلعة فبقي معتقلا الي أن تولي مصر حسن باشا الخادم فأطلقه وأعاده الى ولايته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات

ثم دعي سنان باشا لتولي الصدارة بعد أن مكث بمصر المرة الثانية سنتين

ومن ولاة الترك بمصر مسيح باشا وليها سنة (٩٨٣) وكان عادلا مهيبا عفيفا

يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطرق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله فانتظمت الاحوال في زمانه وأمن الناس على انفسهم واموالهم وخافه الحكام والولاة وبطلت الرشوة . توفي سنة (٩٨٨) بعد أن لبث بمصر خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولي بعده حسن باشا الخادم فأمر بأن يلبس اليهود الطراطير الحمر والنصاري البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصاري العمائم الزرق . وكان هذا الوالي محبا لجمع المال فصادر أموال الكثيرين من المصريين

تولي بعده الوزير ابراهيم باشا ففرح الناس بقدومه وكان بيده امر سلطاني بمحاسبة حسن باشا الوالى السابق وكان يرجو أن يظفر به في مصر الا انه كان قد سبقه وأقام وكيلا عنه لمقاضاته فظهرت عنده اموال كثيرة أخذها من الناس غصبا . ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الي بئر الزمرذ فأحاط بها علما وأخذ منها بعض الاحجار وتوجه الى الاهرام وأراد الوقوف على سره فلم يستطع الى ذلك سبيلا

ثم تولى اويس باشا فحدثت في أيامه فتن فهرب الناس الي كل فج خوفا من الجنود الثائرة ومنع المصريون من الانتظام في سلك الجندية ومن التشبه بالجنود في ملابسهم وحدثت مناهب ومسالب . وحدث زلزال لم ير مثله في مصر فسقطت منائر بعض المساجد وبيوت وربوع وفاض الماء من حوائط الحمامات وخاف الناس خوفا شديدا . وتوفي اويس باشا سنة (٩٩٩)هـ فكانت مدة ولايته أربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام

تولى بعده احمد باشا حافظ وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأي وتدبير عمر وكالة كبيرة ووكالة صغيرة وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق وصنع سحابة بطريق الحاج ثم ولى الصدارة فسافر من مصر فحزن الناس لفراقه حزنا شديدا لما كان رأوه من عدله وحسن أثره بينهم . ثم انه استقال من الصدارة ومر حاجا فلقيه المصريون باحتفال عظيم أظهروا له فيه ماتكنه صدورهم من حبه والشعور بمآثره

تولى بعده الشريف محمد باشا سنة (١٠٠٤) فأهرع الناس اليه يشكون من كوسة حسن الشاغرت وأحمد السلماني بسبب خيانتهما في جمع الاموال الديوانية فحقق التهم الموجهة اليهما فثبتت عليهما فأمر بشنقهما

ثم عزم على التوجه الي الربيع فنهاه بعض خاصته لما يعلم من تألب البعض عليه فلم ينتبه فذهب وقضى وطره وبينما هو عائد بموكبه الحافل تعرض له الجنود عند باب الوزير فوقفوه وأمروه بالمجيء معهم المحاكمة فلما رأي ان حرسه لا يكفي في الدفاع عنه أوهمهم بأنه قد أطاعهم وسار معهم الي أن وصل الى الرميلة فركض فرسه ودخل القلعة وأقفلها عليه واستمر على ذلك حتي صرف عن ولايته ومما يعزي اليه اصلاحات أحدثها بالازهر

ومن ولاه الترك علي باشا تولاها سنة (١٠١٠) وعند قدومه تكاثرت عليه الشكاوي من الكشاف (أي مديري الاقاليم) واكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فأمر بقتله ثم حدثت شكاوي في حق محمد بن نجاحا كم النخراوية فأمر بقتله أيضاً فهابه الحكام واستقاموا له وخافه الناس كلهم ولقبوه بالنمر

ثم بدا له كأكثر ولاة الترك أن يزور السيد البدوي في موكب حافل فزاره ووزع الصدقات علي الفقراء والجوائز على المستخدمين . وبينما هو راجع تصداه الجنود بالسلاح فطلبوا اليه أشياء كان منعهم اياها فلم يسعه الا أن منحهم اياها وحدث له بعد ذلك غيظ شديد مرض بسببه فطلب من السلطان أن يقيله فأقاله سنة (١٠١٢) ه

في زمنه ظهر بمصر التبغ وولع به السود والسوقة وسري الى بعض الخاصة

ومن ولاة مصر ابراهيم باشا وكان مستبدا برأيه لا ينقاد لنصح ناصح ولا اشارة مشير فأخذ يتتبع عثرات الجنود ويتجسس عن اخبارهم وعن اجتماعاتهم ولاسيما في مجالس الأنس والطرب فانتهز الجنود فرصة وجوده بوليمة ومعه الأمير اللواء محمد خسرو فهجموا عليه وطلبوا اليه مطالب لا يمكن منحها فأغلظ لهم في القول وهمّ الامير محمد خسرو بدفعهم فقتلوه وقتلوا الوالي وحملوا رأسيهما علي جريدتين وعلقوهما بباب زويلة

تولى بعده مصطفي افندي عزمي

زاده سنة (١٠١٣) فلم يلبث غير شهرين وثلاثة عشر يوما

ثم تولى بعده جرجي محمد باشا فألقته الرياح وهو قادم لمصر الى ثغر دمياط فنزل منه وتعقب قتلة ابراهيم باشا فهربوا منه في كل وجه فتتبعهم فمن عثر عليه منهم قتله ومن لم يعثر عليه بقي مشردا . ثم دعي بعد نحو سبعة أشهر لتولى الصدارة العظمي

ومن ولاة مصر محمد علي باشا وليها سنة (١٠١٦) هـ فترا كمت عليه الشكاوي من جميع الجهات عند قدومه لأن الناس كانت في ضنك شديد من تصرف مديري الأقاليم فكان لا يرد على أحد منهم بكلمة ثم أخذ في اصلاح الأمور فاستدعي اليه سليمان ابن درغت كاشف المنوفية وبرويز مجر كاشف الغربية وكوسة على كاشف البحيرة فقتلهم وولي كشافا بدلهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق ان يسيروا بالعدل وأن لا يجحفوا بحقوق مرؤوسيهم وكان من جملة من ولاهم الحلوجي عينه للغربية فتوجه الى بولاق لقضاء بعض مصالحه فلقيه جمهور من الجنود فطلبوا اليه شيئا فلم يعطهم اياه فقصدوه بالسوء فألقي بنفسه الي سفينة هناك ومنها رمي بنفسه الى البحر فغرق فبلغ ذلك الوالى فجمع أمراء الجنود بالميدان ونصب البيرق السلطاني ونادي مناد من كان مطيعا لله ورسوله وأولي الأمر فليدخل تحت لواء السلطنة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الأمراء وأكابر الجنود فلبثوا هنالك ثلاثة أيام ثم مازوا الذين فتكوا بالحلوجي من سواهم وقتلوهم فهدأت تلك الثائرة

ثم ان جنوداً تألبوا من الأقاليم واجتمعوا في المرج والزيات وتحالفوا علي الحرب فأرسل لهم محمد باشا من يعظهم ويردهم الي الطاعة فلم ينتهوا فلم يسعه الا أن جمع جنوده ومعهم بعض العرب وأمر السردار مصطفي بك بمقاتلة الثائرين فساروا الي ان وصلوا بركة الحاج فلما تراأي الجمعان انهزم الثائرون وقبض علي محركيهم وضربت أعناقهم ولم ينج منهم الا القليل فقال أحد شعراء ذلك العصر في ذلك وانما نذكر هذا الشعر ادلالا على ما كانت عليه حالة الأدب في مصر في ذلك العهد قال :

يوم نصر الوزير قد كان عيدا
عيد فطر لفطر قلب الحسود

واذا قلت عيد أضحي فصدق
فضحاياه ضاربات الأسود
ألحدوا في الأنام نهبا وقتلا
فأزيلوا وأسكنوا في اللحود

وقال شاعر آخر مؤرخا :

أنظر انظر الي البغاة ومن هم
لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاؤا بافك
طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج
واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل
لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم الذل فارخت زالوا
وكفي الله المؤمنين القتالا

ونظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشري في ذلك :

بشري لمولانا الوزير محمد
فهو الذي بذوي المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم
تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

ثم دعي محمد باشا المذكور للصدارة العظمى فخرج من مصر في موكب حافل وتقلد الولاية بدله حاجي باشا فلم يبق الا شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ثم خلفه محمد باشا سنة (١٠٢٠) وجاء معه أربعة آلاف جندي من الاتراك كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية فاحتال عليهم وأخذهم معه موهما اياهم باسكانهم مصر واغداق خيراتها عليهم فلما حضروا أمرهم بالاستعداد للسفر الى اليمن فأدركوا ان اخراجهم من بلادهم كان حيلة أريد بها نفيهم الي حيث لايعودون فثاروا ثورة رجل واحد وألقوا بالامر عرض الحائط ثم أظهروا الانقياد فعين الوالى عليهم فندق بك فيروز فلما مروا بباب النصر عادوا الى التمرد فأقفلوا باب النصر والفتوح والقوا خلفهما الاحجار واحتاطوا لانفسهم من كل جانب ومنعوا ضباطهم من الخروج والذهاب الى الديوان مخافة أن يتركوهم وشأنهم لنيران المدافع ثم سدوا الشوارع الموصلة اليهم حتى لا يستطاع ايصال المدافع تجاه معقلهم وتحصنوا وراء متاريس اقاموها وصعدوا الى أسطحة المنازل وعلى مآذن المساجد فتعذر على جنود الوالى التغلب عليهم لانهم كانوا ينالون الجنود من أعالى الأسطحة بالأذي ولا ينالهم من رصاصهم شيء . فجمع الوالى الصناجق

والكشاف ومعهم رجالهم ودفعهم علي الثائرين فلما رأوا ذلك خافوا ورفعوا الحواجز والمتاريس واظهروا انهم اذعنوا للسفر فأحضر لهم الوالى أكثر من ثمانين جملا لحمل أثقالهم فلما انتهت الجمال اليهم أسقطوا أحمالها وضربوها بالسيوف فنفرت ثم عادوا فأقفلوا الابواب وتحصنوا وراءها أعظم تحصين واشيع انهم قتلوا ضباطهم فأمر الوالي بالخروج اليهم فخرج هو ومعه جمع كبير من الامراء الجراكسة وتقدم الأمير يوسف الغطاس ومعه ستة مدافع وتقدم الأمير على فتوصل اليهم من وكالة البطيخ والأمير قاسم والامير عبدي من جهة الخلف ورفع الامير يوسف الغطاس الحواجز والمتاريس ونقب الجنود عليهم أماكن مختلفة فتسربوا اليهم من كل مكان فاضطر الثائرون لطلب الأمان وأظهروا اذعانهم للوالى فنقلهم الي السويس ومنها الى اليمن فدفعت تلك الفتنة وقال شاعر مصر اذ ذاك :

خرج الخوارج للسويس وهججوا
من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت
زالوا فزالت جملة الأنكاد
حفروا لمولانا الوزير محمد
بئرا ففيها أوقعوا لفساد
والله ساعده على اذهابهم
وأمده بنهاية الامداد

حصل في زمن هذا الوزير رخاء عظيم حتي بيع الاردب من القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول بخمسة عشر نصفا والعدس والبازلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والسكر كل قنطار بالوزن الفوي بمئة وستين نصفا وبيعت اللحوم والاسماك بما لايتصوره العقل . وزن القنطار الفوي المذكور هنا (٢٥٢) رطلا .

صُرف محمد باشا عن ولاية مصر بعد أن مكث والياً ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما

تولى بعده احمد باشا الدفتر دار سنة (١٠٢٤) فمر بموكب حافل قاصدا القلعة وكان على عمامته ريشتان من الماس العظيم وبينما هو مار بجهة الجوخيين سقط على عمامته حجر وزنه خمسة أرطال فألقي احدي الريشتين علي الارض ومزق جانبا من الشاش واتهم رجل من أقارب ابراهيم المنصوري الخياط برمي

ذلك الحجر فقبض علي الرامي وشنق وكان ذلك الرامي موصوفا بخلل في عقله فمكث احمد باشا واليا سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام

ومن الولاة جعفر باشا تولاها سنه (١٠٢٨) فلما صدر الامر بتقليده حكومة مصر فرح المصريون فرحا لا مزيد عليه لأنهم كانوا يعرفونه من قبل ، وذلك انه لما أرسل اليا علي اليمن مر بمصر ومكث بها أياما فعرفه الناس بالعلم والفضل والقناعة وكانت له مشاركة في أكثر العلوم . فلما ولى مصر استبشر به الناس وأملوا في حكومته خيرا فخرج لاستقباله يوم مجيئه العلماء والامراء والأعيان فركب في موكب حافل جدا . ولكن الله لم يرد أن يكون على يديه ما يفرح به الناس فداهمهم الوباء الفتاك حتى اشتغل الناس بدفن موتاهم فلما ذهب الوباء واستعد الوالى المذكور لاظهار مواهبه ، والعمل علي شاكلته أتاه أمر بالعزل فذهب مأسوفا عليه

ثم توالت على مصر الولاة الى أن تولى السيد أبو بكر باشا الطرابلسى في ٢٥ ربيع الأول سنة (١٢١١) ه وفي مدته قدم الجنرال بونابرت (نابليون الأول) فاتحا مصر من قبل الدولة الفرنسية فنزل بجيشه الى الاسكندرية ثم زحف على مصر فاستقبلهم جيش مصر عند الرحمانية فانهزم المصريون وحدثت موقعة دموية أخري بالجيزة كان حظ المصريين منها كحظهم من الموقعة الأولي وفر مراد بك الجركسي ومن معه من الذين كانوا يقاتلون في الشاطئ الغربى من النيل الى الصعيد ، وهرب ابراهيم بك الجركسى الذي كان يقاتل في الشاطئ الشرقي الي الشام فدخل الجنرال بونابرت الى القاهرة ونشر منشورا انه ذكر فيه انما جاء لتخليص البلاد من جور الجراكسة وانه لا يتعرض للأهالي في دينهم وعقائدهم وأموالهم وانه يحترم كتاب المسلمين ورسولهم والعثمانيين أيضا. وحدثت من بعض الأهالى مقاومة اضطرت الجيش الفرنسي الي الايقاع بهم ومكث الجنرال بونابرت بمصر سبعة أشهر ثم توجه لفتح الشام في رمضان من تلك السنة وكان بها أحمد باشا الجزار فحاصره بونابرت في عكا حصارا شديدا ولم يظفر به ثم عاد الى مصر بعد ان فقد من رجاله ٤٠٠٠ جندي فحصن القاهرة ببناء القلاع حولها

أما الدولة العثمانية فانها أرسلت الى مصر جيشا مؤلفا من ١٨٠٠٠ رجل من جهة أبي قير لاخراج الفرنسيين تحت قيادة مصطفى باشا فذهب اليهم بونابرت بجيشه وهزمهم وأسر قائدهم وعاد الى مصر ثم بدا له أن فرنسا في حاجة اليه فأخذ بعض قواده معه ونزل من أبي قير ووصل الى فرنسا ناجياً من السفن التى كانت أرصدتها انجلترة للقبض عليه فتولى قيادة الجنود في غيبته الجنرال كليبر فهجم عليه في ذات يوم أحد طلبة الشوام بالجامع الازهر وقتله ولما سئل عن شركائه في الجريمة لم يعين أحداً وانما قال انه جاء من سورية بقصد اغتيال كليبر منذ ثلاثين يوما واختبأ في رواق الشوام بالأزهر وسمي جماعة كان مقيما معهم وهم ثلاثة من العلماء فاتهمهم الفرنسيون بأنهم كانوا يعلمون بقصد ذلك السوري ولم يخبروا عنه فقتلوهم معه وأقفل الجامع الأزهر خشية أن يكون مصدراً للحوادث التي من هذا القبيل

أما انجلترة فلم يرقها احتلال الفرنسيين لمصر لأن هؤلاء كانوا يضمرون معها كسبها بامتلاك طريقها الى الهند فاتفقت مع الترك علي محاربتهم فأرسل السلطان سليم الثالث جيشا تحت قيادة الصدر يوسف باشا من طريق سورية فوصل الى غزة في رجب سنة (١٢١٤) ثم زحف على العريش ففتحها بعد أن حدث بين الفريقين تعاقد على خروج الفرنسيين من مصر علي سفن انجليزية حاصلين علي كرامتهم العسكرية . ولكن الأميرال (كيث) الانجليزي أبلغ كليبر بعد أيام بأن الحكومة الانجليزية لم تقر على هذا الاتفاق وتصر على تسليم الجيش الفرنسى بدون شرط . فغضب كليبر من ذلك وهجم علي الجيش التركي في المطرية فهزمه . ثم عاد الي القاهرة وكان ابراهيم بك الجركسي قد عاد اليها فضربها كليبر بالمدافع وتمكن من دخولها بعد عشرة أيام . فلم يسع مراد بك الا الاتفاق مع الفرنسيين علي حكم مصر تحت سيادتهم وأن يدفع لهم جزية سنوية فدخلت مصر ثانية تحت الحكم الفرنسي وكاد يستقر فيها قدم الفرنسيين لولا حدوث تلك الحادثة التى قتل فيها كليبر بيد ذلك السوري وكان ذلك في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ فتعين مكانه الجنرال منو

وفي أول سنة (١٨٠١) نزل ٣٠٠٠٠ انجليزي الى مصر تحت قيادة الجنرال ابركرمبي من أبي قير فحدثت بينهم وبين جيش منو واقعة انهزم فيها منو هزيمة شنيعة بسبب عدم مساعدة الجنرال رينييه له فاضطر لأن ينسحب الي الاسكندرية ولكنه وقع بها محصوراً وبقي نائبه بليار محصورا أيضاً بالقاهرة مع ٨٠٠٠ جندي فاضطر للتسليم على شروط وقعة العريش الى الأتراك والانجليز المحاصرين له فخرج منها محاطا بالتكريم العسكري وأركب في سفن انجليزية وأعيد الي بلاده . وفى ٢ سبتمبر من السنة المذكورة (١٨٠١) سلم الجنرال منو أيضا علي شروط بليار وأعيد الى بلاده علي سفن انجليزية فتم اخلاء مصر من الفرنسيين

كان في الجنود العثمانية فصائل من الألبانيين والانكشارية والغليونجية وهم من أنواع الجند العثماني فتفرقوا في البلاد لحماية مصر العليا والصعيد . أما الانجليز فنزلوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون الي الاسكندرية ولبثوا فيها ريثما يتم الأمر للباب العالى ويُكبح جماح المماليك الذين كانوا لا يزالون يعملون لنيل الاستقلال

فأرسل الباب العالي محمد خسرو باشا وكان من مماليك حسين قبطان باشا وكانت معه أوامر تحتم عليه قتل المماليك وابادة عصاباتهم بأية وسيلة كانت فأخذ يحاربهم بالصعيد فضاق بهم الأمر فلم يروا وسيلة أفضل من استنجادهم بفرنسا فكتبوا اليها فلم تستطع أن تحرك ساكنا لما كانت فيه من الحوادث الثورية

أما الحملة التي بعثها خسرو باشا الي الصعيد فقد قاتلت المماليك فى عدة مواقع ولكنها لم تفز منهم بطائل . وكان محمد على قد رقي اذ ذاك الى درجة قائد على أربعة آلاف من الالبانيين فبعثه خسرو باشا على رأس رجاله مددا لحملة الصعيد فانكسرت تلك الحملة قبل وصول محمد علي اليها فعزا قائدها انكساره لتلكؤ محمد علي عنه عمدا فعزم خسرو باشا على قتله وأمره بالشخوص اليه ليلا . فأدرك محمد على ماينويه الوالى في حقه فلم يلب طلبه وأعلن انضمامه الى المماليك وبه تمكنوا من اخراج خسرو باشا من القاهرة ففر الى دمياط فعينوا مكانه طاهر باشا ثم حدثت فتنة قتل فيها هذا

الوالي واحتل محمد علي القلعة فقام احمد باشا رئيس الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية لنفسه فطرده المماليك من القاهرة . ثم اتحد المماليك ومحمد على علي محاربة خسرو باشا في دمياط لاخراجه من مصر كلها فأسروه وأتوا به الى القلعة معتقلا

أما الدولة العثمانية فانها لما بلغها هذا الخبر ارسلت الى مصر والياً اسمه على باشا الجزائرلي فلم يصل الى مصر الا بصعوبة ولما تولي الاحكام أخذ يكيد للماليك ومحمد على فدارت الدائرة عليه

والذي فت في عضد المماليك واضعف أمرهم انه كان لهم رئيسان يتزاحمان على السلطة أحدهما محمد بك الألفي والآخر ابراهيم بك البرديسي . فسار الألفي لطلب معونة انجلترة فاغتنم محمد على هذه الفرصة واتفق مع خصمه البرديسي على الايقاع به . فأدرك الألفي انه مقصود بالأذي من الرجلين ففر الي الصعيد برجاله فخلا الجو في القاهرة للبرديسي ولكن محمد علي كان له بالمرصاد يريد اسقاطه ليتم له الأمر نهائيا فأوعز الى رجاله من الالبانيين أن يثوروا ويطالبوا بمرتباتهم فثاروا وهددوا البرديسي بالأذي اذا لم يدفع اليهم مرتباتهم فاضطر لتحصيل الاموال من اهل القاهرة بالعنف فثاروا جميعا عليه فاضطر الي مغادرة القاهرة وذلك سنة (١٨٠٤) فخلا الجو لمحمد على فجمع اليه العلماء والأعيان وتفاوضوا في أمر اطلاق خسرو باشا من سجنه وأن يعود الي منصبه فأقروه على ذلك فأعادوه ولكنه لم يلبث الا يوما واحدا حتى أخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها أرسل الي الاستانة وكان ذلك بمساعي محمد علي ومهارته لنيل مآربه

ثم تظاهر محمد علي بأن الامور لا تستقيم الا بتعيين وال عثماني تركي صميم حر لا جركسى معتوق وأشار على العلماء والاعيان بتعيين خورشيد باشا وكان بالاسكندرية فوافقه الناس على ذلك على أن يكون محمد على نائبا عنه وأرسلوا الى الباب العالي يخبرونه بذلك ويسترحمونه في قبول اقتراحهم

فلما تولى خورشيد باشا رأي ان محمدا عليا مستأثرا بالأمور وان ليس له هو الا الاسم وذلك اعتمادا على رجاله الالبانيين فاتخذ له جنود من المغاربة

اسمهم الدلاتية ليستعين بهم على محمد علي ولكن حدث ان هؤلاء الجنود كانوا يسيئون الى الناس فكرهوهم

وفي ٢ صفر سنة (١٢٢٠) وردالى محمد علي أمر من الآستانة بولايته علي جدة وكان القصد من ذلك اقصاءه عن مصر لما بدا لهم من تطلعه اليها فتظاهر محمد علي بأنه يريد الذهاب الى جدة فثار عليه الجنود يطالبونه بمرتباتهم فقال لهم ان مرتباتكم لدي الباشا الوالى ورجع الى دارة بالازبكية وهو ينثر الذهب فوق رؤوس الناس فازدادوا حباً له وكرها فى الوالى

و بعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ سار العلماء والأعيان الى دار محمد علي وهم يصيحون لانقبل خورشيد باشا والياً علينا . فقال لهم محمد على ومن تريدون اذن ؟ قالوا له لانريدسواك . فامتنع أولا وجعل يرغبهم في خورشيد باشا ويحسن لهم الاذعان له فلم يقبلوا . فاضطر الى موافقتهم فأحضروا له الكرك والقفطان وألبسوه اياهما و بعثوا الي خورشيد باشا يطلبون منه أن ينزل من القلعة فأبي فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالى بذلك واسترحموه في تعيين محمد على فورد اليه الفرمان بالولاية في ١١ وبيع الآخر سنة (١٢٢٠) ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ وعزل خورشيد باشا فخرج من القلعة بأمر من مولاه فغادر البلاد وفي نفسه من الغيظ علي محمد علي مافيه . ولكن المماليك كانوا أشد منه غيظا لما ظهر لهم من خدع محمد علي لهم واسقاطهم في شر اعمالهم الواحد بعد الآخر بعد أن استخدمهم لأغراضه فثاروا عليه وفى مقدمتهم الألفي فانه عند ماعلم بتولية محمد علي ثار عليه وكتب الي انجلترة بأن تساعده علي عزله وهو يسلمها البلاد وعلم قنصل فرنسا بذلك فأخذ يعرقل مسعاه فأخذ يتحد مع محمد علي على شئ يتنازل له عنه فلم يتفقا فعاد الألفي لمخابرة قنصل انجلترة فأقنعت هذه الدولة الباب العالى بوجوب ارسال وال حازم مع العفو عن المماليك فبعث والياً اسمه موسى باشا فقام العلماء والوجهاء ومعهم سفير فرنسا في الآستانة يوضحون للباب العالي مقاصد المماليك من هذه الحركة فثبت محمد على في مركزه ولكنه أمر بعدم التعرض للمماليك بسوء فساعدته المقادير بوفاة البرديسي ثم الألفي فتولى

علي المماليك شاهين بك ولكن كانت سطوة أولئك المماليك قد قلت

أما انجلترة فاعتبرت اعادة محمد علي اهانة لها فأرسلت حملة الي مصر تحت قيادة الجنرال فرازر لارجاع السلطة للماليك ولكن المماليك كانوا قد تشتتوا في البلاد ولم تعد لهم جامعة كما كانت أيام الألفي والبرديسى فأقامت الجنود الانجليزية في ثغور مصر مدة ثم اصطلحت على ابقاء محمد على واليا علي مصر . ثم سعى بعضهم في الصلح بينه و بين شاهين بك زعيم المماليك فتصالحا وقدم هذا الي مصر بالهدايا الثمينة لمحمد على فأكرمه و بني له قصرا لسكناه بالجيزة

أخذ محمد علي بعد أن تم له الأمر علي ما رأيت يصلح ما أفسدته الفتن من مصالح الناس فعين كثيرا من أقاربه الموثوق بهم في الوظائف الكبيرة وكان شديد الحب لأسرته

وفي هذه الأثناء ظهرت فتنة الوهابيين في بلاد العرب وهم طائفة ادعت انها على الحنيفية السمحة وكان صاحب دعوتها يدعي محمد عبد الوهاب ولد سنة (١١١٠) هجرية تفقه وحج وأظهر دعوته فاجتمع عليه الناس فكان من مذهبه ان الناس ضلوا و بدلوا الدين وعبدوا القبور والاحجار باسم زيارة الأولياء والصالحين فاستحال الاسلام الى ديانة وثنية كالتي جاء الاسلام بنقضها وأخذ يشير على أصحابه بهدم القبور والقباب والمآذن وكل مالا يوافق القرآن وجعل القرآن دستوره ورفض جميع المذاهب والأقوال الشارحة للقرآن فاجتمعت عليه أحزاب كثيرة فلما آنس من نفسه قوة فتح نجدا فالحجاز فالحرمين وما زال يوالى الفتوح حتي مات سنة (١٣٠٥) وسنه ٩٥ سنة فاستمر اتباعه يتمون ما عهده اليهم الى سنة (١٢٢٤) تحت قيادة الأمير سعود فأصبح لهم مملكة يحدها من الشمال صحراء سورية ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الأحمر فلم ير الباب العالى طريقة لكبح جماحهم أمثل من تكليف بطل مصر محمد علي باشا بنقض دولتهم

فأجاب محمد على باشا الأمر فجمع جيوشه وأخذ أهبته ولكنه قبل أن يخرج من مصر فكر في أمر المماليك وتحقق انه لو تركهم وشأنهم أحدثوا حدثا

عظيما قد يعجز عن تلافيه فأجمع أمره علي اباداتهم قبل خروجه فأعد أربعة آلاف جندي تحت قيادة ابنه طوسون باشا لارسالها الي بلاد العرب وكتب للباب العالي يطلب اليه ان يرسل اليه بالخشب لبناء سفن لنقل الحملة فأرسل اليه ما طلب فبني بالسويس ١٨ سفينة

وكان المماليك قد يئسوا من الاستقلال لما رأوا عليه محمد علي من العزيمة واليقظة فاكتفوا بالتمتع بأرزاقهم في حالة سلام وهدوء فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وبعضهم الأقاليم الأخري . وكان رئيسهم في أرض له بين الجيزة وبني سويف أقطعها اياه محمد علي باشا

وفي المحرم من سنة (١٢٢٦) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العزب في الصحراء ينتظرون باقي الحملة ومنها طوسون باشا وتعين يوم الجمعة لوداعه والاحتفال بخروجه فأعان ذلك في المدينة ودعي جميع الأعيان لحضور ذلك الاحتفال وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم أن يكونوا بملابسهم الرسمية

فاحتشد الناس يوم الجمعة ٥ صفر وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في قصره وقدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة المعينة أمر محمد علي بالمسير فسار الموكب فجعلت المماليك في الورا. يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب الغرب من أبواب القلعة أمر محمد علي باشا باغلاق الأبواب وأشار الى جنوده الألبانيين باطلاق النار عليهم فأخذتهم النيران من كل صوب فهموا بالهرب فلم يجدوا طريقا فحاولوا الفرار مترجلين فتركوا خيولهم وأخذوا يعدون يمينا ويسارا والجنود تتصيدهم من هنا وهنا وتقتلهم . فقتل شاهين بك رئيسهم امام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الى الحريم أو الى طوسون باشا فلم يتمكنوا من ذلك فقتل في هذه المجزرة نحو ٤٠٠ من المماليك منهم ٢٣ بيكا ونادي مناد في المدينة من وجد مملوكا فليقتله فصار الناس يتصيدونهم ويأتون بهم زرافات الي كخيا بك فيذبحهم ذبح الاغنام . وبهذه الوسيلة لم ينج من زعماء المماليك الا اثنان أحدهما اسمه أحمد بك وكان غائبا بجهة موش والثاني أمين بك وكان قد أتي متأخراً فلما قرب من باب القلعة وسمع اطلاق

الرصاص علم سر المكيدة فهمز جواده وفر لا يلوي على شيء وقيل انه لحق بالآستانة

ثم نزل الألبانيون وأخذوا ينهبون دور المماليك وقصورهم ويسبون نساءهم وفي اليوم التالي نزل محمد علي باشا من القلعة وطوسون باشا معه وطافا بالمدينة ينهون الناس عن النهب ويوعدونهم بالقتل ان هم خالفوا الأمر

وأمر محمد علي باشا بحفر حفر في الارض والقاء جثث زعماء المماليك فيها وحمى نساءهم ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

فلما أمن محمد علي باشا على مصر من تشغيب المماليك أخذ ينظر في أمر الوهابيين لفتح طريق الحج فكتب الي الشريف غالب شريف مكة يخبره بأنه أعد حملة لانقاذه من الوهابيين وطلب اليه أن يمهد له السبيل فأجابه شاكراً ووعده بالاعانة

أما سعود أمير الوهابيين فأنبأته جواسيسه بما تم فاستعد لملاقاة جيش مصر . وسارت الحملة تحت قيادة طوسون باشا بن محمد علي باشا حتي وصلت الي ينبع فملكتها وسارت منها الى صفر وفيها معسكر بن سعود وكانوا قد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتقهقر سعود ورجاله أولا ثم ارتدوا على الجيش المصري فهزموه وغنموا منه جميع ما كان معه من مؤن وذخائر فاضطر الجيش أن يعود الى ينبع

فلما بلغ محمد علي باشا ماحل بجيش مصر أمده بمدد عظيم فأعاد طوسون باشا الكرة حتي أتي الي المدينة فحاصرها وهدم سورها واقتحمها ووضع السيف في حاميتها حتى سلمت فانتشر خبر افتتاح المدينة فى جميع بلاد العرب فخاف الوهابيون وفرح أعداؤهم وكان الشريف غالب في جدة لا يدري ماذا يكون من أمر تلك الحملة فلما بلغه خبر انتصارها طار فرحاً

أما الوهابيون فبعد هزيمتهم في المدينة جلوا عن مكة فاحتلها طوسون باشا بلا قتال وكتب الى أبيه ففرح بذلك فرحا شديدا وجيء اليه بقائد حامية المدينة الوهابي فأرسله الى الآستانة فقتلوه هناك . أما من بقي من قادة الوهابيين فكانوا في مأمن خارج مكة مع ابن سعود

فلما جاء صيف سنة ١٢٢٨ (١٨١٣) علم الوهابيون ان جنود طوسون لا يقوون على حر الحجاز فناوأوهم القتال وافتتحوا تربة وهي واقعة شرقي مكة ثم ساروا الى المدينة فاستولوا على كل ما بينها و بين مكة وتهددوا المدينة فاتصل الخبر بمحمد على فلم ير بداً من ذهابه بنفسه لنجدة الجنود المصرية فسار في جيش عظيم حتى أتي جدة فنزلها في ٣٠ شعبان سنة (١٢٢٨) فلاقاه الشريف غالب بالترحاب و بعد أن أدي فريضة الحج رأي ان الشريف ليس ممن يعتمد عليهم فى الدفاع فخلعه ووضع يده على ممتلكاته وارسله وأسرته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش فيها أربع سنوات ومات

أما الوهابيون فمات قائدهم سعود في ٢٦ من ربيع الآخر سنة (١٢٢٩) ه

فانحطت دولتهم وقام مقامه ابنه عبدالله ولم يكن كفؤا لهذا الأمر فحصلت بينه و بين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تات بفائدة

وفي ٢٨ من المحرم سنة (١٢٣٠) حدثت موقعة فاصلة بين جنود محمد علي باشا والوهابيين تحت قيادة فيصل أخي عبدالله انتهت بهزيمة العرب فتقدم طوسون باشا الى نجد الا انه اضطر الى الوقوف لقلة المؤونة ولم يصل الى درعية عاصمة الوهابيين

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الي مصر فاهتم بتدريب الجنود على النظام الاوروبي فتبرم من ذلك الالبانيون فتركهم وشأنهم وأخذ في تدريب المصريين عليه

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا الي مصر فوجد ان امرأته قد وضعت غلاما كانت حملت به قبل ذهابه فسماه عباسا ولم يعش طوسون بعد ذلك الا قليلا فمات من حمى أصابته بضع ساعات وكان محمد على بالقاهرة حين مرض طوسون فلما بُلغ الخبر اليه أسرع الي الاسكندرية فلما قيل له انه توفي بهت ولم يبد حراكا و بقي على حالته تلك ثلاثة أيام . ونقلت جثة طوسون باشا الي القاهرة ودفنت بقرب الامام الشافعى وراء جبل المقطم حيث مدفن الأسرة الخديوية

ثم عاد محمد على باشا الي رشده بعد صدمة ابنه فأخذ يفكر فى إبادة الوهابيين بعد أن استنقذ منهم الحرمين

فكتب الى عبدالله بن سعود بأن يرد الاموال التى سلبها من الحرم النبوي والكعبة وان يتأهب للمسير الى الاستانة . فأجابه معتذرا عن المسير اليه وقال عن تلك الاموال انها قد وزعت في عهد أبيه وأرسل له هدايا فاخرة فأعاد محمد علي اليه هداياه وكتب له يهدده ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الي ابنه ابراهيم باشا . فسارا ابراهيم باشا بحملته من القاهرة في النيل الى قنا ومنها في الصحراء الى القصير ومنها الى ينبع ثم الي المدينة وتربص هناك يستعد للهجوم فالتف حوله العرب المخلصون لأبيه ولما اكتملت قواته شهر الحرب فما زال يحارب حتي قبض على زعيم الوهابيين عبدالله بن سعود فأرسله الي أبيه فوصل الي القاهرة في ١٨ من المحرم سنة (١٢٣٣) فأذن له بالمثول بين يديه فقبلهما فرحب به كثيرا لأنه كان معجبا بجسارة الوهابيين ثم أرسله الى الآستانة فطافوا به في اسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه وخلع السلطان على ابراهيم باشا خلعة سنية وسماه واليا علي مكة . فلما وصلت هذه الاخبار الى درعية عاصمة الوهابيين هدموا مدينتهم وفروا هاربين فاحتلها الجنود المصريون وانتهى أمر الوهابيين

أما محمد على فانه نال من السلطان لقب خان مكافأة له على اخلاصه وبسالته وهو لقب لم يمنح لأحد من رجال الدولة غير حاكم القرم

ثم فكر محمد على باشا في افتتاح السودان فجند خمسة آلاف من الجنود النظامية وبعض العربان وجعل معهم ثمانية مدافع وأرسل الجميع بقيادة ابنه اسماعيل باشا فسارت تلك الحملة من القاهرة في شعبان سنة (١٢٣٥) ه الموافقة لسنة (١٨٢٠) م عن طريق النيل فقطعت الشلال الاول والثاني والثالث حتى السادس فأتت شندي والمتمة بعد أن أخضعت كل مامرت به من القري والبلدان بدون مقاومة ثم سارت الي سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم فدخلت سنار و بورنيو و كوردفان في ملك الحكومة المصرية . ثم سار اسماعيل باشا الي فزغل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب وفشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم وصلت اليه نجدة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار

فقوي أمره فأبقي صهره في كردفان وسار هو بجيشه الي المتمة على البر الغربي من النيل ثم اجتازه الي شندي في البرالشرقي لجباية المال وجمع الرجال فاستدعي اليه ملكها واسمه (النمر) وقال أريد منك أن تملأ قاربي هذا من الذهب وأريد فوق ذلك الفين من الرجال . فأخذ النمر يستعطف الباشا ليتنازل عن هذا المقدار فقبل منه بدل الذهب عشرين الف ريال من الفضة فأجابه الي ما أراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المهلة فطلب اليه اطالة الأجل فضربه اسماعيل باشا بالشبك في وجهه قائلا له اذا كنت لا تدفع المال فوراً فليس لك الا الخازوق . فسكت النمر مضمراً له الشر ولكنه كظم غيظه ووعده بأداء المال . وأخذ يأتي بأحمال من التبن ويضعها حول معسكره موهما انه يحمل اليه علفا للبهائم حتي أحاط المعسكر بتلك الاحمال وفي المساء جاء هو في نفر من رجاله يزمرون ويرقصون على أسلوب بلدهم وكان اسماعيل باشا جالسا مع أركان حربه وخاصة رجاله فطربوا لذلك واجتمع الناس فما زال الناس يكثرون حتى صار الباشا ورجاله محصورين واذ ذاك أمر النمر رجاله بالهجوم فهجموا فقتل اسماعيل باشا ورجاله ثم اشعل التبن أيضاً فاحترق كثيرون من الجنود ولما أصبحوا قتلوا الباقين واستاقوا جميع ما كان معهم في معسكرهم من الأموال والسلاح

فلما بلغ صهره أحمد بك الدفتردار ماحصل اشتعل غضبا وأقسم لينتقمن من السودانيين بقتل عشرين ألفا من رجالهم فقاتلهم وبر بقسمه فهدأت الاحوال ولم يعد يستطيع أحدهنالك ان يحرك ساكنا وتم فتح السودان . وبقي احمد بك المذكور والياً عليه الي سنة (١٢٤٠) ثم أبدل برستم بك

وفي سنة (١٢٣٩) أرسل محمد على باشا حملة مصرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورة من بلاد اليونان الثائرة فأبلى المصريون في تلك الحرب بلاء حسنا . ولكن الدول الاوربية ساعدت اليونانيين بأساطيلها فتم لهم الفوز

ثم حدث بين والي عكا وبين محمد علي باشا عداء فأرسل الأخير ابنه ابراهيم باشا لقتاله سنة (١٢٤٧) ه الموافقة لسنة (١٨٣١) م فسارت الحملة براً وبحراً

فاستولت حملة البر على غزة و يافا بغير كبير مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار قاصداً عكا فحاصرها براً وبحراً نحو خمسة أشهر ثم هجم عليها هجوماً عاماً فسلمت له . ثم زحف قاصداً دمشق فأخضعها و بارحها الي حمص

أما الدولة العثمانية فعدت ابراهيم باشا خارجاً عليها وأرصدت له جيشا في حمص تحت قيادة محمد باشا والى طرابلس فحدثت بين الجيشين معارك انتهت بأخذ المصريين حمص فهال السوريين أمر الجيش المصري فسلمت له حلب بدون قتال وحذا حذوها غيرها فلم يسع الباب العالى الا ارسال السر عسكر حسين باشا علي رأس جيش لوقف ابراهيم باشا عند حده ولكنه لم يكن حظه أحسن من حظ محمد باشا والى طرابلس فانهزم الى الاسكندرونه فزحف اليه ابراهيم باشا وكسره هنالك أيضاً وأخذ في الزحف شمالا فلم يجد مقاومة تذكر وزحف قاصدا قونية وكان السلطان محمود قد أرصد له هناك جيشاً عرمرما تحت قيادة رشيد باشا وكان ابراهيم باشا قد قوي جيشه بما جمعه من الجنود الجديدة من البلاد التى افتتحها فحدثت بين الجيشين معارك انتهت بهزيمة رشيد باشا فانفتح أمام المصريين طريق الآستانة فتداخلت الدول الاوروبية ولاسيما الروسيا فأرسلت الي محمد علي البرنس مورافيف تطلب اليه أن يأمر ابنه بالوقوف والا اضطرت لصده فبعث والى مصر لابنه بالوقوف ثم حدث بين الدول اتفاق مؤداه أن تكون سورية قسما من مملكة مصر وان يكون ابراهيم باشا حاكما عليها وجابياً لخراج ادنة وقد تم ذلك الاتفاق سنة (١٨٣٣) م وهو المدعو اتفاق كوتاهيا .

فعاد ابراهيم باشا الى سورية يدبر امورها وجعل مقامه أولا في انطاكية وابتني له فيها قصرا وثكنات وولى اسماعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا علي ادنة وطرسوس . فثار على ابراهيم باشا السلط والكرك وامتدت الفتنة الى أورشليم ثم تفاقم أمرها فبلغت السامرة وجبال نابلس . وهجم المسلمون بصفد علي اليهود ففتكوا بهم وفعلوا بالمسيحيين مثل ذلك بالناصرة و بيت لحم وأورشليم وأصبحت سورية كلها شعلة من نار فلم يسع محمد علي باشا الا أن حضر بنفسه

اليها وشتت شمل الثائرين الا النابلسيين فانهم قاوموه طويلا ثم انتهى أمرهم بالاذعان . ثم هاجم السلط والكرك وهدمهما فهدأت الاحوال قليلا . ولكن الثورة ما عتمت أن ظهرت بجبال النصيرية فأرسل اليها محمد علي جنودا اتحدت مع المارونيين والدروز فقمعوها . ثم سعي ابراهيم باشا في تجريد السوريين من السلاح ففعل ولكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين

فأخذ محمد على يعمل لتوسيع دائرة حكمه وشرع يتأهب لذلك بجمع الجيوش والخيول فلم ترق تلك الحركات في نظر السلطان محمود فأرسل حافظ باشا على رأس ثمانين الف مقاتل سنة (١٨٣٩) لمحاربة محمد علي وكان قد شخص الى السودان تاركا القاهرة لتدبير حفيده عباس باشا فلما عاد اليها علم بما أعده الباب العالي فكتب الى ابنه يستحثه فحشد جيوشه في حلب لدفع العثمانيين ثم علم ان معظم الاهالى يرغبون في حكم دولتهم الاصلية ويستعدون للتسليم متي لاحت لهم الفرصة وكان أشدهم ميلا لذلك الدروز تحت قيادة بطلهم شبلي العريان .

حدثت معارك شديدة بين الجيش التركي والجيش المصري في نزيب انتهت بهزيمة الاول متقهقرا الى مرعش . وكان السلطان قد أرسل اسطولا لاحتلال الاسكندرية فأصابها ما أصاب الجيش البري . وتوفي السلطان محمود قبل أن يبلغه خبر هذه الهزائم

فرأت الدول أن تعقد مؤتمرا دوليا للفصل بين الدولة العثمانية وتابعتها الحكومة المصرية وكان ذلك سنة (١٨٤٠) فاجتمع هذا المؤتمر بلوندرة فقضى أولا باعتبار محمد علي تابعا للدولة العثمانية

فلم يبال محمد علي باشا بقرار المؤتمر معتمدا على جيش له يبلغ ١٧٠ الف جندي علي تمام الاستعداد والدربة ولكنه بعد قرار الدول أخذ في زيادة هذا الجيش فضم اليه تلاميذ المدارس حتى استخدم فيه الجرحي والمرضى . فعرضت عليه معاهدة لندرة فلم يوافق عليها فأعطي عكا ترضية له وطلب اليه أن ينسحب من سورية فأبي

فاضطرت انجلترة أن تنفذ نص القرار بالقوة فأرسلت بجيوشها الى صيدا

فتقهقر ابراهيم باشا الي الجبل . وكان الكومودور (نابيه) قد سار في اسطول انجليزي بحري الي بيروت وكانت تحت ادارة سليمان باشا الفرنسي وكانت على أحسن مايكون من التحصن فجاءته الاخبار بأن ابراهيم باشا قتل فلم يرد المقاومة قبل أن يتحقق من الخبر فترك بيروت بعد أن ترك عليها الميرالاي صادق بك فوصل اليها الاسطول الانجليزي قبل أن يعود سليمان باشا فاضطر صادق بك للفرار وبلغ سليمان باشا ان ابراهيم باشا لايزال حياً وانه يأمر بالدفاع فعاد فوجد ان صادق بك قدفر وخشي صادق بك عاقبة عمله فانضم هو ورجاله الى الانجليز . ثم سار الاميرال نابيه من بيروت الي عكا فحاصرها ففر اسماعيل بك فيمن معه من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد علي باشا الصلح فقبله وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ولما أرادوا تقريرها عارضت الدول في ذلك وبقيت الأمور علي حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالى ومحمد على باشا فأراد السلطان عبد المجيد ارضاء محمد علي باشا فأعطاه مصر بالوراثة بشرط أن يكون له الحق المطلق في اختيار خلفه من ذريته فتردد محمد على باشا بادئ الرأي ثم أمر جيوشه بالانسحاب من سورية وكان عددها عند ذهابها اليها ١٣٠ الفا فلم يعد منها الا ٥٠ الفا فكانت خسائرها ٨٠ الف جندي وكان التعب قد بلغ من تلك الجنود حداً لايطاق

وصدر اليه فرمان بالولاية سنة (١٨٤١) ثم فرمان آخر بولايته على بلاد النوبة ودارفور وكردفان وسنار فأرسل ابنه سعيد باشا لتقديم فروض الشكر على هذا الانعام . وفي سنة (١٨٤٦) قصد الآستانه بنفسه لتقديم شعائر الاخلاص للسلطان فنزل ضيفا علي صديقه رضا باشا ثم مثل بين يدي السلطان فرحب به ولما أراد تقبيل حاشية ردائه على العادة التركية أمسكه السلطان بيده وأجلسه الي جانبه وحادثه ساعة وزار محمد على في هذه السفرة خصمه القديم خسرو باشا الذي كان واليا على مصر وصافاه . ثم بعد نحو شهر من وصوله الي الآستانة قصد مسقط رأسه (قوالة) فبني فيها مدارس وملاجئ ثم

بارحها الى مصر فقوبل بأعظم مظاهر التكريم وكان يستقبل الناس أفواجا وعلى صدره الطغراء العثمانية تتلألأ كالشمس

وفي منتصف عام (١٨٤٨) بدت على محمد علي باشا آثار الانحلال العقلي من الطعون في السن فلم يكن بد من تولية ابراهيم باشا مكانه فتوجه بنفسه راجياً تثبيته فثبته السلطان . وكان بابراهيم مرض مزمن فعاوده فمات في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ فدفن في مدفن الأسرة الخديوية جهة الامام الشافعي

(اعمال محمد على باشا) استولي محمد على باشا على مصر وهي في منتهى درجات الفوضى في كل ضرب من ضروب الشؤن الاجتماعية فبذل في تخليصها منتهى جهده فبدأ اولا بانقاذها من الفوضي الحكومية وسعي لذلك سعياً حثيثا وارتكب في سبيله مسألة ابادة المماليك وهو عمل قاس جدا الا انه ربما كان ضروريا اذا تأكد نزوعهم الى الثورة عند اول فرصة . فكان اصلاح نظام الحكومة اساسا للاصلاح الاجتماعي فسعي بعد ذلك في ضبط الادارة في البلاد وتوحيد السلطة فيها ومسح الأراضى الزراعية وتقرير الضرائب عليها .

كانت الأراضي المصرية الى ذلك الحين ملكا لبيت المال وكانت على قسمين قسم يزرعه بعض الناس بوضع اليد وليس عليه ضريبة وقسم تعطيه الحكومة للناس ليزرعوه وتلزمهم دفع الخراج عنه فكان الفلاح يعجز عن دفع مايفرض عليه فيضرب وتصادر ممتلكاته فكان الناس يهربون من وجه الحكومة حتى لا تلزمهم بأخذ أراض للزراعة . فكانت تضطر الحكومات السابقة لاعطاء الأراضي الخراجية لبعض الاقوياء من الناس باسم ملتزمين وهم يلزمون الناس بزرعها ويحصلون منهم ماتفرضه الحكومة وكانت الحكومة تمدهم بسلطة واسعة . فلا تسل عما كان يحدث من جراء ذلك من التعديات والمظالم وضروب الضغط .

فلما استتب الأمر لمحمد على باشا مسح الأراضى وقسمها الي مديريات ومراكز ونواح وعين عليها المديرين والوكلاء والمأمورين والجباه وأبطل الالتزامات ووزع أراضي كل جهة على

أهلها فبلغ بعض الأنصبة ثلاثة فدادين وبعضها خمسة وجعل للنواحي مشايخ أعطاهم اطيانا معفاة من الضرائب وعين الضباط المتقاعدين في الجهات لارشاد الأهالى لوجوه الاستغلال

ثم أنشأ الدواوين ومنها ديوان المعاونة وظيفته النظر فيما يعرض عليه من الدواوين الأخري . ومنها الديوان الخاص وكان يقوم بأعمال دواوين الداخلية والخارجية والضابطة . ومنها ديوان الاشغال وديوان المبيعات وديوان الفردة ثم انشأ بعد ذلك ديوانا للأمور الخارجية خاصة وديوانا للعسكرية وديوانا للمالية وديوانا للأوقاف وديوانا للمعامل ودواوين للتفتيش والحقانية والترسانة والأبنية والمدارس وكلها ترجع الى ديوان المعاونة

ثم انشأ مجالس للقضاء وأوجد لها ما تستدعيه من النظامات والأصول ورتب ادارة البريد براً وبحرا وانشأ تلغرافا بالاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة علي خط واحد من المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة

وأنشأ الضابطة لتأييد الأمن العام وفرق رجالها في انحاء البلاد فأمن الناس على اعراضهم واموالهم

ونظر الي الزراعة فجلب اليها الصنوف الضرورية كالقطن والنيلة وغيرهما واكثر من غرس الحدائق والاشجار وأقام سدودا في أبي قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها وانشأ كثيرا من الجسور والترع والمساقي وأبدل الخولة بالمهندسين في اعمال الري وبعث كثيرا من المصريين الى أوروبا لدرس فن الزراعة والعلوم الطبية وغيرها . وبني القناطر الخيرية عند رأس الدلتا لحجز مياه النيل عن الاندفاع الي البحر الابيض بدون جدوي . وقد كانت مياه النيل قبل ذلك تفيض في الصيف فتغرق بلاد الصعيد وتنصب الي الوجه البحري فتروي الأراضي البور والمزروعة علي السواء فاذا ذهب دور الفيضان وجاء دور التحاريق لم يوجد في النيل مايكفي لري الأراضى القابلة للزراعة فكان الناس لا يستفيدون منها . ولكن جاءت قناطر الدلتا فغيرت الحالة اذ جعل لها ابوابا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء

فاذا اقفل باب أحد فرعي النيل انصرف الماء الى الفرع الثاني فروي الأراضي المحتاجة للماء ومنع الماء عن الأراضي البور

وأما اصلاحه للجندية فكان من أظهر هذه الاصلاحات. كانت الجندية في مصر وقفا علي الجراكسة أوالألبانيين والمغاربة والانكشارية ومن جري مجراهم وكانوا كثيرا ما يعيثون في البلاد فساداً وكان أسلوبهم الأسلوب القديم العقيم فأبدل هذا كله وأنشأ عسكراً على النظام الأوروبي واستقدم له مدربين من الفرنسيين وأنشأ المدرسة الحربية لتخريج الضباط وكان مركزها بالخانكاه قرب المطرية وجعل سراي مراد بك الزعيم الجركسي بالجيزة مدرسة للفرسان وأنشأ مدرسة أخري للمدفعية. وهذا كله تم برأي الجنرال (سيف) الذي استقدمه محمد على باشا من فرنسا لتدريب جيشه. ثم أسلم هذا الجنرال فيما بعد وسمى نفسه سليمان باشا الفرنسي الموجود تمثاله الآن في ميدان سليمان باشا بالقاهرة. فكان من أثر هذا التعليم العسكري انتصارات ابراهيم باشا علي الجيوش العثمانية في سورية والأناضول

وأنشأ محمد على باشا في الاسكندرية داراً لصناعة السفن جاء اليها بأساتذة من الانجليز والفرنسيين وبني في الاسكندرية حصونا منيعة لدفع الغارات الأجنبية وهي قائمة هنالك للآن وان كانت لا تغني شيئا امام القنابل الجديدة

ثم انه أخذ في تنشيط حركة التجارة فأنشأ ميناء الاسكندرية وكانت المينا آن المصريتان مينائي رشيد ودمياط وحفر ترعة بين النيل والاسكندرية دعاها بالمحمودية نسبة الى السلطان القائم اذذاك فتقاطر الي الاسكندرية التجار من جميع اصقاع أوروبا وأقيمت فيها المباني على الطراز الأوروبي فأصبحت من أجمل المدن المصرية في قريب من الزمن

ثم التفت للصناعة فبني المصانع والمعامل في جميع ارجاء مصر وجلب اليها مهرة الأساتذة من أوروبا لتعليم المصريين فكان بمصر معامل لعمل الأقمشة البيضاء والطرابيش والجوخ والورق والحرير والكتان والصوف. واتخذ معامل لصنع الأسلحة والذخائر الحربية

ثم نظر للأمور الصحية فأسس بمصر

مدرسة طبية بقصر العيني وهو منزل الزعيم الجركسي ابراهيم بك السبرديسي خصمه القديم وعين عليها الدكتور كلوت بك الفرنسي لتخريج الأطباء وبني مستشفي بأبي زعبل قرب المطرية وأنشأ مجلساً صحياً ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات وأطباء للجيش وأخري للأهالى وعين أطباء لمراعاة الأحوال الصحية في المديريات

عرف محمد علي باشا ان العلم قوام الحياة الاجتماعية فأخذ في نشره في البلاد فافتتح المدارس الأولية والثانوية والعالية وساق اليها الناس بالاجبار لأن المصريين كانوا يتخيلون أن أبناءهم يؤخذون بهذه الوسيلة الي الجندية . وعزز هذه النهضة بارسال ارساليات سنوية الي أوروبا لتخريج كبار الرجال في المعارف الضرورية

وأنشأ مطبعة أميرية وأمر بترجمة كثير من الكتب العلمية وأنشأ جريدة رسمية هي الوقائع المصرية وأسس ديوان المهندسخانة وغير ذلك

(صفاته وأخلاقه) كان محمد علي ربعة فى الرجال عريض الجبهة مشرق الوجه بارز حجاجي العينين أسود المقلتين غائرهما صغير الفم كبير الأنف فيه هيبة يخالطها وداعة . وكان سريع الخطوات ثابتها ، وكان اذا مشى جعل يديه متماسكتين من الخلف غالبا وكان لباسه على نحو لباس المماليك على رأسه الطربوش العسكري ثم لبس العمامة وأبدل لباسه العسكري بلباس واسع

كان يكره أن يستكثر من الحاشية فلم يكن علي بابه الا رجل واحد لخفارته وكان اذا جلس أمسك بيده حقة العطوس (النشوق) والسبحة . وكان يميل للعب البلياردو والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط . وكان أكثر جلوسه مع القناصل والسياح الكبار الذين كانوا يلقبونه بعبيد المماليك أو محيي البلاد المصرية

كان محمد علي باشا طاهر القلب مع دهاء كبير ، وكان سريع التأثر لا يعرف كظم الغيظ . وكان مع وفور عقله كثيرا ما تروج لديه الدسائس . ولكنه كان كريم النفس سخياً فيعطي بسعة وقد يسرف في البذل أحيانا . وكان يحب الاطلاع على سياسة أوروبا وله من يترجم له أطوارها

وصل محمد علي باشا الي درجه والي مصر وهو أمي فابتدأ يتعلم القراءة والكتابة بعد ان بلغ الخامسة والأربعين وكان شديد التمسك بالاسلام ، كثير الهواجس السياسية يأرق كثيرا ويتقلب علي فراشه ولذلك وكل اثنين من الخدم يتناوبان السهر في حجرته ليغطياه كلما انكشف جسمه . وكان من أسباب أرقه شهقة ارتجافية كانت تتردد عليه كثيراً وكان أصيب بها عقب ذعر شديد أصابه في بعض وقائع الوهابيين . ولكنه مع هذا كان نشطا يهب من نومه في نحو الساعة الرابعة ويقضي نهاره في أعمال المملكة الشاقة

فالناظر في صفات هذا الرجل والمتأمل في سيرته يحكم لأول وهلة بأنه كان واحدا من النوابغ الذين يوجدهم الخالق في ادوار خاصة من حياة الأمم لانهاضها واخراجها من حال الى حال فهو أحد افراد يمكن عدهم في العالم الانساني كله علي الأصابع . فتدبر كيف كانت أحوال الحكم في هذه البلاد ، والى أي حال كانت وصلت الارتباكات فيها ثم انظر كيف تغلب على كل هذه العقبات و وصل من رتبة ضابط صغير الي الجلوس على منصة الاحكام فدبر أمورها على الاسلوب المطلق الذي لم يشاركه فيه مشارك ثم قاوم العوامل الداخلية والخارجية التي كانت تقاومه وتغلب عليها كلها حتي خلا له الجو ولم يصرف بقية أيامه متمتعاً بلذة السلطان على ماعهد في الشرق كله اذ ذاك بل انصرف الى تنظيم ادارة البلاد واعداد الأمة للنهضة العلمية والصناعية مستخدما في ذلك كل الوسائل المعروفة علي غير مثال رآه فيما حوله فلم يدع وسيلة عمرانية الا استخدمها لذلك حتي انقلبت حال مصر من طور الى طور آخر ، كل هذا يسمح للناظر المنصف أن يعتقد بأن محمد على هذا كان نادرة الشرق في عهده ، ونابغة الاسلام في عصره ، وممن لا يُسمح بمثله الا نادرا

يعيب بعضهم على هذا الرجل قسوته في ابادة المماليك وصرامته في قمع الفتن التي كانت قائمة في البلاد ، وامتداد مطامعه للجلوس على عرش الشرق كله . فأما ابادة المماليك فكانت ضرورية في نظرنا لأن تلك الطائفة كانت لا تزال تتحين الفرص لاثارة القلاقل في البلاد

فان كان استطاع محمد على فى حياته أن يكبح جماحها بيد من حديد فما كان يؤمن شرها بعد وفاته ولهذه الطائفة تاريخ طويل في الفتن والقلاقل غص بها تاريخ مصر وقد أتينا علي طرف منه فى هذه المادة فابادتهم كان من باب استئصال الشر من جرثومته . وقد حذا حذوه السلطان محمود فأباد جيش الانكشارية برمته وكان يعد بالآلاف رماهم بالمدافع في ثكناتهم حتى هدمها علي رؤسهم . وسبقه بطرس الأكبر فأباد جيش روسيا القديم على هذا النحو أيضاً وما كانت تركيا ولا روسيا تفلحان بدون احداث هذه المجزرة الفظيعة

أما امتداد مطامعه الى بسط سلطانه على الشرق كله فلا يعاب عليه لأنه كان سنة الاقوياء في تلك الازمان حيث كان التغلب احد مقومات الحياة الشرقية أحدثه غفلة الشعوب عن ذاتها وهي حالة عرضية كانت ملازمة لمزاج الشرق اذ ذاك لا يمكن لقوي أن يتخلف عن المضى في تيارها

وولد هذا الرجل الكبير سنة (١٧٦٩) في قرية قواله من مقدونيا من أب اسمه ابراهيم أغا كان متولياً خفارة الطرق ولد له سبعة عشر ولداً فلم يعش له منهم الا محمد على فتوفي ذلك الوالد سنة (١٧٧٣) وتبعته والدته ولم يكن ولدهما يزيد عمره عن أربع سنين . فأصبح محمد على يتيما ليس له الا عم اسمه طوسون أغا فكفله وكان موظفا بقوالة فصدر أمر الباب العالى بقتله فقتل . فأشفق علي محمد على صديق لوالده اسمه شربتجي فأخذه يربيه مع أولاده ولا تسل عن حالة يتيم يربي بين أولاد آخرين فلقي من ذل هذه الحالة ما كان يحدثه لذويه بعد ارتقائه منصة الحكم فقال مامعناه :

« رزق أبي بسبعة عشر ولدا فلم يعش له غيري فكان يحوطني بعنايته ويلحظني باهتمامه حتي توفاه الله فأصبحت يتيما لا أجد عائلا فكنت أسمع أترابي يقولون ماذا عسى ان يكون مصير هذا الغلام المنكود الحظ بعد فقده والديه ؟ قال فكنت أتغافل عن هذا الكلام شاعراً باحساس غريب يدفعني الي النهوض فكنت أجهد نفسى في كل عمل أتعطاه حتي كان يمر علي أحيانا يومان لا آكل ولا أنام فيهما الا يسيراً . قال ومما قاسيته

اني كنت مسافرا يوماً في سفينة فغرقت فتركني رفاقي وشأني في السفينة ونجواهم على قارب كان بها ، فجعلت أقاوم الامواج وأعمل جهدي للنجاة حتي تحطمت يداي من التشبث بها علي الصخور التى كانت تدفعني اليها تلك الأمواج وما زلت أجاهد حتى وصلت الى تلك الجزيرة سالما وهي الآن قسم من مملكتي

ومما يحكي عنه انه كان وهو صغير يتردد على رجل فرنسي مقيم في قوله اسمه المسيو ليون من كبار تجارها فكان يسعف محمد على بحاجاته فلم ينس رحمه الله هذه المبرة فبعث اليه سنة (١٢٨٠) استقدمه الي مصر ليكرمه جزاء عنايته به وهو طفل فلبي دعوته ولكنه توفي قبل أن يتممها فأسف عليه محمد على باشا وأرسل الى شقيقته هدية ثمنها عشرة آلاف فرنك

رُبي محمد على باشا ببيت شر بتجي فتعلم الضرب بالسيف والجريد وما يتعلمه ابناء تلك البلاد فلما بلغ أشده انتظم في سلك الجندية تحت أمرة مربيه فأظهر في تحصيل الضرائب مهارة فائقة فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوجه من بعض قرابته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فترك الجندية وأخذ في الاتجار فى الدخان فاكتسب شهرة في حسن معاملاته . ومازال تاجرا الي سنة (١٨٠١) أي الي أن بلغ سنه (٣٣) سنة واذ ذاك عول الباب العالى علي استرداد مصر من الفرنسيين وأخذ يجمع الجنود فانتظم محمد على في فرقة البحرية برتبة معاون لعلي اغا ابن مربيه على ثلاث مئة جندي الباني . فجاءت بهم السفن الى أبي قير فتغلب الاسطول الفرنسى على اسطول العثمانيين فنزل محمد على الى البر مع جنوده وترك له رئيسه القيادة وعاد الى بلاده فترقي محمد علي الى رتبة بكباشي وحدث منه ماحدث بعد ذلك مما رأيته تفصيلا في هذه المادة . توفي سنة (١٨٤٨) بالغا من العمر (٧٩) سنه

تولى بعده ابنه ابراهيم باشا وعمره نحو ٦٠ سنة وقد تقدمت سيرته ضمن سيرة أبيه لانهما عملا معا في مصر وكان ابراهيم باشا عضد أبيه في كل مشروع شرع فيه ولد بسنة (١٢٠٤) ومال من صغره للاعمال الحربية وكان فيه مواهب كبار القواد واعماله في مصر والشام والمورة

والسودان تشهد له بالحذق والبراعة . وكان يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية وله اطلاع على تاريخ الأمم الشرقية .

تولى امارة مصر سنة (١٢٦٥) عقب تنازل والده فسار على خطواته ولكنه كان على غير أخلاق أبيه فانه كان شديداً صارماً كما هي صفات رجال العسكرية وكان أبوه لين العريكة حسن السياسة حكيما . لم يتول ابراهيم باشا الأحكام غير شهر واحد ثم توفي وأبوه حي

كان ربعة في الرجال ممتلئ الجسم قوي البنية مستطيل الوجه والانف أصفر الشعر في وجهه أثر من الجدري قليل النوم. كان نقش خاتمه (سلام على ابراهيم)

خلفه عباس الأول وهو ابن طوسون باشا بن محمد علي ولد سنة (١٢٢٨) وربي تربية حسنة وكان محباً لركوب الخيل رافق عمه ابراهيم باشا في حملته على الشام وشهد أكبر الوقائع الحربية هناك . وفي سنة (١٢٧٥) تولى زمام الأحكام في مصر بعد وفاة عمه وكان جده يحبه حباً جماً

شرع في مد الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية وأنشأ المدارس الحربية بالعباسية ومد أسلاكا تلغرافية .

كان له ولد اسمه الأمير ابراهيم الهامي باشا زار الآستانة فزوجه السلطان ابنته وهو والد الأميرة والدة عباس باشا الثاني الخديو السابق .

من مآثر عباس باشا الأول بناؤه لمسجد السيدة زينب ووضعه الحجر الاول بيده . ولما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا أرسل مدداً لها وشيع رجاله بنفسه وألقى عليهم خطاباً مؤثراً

توفي عباس باشا الأول مقتولا قتله بعض مماليكه ببنها سنة (١٢٥٠) الموافقة لسنة (١٨٥٤).

خلفه سعيد باشا بن محمد علي باشا. ولد سنة (١٢٣٧) كان محبا للعلوم بارعا فيها وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية والبحرية والرسم . وكان يجيد التكلم باللغة الفرنسية

من آثاره الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية والشروع في مد غيره ونظم لوائح الأطيان وارجعها من المتعهدين الى أربابها وعدل الضرائب ونزح ترعة المحمودية . وفي أيامه أخذ دولسبس مشروع انشاء قناة السويس بمساعدته

وبنت مدينة بورسعيد وغرس الأشجار في طريق المنشية

وفي السنة الثانية من حكمه وضع أساس القلعة السعيدية على رأس الدلتا ولكنها خربت الآن

ثارت في أيامه مديرية الفيوم على الحكومة فأخمد ثورتها . ولما ختن نجله طوسون باشا أطلق جميع المسجونين حتى القتلة . وفي سنة (١٢٧٦) زار سورية وكان في أثناء سيره في الطرقات ينثر على الناس الذهب

خلفه اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا ابن محمد علي . ولد سنة (١٨٣٠) وتولى الأحكام سنة (١٨٦٣) وخلع سنة (١٨٧٩) وتوفي سنة (١٧٩٥) .

كان لوالده ثلاثة أولاد ذكور أكبرهم البرنس احمد باشا ولد سنة (١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل باشا ثم البرنس مصطفى باشا ولد سنة (١٨٣٢) وكان البرنس احمد باشا من نوابغ أولاد محمد علي باشا يشبه ابراهيم والده خلقا وخلقا ولكنه توفي فصار أكبر أولاد ابراهيم باشا نجله اسماعيل فتولى الملك

رُبي اسماعيل باشا في مدرسة خاصة بالقصر العالي فتلقى مبادئ اللغات العربية والتركية والفارسية وشيئا من الرياضيات والطبيعيات فلما بلغ السادسة عشرة من عمره أرسله جده مع ولديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك والبرنس احمد باشا الى أوروبا مع عدد من شبان مصر لتلقي العلوم بباريز تحت اشراف اصطفان بك الارمني فقضوا في الدراسة بضع سنوات تلقوا فيها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر في عهد عباس باشا فمكث اسماعيل باشا على صفاء وسلام الى أن حدث شقاق بيتي بين عباس باشا وسعيد باشا بن محمد علي بشأن توزيع التركة أدى الى خصام بين الطرفين فانحاز جميع أفراد البيت الخديوي الى سعيد باشا فسافروا الى الآستانة لعرض شكواهم على السلطان عبد العزيز فأرسل السلطان فؤاد افندي وجودت افندي من نوابغ رجاله فأصلحا بين عباس وأقاربه فعادوا جميعا الى مصر الا اسماعيل فبقي في الآستانة فعينه السلطان عضواً في مجلس أحكام تركيا

وفي سنة (١٨٥٤) توفي عباس باشا وخلفه سعيد باشا فعاد اسماعيل الى مصر

فولاه عمه رئاسة مجلس الأحكام فنظمه على مثال مجلس أحكام تركيا

وفي سنة (١٢٦٠) أفضت الولاية اليه بموت عمه سعيد باشا فأخذ في تنظيم البلاد بفتح الشوارع العظيمة وغرس الأشجار على جانبيها وتشييد المباني الفخمة وانشاء الترع والمصارف بسخاء عظيم

من أعمال اسماعيل باشا سعيه في نيل رتبة الخديوية وكان أباؤه يلقبون بالولاة و بذل جهده في جعل الوراثة منحصرة في أولاده لافي الأرشد من الأسرة وصدر له الفرمان بذلك سنة (١٨٧٣)

ومما يؤثر عن اسماعيل انه سهل على الاورو بيين والامريكيين سكني البلاد المصرية بقصد نقلها من حالتها الشرقية الى حالة تشاكل بها المدنية الغربية فبذل للجالية الأجنبية كل مساعدة وأيدهم في مشروعاتهم المالية وفتح أمامهم طرق المكاسب استدراراً لأموالهم فأقبلوا على مصر برؤس أموالهم طلبا للأرباح العظيمة

وفي سنة (١٨٦٩) احتفل اسماعيل باشا بافتتاح قناة السويس فدعا لحضور هذا الاحتفال ملوك أوروبا فحضرت ملكة الانجليز وأوفد نابليون الثالث امبراطور فرنسا امرأته بدلا عنه وأقام لهم مآدب وزينات يقصر عنها وصف الواصف فبلغت نفقات هذا الاحتفال ستة عشر مليونا من الجنيهات

وفي عام (١٨٧٢) تعدي الاحباش على حدود مصر وأسروا بعض المصريين وكان اسماعيل باشا يود توسيع نطاق مصر بأخذ البلاد الحبشية فأعلن الحرب على الحبشة فلم يوفق لفتحها

وفي سنة (١٨٧٣) قصد زيارة السلطان بالآستانة فاستقبل هنالك استقبالا عظيما وعاد فاحتفل المصريون بقدومه أعظم احتفال

وفي هذه السنة احتفل بتزويج أولاده الثلاثة توفيق باشا وحسن باشا وحسين باشا (سلطان مصر الحالى) فأقام لذلك أفراحا يقصر عن وصفها قلم أبلغ البلغاء صرف عليها أموالا طائلة

قلنا ان اسماعيل باشا كان ينفق بسخاء عظيم في مشروعاته العمرانية واحتفالاته العامة فكان ايراد مصر

لا يكفي لسد هذه النفقات فيضطر للاستدانة من مصارف أوروبا فبلغ دين مصر في عهده ٩١ مليون جنيه وهو مبلغ باهظ بالنسبة لحالة الميزانية اذ ذاك. وقد كان الدين على عهد سلفه (٣٢٩٣٨٠٠) فقط. وكانت فائدته ٧ في المئة. وكانت هذه الديون قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضُم الدينان في ٧ مايو سنة (١٨٧٦) الى دين واحد. فرأي اسماعيل باشا ان توحيد الدين على هذه الصورة لايتم فأصدر أمرا في ١٨ نوفمبر باصدار سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه بضمان الخطوط الحديدية المصرية وميناء الاسكندرية وفائدته ٥ في المئة وسماه الدين الممتاز

ولكن المالية المصرية لم تكن على حالة تستطيع معها توفية الاقساط المطلوبة للدائنين ولا فوائد هذه الملايين فاضطرت الدول لتعيين لجنة مالية مختلفة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فحضرت تلك اللاجنة وفحصت الحسابات فوجدت فيها عجزا مقداره مليون ومئتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن أملاكه الخاصة وأملاك أسرته للحكومة وهي التي تعرف بأملاك الدومين وتقرر اقتراض ٨ ملايين جنيه ونصف لتسوية الحسابات وجعلوا أملاك الدومين رهنا لها وهذا هو الدين المعروف بدين روتشيلد

كانت أعمال الحكومة تجري بارادة الخديو المطلقة ولكن لما تعين المراقبان الأجنبيان علي المالية اضطر اسماعيل باشا لمشايعة النظامات الدستورية فعين وزارة لتدير أمور المصالح المختلفة تحت رئاسة رئيس مسؤل امامه فتشكل مجلس النظار برئاسة نوبار باشا وصادق علي تعيين المراقب الانجليزي ناظرا للمالية والمراقب الفرنسي ناظرا للاشغال. فرأي مجلس النظار أن يقتصد من النفقات العسكرية فأحال كثيرين من الضباط على المعاش فثار أولئك المعزولون وعددهم ٤٠٠ ضابط ومعهم جنود كثيرون وحاصروا المالية وطلبوا صرف رواتبهم وكانوا للمراقبين والوزراء بعنف وعلت الضوضاء وكاد يحدث مالا تحمد عقباه فحضر اسماعيل باشا فهدأ الثائرة. فاستقال نوبار باشا ورياض باشا لما آنسوه في أعمال الخديو من المخاطرة فأصدر أمره بتعيين

ابنه توفيق باشا رئيسا لمجلس النظار ولكنه عاد في ٧ ابريل سنة (١٨٧٩) فأسقط هذه الوزارة ودعا شريف باشا لتأليف وزارة وطنية باحتة وأمره بعدم قبول المراقبين الأجنبيين لما رآه منهما من معارضة مشروعاته . فلم ترض انجلترة وفرنسا بهذه الاهانة وأصرتا على وجوب اعادة الوزيرين وهددتا اسماعيل باشا بالعزل فأصر الخديو على رفضهما فسعت تانك الدولتان لدي الباب العالى فأصدر أمره بعزله في ٢٥ يونيو سنة (١٨٧٩) وأتي فرمان بتولية ابنه توفيق باشا

من أعماله تقسيم مصر الي ١٤ مديرية وتأسيس مجلس دعاه مجلس النواب علي نحو مجلس شوري القوانين وتنظيم القضاء الأهلي والشرعي وجعله لكل روابط وحدود . ووضع نظام المجالس الحسبية وانشاء المحاكم المختلطة بمساعي وزيره نوبار باشا وقد جاءت رحمة على المصريين بالنسبة لما كان حاصلا في مصر اذ ذاك من جراء اطلاق يد المحاكم القنصلية

وبيان ذلك ان للأجانب في مصر امتيازات خاصة بهم فلا يحاكم واحد منهم مدنيا ولا جنائيا الا امام قنصله فكان اذا تعامل أحد الأجانب مع أحد المصريين وحدث بينهما خصام ترافعا الي القنصل فكان يحدث من ذلك سوء تفاهم كبير بسبب جهل المصريين بلغة أولئك الأجانب من جهة و بسبب عدم حيازة تلك المحاكم القنصلية لجميع الضمانات التى يستدعيها الفصل بين الخصوم . فهضمت بذلك حقوق كثير من المصريين فلم ير اسماعيل باشا بداً من ابدال هذه الفوضي بمحاكم مختلطة تعين الدول اعضاءها تحت رئاسة قضاة من المصريين للفصل في الخصومات المدنية التي تقع بين الأجانب أو بينهم و بين المصريين وعهد اليها أيضاً النظر في المخالفات فكانت نتيجة تأسيس هذه المحاكم ضمان حقوق المصريين ووجود الوئام بينهم و بين الأجانب وكان من أحسن نتائجها حصر سلطة القناصل وتضييق دائرتها

وكانت مصلحة البريد تابعة لشركات أجنبية فجعلها اسماعيل باشا مصلحة أميرية وعهد بادارتها الي بعض الأكفاء من الأجانب

وزاد في مطبعة بولاق أدوات كثيرة

وأمر بترجمة كتب عديدة وطبعها ونشرها وأسس بالمطبعة معملا للورق . وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد فظهرت أولا جريدة التجارة ومصر والوطن (قبل عهدهما الأخير) والاهرام والكوكب الاسكندري وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليعسوب ونزهة الافكار وحديقة الابصار ووادي النيل (قبل عهده الأخير) فحدثت نهضة عربية وكان اسماعيل باشا يحب العلماء ويجيزهم الجوائز العظيمة وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلاميذ بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقيها بيده وقد يقف عند تقديمها تنشيطا لهم

ولم يكن في مصر حين تولد الاحكام الا الخط الحديدي الممتد بين الاسكندرية والقاهرة فأنشأ كثيرا من الخطوط الحديدية في شرق البلاد وغربها ومد الاسلاك التلغرافية وبلغ مقدار ما صرف على ذلك نحو عشرة ملايين جنيه

ومن آثاره مدينة الاسماعيلية على قنال السويس وأنشأ منارات في البحرين الابيض المتوسط والأحمر وجعل سورا على حديقة الأزبكية وغرسها أشجارا ضخمة . وبني بنايات كثيرة بالقرب من طرة ليجعلها معامل للبارود والأسلحة ولم يستخدمها لذلك وبني ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية بحلوان . وبني مرصد العباسية وكثيرا من معامل السكر وحفر قنوات للري وأقام على النيل جسورا عظيمة فمن تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس . ومن أعظم القناطر قنطرة قصر النيل (الكوبري) وبني حوضاً لترميم السفن بالسويس

وقد أبطل الرقيق في زمنه وتم فتح السودان وبلغت جنوده ما وراء خط الاستواء وعُني بتحسين أحوال السودان فمهد شلال عكة وفتح سداً كبيراً جنوب فشودة طوله ستون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الأبيض فسهلت طرق التجارة . وأعاد رونق المدارس اليها بعد ان كانت أخذت في الاضمحلال بعد عهد جده محمد علي وأسس مدارس أخري . فمن التي أسسها أورقاها مدارس المبتديان والتجهيزية ومدرسة الهندسة والمساحة والألسن والعمليات والادارة واللسان القديم والتجارة ومدرسة البنات بالسيوفية

وغيرها . وفي عهده حلت الماسونية مصر فأدخلها تحت حمايته ودخل في سلكها نجله توفيق باشا

وفي عهده ارتفع سعر القطن الى ١٦ جنيها القنطار الواحد وذلك لوقوع الحرب بين أمريكا الشمالية والجنوبية فأصاب المصريون ثروة طائلة . الخلاصة انه كان لا يعيب اسماعيل باشا الا بذله حتي وقعت البلاد تحت اعباء الديون

كان اسماعيل باشا ربعة في الرجال ممتلئ الجسم قوي البنية عريض الجبهة كث اللحية يميل الى الصفرة و بعينه ميل الي الحول أو ان أحديهما كانت أكبر من الأخري قليلا ولقد كان عظيم الهيبة حتى ان مخاطبه كان يندفع الي طاعته كأنه مسوق بزاجر نفساني لا يمكن التغلب عليه . وكان يتكلم اللغة الفرنسية و يحسن العربية والتركية والفارسية وكان يحب البذخ والترف والتنعم

استبدل اسماعيل باشا معاشه قبل وفاته باثنين وعشرين ألف فدان باع منها ٣٠٠٠ للأوقاف العمومية و ١٠٠٠ لحفيده عباس حلمي باشا فبقي له ١٨٥٠٠ منها ١٣ ألف فدان بتفتيش اتياي البارود وقفها علي زوجاته الثلاث في حياتهن ثم يرثها ورثته بعدهن والباقي وهو ٥٥٠٠ فدان تركها بلا وقف وترك غير ذلك مما ورثه عن والدته وهو ٢٠٠٠ فدان وهبها لها عباس باشا الاول و ٩٠٠ فدان وقصراً في حلوان وسراي القصر العالى ومعها حديقة تبلغ ٣٤ فدانا وترك أيضاً ماورثه عن ابنه المرحوم البرنس علي جمالى باشا وهو ٦٠٠ فدان . وترك أيضاً في العباسية قصر الزعفران وفي الآستانة قصر ميركون وهو يحتوي على قصرين كبيرين وقصرين صغيرين . وترك فيها أيضاً قناق بايزيد وتقدر قيمة أرضة بثلاثين الف جنيه وأصله المرحوم البرنس حليم باشا فأخذه السلطان عبد الحميد منه ووهبه لاسماعيل باشا

وكان قد أضاف في وصيته نحو ٤١٠٠ فدان من أطيانه في أيام ولايته الي الاطيان الموقوفة على أهل قواله وقدرها عشرة آلاف فدان فى كفر الشيخ وحفظ لنفسه الشروط العشرة ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه ففصل الاربعة الآلاف والسبع مئة الفدان التى أضافها اليه ووقفها على حاشيته كلها ولم يستثن أحدا مهما

كان جنسه ودينه حتى كتب حصة لسكرتيره الفرنسي وطبيبه الانجليزي فبلغ عدد مستحقي هذا الوقف من الجواري ٤٥٠ منهن ٤٠٠ من الجركسيات كان قد زوجهن من اعيان مصر وكبرائها قبل مفارقته الديار المصريه

واقام قائده الكبير راتب باشا وكيلا لحرمه واوصى ان يعطي ١٥٠ جنيها شهريا وان تعطي حرمه ٥٠ جنيها شهريا وان يضاف مرتبها الى مرتبه اذا توفيت في حياته

خلفه ابنه محمد توفيق باشا من سنة (١٨٧٩) الى (١٨٩٢). ولد سنة (١٨٦٢) فلما ترعرع واشتد أدخله والده الى مدرسة المنيل فدرس فيها العربية والجغرافية والتاريخ والطبيعيات والرياضيات واللغات التركية والفرنسية والانجليزية وكان به ميل للعلم والمعرفة . تولى رئاسة المجلس الخاص في حياة والده وسنة ١٩ سنة ، ثم تقلد نظارة الداخلية ونظارة الأشغال ورئاسة مجلس النظار

ولما بلغ الحادية والعشرين تزوج بالأميرة آمنة بنت الأمير الهامي باشا وهي من أكمل النساء عقلا فولد له سنة (١٨٧٤) أي في السنة التالية لزواجه ولده البكر عباس حلمي باشا الخديو السابق ثم البرنس محمد علي باشا سنة (١٨٧٦) والبرنسس خديجة سنة (١٨٧٧) والبرنسس نعمت سنة (١٨٨١)

ما زال المرحوم توفيق باشا يتقلد الوظائف في أيام أبيه حتى أسندت اليه الخديوية بعد اقالة والده وكان ذلك في ٢٦ يونيو سنة (١٨٧٩) وكان مشهوراً بالعطف علي رعيته فخفف الضرائب وأحدث اصلاحات جمة

وفي عهده تألفت لجنة تصفية الديون وأنشأت قانونا فصادق عليه

ومن أعماله انه سن للبلاد نظامات شورية كمجلس شوري القوانين ومجالس المديريات والجمعية العمومية

وفي أيامه أنشئت المحاكم الأهلية وتقدمت مصلحة الري ورفعت السخرة

وفي أيامه حدثت الثورة العرابية والثورة السودانية . فأما الأولى فأحسن ما يكتب فيها اجمالا ما كتبه احمد عرابي عن نفسه ننقله عن مجلة الهلال فان فيه تاريخ الموجد لتلك الحركة وتفصيل أدوارها تفصيلا وان كان قد راعي فيه

تخفيف التبعة عن نفسه الا انه أجدر بكتاب علمي كدائرة المعارف بمعزل عن المناقشات السياسية . قال :

(نشأتي الاولي) ولدت في ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من ابوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلاسى البطائحي ومقامه الشريف بقرية فاقوس بمديرية الشرقية وهو اول من قدم الي بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق في اواسط القرن السابع للهجرة وهو من ذرية الامام علي الرضا بن الامام موسي الكاظم من سلالة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلى الله عليه وعلي آله وسلم . واسم والدي محمد عرابي بن السيد محمد وفي بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله الى آخر السلسلة الشريفة واسم والدتي فاطمة بنت السيد سليمان ابن السيد زيد تجتمع مع والدي في جدي الثالث عشر المسمى ابراهيم مقلد رحمه الله تعالى . ومولدي كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية علي ميلين من شرقي بندر الزقازيق وهي بلدة قديمة جداً من ضواحي مدينة بو باسطة كرسي مملكة العائلة ٢٢ في زمن شيشاق ابن نمرود التي يقال لها الآن (تل بسطة) وعشيرتي فيها نحو ربع تعدادها وكان والدي رحمه الله تعالى شيخا عليها الى أن توفي فى شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هـ في زمن الهواء الاصفر عن ثلاث نسوة وأربع أولاد وست بنات . وكنت ثاني أولاده الذكور وسني ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدانا ولو شاء لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه كان رحمه الله تعالي يراعى صالح أبناء عمومته حيث ان أطيان القرية كغيرها كانت مكلفة بأسماء المشايخ يوزعونها بمعرفتهم على أهل بلادهم بحسب الاحتياج الي عهد المغفور له عباس باشا الاول وهو اول من كلف الاطيان بأسماء الافراد وألزمهم بدفع خراجها وما زاد عنهم يترك للميري ويسمونه المتروك

وكان والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان عالما فاضلا تقيا أقام بالجامع الازهر ٢٠ سنة تلقي فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع فى كثير من العلوم النقلية والعقلية علي كثير من المشايخ كشيخ الاسلام القويسني رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الاطهار

ولما آلت اليه وظيفة الشياخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الي عشيرته بالقرية المذكورة وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة وأنشأ بجوار المسجد مكتبا لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيها صالحا عالما يسمي الشيخ نجم من سلالة السيد العزازي وألزم الاهالي بتعليم أولادهم . وكان رحمه الله يشدد عليهم في ذلك حتي صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكلٌ منهم يعرف واجباته الدينية ومنهم نحو مائة وخمسين فقيها عالما ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين الهراوي من علماء الجامع الازهر والشيخ العاف بالله ابراهيم المصيلحى نفع الله به المسلمين فلما بلغ سني ٥ سنوات أرسلني والدي الي المكتب المذكور . فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن وعمري اذ ذاك ثماني سنين و بضعة شهور فلما توفي والدي كفلني أخي الاكبر المرحوم السيد محمد عرابي الذي توفي في ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالي وأخذت عنه مبادئ علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظة بعض أشغال الزراعة ثم بدا لي المجاورة بالازهر حين بلغت اثني عشر عاما فكنت أجود القرآن على أقاربي نهاراً وأتوجه الى بيت عمى ليلا وتلقيت شيئا قليلا من الفقه والنحو و بعد سنتين رجعت الى بلدي

﴿ سعيد باشا ﴾ وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان قد ولي الحكومه الخديوية في ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم في العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت في سلك الاورطة السعيدية المصريه بقناطر فم البحر في شهر ربيع أول عام ١٢٧١ وجعلت فيها وكيل بلوك أمين من أول يوم صار انتظامي في سلك العسكرية بعد امتحاني بحضور ابراهيم بك أمير الالاي وحسن أفندي الالفي حكيم الالاي ثم ترقيت الى رتبة بلوك أمين في شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان مع الطالبين لذلك من غير واسطة أحد غير الجد والاجتهاد

وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاوشية المصريين ترقي الى رتبة

الملازم الثاني وعلمت ان البلوك امين لا يترقي الا الى رتبة الصول قول اغاسى وفيها يفني عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الي أميرالالاي وطلبت منه ترتيبي فى رتبة جاويش في أورطة كانت أفرزت لارسالها الى مدينة المنصورة فسألني الميرالاي المذكور عن سبب ذلك حيث ان راتب الجاويش أقل ١٠ غروش من راتب البلوك امين وان كانت الرتبتان متساويتين فافصحت له عما خالج فكري واني اذا صرت جاويشاً سهل علىَّ الحصول علي رتبة الباشجاويش ثم الانتقال الي رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأمر في الحال بجعلي جاويشا فمكثت في هذه الرتبة سنتين وفي تلك المدة حبب الىَّ الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة قوانين العسكرية مع التدبر في معانيها حتي أتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والأورطة وبعض فصول من تعليم الألاي .

وفي أوائل عام ١٢٧٤ أمر سعادة راتب باشا بجمع ضباط الصف فاجتمعنا حوله في فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة المرحوم سعيد باشا وقال — ان أفندينا بلغه انكم تقولون في ما بينكم كيف يصير ترقي الصف ضباط الجدد وتأخير من هو أقدم منهم في الرتب وانه أمر أن لا يترقي أحد بعد الآن الا بعد الامتحان علماً وعملا فمن فاق أقرانه في الامتحان ترقي الى الرتبة التي يستحقها ولو لم يلبث في رتبته الأولى غير شهر واحد فمن أراد منكم الامتحان فليتقدم الى الامام.

فعند ذلك تقدمت امام سعادته وأحجم الاخرون خوفا وهلعا ظنا منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك

ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتي بلغ عدد الراغبين في الامتحان نحو ٣٠ شخصاً فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز في الامتحان

ثم صار جمع الضباط والصف ضباط بمعرفة سعادة راتب باشا الذي كان وقتئذ أميرالاي وصار طلبي امام الجميع ووضع في صدري نيشان الباشجاويش وأعلن ترقيتي الي هذه الرتبة

وبعد عام أي في أول عام ١٢٧٥ صار امتحان الباشجاويشية بحضور سعادة

راتب باشا أيضاً والمرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت الفائز الأول وترقيت الى رتبة الملازم ثاني التى كنت أدأب في الحصول عليها منذ البدء

ثم بعد سبعة أشهر صار امتحان الضباط في القصر العالى فكنت أول فائز فيه وكتب اسمي في أول الامتحان ولما عرض الجدول على ساكن الجنان سعيد باشا أمر باعادة امتحاني وانتدب لذلك المرحوم سليمان باشا الفرنساوي رئيس رجال العسكرية

فطلبت ثانياً الي الامتحان وكان يوماً مشهوداً و بعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار اليه خروج الخديوي المرحوم الى ميدان الامام الشافعى رضي الله عنه وهناك يصير امتحاني في الميدان بأورطة من العساكر بحضرته الخديوية .

فسأله الخديوي عما يقصده بذلك فقال انه مستحق لرتبة الميرالاي لأن الذين ترقوا الي هذه الرتبة من المدارس الحربية لم يقرروا في أجوبتهم مثله

فقال الخديوي رحمه الله تعالى لا يمكن ذلك

فقال له يحسن اليه علي الأقل برتبة بكباشي فأبي عليه ذلك وقال يلزم ان يتدرج في كل رتبة ليعرف واجباتها وأحسن الىَّ برتبة ملازم أول وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقي علي مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة وقبل مضى شهرين أحسن عليَّ برتبة يوز باشى والتحقت بمعيته

وفى أوائل سنة ١٢٧٦ ترقيت الي رتبة صاغقول أغاسى في بني سويف

و بعد العودة الى مصر صار ختان المرحوم الطيب الذكر طوسن باشا النجل الوحيد للمرحوم سعيد باشا فأولم المرحوم الخديوي وليمة شائقة دعي اليها جميع أعضاء العائلة الخديوية في قبة عظيمة حضرها جميع الضباط والذوات وغيرهم من الأجانب و بعد الطعام انتصب الخديوي رحمه الله تعالى قائماً وقال خطبة ارتجالية ذكر فيها « ان من أمعن النظر في تاريخ بلادنا هذه وتوالى حوادثها المحزنة لا يسعه غير الأسف والتعجب كيف توالت الأمم الأجنبية على أهلها وهم يظلمون سكانها كالكلدانيين والفرس قبل الاسلام والترك والأكراد والشراكس وغيرهم بعد الاسلام وكلهم يفسدون ولا

يصلحون واني عزمت علي تثقيف أبناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بأيديهم بصفة كوني مصرياً منهم وبالله الاستعانة » —

فوقع هذا الخطاب على من حضر من غير المصريين وقوع الصواعق وتهللت وجوه المصريين وشكروا ودعوا وانفضت الحفلة

ثم في آخر سنة ١٢٧٦ ترقيت الي رتبة بكباشي وفي أوائل عام ١٢٧٧ أحسن اليَّ برتبة القائمقام الرفيعة كما أُحسن بها على السيد محمد باشا النادي وعلى المرحوم راشد باشا راقب الذي استشهد بحرب الحبشة في عام ١٢٩٣ وعلى المرحوم عثمان باشا رفقي الذي صار ناظراً للجهادية قبل الثورة الوطنية . فكنا أربعة قائمقامات اثنين مصريين واثنين شركسيين وكل منا استلم قيادة آلاي بيادة

وفي السنة المذكورة سافرت بمعية المرحوم سعيد باشا الى المدينة المنورة علي ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام برتبة القائم مقام كما ذكرتم ذلك في كتابكم « تاريخ مصر الحديث »

وفي عام ١٢٧٨ رأي سعيد باشا ان الحكومة سقطت في دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصري وذلك يساوي ايراد الحكومة في ذاك الوقت سنة كاملة تقريبا وكان ذلك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملبوسات وذخائر عسكرية موصي عليها في معامل أوربا وردت بعد وفاته رحمه الله تعالى . فأمر برفت جميع الالايات وأبقي أورطة واحدة كان فيها يوز باشى سعادة مصطفي فهمي باشا رئيس النظار الآن وعلى فهمي باشا الذي نفي معنا الي سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات علي حسب رغبتهم ومن له بلد يتوجه الى بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم في استيداعهم وأمر أن تضاف مرتباتهم على الاطيان موقتا ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة أي غرش واحد وربع . وقد حصل ذلك فعلا ثم صار بيع الخيول ومأكولات العساكر ومفروشاتها وكانت من البوسطى وغيرها وكذا الفضيات الموجودة في خزائن الامتعة والمسافرخانات وكذا الفوريقات الموجودة في جميع القطر المصري والاطيان المتروكة في كل المديريات كل ذلك رجاء

تسديد الدين

وفي أوائل عام ١٢٧٩ سافر المرحوم سعيد باشا الى أوروبا لمعالجة نفسه من داء السرطان وكان بمعيته المرحوم محمد على باشا الحكيم المصري الذي استشهد فى حرب الحبشة عام ١٢٩٣ فصدر أمره الكريم الى قائمقام خديوي فخامة اسماعيل باشا الخديوي الاسبق بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم في قصر النيل ومداومتهم على التدريس في القوانين العسكرية يقول فيه

« ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم علي هذا الحال الذي لايؤول عليهم منه الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر .

وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم وأظهرناهم فلا يصح لنا تركهم في هذا الحال الذي ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلا ونهاراً في قصر النيل . »

وبناء علي هذه الارادة صار اجتماعنا في قصر النيل

وفي ربيع الاول انتدبتُ لفرز الصف ضباط فى الوجه القبلى وتعين معي حكيما للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم وكان برتبة قائمقام أيضا

وفي ٢٧ رجب من تلك السنة توفي المرحوم سعيد باشا ودفن فى الاسكندرية بالمدفن المجاور لمسجد النبي دانيال عليه السلام بعد عودته من أوربا وجلس على الاريكة الخديوية ابن أخيه اسماعيل باشا الخديو الاسبق وصار ترتيب الالايات فكان ترتيبي قائمقام ٦ جي ألاي بياده .
وأما سعادة نادي باشا فتعين علي ألاي جميع ضباطه من المصريين المترقيين فى زمن سعيد باشا وأرسل الي السودان

وحاصل الأمر انني دخلت العسكرية نفراً بسيطا في اوائل سنة ١٢٧١ وبلغت رتبة القائمقام في أواخر عام ١٢٧٧ بجدي واجتهادي وسهر الليل والنهار على حد قول القائل ومن طلب العلا سهر الليالى .
ونجح كثير من تلامذتي نجاحا تاما حتى كانوا في مقدمة جميع الضباط في الامتحانات العمومية

وكان السبب في هذا الاجتهاد الغريب الذي فاقوا به المتخرجين من المدارس الحربية وكان أغلبهم أميين رغبة سعيد باشا في تقدم أبناء الوطن ومساواتهم لغيرهم كما ذكر ومحبته لهم وانعطافه اليهم ومعاملته للجميع بالعدل والمساواة مع تفقد أحوالهم ومراعاة سيرهم وحسن سلوكهم كأنهم أولاده وكفي بالامر الصادر منه وهو في بلاد أوربا في حقهم المذكور آنفا برهانا صادقا على حسن معاملته للوطنيين كأنه كان وصية منه عليهم لمن يخلفه . وهذا هو الذي أوغر علينا صدور اخواننا من الترك والشركس وغيرهم

ولقد قال لى مرة رحمه الله تعالى وأنا برتبه قائمقام ان جميع الناس عادوني حتي أهلي رجالا ونساء بسبب مساواتكم بغيركم فحققوا أملي فيكم . فأجبته « ولكن الله سبحانه وتعالي يرضي عنك والامة المصرية ترضى عنك لمراعاتك للحق والانصاف » هذا و بسبب عدله وقناعته أثرت البلاد في زمنه وأخصبت الارض وانتعشت الامة حتي صار الرجل المزارع بعمل يده يحصل له فرق عشرين جنيها في السنة وهذا ما حفظ مصر من الافلاس في مدة خلفه الذي بلغ دين الحكومة في زمنه مائة الف الف والف الف جنيه كما هو مدوّن في بطون الدفاتر

﴿ نشأتي الثانية ﴾ ولما تولى الخديوية المرحوم اسماعيل باشا وأمر بانشاء ٦ ألايات بياده كنت قائمقام في الالاي السادس وكان المرحوم خسرو باشا أميرالايا على الالاي الثاني ثم ترقي الي رتبة لواء باشا وكان رحمه الله تعا متعصبا لابناء جنسه تعصبا أعمى وترتب قومندانا على الالاي ٥ و ٦ ولما وجدني وطنيا قحا عظم عليه وجودي في الالاي وسعى في رفتي من الالاي لاجل اخلاء محلي لترقية أحد أبناء المماليك مصطفي أفندي سليم بن سليم بك المشهور بالحجازي

ولاجل هذه الغاية صار يترقب الفرص للايقاع بي الي أن صدر أمر الجهادية بامتحان الضباط لاجل استكمال النقصان وبعد ان صار الامتحان وتحررت العرائض للمستحقين وختم عليها من أرباب الامتحان وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا المذكور أرسل لى عريضة أحد الملازمين

اسمه سيد أحمد أفندي وطلب أخذ ختمي من عريضته والختم علي عريضة ضابط آخر من أورطة مصطفي أفندي سليم البكباشي لكونه دائما يباشر خدمة منزل البكباشي المذكور . فشق عليَّ هذا الامر وتوجهت الي مركز اللواء باشا وأخبرته أن يعفيني من الختم على عريضة من لا يستحق . فقال لابد من الختم لاجل خاطر البكباشي المذكور . فقلت ان هذا ظلم لاأفعله واذا كنت تراعي خاطر البكباشي في الظلم فأولي لك أن تراعي رئيسه في العدل . وذكرته بعاقبة هذا الامر اذا تشكي المظلوم الي ديوان الجهادية وطلب امتحانه مع الآخر كما حصل مثل ذلك في زمن المرحوم سعيد باشا وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أونباشي وهي أدني رتب الصف ضباط

ثم ذكرته بعاقبة الظلم غدا بين يدي العزيز الجبار .

فخنق لذلك حنقا شديدا وذهب الى ناظر الجهادية المرحوم اسماعيل باشا سليم وأخبره اني لاأطيع له أمرا ولاأعبأ بأوامر ديوان الجهادية . وناظر الجهادية عرض للخديو الاسبق بذلك ثم صدر الامر برفتي من الجهادية بالقول انى قوي الرأس شرس الاخلاق (ومابي والله من شراسة ولكن جبلني الله سبحانه على حب العدل والانصاف وكره الظلم والاعتساف) فترتب على ذلك رفتى من الخدمة وحرماني من المائتي فدان التي صدر أمر الخديوي بالاحسان بها علي كل من القائمقامات الجهادية عقيب مناورة عسكرية حضرها الخديو وكنت من ضمن من حضرها وكان أصدر ارادة سنية للمديريات بوجه بحري بتسليم تلك الأطيان الى المنعم بها عليهم

فصدرت ارادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصني وقد حصل

ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير امهال وذلك انه صدر أمر الخديوي في الاسبوع الذي رفتُّ به بالغاء الالاي ٥ و٦ أي اللواء الثالث وأرسل خسرو باشا الي السودان وأصيب حسين باشا الطوبجى بالفالج ومحمد بك أمين القبرصلى بالفالج أيضا حتي ماتا وأمين بك رئيس قلم تركى

بديوان الجهادية انتحر بعد تكبيله في الحديد وارساله الى السودان وهكذا كل من اشترك في هذه المظلمة أصيب بقارعة عظيمة

وأما مصطفي سليم المذكور فقد رفت أيضاً وأقام في بيته مرفوتا نحو عشر سنين حتى أذله الله

وأما اسماعيل باشا ناظر الجهادية فانه مات في حرب كريد ولكن ليس شهيداً بل مات بسبب أكلة من فريك القمح فانعقدت أمعاؤه وقضى نحبه وجيء بجثته الى مصر ودفن فيها سامحه الله تعالى

وفي شهر ربيع أول عام ١٢٨٣ عرضتُ للخديو بواقعة الحال والتمست انصافه فصدر أمره في ١٦ رمضان عام ١٢٨٣ نمرة ١٦ عرض وهاك صورته

« ديوان جهادية ناظري سعادتلو باشا حضرتلري

٦ جيء بيادة سابق قائمقامي أحمد عرابي بكك اشبو عرضحال منظورم اولدي خطاسني عفو ايتمش اولديغمدن حاله مناسب خدمه ظهورنده استخدام ايتديرلمسي حقنده ايجابتي اجراء ايلمكز ايجون اشبو أمرم اصدار قلندي »

وحيث ان ناظر الجهادية المذكور كان مساعداً لخسرو باشا كرهت الخدمة في العسكرية وطلبت احالتي علي ديوان المالية

وفي التاريخ المذكور صار تعييني محافظا على بحر مويس وجزء من البحر الاعظم بمديرية الشرقية زمن فيضان النيل بمعرفة المرحوم اسماعيل باشا صديق

وبعد انقضاء زمن النيل من غير أن يحدث أدني ضرر في مديرية الشرقية كما حصل من الغرق بقطع نادر وقطع بطرة وغيرها ترتبت مأموراً لتشهيل بناء قناطر فم الاسماعيلية بقصر النيل وتشهيل قطع الاحجار في معامل طرة والدقيقه بالعباسية والجبل الاحمر بالبساتين وشحنها بالمراكب الى القناطر المذكورة والي سد فم الرياح في شبرا والى القناطر الخيرية والى جميع مديريات الوجه البحري وتشهيل مراكب النقل وتفريغها بقناطر الاسماعيلية وسد الرياح في شبرا وكان عملا شاقا جداً من غير مراعاة الحكومة لاسباب التسهيل . فكنت اتنقل في كل يوم الي المحلات المذكورة على ظهر فرسي أو حماري حتي جاءت

سنة ١٢٨٥ فانتدبت لتشهيل بناء كبري قشيشة العظيم بمديرية بني سويف وكبري الرقة بمديرية الجيزة وكبري أبو راضى على سكة حديد الفيوم وبعد تمام تلك الأشغال كوفئ غيري بخمسة آلاف جنيه مصري ... ثم أحيل على عهدتي تمديد سكة حديد المنيا الى محطة ملوي وبعد نهوها تصادف جعل المرحوم قاسم باشا فتحى ناظر الجهادية وكان يعرف قدر أعمالى واقتداري فطلبني وكلفني الانتظام في سلك العسكرية ثانية

فأجبته الي ذلك وترتبتُ قائمقاما في ٣ جي ألاي بياده في أوائل سنة ١٢٨٧ وفي سنة ١٢٨٨ انتقلت الى رئاسة ٤ جي ألاي بياده ولكن برتبة القائمقام وفي أواخر سنة ١٢٩٠ توجهت بالألاي المذكور براً الى رشيد للاقامة فيها وفي ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ انتدبت الى ترتيب عساكر محافظين للقلاع الحجازية من أهالى تلك البلاد وارسال العساكر النظامية المصرية الى مصر فتوجهت اليها وحيداً فريداً على مصاريف نفسي في أول يوم من شهر رمضان حتي وصلت الى قلعة نخل ورتبت لها العساكر اللازمة للمحافظة عليها وجعلت فيها مكتباً لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ثم ذهبت الي قلاع العقبة والمويلح والوجه وأجريت فيها كما أجريت في قلعة نخل وأرسلت العساكر النظامية الى مصر ثم عدت قافلا بحراً الى بندر القصير ثم براً الي قنا وبحراً الى أسيوط وبراً الي مصر

ولما عرضت انتهاء مهمتي على ناظر الجهادية فخامة صاحب الدولة حسين باشا كامل قال لي اني لاعتمادي عليك ووثوقي بك قد عينتك مأموراً للحملة الحبشية فاستعد لذلك بعد عشرة أيام فانتخبت من أعتمد عليهم من الضباط والكتبة وسافرنا جميعا الى مصوع وبعد انتهاء تلك الحرب المشؤومة عدت الى مصر فأمرني دولة المشار اليه أن أعود الي السويس لتشهيل المحضرين من مصوع وزيلع وارسال الذخائر اللازمة لتلك الجهات بدل المرحوم علي غالب باشا حيث انه تعين مديراً لمديرية الدقهلية فذهبت اليها

وبعد انتهاء تلك المأمورية أيضا عدت الي الالاي الذي بعهدتي برشيد وفي أوائل سنة ١٢٩٦ صدر لنا الامر

بحضور الالايات الموجودة برشيد الى مدينة القاهرة وتسليم الاسلحة والمهمات وارسال العساكر الي بلادهم فحضرنا . وكنا ثلاثة آلايات وسلمنا المهمات في يوم وصولنا وفي اليوم الثاني صباحا ذهبت الى منزل سعادة محمد نادي باشا وكان أميرالاي أحد الالايات المحضرة من رشيد حينذاك فما نشعر الا وأحد الضباط اسمه أحمد أفندي نجم حضر وأخبرنا ان تلامذة الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية فجاءت العساكر من ١ جي ألاي وضربت عليهم بالسلاح فاندهشنا لهذا الخبر المريع وأرسلنا غيره من الضباط ليستكشف الأمر ويأتينا بالحقيقة فذهب وعاد وأخبرنا بما صار وبعد يومين صار طلبي وطلب نادي باشا بطرف سر تشريفاتي خديو سعادة عبد القادر باشا حلمي . فذهبنا اليه في بيته فأخبرنا « ان الخديوي بلغه انكما وعلى بك الروبي قد أغريتم التلامذة والضباط على حصر الماليه وانه سيجري تحقيق ذلك فان ثبت هذا عليكم صارت مجازاتكم بأشد الجزاء » وصار يهددنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخري فأجبناه بقولنا « ياسبحان الله انا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الأسلحة والمهمات بمخازن العسكرية وصرف العساكر الي بلادهم فكيف يتصور اننا نغري تلامذة الحربية والضباط ونحن لسنا موجودين بالقاهرة ولا كان أحد من ضباط عساكرنا موجوداً في هذه الحركة أصلا على ان هذا العمل الخارج عن حد التعقل يلزم تدبيره وترتيبه من قبل اجراآته بمدة «فضحك» لأنه يعلم ان تلك الحركة كانت بايعاز مقام عال وعمل جاهين باشا جنج لأجل التخلص من نظارة وياسن المختلطة وأيضاً صار طلب المرحوم علي بك الروبي بطرف مأمور الضبطية محمود سامي باشا البارودي وبلغه تلك التهديدات بعينها والافترا آت الظاهرة فتنصل منها

وبعد ذلك صار تشكيل مجلس عسكري فوق العادة تحت رئاسة رئيس أركان الحرب اسطون باشا الأمريكي وعضويه سعادة أفلاطون باشا والمرحوم مرعشلى باشا وجميعهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون آباءهم ولكن المسألة خرجت عن مركزها المعين

ثم بعد ذلك صار طلب الضباط

والمتهمين من رتبة بكباشى فمافوقها بسراي عابدين وقام الخديو يطيب خواطرنا ويوعدنا بخير ولكن ....

أمور يضحك السفهاء منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

هكذا قلت لسعادة محمد باشا النادي والمرحوم علي باشا الروبي المتهمين معي في مسألة الاحاطة بديوان المالية

وفي ذلك الاجتماع صار جعلنا نحن الثلاثة من ضمن الياوران الذين بمعيته

— عجباً والف عجب — لكن بعد أسبوع انخلع علي الروبي من العسكرية وتعين رئيساً لمجلس المنصورة وأبعد نادي باشا بالأليه الجديد الى الاسكندرية ثم صار طلبي الي ديوان المالية فذهبت الي ناظرها المرحوم راغب باشا فأخبرني أن أهالي جرجا وأسيوط ومديريات الوجه القبلي قد انتخبوني أميناً من طرفهم في تسليم ٧٠٠ ألف أردب قمح وشعير وفول الى بنك قطاوي وبيجة وأجيون باسكندرية لسداد ما عليهم من الديون — والله يعلم ان الأمر غير ذلك وأنا أعلم أيضاً . . . . ومع ذلك توجهت الي الاسكندرية

وأديت تلك المأمورية التي حقيقتها سلفة نصف مليون بنتو أخذتها الحكومة لتسديد بعض الأقساط من أرباح الدين المصري

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٦ صار خلع المرحوم اسماعيل باشا وتولية المرحوم توفيق باشا وشاهدت الاحتفال بتوديع الخديوي المخلوع حين انزاله في السفينة من أسكلة سكة الحديد منفياً الي بلاد ايطاليا كما أنزل عمه حليم باشا منفياً الي القسطنطينية

***

وعلي هذا انتهت مدة ولاية اسماعيل باشا كما علمت ولم أنل منه رتبة ولا نيشانا ولا اختصني بجارية من جواريه ولا أصبت منه خيراً قط ولا أقسمت علي الدفاع عنه كما ذكرتم ولا خدمت بمعيته أصلا ولا انتهروني أبداً ولا صحت حول سرايه ولا قال عني ما ذكرت ان صوتي أكثر قعقعة أو قرقعة من الطبل وأقل نفعاً منه

وقد تحملت مدة ولايته بكل صبر وثبات جأش ومكثت برتبة القائمقام ١٩ سنة وأنا أنظر الى اليوز باشية والملازمين

الذين كانوا تحت اداريّ وقد صار بعضهم أميرالاي و بعضهم أميرلواء و بعضهم أمير الأمراء أعني باشوات وفرقاء وانهمرت عليهم سحب الانعامات والاحسانات فاقتطعوا الاقطاعات الواسعة وأخذوا القصور العالية ·وأغدقت عليهم الخيرات وهم يعلمون قوتي واستعدادي

ولقد اجتهد صاحب الدولة حسين كامل باشا عم الحضرة الفخيمة الخديوية اذ ذاك في ترقيتي الى رتبة أميرالاي ولكن لم يقبل منه وأخيراً قال لي « اني بذلت مافى وسعي في طلب ترقيتك ولكن قيل لى انك من رجال سعيد باشا » فعجبت لذلك وقلت له اني من رجال الوطن و بلدي اسمها هرية رزنة بمديرية الشرقية ولست مملوكا لأحد

فطيب خاطري ولاطفني وقال لى « لا تفتر همتك وسأواصل السعى في أنصافك » فشكرت له وخرجت وأنا أشعر بأني لا أنال خيراً في مدة أبيه وكنت أتوسم كل خير في المرحوم توفيق باشا

ولكن من اعتمد على غير الله سبحانه وتعالى أخلاه منه لأنه سبحانه غيور علي عباده المؤمنين

﴿ خاتمة أمري ﴾ ولما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية وحضر الى الاسكندرية أحسن عليّ برتبة أميرالاي على الالاي الرابع فتوجهت الي رأس التين وقدمت تشكراتي وامتناني الى حضرته الكريمة ودعوت له بخير ثم جعلت من ضمن ياوران الخديوي ولما صارالمرحوم عثمان رفقي باشا الشركسى ناظرا للجهادية في وزارة مصطفى رياض باشا واستبدوا بالادارة لايسأل كل من النظار عما يفعل في ادارته واستخفوا بأمر الخديوي كل الاستخفاف وخصوصا عثمان رفقي لجهله وعجبه — خيلت له نفسه أن يمنع ترقية المصريين من العسكر العامل في الالايات والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية وصدرت أوامره بذلك

ثم أردفها باحالة عبد العال حلمى بك أميرالاي على ديوان الجهادية ليكون معاونا وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة ليس الا ورتب بدله خورشيد نعمان بك من جنسه علي الالاي المذكور وكان سنه فوق الستين وهو ضعيف لايقدر على الحركة العسكرية و برفت أحمد بك

عبد الغفار فأيقام السواري وترتيب شاكر بك طمازه من جنسه بدله وهو طاعن في السن ثم ختمت تلك الاوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية

وكنت لا أعلم بشيء من ذلك أصلا وانما دعيت الى وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج الشريف وكان ذلك ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ ولما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بالذوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار المرحوم نجيب بك وهو رجل كردي الاصل و بجانبه المرحوم اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسي الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فأخبره نجيب بك بما صار وانه نصح ناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصغ لقوله ولذا فهو ساخط ومضطرب

ثم أوعز اليه أن يخبرني بما سمع منه فأخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همساً في أذني فقلت لاسماعيل باشا كامل « أحقٌ هذا ؟ » فقال « نعم وأعطيت الاوامر الى الكتبة للاجراء على مقتضاها »

فقلت له « ان تلك لقمة كبيرة لا يقوي ناظر الجهادية عثمان رفقي على هضمها » و بعد تناول طعام المأدبة حضر لى أحد الضباط وأخبرني بأن كثيرا من الضباط ينتظرونني بمنزلي وفيهم عبد العال بك حلمي وعلى بك فهمي

فأسرعت وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم

فلما رأوني أخبروني بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل

فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فماذا تريدون » فقالوا « انه ليس ذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون في تاريخ دولة المماليك في كل ليلة بحضور عثمان رفقي باشا ويلعنون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا وانهم لا يغلبون من قلة وظنوا انهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل أولئك المماليك » . وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بخبره

فقلت لهم « وماذا تريدون اذاً ؟ » فقالوا « انما جئناك لاخذ رأيك فيما دهمنا

من الخطب العظيم »

فقلت لهم « أري أن تطيبوا نفوسكم وتهدئوا روعكم وتعتمدوا علي رؤسائكم وتفوضوا لهم النظر في مصالحكم وهم ينتخبون لهم رئيسا منهم يثقون به كل الوثوق يطيعون أمره ويحفظونه بتعاضدتكم »

فقالوا كلهم « قد فوضنا اليك هذا الامر وليس فينا من هو احق به واقدر عليه منك » . فقلت لهم « لا . . انظروا غيري وانا اسمع له واطيع وانصح له جهدي » فقالوا « لا نبغي غيرك ولا نثق الا بك » فقلت « ارجعوا لانفسكم فان هذا امر عصيب لا يسع الحكومه الا قتل من يقوم به او يدعو اليه » .

فقالوا « نحن نفديك ونفدي الوطن بارواحنا »

فقلت لهم « اقسموا لي على ذلك فاقسموا . »

وفي الحال كتبت عريضة الي دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها الشكوي من تعصب عثمان رفقي لجنسه والاجحاف بحقوق الوطنين والتمست فيها تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة المصرية تنفيذا للامر الخديوي الصادر ابان توليته .

ثانيا ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا تطبيقا لمنطوق الفرمان السلطاني

ثالثا تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة المساواة بين جميع اصناف الموظفين بصرف النظر عن الاجناس والاديان والمذاهب

رابعا تعيين ناظر الجهادية من ابناء البلاد على حسب القوانين العسكرية التي بايدينا . ثم تلوت العريضة هذه علي مسامع الجميع فوافقوا كلهم عليها فامضيتها بامضائي وختمتها بختمي وختم عليها علي بك فهمي اميرالاي الحرس الخديوي وعبد العال بك اميرالاي السودان

ولما تم ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الذات الخديوية وحفظ اعضاء العائلة الخديوية وحفظ الوزراء والامراء الوطنيين اذا حدث اي حادث من الضباط الشراكسة الطامعين في التغلب علي البلاد مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت المالية وبيوت التجار من الاجانب والوطنيين من مطامع الرعاع وحفظنا ايضا من بطش الحكومة اذا ارادت

الايقاع بنا او رفض الاجتماع علي ذلك وما دعانا الى مجلس نواب للامة ينظر في صوالحها ومصالحها الا ماحلّ بالمرحوم اسماعيل صديق باشا الحائز لرتبة المشيرية التي من لوازمها حفظ صاحبها ولو باستعمال السلاح في عهد الخديوي الاسبق اسماعيل باشا بسبب كلمة حق قالها — وماحل بحضرة السيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الاهالي الذين دفعوا للحكومة سبعة عشر مليون ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون من الجنيهات المصرية باسم المقابلة و ٩٠٠٫٠٠٠٫٠٠٥ أخري باسم السهام بالاجانب أصحاب الديون وما حصل لكثير من القتل والخنق في السجون بغير حق ولا تحقيق بل بمجرد ظلم واجحاف واستعلاء علي الناس بالقهر والجبروت بما تأباه النفوس الشريفة. وفى ضحوة الغد ذهبت الي ديوان الداخلية وقدمت العريضة الى دولة رئيس النظار فقال لنا « سأنظر في هذا الامر واتكلم مع ناظر الجهادية » وبعد يومين ذهبت الي بيت الرئيس المذكور ومعي الاميران المذكوران فلما تمثلنا بين يديه وسألناه عماتم في هذا الامر فقال « ان هذا الطلب مهلك وهو أشد خطرا من العرض الذي قدمه أحمد افندي فني الذي أرسل يسببه الى السودان » (وتحرير الخبر ان احمد افندي فني هذا كان كاتباً بديوان المالية وكان طلب المساواة مع خدمة الديوان المذكور لظلم حاق به فكان جزاؤه ارساله الي مقبرة الأبرياء من المصريين بالسودان) فأجبته « بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس في طلب الحق من خطر علي اننا نعتبرك أباً للمصريين فما هذا التعرض وما هذا التهديد؟ » فقال انه « ليس في البلاد من هو أهل لمجلس النواب » فقلت له « عجباً انك مصري و باقي النظار مصريون والخديو أيضاً مصري أتظن أن مصر ولدتكم ثم أعقمت لا بل فيها من العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء . وعلي فرض انه ليس فيها من يليق كما ظننت أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية و بعد خمسة أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن بصائب فكرهم و يعضدون الحكومة في مشروعاتها الوطنية » فانبهر لذلك وقال

لنا « سننظر بدقة في طلباتكم هذه » فانصرفنا على ذلك

ولما كان يوم غرة ربيع الأول سنة ١٢٩٨ انعقد مجلس تحت رئاسة الخديوي بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين وكلهم من الترك والشراكسة الا قليلا من الأوروبيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الالايات الذين أمضوا على العريضة المتقدمة الذكر ثم اجراء محاكمتهم في مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية

فقال رئيس النظار رياض باشا «اني أري انه اذا صار توقيف الميرالايات المذكورين يلزم أيضا توقيف ناظر الجهادية لأنه في عدم توقيفه مثلهم خطراً عظيما وذلك لما رأيته فيهم من الجراءة » فلم يوافق المرحوم الخديوي على ذلك وتعهد ناظر الجهادية المذكور بأنه ضامن لأخذنا بسهولة

وفي الحال دعي المرحوم أحمد خيري باشا الشركسي وكان مهردار الحضرة الخديوية وصاحب الرأي النافذ فحضر وتلا بالمجلس المذكور أمراً فحواه « ان هؤلاء الثلاثة أمراء أحمد عرابي وعلى فهمي وعبد العال حلمي مفسدون في الأرض وانه يقتضي توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بأشد أنواع الجزاء في مجلس عسكري فوق العادة تحت رئاسة ناظر الجهاية ويكون من أعضائه أسطون باشا رئيس أركان الحرب (وهو أمريكي) وناظر المدارس الحربيــة أرفى باشا (وهو فرنساوي) » فوقع الخديوي عليه وسلمه الي ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا وأرفض المجلس بعد ذلك

وفي المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكرة يدعونا فيها للحضور الى ديوان الجهاديه بقصر النيل في غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية المرحومة جميلة هانم وكان وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا انه يريد خدعتنا والبطش بنا

فالتجأنا الي جانب الحق سبحانه وتعالي وأخذنا حذرنا ثم أعددنا ما يلزم لنجاتنا اذا اقتضت الحال ذلك

وحين حلول الوقت المعين ذهبنا الي ديوان الجهادية فوجدناه غاصاً بجميع الشراكسة من رتبة الفريق الى رتبة

الملازم الثاني وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالخراطيش وكلهم في فرح ومرح ولا فرح هناك ولا زفاف

فلما حضرنا دعينا للحضور امام مجلس الهلاك فأجبنا طائعين وتلى الأمر الخديوي الآنف ذكره ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا على هذا التسليم وما يعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحاكم بالتوقيف ثم تعين بحضرتنا من يستلم أمرة الالايات وساقونا الى السجن في قاعة بقصر النيل

فمررنا بين صفين من الشراكسة المسلحين وبعد اقفال السجن جاء خسرو باشا وكان رجلا صلفا جاهلا فوقف خارج السجن وقال (ايه زنبيل لي هرفلر) يعني فلاحين شغالين بالمقاطف ولما أقفل علينا باب الغرفة قال علي فهمي بك أحدنا « والله لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » وجزع جزعاً شديداً فأردت تثبيته وقلت له متمثلا بقول الامام الشافعي رضى الله عنه

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج

فلا وأبيك ما كان الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من ألاي الحرس الخديوي بقيادة الشهم الهمام محمد افندي عبيد البكباشي وأحدقوا بديوان الجهادية ثم أسرع بعض الضباط والصف ضباط وفتحوا الأبواب وأخرجونا من السجن وقد فر ناظر الجهادية الغشوم هارباً وكذا رجال المجلس وغيرهم من المجتمعين —

ولما فرج الله علينا أسرعت الي العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت لهم « لا تمدوا أيديكم بسوء الى أحد من الجراكسة فانهم موالينا واخواننا استأثروا بأنفسهم علينا ونريد الانصاف والمساواة معهم ليس إلاَّ » ثم نظرت فوجدت بجانبي المرحوم اسماعيل كامل باشا أنفت نفسه أن يفر مع الفارين فأخذت بيده وضممته الى صدري أمام العساكر وقلت هذا جركسي كما تعلمون ولكنه أخي حرام عليَّ دمه وماله وعرضه وكذلك غيره من الجراكسة » فانصرفوا بانتظام على بركة الله ثم سرنا جميعاً الى قشلاق عابدين وكانت الأورطة الأولى من

الحرس الخديوي حكمدارية البيكباشى المرحوم احمد افندي فرج واقفة أمام سراي الخديوية لحفظها منها عسى أن يطرأ من الأمور كما أمرت بذلك من قبل أمير ألاي الحرس على فهمي بك

ولما تم وجود عساكر الالاي المذكور أمر أمير الالاي العساكر بحمل أسلحتهم بحركة (سلام دور) وعزفت الموسيقة بالسلام الخديوي ونادوا جميعاً « يعيش الخديوي » ثلاثا وذلك كان اشارة واعلانا للقوم بأننا علي اخلاصنا للحضرة الخديوية

ثم انهم تشاوروا فيما بينهم فقال اسطون باشا الأمريكي هذا عصيان ظاهر والواجب حصر القشلاق المذكور بالطوبجية وألايات البيادة و يطلب من هذا الألاي تسليم الثلاثة أمراء فان أبوا تضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق ناراً حامية حتي يضطروا الي التسليم

فاستحسن الجميع ذلك الرأي الامريكي ولكن ابتدره المرحوم اسماعيل كامل باشا المذكور آنفاً وقال « أنا أعتقد اتفاق جميع أصناف العساكر على رأي واحد فلا يجدي هذا الرأي نفعا »

وفي أثناء مفاوضتهم حضر آلاي السودان من طرة وانضم الي آلاي الحرس ثم عزفت الموسيقة بالسلام الخديوي وهتفوا جميعاً « افندمز جوق يشا » وأنا العاجز الضعيف كتبت الى وكيل فرنسا السياسي في مصر الكونت « دوريج » من غير ان يكون لى به ولا بغيره من قناصل الدول الاوربية سابق معرفة ولا مقابلة التمس منه مخابرة باقي قناصل الدول بما حصل بيننا و بين حكومتنا من الخلاف واطلب منهم التوسط في اصلاح ذات البين

ثم بتنا على ذلك وفي صباح الغد حضر لنا المرحوم احمد خيري باشا مهردار الخديوي ومعه محمود سامي باشا ناظر الأوقاف من قبل الخديوي وقالا لنا « ماذا تريدون » فقلنا « العدل والمساواة » قالا « ثم ماذا ؟ » قلنا « استبدال ناظر الجهادية برجل وطني وتشكيل مجلس نواب للأمة ينظر في مصالحها وصوالحها وتعديل قوانين العسكرية وابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفاً ونحن على طاعتنا للحضرة الخديوية

فذهبا الي الخديوي ثم رجعا وقال « قد عزل عثمان رفقي فمن الذي تريدونه ناظراً للجهادية » قلنا « الذي يختاره الخديوي من الوطنيين » فذهبا وعاد ثانيةً وقالا « ان الخديوي يقول اختاروا أنتم من ترضونه حتى لا يحصل منه مثل ما حصل من عثمان رفقي » فقلنا قد اخترنا هذا محمود سامي باشا وهو من أولاد المماليك الأُول ولكنه صدق معنا ولم يقصد الغدر بنا »

ثم صدرت الأوامر الخديوية باعادة كل منا الى آلايه وعزل عثمان رفقي وصار تولية محمود سامي على نظارة الجهادية مع نظارة الأوقاف وأخذ في سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الأصلية وتنقيحها

ثم لما شاعت الاراجيف الكاذبة في أوروبا بخروج العساكر المصرية عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاسة المشير علي نظامي باشا وبمعيته احمد راتب باشا والى الحجاز الآن لتحقيق أمر العصيان فرده الخديوي قائلا ان عساكري على طاعتي وان ليس ثم عصيان

وبعد ذلك اجتهدت الحكومة في غدرنا وأخذنا علي غرة أو بحيلة من ضروب الحيل ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامي باشا علي نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار وتشدد عليه بأن لا يجتمع بنا ولا يقيم بالعاصمة وتعين بدله داود باشا يكن وهو عديل الخديوي ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع باصدار أوامر لا يستطاع قبولها فردت اليه ونفرت القلوب منه

فكتبت له في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين في القاهرة الى ساحة عابدين لعرض طلباتنا على فخامة الحضرة الفخيمة الخديوية في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وكلفته عرض ذلك علي الحضرة الخديوية ثم كتبت الى جميع قناصل الدول بذلك وأعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم فلا خوف عليهم ولا على أموالهم

وفي الوقت المعين اجتمعت الآلايات البيادة والسواري والطوبجية في رحبة عابدين وكان ماهو مسطر في

بطون التواريخ وهو اسقاط الوزارة وترتيب مجلس النواب وابلاغ الجيش الي القدر المحدد بالفرمان السلطاني

وقد حبانا المرحوم الخديوي باجابة تلك الطلبات العادلة

وقد تعرض لنا المستر كوكس قنصل انكلترا بالاسكندرية حين ذاك وهددنا فلم نعبأ بتهديده لاعتمادي على صدق عزيمتي وطهارة ذمتي

ثم صار استدعاء شريف باشا من الاسكندرية وتعيينه رئيسا للوزارة على حسب اختيارنا له وتعين محمود سامي باشا ناظرا للجهادية ثانية وقد توقف شريف باشا في قبوله ٧ أيام ثم رضي بعد ذلك وصار توظيفي وكيلا للجهادية

وفي تلك النظارة صارت الامتحانات وترقي كثير من الباشاوات وأمراء الالايات والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب واستكملت الالايات وأنشئت القوانين العادلة وتعدلت الرواتب والماهيات بنسبة كل رتبة الي مادونها وصرف الحقوق الموقوفة من زمن مديد وأنشئ مجلس النواب وجعل رئيسه أبو سلطان باشا وعم العدل واستقامت الامور

وحين ذاك عرضت عليّ رتبة لواء (باشا) فرفضتها لئلا يقال اني انما أشتغل لمصلحتي فقط وبقيت في رتبة الميرالاي مدة وكالتي للجهادية

وأما رفيقاي عبد العال حلمي وعلى فهمى فقد تشرفا برتبة الباشوية الرفيعة

ثم ان مجلس النواب قرر في لائحته الاساسية أن يكون لهم الحق في نظر ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية ايرادها ومصروفها بشرط عدم الخروج عن دائرة التعهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجبهم المرحوم شريف باشا لذلك لانه سامحه الله أخذ رأي السير مالت وكيل انكلترا السياسي في مصر وقنصل فرنسا أيضا فأشارا عليه بعدم قبول لائحة المجلس فأصر مجلس النواب على الطلب في تنفيذ لائحتهم فلم يوافقهم وقدم استعفاءه واستعفت هيئة نظارته ثم تشكلت هيئة جديدة تولي رياستها محمود سامي باشا وجعل من رجالها حسن باشا الشريعي رحمه الله تعالى والمرحوم سليمان باشا أباظه والمرحوم عبد الله باشا فكري والمرحوم محمود باشا فهمى وسعادة مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة المصرية الآن

وجعلوني أيضا ناظرا للجهادية لاجل اطمئنان خاطر العسكرية الذين لايأمنون غيري في ذاك الوقت فقبلت ذلك

ثم أحسن عليّ برتبة لواء باشا من لدن المرحوم الخديوي توفيق باشا وكنت لا أريد ولكن قالوا انه لايليق أن يكون ناظر الجهادية برتبة أميرالاي وفي نظارته اللوا آت والفرقاء

فقبلتها للضرورة وشكرت للحضرة الخديوية وقد انتظمت الامور وهدأت الاحوال وصارت العساكر في أمن من الغدر — ولكن ألحت أوربا على الدولة العلية فأرسلت وفداً مندوبا من طرفها تحت رئاسة المشير المرخص درويش باشا لتحقيق مايقال من العصيان فجاء درويش باشا وبحث في الامر وكتب للحضرة السلطانية بأن العساكر على الطاعة وكذلك كتب المرحوم الخديو بالحقيقة فأرسلت الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية أربعمائة نيشان من أنواع مختلفة للاحسان بها على المستحقين من ضباط العساكر وأحسن عليّ بنيشان الدرجة الأولي المجيدي وحضر بوابور مخصوص يحمله سعادة سليم بك ياور الحضرة السلطانية فأبيت استلام النيشان المذكور الا من يد مولاي الخديوي

ثم كتبت تلغرافاً الي المابين الهمايوني برفع تشكراتي الخيرية للحضرة المقدسة السلطانية وتشرفت تلغرافياً بقبول تشكراتي لدي جلالة السلطان الأعظم وحصول المحظوظية لدي جلالته . كذا قيل بالتلغراف

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٣ جاءت الأساطيل الحربية والانجليزية والفرنساوية الى ثغر الاسكندرية وتقدمت للحكومة المصرية لائحة مشتركة من دولتي فرانسا وانكلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية وحقوق الدولة العلية وتقدمت نسخة منها للخديوي فرفضها مجلس النظار وقبلها الخديوي فاستعفت النظارة من وظائفها

وهاجت الافكار العمومية وطاشت العقول الزكية واجتمع مجلس النواب وقناصل الدول حولي كهرف الضبع يطلبون مني حفظ الامن والراحة العمومية فقلت لهم لاقدرة لى علي ذلك لاني قد استعفيت

فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديوي اعادتي الى نظارة الجهادية حفظا للنظام والراحة فصدر الامر الخديوي باعادتي الى النظارة المذكورة ثم دعيت الى الحضرة الفخيمة الخديوية فوجدت عنده جميع قناصل الدول ماعدا وكيل انكلترا السياسي وبحضرته درويش باشا المندوب السلطاني فأخذ عليّ تعهد بحفظ رعايا الدول الاجنبية وصار اعلان جميع مصالح الحكومة بذلك

وفي ١١ يونية سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة اسكندرية المشؤومة بتدبير ذوي الغايات لاجل تشويه أعمالي في نظر أوربا وخدش تعهدي بالحفظ والامن العمومي فأسرعت بارسال العسكر الى الاسكندرية حتي ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التي ابتدأ بها أحد المالطية من التبعة الانجليزية مع أحد حمارة الاسكندرية بايعاز وتعليم

ثم صار الشروع في تحقيقها في مجلس مختلط تحت رئاسة ذي الفقار باشا محافظ الثغر ومن الغريب العجيب انه لم يبحث أصلا في الدماء الذي سفكت بل كان البحث قاصرا على معرفة مقدار البضائع التي انتهبها الرعاع ليس الا

و بعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوي تحت رئاسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا وكنت من رجالها أيضا ثم انتقل الخديوي ودرويش باشا الى الاسكندرية

وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت افادة الي قومندان عساكر الاسكندرية من طرف أميرال الاسطول الانجليزي يقول فيها انه جاري تهديد العمارة الانجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وانه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدي العساكر المصرية والا ضرب الاسكندرية وخرب المدينة ودمرها

فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديوي حضره درويش باشا المندوب العثماني وقدري بك من رجال الوفد المذكور وجميع النظار وكبار الذوات المتقاعدين و بعد المذاكرة أجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لايبدأ بها الا بعد اطلاق ثلاث قنابل من الاسطول الانكليزي حتي لانكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت

الاوامر بذلك

وعند اشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الانجليز بالضرب على مدينة الاسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الانجليزية

واما الاسطول الفرنساوي فاعتزل جانبا كالمتفرج .

وضربت الطوابي حتى تهدمت استحكاماتها

وفي أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفا وهلعاً وفي اليوم الثامن انهزمت العساكر فرجعت الى كفر الدوار واتخذت خطا دفاعيا وتراجع المهزمون اليَّ وفي ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوي لاستحضار الخديوي ومعيته ومن معه من النظار ولما وصلت القطارات الى سراي الرمل لركوب الحضرة الخديوية ورجوعه الي عاصمة بلاده أبي أن يعود وأسرع في الذهاب الى رأس التين بعائلته ومن بمعيته وانحاز الى السفن الانجليزية

واستدام الحرب الى أن قدر الله تعالى شأنه بالخذلان العظيم في التل الكبير كما هو معلوم للجميع وتم الأمر بنفينا الي جزيرة سيلان وخرجنا من مصر في يوم ١٦ صفر الخير سنة ١٣٠٠ على قطار مخصوص الي السويس وفي سبعة عشر منه بارحنا الثغر المذكور علي مركب انكليزي اسمه « مريوطة » وفي أول شهر ربيع الأول خرجنا من السفينة الي ثغر (كولومب) ومكثنا بها تسع عشرة سنة الى أن تشرفت جزيرة سيلان بزيارة كريم الشيم عظيم الرأفة والحنو الدوق (كرنوال ديورك) ولي عهد الحكومة الانكليزية وتشرفت بزيارة سموه في مدينة كندي وتفضل عليَّ بالسؤال عن حالي وما أقاسيه من تباريح الغربة وذل النفي فقلت لسموه الأمبراطوري اني أعتبر تشريف سموه الى هذه الجزيرة وتشريفي باقبال سموه سبباً عظيما لانالتي نعمة الحرية والعود الي وطني العزيز من لدن مولاي الخديوي عباس باشا الثاني

فقال لى وهل تعرفه فقلت نعم وقبلت يد سموه مذ كان في سن ١٠ أعوام فوعدني خيراً فشكرت ودعوت ثم أحسن عليَّ بسجارة ملوكية قبلتها أدبا لحفظها تذكاراً للطف سموه ولم أحرقها بنار

وفي ٦ صفر الخير سنة ١٣١٩ صدرت الارادة الخديوية بالرخصة لي

بالعود الى مصر والاقامة فيها

واني أرجو من مكارم سمو مولاي الخديوي عباس باشا تمام رضاه وقد عرضت لسموه العالي تشكراتي ودعواتي الخيرية الصادرة عن صميم الفؤاد واخلاص النية

وقد تفضل حفظه الله سبحانه وتعالي بحملي وعائلتي الي مصر على مصاريف حكومته الخديوية

فأرجو من الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه

هذا واني أبرأ الى الله من حولي وقوتي في كل ماذكرته أو فعلته

واني يكون للمخلوق العاجز الضعيف مثلي من قوة يدافع بها ارادة أوروبا وقوة انكلترا العظمي فضلا عن بطش حكومة مصر القادرة وموافقة جلالة السلطان الأعظم على الاعلان بعصياني في جورنال الجوائب وانحياز حاكم البلاد الي المحارب لنا وانما كان ما كان بقضاء الله وقدره ولا راد لقضائه وقدره وليس لي فيه الا مجرد الكسب الاختياري الذي أثاب أو أعاقب عليه ولم يخطر ببالي أصلا الاقتداء بالفاتحين والمتغلبين كما ذكرتم ولا بتأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون —

لأني أري ذلك ضياعاً للاسلام عن بكرة أبيه وخروجاً عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله والبرهان على ذلك ارتفاع صوتي بالمحافظة على حياة المرحوم الخديوي السابق كمحافظتي على نفسي بكرة وعشياً مع احترام أعضاء عائلته الكريمة يشهد لي بذلك ماهو واضح بدفتر الأخبار اليومية المحفوظ بالديوان الخديوي وارادته الخديوية الصادرة الي مجلس التحقيق بعد الخذلان المظيم بالتل الكبير وسجننا مع جميع رجال العسكرية وأعيان البلاد وحكامها علمائها وقضاتها وتجارها مما هو معلوم لدي الجميع وغني عن البيان

والله الذي لا اله الا هو فالق الحب وبارئ النسمة اني ماخدمت بذلك دولة انكلترا ولا فرانسا ولا كنت آلة لدولة ما ولا للخديوي الاسبق المرحوم اسماعيل باشا ولا للمرحوم حليم باشا ولا أوحى الي بمساعدة الدولة العلية من عرش عظمتها

وانما كنت أجتهد في حفظ

استقلال بلادي مع نيل الحرية والعدل والمساواة لاهل بلادي المساكين وأنا خادم لهم وناديت سراً واعلانا بتأييدها وتأييد الذات الخديوية

ولكن المقادير الالهية غالبة فانعكست المؤثيات وتوالت الصعوبات انفاذ ماهو كائن في علمه أزلا سبحانه وتعالى

واني والله لا أكره شركسيا ولا روسيا لذاته وانما اكره الاعمال المغايرة للعدالة والانسانية والآداب الشريفة

وأحب العدل والمساواة بين بني الانسان

والحمد لله أولا وآخرا والشكر لله وللحضرة الفخيمة الخديوية التي منحتني نعمة العود الى وطني العزيز لاحظى برؤية ذاته الكريمة ورؤية أبنا. وطني الكرام قبل أن أفارق هذه الحياة الدنيا والحساب على الله

أحمد عرابي الحسيني المصري

هذا ما كتبه أحمد عرابي عن نفسه ولا نتعرض له بمناقشة لان المجال لا يسمح بذلك وكفانا أن نقول ان هذا البيان بقلم ذلك الزعيم نفسه فيه بلال لمن يريد أن يعرف أدوار تلك الحركة

عقب انكسار عرابي في التل الكبير انفتح الطريق للجيش الانجليزي فاستمر في قدمه حتي دخل القاهرة في سبتمبر سنة (١٨٨٢) م فقضى بذلك على الحركة العرابية وعادت الاعمال الي ما كانت عليه واحتلت انجلترة مصر احتلالا عسكريا

في سنة (١٨٩٢) توفي محمد توفيق باشا فخلفه ابنه الأكبر عباس حلمي باشا ففتح السودان في أيامه وتقوضت دولة الدراويش منه واتفقت دولة انجلترة مع مصر على أن يكون السودان شركة بينهما

وفي شهر أغسطس سنة (١٩١٤) هبت الحرب الاوربية العامة التي اشتركت فيها روسيا وانجلترا وفرنسا واليابان وبلجيكا وسربيا والجبل الاسود ضد المانيا والنمسا فأخذ لهيبها يشتد ويلتهم ما يجاورها من الامم فانضمت بلغاريا وتركيا الي المانيا والنمسا وكان عباس الثاني في مصيفه بالآستانة فلما انقطعت العلاقات بين انجلترة وتركيا رأت الاولى أن تعلن حمايتها على مصر وأن تعزل

خديوها وتجعل مصر سلطنة مستقلة تحت اشرافها فأسندت السلطنة الى الأمير حسين كامل باشا ولقبته بلقب سلطان فابتدأت ولاية عظمته في ٢ صفر سنة (١٣٣٣) الذي يوافق ١٩ ديسمبر سنة (١٩١٤)

هذا ملخص تاريخ مصر من عهد الفراعنة الأولين الى هذا اليوم الذي نكتب فيه هذه السطور وهو يوم الاثنين ٢ من ذي القعدة سنة (١٣٣٥)

(احصا آت عن الشؤون المصرية)

ننقل هذه المقتطفات الاحصائية عن الاحصاء السنوي العام الذي تصدره الحكومة المصرية ، والذي نعتمد عليه هنا هو الاحصاء الذي صدر في سنة ١٩١٥ وهو آخر احصاء مطبوع

طول الخطوط الحديدية بلغ في سنة (١٩١٥) ٤٦٦٣ كيلومتراً منها ٩٩٥ كيلومتراً تابعة لشركة سكك حديد الدلتا و ١٦٦ كيلومتراً سكك حديد الفيوم الضيقة و ١٠٩ سكك حديد الوجه البحري الضيقة

وبلغ عدد الوابورات ٨٠٦ منها ١٠٦ تابعة لشركة الدلتا و ١٣ لسكك الوجه البحري الضيقة و ١٩ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات الركاب ١٤٨٣ منها ٢٦٦ لشركة الدلتا و ٥٤ لسكك الوجه البحري الضيقة و ٤٧ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات البضاعة ١٥٩٨٠ منها لشركة الدلتا ١٥٧٢ ولسكك حديد الوجه البحري الضيقة ٣٠٦ ولسكك حديد الفيوم الضيقة ٢٦٣

وبلغ عدد الركاب ٣٣ مليون و ٢٢٦ ألف منها ٥ مليون و ٢٤ ألف على سكك حديد شركة الدلتا و ٧٣١ ألف علي سكك الوجه البحري الضيقة و ٦٥٧ ألف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ ثقل البضائع المنقولة ٤ مليون و ٨٥٧ ألف طن منها ٥٥٢ ألف طن علي سكك شركة الدلتا و ٦٢ الف علي سكك حديد الوجه البحري الضيقة و ٩٥ ألف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت ايرادات السكك الحديد فى تلك السنة ٢ مليون و ٤١٤ الف جنيه منها ٨٠ الف لشركة الدلتا و ١١ الف لسكك حديد الوجه البحري الضيقة

و ١٢ الف لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت الايرادات من جميع الخطوط المصرية ٣ مليون و ٩٦٦ الف جنيه في سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ يقابلها ٤ مليون و ٢٣١ الف جنيه سنة ١٩١٣ أي قبل الحرب

أما الترامواي فقد زاد عدد ركابه في سنة (١٩١٥) أربعة ملايين عما كان عليه في سنة (١٩١٤) وقارب أن يوازي عدد الركاب سنة (١٩١٠)

وبلغت تجارة مصر الخارجية (مجموع الصادرات والواردات) في سنة (١٩١٥) ٤٦ مليون و ٤٠٠ الف جنيه يقابله ٥٩ مليون و ٥٠٠ الف في سنة (١٩١٣) أي قبل الحرب

وبلغت واردات النقود ٢٠ مليون جنيه يقابلها ٣٧ مليون و ٧٠٠ الف جنيه في سنة (١٩١٣) أي قبل الحرب

وبلغت الصادرات من النقود ٢٧ مليون و ١٨٠ الف جنيه يقابلها في سنة (١٩١٣) قبل الحرب ٤٢ مليون و ٨٠٠ الف جنيه

بلغ مجموع ما أودع في صناديق التوفير ٤٥٩ الف جنيه يقابلها ٧٥٠ الف جنيه سنة (١٩١٤)

وورد في ذلك الاحصاء عن الامة المصرية ما يأتي :

« الامة المصرية على الارجح هي جزء من الاصل الحامي الذي تولد منه أيضا البربر والعرب والاتيوبيون لكن هذه السلالة التي من جنس واحد تغيرت في مصر محليا في جهة الشمال بدخول الاجانب وعلي الخصوص من سورية وفي الجنوب بامتزاج ضعيف مع الجنس الاسود والعرب . وقد حافظ المصريون بصفة عجيبة في مدة الستين قرنا الاخيرة علي الصفات الظاهرة الآن على الفلاحين وهذا الثبات كما تقدم القول منسوب لانعزال القطر وعدم تغيير جوار أهله الطبيعي.

« والنوبيون هم سلالة جنس نشأ عن اختلاط النوع المصري مع النوع الاسود

« ويوجد عنصر آخر مهم له علاقة بالوطنيين وهو يشمل القبائل الرحالة أو البدو الذين ينقسمون الي فريقين أصليين وهما القبائل التي تتكلم العربية وتسكن صحاري مصر السفلي والمتوسطة ، وقبائل

البيجا وهم القاطنون في الصحراء بين النوبيا وساحل البحر الأحمر

« ان أهم موارد ثروة القطر المصري هي الزراعة التي يشتغل بها ثلاثة أرباع السكان وتربته ليست كتربة معظم الأقاليم ناتجة عن تحلل الطبقة الصخرية بل مكوّنة من طمي مجروف بواسطة النيل من تلال الحبشة وتركت في أماكن هادئة وتربتها مؤلفة من طين صفيق رمادي اللون يختلف في طبيعته بين الطين والرمل الناعم وهي موافقة جداً للزراعة وخصبة لدرجة عظيمة وينسب لهذه الحالة مع اعتدال جوها أو انتظام الفيضان فيها ظهور التمدن بوادي النيل في أوائل التاريخ

«وأهم الحاصلات هي القطن والذرة والقمح والأرز والفول والشعير والبصل والطماطم والدخن والقصب والبرسيم والبطيخ . وبجوار البلاد الكبيرة تزرع الخضراوات كما انه جار تصدير كميات عظيمة من البصل والطماطم وبها أيضاً أشجار كثيرة من الفواكه المشتملة علي البلح والبرتقال والموز والتين والعنب والتوت ولكنه لا يوجد في القطر الا قليل من أشجار الخشب وعلى ذلك يكون أغلب الأخشاب مجلوبا من الخارج

«والحيوانات الأهلية من جملتها الجمال والخيل والحمير والبقر والجاموس والمعز والغنم ولكن المواشى ليست كافية لتوريد مايلزم من اللحوم للتغذية ولم تزل آخذة في النقص ولذا تجلب حيوانات الذبح من الخارج بما قيمته مليون جنيه سنويا

« أما الحيوانات الوحشية فقليلة وليست لها أهمية تذكر ومن طيورها المألوفة الغراب والعصفور والصقر والحدأة والسماني والبكاشون والبط وطيور مائية أخري

« أما السمك فكثير في النيل وفي البحيرات المنتشرة علي ساحل البحر المتوسط

« أما الحشرات الموجودة بها فهى الذباب والنمل والجراد والناموس والبراغيث وقد اتخذت احتياطات فعالة لازالة الحمي الملاريا بواسطة ابادة الناموس في الاسماعيلية وبور سعيد وحلوان وبعض جهات صغيرة

«ولا يوجد في جهات السواحل

الواقعة جنوب وادي النيل معادن تصلح للصناعات خلاف الادوات الخاصة بالبنا التى توجد بكميات وافرة

« أما ثروة القطر المعدنية فموجودة في الجهات الصحراوية اذ انه جار فيها الآن حفر بعض المناجم خلاف مناجم أخري كثيرة معلوم بوجودها في أماكن مختلفة كما سيجئ الكلام عن ذلك واذا روعي عظم اتساع تلك الصحاري لقلّت كثيراً بجانبه تلك المناجم المعلوم بوجودها الآن . ومع ذلك فلا يخفي بأن مساحة عظيمة من تلك الصحاري لم تجس للآن وقد يحتمل كثيرا أن يكون بها مناجم أخري

« أما مواقع المناجم التي اكتشفت للآن فيبعد كثيراً بعضها عن بعض كما وانها بعيدة أيضاً عن النيل وهذا هو السبب في تأخر اتساع صناعة حفر المناجم التى تقدمت في السنوات الأخيرة تقدماً عظيما

« ولما كان المصريون مكرسين أنفسهم للاشتغال بالزراعة فلم يقدم منهم على الاشتغال في المناجم الموجودة الا نفر قليل وان أصحاب هذه المناجم والقائمين بادارة أشغالها هم من الأجانب فقط

« وأهم المعادن الخام الجاري استخراجها لاستخدامها في الصنائع هي أحجار البناء والخزف والجبس والذهب والرصاص والنيكل والزنك والمغنيس والملح والنطرون ونترات الصودا وزيت البترول والفوسفات وحجر الزيتون والفيروز

« أما محاصيل المحاجر والجبس ونيترات الصودا والفيروز فجار البحث لايجاد طريقة لعمل احصائية عنها لأنه لم يعمل للآن عن تلك المحاصيل شيء يعتمد عليه

« ولا يخفي بأنه يوجد أيضا بالقطر خلاف ما ذكر مناجم للشبة والنحاس والزمرد وحجر الجرانيت والحديد والنيكل والكبريت ولكن لم يستخرج منها شيء حتي الآن »

ثم جاء في الاحصاء بعد ذلك احصاء عن قيمة محاصيل المناجم المصرية فجاء منه أن ايراد مناجم الذهب بلغ ٢٤٤٩١ جنيه فى سنة ١٩١٥ والرصاص بلغت قيمته ١٨٧٢ واستخرج من النيكل ٢٣٣ طونيلاطه واستخرج من الزنك

ما قيمته ١١١٦ جنيه ومن نيترات الصودا ما ثمنه ٤٢٧١ جنيه . ومن الفوسفات ماقيمته ٨٣٩٩٨ جنيها ومن زيت البترول ماثمنه ٣٠٠٥٤ جنيها

الحرارة الجوية نهايتهـا الكبري في شهر يناير ١٨ر١ بالاسكندرية و٢٠ر٤ بأسيوط و٢٣ر٧ باسوان و١٩ بالجيزة

وفي فبراير ١٩ر٣ . و٢٢ر٩ و٢٦ر٢ و ٢١ في الأولي والثانية والثالثة والرابعة من الجهات المذ كورة

وفي مارس	٢٠ر٩	و ٢٦ر٧	و ٣٠ر٣	و ٢٣ر٤
وفى ابريل	٢٣ر٦	و ٣١ر٩	و ٣٥ر٧	و ٢٧ر٩
وفي مايو	٢٦ر١	و ٣٥ر٨	و ٣٩ر٤	و ٣١ر٩
وفي يونيه	٢٨	و ٣٧ر٤	و ٤١ر٩	و ٣٤ر٢
وفي ولية	٣٠ر٢	و ٣٧ر٢	و ٤١ر٧	و ٣٥ر١
وفي أغسطس	٣٠ر٤	و ٣٦ر٧	و ٤١ر١	و ٣٤ر٤
وفي سبتمبر	٢٩ر٤	و ٣٣ر٦	و ٣٩ر٥	و ٣١ر٦
وفي اكتوبر	٢٧ر٥	و ٣٠ر٦	و ٣٧	و ٢٩ر٤
وفي نوفمبر	٢٣ر٩	و ٢٦ر٣	و ٣٠ر٦	و ٢٥
وفي ديسمبر	٢٠	و ٢١ر٨	و ٢٥ر٣	و ٢٠ر٥

هذه درجة الحرارة التي يصل اليها الجو في النهاية الكبري في الاسكندرية وأسيوط وأسوان والجيزة . وأما نهايتها الصغري في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	١٠ر٣	و ٥ر٤	و ٩ر٤	و ٥و٦
وفي فبراير	١١ر١	و ٦ر٥	و ١١	و ٦ر٤
وفي مارس	١٢ر٥	و ٩ر٣	و ١٣ر٧	و ٨ر١
وفي ابريل	١٤ر٧	و ١٤ر١	و ١٨	و ١١ر٥
وفي مايو	١٧ر٥	و ١٨ر٤	و ٢٣ر٣	و ١٤ر٦
وفي يونيه	٢٠ر٤	و ٢١ر٣	و ٢٤ر٨	و ١٧ر٦

وفي يوليه   ٢٢ر٧ و ٢٢ر٤ و ٢٥ر٣ و ١٩ر٤
وفي أغسطس   ٢٣ر٣ و ٢٣ و ٢٥ر٤ و ٢٠
وفي سبتمبر   ٢٢ر١ و ٢٠ر٩ و ٢٣ر٢ و ١٧ر٨
وفي اكتوبر   ٢٠ر٣ و ١٧ر٧ و ٢٠ر٦ و ١٥ر٧
وفي نوفمبر   ١٦ر٥ و ١١ر٦ و ١٥ر٢ و ١١ر٧
وفي ديسمبر   ١٢ر٤ و ٧ر١ و ١١ر١ و ٧ر٨

أما متوسط درجة الحرارة في هذه الجهات الاربع فيالشهور المذكورة فهي :

في يناير   ١٣ر٥ و ١١ر٦ و ١٤ر٨ و ١٠ر٩
وفي فبراير   ١٤ر٣ و ١٣ر٢ و ١٦ر٨ و ١٢ر٣
وفي مارس   ١٥ر٦ و ١٦ر٨ و ٢٠ر٣ و ١٤ر٩
وفي ابريل   ١٧ر٨ و ٢١ر٩ و ٣٠ر٣ و ١٤ر٩
وفي مايو   ٢٠ر٨ و ٢٦ر٢ و ٣٩ر٣ و ٢٢ر٨
وفي يونيه   ٢٣ر٣ و ٢٨ر٨ و ٣١ر٩ و ٢٥ر٤
وفي يوليه   ٢٥ر٤ و ٢٩ر٣ و ٣٢ر٤ و ٢٦ر٥
وفي أغسطس   ٢٦ و ٢٩ر١ و ٣٢ر٢ و ٢٦ر٣
وفي سبتمبر   ٢٤ر٩ و ٢٦ر٤ و ٣٠ر٣ و ٢٤ر١
وفي اكتوبر   ٢٣ و ٢٣ر٤ و ٢٧ر٥ و ٢١ر٦
وفي نوفمبر   ١٩ر٣ و ١٧ر٩ و ٢١ر٤ و ١٧ر١
وفي ديسمبر   ١٥ر٥ و ١٣ر٦ و ١٦ر٥ و ١٢ر٧

أما أعلا درجة من النهاية الكبري في الجهات المذكورة فهى :

في يناير   ٢٧ر٢ و ٣٠ر٥ و ٣٧ر٢ و ٢٩ر٨
وفي فبراير   ٣٣ و ٣٤ و ٣٧ر٥ و ٤٠ر٧
وفي مارس   ٣٩ر٤ و ٤٢ر٥ و ٤٣ر٢ و ٣٥ر٩
وفي ابريل   ٣٩ و ٤٩ و ٤٦ر٦ و ٤١ر٥

وفي مايو ٤٣ و ٤٦ و ٤٧ر٢ و ٤٢ر٦
وفي يونيه ٤٤ر٩ و ٤٩ و ٥٠ و ٤٥ر٨
وفي يوليه ٣٧ و ٤٥ و ٤٧ر٢ و ٤١ر٦
وفي أغسطس ٣٥ و ٤٢ر٥ و ٤٨ر٣ و ٣٩ر٢
وفي سبتمبر ٤٠ و ٤١ر٥ و ٤٨ر٣ و ٤٠ر٤
وفي اكتوبر ٣٩ر٩ و ٣٩ر٥ و ٤٨ر٩ و ٤١ر٥
وفي نوفمبر ٣٥ و ٣٤ و ٤١ر٥ و ٣٧
وفي ديسمبر ٢٩ر٥ و ١٣ر٦ و ٣٥ر٢ و ٢٧ر٦

أما أقل درجة من النهاية الصغري في الجهات المذكورة فهي :

في يناير ٤ و ٠ر٠ ر ٣ ر ٢ر٥
وفي فبراير ٣ و ٠ر٠ و ٣ر٥ و ٠ر٥
وفي مارس ٥ر٥ و ٢ر٠ و ٣ر٩ و ١ر٠
وفي ابريل ٩ر٧ ر ٧ر٠ و ١٠ و ٤
وفي مايو ١٢ و ١٠ر٥ و ١٤ر٤ و ٨ر٣
وفي يونيه ١٦ر٣ و ١٥ و ١٩ر٠ و ١٢ر٢
وفي يوليه ١٧ر٥ و ١٥ر٥ و ٢٠ر٦ و ١٥
وفي أغسطس ١٨ و ١٩ و ١٧ر٨ و ١٦ر١
وفي سبتمبر ١٥ر٧ و ١٦ر٥ و ١٣ر٣ و ١٢ر٥
وفي اكتوبر ١٢ر٢ و ١٠ر٥ و ١١ر١ و ١٠ر٢
وفي نوفمبر ٨ و ٤ر٥ و ٣ و ٤ر٥
وفي ديسمبر ٦ و ٠ر٠ و ٢ر٥ و ٤ر٠

(التعليم في مصر) جاء في كتاب الاحصاء الرسمى تحت عنوان (نبذة تاريخية وجيزة عن سير التعليم الرسمى القائمة به الحكومة في القطر المصري ما يأتي :

« أدخل المرحوم محمد علي باشا مؤسس الأسرة الحاكمة التعليم الحديث بالقطر المصري نظراً لاحتياجاته الحربية

«وقد وضع التعليم على الطريقة الشرقيه في القطر المصري منذ سنة (٦٤١) م علي الأقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصاً على العلوم الدينية والآداب. وأول جامع شيده عمرو بن العاص في مصر القديمة لم يلبث طويلا حتي صار معهداً دينياً مهماً. وكان من دأب الأمراء المسلمين الذين يلون أمر مصر توطيداً لسلطتهم وتخليداً لذكراهم أن يشيد كل منهم جامعاً من أهم ميزاته وجود مدرسة فيه

«ونحو سنة (٩١٠) أسس القائد الفاطمي جوهر الجامع الأزهر الشريف في القاهرة فحاز أهمية كادت تفوق على أهمية مدينة بغداد التي كانت وقتئذ أهم مركز في العالم للتعليم الاسلامي ولهذه الأهمية كان محطا لرحال عظماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامي وقد بلغ عدد طلبته في القرنين الثالث والرابع عشر عشرين ألفا

« وفي نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالى على البلاد الاسلامية من الوهن أما الآن فقد أدخل فيه بعض الاصلاحات الحديثة من جهتي النظام وطريقة التعليم

« وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبري التى لم يزل باقياً منها خمسة للآن توجد مدارس أخري معروفة بالمكاتب منها ماهو تابع للجوامع ومنها ماهو تابع للأسبلة أو الأضرحة وفي هذه المكاتب كانت تتعلم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن. أما اليوم فقد نظمت علي حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجاري منحها لها بأن اتسع نطاق التعليم وعين لها مدرسون أكفاء بنسبة حالتها

« أما طريقة التعليم الأوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً في القطر المصري فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقي بل هي طريقة مستجلبة اذ انه لما أسندت ولاية مصر الى المرحوم محمد على باشا سنة (١٨٠٥) و بعد تخلصه من المماليك العصاة سنة (١٨١١) عزم علي تمكين دعائم سلطانه بانشاء جيش بري وبحري منتظمين على الطرق الأوربية ولايجاد المستخدمين اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دفتها كان محتاجا

والحالة هذه الي رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فشرع في سنة (١٨١٦) أن يرسل الى ليفورن وميلان وفلورنسا ورومة وفيما بعد الى انجلترة وفرنسا أبناء المماليك والأتراك ثم أتبعهم بأبناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الاداري والطب وخلافه و بعد ذلك ببضع سنين أنشأ في بحر عشر من السنين تقريباً (١٨٢٤ ـ ١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة للطب ومدرسة للبيادة ومدرسة للسواري ومدرسة للطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة للطب البيطري ومدرسة للمهندسين وخلافه

« وفي سنة (١٨٣٦) أنشأ الوالى مجلساً للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الى « نظارة معارف عمومية » وفي خلال السنة التالية أوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الى خمسين ثم أنشأ مدرسة ثانوية ومدرسة الزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة للترجمة ومدرسة للفنون والصنائع وجميعها منظم على قدر الامكان على الطرق الفرنسية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولذا قضى علي عدة مدارس أن توصد أبوابها بعد سنة واحدة الا عدداً قليلا جداً من بينها بقي حتى سنة (١٨٤١) ومع ان التلاميذ كانوا يسكنون ويأكلون ويلبسون على نفقة الحكومة وتعطى لهم أيضا اعانة فما كانوا ليدخلوا المدارس الا مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى « التعليم العام في القطر المصري »

«وقد تعدت كراهة الفلاح المصري للخدمة العسكرية الي الدخول في المدارس رغما عن الفوائد التى كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق على ولده لتربيته وتعليمه . وقد كان الأهالى يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتي اضطرت الحكومة الي ايجاد نظام اجباري للدخول في المدارس و بذلك غصت جميع المدارس تقريباً بالتلاميذ الذين أخذوا قهراً من آبائهم ووزعوا عليها على حسب أعمارهم و بنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ أو نقلهم من مدرسة لأخري أو ابقائهم

فيها تبعاً لذ كائهم وأميالهم

« وقد أوجب تنقيص الجيش عند انهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة وقفل معاملها زيادة عن عدد الشبان الحائزين على شهادات عالية أكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتي كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الأسباب ألغى عباس باشا الأول حال جلوسه على العرش سنة (١٨٤٩) جميع المدارس ماعدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا على الأريكة الخديوية سنة (١٨٦٣) أعاد انشاء المدارس على قاعدة أوسع من ذي قبل الا انه التزم فيما بعد على تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلى أثر الارتباكات المالية اضطرت الحكومة الي الاقتصاد فى هذا الصدد حتي انه في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الي مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً

«وفي مدة المراقبة الانجليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الى ٧٠٠٠٠ جنيه مصري وفي سنوات الاحتلال الانجليزي اضطرت الحكومة الى عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلد المالية، ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة أن توجه أولا نظرها نحو حاجاتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه الا في سنة (١٨٩٠) ومن بعد ذلك الحين وخصوصا من ابتداء سنة (١٩٠٤) كانت هذه المصاريف تزاد على الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

« وفضلا عن المدارس الأميرية يوجد عدد عظيم من المدارس الأهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريباً على نظام المدارس الأميرية وسائرة على انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس ينفق عليها من جمعيات خيرية وهناك أيضا بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الأجانب وأغلبها تابع للارساليات الدينية أنشئ بعضها في أواسط القرن التاسع عشر

«وفي سنة ١٩٠٧ أنشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجاري وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف

العمومية سداً للاحتياج العظيم الى صناع ماهرين و بقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل وان ادارة التعليم الزراعي التى اتساع نطاقها آخذ في الزيادة يوما عن يوم قد نقل مركزها سنة (١٩١٤) الي وزارة الزراعة التي أنشئت في بحر سنة (١٩١٠) وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية و بمدارس البنات ومدارس المعلمات

« و بمقتضي قانون نمرة ٥٢ الصادر في سنة (١٩١١) ضمت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم الديني ولهذا الغرض رخص لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة

«وعلاوة علي ذلك فان وزارة المعارف تعطي اعانات للمدارس الأهلية الابتدائية والصناعية والثانوية» انتهى

في المدارس المصرية ٥٣٧٢٧٠ تلميذاً منهم ٧٩٥٧٣ بنتا و باقيهم أي ٤٥٧٦٩٧ من الذكور . منهم مسلمون ٣٩٨٨٦٦ من البنين و ٥١٥٣١ من البنات . ومن الأقباط ٣٧٤٣٩ من البنين و ١١١٨٦ من البنات . ومن الارثوذوكس ٧٣٢٧ من البنين و ٥٥٥١ من البنات . ومن الكاتوليك ٧٢١٧ من البنين و ٦٣٣٨ من البنات . ومن البروتستانت ٢٤٠٩ من البنين و ٩٠٤ من البنات. ومن الاسرائيليين ٤٣٦٨ من البنين و ٣٨٨٩ من البنات . ومن ديانات أخري ١٧١ من البنين و ١٧٤ من البنات

في القاهرة	٦٩١	مدرسة فيها	٨٣٥٧١	تلميذ
وفي الاسكندرية	٣٨٦	« «	٤٢٩٨٨	«
وفي بور سعيد	٤٦	« «	٥٦٦٣	«
وفي الاسماعيلية	١٩	« «	١٢٦٩	«
وفي السويس	٢٥	« «	١٨٤٤	«
وفي دمياط	٣٨	« «	٤٢٥٨	«
وفي مديرية البحيرة	٥٤٤	« «	٢٧٠٤٦	«
« « الدقهلية	٧٠٤	« «	٤٢٩٣٦	«
« « الشرقية	٨٢٦	« «	٢٣٨٠٣	«

وفي مديرية	الغربية	١٢٥١	مدرسة فيها		٧٦٠٧٨	«
«	« القليوبية	٤٢٣	«	«	٢٠٤٣٤	«
«	« المنوفية	٧٧٨	«	«	٤٥٠٢٢	«
«	« أسيوط	٥٥٠	«	«	٣٢٢٦٢	«
«	« أسوان	١٥٩	«	«	٩٨٠٠	«
«	« الجيزه	٢٩٩	«	«	١٤٠٧٤	«
«	« الفيوم	٣٠٨	«	«	١٣٤٤٤	«
«	« المنيا	٤٦١	«	«	٢٢٣١٥	«
«	« بني سويف	١١٦	«	«	٧٥٣٢	«
«	« جرجا	٤٩٧	«	«	٢٣٢١٥	«
«	« قنا	٤٤٢	«	«	٢١٢٧٩	«

وجاء في ذلك الاحصاء تحت عنوان (لمحة تاريخية عن أعمال مصلحة البريد في القطر المصري ما يأتي :

(نظامها الأول) لم يعثر على أثر لأشغال البريد في القطر المصري قبل زمن المرحوم محمد على باشا الكبير فقد أنشئت في عهده ادارة بوستة للمراسلات الأميرية فقط وكان مخصصا لنقلها سعاة مشاة تحت رئاسة رجل يدعي الشيخ عمر حمد من القاهرة ولم تتعد أشغال البريد في بادئ الأمر حدود القطر المصري الا انها مالبثت أن امتدت الى السودان حين فتحه سنة (١٨٢١) فاضطرت الحال حينئذ لتعيين سعاة هجانة بها

« ولما كانت الحكومة لا تسمح لسعاتها بنقل خطابات خصوصية نظم الشيخ حسن البديلي من سكان القاهرة بريداً من سعاة خصوصيين لنقل رسائل الجمهور

« ولم توضع وقتئذ تعريفة عن الرسائل التي كانت ترسل بواسطتهم بل كانت كلما اقتضت الحال لنقل رسالة يتساومون على أجرتها

« الا انه فيما بعد أخذت الحكومة على نفسها نقل خطابات الجمهور المرسلة الي مصر الوسطي ومصر العليا (الصعيد) والسودان ووضعت لذلك رسوما تتفاوت بين ١٠ بارات و ٣٠ بارة أي من ٢٠ ونصف الي ٧ ونصف مليمات عن الدرهم الواحد وهو يساوي ٣ غرامات ونصف وذلك عن المراسلات التي برسم مصر الوسطي ومن قرش الى ثلاثة قروش أي من ١٠ مليمات الي ٣٠ مليما عن المراسلات التى برسم مصر العليا ومن ثلاثة قروش و٢٥ بارة الي ستة قروش وخمسة باره أي ٣٦ مليما وربع المليم الى ٦١ مليما وربع المليم عن الرسائل التى برسم السودان

(أول ادارة بريد نظمت بين الاسكندرية والقاهرة) وفى ذلك الحين أنشأ رجل يسمى كارلوميراتي وأصله من ليفورنو ادارة بريدية على ذمته في الاسكندرية لتصدير وتسليم الخطابات المتبادلة مع البلدان الأجنبية واستلام الواردة منها فكان يستلم المراسلات من الجمهور ويحملها الي البواخر المسافرة كما انه كان يتوجه لاستلام الخطابات الواردة ويوزعها على أصحابها وبذلك توصل لانشاء مكتب بوستة في الاسكندرية . ولما رأي نجاح عمله هذا أنشأ أيضاً فى سنة (١٨٤٣) ادارة منتظمة لنقل المراسلات بين الاسكندرية والقاهرة وكان السعاة يقطعون المسافة بين هاتين المدينتين في ظرف ٢٤ ساعة

(البوستة الاوربية) وعلى أثر وفاة ميراتي المذكور تولى أولاد أخته اخوان تشيني ادارة البريد وكانت معروفة وقتئذ بالبوستة الأوروبية

« وفي سنة (١٨٤٧) اشتركا مع جاكمو موتسى الذي صار فيما بعد موتسي بك وهو أول من عين مديراً للبوستة المصرية

(مكاتب البوستة الأولية) وأول ما افتتح من مكاتب البوستة بعد مكتب الاسكندرية كان في القاهرة والعطف ورشيد في سنة (١٨٥٤) ومكتب دمنهور وكفر الزيات في (١٨٥٥) وقت انشاء الخط الحديدي بين الاسكندرية وكفر الزيات وتلا ذلك افتتاح مكاتب طنطا وبنها والبركة فى سنة (١٨٥٦) حين مد خط السكة الحديدية الي القاهرة

(نقل البوستة على قطارات السكك

الحديدية) وما كاد يمتد خط من خطوط السكك الحديدية الا وبادرت ادارة البريد الى ارسال مراسلاتها عليه بدلا من السعاة وذلك مقابل مبلغ كانت تدفعه للحكومة سنويا وبلغ أقصاه في آخر الامر ٧٨٠ جنيها مصريا وفي سنة (١٨٦٣) رخصت الحكومة بنقل مراسلات البوستة مجانا علي قطارات السكك الحديدية كما ان البوستة الاوربية أخذت علي نفسها فرز المراسلات الأميرية وارسال مستخدمين من قبلها لمرافقتها بلا مقابل

(شراء الحكومة لادارة البوستة)

ولما رأت الحكومة اتساع نطاق أعمال تلك الادارة وأهميتها عزمت منذ سنة (١٨٦٤) على شرائها لجعلها مصلحة عمومية فوسطت محل درفيه وشركاه وعهدت اليه المفاوضة في ذلك مع اخوان تشيشى وجا كوموتسي الذين تنازلوا للحكومة عن ادارة البوستة مقابل مبلغ ٩٥٠٠٠٠ فرنك

« وبناء على ذلك دخلت ادارة البوستة تحت سلطة الحكومة المصرية من أول يناير سنة (١٨٦٥) فصارت مصلحة أميرية وكان عدد مكاتبها وقتئذ ١٩ مكتباً

(سير أعمال البوستة منذ سنة ١٨٦٥) كانت التسعة عشر مكتبا المنوه عنها تتبادل المراسلات على اختلاف أنواعها وكذلك الخطابات ذات القيمة المقررة وحوالات البوستة وصرر النقود وارساليات الأشياء الثمينة

وأول ما فكرت فيه المصلحة الجديدة هو تخفيض رسم الخطابات المتداولة في دائرة الوجه البحري فجعلته قرشا واحداً أي ١٠ مليمات عن كل سبعة غرامات ونصف

« وفي سنة (١٨٧٨) قررت أن يكون هذا الرسم عينه عن ١٠ غرامات بدلا من ٧ ونصف كما انها خفضت رسم الخطابات المصدرة الى الوجه القبلي من قرشين عن العشرة غرامات الى قرش واحد فأصبح الرسمان متساويين في الوجهين البحري والقبلي ثم خفض هذا الرسم أيضا في سنة (١٨٩٠) الي ٥ مليمات عن كل ١٥ غراما وأصبح الان ٥ غرامات عن كل ٣٠ غراما وكذا رسم التسجيل فبعد ان كان قرشين عن كل مراسلة خفض الي قرش واحد عن كل ١٥ غراما

ثم جعل الآن قرشا واحداً عن كل ٣٠ غراما وفي سنة (١٩٠٥) خفض هذا الرسم الى ٥ مليات عن المراسلات المصدرة الي بريطانيا العظمي ومستعمراتها وفي سنة ١٩٠٦ عن المصدرة الى ايطاليا ومستعمراتها ومن أول يوليه سنة (١٩١٢) عن المراسلات المتبادلة مع بلاد النمسا

« كانت أشغال البريد مع البلدان الاجنبية في بادئ الامر قاصرة على تبادل المراسلات ولكن تخليص رسومها لم يكن يخلو من صعوبة وهذه الصعوبة كانت ناشئة عن تحصيل رسمين عن رسالة واحدة رسم مصري عن الداخل ويلصق عليها بقيمته طوابع بوستة مصرية ورسم أجنبي عن الخارج ويلصق عليها بقيمته أيضا من طوابع ذلك البلد الاجنبي المصدرة اليه تلك الرسالة وكذلك كانت الحال عند ارسال مراسلات من الخارج الي هذا القطر . ولما كان من الصعب الحصول على الطوابع الاجنبية فمعظم الخطابات المرسلة من والى الخارج كانت تتحصل عليها قيمة الرسوم الباقية مضاعفة في البلاد المرسلة اليها

« وقد تناقص هذا الضرر تدريجيا بفضل الاتفاقات الخصوصية التي عقدتها البوستة المصرية الواحد تلو الآخر مع بلدان أجنبية كثيرة وبمقتضى تلك الاتفاقات أمكن التخليص على المراسلات بطوابع البلد الصادرة منه وقد تلاشى ذلك الضرر كلية بتنفيذ قرارات مؤتمر برن

« عقد المؤتمر الدولى للبريد سنة (١٨٧٤) في برن فقرر تأسيس اتحاد البوستة العام الذي انتظمت فيه مصر منذ تأسيسه والغاء حسابات الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لان المحصل عن المراسلات غير خالصة الاجرة كان حقا للبلد الصادرة منه تلك المراسلة وقرر أيضا الغاء الرسوم العالية والخصوصية لكل بلد وصادق على وضع رسوم متساوية لجميع البلدان القابلة باتحاد البوستة العام عن المراسلات التي ترد غير خالصة الاجرة أو غير مستكملتها

وفي مؤتمر البريد المنعقد في باريس سنة (١٨٧٨) قبلت الحكومة المصرية بأحكام النظام الخاص بتناول الحوالات

الخارجية الآن مصلحة البوستة المصرية لم تنتظر عقد هـذا المؤتمر لتبادل هـذه الحوالات بينها وبين بعض البلدان بل عقدت اتفاقا خصوصيا عن ذلك في سنة (١٨٧٢) مع البوستة الايطالية وفي سنة (١٨٧٤) مع البوستة البريطانية

« وفي سنة (١٨٨٠) قـرر مؤتمر باريس تبادل طرود البوستة داخل القطر ومع البلدان الاجنبية

« وفي سنة (١٨٨٥) قرر مؤتمر لشبونة الحوالات التلغرافيـة والطرود المؤمن عليهـا والمحول عليهـا وأشـغال التحصيل ودفاتر اثبات الشخصية

« وفي سنة (١٨٩١) قرر مؤتمـر فينا طريقة الاشتراك في الجرائد الخارجية والتأمين عـلى الخطابات والعلب ذات القيمة المقررة والتأمين أيضـا على صرر النقود من الأخطار التي تحـدث في الأحوال القهرية (وذلك بعـد أن أقر على مبدأ خلو مصر من مسؤولية الاخطار التى تحدث في الأحوال القهرية أسـوة بـكثير من البوستات الأجنبيـة) وتخفيض أقل رسم يؤخذ عن الحوالات الخارجية وقد أجاز المؤتمر المذكور أيضا دفع رسوم طرود البوستة الجمركية وغيرها مقدما في محل الارسال بدلا من تحصيلها في البلدان المصدرة اليه الطرود

« في سنة (١٨٩٨) قرر مؤتمـر وشنجتون زيادة أكبروزن مقرر للعينات وتخفيض رسم الحوالات الخارجية مع اعلاء أقصى القيمة المقررة لها

« وفي سنة (١٩٠٦) قرر مؤتمر روما اعلاء وزن الخطـابات وتخفيض رسمها وتوسيع المحل المخصص للتحرير في تذاكر البوستة وقسـائم المجاوبة وتخفيض رسم الحوالات ورسم [illegible] ور ارسالبات البوستة

« قبل أن تصير البوستة في مصر مصلحة أمـيرية رأي الأجانب مختلفو التبعيات الذين كان لهم وقتئذ في الشرق أشغال عديدة أن ينشئوا لهـم في القطر مكاتب بوستة خصوصية ولم يبق للآن من جميع تلك المـكاتب الا مكـتبي البوسـتة الفرنسية في الاسـكندرية وبورسعيد وأنشئ أولهما سنة ١٨٠٦ أما مكتباها في القـاهرة والسويس فألغى الأول سـنة (١٨٧٥) والثاني سـنة (١٨٨٨) وكـذا الغيت المـكاتب الأجنبية الأخرى فمنها مكتبا البوستة

الانجليزية في الاسكندرية والسويس وكان انشاؤهما في سنة (١٨٣١) والغاؤهما في سنة (١٨٨٨) وكذا المكاتب النمساوية واليونانية والايطالية والروسية وكلها في الاسكندرية فانها أنشئت في سنوات ١٨٣٨ و ١٨٥٩ و ١٨٦٦ و ١٨٥٧ والغيت فى سنوات ١٨٨٩ و ١٨٨٢ و ١٨٨٤ و ١٨٧٥

« ورغبة في ايجاد طرق للمواصلات مع الجهات التى لم تزل محرومة من الخطوط الحديدية أنشأت مصلحة البوستة وابورات لنقل البريد والركاب أيضا فرتبت فى سنة (١٨٦٩) خط وابورات بوستة فى قناة السويس بين بورسعيد والاسماعيلية . وبعد سنة (١٨٨٠) أنشأت خطوطا مثلها في النيل بين أسيوط واسوان وبين كفر الزيات والعطف وفي البحر الصغير بين المنصورة والمنزلة وفي بحرشبين وقد الغيت جميع هذه الخطوط بالتدريج على أثر مد خطوط السكة الحديدية اليها

« أنشئت خطوط البوستة الطوافة في أول مايو سنة (١٨٨٠)

« في سنة (١٩٠٥) ابتدئ بتبادل بونات البوستة الانجليزية مابين القطر المصري وبريطانيا العظمي والمستعمرات الانجليزية

« ونظرا لما رؤي من فائدة استعمال هذه البونات صدرت بونات مصرية في يوليه سنة (١٩٠٥) للتعامل بها في داخلية القطر فقط وهي تعرف باسم أذونات البوستة الداخلية

(طوابع البوستة) أصدرت الطوابع الاولى للبوستة المصرية في سنة (١٨٦٦) وكان صنعها في مدينة جنوة وفئاتها ٥ و١٠ و٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٥ و ١٠ قروش

« ثم الاصدار الثاني فى سنة (١٨٦٧) وكان تشغيله في مطبعة بناسون وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٥ قروش

« والاصدار الثالث في سنة (١٨٧٢) وجري تشغيله في المطبعة الاميرية ببولاق وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٢ ونصف و٥ قروش

« وفي سنة (١٨٧٤) عمل اصدار اضافي من فئة ٥ بارات (برسم معكوس) و ١٠ و ٢٠ بارة ومن فئة القرش الواحد وفي سنة (١٨٧٩) عدلت قيمة بعض طوابع من فئة القرشين ونصف السالفة

الذكر وجعل بعضها من فئة ٥ بارات والبعض الآخر من فئة ١٠ بارات بواسطة طبع هذه القيم عليها

« أما الاصدار الرابع فكان في سنة (١٨٧٩) وعهد بتشغيله الى محل الخواجات ديلاري بلوندرة ولم يزل هذا المحل قائماً بطبع الطوابع المصرية الى الآن وأول طوابع صنعت فيه وجري تداولها في سنة (١٨٧٩) كانت من فئات ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة ومن ١ و ٢ و ٥ قروش

« في سنة (١٨٨١) أصدرت طوابع جديدة بنفسجية ورمادية اللون من فئات ١٠ بارات

« وفي سنة (١٨٨٤) عهد الي المطبعة الاميرية أن تحول مقدار من الطوابع الى فئة عشرين بارة بواسطة طبع الرقم عشرين بارة عليها وفي تلك السنة صنعت طوابع جديدة في محل ديلاري من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وخمسة قروش

« وفي سنة (١٨٨٤) أنشئت علامات الاجر المستحقة وجري استعمالها وهي شكل طوابع بالقيمة المستحقة على المراسلات الغير خالصة الرسوم أو الغير مستكملتها وهي من فئة عشرة وعشرين باره وقرش وقرشين وخمسة قروش وكان صنعها بمطبعة بناسون في الاسكندرية

« وعلي أثر تغيير طريقة العملة المصرية في سنة (١٨٨٨) عهد الي الخواجا ديلاري طبع طوابع بوستة من فئة مليم ومليمين وخمسة مليات الجاري استعمالها للآن

« ولتلك المناسبة عهدت المصلحة الى مطبعة بناسون بصنع علامات جديدة للأجر المستحقة من فية مليمين وخمسة مليات ومن قرش وقرشين وخمسة قروش للمراسلات الغير خالصة الرسوم أو الغير مستكملتها

« وفي سنة (١٨٨٩) أصدر طابع جديد من فية عشرة قروش كما ان علامات الأجر المستحة الجديدة من فئة مليمين وأربعة مليات وقرش وقرشين جري طبعها في تلك السنة في محل ديلاري

« وفي سنة (١٨٩٧) أصدرت طوابع بوستة مصرية مكتوب عليها (سودان) لتستعمل في بوستة السودان

« وفي سنة (١٨٨٩) أصدرت مصلحة بوستة السودان طوابع خصوصية

لها . وفي شهر مايو سنة (١٨٩٨) حولت علامات الأجر المستحقة من فئة القرشين الى فئة ثلاثة مليمات وذلك بواسطة طبع هذه الفئة فوقها لكي تستعمل على الخطابات غير خالصة الأجرة الواردة من رجال الجيش الموجودين بحامية السودان .

« وفي سنه (١٩١٤) أصدرت سلسلة مدموغات جديدة من الطوابع البريدية تتألف من عشرة طوابع مبصوم على كل منها منظر أو أثر مصري يختلف عن الآخر وذلك بدلا عن منظر أبي الهول والاهرام الذي كان مطبوعا على كافة الطوابع القديمة

« وكان عدد الطوابع القديمة تسعه والطابع الزائد الآن هو من فئة ٢٠٠ مليم

« وقد ابتدئ في بيع الطوابع الجديدة في يوم ثمانية يناير (١٩١٤) الموافق يوم عيد جلوس الجناب العالى الخديوي السابق عباس باشا حلمى الثاني على الاريكة الخديوية

« أما الرسومات المطبوعة على العشرة طوابع الجديدة فهي :

		مليم
فئة	١	سفينة شراعية في النيل
»	٢	الالهة ايزيس
»	٣	سراي رأس التين
»	٤	الاهرام
»	٥	أبو الهول من منظر وجهه
»	١٠	تماثيل مدينة طيبة
»	٢٠	بوابة الكرنك
»	٥٠	قلعة القاهرة
»	١٠٠	هيكل أبي سنبل
»	٢٠٠	خزان اسوان

« وهذه الرسومات الجديدة مطبوعة أيضا على تذاكر البوستة والظروف والحازم

« حجم الطوابع الجديدة ذات فئة عشرين وخمسين ومئة ومائتين مليم أكبر من حجم الفئات الاخري

(الاشغال البرية مع السودان) من سنة (١٨٢١) أنشئت مواصلات بريدية مع السودان كما توضح آنفا وكانت تلك المواصلات الى مديريتى دارفور وخط الاستواء حين فتحهما فى عهد المرحوم الخديوي اسماعيل باشا

« غير انه لم تفتح مكاتب بوستة فى دنقلة و بربر والخرطوم الا في سنة

(١٨٧٣)

« وبناء على طلب غردون باشا عند تعيينه حاكما عاما للسودان افتتحت فى سنة (١٨٧٨) مكاتب بوستة في السلمية وسنار وكرجوع والقضارف وفازوغلو وفاشودة والفاش والابيض وبهذا العمل امتدت البوستة الي جميع الجهات المهمة

« وفى سنة (١٨٨٣) حين حدوث الثورة فى السودان قطعت العلاقات البريدية فجأة مع القطر المصري

« أما مكتب الخرطوم فظل مفتوحا حتي سقوط المدينة

« وآخر ارسالية من ارساليات البوستة التي وردت من الخرطوم سافرت منها على الوابور بردين فى ٤ نوفمبر سنة (١٨٨٤) ومما هو جدير بالذكر ان المرحوم جيا كولا مبروزو الذي كان وكيلا لمكتب البوستة هناك منذ انشائه ذبح بأيدي الثائرين وهو محافظ على مركزه في ذلك المكتب

« وعند استرجاع السودان أنشئت ادارة مؤقتة لاشغال البوستة وكانت تتبع الاعمال أولا بأول كلما تقدم الجيش فى جهات البلاد وعندوضع النظام الاداري في ذلك القطر تقرر تثبيت تلك الادارة نهائيا وجعلت مصلحة تحت سلطة حكومة السودان

« ومع ذلك فتعتبر بوستة السودان جزءا من البوستة المصرية فيما يختص بأشغالها الخارجية اذ ان الاخيرة قائمة من أول الامر بجميع الاشغال الخارجية والخاصة بالبوستة السودانية »

بلغ عدد المراسلات التي تبودلت داخل القطر المصري سنة (١٩١٥) احد وعشرين مليون و ٤٢٥ الف رسالة وكانت سنة (١٩١٣) أي قبل الحرب ٢٦ مليون و ٨٠٣ الف

وتبودلت بين مصر والخارج ثلاثة عشر مليون و ٦٤٦ الف رسالة وكانت قد بلغت سنة (١٩١٣) ستة عشر مليون و ٣٢٥ الف

و بلغ عدد ماتبودل من تذاكر البوستة ٩ ملايين و ٢٢٤ الف

و بلغ عدد الخطابات المسجلة أربعة مليون و ٤٢٣ الف

و بلغ عدد المطبوعات والاوراق التجارية والعينات ٩ ملايين و ٥١٨ الف وكانت بلغت ١٣ مليون و ٨٩

الف في سنة (١٩١٣)

وبلغ عدد المراسلات الاميرية ٢٨ مليون و ٦٩٥ الف . فبلغت جملة المراسلات الداخلية والخارجية ٧٧ مليون و ١٣٢ الف وكانت قد بلغت ٨٦ مليون و ٩٢٥ الف

وبلغت قيمة الحوالات العادية ٤ ملايين و ٩٠٦ الف و ٢١٢ جنيها

وبلغت صرر النقود مليون واحد و ٣٦٩ الف و ٣١٨ جنيها

وبلغت صرر النقود المرسلة من الحكومة بحوالات بوستة ٣ ملايين و ١٤٤ الف و ٨٣٥ جنيها

فيكون مجموع قيمة النقود التى تبودلت ٦ ملايين و ٤٣٠ الف و ٣٥٥ جنيها

وصدر بالبوستة الى البلاد الخارجية ٣٥١ الف و ٨٨٨ جنيها . وورد منها ٩٣ الف و ٤٦٣ جنيها

فيكون جملة ذلك ٤٤٥ الف و ٣٥١ جنيها

وبلغ عدد الطرود الداخلية ٤٣٨ الف و ٩١٠ وبلغ عدد الطرود الصادرة الي السودان ٥١ الف و ٥٣٤ والوارد منه ٨٢٥٩ . وعدد الطرود التي صدرت من مصر الى الخارج ١٥٢٨٩٩ والتي ورد اليها ٣٢٣٢٥٧ فيكون مجموع الطرود الداخلية والخارجية ٩٦٤٧٨٠

وبلغ قيمة أوراق التحصيل الداخلية والخارجية ٣ ملايين و ٦١٥٦٧١ جنيها

(التلغرافات المصرية) جاء في احصاء سنة ١٩١٥ للحكومة المصرية تحت عنوان مذكرة تاريخية عن تلغرافات الحكومة المصرية مايأتي :

« لم توجد أوراق يستدل منها تماما على منشأ تلغرافات الحكومة وان ماوُجد محفوظا منها هو فقط من بعد سنة (١٨٨٩)

« ويستخلص من الاوراق الموجودة بدفترخانة مصلحة التلغرافات ان الخطوط التلغرافية مدت في الاصل بمعرفة مصلحة السكك الحديدية ولم تنظم ادارة قائمة بنفسها للتلغرافات الا بعد ذلك بكثير

« في سنة (١٨٥٦) رخص للمستر جيسبورن بأن ينشيء خطوطا تلغرافية تربط الخط الجغرافى البحري الواصل من الدردنيل الي الاسكندرية بالخط الذي كان مصمما على مده بين عدن

والسويس

« ومن هذا الترخيص يعلم ان المواصلات التلغرافية بين القاهرة والاسكندرية كانت موجودة قبل هذا التاريخ

« وفي سنة (١٨٧٠) بلغ طول الخطوط التلغرافية الجاري تشغيلها بالقطر المصري ٦٣٢٠ كيلو مترا بما فيها ٢١١٠ كيلو مترات في السودان

« كان القطر المصري بالنظر لتعريفة التلغرافات مقسما الي ثمانية أقسام وكانت تلك التعريفة مقررة على الوجه الآتي :

« عشرة قروش عن العشرين كلمة الأولى يزاد عليها خمسة قروش عن كل عشر كلمات أخري وذلك اذا كانت الاشارة التلغرافية لا ترسل خارجا عن دائرة القسم الصادرة منه ، وعشرون قرشا عن كل اشارة مركبة من عشرين كلمة وترسل من القسم الأول للثاني ، وثلاثون قرشا من القسم الأول للثالث وهكذا الي النهاية بزيادة ١٠ قروش عن كل قسم

« وفي السنة نفسها أي سنة (١٨٧٠) أعطى التزام الي شركة التلغراف الانجليزي بمد خطوط تلغرافية بين الاسكندرية والسويس وتكون مختصة بنقل الاشارات الخارجية بين أوروبا والشرق ثم في سنة (١٨٧٤) انتقل هذا الالتزام الي شركة التلغرافات الشرقية التي رخص لها أيضا لمدة خمس سنوات بتوصيل اشارات داخل القطر بين مكاتبها في الاسكندرية والقاهرة والسويس

« وفي سنة (١٨٧٧) بلغ عدد المكاتب التلغرافية الموجودة بالقطر المصري والسودان ١٥١ مكتبا موزعة كما يأتي

الوجه البحري	٨٦
الوجه القبلي	٤٤
السودان	٢١

« وكان بالوجه البحري ثمانية وعشرون مكتبا لقبول الاشارات الأفرنجية أما الوجه القبلي فلم يكن به مكتب ما لهذا الغرض

« وفي أول ابريل سنة (١٨٧٨) استلمت حكومة السودان الخط التلغرافي القائم قبلي خلفا

« وفي سنة (١٨٧٩) سحب من

شركة التلغرافات الشرقية الامتياز الذي كان معطى لها عن توصل الاشارات التلغرافية بين مكاتبها داخل القطر

« وفي السنة نفسها حلت دوائر تلغرافية بسيطة محل الدوائر المعدنية التي كانت مستعملة وبذلك أمكن الحصول على دائرتين بدلا من واحدة

« ومن أول اكتوبر سنة (١٨٨٤) سلمت خطوط السودان التلغرافية الى ادارة تلغرافات الجيش الانجليزي

« ومن أول سبتمبر سنة (١٨٨٧) وحدت تعريفة الاشارات الداخلية فجعلت خمسة مليمات عن الكلمة بحيث لا تقل أجرة الاشارة عن خمسين مليما

« وفى ١٥ مايو سنة (١٨٨٧) أعيد الخط الذي كان تحت ادارة الجيش الانجليزي الى مصلحة التلغرافات المصرية.

ثم في أول يناير سنة (١٨٩١) وضعت تعريفة أخرى بالطريقة الآتية وهي :

« ٥ مليمات عن كل كلمتين بحيث لا تقل أجرة الاشارة عن ٢٠ مليما

« وفي يونيه سنة (١٨٩٦) تقرر أن تكون التعريفة عن الرسائل المستعجلة ثلاثة أمثال العادية

« أما خط الطور فقد مدته وزارة الحربية في سنة (١٨٩٧) ثم ربطته مصلحة التلغرافات بمكتبها بالسويس وتقرر أن تكون الاشارات بهذا الخط ضعف الأجرة العادية

« أما التعريفة عن السودان فتقرر أن تكون من أول يناير سنة ١٩٠٠ كما يأتي :

« ٤٠ مليما عن كل كلمتين أو كسورهما في الاشارات المستعجلة

« ١٥ « « « « « « « العادية

« ١٥ « « أربع كلمات أو كسورها « المستبطأة

« أما الاشارات التى تتجاوز الثمان كلمات فتعريفها كما يأتي :

« ٦٠ مليما عن الاشارات المستعجلة

« ٦٠ « « « العادية

« ٣٠ « « « المستبطأة

« ولا تسلم الاشارات المستبطأة قبل ٤٨ ساعة

« وفي سنة (١٩٠١) رخص لشركة السكك الحديدية الضيقة بانشاء مكاتب تلغرافية في المحطات الواقعة علي خطوطها الحديدية وأن تتبادل الاشارات مع مصلحة التلغرافات بشروط مخصوصة

« وفي سنة (١٩٠٥) خفضت تعريفة الاشارات التى تصدر الى أوروبا وتقرر في سنة (١٩٠٦) ان تكون الاشارات المختصة بالجرائد بنصف أجرة بشروط مخصوصة

وفي سنة (١٩١٠) سلمت وزارة الحربية خط الطور الي مصلحة السكك الحديدية وهذه قررت له التعريفة العادية بدلا من تعريفته الخصوصية

« وفي سنة (١٩١١) أنشئ في بور سعيد مكتب للتلغراف اللاسلكي لقبول وتوصيل الاشارات المعروفة باسم (راديو تلغراف) الي المراكب في البحر

« وفي سنة (١٩١٢) حصل تبادل الاشارات المستبطأة بنصف أجرة ما بين القطر المصري والبلاد الأجنبية الشهيرة بواسطة خطوط شركة التلغرافات الشرقية بشرط أن تكون الاشارات المذكورة واضحة المعني ومحررة باللغة الفرنسية أو باحدي لغات البلد الصادرة منه أو المصدرة اليه

« وفيما يختص بالخطوط التلغرفية الخاصة بشركة قناة السويس انظر الملاحظة المدونة في الجزء الثالث من هذا الفصل

« أما النشرات الرسمية عن التلغرافات فهي :

(١) التقارير السنوية لمصلحة السكك الحديد المصرية والتلغرافات الاميرية

(٢) دليل التلغراف »

طول الخطوط التلغرافية المصرية (٧٣٤١) كيلو مترا وطول الاسلاك ٢١٤١ كيلومترا . وعدد الآلات التلغرافية ٨٣٢ وعدد المكاتب ٤٠٠ وعدد اشارات مصلحة السكك الحديدية والجرائد ٣١٧٤٨٣٦

وجاء في الاحصاء المذكور تحت عنوان (الخطوط التلغرافية الجاري تشغيلها بمعرفة شركة التلغرافات الشرقية) ما يأتي :

« مذكرة تاريخية — بخلاف مكاتب تلغرافات الحكومة يوجد أيضا مكاتب مستقلة لشركة التلغرافات الشرقية ليمتد في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس وبور سودان وسواكن ومرخص لهذه المكاتب بقبول وارسال اشارات برقية من والى خارج القطر

« وللشركة المذكورة أسلاك خصوصية غير أسلاك الحكومة تنقل عليها مايرد اليها من الاشارات البرقية الى أنحاء القطر ولها أيضا أسلاك بحرية لربط المواصلات البرقية بين القطر المصري وبلاد الهند وجهات أخري واقعة علي البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

«لا يجوز للشركة أن تستعمل أسلاكها لنقل الاشارات بين جهتين واقعتين في دائرة القطر المصري الا فيما عدا الاشارات المتبادلة بين البحرين حيث يمنع اتصالها وجود قناة السويس وبمقتضي ترخيص من الحكومة المصرية مؤرخ ٨ أغسطس سنة (١٨٨٢) واتفاق مبرم بين شركة قناة السويس وشركة التلغرافات الشرقية بتاريخ ١٧ نوفمبر من السنة المذكورة قد تنازلت الشركة الاولي للثانية عن حق استعمال خطها الخصوصي الواقع بين السلكين البحريين اللذين أحدهما في السويس والآخر في بور سعيد مع ابقاء ذلك الخط ملكا لشركة قناة السويس التي أنشأته لحساب وأشغال شركة التلغرافات الشرقية وقد اشترط فيما بينهما بأن تقوم هذه الاخيرة بدفع مبلغ قدره ٢٥٠٠٠ فرنك سنويا لشركة قناة السويس مقابل قيامها بحفظ وصيانة ذلك الخط وتكون مدة هذا التنازل مساوية للمدة المرخص بها من الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية المذكورة فقد انشئت في سنة (١٨٧٤) بانحلال شركتى (بريتش اندرياسوب مارين تلجراف كومباني) و (انجلو مديترانيان تلجراف كومباني) اللتين كان ترخص لهما من الحكومة المصرية بمقتضي عقود في ٢٧ فبراير سنة (١٨٥٦) و ٧ فبراير سنة (١٨٦٢) و ٨ مارس سنة (١٨٧٠) بانشاء وتشغيل خطوط برقية مختلفة في القطر المصري وبشروط لامحل لذكرها الآن حيث استبدلت جميعها بشروط أخري مؤرخة في ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤)

وقد قضت أيضا هذه الشروط بتخويل الشركة المذكورة جميع حقوق الالتزام التي كانت منحت من قبل الي الشركتين باديتي الذكر وذلك لمدة ٣٨ سنة تنتهي في ثمانية مارس سنة ١٩١٢ وقد تعهدت الحكومة عند حلول هذا التاريخ بامتداد مدة الالتزام لعشرين سنة أخري بشروط يتفق عليها الطرفان . وفي حالة عدم اتفاقهما يسوي الخلاف بينهما بواسطة لجنة تحكيم عرفية

وقد خول للشركة على سبيل المساعدة ذلك الحق الذي كان للشركتين السابقتين وهو التمتع بقبول الاشارات البرقية لداخل القطر لمدة تنتهي في أول مارس سنة (١٨٨٩) فقط

« وقد تقرر أن تدفع الشركة المذكورة للحكومة سنويا مبلغ (١٠٠٠) جنيه انجليزي . ويكون للمصالح الاميرية حق الانتفاع بخصم ٥٠ في المئة على رسائلها من تعريفة الشركة العمومية

« أما الالتزام المحرر بشأنه عقد ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤) فلا يشمل احتكارا لجانب شركة التلغرافات الشرقية بل ان الحكومة حفظت فيه لنفسها الحق علي الاخص باعطاء التزامات من هذا القبيل الى شركات أخري

« ولغاية سنة (١٨٧٤) لم يكن للشركة الا ثلاثة مكاتب فقط كائنة في القاهرة والاسكندرية والسويس وفي شهر أغسطس سنة (١٨٧٢) ترخص لها كما ذكر آنفا بانشاء خط بين بور سعيد والسويس خصيصا لربط المواصلات بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

« وبتاريخ ١٠ يناير سنة (١٨٧٤) عقد اتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة الانجليزية من جهة وشركة التلغرافات الشرقية من جهة أخري بالترخيص لهذه الاخيرة بانشاء خط برقي بين السويس وسواكن وتكون مدة التزامه مساوية لمدة الالتزامات السابقة وبتخويل الشركة المذكورة أيضا حق الاولوية بالتزام جميع مايستجد من الخطوط التي يتراءي للحكومتين لزوم انشائها بين القطر المصري والبلاد الاجنبية . واذا أرادت الحكومة المصرية الغاء هذا الاتفاق عند نهاية مدته فيجب عليها أن تعلن الشركة بذلك قبل انقضاء المدة بستة شهور

وتدفع لها مبلغا قدره مئة وخمسين الف جنيه انجليزي بصفة تعويض وذلك بخلاف الفوائد التي لاتزيد فى أي حال عن مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه انجليزي هذا مع حفظ الحق للشركة المذكورة بابقاء مكتب لها فى سواكن لتبادل الاشارات البرقية مع عدن

« و بمقتضي اتفاق آخر فى التاريخ المذكور رخصت الحكومة للشركة بفتح مكتب تلغرافى فى بور سعيد مقابل دفعها للحكومة مبلغا اضافيا لايزيد عن ٢٥ سنتيما عن كل كلمة من الاشارات الواردة والصادرة من هذا المكتب ويظل المكتب المذكور باقيا طالما كان خط الحكومة البري بين بور سعيد والاسكندرية موجودا

« و باتفاق آخر مؤرخ ١٢ مايو سنة (١٨٩٠) تعهدت الشركة بأن تدفع أيضا للحكومة سنويا مبلغا قدره ٦٧٥٠ جنيها انجليزيا بصفة ايجار للخطوط الممتدة في أنحاء القطر وذلك لمدة عشر سنوات صار امتدادها في أول نوفمبر سنة (١٨٩٩) الي ٨ مارس سنة (١٩١٢)

« و بتاريخ سنة (١٩٠٥) عقد اتفاق ابتدائي بين الشركة والحكومة بتخفيض تعريفة الشركة من أول يوليه من السنة المذكورة وعلى أثر هذا التخفيض الموضح نصه في صلب الاتفاق قد خفض أيضاً مبلغ خمسة آلاف جنيه انجليزي من أصل مبلغ ستة آلاف وسبع مئة وخمسين جنيهاً انجليزياً الذي كان قد تقرر على الشركة دفعه سنويا

« ومن جهة أخري قد تعهدت الشركة التي جددت مدة التزامها لغاية ٨ مارس سنة (١٩٣٢) بأن تدفع للحكومة سنتيما ونصفا عن كل كلمة تنقلها علي الخطوط البرية وكذلك أيضا عن كل كلمة من الاشارات البرقية الواردة أو الصادرة من مكاتب القاهرة والاسكندرية و بور سعيد

« وقد تثبت هذا الاتفاق نهائيا في عقد ١٣ ابريل سنة (١٩٠٩) والذي بمقتضاه امتدت مدة التزام الشركة لغاية ١٧ نوفمبر سنة (١٩٦٨) (المادة الأولى)

(الخطوط التلغرافية الخاصة بشركة قناة السويس) جاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان ما نصه :

« أنشأت الشركة الخطوط التلغرافية

الأولى مدة حفر القناة لحاجة أشغالها الخصوصية وهذه الخطوط هي :

(١) الخط من الاسماعيلية الى الزقازيق وهناك يلتقي بأسلاك تلغرافات الحكومة المصرية وقد أنشئ في سنة (١٨٦٢)

(٢) الخط من الاسماعلية الى بور سعيد وقد أنشئ سنة (١٨٦٣)

(٣) الخط من الاسماعيلية الي السويس وقد أنشئ في سنة (١٨٦٤)

« ولم يأت أول يوليه سنة (١٨٦٤) الا وكانت ادارة هذه الخطوط سائرة على مايرام وكان عدد مكاتبها التلغرافية وقتئذ عشرة

« أما في سنة (١٨٦٧) فنظراً لزيادة سكان ذلك البرزخ من جهة ولعدم وجود خطوط تلغرافية هناك للحكومة من جهة أخري دعت الحال لفتح خطوط الشركة المذكورة للمواصلات العمومية

« وقد وضعت لائحة نص بها عن الأجرة التي يقتضى تحصيلها ومعافاة الاشارات الأميرية منها

« وباتفاق مؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩ (المادة الثالثة) تقرر أن تنشئ الحكومة في تلك المنطقة مكتبا للبوستة وآخر للتلغراف وذلك لخدمة الشركة المذكورة والأهالي مع حفظ الحق للشركة بابقاء خطوطها الخصوصية لاستخدامها في أشغالها وفي مرور المراكب من القناة

« وحسب نصوص هذا الاتفاق ظلت الشركة سائرة في أشغالها التلغرافية الي الآن مع استمرارها أيضا على قبول وتوصيل الاشارات الأميرية بدون مقابل

« وقد دلت التجارب في ذلك الحين على ضرورة فتح خطوط الشركة أيضاً لقبول الاشارات الخصوصية الصادرة والواردة من والي المراكب المارة في القناة وقد تم ذلك باتفاقين أولهما بتاريخ ٢٥ و ٢٨ ابريل سنة (١٨٨٨) والآخر بتاريخ ٢١ دسمبر سنة (١٨٨٩) وقد خول أول هذين الاتفاقين بأن توصل الشركة خطها بخط الحكومة بين بورتوفيق والسويس (المدينة) وخول الثاني وصل خط الشركة بخط الحكومة أيضا في بورسعيد ونص به عن الطريقة التى تتبعها الشركة في توصيل الاشارات البرقية بين المراكب المارة في القناة وبين خطوط الحكومة كما

نص به أيضا بنوع أخص بأن تحصل الشركة من مصلحة التلغرافات الاميرية قرشا واحدا عن كل اشارة برقية تبلغ بواسطتها

« وقد ظلت الشروط معمولا بها لغاية الآن ولم يطرأ عليها أي تعديل ما

« ولا يفوتنا أن نذكر هنا ماتم الاتفاق عليه بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة (١٨٨٣) بين شركتي قناة السويس والتلغرافات الشرقية مع مصادقة الحكومة عليه وذلك ان تستخدم الشركة الثانية أسلاك الاولى لاشاراتها الخصوصية التى ترسل رأسا بين السويس و بورسعيد

(التليفون) جاء في ذلك الاحصاء عن التليفون مانصه :

« في ٢٦ ينساير سنة (١٨٨١) رخصت الحكومة للخواجه الكسندر جراهم بل بانشاء مواصلات تليفونية في القاهرة والاسكندرية . وقد تنازل الخواجه المومي اليه فى شهر ابريل من السنة المذكورة عن هذا الترخيص الى شركة التليفون الشرقية ليمتد بلوندرة (أورينتال كومباني ليمتد) فنالت هذه الشركة ترخيصا آخر في ٣٠ يناير سنة (١٨٨٣) بمد أسلاك كما في بور سعيد والاسماعيلية والسويس والزقازيق والمنصورة وطنطا ثم انها تنازلت عن جميع الترخيصات الى شركة التليفون المصرية ليمتد التي مركزها بلوندرة وقائمة اليوم بادارة أشغال التلفون في القطر المصري وذلك بمقتضى عقد محرر في شهر فبراير سنة (١٨٨٥) و بلغ ذلك التنازل للحكومة المصرية في ١١ منه ومن ثم أخذت أسلاك هذه الشركة فى الانتشار سواء كان في مكاتبها المفتوحة أو بفتح مكاتب جديدة وعلي ذلك فتح مكتب أسيوط في سنة (١٨٨٩) ثم مكتب الفيوم في سنة (١٩٠٨) و بعد مكتبا المنيا و بني سويف في سنة (١٩٠٩) ومكتب الاسماعيلية في سنة (١٩١٢) ومكتب دمنهور في سنة (١٩١٣) ومكتب كفر الزيات في سنة (١٩١٤) ولما طلبت الشركة المذكورة من الحكومة بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة (١٨٩١) الترخيص لها بانشاء أسلاك تليفونية جديدة خاصة ببعض الأفراد في داخل القطر رأت الحكومة أن تضع شروطا خصوصية بهذه الأسلاك التي تركب في جهات خارجة عن الجهات التي نالت

الشركة عنها ترخيصا خصوصيا

« ومن بين هذه الشروط الخصوصية نذكر أهمها وهي الآتية :

(أولا) حفظت الحكومة لنفسها الحق الترخيص أو رفض هذه الاسلاك وهي مع ذلك آخذة دائما في الازدياد

(ثانيا) حددت الحكومة في أول الامر مدة الالتزام لخمس سنوات يسوغ تجديدها برضاء الشركة لمدة مساوية لها وتقرر فيما بعد أن يكون انتهاء مدد جميع الامتيازات التي منحت وستمنح في يوم واحد هو ٣١ ديسمبر سنة (١٩١٧)

(ثالثا)قررت الحكومة أن تدفع لها الشركة مبلغا قدره عشرون قرشا في السنة عن كل ميل انجليزي وذلك عن الاسلاك المقامة فى جهات غير الجهات الموجودة فيها مواصلات تلغرافية أو كانت بعيدة بأكثر من كيلو مترين عن مكتب تلغرافي ، ومبلغ ٥٠ قرشا في السنة عن كل ميل انجليزي في الجهات المرتبطة بمواصلات تلغرافية وكانت المسافة بينها وبين مكتب تلغرافي أقل من كيلو مترين

« وفي سنة (١٩٠٠) عقد اتفاق آخر بين الحكومة والشركة بمد المواصلات التليفونية داخل الاقاليم حتى تتيسر المخابرة بين القري والمراكز التابعة لها أو بين بعضها بعضا وعلى ذلك ابتدأت الشركة بمد هذه المواصلات في مركز منيا القمح

« ونظرا لما أتي به هذا المشروع من عظيم الفائدة صار تعميمه في جملة مراكز أخري حتى انه لم تنته سنة (١٩١١) الا وكانت هذه المواصلات منتشرة في انحاء جميع المديريات

« وعلي أثر ذلك أبرمت اتفاقات خصوصية بين الحكومة والشركة عن العدد التليفونية التي توضع في مصالح الحكومة وآخر هذه الاتفاقات كان في أول يناير سنة (١٨٩٩) ولمدة خمس وعشرين سنة . هذا وانا لا نألو جهداً فى موافاة القراء بالاتفاقات العديدة المبرمة بين الحكومة والشركة عن وضع مواصلات جديدة

«ومن الجداول الآتية يعلم مقدار امتداد الخطوط التلفونية داخل القطر

« أما الأسلاك التى في الأقاليم فتقوم الحكومة بانشائها وصيانتها وعلى

الشركة ادارة تشغيلها بمعرفتها وحدها وتحت مسؤليتها و بشروط مختلفة وأما بعض الخطوط مثل الخط الواصل بين القاهرة والاسكندرية فتدفع الشركة عنها ايجاراً سنويا قدره ثلاثة جنيهات مصرية عن كل كيلومتر واحد منها وفي غيرها من الخطوط الأخرى تقاسم الحكومة الشركة بنسبة ٧٠ في المئة من اجمالي ايراداتها وتستولي أيضا بضمان الشركة على أجرة سنوية مقررة بحسب طول الخطوط»

بلغ مجموع الخطوط التليفونية التى تحت الأرض في المدن ٣٩ ألف و ٨٦٤ كيلومتراً . ومجموع الخطوط الهوائية ٤٣ الف و ٧٥ كيلومتراً فيكون مجموعها ٨٤ الف و ٣٨٤ كيلومتراً

وهناك خطوط لخدمة الحكومة والأفراد والمكاتب العمومية يبلغ طولها ١٨ الف و ٤١٠ كيلومترات

وقد بلغ مجموع ايرادات هذه الخطوط ١٧٨ الف و ٤٠٣ جنيهات و بلغت نفقاتها ١١٠ آلاف و ٥٣٦ جنيها

(الحجاج) وورد في الاحصاء المذكور بيان عدد الحجاج الذين مروا بالسويس في عدة سنين فنختار سنة (١٩١٣) لأنها كانت قبل سنة الحرب مباشرة فهي أدل على حقيقة العدد العادي من السنين التالية

كان عدد الجزائريين ٣٩٢٢ والمصريين ١٤٥١٤ والمراكشيين ١٥٩ والعثمانيين ١٣٢٠ والأعجام ٢٠٥٦ والروسيين ٢٤١٧ والتونسيين ١٤٠٥ وغيرهم ٦٣٣

(قناة السويس) جاء في الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان ما نصه :

« ان أول مشروع درس فى العصور الاخيرة لحفر قناة تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الأحمر منتسب الى زمن الحملة الفرنسية سنة (١٧٩٨) حينما قدم المهندس (لبير) الى الجنرال بونابرت سنة (١٨٠٠) مشروعه الخاص بحفر قناة ذات بوابات تنفصل عن النيل بقرب الزقازيق متجهة شمالا نحو بلوزا وجنوبا نحو السويس

« ولكن المشروع الذي تم بحفر القناة في برزخ السويس راجع لى فرديناند دولسبس مدة اقامته في مصر بصفة معتمد دولة فرنسا السياسي في القطر (١٨٣١ــ ١٨٣٨) فانه بين مشروعه في تقرير كان

في النية رفعه الى المغفور له عباس باشا الأول لولا العلم بأن الوالي كان مضاداً لكل مشروع من هذا القبيل سنة (١٨٥٢)

« وفي ٣٠ نوفمبر سنة (١٨٥٤) بعد محادثات جرت بين المغفور له سعيد باشا وفرديناند دولسبس أعطي الأول للثاني امتياز حفر القناة واستثمارها لمدة مئة سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة وستنتهى هذه المدة في شهر نوفمبر سنة (١٨٦٧) وتصبح القناة في ذاك الوقت ملكا للحكومة المصرية . وقد سعت شركة القناة في سنة (١٩١٠) في اطالة مدة الامتياز ٤٠ سنة ولكن بلا فائدة

« وأتم دولسبس درس مشروعه في المدة من سنة (١٨٥٤) الى (١٨٥٨) بمعاونة المهندسين الفرنسيين لينان وموجيل اللذين كانا في خدمة الوالى وقدم سعيد باشا المشروع الي لجنة فنية دولية أقرته بعد زيارة البرزخ أول يناير سنة (١٨٤٥)

« وفي ١٠ ديسمبر سنة (١٨٥٨) تألفت شركة قناة السويس العمومية برأس مال قدره مئتا مليون من الفرنكات وابتدأت عملية الحفر في ٢٥ ابريل سنة (١٨٥٩) واحتفل بافتتاح القناة في ٧ نوفمبر سنة (١٨٦٩)

« أما قناة السويس فعبارة عن طريق للملاحة خال من البوابات يصل البحرين الأحمر والمتوسط طوله (١٦٤) كيلومتراً بما في ذلك بواغيز الموانى

« وبلغ عمق القناة تحت سطح الماء ثمانية أمتار بعد تمام عمليات الحفر الأولى بعرض ٢٢ متراً فى قاعها

ومن ثم أجريت أشغال مهمة لتحسين القناة وتنظيمها حتى بلغ عمقها الحالى عشرة أمتار ونصف علي الأقل وأقل عرض لقاعها ٤٥ متراً . أما النهاية العظمى لعمق الماء المسموح للمراكب التي تجتاز القناة الدخول فيه فهى ثلاثون قدما انجليزيا أي تسعة أمتار و ١٤ سنتيا

« وقد شرع في ادخال تحسينات جديدة بها ليبلغ عمق القناة ١٢ متراً وعرضها في القاع ٦٠ مترا في الجزء الواقع بين البحيرة الكبري والسويس وتقرر أيضا انشاء محطات بحرية يكون فيها عرض قناة السويس ستون متراً وطولها ثمان مئة متر وذلك كل عشرة كيلو مترات في الجزء الواقع بين بور سعيد والبحيرة المذكورة

« ولتسهيل الملاحة ليلا ونهارا وضعت عوامات لارشاد السفن على طول القناة وعلى شاطئيها مرابط للسفن عند تقابلها لانه ماعدا في بعض الاحوال عند تقابل سفينتين يجب على احداهما أن ترسو لتمر الاخري

« وأنشئت كذلك محطات للاشارات كل عشرة كيلومترات للاحظة السفن في سيرها واعطائها التعليمات اللازمة لاجتياز القناة وتصل سلوك التلغراف والتليفون هذه المحطات ببور سعيد والاسماعيلية والسويس

« ولشركة القناة اسطول من البواخر الخاصة لسحب السفن التى تجنح على الشاطئ وهي معدة أيضا لمعاونة السفن التي يتسرب الماء اليها أو التي تشب النار فيها

(تعريفة رسوم اجتياز القناة) تضمن عقد امتياز حفر القناة اعطاء الشركة حق فرض رسم لايتعدي العشرة فرنكات عن كل طن من اجمال حمولة المراكب ولكن الشركة كانت تحصل هذا الرسم عن كل طن من صافي الحمولة الرسمية المقيدة بدفاتر المراكب وحددت النهاية الكبري لعمق حجم السفينة في الماء الى سبعة أمتار ونصف

« فرضت الشركة الرسم المنوه عنه سابقا علي اجمال الحمولة الرسمية »

« ومبلغ الرسم المقرر الآن عن كل راكب عشرة فرنكات وعن كل ولد بالغ من العمر ٣ الى ١٢ سنة نصف هذه القيمة أما الاولاد الذين لايتجاوز أعمارهم الثلاث سنين فلا يدفع عنهم رسم ّما

« والمدة التي تستغرقها المراكب في اجتياز القناة ١٦ ساعة تقريبا

(المجالس البلدية والمحلية) وجاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

« تنقسم الادارات البلدية في القطر المصري الى ثلاثة أنواع مختلفة :

(ا) مجلس بلدي الاسكندرية

(ب) المجالس البلدية المختلفة أو البلديات

(ج) المجالس المحلية العادية

(مجلس بلدي الاسكندرية) يرجع تأسيس مجلس بلدي الاسكندرية الى لجنه من أعيان المدينة الذين كانوا أعضاء قومسيون الدائرة البلدية الملغاة . ذلك

القومسيون المؤقت الذي كان مكلفا بانشاء وتنظيم الطرق بواسطة ضرائب اختيارية وقد ألغي فى ١٥ مارس سنة (١٨٨٩)

« فى شهر يوليه سنة (١٨٨٧) قدمت اللجنة المشار اليها عريضة الى وكلاء الدول ضمنتها مشروع المجلس البلدي وفى ٥ يناير سنة (١٨٩٠) صدر الامر العالى بتشكيل قومسيون لمجلس بلدي الاسكندرية

« ومن ذلك الحين لم يدخل على نظامه تعديل ما

« يشكل المجلس من ٢٨ عضوا كالآتي وهم :

« ستة أعضاء قانونيون وهم : محافظ الاسكندرية أو وكيله والنائب العمومي لدي المحاكم المختلطة ومدير عموم الجمارك أو وكيله ، ورئيس النيابة أمام محكمة الاسكندرية الاهليه أو وكيله والطبيب الشاغل فى الاسكندرية أرقي وظيفة بين مستخدمي مصلحة الصحة العمومية ، والمهندس الشاغل في الاسكندرية أرقي وظيفة بين مستخدمي وزارة الأشغال العمومية

« ثمانية أعضاء يعينون من قبل الحكومة

« ستة أعضاء منتخبون بمعرفة الناخبين الذين لا يقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ولا تنقص قيمة ما يدفعه كل منهم عن خمسة وسبعين جنيها مصرياً ايجار مسكن سنوياً

« ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الصادرات

« ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الواردات

« عضوان ينتخبان بمعرفة ذوي الاملاك الكائنة بمدينة الاسكندرية وضواحيها

« هذا ولا يجوز أن يعين في القومسيون البلدي أكثر من ثلاثة أعضاء منتخبين من جنسية واحدة سواء كانت مصرية أو أجنبية »

كانت ايرادات المجلس البلدي للاسكندرية في سنة (١٨٩٠) ٥٤٩١٠ جنيهات فبلغت في سنة (١٩١٥) — ١٩١٦) ٣٢٧٧٦٢

(المجالس المحلية المختلطة أوالبلديات)

ان المجالس المحلية المختلطة أو البلديات

لا تختلف عن مجلس بلدي الاسكندرية الا فى مسألة جوهرية واحدة وهي كون الضرائب البلدية في هـذه المجالس غير مصادق عليها من الدول وبذا فانها لاتسري علي الاجانب بمجرد صـدور لوائح مصرية بها

« فتشكيل البلديات علي هذه الصفة يستدعى حينئذ أن يقبل السكان مقدما بالضرائب التى تقـدمها تلك البلديات لاصلاح المدينة والسكان الذين يقبلون يكوّنون الهيئة الناخبة ويلزمون بدفع تلك الضرائب

« والمبدأ الذي عليه تشكيل البلديات هو أن يكون عدد أعضائها احد عشر : ثلاثة منهم أعضاء قانونيون وهم المـدير بصفته رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني بالمديرية وأربعـه أعضاء وطنيين ينتخبهم الوطنيون . وأربعة أعضاء أورو بيين ينتخبهم الاروبيون بحيث لايجوز تعيين أكثر من اثنين من جنسية واحدة

« أما ايرادات هـذه البـلديات فتكوّن من الانواع الآتية

(١) اعانات من الحكومة

(٢) الضرائب المتنازلة عنها الحكومة مثل عوائد الذبيح ورسوم أشغال الطريق العمومي والتنظيم

(٣) الضرائب الاختيارية الـتى قبل السكان تقريرها على المحصولات الصادرة من والى المدينـة وكذا المباني وغيرها

(٤) الارباحات الناتجة من مد مواسير المياه والنور

« وقياما بدفع المصاريف الخاصة بمد هذه المواسير تقترض البـلديات من الحكومة مبالغ تسددها على أقساط سنوية قدرها خمسة في المئة من قيمة القـرض يخصم منها اثنان ونصف لحساب الفائدة والباقي يحسب لاستهلاك القرض المذكور

(المجالس المحلية العادية) المجالس المحلية العادية تختلف عن المجالس المحلية المختلطة فان هذه فيهـا هيئتان ناخبتان احداهما وطنية والأخري أوربية

(ثانيا) أن يكون عـدد أعضائها سبعة : ثلاثة قانونيون وهم المـدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني في المديرية وأربعة منتخبون

« وايراداتها بوجه عام من مساعدة

الحكومة كما هو آت :

(١) الاعانة

(٢) المحصل من الضرائب المتنازلة عنها الحكومة

(٣) الارباحات الناتجة من مواسير الميـاه والنور ومصاريف ذلك مأخوذة من الاموال المقروضة لهـا من الحكومة

(٤) المساعدة المالية من الاهالى (وهي مهمة جـدا في المجالس المحليـة المختلطة) ومع انهـا ليست مقـررة في الاصل الا ان أهالى دمياط قاموا بهذه المساعدة من تلقاء أنفسهم فقرروا عـلى أنفسهم بأنفسهم ضرائب اختيارية وبذا كانوا قدوة لأهالى المدن التي أنشئ فيها بعد ذلك مجالس محلية . والاختصاصات المهمة التى تعهـدت بها المجالس المحليـة المختلطة والمجالس العادية هي : ادارة حركة ايرادات المدينة ومصلحة التنظيم والطرق والكنس والرش وتبليط وانارة الشوارع والميادين العمومية وأعمال التطهير وخدمة المياه والوقاية من الحريق ووضع الميزانية وكافة الاعمال التى ينطبق عليهـا معني البلدية والاشغال غير العادية التى تكلفها بها وزارة الداخلية . وقياما بتلك الاعمال يمكن لهذه المجالس عقد قروض بمصادقة وزارة الداخلية وموافقة وزارة المالية

(الهيئة الناخبة) وعدا عن التعهد الخاص بدفع الضرائب البـلدية كما هو مذكور آنفا يشترط مبـدئيا أن يكون الناخب في المجالس البلدية المختلطة حائزا (ماعدا بعض الاحوال) للشروط الآتية

(١) أن يكون سنه خمس وعشرين سنة

(٢) أن يكون مقيا في نفس المدينة

(٣) أن يملك في المدينة اما عقاراً أو يدفع عنه عوائد ملك سنوية قـدرها جنيهان مصريان أوأطيانا يدفع عنها مالا سنويا قدره أربعـة جنيهات مصرية أو أن يكون محترفا بحرفة حرة

(٤) أن يكون ذا لياقة تامة لهذا المركز كما ولم يصدر في حقه أحكام تحط بقدره

(قسم البلديات والمجالس المحلية) تسير البلديات والمجالس المحليـة جميعها تحت ادارة ومراقبـة قسم البـلديات والمجالس المحليه الـكائن مركزه في وزارة

الداخلية واختصاصاته هي :

(ا) تحضير مشروع انشاء المجالس المحليه العادية والمجالس المحليـة المختلطة والقيام بتنظيمها في مدن الاقاليم التى تطلب أهاليها أن يكون لهم مجالس وعليه أيضا مراقبة سيرها وتوسيع مواردهـا على الوجه الانفع لصالح الاهالي وعـدا ذلك فهو الواسطة بين هـذه المجالس والوزارات

(ب) عليه بواسطة مهندسيه وضع خطوط التنظيم وانشاء الطرقات العمومية ومراقبة أعمال الطرق

(ج) عليه بواسطة مهندسيه أيضا وضع مشروعات من مواسير المياه والنور والمصارف في تلك المدن ومراقبة هـذه الاعمال

(اللجنة الاستشارية) وتوصـلا لحل المسائل المهمة تساعد قسم البلديات لجنة تسـمي « باللجنـة الاستشارية » وتشكل من وكيل وزارة الداخلية رئيسا ومدير عموم الحسابات المصرية بالنيابة عن وزارة الماليه ومـدير عموم مصلحة المدن والمباني بالنيابة عن وزارة الاشغال العمومية ومـدير عموم مصلحة الصحة العمومية ومدير قسم البـلديات فتعرض عليها المسائل المهمة الخاصة بالميزانيات ومد مواسير المياه والنور والالـتزامات وكافة المسائل التي تعتبر مبدأ فتقرر فيها رأيا ويكون قرارها نافذا »

(وزارة الاوقاف) جاءفي الاحصاء الرسمي لسـنة (١٩١٥) تحت هـذا العنوان مانصه :

« بيان تاريخي » الوقف هو حبس عين عن التمليك يخصص الواقف ريعهـا لاعضاء عائلته أو لغيرهم بشرط أن يصرف بعد انقراض المسـتحقين على وجه من وجوه الخـير والبر كمسـجد أو مدرسة أو التصـدق علي الفقراء وهـذا مايسمى بالوقف الاهلى

« ويوجد نوع آخر من الوقف يسمى « بالوقف الخيري » وهو اما أن يكون وقفا أهليا تحول الي خيري بعـد انقراض المستحقين وذريتهم أو موقوفا مباشرة على وجه من وجوه الخير والبر

« في النوعين الأهلى والخيري يعين الواقف الناظر الذي يدير أعيـان الوقف وعادة يحفظ لنفسه الحق في النظـارة وفي ريع الوقف ويختار الناظر الذي يخلفه من

المستحقين فاذا انقرضوا كلهم ولم يوجد نص بالوقفية أو كان النص يستلزم الخيار فللقاضى وحده تعيين الناظر

« ومع مضى القرون كثر عدد الاوقاف الخيرية وكان يديرها نظار كثيرون لارقيب عليهم فصاروا يغتالون الجزء الاكبر من ريعها ويهملون وجوه الخير والبر المخصص لأجلها هذا الريع الى أن صارت المساجد تتخرب وأصبحت المدارس والمكاتب مهجورة وذلك رغما عن وفرة ايراد الأعيان الموقوفة عليها . ثم ان هذه الأعيان نفسها صارت تؤول الى السقوط وتصبح لا ريع لها لاهمال النظار في ترميمها وحفظها . فلملافاة هذه الحالة شكل محمد على باشا الكبير في سنة (١٨٣٥) ادارة عمومية للأوقاف المذكورة وألغاها بعد ثلاث سنوات ثم أعاد تشكيلها عباس باشا الأول في سنة (١٨٥١) وكان اختصاصها قاصراً على ادارة مراقبة النظار ومخابرة القاضى لطلب عزل من يتضح لها منهم اهماله أو اختلاسه مال الوقف . وفي سنة (١٨٦٤) قرر اسماعيل باشا انها تخلف كل من مات أو عزل منهم

« ومن ذلك الحين صارت الادارة المشار اليها ليست فقط تراقب ادارة نظار الأوقاف الخيرية بل تدير أيضا جزءا منها وعدد أوقاف هذا الجزء آخذ في الازدياد زيادة مطردة من وقتها الي الآن

« وفى عهد اسماعيل باشا جعلت نظارة يديرها ناظراً كباقي نظارات الحكومة واستمرت كذلك لغاية ٢٣ يناير (١٨٨٤) اذ اتفق توفيق باشا مع نوبار باشا الذي كان وقتئذ رئيس مجلس النظار على جعلها مصلحة مستقلة عن النظارة يديرها مدير عام يتلقي الأوامر بشأنها من سمو الخديو مباشرة

« وفي ١٣ يوليه سنة (١٨٩٥) صدر أمر عال بناء على طلب مجلس النظار وبعد أخذ رأي مجلس شوري القوانين بالتصديق على لائحة عمومية لديوان الأوقاف من ضمن مانص فيها انه يدير الأوقاف الأهلية التي يعين حارسا قضائيا عليها والتي يطلب نظارها ومستحقوها انابته عنهم فى ادارتها . وان تصرفات القاضى في الأوقاف الأهلية أو الخيرية التى في ادارة الغير من استبدال وتحكير واستدانة وعزل أو تولية نظار يؤخذ رأي

الديوان فيها وهو يقدم ملاحظاته عنها في مـدة ١٥ يوما والا جاز للقاضى توقيع الصيغة الشرعية للتصرفات المطلوبة وأن يـكون تنظيم حسابات الديوان والسـير فيها بمقتضي القواعـد التي تقررها لذلك نظارة المالية . وفي ٢٠ نوفمبر سنة (١٩١٣) صـدر أمر عال بتحويل ديوان الأوقاف الى نظارة من نظارات الحـكومة وقضت المادة الثالثة من ذلك الأمر أن تـكون ميزانية الأوقاف نافذة المفعول بمقتضي ارادة سلطانية بعد تصديق المجلس الأعلي و بعد أخذ رأي الجمعية التشريعية ويقدم للجمعية التشريعية الحساب الختامي أيضا لـكل سنة بعد انقضائها »

(الايرادات والمصروفات والمـال الاحتيـاطى للأوقاف) بلغت ايرادات الأوقاف سـنة (١٩١٥ — ١٩١٦) ٤٧٣٠٠٠ جنيه وكانت سنة (١٩١٣) أي قبل الحرب ٥١٨٨٠٠ جنيه و بلغت نفقاتهـا (٤٧١٩٥٨) جنيها و بلغ ماالها الاحتياطى ٧٤٤٧٣ جنيها

(المعاهد العلمية الدينية) المعاهـد الدينية هي الجـامع الأزهر ومعاهـد الاسكندرية وطنطا ودسوق ودميـاط وأسيوط

(الجامع الأزهر) هو أول مسجد أنشيء بالقـاهرة (نقول القـاهرة غير الفسطاط التي بني بها عمرو بن العاص مسجده) أنشأه القائد جوهر في سـنة (٣٦١) وأول من رتب فيه المدرسين هو الخليفة الفاطمى العزيز بالله نزار بن المعز سنة (٣٧٢) هجرية . وينقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولي وثانوي وعال ومدة كل قسم ٥ سنين وبه مكتبة جليلة يبلغ مافيها من المجلدات ٣٩٤٦٩

(المعهد الديني بأسـيوط) أنشئ هذا المعهد بارادة سلطانية بمدينة أسيوط واحتفل بافتتاحـه يوم ٢٧ ذي الحجة سنة (١٣٣٣) الموافق ٦ نوفمـبر سـنة (١٩١٥)

(المستشفيات وما يمـاثلها) يتبـع وزارة الاوقاف ثلاثة مستشفيات وثماني عيادات وأربع تكايا وملجأ لتربيـة اليتامي وقد بلغ عدد المرضي الذين عولجوا فيها فى المدة من أول ابريل سنة (١٩١٥) لغاية مارس سنة (١٩١٦) ٥٦٤٢٤١

(المساجد وملحقاتها) المساجـد وملحقاتها التى كانت تديرها الوزارة فى سنة

(١٩١٥ — ١٩١٦) مالية يبلغ عددها ١٤٧٥ ينفق عليها مبلغ ٦٣٠٠٠ جنيه مرتبات خدمة يبلغون ٧٥٤١ في وظائف متنوعة ويبلغ عدد الجهات الاهلية ١٦٥ محلا بها من الخدمة ٦٨٦

(الدين العمومي المصري) جاء في كتاب الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان مانصه :

(لمحة تاريخية) افتتحت مصر عهد سلفها العمومية بقرض عقده واليها سعيد باشا في سنة (١٨٦٢) وكان مقداره ٣٢٩٢٨٠٠ جنيه انجليزي تستهلك في مدة ثلاثين عاما وفائدته سبعة في المئة

« وقد عقد الخديو اسماعيل باشا في أيام ولايته قروضا عديدة منها ماهو بضمانة أملاك العائلة الخديوية (الدوائر) وفي الجدول الآتي بيان عن حالة الدين العمومي في أوائل سنة (١٨٧٦)

تاريخ القرض	قيمة القرض	معدل الفائدة	تاريخ السداد	قيمة الدين في سنة ١٨٧٦
١٨٦٢	٣٢٩٢٨٠٠	٧	١٨٩٢	١٥ ٧٠٠٠
١٨٦٤	٥٧٠٤٠٠	٧	١٨٧٩	٢١٣٢٠٠٠
١٨٦٥	٣٣٨٧٣٠٠	٧	١٨٨١	١٤٥٧٣١٢
١٨٦٦	٣٠٠٠٠٠٠	٧	١٨٨٤	— — —
١٨٦٧	٢٠٨٠٠٠٠	٩	١٨٨١	١١٥٧٥٠٠
١٨٦٨	١١٨٩٠٠٠٠	٧	١٨٩٨	١٠٧٢٢٥٢٠
١٨٧٠	٧١٤٢٨٦٠	٧	١٨٩٠	٦٠٣٢٦٢٠
١٨٧٣	٣٢٠٠٥٠٠٠	٧	١٩٠٣	٣١٣١٣٦٥٦
	٦٨٤٦٧١٦٠			٥٥٣٣٢٦١٠

« وما عدا ذلك فقد كان علي الحكومة والدوائر من الدين السائر ماتبلغ قيمته ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي

« وحيث ان جميع هذه القروض أصدرت بشروط فادحة فالمبالغ التى دخلت منها فعلا خزينة الحكومة كان أقل كثيراً من قيمتها الاسمية . وكانت جميع ايرادات الحكومة مخصصة لاستهلاك كل من هذه الديون وفي بعض الأحيان لعدة ديون معا

« وزيادة على ذلك فانه بمقتضى القانون المعروف بقانون المقابلة الذي أصدر سنة (١٨٧١) أعفي أصحاب الاطيان على الدوام من نصف الأموال المضروبة علي أطيانهم مقابل دفعهم للحكومة مبلغا يعادل قيمة تلك الأطيان عن ست سنوات سواء كان دفعة واحدة أو بأقساط متتابعة لمدة ست سنوات . وفيما بعد أجل هذه الأقساط الى اثنتي عشرة سنة . وهذا العمل يعد بمثابة قرض فائدته ثمانية وثلث في المئة

« فالعسر المالي الذي وقعت فيه الحكومة المصرية وعدم اقتدارها علي القيام بالنفقات الناتجة عن هذه القروض أوجبا اصدار الأمر العالي المؤرخ ٦ ابريل سنة (١٨٧٦) القاضى بايقاف دفع السندات والبونات المستحقة في ذلك الحين

« وفي تلك الأثناء كان قد تعين المستر (ستيفن كيف) أحد موظفي الحكومة الانجليزية لدرس الحالة المالية للحكومة المصرية فقدم تقريراً أشار فيه من جهة باستعمال محصولات المقابلة لسداد القروض القصيرة الميعاد التي أصدرت سنة (١٨٦٤) و (١٨٦٥) و (١٨٦٧) ومن جهة ثانية بتحويل سائر الديون الي دين واحد قدره ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي يسدد في مدة خمسين سنة وفائدته ٧ في المئة . وقد أشار أيضا بانشاء مصلحة للمراقبة يعهد اليها باستلام محصولات بعض أنواع الايرادات على أن لا يصدر أي قرض جديد الا بعد موافقتها عليه

« وقد صدر في ٢ مايو سنة ١٨٧٦) أمر عال يعلن قرب توحيد الديون ويقضي بانشاء مصلحة صندوق الدين العمومي تحت ادارة قومسيون يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الجناب الخديوي بناء علي ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم مع توكيل تلك المصلحة باستلام الايرادات المخصصة لخدمة الدين من المصالح المحلية

واستعمالها لهذا الغرض دون سواه . وكان هذا الأمر يقضي أيضا على الحكومة بعدم اجراء أي تعديل كان من شأنه تنقيص أموال الأطيان المخصصة لخدمة الدين بغير موافقة القومسيون المذكور وأن لا يعقد أي قرض جديد الا لأسباب تقضي بها حاجة القطر و بعد الحصول على موافقة القومسيون المذكور . غير انه حفظ الحق للحكومة بأن تستلف بالحساب الجاري مبلغا لا يزيد عن خمسين مليون فرنك للقيام بخدمة الخزينة وتقرر أن تكون المحاكم المختلطة مختصة بنظر كل الدعاوي التي يري صندوق الدين رفعها على الادارة المالية خدمة لمصالح أصحاب الديون

« وفي سبعة مايو من السنة المذكورة صدر أمر عال بتحويل ديون الحكومة الدائرة السنية الى دين واحد قدره ٩١٠٠٠٠٠٠ جنيه وفائدته سبعة في المئة يسدد في مدة ٦٥ سنة . وقد جاء في الامر المذكور ان السندات المختصة بقروض سني ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٠ و ١٨٧٣ تستبدل بسندات جديدة من الدين العمومي بواقع المئة مئة وان أصحاب قروض سني ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ يعطون سندات جديدة تحسب لهم بواقع خمسة وتسعين في المئة من قيمتها الاسمية . أما سندات الدين السائر فتستبدل بسندات جديدة بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات مديرية الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وعوائد الدخولية في القاهرة والاسكندرية ورسوم الجمارك وايرادات السكك الحديدية وعوائد الدخان والملح وعوائد الملاحة و بعض رسوم أخري وقدر مجموع الايرادات المذكورة بمبلغ ٦٤٧٥٢٥٦ جنيها انجليزيا بما في ذلك المبلغ المقرر على الدائرة السنية وقدره ٦٨٤٤١١ جنيها انجليزيا وتقرر أيضا ايقاف دفع المقابلة

« وقد أحدث هذا القرار احتجاجات عديدة من الاجانب حاملى الأسهم وخصوصا أصحاب سندات القروض ذات المدة القصيرة وسندات دين الدائرة السنية . وعلى أثر المفاوضات التي جرت مع الخواجات جوشن وجوبير بصفة كونهما وكيلين عن أصحاب الديون صدر في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أمر

بتعديل المشروع الأول بالكيفية الآتية

(ا) فصل ديون الدائرة السنية عن ديون الحكومة وعقد اتفاق خصوصى بشأنها

(ب) اصدار سندات ممتازة بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزي فائدتها خمسة في المئة تسدد في مدة ٦٥ سنة علي أن يبدأ بأخذ المبالغ اللازمة لخدمتها من الايرادات المخصصة للدين وخصوصا من ايرادات مصلحة السكك الحديدية وميناء الاسكندرية التى عهد بادارتها الى مجلس دولي وتلك السندات تعطى بالافضلية لحاملى سندات قروض سني ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٣

(ج) أقراض قروض سني ١٨٦٢ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ من الدين الموحد واستهلاكها بواسطة أحكام العقود الخاصة بكل منها بواقع ثمانين في المئة بواسطة ايرادات المقابلة التي أعيد تحصيلها بهذا القرار

(د) تخفيض العلاوة المقررة الأمر في العالى المؤرخ ٧ مايو سنة (١٨٧٦) لأصحاب الدين السائر من ٢٥ الى ١٠ في المئة

(ه) تخفيض الدين الموحد الى ٥٩ مليون جنيه انجليزي وابقاء الايرادات المبينة أعلاه وتقرر انه علاوة على المبلغ المخصص لدفع الفوائد التي خفض معدلها الي ٦ في المئة و يستعمل مع زيادة ايرادات الميزانية مئه وخمسين الف جنيه انجليزي يصير الاستهلاك بواقع ثمانين في المئة

(و) اعتبار صندوق الدين بصفة مستديمة لغاية استهلاك الدين بأكمله

« وفي ١٢ و ١٣ يوليه من سنة (١٨٧٧) عقد اتفاق بخصوص تسوية دين الدائرة فيما بين وكلاء أصحاب الديون من جهة و بين كل من الدائرة السنية والدائرة الخاصة من جهة أخري فبموجب الاتفاق الأول تحول قروض سنة ١٨٧٠ والدين السائر للدائرة للسنية الي دين واحد قيمته ٨٨١٥٤٣٠ جنيها انجليزيا ودعي بدين الدائرة السنية العمومي وقررت له فائدة قدرها ٥ في المئة مع جواز ابلاغها الى ٧ فى المئة في بعض الاحوال على ان يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسه وسبعين في المئة أو بواقع المئة مئة حالما يخفض الدين الي خمسة ملايين جنيه انجليزي

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات الدئرة السنية والدائرة الخاصة مضافة اليها اعانة معينة تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديويه وكل ما زاد من الايرادات على فائدة الخمسة في المئة يخصص للاستهلاك ودفع فائدة اضافية لأصحاب الديون واعفاء مخصصات الحضرة الخديوية من الاعانة المقررة عليها وتحسين حالة الأملاك وذلك حسب نص الشروط المبينة في العقد ولذلك رهنت أملاك الدوائر المذكورة لاصحاب الديون ووضعت تحت ادارة مراقبين يعينها أصحاب الديون . ثم انه بموجب اتفاق ١٣ يوليه الذي عقد مع الدائرة الخاصة تقرر انشاء سندات خصوصية لحاملي سندات الدين السائرة للدائرة السنية ولحاملي بونات الدائرة على الخزينة (وهذه البونات داخلة في الدين الموحد) وتلك السندات الخصوصية تمثل قيمة الدين البالغ قدره ٦٩٧٤٥٤٢ جنيها انجليزيا مع زيادة ١٠ فى المئة وفائدتها ٥ في المئة وتقرر ان يصير استهلاكها بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين في المئة وأن يخص لخدمتها قسط سنوي قدره ٥٠٠٠٠ جنيه انجليزي تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية

« وكانت الشؤون المالية تزداد عسراً حتى انه في أوائل سنة (١٨٧٨) عينت لجنة للتحقيق خولت سلطة عامة للنظر في هذه الحالة فكانت احدي النتائج الأولى من أعمالها صدور أمر عال في ٢٦ اكتوبر سنة (١٨٧٨) يقضي بالتنازل للحكومة عن بعض أملاك تخص جملة أعضاء من العائلة الخديوية وباصدار قرض قدره ٧ ملايين وخمس مئة الف جنيه انجليزي وفائدته ٥ في المئة مضمونا بتلك الأملاك التى عهد بادارتها الي قومسيون دولي

« وفي حالة عدم كفاية ايرادات الأملاك المذكورة لخدمة هذه السلفة يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية وبمقتضى الاتفاقية المحررة في ٣١ اكتوبر مع محل روتشلد المدونة فيها شروط هذه السلفة رخص للقومسيون ببيع تلك الأملاك كلها أو بعضها وتخصيص صافي المحصل من هذه المبيعات مع مايزيد من الايرادات بعد سداد الفوائد لاستهلاك السلفة على أن يكون هذا الاستهلاك بطريقة القرعة بواقع المئة مئة أو بطريقة

الشراء بسعر السوق

ثم انه بمقتضى الامر العالي المؤرخ ٢٢ ابريل سنة (١٨٧٩) خفضت فائدة الدين الموحد مؤقتا الي ٥ في المئة وفي خلال الشهر المذكور رفعت لجنة التحقيق تقريرها النهائي فجاء في نتيجته

(أولا) ان الحكومة المصرية في حالة الافلاس

(ثانيا) انه يجب اتخاذ بعض الوسائل لتسوية الحالة المالية وتصفية ديون الحكومة

(ثالثا) ان الحالة تستدعى تشكيل لجنة للتصفية

« وقد دعت الحوادث التي جرت بعد تقديم هذا التقرير الى عزل الخديو اسماعيل باشا وتولية نجله توفيق باشا في ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩)

وجاء الفرمان السلطاني الصادر في سبعة أغسطس بهذه التولية محظراً علي الخديو عقد القروض الا ما كان منها مختصا بتسوية الحالة المالية في ذلك الحين

وصدر أمر عال في ٦ يناير سنة (١٨٨٠) يقضي بالغاء قانون المقابلة نهائيا

« فى ٣١ مارس أنشئت بأمر عال لجنة للتصفية مؤلفة من أعضاء ينوبون عن مصر وعن الدول الاجنبية فكلفت بتحضير قانون لتسوية علاقات الحكومة مع مداينيها على أن تجعل أساسا لعملها الآراء التي أبدتها لجنة التحقيق في نتيجة تقريرها . فوضعت هذه اللجنة قانونا دعي بقانون التصفية وصدر فى ١٧ يوليه سنة (١٨٨٠) وكان من أهم أحكامه مايلى :

(ا) اصدار سندات ممتازة اضافية ٥٨٤٣٧٠٠ جنيه انجليزي تستعمل مع رصيد سلفة الدومين وموارد أخري في تصفية متأخرات الخراج (الويركو) والدين السائر وغيرها من التعهدات الموقوفة وتعيين قسط سنوي قدره ١١٨٧٤٠٤ جنيها انجليزيا لدفع فوائد الدين وللاستهلاك

« وتقرر أن يكون الاستهلاك في مدة خمس وستين سنة بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وأن تضمن خدمة هذا الدين بايرادات السكة الحديدية والتلغرافات وميناء الاسكندرية وفى حالة عدم كفاية

هذه الايرادات لذلك تضمن بالافضلية بالايرادات المخصصة بالدين الموحد

(ب) تخفيض فائدة الدين الموحد الى ٤ في المئة مع الترخيص باصدار سندات جديدة منه بمبلغ ١٩٠٩٢٨٠ جنيها مصريا يصير حسابها بواقع ستين في المئة وتستعمل في تحويل الباقي من قروض سني ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

(ج) تخصيص صافي ايرادات الجمارك بما فيها عوائد الدخان وايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط لخدمة الدين الموحد . وفي حالة عدم كفاية هذه الايرادات لدفع الكوبونات تقوم الحكومة بدفع الفرق وكل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايحصل من موارد أخري غير ثابتة يستخدم في استهلاك الدين الموحد بطريقة الشراء بسعر السوق . وعلاوة على ذلك اذا اتفق أن زيادة الايرادات المخصصة له تعادل نصف في المئة من مجموع الدين الموحد تقوم الحكومة بدفع كمالة هذا النصف في المئة من زيادة الايرادات الحرة على المبلغ المقرر لمصروفات المصالح الاميرية البالغ قدره ٤٨٩٧٨٨٨ جنيها مصريا

(د) باعتبار أملاك الدائرة السنية والدائرة الخاصة التي عقد في شأنها اتفاقية ١٢ يوليه سنة (١٨٧٧) ملكا للحكومة وتخصيصها لضمان دين الدائرة السنية مع وضعها تحت ادارة مصلحة دولية وتقرر دفع مبلغ ٤٥٠٠٠٠ جنيه مصري الى الدائرة السنية بصفة تعويض لعدم وفاء المقرر على مخصصات الحضرة الخديوية وحدد لدين الدائرة السنية فائدة ٥ في المئة منها ٤ في المئة بضمان الحكومة وواحد في المئة فائدة تكميلية لا يصير دفعها الا اذا سمحت بذلك ايرادات الاملاك وكل مايزيد من الايرادات يخصص بعد دفع فائدة ٥ في المئة أولا لتكوين مال احتياطي غايته ٣٥٠٠٠٠ جنيه مصري ثم للاستهلاك كما ان المحصل من مبيع أملاك الدائرة يخصص أيضا للاستهلاك الذي يصير بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع ثمانين في المئة

(هـ) ضم دين الدائرة الخاصة الذي أنشيء باتفاقية ١٣ يوليه سنة (١٨٧٧)

الي دين الدائرة السنية على أن تقوم وزارة المالية بدفع القسط السنوي اللازم لخدمته وقدره ٣٤ الف جنيه مصري

(و) ابقاء ايرادات مديرية قنا مخصصة لقرض الدومين بصفة ضمان ثان كما تقرر ذلك باتفاق اضافي تاريخه ١٤ ابريل سنه (١٨٨٠)

(ز) تأييد الغاء قانون المقابلة وتخصيص مبلغ مئة وخمسين ألف جنيه مصري سنوياً لمدة ٥٠ عاما لصرف التعويضات اللازمة لأرباب الأطيان عن الأموال التى دفعوها طبقا لهذا القانون

« لكن الحالة المالية مالبثت ان عادت فاضطربت بسبب حوادث سنة (١٨٨٢) ونفقات حملة السودان وعجز الايرادات التي وضعت تحت تصرف الحكومة للقيام بمصروفاتها الادارية وقد انتهت المداولات التى دارت بهذا الشأن بأن عقد مندوبو الدول اتفاقية في لندرة في ١٧ و ١٨ مارس سنة ١٨٨٥ عقبهاصدور الأمر العالي المؤرخ ٢٧ يوليه سنة ١٨٨٥ وكان أساس هذا الاتفاق اصدار قرض ٩ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٣ في المئة يضمنه كل من دولة المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وايطاليا وروسيا وتعين لفوائد واستهلاك هذا الدين قسط سنوي قدره ٣١٥ الف جنيه انجليزي يبدأ بأخذه من الايرادات المخصصة لخدمة الدين الممتاز والموحد وقد تقرر أيضاً أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة . أما المبالغ المحصلة من القرض فخصصت لدفع تعويضات الاسكندرية ومطلوبات خلافها ولأعمال الري مع حفظ مبلغ ٥٠٠ ألف جنيه مصري لادارة أعمال الخزينه العمومية ومن جهة أخري خفض مقدار المبالغ التي كان رخص للحكومة باقتراضها بالحساب الجاري لخدمة الخزينة العمومية فتقررأن لا يتجاوز المليون جنيه مصري

« هذا وقد تعين للمصروفات الادارية التى تؤخذ من ايرادات الحكومة الحرة مبلغ ٥٢٣٧٠٠٠ جنيه مصري مع امكان زيادته في بعض الأحوال . واذا اتفق أن الايرادت الحرة لم تبلغ المقدار المذكور فيقوم صندوق الدين بسداد الفرق من زيادة الايرادات المخصصة وبدفعه للحكومة ، وكل ما يزيد من الايرادات المخصصة والايرادات الحرة

المقررة يقسم مناصفة بين الحكومة وصندوق الدين بعد خصم المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة والمصروفات الادارية المرخص بها كما تقدم فالحصة التي تعود لصندوق الدين تستعمل أولا في استهلاك الدين المضمون لغاية ٩٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي ثم في استهلاك الديون الأخري علي حسب الشروط المقررة وفيما عدا ذلك يوقف استهلاك الدين الممتاز والدين الموحد

« وتقرر أيضا بصفة مؤقتة أن يستقطع ٥ في المئة من قيمة كوبونات الدين العمومي في مدة سنتين حتى اذا لم تتمكن الحكومة بعد هذا الميعاد من دفع الفوائد بأكملها تشكل لجنة دولية لاعادة النظر في الحالة المالية

« غير ان تحسن الحالة المالية لم يدع موجبا لتنفيذ هذا القرار

« وقد رخص بأمر عال تاريخه ٣٠ ابريل سنة (١٨٨٨) اصدار سندات بمبلغ مليوني جنيه مصري فائدتها أربعة ونصف في المئة وذلك من أصل الخمسة الملايين التي رخص بها سلطان تركيا ، وخصص معظم هذا المبلغ لتصفية مطالبات الخديو السابق اسماعيل باشا وأعضاء العائلة الخديوية ولاستبدال المعاشات وكانت السلفة المذكورة بقيمة اسمية قدرها ٢٣٣٠٠٠٠ جنيه مصري فتقرر لخدمتها قسط سنوي قدره مئة وثلاثون الف جنيه مصري تؤخذ من المصروفات الادارية

« واشترط انه في حالة تأخر الحكومة عن سداد هذا القسط تحول محصلات الأموال المقررة والغير مقررة في مدينة القاهرة الي خزينة صندوق الدين المكلف بخدمة القرض المذكور

« أما الاستهلاك فيعين بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وقد اشترط أيضا ان المحصل من مبيع أملاك الميري الحرة الواردة في الجداول يورد الي صندوق الدين لاستخدامه في استهلاك هذه السلفة الجديدة والدين المضمون معا

« وفي ١٠ يوليه سنة (١٨٨٨) صدر أمر عال يقضي باستعمال زيادة الايرادات المخصصة لصندوق الدين بموجب اتفاقيات سنة (١٨٨٥) مع المحصل من مبيع الأراضي وموارد أخري لتكوين مال احتياطي يحفظ في صندوق الدين ويستعمل

لشراء سندات من الدين المصري غير انه رخص للأعضاء بتسليف الحكومة ما يلزمها من هذا الاحتياطي لمصروفاتها الغير الاعتيادية

« وفى الوقت نفسه تقرر ايقاف تنفيذ الامر العالى الصادر في ٢٧ يوليه سنة (١٨٨٥) والخاص باستهلاك الديون حتى يبلغ المال الاحتياطى مليوني جنيه مصري

« وقد قضت الاوامر العالية الصادرة بتاريخ ٦ و سبعة يونيه و ٥ يوليه و ثمانية نوفمبر سنة (١٨٩٠) بادخال التعديلات الآتي بيانها :

(ا) تحويل قرض أربعة ونصف في المئة المعقود في سنة (١٨٨٨) الى دين ممتاز

(ب) اصدار سندات ممتازة جديدة للحصول على مليون وثلاث مئة الف جنيه مصري تخصص لاعمال الري واستبدال المعاشات

(ج) تحويل الدين الممتاز من خمسة في المئة الى ثلاثة ونصف في المئة مقابل دفع تعويض نقدي لحاملى هذه الاسهم قدرة تسعة في المئة

(د) زيادة قيمة الدين الممتاز مبلغا قدره سبعة ملايين ومئة الف وثلاثة آلاف ومئتا جنيه انجليزي كنتيجة للعمليات المذكورة آنفا

(ه) تحويل دين الدائرة السنية العمومي واعطاء أصحاب الديون سندات جديدة فائدتها أربعة في المئة بمعدل خمسة وثمانين في المئة من قيمة أسهمهم و بذلك خفضت قيمة هذا الدين الاسمية مبلغ مليون ومئتين وثمانية وثمانين الف ومئة وعشرين جنيها انجليزيا

(و) الترخيص بتحويل قرض الدومين (ولم يحصل هذا التحويل الا في سنة ١٨٩٣)

(ز) ابقاء الدين الممتاز الجديد ودين الدائرة السنية وقرض الدومين لمدة خمس عشرة سنة كاملة بدون سداد شيء من أصلها الا بطريقة الاستهلاك بالشروط التي وضعت لكل دين ويكون الاستهلاك اما بالشراء بسعر السوق أو بطريق القرعة بواقع القيمة الاسمية

(ح) الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الممتاز ودين الدائرة السنية وقرض الدومين في خزينة صندوق الدين مع

تحويله الحق في تشغيلها بسندات من الديون المصرية والمبالغ المتجمعة بهذه الطريقة تقيد بحساب خصوصي يسمي (مال الوفورات الناتجة عن تحويل الدين)

« وقد حصل تحويل قرض الدومين بمقتضى الأمر العالى الصادر في ٢٥ مارس سنة (١٨٩٣) فخفضت فائدته من خمسة في المئة الى أربعة وربع في المئة

«وفي ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) عقدت الحكومة مع احدي النقابات التي صارت فيما بعد (شركة الدائرة السنية) اتفاقا مفاده ان هذه الشركة تتولى بيع أملاك الدائرة السنية وتدفع للحكومة المبالغ اللازمة لسداد سلفة الدائرة السنية في استحقاقها أي في ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وجميع الأرباح الناتجة عن ذلك البيع بعد خصم المبالغ اللازمة لاستهلاك الدين ولدفع فائدة قدرها ٥ في المئة على رأس مال الشركة تقسم مناصفة بين الحكومة والشركة

« وقد تقرر بالأمر العالي المؤرخ ٢٠ يناير سنة (١٩٠٠) بأن الوفورات الناتجة عن تحويل قرض الدومين لا تورد الي صندوق الدين الا اذا زادت ايرادات مصلحة الدومين عن المبالغ اللازمة للقيام بسائر مصاريفها أما المبالغ التي تورد بصفة وفورات فتخفض لسد عجز ايراداتها وتقرر أن لا يسدد قرض الدومين قبل أوائل يناير سنة (١٩١٥) الا بطريقة الاستهلاك وذلك بواسطة ما يحصل من بيع الأملاك أو من زيادة الايرادات

« وقد رخص بالامر العالي المؤرخ ١٢ يولية سنة (١٩٠٠) اصدار سندات ممتازة جديدة قدرها مليون وسبع مئة وأربعة وثلاثون الف ومئتا جنيه انجليزي تخصص لادخال تحسينات على سكك حديد الحكومة فكان هذا القرض مع سلفة أربعة ونصف في المئة المعقودة في سنة (١٨٨٨) وقرض سنة (١٨٩٠) تتمة مبلغ الخمسة الملايين جنيه مصري الذي رخص به سلطان تركيا في سنة (١٨٨٨)

« ثم انه بموجب الاتفاق الانجليزي الفرنسي الموقع في ٨ ابريل سنة (١٩٠٤) وبمقتضى القانون نمرة ١٧ الصادر في ثمانيه وعشرين نوفمبر سنة (١٩٠٤) الذي سري مفعوله ابتدا

من أول يناير سنة (١٩٠٥) قد استبدلت تلك الطريقة المتعقدة المتقدم سرد تاريخها بنظام جديد فكان من أهم أحكامه مايلي :

(ا) استبدال الايرادات المختلفة المخصصة لخدمة الدين المضمون والدين الممتاز والدين الموحد بايرادات أموال الاطيان في جميع مديريات القطر المصري ماعدا مديرية قنا التى سبق تخصيص ايراداتها بصفة ضمان اضافي لقرض الدومين و بما ان محصلات تلك الاموال قدرت بمبلغ أربعة ملايين ومئتى الف جنيه مصري فقد اشترط انه لايجوز اجراء أي تعديل في ضرائب الاطيان ينجم عنه تخفيض أموالها الى مادون الاربعة الملايين جنيه مصري الا بعد موافقة الدول

(ب) استخدام المحصل من الايرادات المخصصة في سداد المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة وذلك حسب الترتيب الآتي :

(أولا) مبلغ ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصري قيمة القسط السنوي المخصص للدين المضمون

(ثانيا) قيمة فوائد الدين الممتاز

(ثالثا) قيمة فوائد الدين الموحد

« فاذا لم تف تلك الايرادات بخدمة هذه الديون يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية

(ج) توريد المحصل من الايرادات المخصصة من جهات التحصيل مباشرة الى صندوق الدين حتى تستوفي المبالغ اللازمة لخدمة الدين وما يزيد عن ذلك يرسل الى وزارة المالية مباشرة

(د) تخصيص مبلغ مليون وثمان مئة ألف جنيه مصري بصفة مال احتياطي لصندوق الدين ومبلغ آخر لادارة الأعمال وقدره خمس مئة الف جنيه مصري (وقد زيد هذا المبلغ باتفاق الحكومة وصندوق الدين الى مليون و ٢٥٠ الف جنيه مصري) وتوريد المبالغ الباقية من الأموال الاحتياطية ومن الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الى خزينة الحكومة

(ه) حفظ الحق للحكومة في سداد هذه الديون بواقع قيمتها الاسمية ابتداء من التواريخ الآتية وهي :

« ١٥ يولية سنة ١٩١٠ للدين

المضمون والدين الممتاز

« ١٥ يوليه سنة ١٩١٢ للدين الموحد

« فاذا لم تف تلك الايرادات بخدمة هذه الديون يؤخذ من ايرادات الحكومة العمومية

ولا يسدد قبل هذه المواعيد شيء من هذه الديون الا فيما يختص بالدين المضمون الذي يستمر استهلاكه بما يتبقى بعد دفع الفوائد من القسط السنوي المقرر لخدمته وقدره ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصري

(و) استعمال كل ما يزيد من ايرادات الدومين والدائرة السنية بعد دفع الفوائد بواقع أربعة ونصف في المئة لدين الدائرة السنية والمبالغ المحصلة من بيع الاملاك في استهلاك ديون المصلحتين المذكورتين كل واحدة عما يخصها وبخلاف هذه الطريقة لا يجوز استهلاك شيء من تلك الديون قبل التواريخ المقررة لسداد كل منها وهي أول يناير سنة ١٩١٥ لقرض مصلحة الاملاك الاميرية و ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) لدين الدائرة السنية

(ز) حفظ باقي المطلوب لحساب تصفية سنة (١٨٨٠) وقدره الف جنيه انجليزي بصفة أمانة في صندوق الدين لغاية سداد الطلبات المرقومة

(ح) استمرار دفع قسط المقابلة وقدره ١٥٠ الف جنيه مصري سنويا لغاية ٣٠ يونيو من سنة (١٩٣٠) وذلك من أصل المال المحصل عن الأطيان التى دفعت عنها المقابلة قبل (١٨٨٠)

« طبقا للاتفاق الذي عقد في ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) قد سدد الباقي من دين الدائرة السنية في ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وذلك بواسطة المبالغ المحصلة من بيع أملاك هذه الدائرة

« وعلى أثر الاستهلاكات التي أجريت حسب الشروط المبينة في الاتفاق المؤرخ ٣١ اكتوبر سنة (١٨٧٨) أصبح قرض مصلحة الأملاك الاميرية جميعه مسدداً في أول يونيه سنة (١٩١٣)

« وفي الجدول الآتي بيان عن حالة الدين العمومي في آخر السنة المالية (١٩١٥ ـ ١٦) مع ماطرأ عليه من التغييرات في خلال السنة نفسها

الدين المضمون بفائدة ٣ في المئة

قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٦ ملايين و ٩٣٩ الفاومئة جنيه . المستهلك منه في خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥٦٠٠ جنيه . قيمة هذا الدين في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٦٨٠٣٥٠٠ جنيه . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ٨٣٦٠٠ جنيه . وقيمة سنداته المتدولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ٦٧١٩٩٠٠ جنيه .

الدين الممتاز بفائدة ٣ ونصف قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٣١ مليونا و ١٢٧ الفا وثمان مئة وثمانون جنيها . وقيمته في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٣١ مليونا و ١٢٧ الفا وسبع مئة وثمانون جنيها . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين مليونا جنيه و ٤٧٦ الف جنيه . وقيمة السندات المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانيه وعشرون مليونا وست مئة واحد وخمسون الفا وسبع مئة وثمانون جنيها

الدين الموحد بفائدة ٤ في المئة قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٥٥ مليونا و ٩٧١ الفا و ٩٦٠ جنيها . وقيمته في أواخر مارس سنة (١٩١٦) هي مثل القيمة المتقدمة . وقيمة السندات الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ثلاثة ملايين وأربعون الف ومئتان وعشرون جنيها . وقيمة السندات المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) اثنان وخمسون مليونا وتسع مئة واحد وثلاثون الفا وسبع مئة وأربعون جنيها

فتكون جملة الديون ٩٤ مليونا و ٢٨ الفا و ٨٤٠ جنيها . وقيمة المستهلك في خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥ الفا وست مئة جنيه . وقيمتها في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٩٣ مليونا وتسع مئة وثلاثة آلاف ومئتان وأربعون جنيها . وقيمة سنداتها الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين خمسة ملايين وخمس مئة وتسعة وتسعون الفا وثمان مئة وعشرون جنيها . وقيمة سنداتها المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وثمانون مليونا وثلاث مئة وثلاثة آلاف وأربع مئة و ٢٠ جنيها

انتهى ما اقتطفناه من الاحصاء الرسمي للحكومة الذي صدر سنة (١٩١٦) عن سنة (١٩١٥)

وقد أغفلنا الكلام على الآثار

المصرية القديمة التى لها قيمة كبيرة في علم الارشيولوجيا (علم الآثار) لأننا أشبعنا الكلام فيها في كلة (آثار) حرف الالف

﴿ مصَّ ﴾ الشيء يمُصه مصا رشفه و (أمصه اللبنَ) جعله يمصه و (تمصص الماءَ) مصه ومثله (امتصه) و (المُصاص) خالص كل شيء . و (المُصاصة) ما يمص من الشيء . و (المصمصة) مثل المضمضة الا انها تكون بطرف اللسان . وأما المضمضة فتكون باللسان كله .

و (مصمص الاناء) غسله

و (رجل مُصَاص) أي شديد وقيل هو الممتلىء الخلق الأملس وليس بالشجاع . و (قصب المص) قصب السكر

و (المَصَّاص) الحجام . و (المَصّان) الماص يقال للرجل (يا مَصّان وللمرأة يا مَصّانة) أي يا راضع الغنم لؤما . وفي هذا تعيير برضع الغنم من اخلافها بالفم

و (المُصّان) قصب السكر

و (مُصّة المال) أي خالصه

و (المَصُوص) الناقة القمئة

و (المَصُوصة) المرأة المهزولة

و (والمُصَامص) خالص كل شيء

و (فرس مُصامص) أي شديد تركيب العظام والمفاصل

و (رجل مُصامص) أي حسيب زاك أي خالص يقال (انه لمصامص في قومه) اذا كان زاكي الحسب خالصا فيهما

و (فرس مُصَمِّص) أي شديد تركيب المفاصل

﴿ المصطكي ﴾ هذا الاسم معرب عن مصطيخا اليوناني وتسميه العرب بعلك الروم وهو راتينج يستخرج من نبات من الفصيلة التربنتينية وهو شجيرة تحمل أوراقا متعاقبة ريشية منتهية بفرد أو مثلثة الاوراق وأزهارها عنقودية الشكل وهي تنبت في الاقاليم المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط . ومنها أنواع يبلغ عددها اثني عشر تختلف في راتينجيه اوثمرها زيتوني يؤكل ويستخرج منه دهن جيد للاستصباح

شجيرة المصطكي تنبت في بروفنسا من ايطاليا وبلاد الغرب وافريقا والجزر اليونانية وقد استنبت هذا النبات بأماكن كثيرة من البلاد التركية .

ولكن أشجار المصطكي لاتكون منتجة في جميع البلاد فهي فى بروفنسا لاتنتج شيأ وفي بعضها تنتج سنة ولا تنتج أخري وأعظم مقدار يرد الى العالم من المصطكي يستخرج من جزيرة صاقس وهو هناك رأس ثروة أهل تلك الجزيرة

لأجل اجتناء المصطكي من شجره تعمل شقوق كثيرة خفيفة في اليوم الخامس عشر من شهر يوليه في جذوع أشجاره فتسيل منها عصارة سائلة ثم تجمد وتبقى متعلقة بالشجر على شكل حبوب وقد تسقط على الأرض اذا كثرت فتجني فى ٢٧ أغسطس فيؤخذ منها مصطكي كثيرة ثم تفصل شقوق أخري في ٢٥ سبتمبر وهو زمن الاجتناء الثاني ويمتنع بعد ذلك من جنيها الا في السنة المقبلة

ولكن العرب ذكروا ان شجرته تصمغ في السنة ثلاث مرات الأول يكون حبا كباراً بيضاً والثاني دون ذلك والي الصفرة والثالث يكون صغارا سودا وأجودها الأبيض النقي

وقد زرعها الأتراك في ٢١ قرية جنوب الآستانة وقد علم انهم يجنون منها في السنة نحو ٦٠٠٠٠ أقة يرسل أفضله الى الآستانة ويرسل الاجتناء الثاني الى مصر وغيرها

ويظن ان الأتراك استنبتوها في بلاد الأناضول أيضاً وكانت مزروعة بمصر في زمن جالينوس

المصطكي راتينج مكون من حبوب صغيرة مصفرة منتقعة اللون جافة سهلة الكسر ملساء شفافة رائحتها تربنتينية قليلا تظهر كثيراً اذا طرحت على النار حيث تحترق جيداً وينتشر منها دخان أسود وتميع . وهناك نوع ثان يكون قطعا كبيرة سنجابية غير منتظمة وغير نقية مكونة من تراكم حبوب وسخه فيها جواهر غريبة وهذه هي التي تسقط على الأرض . والنوع الأول هو المصطكي المذكرة أو الحبوبية والثاني هو المؤنثة أو العامة والرغبة فيها أقل

(خواص المصطكي الكيماوية)

المصطكي وجدت مركبة من راتينجين وقليل من دهن طيار فأحد الراتينجين الذي يتكون منه معظم الكتلة يذوب فى الكحول البارد والآخر الذي يكون بمقدار يسير فى مصطكي المتجر لا يذوب في الكحول الا اذا كان حاراً ويبقي زمنا

طويلا رخواً بالكحول الماسك هوله

وقال بعض الكيماويين ان الجزء الغير القابل للذوبان في الكحول من المصطكي يكون جوهراً خاصاً مرنا لزجاً غرويا ما دام محتوياً بين أجزائه على الكحول فاذا لم يبق فيه كحول فانه يصير جافا سهل التفتت و يذوب في الكحول الحار ولا يذوب في البارد و يظهر انه يشبه الراتينج الذي يوجد في الراتينج الحي

(خواص المصطكي في الطب)

تستعمل المصطكي كثيراً في بلاد المشرق لتعطي للفم رائحة زكية فيمضغها نساء الترك واليونان والأرمن واليهود بكثرة لذلك السبب و يعزون لها خواص لتطييب النكهة وتقوية اللثة وتبييض الأسنان . وهم يعطرون بها بيوتهم و يضعونها في الأطعمة

وهي في طبهم تعتبر مقوية للمعدة ومضادة للتشنج وتستعمل كادات علاجاً للأوجاع الروماتيزمية والنقرسية والعصبية وتقلصات الصدر والآفات العظمية أي لين العظام وأوجاع الآذان والأسنان

وتعطى من الباطن عندهم في نفث الدم والنزلة المزمنة والسيلان الأبيض والاسهال والآفات الجربية ونحو ذلك

ولكنها في أوروبا الآن لاتستعمل في الطب . وقد توسع أطباء العرب في ذكر خواصها فنقلوا عن جالينوس انها مركبة من جوهر مائي حار قليل ومن جوهر أرضي بارد ليس بكثير المقدار أيضا و بسبب ذلك صارت تقبض قليلا وتجفف وأما حالها في البرودة والحرارة فحالة وسطي معتدلة المزاج والقبض في أجزاء هذه الشجرة علي مثال واحد أي فى عروقها وورقها وقضبانها وأغصانها وأطرافها وثمارها ولحائها

وهي تشرب وحدها أو مع أدوية أخري فى قروح الأمعاء واستطلاق البطن وهي نافعة جداً لمن به نفث الدم وللنساء اذا انفجر من أرحامهن دم وكذا اذا برزت الرحم أو خرجت المقعدة وكذا فى نتوء السرة

ونقلوا عن ديسقوريدس أن الشجرة كلها قابضة وقد يطبخ قشرها وورقها وأصلها بالماء طبخا طويلا ثم يطبخ هذا الماء حتى يثخن و يصير كالعسل فهذا الماء لقبضه يشرب لنفث الدم واستطلاق البطن وقرحة الأمعاء ونزف الدم من

الرحم وظهور الرحم والمقعدة وقد يقوم مقام هذا الطبيخ عصارة الورق . واذا صب طبيخ الورق على القروح العتيقة وعلي العظام المكسوة بني اللحم في القروح وعلى العظام وشد الأعضاء المسترخية وقد يقطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم ويمنع القروح الخبيثة من السعى ويدر البول واذا تمضمض به شد الأسنان المتحركة . واذا عمل من أغصانها مساويك وتسوك بها جلت الأسنان

وقد يؤخذ من هذه الشجرة دهن قابض يوافق كل ما احتاج الي قبض

ومدح الاستاذ ميريه الفرنسي مطبوخ خشب المصطكي دواء عاما للنقرس واستعمل أيضا غرغرة ومضمضة ويصنع منه سنون ويعطي أيضا منقوعا نبيذيا ويستخرج منه لون أصفر جميل بواسطة الكحول

قال أطباء العرب وهناك نوع من المصطكي يعرف بالنبطي اسود تجفيفه أشد من تجفيف الابيض وقوة القبض فيه أقل ولذا كان أنفع لمن كان محتاجا الى التجفيف والقوة ومن أجل ذلك ينفع للاورام الصلبة التي في ظاهر البدن

وأما دهن المصطكي فيتخذ من النوع الابيض وقوته شبيهة بقوة المصطكي وهو جيد للمعدة محرك للجشاء وينفع من الصداع البارد بخورا وسعوطا بدهن زنبق .

واذا ديف بزيت ولطخ به شقاق الشفتين أبرأه . والشراب المتخذ من المصطكي يقوي الاعضاء الباطنة اذا أخذ ممزوجا بالماء البارد عند العطش . وهو يدر البول . واذا حل المصطكي في الادهان القابضة شد اللثة . واذا تمودي على المضمضة به منع من تحرك الاسنان واذا دهنت المعدة بأحد الادهان النافعة لها وذر عليها مسحوق المصطكي نفع ذلك من وجع المعدة ومن القيء وان طبخت المصطكي في الشيرج وقطر ذلك في الاذن فتح السدد وأزال الصمم (مجرب) وان بخر بها قطن بُل بماء ورد وجعل على العين سكن الرمد والوجع . واذا طبخت مع الزيت أزالت النافض

وقال الاستاذ ميريه ثمار المصطكي لوز أبيض منتقع مزعفر مناسب للاكل وذكر بليناس ان تلك الثمار كانت تؤكل مربات كالزيتون في زمنه . وقال ابن

ديمقريطس أبرأ بنت القنصل سرفيوس وكانت مصابة بمرض مزمن باستعمال ابن ماعزة كانت تتغذي بثمر المصطكي

(مقدار الاستعمال) تستعمل المصطكي من الباطن بمقدار من ٥٠ سنتي غرام الى غرامين حبوبا . وماؤها المقطر من ٣٠ غراما الى ٦٠ في جرعة . وشرابها يصنع بجزء منها و ٦ من الماء المقطر و ٨ من السكر والمقدار من ٢٠ الي ٣٠ غراما في جرعة والصبغة تصنع بجزء منها و ٥ من الكحول الذي فى ٣٥ ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يرشح والمقدار من غرامين الى أربعة في جرعة (أنظر المادة الطبية)

﴿ مصوع ﴾ ثغر من بلاد الحبشة علي البحر الاحمر استولت عليه ايطاليا

﴿ المَصْل ﴾ هو المتحصل من التقطير . و (مصل اللبن) هومايستخرج منه من الماء . ويطلق المصل طبيا على السائل الذي يحتويه كل من اللبن والدم

﴿ مُضَر ﴾ أبو قبيلة شهيرة من العرب (أنظر كلمة عرب)

و (المَضيرة) نوع من الطعام كان للعرب وهي لحم مطبوخ باللبن

﴿ مضّه ﴾ الامر وامضه الامر آلمه وأحرقه . و (المضض) ألم المصيبة

﴿ مضمض ﴾ الماء في فمه حركه و (تمضمض) بمعني مضمض . و (المضمضة) صوت الحية

(المضمضة) في الوضوء سنة لا يبطل الوضوء بتركها

﴿ مضَغ ﴾ الطعام يمضَغه ويمضُغه مضغا لاكه في فمه . و (مضّغه الشئ وأمضغه اياه) ألاكه اياه . و (المُضغة) قطعة من اللحم أوغيره

﴿ مضغ الاطعمة ﴾ المضغ لاتنحصر فائدته في تحطيم الاغذية وتهيئتها للانهضام في المعدة بل له وظيفة أسمى من ذلك أيضا وهو احالة الاغذية النشائية غير القابلة للانهضام الى مادة سكرية تسمي بالجليكوز تقبل الانهضام في الامعاء . وبما ان أكثر ماناً كله يحتوي على مواد نشائية فيجب مضغها جيدا حتي يدر عليها اللعاب وتختلط به ويتحد الخمير الموجود به واسمه (الدياستاز) بالمادة النشائية فيكوّن المادة السكرية التي قلنا ان اسمها الجليكوز . هذه الوظيفة كما تري من أهم وظائف الهضم يتوقف عليها

انهضام المواد النشائية فينبغي والحالةهذه أن يُعنَي الآن كاون بالمضغ جد العناية وأن يعوّدوا أنفسهم المثابرة عليه حتى تنهضم المواد النشائية في أفواههم والا فلو نزلت الى المعدة ثم الي الامعاء الدقاق غير محالة الى الجليكوز فانها لا تقبل هنالك الانهضام وتنزل مع البراز كما اكلت ولا يكون من ورائها الا ماجناه الانسان من التعب في تناولها

﴿ مضى ﴾ الشئ يمضي ويمضو مُضيا ذهب . و (أمضى الامر) أنفذه

﴿ مطَرت ﴾ السماء تمطُر أنزلت الماء من السحب . و (أمطرت السماء) مثله و (استمطر اللهَ) سأله المطر . و (يوم مطير) ذو مطر

(المطر) السبب الطبيعي للمطر هو ان المياه الموجودة علي سطح الارض في البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات تتبخر أي تستحيل الى بخار طول مدة الصيف فتصعد الى الجو ولا تظهر فيه بسبب شدة الحرارة فاذا جاء البرد تكاثفت تلك الابخرة وظهرت وارتفعت الى مسافات عالية من الجو وبقيت فيه أواندفعت مع الرياح فاذا تراكت على جو جهة من الجهات وأدركتها هنالك برودة شديدة استحالت الى حالتها الاصلية أي الي ماء فيسقط ذلك الماء وينزل على هيئة خيوط من السماء هو المطر المعروف

فان قيل لماذا لاتظهر تلك الابخرة المائية في الصيف وتظهر في الشتاء ؟ قلنا انها لاتظهر في الصيف لان الحرارة تفرق أجزاء تلك الابخرة وتلطفها فلا تظهر . والدليل علي ذلك اننا في أثناء تنفسنا نزفر حمض الكربون وبخار الماء ولايظهر ذلك البخار في الصيف ولكن اذا جاء الشتاء وجدنا ان لزفيرنا دخانا كالسحب هو في الحقيقة بخار الماء الخارج من رئتينا يتكاثف بمجرد ملامسته للهواء البارد . كذلك أبخرة الماء التي تنتشر في الجو لا تظهر فى أثناء الصيف بسبب شدة الحرارة فيه ولكنها تظهر في الشتاء كما تقدم

﴿ مط ﴾ الشئ يمُطه مطا مده ومثله (مطّطه) و (تمطط) تمدد

﴿ مطَع ﴾ يمطَع مطوعا ذهب

﴿ مطق ﴾ تمطق الطعام تذوّقه وردده في فيه

﴿ مطل ﴾ الحبل يمطله مطلاً مده . و (مطل زيداً بدينه) سوفه بوعد الوفاء مرة بعد مرة ومثله (ماطله) و (المطّال) الكثير المطل

﴿ مطى ﴾ امتطى الدابة وأمطاها جعلها مطية . و (تمطي الرجل) تمدد . و (المطية) جمعها مطايا

﴿ مَعَدّ ﴾ حي من العرب (انظر عرب)

﴿ المعدة ﴾ المعدة هي العضو الرئيسى لهضم الاغذية مركزها تحت الرئة اليسري والقلب يفصلها منهما الحجاب الحاجز وهي مؤلفة من ثلاث طبقات أو أغشية فالطبقة الظاهرة تسمي الزلالية والمتوسطة العضلية والباطنة المخاطية

تشبه معدة الانسان كرش الحيوان من حيث طبقاتها فتجد ان الغشاء الظاهري لها أملس صقيل والغشاء المتوسط مؤلف من خويطات علي طبقتين اليافهما متصالبة والغشاء الباطن رخو تظهر فيه غضون

هذه معدة الانسان أما الحيوانات التي تأكل الاعشاب وتجتر كالغنم والمعز والبقر والجمل فلها أربع معدات . فالأولي تسمي الكرش ووظيفتها أن تقبل الاطعمة من الفم فيبتل فيها وينتفش ثم تدفعه الى المعدة الثانية ومنها يرجع الى الفم فيجتر الحيوان الطعام بفمه ثم ينزل الى المعدة الثالثة ثم ينزل من هناك الى المعدة الرابعة

شكل معدة الانسان بيضى كشكل القربة طرفها الغليظ الى اليسار والدقيق الي اليمين وقاعدتها مستديرة تشغل المراق الأيسر وجزء من أسفل الكبد

حجم المعدة يختلف بحسب الخلاء والامتلاء . قطرها المستعرض نحو ٢٠ سنتى متراً والجزء المقدم الخلفى من ٨ الي ١٠ سنتيمترات . وقيس مسطح المعدة كله متي بلغ غاية نموه فبلغ متراً مربعا . ويمكن أن تشمل المعدة ثلاثة لترات علي الاقل ووزنها المطلق ٢٠٠ غرام

يميز للمعدة وجه مقدم ووجه خلفي وحافتان عليا وسفلى وحدبتان كبيرة وصغيرة وطرفان يميني ويساري

فالوجه المقدم يصير علويا متي امتلأت المعدة ومحدبا مجاورا للحجاب الحاجز الذي يفصله عن الاضلاع الكاذبة والكبد والجزء العلوي من جدران البطن

ويجاور التقعير الشراسيفي

واما الوجه الخلفي فيصير سفليا كلما تمددت المعدة ويجاور القولون المستعرض (وهو قسم من الامعاء الغلاظ)

وأما الحافة السفلي المسماة بالقوس المعدي الصغير وتقعيرها الى الاعلى وهي ممتدة من الفؤاد الي البواب (الفؤاد هي الفتحة العليا للمعدة والبواب هي الفتحة السفلي لها)

وأما الحافة السفلي المسماة بالقوس المعدي الكبير فهى أكثر طولا من العليا وهي محدبة مستديرة تنطبق علي الجدر البطنية

والمنتفخ من المعدة الموضوع على يسار الفؤاد يسمي بالحدبة المعدية الكبيرة وهي تجاور الطحال من اليسار حالة الامتلاء وتكون منفصلة عنه في حالة الفراغ بالرباط المعدي والطحال ، ومن الامام تجاور السطح السفلى للحجاب الحاجز والستة الاضلاع الاخيرة ، ومن الخلف البنكرياس والمحفظه فوق الكلى وقمة الكلى اليسري

وأما الحدبة الصغيرة فهى عبارة عن الانتفاخ الصغير المجاور للبواب . والطرف اليساري للمعدة يسمى بالفؤاد ويتصل بالمريء . وأما الطرف اليميني فيسمى بالبواب ويتصل بالمعي الدقيق

المعدة مغطاة من الباطن بغشاء مخاطى أبيض ضارب للسمرة ذي ثنيات وميازيب غير منتظمة تزول حالة تمدد المعدة فتكون في حذاء البواب شبه ثنية حلقية

(تركيب المعدة)

تتركب المعدة من أربعة أغشية وهي من الظاهر الى الباطن الغشاء المصلى ثم الغشاء العضلي ثم الغشاء الخلوي ثم الغشاء المخاطى

فالغشاء العضلى يتركب من ثلاثة أنواع من الياف ملساء طولية وحلقية ومنحرفة فالطولية سطحية وهي استطالات الالياف الطولية للمريء وهي تشع في جميع الاتجاهات

وأما الالياف الحلقية فتكون منها طبقة مستمرة في جميع امتداد المعدة ويتراكم بعضها على بعض في محاذاة البواب فتكون العضلة العاصرة للبواب

وأما الالياف المنحرفة الخاصة بالمعدة فموضوعة أسفل الغشاء المخاطى

مباشرة وهي عبارة عن عروة عضلية تقعيرها محيط بالحدبة المعدية الكبيرة وبالجهة اليسري من الفؤاد وطرفاها يتجهان بانحراف الى اليمين واليسار على وجهى المعدة وبانقباض هذه الالياف المنحرفة تنقسم المعدة الي قسمين سفلي يساري هومستودع الاغذية ، وعلوي يتكون منه قناة تتبع القوس الصغير وهي معدة لمرور السوائل مباشرة من المريء والاثني عشري

وأما الطبقة المصلية فمتكونة من البريتون المحيط بوجهي المعدة ثم ان وريقتى البريتون تلتصقان فيتكون منهما رباطان أحدهما حذاء القوس الصغير ويسمى "بالسرب الصغير" أو الرباط المعدي الكبدي والثاني حذاء القوس الكبير ويسمى بالسرب الكبير أي الرباط المعدي السربي القولوني

وأما الغشاء الخلوي فهو عبارة عن طبقة خلوية ليفية معدة لاندغام الطبقة العضلية ومحتوية على الاوعية الدموية التى تنتهى في الغشاء المخاطى

وأما الغشاء المخاطى فيغشي السطح الباطن من المعدة ويستمر من جهة مع الغشاء المخاطي للمريء للاثني عشري وسطحه السائب محتو علي ثنيات طولية ومستعرضة وارتفاعات صغيرة تسمى بالحلمات . وأدمته مركبة من الياف ليفية وبشرته ذات خلايا اسطوانية ويوجد في سمكه الغدد المعدية وهي انبوبية بسيطة أو مركبه مستقيمة كل واحدة منها تتركب من غشاء خاص وبشرة وتنقسم هذه الغدد الى نوعين غدد العصير المعدي وغدد المخاط

فالاولى توجد في جميع سطح المعدة الا في مجاورة البواب وتشتمل بواطنه على خلايا الببسين التى هي مستديرة وفي باطنها نويات ومواد حبيبية

والثانية أي الغدد المخاطية توجد بالقرب من البواب وكل منها مغطى من الباطن بقشرة ذات خلايا اسطوانية

ويوجد أيضا في سمك الغشاء المخاطي المعدي طبقة رقيقة من الياف عضلية ملساء محيطة بقاع الغدد المعدية

* * *

هذا وقد أتحفنا حضرة الدكتور الفاضل حسين أفندي الهراوي ببحث جليل فى المعدة وبعض أمراضها ننشرها هنا مع الشكر لحضرته على هذه الخدمة

العلمية وهي :

المعـدة

المعدة موجودة في أعلى التجويف البطني من الجهة اليسري ولهـا فتحتان العليا فتحة الفؤاد وهي خلف غضروف الضلع السابع على بعـد ١٨ سنتمترا من الامام والفتحة الثانية فتحة الاثني عشري على بعد أربع قراريط من مكان اجتماع غضاريف الاضلاع وعلى بعـد قيراط واحد من خط التمـاثل المتوسط ونهايتها من الاسفل أمام الضلع التاسع . هـذه الحدود تتغير في حالات امتلاء المعـدة وخلوها ولكن لايمكن أن يصل الحد الى السرة بأي حال من الاحـوال اذا كانت المعدة سليمة من الآفات

(اختبار محتويات المعدة)

من اسـتخراج محتويات المعـدة واختبارها نسـتفيد فائدة عظمي وهي معرفة أنواع الاحماض الموجودة بهامثل حمض الـكلورودريك واللبنيك ودرجة الببسين وعدم قوة المعدة على الهضم

(القيء) تلاحظ رائحته ولونه وكميته ومحتوياته . فالرائحـة تتغير بمـا أكله الشخص من المـآكل ذات الروائح والزيوت العطرية والكحول . أما اللون فاذا اختلف عن لون المـآكل المعروفة فانه يتغير الى الاحمـر والاسود بوجود الدم ، والى الاصفر أو الاخضر بوجود المواد الصفراوية ويجوز أن يكون فيـه زبد مخاطي ويجب أيضا معرفة درجـة الهضم وفي كم ساعة حصل ذلك

والبحث بالميكروسكوب يري أجزاء نباتية وحيوانية كالياف عضلية وأجزاء نشائية وميكروبات لاعداد لها . وبعـد ترشيح القيء يمكن تحليله كيماويا

(غـذاء الاختبار) اذا لم يتقايأ المريض من نفسه ويراد معرفة حال المعدة يمكن اعطاء المريض غذاء عـلى سبيل الاختبار وهو ان يأكل في الصباح أوقيتين ونصف من الخبز ويشرب ١٠ أوقيات من الماء أو الشـاي الخفيف وتغسل المعدة بعد ساعة بواسطة أنبوبة غسيل المعـدة ويحلل السـائل المأخوذ فحمض الكلوريدريك يرسب الرصاص والفضة في مركباتهما السائلة وحمض اللبنيك الخالص يحول لون الورق المصبوغ بصبغة الـكنفو الحمراء الى اللون الأزرق . وأحسن الاختبارات لحمض الكلوريدريك

هو كشاف جنز برج وهو عبارة عن غرامين من فلورو جلوسين وغرام واحد من الفانيلين وثلاثين غراما من الكحول الخالص فاذا وضع قليل من النقط من هذا الكشاف على قليل من السائل الذي يحتوي علي حمض الكاوريدريك وسخن ذلك علي النار انقلب اللون الي أحمر وردي جميل وكشاف أوفلمان لأجل حمض اللبنيك هو عبارة عن عشرة سنتميترات من سائل حامض الفنيك بنسبة أربعة في المئة على عشرين غراما مكعبة من الماء ونقطة واحدة من صبغة ثاني يودور الحديد فيتحول اللون الأزرق الى اللون الأصفر.

(حامض الزبدة) يستخلص بالاتير من الراسب الباقي بعد ترشيح محتويات المعدة ثم يرشح ويؤخذ السائل ويبخر ويذاب الباقي في ماء ويضاف اليه كاورور الجير فينفصل الحمض على شكل حبيبات شحمية

(حامض الخل) يعرف باللون الأحمر اذا أضيف اليه قليل من صبغة ثاني يودور الحديد

أما قوة الهضم فتعرف بمقارنة قوة الهضم الطبيعية بما تهضمه محتويات المعدة من الفيبرين أو مح البيض بعد اضافة ٢ر٠ في المئة من سائل حمض الكاوردريك.

﴿ أمراض المعدة ﴾

سوء الهضم أو عسر الهضم الفاظ تطلق علي عدم هضم المأكولات علي الشكل الطبيعي أو بقاء الأغذية في المعدة فوق الوقت المعتاد. كل هذا ينشأ من وجود أمراض في المعدة سواء كانت التهابات مختلفة أو أورام أوقروح انسداد في فتحة المعدة الاثني عشرية ولكن في الغالب الشائع أن تكون هذه الآفات نتيجة عدم افراز السوائل الهاضمة على الشكل الطبيعي أو عدم تحرك المعدة على الشكل العادي أو أن يكون الافراز غير ملائم للأغذية أو أن تكون القوة العصبية الهضمية ناقصة من أي وجه كان.

وقد يجوز ان يكون المنشأ هو عدم اعطاء الغذاء الكافي أو فوق العادة فيحدث من وراء ذلك تهيج فى المعدة أو عدم قدرتها على أداء وظيفتها بالشكل المطلوب. وفصل هذه العوامل يؤثر فى المعدة فينشأ عنها الالتهاب المعدي فيحول دون معرفة الحقيقة

(عسر الهضم الحاد)

يكون هنا ناشئا على خلل عملي من أكل زائد عن سعة المعدة أو مهيج لها . ويسري هذا على أي رجل سليم البنية يأكل مايزيد عن حاجته أو يشرب كثيراً من القهوة أو الشاي أو المشروبات الكحولية فان الطعام يبقى في معدته أكثر من الزمن اللازم بغير هضم مثال ذلك بعد الاعمال الشاقة مدة عدة ساعات لاتستطيع المعدة هضم أي غذاء هذا بخلاف الرياضة الجسمية الغير الشاقة فانها تحسن المعدة

(أعراضه) اما ان تبتدئ بعد الأكل مباشرة أو بعد عدة ساعات فيشعر الانسان بألم في جهة المعدة أو شعور غير طبيعي في هذه الجهة وربما كان الطعام حصل في وقت الغداء ليبقى في معدته حتى وقت النوم فينام الشخص بدون أي ألم فيه ولكنه يستيقظ من ألم في معدته ويكون لسانه جافا وبه صداع شديد فيبقى ساهرا مدة من الزمن . وربما حصل ألم فى جهة القلب وفي بعض الاحيان تضطرب ضربات القلب وفي الصباح لاتنفتح شهية المريض للاكل ولكن كل هذه الاعراض تزول في قليل من الساعات وفي بعض الاحيان ينتهي المرض بسرعة زائدة بحصول القيء فيزول كل شيء وربما تكرر القيء ومج معه قليل من الصفراء . وربما حصل اسهال في الاثنتي عشرة ساعة التالية لوقت المرض

(العلاج) ايجاد القيء بأي شكل كان سواء بالمقيئات أو بتهييج داخل الحلق وفي الاحوال البسيطة يمتنع عن الطعام مدة من نصف يوم الى يوم

(سوء الهضم المزمن)

أسبابه اما من نفس الطعام أو ان افراز المعدة لايكفي للهضم أو من عدم انتظام حركاتها . والسببان الاخيران تحت تأثير المجموعة العصبية

وتضمحل قوة الهضم اذا كان مايؤخذ من الطعام زائدا عن الحاجة أو لعدم مضغه من عدم وجود الاسنان أو مرضها أو أن يكون المأكول لايذوب في عصارة المعدة بسهولة كاللحم الخشن أو الفواكه الغليظة أو الخضر ذات الالياف الكثيرة وفيها كمية كبيرة من السليولوز

أما من جهة المعدة فان كل مرض عضوي يسبب سوء الهضم مثل قلة افراز

حمض الكاورودريك والببسين أو كثرة افراز المخاط وضعف جسم المعدة أو ضغطها من ضخامة أي جزء من محتويات البطن أو سقوط المعدة من محلها وهذا شائع جدا في السيدات الذين تعدد حملهن

(الاعراض المحلية) ألم بين ضلعي زاوية غضاريف الاضلاع يبقى مدة من الزمن بعد الأكل ثم يزول وربما وصل إشعاعه الي مكان القلب ولذلك دعوه (حرقان في القلب) و يعلل بصعود حمض الكاوريدريك الي البلعوم وربما وصل أيضا الي الظهر وكلما مضى الزمن على الهضم امتدت وتوسعت دائرة الألم الى السرة وغيرها من البطن وفي بعض الاحيان يكون الألم قبل الأكل ولا يزول الا بتناوله

(ألم المعدة)

ألم المعدة اما أن يكون من سوء الهضم أو من سبب عصبي خصوصا في السيدات وغالبا يكن من المصابات بالنقرس

(الرياح)

أكثر ماتكون مصحوبة بسوء الهضم فتنتفخ المعدة وما حولها وتزداد الآلام ثم يتجشي المصاب وقد تخرج الارياح من الجهة الاخري وتسمع القراقر في البطن

وقد تكون الرياح نتيجة تخمر في المعدة من وجود ميكروبات اذا كان افراز حمض الكاوريدريك ناقصا وهو من مطهرات المعدة فضلا عن خصائصه الهضمية وقد يكون التجشى غاز حمض الكربونيك من فعل الحمض على أي كربونات موجودة في الطعام

(التهوع والقيء)

التهوع والقيء معروفان فلا لزوم لشرحهما .

(الأعراض العامة للمعدة) يختلف منظر اللسان عن العادة فتارة تكسوه طبقة بيضاء ويكون أكثر انبساطا أو أعظم احمراراً والطبقة التي تكسوه قد تكون بيضاء أو صفراء وفي بعض أحوال سوء الهضم قد يكون ناشئا عن سرعة عبور الطعام من المعدة الى الأمعاء فينتج الاسهال وكثيراً ما يحصل القيء ويكون هناك أيضا طفح جلدي مختلف الأنواع ويتأثر المجموع العصبي فيشعر

الانسان بدوار وعدم النشاط وصداع ورؤية أنوار كاذبة وحمق وضعف عقلي وشيء من فقر الدم

(أنواع سوء الهضم)

هي كما قدمنا اما قلة حركة في المعدة أو زيادة في هذه الحركة أو قلة أو زيادة في حمض الكلورودريك أو قلة البيبسين ولكن هذه الأنواع كلها لا تتأكد في كثير من الأحيان الا باختبار افراز المعدة ولكن هناك نوع سوء هضم مع التجشي يكون عادة من عدم قوة المعدة ويشع الى الظهر وقد يوجد انتفاخ وامساك شديد.

﴿ زيادة افراز حمض ﴾
(الكلوريدريك)

زيادة افراز حمض الكلوريدريك يسبب ألما بعد الأكل بساعتين أو أكثر ويزداد هذا الألم فيشعر المريض بحرقان في موضع فتحة الفؤاد

وأكثر ما يكون هذا الألم بعد أكل المواد النشائية والسكرية وربما لا يحصل مطلقا بعد أكل اللحم . واذا استمر افراز الحمض علي الدوام يحصل قيء حمضي وعلي العموم فان هذا النوع له أدوار كل واحد منها يمكث عدة أيام

أما سوء الهضم الناتج عن آفة عصبية فهى تلك الحالات المصحوبة بألم عظيم فى المعدة وقيء واخراج غازات وهي أكثر ماتكون في العصبيين و باختبار افراز المعدة لايوجد فيه أي تغير

(العلاج) لقدأطلنا الشرح الماضى لان هذه الآفات قد لايخلو منها انسان ولا منزل ولذلك سنطيل في الشرح أيضا في ذكر العلاج والمسألة تتعلق بصبر المريض وحكمة الطبيب لان من الامثال الشائعة انه لاتوجد آلام قوية ينساها المصاب بسرعة الا آلام المعدة اذا جلس المرء علي مائدة الطعام ولديه شهية وهو جوعان . وقبل البدء في علاج سوء الهضم يجب أن تتأكد عدم وجود قرحة أو ورم خبيث أو ما أشبه ذلك ويجب أيضا الاعتناء بحالة الاسنان اذا لم تكن قادرة على تأدية عملها من تكسير أو مرض ، ثم يجب السؤال عن الطعام فاذا كان غير لائق أو صعب الهضم فيجب الامتناع عنه . ولكن الشرط العامي ان تختبر مفرزات المعدة قبل البدء في اي علاج وتقدير الناقص منها واذا لم

يتيسر ذلك فان من النقط العلمية ايضا ما يساعدنا على خير الوجوه فان سوء الهضم اما ان يكون بسبب تهيج المعدة من الاغذية أوقلة افرازها للمواد اللازمة للهضم أوعدم قدرة المعدة على الحركات الهضمية لذلك يجب تعديل نظام الطعام أي يؤخذ الطعام بمقادير صغيرة على دفعات متعددة في أزمنة صغيرة والامتناع عن أكل المواد المهيجة والحريفة مثل لحم الخنزير واللحم الخشن وأم الخلول واللفت وأمثالها ويقتصر على الاطعمة السهلة الهضم ولكن في الاحوال الشديدة يجب الاقتصار على اللبن المضاف اليه شئ من الببسين ثم بعد تقوية المعدة يتدرج المريض في الطعام

واذا كان في المعدة تخمر حمضى وجب الاقتصار في الطعام على المواد الزلالية والامتناع عن المأكولات النشائية والتى تحتوي على كثير من الدقيق

وفى الغالب تكون الاطعمة الموافقة هي نتيجة اختبارات المريض واذا كان نبيها فيمكنه أن يحكم على الاطعمة الموافقة لمعدته

واذا كان هناك ضعف في المعدة أو انهاك عصبي فان الراحة التامة للمعدة خير واسطة في علاجها

فاذا وجد ان هذا الضعف موضعى فقط فان التقوية الرياضية هي خير علاج للمعدة كركوب الخيل والقفز والتدليك وما أشبه ذلك

أما العلاج بالعقاقير فينحصر في السكربونات القلوية قبل الأكل والبزموت والاحماض والعقاقير المرة كساق الحمام ومحضرات الكواسيا والجنطيانا والجوز المقئ وفي الحالات البسيطة يضاف حمض السكلوريدريك .

وتعطى المواد الطاردة للرياح مثل روح النشادر العطري والحبهان والزنجبيل

أما زيادة حموضة المعدة فخير علاج لها أن يعطى المريض غراما من بيكربونات الصودا بعد الأكل بساعتين ويمتنع عن أكل المواد النشوية

ثم يعطى خلاصة الجوز المقئ مع السكينين

الدكتور حسين الهراوي

هذا ما كتبه حضرة الدكتور حسين افندي الهراوي الفاضل وليس علينا ان نزيد عليه الا سرد جميع أنواع أمراض

المعـدة سرداً موجزاً مع الاشـارة الى أعراضها وعلاجاتها عـلى حسب الخطة التي اختطناها لهذه الدائرة فنقول (١)

(الأعراض العامة لأمراض المعدة)

من الأعراض العامة لآفات المعدة فقد الشهية ويصحبها النوازل المعدية والأنيميا فاذا كان سبب فقد الشهية ليس من مرض بالمعـدة فتستعمل لايقاظ الشهية العلاجات المرة كمغلي خشب الـكواسـيا والجوز المقيء والجنطيانا والراوند . وأما اذا كان بالمعدة حالة نزلية فيلزم الابتداء بمعالجتها

ومنها افراط الشهية وهو المسـمى بالبوليميا وهذا العرض يصحب الآلام العصبية للمعدة فـتري المريض يأكل ويملأ معـدته ولا يشبع ويشاهد هذا العرض أيضا فى أمراض البول السكري والأمعاء من دودها وفى انتفاخ عقـدها الليمفاوية

وهناك عرض يقال له فساد الشهية ويعبر عنـه بالبيكا يشتهي فيه المريض المواد غـير المغذية أو القـذرة بشراهة مفرطة كالطين والطباشير والجير ونحوها وهذا العرض يشاهد في أثناء الحمل وفي الهستريا وفي الجنون

والتجشـى وهو يصحب فسـاد الهضم غالباً وهو اما ان يكون غازيا أو سائلا

فالتجشي الغـازي ينشأ من خروج الغازات من المعدة وحدها أو مصحوبة ببعض أجزاء من الطعام . وقـد تخرج الغازات متحملة بسوائل حمضية يحس بها في الحلق

وأما التجشي السائل فانه يصحب فساد الهضم أو يكون متعلقا بحالة نزلية أو يكون ذاتيا عند بعض النساء والشبان ويحصل في الصباح غالبـاً ويصحبه تألم في القسم الشراسيفي ثم يخرج السائل من المعدة ويصل الى الفم بمقدار وافر ويكون حمضياً محـرقا او يكون تفها لا طعم له ويتكرر خروج السـائل بحركة التجشى بدون قيء ومتى انتهي يحس المريض بالاسـتراحة وزوال التعب الشراسيفي . وقد يصل مقدار السائل الخارج من عدة اواقي الى ليـتر في اليوم ويكون السائل رائقا او رغويا . فبعضهم ينسبه الى ماء الشرب وبعضهم الى زيادة افراز اللعاب وتجمعه في المريء فوق فتحة الفؤاد ثم

خروجه على حالته القلوية

يعالج التجشي الغازي والحمضي بالبزموت وحده او مصحوبا بالأفيون والأدوية المرة أو القابضة كالكينا والجنطيانا

(٣) والقيء ويشاهد في أمراض المعدة المختلفة كسوء الهضم والالتهاب والأورام المعدية وقد يحصل في بعض الأمراض العصبية كالهستريا والضعف العصبي. وقد يشاهد القيء في بعض أمراض المخ والنخاع كالاحتقان المخي وخراجاته والاحتقان والأنيميا وفي هذه الحالة يتكرر القيء غالبا عند حركات الرأس أو انخفاضها أو ارتفاعها الفجائي. وبعض الآفات الحشوية يوجب القيء كالتهاب الغشاء المخاطي للأنف والشعب التي يصحبها سعال شديد وأمراض القلب والأمعاء والكبد والكلي والبريتون وأعضاء التناسل

وقد يستدل بالقيء على ابتداء السل الرئوي قبل ظهور علاماته الطبيعية وعلى داء اديسون والحمل عند المرأة ولكن في هذه الحالة الأخيرة لا يستمر القيء الا عدة أسابيع

ومتي اصطحب القيء بالاسهال يعرف ان المعدة والأمعاء في حالة اضطراب من تأثير برد او سوء هضم وقد يستدل منه على البول الزلالي او علي التسمم الحاد والمزمن بالجواهر المهيجة كالزرنيخ والأنتيمون

يعالج القيء العصبي اما بمنع الغذاء والشرب جميعاً مدة أيام الي أسبوعين وتغذية المريض بالحقن في المستقيم أو بعدم التصريح للمريض الا بملعقة صغيرة من اللبن ثم يضاعف له المقدار باحتراس ثم يعتني بعد ذلك في انتخاب الأغذية السهلة الانهضام

(٤) والسعال المعدي ويعرف بأنه جاف متكرر ويتسبب عنه خروج مواد مخاطية تأتي من المعدة

(٥) والفواق وهو ينشأ من انقباض الحجاب الحاجز بحالة فجائية تتكرر في مسافات قريبة أو بعيدة تحدث بصوت مخصوص في المزمار عقب مرور الهواء فيه بقوة. وليس للفواق أهمية اذا كان وقتيا وانصرف في بضع دقائق أو بضع ساعات. وأما اذا استمر أياما متوالية فانه يدل علي خطر

(٦) والاضطراب العصبي وهو من اعراض امراض المعدة ويشمل الخفقان وعسر التنفس وثقل الرأس والأعراض العصبية الأخري التي تصحب في الغالب امتلاء المعدة وتمددها بالغازات وسوء الهضم

(أمراض المعدة) (١) التهاب المعدة الحاد . في هذا المرض يلتهب الغشاء المخاطي للمعدة ويمتد الى الطبقات التى تحته وينقسم على حسب شدته الى التهاب نزلي او التهاب حاد والتهاب غلغموني وتسمى ودفتيري

أعراض الالتهاب النزلى الخفيف يعبر عنه بالتلبك المعدي والتخمة المعدية وتشاهد مثلا عند الأطفال متي افرطوا في اكل المواد العسرة الهضم كالمشمش والبلح

ويحصل عند الكهول اذا أفرطوا في الأكل والشرب وادخلوا الطعام على الطعام وتعرضوا للتعب والسهر فتفقد شهيتهم ويحصل لهم غثيان وتبيض ألسنتهم وتتغطي بطبقة وسخة او مصفرة ويشعرون بتكسر في الأطراف وملل او تحصل لهم حركة حمية خفيفة ومتي تقايأوا وتفرغت معدتهم يستريحوا ويبرأوا

وقد تكون النزلة المعدية اشد مما ذكر فيصحبها احساس بضغط وثقل في القسم الشراسيفي وتألم اصم ثابت او منتشر يشع نحو الظهر او بجوار اللوح ويزداد الألم بالضغط على المعدة ويصحبه فقد في الشهية وكراهة للأطعمة وتعجن في اللسان وتغطيه بطبقة وسخة سميكة وعطش وميل الى المشروبات الباردة ويكتسب النفس رائحة غير مقبولة ويحصل تجشي غازات منتنة وغثيان وقيء مواد غذائية غير تامة الهضم ومختلطة بمادة مخاطية وقد يتبعها قليل من الصفراء وقد يصحب هذه الأعراض تكسر في الأطراف وحركة حمية خفيفة ونقص في افراز البول مع تركزه وقد يظهر على الذقن والشفة طفح

تنتهي النزلة المعدية الحادة عادة بالشفاء من يوم الي ثلاثة ايام او اسبوع مالم يستمر المريض على افساد معدته وحينئذ تستحيل النزلة الحادة الي نزلة مزمنة

اسباب هذا المرض عدم انتظام التدبير الغذائي والافراط في الأكل

والتوابل والمشروبات الروحية والأطعمة الساخنة أو المثلجة وادخال الطعام على الطعام وأكل المواد العسرة الانهضام او اللحوم الفاسدة كالسمك وأم الخلول المعفنة وتعاطي المواد الحريفة والتعرض للتغيرات الجوية في فصل الربيع والخريف وشدة الحرارة في الصيف والتعب واستنشاق الأبخرة الزرنيخية كالنوم في غرفة مبطنة بالورق الملون بلون يحتوي على تركيب زرنيخي . ويحصل هذا الالتهاب أيضا من الانفعالات النفسية الشديدة

تشخيص هذا الالتهاب المعدي لا صعوبة فيه ولا يلتبس بالحمى التيفويدية وانما تجب الدقة في تعيين نوع الالتهاب ان كان ذاتيا أو تسمميا أو عرضياً

معالجة الالتهاب المعدي يكون باعطاء المريض مسهل ضد التلبك المعدي أو التخمة لاجل استفراغ الاطعمة غير المنهضمة الراسخة فوق المعدة وذلك المسهل يكون سلفات الصودا أو ماء بولنا أو برمنس دورف . واذا اضطر الى القيء فيعطى غرامين من عرق الذهب أو يضاف اليه ٥ سنتيغرام من الطرطير المقيء . وتراعى الحمية المطلقة وقد تكفي هذه الحمية لشفاء الالتهاب المعدي في ٢٤ ساعة واذا لم يطق المريض الامتناع عن الأكل فيعطي اللبن باردا ومخففا بماء الجبن أو ماء الصودا أو ماء الشعير أو ماء الرز المعطر بقليل من ماء الزهر أو ماء القرفة أو الليموندا الخفيفة وهذه الاخيرة يجب أن يحترس منها وتؤخذ بمقدار قليل ومتى تحسنت الحالة يصرح له ببعض أغذية نشوية كالبالوظة والرز المدقوق مع اللبن (المهلبية)

ولأجل تلطيف العطش يعطي المريض قطعا صغيرة من الثلج يستحلبها ببطء ولأجل تلطيف القيء يعطي البزموت مع كربونات الصودا والمورفين

(٣ الالتهاب المعدي المزمن . يتبع هذا المرض النزلة المعدية الحادة غالبا أو يكون أصليا عقب تكرار سوء الهضم والتعرض لاسباب التلبك المعدي والافراط والمشروبات الروحية . وهذا الالتهاب يلازم في الغالب بعض آفات المعدة البطيئة السير كالسرطان والقرحة الوحيدة و بعض الامراض التي توجب اعاقة الدورة الوريدية كآفات الصمامات القلبية وسيروز الكبد والانفيزيما الرئوية

والالتهاب البليوراوي المزمن ونحو ذلك. ويشاهد هذا الالتهاب المعدي المزمن أيضا في الانيميا والخلوروز وغيرهما

(أعراضه) تنحصر أعراض الالتهاب المعدي المزمن في سوء الهضم وسيأتي تفصيله في المبحث الثالث الآتي وتبطل الشهية ويتعجن الفم ويشعر المريض بتعب في المعدة وتألم بعد الأكل وحصول التجشي والانتفاخ البطني والقيء والامساك وتتألم المعدة من الجس ويشعر بتيبس جدرها أو تمددها وبرجها ربما تسمع اللقلقة الخاصة بالتمدد ومتى طال الداء ينشأ عنه النحول وضعف القوي وقد يتضاعف بسيروز الكبد أو البول الزلالى وأساس المعالجة التدبير اللبني الغذائي وغسل المعدة

(٣) الدسببسيا أو سوء الهضم المزمن . يتم الهضم الطبيعى بأمرين أولها العصير المعدي وثانيهما حركات المعدة. فاذا تنوع العصير المعدي أو اختلفت حركات المعدة يتسبب عن ذلك عدم انتظام الهضم وبما ان الافراز المعدي وحركات المعدة يتعلقان بسلامة الاجزاء الداخلة في تركيبها كالغدد والعضلات والاوعية والاعصاب والطبقات المكونة لجدرها فتكفي اصابة أحد هذه الاجزاء لاضطراب نظام الهضم وحصول بطء فيه أو عسر ، ولذلك يتسبب سوء الهضم عن أسباب شتى متنوعة

وبما ان سوء الهضم يعقب دائما اصابات المعدة فلا يمكن اعتباره كمرض ذاتي وانما هو عرض لهذه الاصابات

أسباب سوء الهضم . أسبابه اما متعلقة بالاغذية أو بالمعدة فاذا كان الغذاء صحيا فربما يحدث سوء الهضم من نقص حمض المورياتيك والببسين في العصير المعدي أو من افراط حموضته أو من الزيادة في افراز المادة المخاطية أو الضعف في قوة المعدة أو التهاب غشائها المخاطى أوضعف الاعصاب المعدية أو المراكز العصبية فبدلا عن أن تنهضم الاغذية تتخمر ويتكون منها حمض الكربونيك والخليك والزبديك وتتألم المعدة ويثقل عليها الطعام ويحصل التجشي والغثيان والقيء

واما اذا كانت المعدة سليمة والغذاء رديئا عسر الهضم ان كان مقداره زائدا عن طاقة المعدة او كان النشا ناقص الهضم او اللحوم متيبسة من افراط الطبخ

او كان مضغها وتشربها باللعاب غير تام أو حصل افراط في تناول التوابل والمشروبات الروحية

فيمكن حصر اسباب سوء الهضم في هذه الاسباب وهي :

(اولا) عدم نظام التدبير الغذائي كالافراط في الأكل اوعدم مضغه جيدا او شرب الماء البارد المثلوج الخ الخ

(ثانيا) التعب العظيم وقلة الحركة وعدم الفسحة وادمان السهر والافراط في الاعمال العقلية أو في الشهوات والحزن والهموم والانفعالات النفسانية ، كل هذه الاحوال تؤثر على الهضم وتفسده

(ثالثا) بعض الامراض العامة والانيميا والخلوروز والنقرس والسل لان النقرس يصيب المعدة كما يصيب الروماتيزم القلب ويسبق في الغالب النوبة النقرسية ويؤذن بها أو يستمر بلافتور

(رابعا) اصابة بعض الاعضاء البعيدة كالكبد والرحم والحمل وأمراض الجهاز البولي والقلب التى توجب ركود الدورة الوريدية

(خامسا) الوراثة والشبيبة والكهولة لغاية الخامسة والاربعين أو الخمسين .

وأما عند الاطفال أو الطاعنين في السن فلا يشاهد سوء الهضم الا قليلا وذلك لان سن الشبيبة والكهولة عرضة للافراط في الاعمال العقلية والجسدية وهموم المعيشة

(أعراض سوء الهضم) تتنوع أعراض سوء الهضم المزمن بتنوع الاشخاص والاسباب فيقال علي وجه عام أنه يصحب سوء الهضم ضعف في الشهية ويحس بتألم خاص في القسم الشراسيفي يسمي بلغة مصر بالسخسخة أو يشعر بتألم شديد يشبه التقلص . فاذا أكل شعر بثقل وتعب يصحبه غالبا احتقان في الوجه وثقل في الرأس وميل للنعاس ويستمر ذلك بضع ساعات ويصحبه تألم في القسم الشراسيفي أو يمتد خلف القص ويتسبب عنه ضيق في التنفس أو يمتد الى الظهر بجوار اللوح الايسر ويتألم المريض من الضغط على المعدة وقد يوجب الضغط خفة واستراحة ويتلذذ من شرب الماء البارد والبعض لا يحس بعطش ويتعبه شرب الماء

ويشكو المريض عادة من كراهة طعم الفم وجفافه ومرارته أوتعجنه وتكون رائحة النفس كريهة ويكون اللسان وسخا

مغطى بطبقة مبيضة أومسمرة ويتضاعف سوء الهضم كثيرا بالذبحة الحلقية الحبيبية المزمنة

وقد يصحب سوء الهضم المزمن امساك مستعص وثقل في الرأس أوصداع جبهي وتعب في الأطراف وكسل في القوي العقلية وعدم القدرة على الأشغال أو دوار ومالبخوليا . ومتى تقدم المرض أبطأ النبض وضعف الجسم وتكون أقل حركة موجبة لسرعته ويحصل عند بعض المصابين خفقان وضيق نفس ويكون الجلد جافا ترابيا أو رخواً مندي بالعرق . وقد تأتي نوبة حمية خفيفة تأتي في المساء وتنتهي بالعرق ويكون البول غزيراً رائقا أو قليلا مركزاً فيه رسوبات بولية أوكسالية او فوسفاتية او يكون البول زلاليا . ولا يشاهد نحول المصاب الا اذا تقدم المرض

ليس القيء بشرط في سوء الهضم المزمن وانما يشاهد غالبا عند المدمنين على الخمر وقد يحل محل فقد الشهية زيادة مفرطة فيها

(تشخيص سوء الهضم) تشخيص هذا المرض سهل وانما الصعوبة في تعيين نوعه هل هو متعلق باضطراب وظيفي فقط او بالتهاب معدي مزمن او بضعف المعدة أو مرتبط بمرض عام أو بمرض عضو بعيد أو هو سابق ومؤذن بمرض عضوي موضعي كالقرحة والسرطان فيجب الاعتناء بالبحث عن ذلك وتكرار البحث يومياً

(المعالجة) تتنوع معالجة سوء الهضم وتكون تدبيرية أوعلاجية

فالمعالجة التدبيرية يمكن تطبيقها على انواع سوء الهضم وهي عبارة عن الاعتناء في تدبير الأغذية وانتخابها وتعيين مقدارها وترتيب اوقاتها واوقات النوم واليقظة

فلا يأكل المريض الا الأغذية السهلة الانهضام ويعول على الخضر لأنها لا تهضم في المعدة بل في الأمعاء فيتناول الاسفاناخ والقرع الصغير والرجلة والخرشوف والهليون فتحضر بحيث لا يوضع فيها دسم . ويؤكل الرز المطبوخ مع اللبن والشعرية والمهلبية . واما الفجل والجزر وجميع الجذور الصلبة فالأصوب تركها . ويتجنب اكل الكرنب والبقول لأنها تولد الرياح ويؤكل الخبز محمراً على

النار ولا تؤكل حيوانات البحر ولا قواقعه ولا الجبن ولا المخللات ولا الفواكه الجافة كالبندق والجوز . ويؤخذ اللبن والكوكا مع الماء بدل القهوة والشاي ولا يشرب المريض مع الطعام الا مقداراً قليلا من الماء والافضل عدم الشرب مع الأكل بل بعد الأكل بساعتين او ثلاث ساعات . ويمتنع عن التوابل بتاتا ويجب ان يأكل ببطء وان لا يملأ معدته وان يمضغ الأغذية مضغا بالغا الغاية

وأن لا يعرض نفسه للتعب العقلي والجسدي مدة الهضم وأن يواظب على الفسحة في الهواء الطلق يوميا وعلي تعهد الجلد بالاستحمام

وأما المعالجة الدوائية فتختلف باختلاف الاحوال وبحسب ما اذا كان مرضا مستقلا أو تابعا أو منذرا بغيره

(٤) في قروح المعدة تقرحات المعدة عديدة ومتنوعة وأهمها القرحة الوحيدة وهذه التقرحات تحدث من أنواع شتي فاما ان تعقب الانزفة الشعرية في الالتهاب المعدي الكحولي والبولي أو تعقب الاحتقان المعدي الركودي عقب أمراض القلب أو سيروز الكبد وتتصف هذه التقرحات بكونها كثيرة جدا بحيث يصل عددها الى ٤ أو ٦ في السنتي متر المربع من الغشاء المخاطي وتكون منتشرة علي مسير التفرعات الشعرية الوريدية ولا يزيد قطرها عن نصف سنتي متر وتكون مستديرة أو بيضية وحافتها منحرفة مفلطحة

وقد تحصل هذه التقرحات عند الطفل الغض ويكون مجلسها غالبا قوس المعدة الكبير ويصحبها احتقان وريدي واضح ويتسبب عنها قيء تتركب مواده من مواد مخاطية منقطة بنقط مسودة طبيعتها دموية وتكتسب سحنة الطفل هيئة العجوز وتغور عيناه ويتقبض جلده

التقرحات الدرنية تشاهد في المعدة أقل مما تشاهد في الامعاء ومحلها في الغالب القوس الكبير للمعدة وتوصف بكونها غير منتظمة ومحفورة على هيئة قمع تختلف حجمها وقد يصل الى ٣ أو ٤ سنتيمترات وكل من قاعها وحافتيها يكون موشحا بحبيبات درنية ينشأ من لينها اتساع القروح ، والانسجة تكون تحتها مرتشحة بالدرن علي امتداد كبير بطول الاوعية الشعرية . ويندر أن يتسبب عنها

ثقب المعدة أو فتح الاوعية و يعقب ذلك التهاب بريتوني أونزيف خطر

يمكن مشاهدة تقرحات المعدة أيضا في الحمى التيفويدية وفي الزهري وهو نادر جدا وفي الحروق المتسعة للجلد وعقب رض القسم الشراسيفي

وأما القرحة المعدية الوحيدة وتسمي بالقرحة المستديرة والقرحة الثاقبة فهى قرحة ا كالة تمتد في السطح والعمق وتثقب المعدة غالبا وتفتح الاوعية الدموية وهي قابلة للشفاء والالتحام

(أسباب هذه القرحة) رأي العلامة ويرشو ان قلوية الدم تمنع تأثير العصير المعدي على نسيجها فاذا انسدت الشرايين أو الأوردة الشعرية باستحالة شحمية أو غيرها ووقفت الدورة في نقطة من المعدة استولي عليها العصير المعدي وهضمها ويعقب ذلك تكون القرحة الوحيدة فتكون على هيئة قمع قاعدته في حذاء الغشاء المخاطي وقمته مواجهة للبريتون . واعترض المؤلفون علي هذا الرأي بأن ركود الدورة المعدية عقب آفات صمامات القلب وسيروز الكبد لم يتخلف عنه ظهور القرحة الوحيدة وان القرحة الوحيدة للمري لا يصل اليها العصير المعدي ومع هذا فلا يمكن انكار تأثير العصير المعدي على القرحة

تشاهد هذه القرحة الوحيدة في سن الشبيبة والكهولة أي بين ١٦ و ٥٠ سنة من عمر الانسان وتقل مع التقدم فى السن ولا تشاهد قبل العاشرة الا في أحوال نادرة وتصيب الاناث أكثر من الذكور

(أعراض القرحة المعدية) هي الألم والقيء وقد تسبقها أعراض سوء الهضم أما الألم فتختلف حدته من درجة الانقباض والثقل في القسم الشراسيفي الي درجة الحرق والقرض والتمزق والثقب ويبتدئ الألم عادة بعد تناول الطعام ببضع دقائق الى نصف ساعة في النادر ويستمر مدة الهضم ويزول بعد تمامه واذا حصل القيء وفرغت المعدة يستريح المريض من الألم ويشتد الألم بالضغط على القسم الشراسيفي وبتعاطي المواد الغذائية الصلبة أو العسرة الهضم أو الساخنة وفي النادر جداً يحصل الألم على خلاء المعدة ويتلطف بتعاطى الماء الدفيء . وقد يظهر الألم على نوب بدون سبب واضح أو يستمر بلا انقطاع مدة أيام أو أسابيع متوالية خصوصا اذا

أزمن المرض ويكون محل الألم في القسم الشراسيفي في حذاء النتوء الخنجري أو على يمينه أو يساره بقليل أو أسفل منه بنحو قيراطين ويصحب الألم الخنجري ألم فقري شديد يحس به في حذاء الفقرة الأولى القطنية وقد يكون في حذاء الفقرة الثانية القطنيـة أو التاسـعة الظهرية . ويتحرك الألم ويشتد بالضغط علي القسم الشراسيفي حتى ان المريض لا يتحمل أدني ملامسة حتي ولا مس الملابس وقد يحرك هذا الضغط الألم الفقري أيضا . وفي أحوال نادرة جـداً يتلطف الألم بالضغط

أما القيء فيبتدئ عادة بعـد ظهور الألم ببضعة أيام أو بضعة أسابيع ويكون دمويا في القرحة الوحيـدة . ويصحب القرحة المعدية الوحيدة عادة سوء الهضم والامساك وأما الشهية فقـد تكون محفوظة ويري على الشخص هيئة الصحة التامـة

يبتدئ هـذا المرض غالبا بسـوء الهضم ثم تحصل الآلام والقيء وقد تستمر هذه الحالة مدة شهر أو سنين وقـد تبلغ من ٢٠ الى ٣٠ سنة أو أكثر مع ثوران وفترات تحسين وباتباع التدبير الغذائي والعلاج ربما حصل الشفاء التام

وهذا الشفاء بذاته قد يحصل بمحض اتباع التدبير الصحي

وأما استحالة القرحة الى سرطان فبعض المؤلفين ومنهـم (تروسو) ينفيها وبعضهم يقول بامكانها

(تشخيص هـذا المرض) مـتي وجدت الآلام الخنجرية والفقرية بعد تعاطى الطعام وانصرفت بعد القيء أو بعد تمام الهضم وكان القيء دمويا أو مصحوبا بالميلينا وكان مقدار حمض الكلوريدريك في العصير المعدي زائدا عن الحد ولم يحس بورم في المعدة وكان المريض شابا أو كهلا فيمكن تقرير تشخيص القرحة الوحيدة للمعدة

ولكن متى كانت الاعراض المذكورة غير تامة أو كانت قليلة الوضوح فتلتبس القرحـة بأمراض أخـري كالآلام العصبية وسوء الهضم المؤلم وسرطان المعـدة وقرحـة الاثني عشري وسيروز الكبد والانيميا والسـل عنـد الشابات ويلزم في هذه الاحوال اعتبار الاعراض الاخري المميزة لهذه الاعراض والوصول

الى التشخيص بطريقة السرد فالآلام العصبية للمعدة مثلا تتصف باشعاعها في الاعصاب بين الاضلاع وتنخفض بالضغط على المعدة أو بتعاطى الاطعمة ولا يصحبها قيء دموي . وان كانت هذه الاوصاف غير كافية دائما الا انها تساعد على التشخيص .

وسوء الهضم المؤلم لا يزول بتعاطي الاغذية ويتلطف غالبا بالضغط على المعدة ولا يصحبه قيء دموي وتنتشر آلامه بين الاضلاع غالبا

وسرطان المعدة يحس بورمه بالجس ويصحبه تناقص حمض الكلوريدريك أو فقده فى العصير المعدي

ومحل المغص الكبدي بجوار الحويصلة المرارية ويصحبه قيء وقشعريرة ويرقان وربما وجدت حصيات فى البراز

(معالجة القرحة المعدية الوحيدة)

أهم معالجة لهذا الداء هو اتباع الشروط الصحية فتجب ملازمة الفراش أو يكتفي بالرياضة الخفيفة ويعتني بالتدبير الغذائي اللبني الصرف حتى تلتحم القرحة فيعطى اللبن بمقدار قليل عدة مرات في اليوم ويكون نيئا أو باردا بعد الغليان أو منعقدا فى الأواني (أي لبن زبادي) واذا كره المريض اللبن تضاف اليه ملعقة من ماء الجير أو ملعقة من القهوة أو يضاف اليه ماء الجير مع مليغرام واحد من كلورايدرات المورفين أو الكوكايين أو يعطى له اللبن الببتوني أو يضاف اليه ماء الزهر أو يعطي البيض البيمارشت ويرفق ذلك بالحقن المغذية من الشرج واذا جاء دور النقاهة تنوع الأغذية باحتراس فيعطى الرز مدقوقا ودقيق الأرروت ثم مسحوق البسكوت ويجب اجتناب الحلو والسكر خشية تولد الغازات في المعدة وتمددها

أما المعالجة العلاجية فهي من خصائص الأطباء يعطونها على حسب الأحوال

وبما أن القرحة المعدية عرضة للنكسات فيجب مداومة التدبير الصحي فى الغذاء مدة النقاهة وبعد الشفاء ويوصى المريض باجتناب أسباب الضغط على القسم الشراسيفي (أي جهة نهايات الأضلاع) ويجب اجتناب جميع المجهودات

(٥) في الآلام العصبية للمعدة . محل

هذا الداء الفروع المعدية للعصب الرئوي المعدي والسمباتوي وقد تكون ذاتية و تابعة لامراض أخري موضعية أو عامة

(أسباب الآلام العصبية للمعدة)

قد تحدث تلك الآلام من تأثير البرد والتعب والافراط الشهواني والافراط في الاشتغال والسهر والحزن واستعمال التوابل القوية ، والمزاج العصبي مهيئ لها وتظهر الآلام العصبية مصاحبة لسوء الهضم وقرحة المعدة وسرطانها وفي الخلوروز والانيميا والهستريا والاتاكسيا وفي النقرس والتسمم الأجامي والسل وأمراض الرحم والنخاع الشوكي وغير ذلك

(أعراض هذا المرض) العرض الأصلي الوحيد هو الألم الذي يظهر علي هيئة نوب وتكون تلك النوب عادة غير متعلقة بالهضم ولا بتعاطي الأطعمة فتارة تسبق الأكل بنحو ربع أونصف ساعة وتسكن اذا تعاطي الشخص مواد غذائية وتارة تحصل بعد الاكل بنصف ساعة أو ساعة أوتحصل بعد تمام الهضم ويسبق النوب تجش غازي أو حمضي أو غثيان ، ويكون الألم اماقاصراً على المعدة فيحس به فى القسم الشراسيفي كتشنج مؤلم ويصحبه قيء متواتر وهبوط أو اغماء أو يكون واخزاً أو محرقا أو يشع بعيداً عن المعدة في الظهر والصدر ولأعصاب بين الاضلاع والبطن والأمعاء والمراقين أو ينزل في الحبل المنوي في فروع الضفيرة الشمسية فيتأوه المريض ويتلوي ويشحب وجهه ويغير أوضاعه علي الدوام وتستمر النوبة بضع دقائق لي ربع ساعة أوساعة وقد تتكرر مراراً في اليوم وتعود أياما متوالية وقد يصحبها اضطراب هضم ولكن في الغالب يستمر الهضم طبيعيا والشهوة محفوظة بل ربما تزايدت تزايداً مرضياً

ويتنوع سير هذا المرض بتنوع أسبابه فقد تكون الآلام فيه مستمرة وقد تكون وقتية وتنصرف بسرعة ولكنها عرضة للنكسات

(تشخيص هذا الداء) تشع الآلام في الصدر والبطن . وحصولها مدة فراغ المعدة وتسكينها بتعاطي الطعام وبالضغط علي المعدة واستمرارها بعد القيء وعدم وجود الدم فيه وعدم زيادة حمض الكلوريدريك يكفي فى تمييز الآلام العصبية الذاتية عن آلام القرحة الوحيدة

للمعدة التي فيها الآلام محدودة خنجرية فقرية تظهر بعد الأكل وتسكن بعد تمام الهضم أو بعد القيء وتزداد بالضغط على المعدة والقيء فيها دموي ومحتو على مقدار وافر من حمض الكلوريدريك.

وأما السرطان فآلامه أقل حدة ويصحبه في الغالب ورم يحس به في القسم الشراسيفي، وسن المريض والقيء الدموي والكاشيكسيا والاوذيما البيضاء المؤلمة الخاصة بالسرطان دلائل على التشخيص

وتتميز الآلام الروماتيزمية لعضلات البطن بكونها سطحية وتزداد بحركات البطن

وأما الآلام العصبية بين الاضلاع والمغص الكبدي فانها تتميز بالاعتناء في تحديد مجالسها والبحث عن النقط المؤلمة للاعصاب بين الاضلاع وعن الألم الكتفي في المغص الكبدي وزيادة حجم الكبد واليرقان والبول المعبر عنه بالكبدي وبقية الاعراض الكبدية

متى تعين تشخيص الآلام العصبية للمعدة وجب بيان سببها لأنها ربما كانت مسبوقة بالسل الرئوي أو التخشب أو متعلقة بالخلوروز أو الهستريا أو ذاتية صرفا

(المعالجة) يجب الاهتمام بمعرفة سبب النوبة فاذا كانت ناشئة من فراغ المعدة فيكفي تعاطي بعض الاطعمة لتسكينها وقد تسكن بالضغط على قسم المعدة أو بالرقاد والاستراحة على الظهر أو بتعاطي نقط من روح النوشادر العطري أو المانيزيا المكلسة وحدها نحو غرامين أو مع البزموت أجزاء متساوية ويمكن تدارك عودتها باعطاء هذه الادوية متوزعة في اليوم أو يعطي من ٥ الى ١٠ نقط من صبغة الجوز المقيء

وتعالج النوبة الشديدة بوضع مثانة مملوءة بالثلج على قسم المعدة وتحقن تحت الجلد بمحلول كلوريدرات المورفين

وقد تظهر الآلام المعدية بعد الأكل بنحو ساعتين الى أربع ساعات وتستمر شدتها بضع ساعات

ويجب الاعتناء بالتدبير الغذائي واذا اقتضى الحال فيجب مراعاة الحمية اللبنية أو نصف اللبنية

(٦) النزيف المعدي والقيء الدموي، النزيف المعدي هو نزيف ينشأ من أوعية المعدة الواصلة الى تجويفها سواء خرج

الدم فيما بعد بالقيء أو بالتغوط أو لم يخرج الى الخارج . والغرض من القيء الدموي هو عرض يتصف بوجود الدم في القيء سواء كان منشأ الدم نزيفا معديا أو ورود الدم الى تجويف المعدة من منشأ آخر كالأنف أو الحلق أو الرئة

(أسباب هذا الداء) ينشأ النزيف المعدي غالبا من الاصابات المعدية الجرحية وآفاتها العضوية كالجرح والرض والالتهاب المزمن والقروح ولاسيما القرحة الوحيدة والسرطان وتمدد المعدة

وأسباب احتقان المعدة ربما أدي الي النزيف المعدي كسيروز الكبد وآفات صمامات القلب والالتهاب الرئوي المزمن التى تحدث احتقانا في الدورة الوريدية وكذلك الاحتقان والنزيف الهستيري والعوضى عقب انقطاع الحيض والبواسير وآفات الاوعية المعدية والانيميا الخبيثة والخلوروز والحميات العفنة والجدري

(أعراض النزيف المعدي) يسبق القيء الدموي قشعريرة وشحوب في الوجه ودوار واغماء . وأحيانا لايحصل قيء دموي فيخرج النزيف مع الغائط . وربما حدث القيء فجأة ونزل الدم من الفم غزيرا وربما هلك المريض لوقته أو وقع في أنيميا شديدة ولكن يندر حصول الموت عقب النزيف المعدي حالا ومع هذا فخطورة هذا المرض أو عدم خطورته تتعلق بسببه

(معالجة النزيف المعدي) متى حصل هذا النزيف وجب أن يستلقي المصاب علي ظهره وأن يضع مثانة الجليد على معدته وأن يأخذ قطعا من الجليد يمتصها وأن يعطى ليمونادة مورياتية أو كبريتية غير محلاة وتستعمل القوابض كفوق كلورور الحديد وماء رابيل خلات الرصاص بقدر ١٥ الى ٢٠ سنتيغرام مع خلاصة الأفيون بقدر سنتيغرام واحد ويعطي زيت التربنتينا من ٢٠ الى ٣٠ نقطة كل ست ساعات مرة مع ١٠ أو ٢٠ نقطة من حمض الكبريتيك في قليل من الماء

ومتى انصرف النزيف وجبت معالجة سببه

(٧) تمدد المعدة) المقصود بتمدد المعدة اتساع تجويفها سواء رقت جدرها أو غلظت

(أسباب التمدد) الالتهاب المعدي النزلي قد يتسبب عنه ارتخاء وثالي في

جدر المعدة فتتمدد المعدة وهذا مايعبرعنه بالتمدد الحاد وهو نادر . ويحصل التمدد في العادة ببطء تدريجا إما عقب ضيق البواب بورم سرطاني أو بأثر التحام مثلا أو عقب الافراط في الأكل والشرب فلا تقاوم المعدة الضغط الواقع عليها وتنتهي بالتمدد

وقد يحصل التمدد عقب الآفات التي تصيب جدر المعدة وتضعف عضلاتها أو تفسدها كالالتهاب المعدي المزمن أو النهوكة التي تعقب الامراض الثقيلة كالحمي التيفويدية والسل الرئوي وأمراض النخاع الشوكي

ومما يهيئ للتمدد المعدي الخلوروز والأنيميا والضعف العصبي والهستريا والماليخوليا ويصحب التمدد المعدي غالبا خروج أحدي الكليتين من مكانها وبقاؤها سابحة

التمدد المعدي أكثر حصوله بين الخامسة عشر والأربعين من العمر ويشاهد عند الرجال أكثر مما يشاهد عند النساء

(أعراض تمدد المعدة) قد تزيد شهية المصاب بالتمدد أو تنقص ويشعر بعطش شديد وامساك مستعص ويكون هضمه بطيئا صعبا ويحدث له قيء في الغالب وقد يصل مقداره الي بضعة لترات في اليوم من مواد سائلة مخاطية متكونة مرة الطعم ذات رائحة كريهة محتوية على مواد غذائية متعفنة ربما تشاهد فيها بعض الاغذية التي تعاطاها المريض منذ يومين أو ثلاثة . ويتسبب من تكرار القيء نقص البول ونهوكة المريض وقد يكون القيء دمويا . وبالكشف علي البطن يري القسم الشراسيفي (أي مادون الاضلاع) بارزا شديد الرنين تحت القرع ومتسعاً خصوصاً متى كان المريض على الخوي . ومتى رج الجذع رجا فجائيا سمعت له لقلقة تتضح متي أعطى المريض كوبا من الماء . وقد يتغير شكل البطن فيتكون بروز في الجهة اليسري وانخفاض في الجهة اليمني وبالجس يحس بتقوس قعر المعدة وحافتها السفلي وتقعر الحافة العليا

متي كان تمدد المعدة خفيفا فلا يحدث منه اضطراب واضح في الهضم ولكن متى تزايد وازمن فانه يصحبه سوء الهضم بدرجات مختلفة مع تألم في القسم الشراسيفي وعطش زائد لان المعدة

المتمددة لا تمتص السوائل ويتكرر القيء ونبطل التغذية وتحصل النهوكة والنحافة وتتضاعف الأعراض عند بعض المرضى بالماليخوليا والدوار وتقطع النبض وقد تحصل نوب صرعية أو تقلصات مختلفة أو شلل أوأعراض شبيهة بأعراض التسمم البولي ينسبها العلماء الى امتصاص المعدة للسموم العفنة التى تحدث من تخمر المواد الغذائية . وقد يتضاعف تمدد المعدة بالروماتيزم العقدي للأصابع وتقبض عضلاتها

(معالجة تمدد المعدة) تشتمل على وسائط موضعية وعامة أما المعالجة الموضعية فالغرض منها تخليص المعدة من متحصلها الغزيز الفاسد ثم تدارك فساد الأطعمة الجديدة

ويستحسن غسل المعدة يوميا ثم يبعد مابين الغسلتين متى بدأ التحسن فيها . وبعد الغسل يترك المريض ليستريح بضع ساعات ولا يسمح له بغذاء بعدها الا قليلا من اللبن كل ساعتين مرة

وعلي كل حال تجب العناية بالتدبير الغذائي وتتبع الحمية اللبنية أو الحمية الجافة على حسب الاحوال ويجب اجتناب المواد الحلوة والنشائيات ولأجل تقوية المعدة تعطى القوابض المرة وصبغة الجوز المقيء ولأجل سهولة الهضم يعطى للمريض حمض المورياتيك ١٠ نقط في كوبة ماء صغيرة بعد الطعام بساعة ويعطي له قبل الطعام بساعة مسحوق من حمض الساليسيليك أو الريزورسين باتباع هذه المعالجة بانتظام تتحسن صحة المريض وينتظم التبرز . وأما المعالجة العامة فتكون بمحاولة ازالة الانيميا والاستعداد العصبي وأهمها حينئذ الاستحمام بالماء البارد والسكني علي شواطئ البحار

وأما الطب الطبيعى فيشير بعدم استعمال أي علاج من العقاقير وينصح بالاكتفاء بالتنزه في الفلوات والتغذي بالاشياء الجامدة دون السائلة وعدم شرب الماء دفعة واحدة بل على دفعات متكررة ليكون مقداره قليلا لا يساعد علي تمدد المعدة ثم وضع رفادات على المعدة ورفادات محيطة بالوسط كله واستعمال الحمام الجلوسي والحمام البخاري وعدم ملء المعدة بطعام حتي ترجع لحالتها الاصلية

(٨) سرطان المعدة يتكون في المعدة

ورم خبيث فيصيب الرجال اكثر من النساء بعد سن الاربعين غالبا وللوراثة دخل كبير فيه والحزن المستطيل مهيئ له وقد يعقب الجراح كالصدمات على القسم الشراسيفي

وجود السرطان في المعدة تتسبب عنه آفات تابعية مختلفة فاذا كان محله البواب تسبب عنه تمدد المعدة واذا كان محله فتحة الفؤاد تسبب عنه ضمور المعدة واتساع المريء

(أعراضه) يسبق ظهور السرطان بأشهر أو سنين حصول أنزفة معدية خفيفة تشبه الانزفة الرئوية التي تسبق السل . وأما الاعراض الاولية للسرطان نفسه فتشبه أعراض سوء الهضم البسيط فى الغالب فتضعف الشهية ويحس بألم خفيف فى القسم الشراسيفي بعد الأكل ويعقب الأكل تجش حمضى ثم يزداد التألم وتفقد الشهية وينحل المريض وتضعف قواه ويشحب لونه ثم يزداد الألم ولكن لا يصل الى ألم القرحة المعدية وقد يبقى محدودا على قسم المعدة أو يشع الي الظهر والمرفقين ثم يتضاعف بالقيء

وقد يكون السرطان كامنا بحيث لا يشاهد سوء الهضم ولا القيء ويحصل ذلك اذا كان محل السرطان فى فتحة الفؤاد أو في الطرف السفلي من المريء . وقد لا يشاهد اضطراب الهضم ولكن تحصل الأعراض العامة كالشحوب والضعف يستدل منها على وجود آفة خبيثة في الجسم

* * *

(نصيحة عامة) أكثر الامراض المعدية تنشأ من الافراط فى الاكل والشرب أو من تعاطي الاغذية الغليظة العسرة الهضم أو كثرة التوابل التى اعتيد على وضعها في الطعام أو من ضعف البنية وضعف الاعصاب فاذا اعتدل الانسان فى مطعمه ومشربه وانتخب من الاغذية مالا يعسر انهضامه ولم يضع فيه شيأ من التوابل المهيجة للغشاء المخاطي للمعدة ، واعتني بصحته على وجه عام وأدمن على التنزه في الخلوات واعتدل في أعماله الجسدية أو العقلية وقي باذن الله من شر جميع الامراض المعدية . وقد كتبنا في كلمة أكل وغذاء وهضم مالا بد لمن يريد الاستقصاء في هذه المباحث الرجوع اليها

﴿ المَعْز والمَعَز ﴾ خلاف الضأن من الغنم أي ذوات الشعر والأذناب وهو اسم جنس واحده ماعز في المذكر وماعزة في المؤنث جمعه أمْعُز ومَعيز و (المِعزي) اسم جنس كالمعَز

الماعز من الحيوانات الثديية المجترة من فصيلة الخروف قرنه دقيق مرتفع مع ميل الى الخلف وله شبه لحية تحت فكه الأسفل

يعرف من المعَز عدة أنواع وحشية تسكن آسيا ولكن لا يعرف من أي نوع منها الماعز الذي لدينا

يمكن أن يبلغ طول ماعز آسيا مترا ولكن الانثي تقل عن ذلك ، لون صوفه داكن وهو يعيش أسراباً فوق الجبال

والماعز العادي قد يكون لونه أحمر أو أسود أو أبيض أو مختلطا بين أبيض وأسود أو أبيض وأحمر

تحمل الماعزة خمسة أشهر ثم تضع سخلة أو سخلتين الى أربع وهي تحمل مرتين في السنة وتربّي للبنها الذي يعمل منه الجبن ويؤكل لحمها ولكنه ليس بلذيذ ولا كثير الافادة . ويتخذ جلدها لعمل القفازات والأحذية الجيدة

من أنواعها معزي انقرة وهي ذات قرون عريضة وذاهبة أفقياً على جهتي الرأس ثم تلتوي على شكل حلزوني خفيف. صوفها أبيض ناصع وطويل تورد منه مدينة انقرة بالاناضول كل سنة نحو مليون من الكيلوغرامات وهو يجز في ابريل وتعمل منه ملابس غاية في الجودة واللطافة . وقد ربيت هذه المعزي في فرنسا واسبانيا وايطاليا وهي مربحة

المعزي قليلة الأكل حتي انها لتستطيع ان تعيش في قمم من الجبال لا يستطيع غيرها من الحيوانات ان يعيش فيها لجدو بتها . وهي لقلة أكلها يكثر الفقراء من اقتنائها وهي في الجملة من الحيوانات المربحة لصاحبها

﴿ معِض ﴾ يمعَض معَضا غضب ومثله (امتعض)

﴿ المعامع ﴾ الحروب والفتن . و (المعمعان) شدة الحر والبرد . و (المعمعة) صوت الأبطال في الحرب جمعها معامع

﴿ معُن ﴾ الماء يمعُن معونا سهل وسال . و (أمعن الفرس) تباعد في عدوه و (أمعن في الطلب) بالغ في الاستقصاء

و (الماعون) اناء معروف . والماعون أيضاً الزكاة . و (المَعان) المنزل . و (المَعْن) الطويل والقصير والقليل والكثير و (المَعِن) الماء الجاري

﴿ معن بن زائدة الشيباني ﴾ هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني

كان من رجال الدولتين العباسية والأموية معروف بالشجاعة والكرم والعطايا الجزيلة حتي مدحه الشعراء وقصدوه من أقاصي البلدان . وكان مروان ابن أبي حفصة الشاعر المشهور خصيصا به وأكثر مدائحه فيه .

كان معن في عهد بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمرو ابن هبيرة الغزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بني العباس وجري بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته بمدينة واسط ماهو معروف في التاريخ أبلي يومئذ معن بن زائدة بلاء حسنا في تلك الوقائع فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجري له في استتاره غرائب .

فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور آنفا قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد فى طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا

قال فاضطررت لشدة الطلب الي أن تعرضت للشمس حتي لوحت وجهي وخففت عارضى ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها

قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود مقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض علي خطام الجمل فأناخه وقبض علي يدي فقلت له وما بك ؟ فقال أنت طلب أمير المؤمنين . فقلت ومن أنا حتي أطلب ؟ فقال انت معن بن زائدة

فقلت له ياهذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن ؟ فقال دع هذا فاني والله لأعرف بك منك .

قال معن فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معى وهو بأضعاف ماجعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي

قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه

ساعـة وقال صـدقت في قيمته ولست قابله حتي أسألك عن شيءٍ فان صدقتني أطلقتك . فقلت قل . قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت لا . قال فنصفه ؟ قلت لا . قال فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحيت وقلت أظن اني قدفعلت هذا قال ماذاك بعظيم ، أنا والله رجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهـذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وهبتـه لك ووهبتك لنفسـك ولجودك المألوف بين الناس ولتعـلم ان في هـذه الدنيا من هو أجود منك . فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعـد هـذا كل جود فعلتـه ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمي العقد في حجري ورمي خطام الجمل وولى منصرفا

فقلت ياهـذا والله قـد فضحتني ولسفك دمي عليّ أهون مما فعلت فخذ مادفعته لك فاني غني عنـه . فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالي هذا ، والله ما أخذنه ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد ان أمنت وبذلت لمن يجيءُ به ماشاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته

لم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعـة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهـم و بين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينـة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غـرس النعمة بن الصـابي في كتاب الهفوات مامثاله : لما فرغ السفاح من بنـاء مدينته بالانبـار وذلك في ذي القعدة سنة (١٣٤) وكان معن متواريا بالقرب منهـم فخرج متنكرا معتما متلثما وتقدم الي القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامـة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من أنت ويحك؟ فكشف لثامه وقال أنا طلبتك ياأمير المؤمنين معن بن زائدة . فأمنه المنصور وأكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه .

ثم دخل عليه بعـد ذلك في الايام فلما نظر اليه قال هيه يامعن تعطي مروان ابن أبي حفصة مئة الف درهم على قوله :

معن بن زائدة لذي زيدت به
شرفا علي شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما
أعطيته على قوله فى هذه القصيدة :
مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان
فقال المنصور أحسنت يامعن
وقال له يوما يامعن ماأكثر وقوع
الناس في قومك . فقال ياأمير المؤمنين
ان العرانين تلقاها محسدة
ولا تري للئام الناس حسادا
ودخل عليه يوما وقد أسن ، فقال
له كبرت يامعن . فقال فى طاعتك ياأمير
المؤمنين . فقال وانك لجلد . فقال على
على أعدائك ياأمير المؤمنين . فقال وفيك
بقية . فقال لك ياأمير المؤمنين
قيل عرض هذا الكلام على عبد
الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال
ويح هذا ماترك لي به شيأ
أشهر قصائد مروان فيه وأحسنها
القصيدة اللامية التى ذكر بعضها فى
ترجمة مروان وهي طويلة تزيد على
خمسين بيتا
وله فيه من قصيدة :

قد آمن الله من خوف ومن عدم
من كان جارا له من جور ذا الزمن
معن بن زائدة الموفي بذمته
والمشتري المجد بالغالي من الثمن
بر العطايا التى تبقي محامدها
غنما اذا عدها المعطي من الغبن
بني لشيبان مجدا لازوال له
حتي تزول ذوو الاركان من حضن
حضن المذكور في القافية الاخيرة
اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة
دخل على معن بعض الفصحاء يوما
فقال له : اني لو أردت ان أستشفع اليك
ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك
سهلا ، ولكني استشفعت اليك بقدرك
واستغنيت بفضلك ، فان رأيت ان
تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي
من رجائك فافعل . واني لم أكرم نفسي
عن مسألتك ، فأكرم وجهي عن ردك
لمعن بن زائدة أشعار جيدة أكثرها
في الشجاعة والحرب فمن ذلك قوله في
خطاب أخى عبد الجبار بن عبد الرحمن
وقد رآه يتبختر بين السماطين (أي الصفين)
وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم
فقال معن :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم
وصبرت عند الموت يا خطاب
تختال خوّار العنان كأنه
تحت العجاج اذا استحث عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم
وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن اذا هو براكب يوضع (أي يسرع). فقال معن ماأحسب الرجل يريد غيري. ثم قال لحاجبه لاتحجبه. قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد:

أصلحك الله قلّ مابيدي
فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر رمي بكلكله
فأرسلوني اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية: لاجرم والله لأعجلن أوبتك. ثم قال ياغلام ناقتي الفلانية والف دينار فادفعها اليه. فدفعها اليه وهو لايعرفه

وولي معن بن زائدة في أواخر أمره سجستان وانتقل اليها وله فيها آثار وقصده الشعراء فيها من كل صوب فلما كانت سنة (١٥١) وقيل (١٥٢) كان في داره صناع يعملون له عملا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بمراث كثيرة نثبت منها هنا بعض ماقاله شاعره المشهور مروان بن أبي حفصة وهو:

مضي لسبيله معن وأبقي
مكارم لن تبيد وان تنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن
من الاظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار
تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن
وقد يروي به الأسل النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها
مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه
لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل أرض
ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعل البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا

أصاب الموت يوم أصيب معن
على الاحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن
الى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي
الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل
ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن
ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت أكف ذوي العطايا
يمينا من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض
من المعروف مترعة سجالا
لابيض لايعد المال حتى
يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه
وليت العمر مد له فطالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن
سيوف الهند والحلق المذالا
ومادته من الخطي سمر
ترى منهن لينا واعتدالا
وذخر من محامده باقيات
وفضل تقي به التفضيل نالا

ومنها أيضا :

مضى لسبيله من كنت ترجو
به عثرات دهرك أن يقالا
فلست بمالك عبرات عين
أبت بدموعها الا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن
كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمي ولوني
معا عن عهدها قلبا فحالا
أرى مروان عاد كذي نحول
من الهندي قد فقد الصقالا
رأت رجلا براه الحزن حتى
اضر به واورثه خبالا
فقلت لها الذي انكرت مني
لفجع مصيبة انكى رعالا
وايام المنون لها صروف
تقلب بالفتى حالا فحالا

ومنها ايضا :

كأن الليل واصل بعد معن
ليالي قد قرنت به فطالا
فلهف أبي عليك اذ العطايا
جعلن مني كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك اذ اليتامى
غدوا شعثا كأنهم سلالا

ولهف أبي عليك اذ القوافى
لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا
لها تلقي حواملها السجالا
اقمنا باليمامة اذ يئسنا
مقاما لانريد به زيالا
وقلنا اين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك امضى
واكرم مقدما واشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال
اذا هو فى الامور بلا الرجال
ولا ينسي وقائعك اللواتي
على اعدائه جعلت وبالا
ومعترك شهدت به حفاظا
وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك اخو امية بالمراثي
مع المدح الذي قد كان قالا
اقام وكان نحوك كل عام
يطيل بواسط الرحل اعتقالا
وألقي رحله أسفا وآلى
يمينا لا يشد له حبالا

قال امير المؤمنين ابن المعتز فى كتابه طبقات الشعراء دخل مروان بن ابي حفصة على جعفر البرمكي فقال ويحك انشدني من مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل انشدك فيك فقال جعفر انشدني من مرثيتك في معن فأنشد يقول:

وكان الناس كلهم لمعن
الي ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه علي خديه . فلما فرغ قال له جعفر هل أثابك علي هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيأ ؟ قال مروان لا . قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أصلح الله الوزير أربع مئة دينار . قال جعفر فانا نظن انه لا يرضى بذلك قد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وست مئة دينار قبل ان تنصرف الى رحلك . فقال مروان يذكر جعفرا وما سمح به عن معن على وزن تلك القصيدة ورويها :

نفحت مكافئا عن قبر معن
لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيي
لنادبه ولم ترد المطالا

فكافأ عن صدي معن جواداً
بأجود راحة بذل النوالا
بني لك خالد وأبوك يحيي
بناء في المكارم لن ينالا
كأن البرمكي بكل مال
يجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف .

وحكي أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني عن محمد البيدق النديم انه دخل على هرون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة فأنشده بعض هذه القصيدة فبكي الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه . ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة أو من دونه قال له أنت قلت في مرثيتك :

وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيأ ولا يسمع قصيدته

حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي ألست القائل (وقلنا أين نرحل بعد معن) وأنشد البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لاشيء لك عندنا جروا برجله ، قال فجروا برجله حتى أخرجوه . فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التى أولها :

طرقتك زائرة فحي خيالها *

قال فأنصت لها المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيأ منها حتي صار على البساط اعجابا بما سمع . قال له كم بيت هي ؟ فقال مئة بيت فأمر له بمئة الف درهم . ويقال انها أول مئة الف أعطيها شاعر فى خلافة بني العباس

قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الا أياما حتي أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال ألست القائل في معن كذا وأنشده

البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فانه لاشيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

ومن المراثي النادرة مارثي به معن ابن زائدة أيضا وهو من شعر الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدي وهي :

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتي تصدعا
فتي عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضي
وأصبح عرنين المكارم أجدعا

﴿ معن ﴾ تمعّن فهم وأدرك

﴿ المَعَي والمِعَى ﴾ المصران

﴿ المَغْرة ﴾ صبغ أحمر يصبغ به

﴿ مغِص ﴾ الرجل يمغَص مغصا ومُغِص أصابه المغْص فهو ممغوص و (أمغصه) أوجع بطنه

﴿ المغْص ﴾ هو ألم قد يبتدئ خفيفا ثم يأخذ في الاشتداد شيأ فشيأ أو يفاجيء الانسان بقوة ويبلغ أقصى درجاته فيصرخ ويستغيث ويتقلب من جنب الي جنب ضاغطا بطنه بيديه أو بوسادة أو ينحني الي الامام أو يستلقي على جانبه ضاما فخذيه الي بطنه . ويكون اذ ذاك بطنه منتفخا متطبلا تسمع فيه قراقر . واذا قويت النوبة يكثر الجشاء والغثيان والقيء أحيانا . وتكون الامعاء منقبضة والنبض طبيعيا مالم تطل مدة النوبة ويشتد الألم فيصغر النبض ويسرع وأما الجلد فيعلوه عرق بارد . واذا أفلتت الغازات أو دفعت الامعاء فضلاتها دفعا وافيا استراح العليل وهجعت جميع الاعراض المتقدمة

(أسباب المغص) سوء الهضم والتعرض للبرد ليلا أو انسكاب الصفراء بكثرة الي الامعاء والانفعالات النفسانية كالغيظ والخوف وبل رجلى من لم يكن معتادا على ذلك والاطعمة الغليظة العسرة الهضم كاللحوم المقددة والاسماك والفواكه غير الناضجة والخضر غير المطبوخة جيدا والبقول اليابسة فكل هذه تولد

غازات في الامعاء تحدث منها تلك الاوجاع الثقيلة

(علاج هذا المغص) يعتمد في تسكينه على المسكنات كتعاطي خمس نقط من اللاودانوم الى عشرة في قليل من الماء أو من ١٥ نقطة الى ٢٠ من روح هوفمان ، أو الكلورودين وهو يباع في محال العطارة من ٥ الي ١٠ نقط في قليل من الماء ، أو مسكن آخر في نقيع مادة عطرية كالشمر أو الانيسون أو البابونج الخ مع رفادات مسكنة ساخنة . وهذه الرفادات تعمل من لصقة بزر الكتان يرش عليها نقط من اللاودانوم أو يحضر مغلى مركز من الخشخاش وتحضر به لزقة بزر الكتان ، أو تطبخ أوراق البنج أو الشوكران أو الخس وتحضر منها ضمادات . وتستعمل الحقن الملينة أيضا . وبعد هذا يعطي العليل مسهلا من زيت الخروع لاجل تنظيف الامعاء من المواد المنهضمة التي فيه

ولاجل منع الاعراض من العودة تجتنب الاطعمة الغليظة العسرة الهضم ويلبس صوف على البطن وتدفأ الرجلان وتحفظان من البرد والرطوبة

هذا اذا كان المغص ناشئا عن سوء الهضم ولكن قد يكون المغص ناشئا من روماتيزم عضلى لجدر البطن وفي هذه الحالة يكون متنقلا مستمرا . وقد يكون المغص عصبيا محضا أو من انسداد معوي أو عرض معدي كقرحة أو سرطان وقد يكون من مرض الكبد أو الكلى . كل هذا يميزه الطبيب ان تكرر المغص فلا يجوز والحالة هذه أن تنسب جميع هذه المغوص لعلة واحدة وهي سوء الهضم بل يجب البحث عن علتها الحقيقية اذا تكررت لمعالجة الداء الذي يولدها

﴿ المغناطيس ﴾ يوجد جسم يسمى حجر المغناطيس خاصيته جذب الحديد ومعادن أخري كالكوبالت والكروم والنيكل . وهذا الجسم يوجد بكثرة في بلاد السويد والنورفيج

الفولاذ يكتسب قوة جذب الحديد كالمغناطيس وذلك اذا دلك بحجر المغناطيس أو عرض لتأثير تيار كهربائي

لاجل معرفة خواص المغناطيس الطبيعي يستعمل المغناطيس الصناعي لامكان اعطائه الاشكال المناسبة . والاشكال المستعملة في التجارب هي :

القضبان ويعطى لها أحيانا شكل نعل الفرس . والابر وهي علي شكل المعين . والمعين هو شكل هندسي رباعي أضلاعه متوازية وكل زاويتين متقابلتين فيه متساويتان ، منهما زاويتان حادتان وزاويتان منفرجتان فالشكل المعين هو كشكل قطعة البقلاوة

(في القطبين المغناطيسيين) اذا أخذ قضيب من الحديد الممغطس شوهد ان قوة الجذب ليست واحدة في جميع نقطه بل هو يبلغ نهايته العظمى في الطرفين ويثبت ذلك بغمر قضيب ممغطس في برادة الحديد فيري انها تنجذب بمقدار عظيم نحو طرفيه ويأخذ تراكمها في النقصان شيأ فشيأ من الطرفين الى الوسط ويكون فيه معدوما

فهذا الجزء المتوسط يسمي خط الخمود وأما الطرفان حيث تتسلط فيهما قوة الجذب المغناطيسي فيسميان بالقطبين

متى عرض قطبا المغناطيس علي برادة الحديد ظهر انهما من طبيعة واحدة ولكن الواقع انهما من طبيعتين مختلفتين والدليل علي ذلك انه اذا علقت ابرة ممغطسة من وسطها بخيط ثم قرب لأحد طرفيها علي التوالى قضيب ممغطس فيري ان أحدهما يجذبه بقوة والآخر يطرده ، فهذا يدل علي انهما ليسا من طبيعة واحدة . ثم انه لو قرب مرة أخري هذان الطرفان من الطرف الآخر للابرة المعلقة يري ان الذي جذب الطرف الأول ينفره والعكس بالعكس . وهذا دليل على انه لا يوجد الا نوعان من الأقطاب

ولأجل معرفة طبيعة الاقطاب التي تتجاذب والاقطاب التي تتنافر يعين في قضيبين مختلفين أولا القطبان اللذان من نوع واحد أي اللذان يطردان طرفا واحداً لابرة معلقة ثم يعلق أحد هذين القضيبين ويقرب طرفاهما المعينان من نوع واحد أحدهما من الآخر فيري انهما يتنافران والقطبان اللذان طبيعتاها مختلفتان يتجاذبان ، ومما تقدم يري انه لو وضعت ابرة ممغطسة تتحرك في مستوي أفقي فوق قضيب ممغطس فانها تأخذ وضعا موازيا له وتكون الأقطاب المختلفة الطبيعة من كل من الابرة والقضيب أحدهما أمام الآخر . وكذا اذا أخذت ابرة متحركة في مستوي رأسي حول محور أفقي وحرك

حاملها بالتوازي لقضيب ممغطس فتميل في جهة أو في أخري حسبما تكون قريبة من أحد القطبين أو من الآخر

(تأثير الكرة الأرضية على الابرة الممغطسة) شوهد ان للكرة الأرضية تأثيراً على الابرة الممغطسة يشبه تأثير قضيب ممغطس عليها . أي انه اذا أخذت ابرة متحركة في مستوي أفقي فيري انها لا تكون في حالة موازنة الا في وضع معين يقرب من اتجاه الخط الواصل من الشمال الي الجنوب . واذا غير وضع الابرة عادت اليه ثانية بعد أن تحدث فيها عدة ذبذبات واذا كانت ابرة متحركة في مستوي رأسى ونقلت جهة الشمال يري ان ميلها يزيد في هذه الجهة واذا انقلبت جهة الجنوب يشاهد أن ميلها يقل شيئا فشيئا وتصير أفقية بجوار خط الاستواء واذا انقلبت هذه الابرة في نصف الكرة الجنوبي مالت جهة الجنوب وزاد ميلها في هذه الجهة كلما قربت من القطب الجنوبي للأرض فينتج من ذلك حينئذ ان تأثير الأرض على ابرة ممغطسة يشبه تأثير قضيب ممغطس عليها ولذا شبهت الأرض بمغناطيس عظيم قطباه قريبان من القطبين الأرضيين وخط الاستواء المسمي خط الخمود ينطبق علي خط الاستواء وبموجب هذا الفرض سمي القطب المغناطيسي الأرضي الذي جهة الشمال بالقطب الشمالى والذي جهة الجنوب بالقطب الجنوبي

(ماهي المغناطيسية) حار العلماء في ادراك كنه القوة المغناطيسية ثم فرضوا لامكان تعليل الظواهر التى تنتج منها انه يوجد في الكون سيالان يدعي أحدهما جنوبياً والآخر يسمي سيالا شماليا . وقالوا ان هذين السيالين يكونان متحدين قبل تمغطس الجسم حول كل جزيءٍ منه لكنهما ينفصلان أحدهما عن الآخر بتأثير المغناطيس حتي ان أحدهما يؤثر في أحد النصفين والآخر فى النصف الثاني

(في قانوني الجذب والتنافر المغناطيسيان) للجذب والتنافر المغناطيسيين قانونان مشابهان لقانوني الجذب والتنافر الكهربائيين وهما :

(أولا) الجذب أو التنافر الذي ينتج من قطبي قضيبين ممغطسين أحدهما على الآخر وهما علي ابعاد مختلفة يكون مناسباً لعكس مربعات الابعاد التي توجد

بينهما

(ثانيا) عند ما يكون القطبان علي بعد واحد تكون شدة الجذب أو التنافر التي تنتج من تأثيرهما أحدهما على الآخر مناسبة لحاصل ضرب مقداري المغناطيسية الموجودين فيهما

(المغناطيسية الأرضية) قلنا انه اذا أخذ قضيب ممغطس معلق من وسطه فانه يأخذ بتأثير الأرض عليه بعد جملة ذبذبات وضعا يقرب من الخط الواصل من الشمال الى الجنوب فالمستوي الرأسي الذي يمر بقطبي المغناطيس المعلق وهو في هذه الحالة يسمى مستوي الزوال المغناطيسى ولأجل تعيين مستوي الزوال المغناطيسي. تستعمل عادة ابرة ذات شكل معيّن (الشكل المعين وصفناه فيما مضى) محمولة من وسطها علي سن رأسى ويعتبر أن الخط الواصل بين سنيها منطبقا على الخط الواصل بين قطبيها فاذا أخذت ابرة في هذه الشروط أي متحركة حول مركزها في مستوي أفقي يري أن الوضع الذي تكون فيه في حالة توازن لا يكون الخط الواصل من الشمال الى الجنوب بل يكون خطا صانعا مع الخط المذكور زاوية حادة تسمي بالانحراف المغناطيسي في النقطة الحاصلة فيها التجربة . و يقال للانحراف شرقي اذا كان القطب الجنوبي للابرة يثبت شرق الخط الواصل من الشمال الى الجنوب ويقال له غربي اذا كان القطب المذكور يثبت غربي ذلك الخط

فاذا فرضنا الان ان ابرة ممغطسة متحركة في مستوي رأسي حول محور أفقي مار من وسطها وكان المستوي الذي تتحرك فيه منطبقا على مستوي الزوال المغناطيسي فيري من التجربه انه في أغلب نقط سطح الارض تأخذ الابرة وضعاً مائلا بالنسبة للمستوي الأفقي فالزاوية الحادة المكونة من النصف السفلى للابرة وهي في ذلك الوضع ومن الخط الافقي الموجود في مستوي الزوال المغناطيسي تسمي زاوية الميل

(في بوصلتى الانحراف والميل)

اذا أريد تعيين الانحراف والميل بطريقة مضبوطة في النقط المختلفة من سطح الارض فيستعمل لذلك جهازان أحدهما يسمي بوصلة الانحراف والثاني يسمى بوصلة الميل

تتركب بوصلة الانحراف من دائرة

أفقيـة مقسمة الى ٣٦٠ درجـة وفي مركزها سهم ترتكز عليه ابرة ممغطسـة فاذا فرض وضع هذه الآلة بحيث يكون القطر المار بنقطة الصفر منطبقا على الخط الواصـل من الشمال الى الجنوب فعـدد الدرج الذي يكون من ذلك الصفر وسن الابره الممغطسـة يكون دالا على زاوية الانحراف

أما بوصلة الميل فتتركب من ابرة ممغطسـة متحركة فى مسـتوي رأسي حول محور أفقي ومن دائرة رأسية مقسمة الي ٣٦٠ درجة ومركزها منطبق بالضبط على المحور الذي تدور حوله الابرة . فاذا فرض وكانت هـذه الابرة منطبقة على مسـتوي الزوال المغنـاطيسى فعـدد الدرجات التى تكون محصورة بين سنها المـائل والخط الافقي يكون دالا عـلى زاوية الميل

(فى البوصـلة المعتادة والبوصـلة البحرية) بمعـرفـة المقـدار المتـوسط للانحراف المغناطيسى يمكن استعمال الابرة الممغطسة لتعيين الجهات الاصلية والجهاز المستعمل لذلك يسمي بالبوصلة وهو يشبه ساعات الجيب ويتكون من دائرة مقسمة الى درجات وفي مركزها سن حامل لابرة ممغطسـة تدور حوله . ولاجل تعيين اتجاه الشمال بواسطة هذه الآلة يكفي وضعها في مستوي أفقي وعد (ابتداء من طرفهـا الأزرق) درجات بقدار المقدار المتوسط للانحراف . فالخط الواصل من النقطة النهائية الي مركز الدائرة المدرجة يكون هو الخط الواصل من الشمال الى الجنوب . و بوصلة المساحين لاتختلف عن البوصلة العادية الا بكونها أكبر منها و يستعين بها المساحون ليبينوا علي الخرط التي يصنعونها وضع الاشـياء المرسـومة بالنسبة للجهات الأصلية

البوصلة البحرية تستعمل في البحر لتوجيه السفن عند ما تكون بعيـدة عن الشواطئ وهذه البوصلة تـكون دائمـا مثبتة في الجزء الخلفى من كل سفينة أمام السكان (أي الدفة) لكي يوفق مديرها اتجاه أبرتها باتجاه السفينة . ولأجـل تسهيل هذا التوفيق يوجـد داخل الوعاء الموجودة فيهـا الابرة خط ثابت موجود فى اتجاه محور السفينة . فاذا أريد توجيه السفينة الى جهة ما فيجب علي مديرها ان يعين أولا النقطة التي هو فيهـا واذ ذاك

يعلم الاتجاه الواجب اتباعه للوصول الي النقطة المراد الوصول اليها أي الزاوية المكونة من ذلك الاتجاه وخطوط العرض وحينئذ اذا أضيف أو طرح من هذه الزاوية المقدار المتوسط لزاوية انحراف المحل حسبما يكون شرقيا أو غربيا توجد الزاوية الواجب أن تكون مكونة من اتجاه السفينة أي الخط الثابت المرسوم في وعاء البوصلة واتجاه الابرة الممغطسة. وان لم تكن السفينة في الاتجاه الواجب يعلم المدير ذلك من البوصلة ويردها حينئذ في الاتجاه المذكور بتحريك السكان (الدفة)

(في طرق المغطسة) الينابيع المختلفة للمغطسة هي : تأثير المغناطيس القوي ، وتأثير الارض ، وتأثير التيارات الكهربائية

فاما المغطسة بالمغناطيس القوي فتفعل بثلاث طرق وهي : طريقة اللمس البسيط ، وطريقة اللمس المنفصل ، وطريقة اللمس المزدوج

الأولى لا تستعمل الا لمغطسة الابر وذلك انها لا تولد الا تمغطسا ضعيفا وغايتها ازلاق أحد قطبي قضيب ممغطس على الأبرة المراد مغطستها من طرف الي آخر ويكرر العمل مرارا بحيث يبتدأ دائما من الطرف الذي ابتدأ منه أول مرة . وفي هذه الطريقة يتكون في الطرف المذكور قطب من جنس القطب الذي حصل به الدلك . وفى الطرف الآخر قطب مضاد لهذا القطب

والثانية هي طريقة اللمس المنفصل تعمل بوضع قضيبين ممغطسين قويين علي مستوي أفقي بحيث يكون قطباهما المختلفان أحدهما أمام الآخر ويثبت بينهما قطعة من الخشب ثم يوضع القضيب المراد مغطسته فوقهم ويؤخذ في اليدين قضيبان ممغطسان ويوضع طرفاهما على منتصف القضيب بحيث يكون القطب المتكئ من كل منهما على القضيب المذكور عين القطب الملامس لقطعة الخشب من جهته فيحرك حينئذ كل من القضيبين الأولين في اتجاهين متضادين الى نهايتي القضيب الموضوع فوق قطعة الخشب ، ثم يردان الى موضعهما الأول ويحركان مرة ثانية وهلم جرا

والثالثة وهي طريقة اللمس المزدوج تقتضي ان يوضع القضيب المراد مغطسته

على قضيبين ممغطسين كالحالة السابقة ثم يوضع عليهما قضيبان آخران كما تقدم انما ينبغي فصلهما بقطعة من الخشب وبدل امرار القطبين علي القضيب علي حالة انفراد يجب امرارهما معا من الوسط الى أحد الطرفين ثم منه الي الطرف الآخر وهلم جرا

وبعد نهاية العمل ينبغي أن يكون التمرير حصل في المرة الاخيرة من الطرف الذي لم يلمس ابتداء الى الوسط وقد ظهر من التجربة أن التمغطس بهذه الطريقة أقوي بكثير من التمغطس بالطريقتين السابقتين

(في المغطسة بتأثير الأرض) بما ان تأثير الأرض علي الاجسام يشبه تأثير الاجسام الممغطسة عليها يري ان يكون من الممكن مغطسة الأجسام القابلة للتمغطس بتأثير الأرض وفي الواقع فانه اذا وضع قضيب من الصلب في وضع مواز لابرة الميل عند ما تكون في مستوي الزوال المغناطيسي وطرق عليه بمطرقة او حصل دلكه بجسم صلب فانه يتمغطس.

وبهذه الصفة تتمغطس شيئا فشيئا جميع الآلات المصنوعة من الصلب التي يحصل فيها دلك او طرق متعدد كالمبارد وغيرها

(في حفظ المغناطيسية) ويجب استعمال طرق خاصة لحفظ المغناطيسية في الاجسام الممغطسة. فاذا فرض قضيب ممغطس متروكا ونفسه في وضع ما فقد يتأتي اما من تأثير الارض عليه أو من تأثير قضبان ممغطسة موضوعة بجواره ان السيالين الموجودين في ذراته ينتقلان في اتجاه مضاد للذي انتقلا فيه عند فصلهما وبذلك يحصل اتحادهما ثانية شيأ فشيأ وتأخذ قوة مغطسة القضيب في التناقص

ولاجل منع حصول هذه التأثيرات توضع القضبان الممغطسة كل اثنين معا في وعاء واحد بحيث يكونان متوازيين وأقطابهما المختلفة الطبيعة بعضها أمام البعض الآخر ثم يوضع بينهما قطعتان من الخشب لمنعهما من التلامس ويثبت علي أطرافهما قطعتان من الحديد المطاوع فبتأثير القضيبين علي هاتين القطعتين يتمغطسان ويؤثران في أقطاب القضيبين المذكورين ويحفظان قوتهما المغناطيسية.

ولاجل حفظ مغطسة المغناطيس الذي في شكل نعل الفرس يوضع على

قطبيه قطعة من الحديد المطاوع . وقد ظهر من التجربة انه لحفظ مغناطيسية المغناطيس المذكور يكون من الحسن أن يعلق فى قطعة الحديد التى ثبتت على طرفيه ثقل مّا فيعلق عادة فى الخطاف المثبت فى قطعة الحديد اناء يوضع فيه كرات من الرصاص يضاف اليه كرة أو اثنتان في كل يوم و بذلك تزداد القوة المغناطيسية أي انه بهذه الطريقة يتوصل لجعل المغناطيس قادرا على حمل ثقل يزيد كثيرا عن الثقل الذي كان يمكنه حمله في بادئ الامر ويجب الاحتراس من اضافة عدد عظيم من كرات الرصاص في آن واحد لانه لو فصلت قطعة الحديد بتأثير ثقل عظيم فان قوة المغناطيس تضعف وتجب اعادة العمل السابق عليه ثانية . والعمل المذكور يعبر عنه بتغذية المغناطيس .

(في المغطسة بالتيارات الكهربائية) شاهد العلامة اراغو انه اذا وضعت ابرة من الحديد المطاوع في وضع عمودي علي اتجاه تيار فانها تتمغطس تمغطسا يدوم فيها مادام التيار مارا و يمحى عند قطع التيار . واذا استعملت ابرة من الصلب المسقي فانها تتمغطس ببطء الا أن مغطستها تدوم بعد انقطاع التيار فينتج من ذلك حينئذ انه سواء كان التمغطس ناتجا عن فصل سيالين موجودين في كل من جزيئات الاجسام القابلة للتمغطس أوجعل تيارات خاصة توجد بين هذه الجزيئات في اتجاه واحد فيجب قبول ان التيار الذي يوضع بجوار الجسم القابل للتمغطس يحدث تأثيرا على السيالين الموجودين في الجزيئات أوعلى التيارات التى تمر حولها بحيث يحيله الى مغناطيس والصلب يختلف عن الحديد المطاوع في كونه يقاوم حصول اتحاد السيالين أوعود التيارات الي الاتجاهات التى كانت فيها

(طريقة مغطسة الصلب بالتيارات الكهربائية) قد بين العالم امبير طريقة لتضعيف التأثير الذي ينتج من تأثير تيار على قضيب من الصلب وهي ان يلف سلك من النحاس لفا حلزونيا على انبوبة من الزجاج يوضع داخلها القضيب المراد مغطسته ثم يمرر تيار كهربائي في ذلك السلك فيشاهد بعد برهة ان القضيب يكتسب تمغطسا قويا واتجاه ذلك التمغطس يتعلق باتجاه ذلك التيار

و بالاتجاه الذي يلف فيه السلك المعدني علي الانبوبة الزجاجية وعلى كل حال فانه بتطبيق قاعدة امبير يمكن أن يعين بادئ بدء طرف القضيب الذي يتكون فيه قطب جنوبي

(في المغناطيس الكهربائي) مماتقدم يري انه اذا وضع قضيب من الحديد المطاوع داخل ملف ملفوف حوله سلك من النحاس لفا حلزونيا ومغطى بالحرير فانه يصير مغناطيسيا متى مر التيار في السلك الذي حوله و يعود الى الحالة الطبيعية متي انقطع ذلك التيار وهذا هو أساس المغناطيس الكهربائي

عند ما يكون المراد عمل مغناطيس كهربائي معد لجذب قطعة من الحديد المطاوع وذي قوة عظيمة يستحسن أن يعطى لقطعة من الحديد المطاوع التي تمغطس بالتيار شكل نعل فرس يوضع فرعاه في ملفين ملفوف عليهما لفاحلزونيا سلك واحد من النحاس مغطي بالحرير و بما انه يجب أن يكون تأثير الملفين على فرعي نعل الفرس في اتجاه واحد وجب أن يكون السلك ملفوفا عليهما بحيث انه اذا فرض نعل الفرس ممدودا والملفان موضوعان أحدهما فوق الآخر تكون لفات أحد الحلزونين على امتداد لفات الحلزون الثاني

فمتي مر تيار في سلك هذا المغناطيس يري انه يمكنه جذب قطعة من الحديد المطاوع حاملة لثقل عظيم ومتي قطع التيار يشاهد انفصال هذه القطعة في الحال

(في الجرس الكهربائي) ان أصغر تطبيق للمغناطيس الكهربائي هو الجرس الكهربائي وهو يتركب من مغناطيس كهربائي علي شكل نعل الفرس مثبت على لوحة من الخشب و يوجد أمام فرعيه قطعة من الحديد المطاوع مثبتة من أحد طرفيها بواسطة صفيحة مرنة من الصلب في زر وطرفها الآخر حامل لقضيب ذي مطرقة معدة للطرق علي ناقوس صغير. وقطعة الحديد تكون وقت ثباتها بعيدة قليلا عن فرعي المغناطيس الكهربائي ومتكئة على قطعة معدنية متصلة ببرمة ضغط ، والزر الحامل لقطعة الحديد المطاوع متصل بأحد طرفي سلك المغناطيس الكهربائي . أما الطرف الآخر لهذا السلك فمتصل ببرمة الضغط المقابلة للبرمة

الأولي

فاذا أوصل قطبا عمود كهربائي ببرمتي الضغط مر التيار من قطعة الحديد المطاوع الى المطرقة ومنها الى سلك المغناطيس الكهربائي فيتمغطس عند ذلك حديدهذا المغناطيس ويجذب قطعة الحديد نحوه فتبعد حينئذ هذه القطعه عن قطعة الحديد المطاوع فينقطع التيار وبذلك يعود المغناطيس الكهربائي الى الحالة الطبيعية وترجع قطعة الحديد الى وضعها الأول لأنها مثبتة في صفيحة مرنة وعند ذلك يمر التيار ثانية ويجذب تلك الحديدة مرة أخري وهكذا مادام التيار ماراً

فمن الواضح ان كل حركة من حركات هذه القطعة تولد طرقة من المطرقة على الناقوس (أخذناه بتصرف من كتاب الطبيعة للعلامة اسماعيل باشا حسنين)

(الخواص الصحية والعلاجية للمغناطيس) كانت الأمم القديمة تعرف خواص المغناطيس فنسبوا له تأثيرات علاجية كثيرة وعلقوا عليه وساوس كثيرة وأوهاما عديدة فاستعمله الناس قديما تمائم وطلاسم ولا يوجد أثر لاستعماله استعمالا معقولا في القرون الأولى من الميلاد المسيحي

فذكر جالينوس انه لو استعمل من الداخل كان مفرغا للماء ومسهلا

واعتبره ديسقوريدس عظيم النفع لاستفراغ السوداء

ويري ابن سينا ان له سلطانا على أمراض الطحال

كان المغناطيس يستعمل مسحوقا من الباطن ولكن سحقه يبطل خاصته المغناطيسية فلا يكون حينئذ الا كأوكسيد حديدي

وكان أبقراط يأمر به من الباطن مع جواهر أخري علاجا للعقم .

وذكر بايناس أن جميع أنواعه نافعة في أمراض الأعين ولا سيما التدمع وانه اذا كلس وأحيل الى مسحوق أبرأ الحروق

وذكر ابن سينا ان درهما منه يضاد التسمم بالحديد الذي كان يظن انه سام

وقد اعتبر في القرون التالية لعصر ابن سينا سما وهو خطأ

وقال آخرون انه مضاد للسم لاحم للجروح وان خواصه عظيمة للغاية

ومنهم من نسب له خواص مقوية ومفتحة للسدد فكانوا يعطونه لذلك مسحوقا مجتمعا مع العطريات والكبريت بمقدار خمس قمحات مرتين في اليوم في أحوال الذبول والنحول والاستسقاء

وقال العرب انه ينفع فى النقرس ووجع المفاصل والنسا والحصا وغيرها

وقال العلامة (تروسو) الفرنسى من المحقق أن املاح الحديد وأكاسيده حاصلة بأعلى درجة علي الخواص التى نسبها ديسقوريدس وجالينوس وابن سينا للمغناطيس

وقال فلوجيل ان القدماء كانوا يستعملون المغناطيس كثيرا لشفاء بعض الامراض التى نعالجها الآن مع النجاح بالمستحضرات الحديدية فاننا نعلم الآن مايفعله الحديد في بعض الاستسقاآت وفى دور نقاهة الحميات المتقطعة المصاحبة لذهاب لون المنسوجات وضخامة الطحال وأمامارآه ديسقوريدس فيمايتعلق بالسوداء فقد شرعنا في فهم سببه وذلك اننابالبحث مدة طويلة في المعالجات الحديدية اتضح لنا ان هذا المعدن اذا استعمل بأي شكل كان يلون البراز بلون اسود كلون الحبر

« ومع ذلك فالاستعمال الظاهر للمغناطيس كان هو المتسلط وحده لان من الاطباء مانسب له كما نسب الحديد خواص سامية قوية الفعل . وفي القرن الرابع جربه مرسليوس فوضع فى العنق حجارة المغناطيس لتسكين أوجاع الرأس

« ثم أمر ايتوس فيما بعد المصابين بالنقرس والاوجاع الروماتيزمية وأوجاع البدن والرجلين بأن يمسكوا فى أيديهم حجارة المغناطيس

« ولكن في عهد القرون الوسطي لم يستعمل هذا الدواء غير الدجالين والروحانيين وأمثالهم

« وحوالي القرن السابع عشر سنة (١٦٥٦) جربه بولير مع بعض الفلاسفة لشفاء أوجاع الاسنان وأوجاع العينين والاذنين

« وذكر أيضا انه يسكن الاحتقان الهستيري بأن يوضع في عنق المرأة قطعة منه وبعد ذلك بقليل سنة (١٦٨٦)

كتب في بعض المؤلفات الالمانيـة ان امرأة مصابة بالكمنة حصل لها تخفيف واضح بوضعهـا حجرا مغناطيسيا خلف القفا وأكياسا صغيرة مملوءة ببرادة الحديد على العينين

« ثم في سـنة (١٧٦٣) تكلم المؤلفون للحوادث العامية على المغناطيس مع ذلك نشر هلمان سنة (١٧٠٠) رسالة بحث فى الادوية المضـادة للوجع السني وذكر من جملتهـا المغناطيس واشتهرت أيضا مشاهـدات منعزلة في بعض التجارب الطبية سـنة (١٧٢٦) ثم فى سـنة (١٧٦٣) كان الراهب لونو بل مشتغلا بالطبيعة التجريبية بتعقل ونجاح فاختـرع مغناطيسات صناعيـة واصطنع قضبانا و بطريات من الفولاذ المغطس كان لها صيت عظيم مدة ١٢ سنة وأحدث بها شفا آت عجيبة عدت كامور خارقة للعـادة في معظم أوجاع الاسنان وأكد كلاريش طبيب ملك الانجليز بالتجربة النتـائج التي نالهـا لونو بل

« ووسع مجال تلك المـداواة و بير ولدويج وغيرهما في أمراض عصبية ولكن مع نجاح مبهم على الاقل

«و بالجملة حصلت مناقشات طويلة من جميع الجهات في المغناطيس ثم اتفقوا جميعا على أن وضع القضبان أو البطريات المغطسـة أو حجر المغنـاطيس نفسه يسكن أو يبرئ أحيانا وجع الاسنان ويمكن أن يقبل أيضا الفعل الحميد الذي استخرجه من الخواص الطبيعيـة للمغناطيس الطبيب المشهور مورجاني وقبله فبريس وكركرنغيوس مع نجاح عظيم

«وهو أن تستخرج به الأجزاء الحديدية التى نفذت في سمك القرنية

«وأما الأمور الخارجة عن طور العقل كاللصـوقات المغطسة الـتى وصفها الـكيماويون الذين وجدوا في القرون الوسطى على أجزاء مختلفة من الجسم اما لشفاء الجروح واما لجذب السهام والنصول التى بقيت فى اعماق الجروح فيجب عدم قبولها

« ومن العقل أن يشك فى شـفاء النقرس والسرطانات والفتوق ونحو ذلك مما بالغ في الاهتمام به المتعصبون للمغناطيس وشهروه للعامة

«هذه على وجه التقريب حالة العلم في

تلك الازمنة الى أن نبغ هيل الفلكي الكبير بمدينة فينا فاخترع الدعائم المغطسة أي الصفحات المغناطيسية المكونة من قطعتين أو جملة قطع توفق شكل الأعضاء التي توضع عليها

«وانتشر ذلك الاختراع بسرعة فى السنة التى بعدها بواسطة (مسمير) في بلاد الالمان والراهب (لنو بل) في فرنسا فاستعملا هذا التداوي بالدعائم المغناطيسية بغيرة الهامية ربما كان الوثوق الديني بها أكثر من الخواص التى يخشي الطبيب العاقل من الاقرار عليها ، وتأثير الكيفية والحالة يعين على ذلك اعانة جليلة وفي ذلك الزمن صارت شهرة الخاصة المغناطيسية المعدنية أعظم من شهرة المغناطيسية الحيوانية التى اشتهرت بعد ذلك ببضع سنين

«وانما الفرق بين (هيل)و (لونو بل) و (مسمير) هو ان الأولين كان عندهما معارف طبيعية حقيقية فانجذبا باضطراب العامة حتى وصلا الي أعلى الاستنتاجات الصحيحة التى حصلتها لهم المشاهدات وكانت معارف (مسمير) مخلوطة بتصورات طبيعية خارجة عن العقل وخرافات فلكية مما كان متسلطا على العقول فى القرن الخامس عشر فاستعمل سخريات معيبة عنده أي المغناطيسية الحيوانية ليفهم انها واسطة من وسائط العلاج ولم تسقط تلك الواسطة في الخمول الا بسبب المبالغات الكاذبة التي بسببها أريد بقاؤها كما قال بعض الأطباء ممن عرفناهم مثل (تروسو)

(دائرة المعارف) نقول اننا ننقل ماقاله فوجيل على علاته مترجما بقلم الطبيب المصري المشهور الرشيدي في مادته الطبية ولكن نرجو القاري أن لا يستهويه نسبته الى (مسمير)المبالغات الكاذبة

فان العلماء في عصر مسمير عدوا مشاهداته في المغناطيس الحيواني مبالغات كاذبة لأنها كانت مشاهدات روحانية تنقض لهم نواميس الطبيعة التي اصطلحوا على وضعها واستمر العلماء يعتبرون (مسمير) هذا مبالغا حتى جاء علم استحضار الارواح سنة (١٨٤٦)فأثبت أن مسمير كان على الحق وان ماقاله وُعد عليه من المبالغات الكاذبة لا يُعد شيأ مما اثبته كبار العلماء الطبيعيين اليوم من

مشاهدات علم استحضار الارواح المرتبطة تمام الارتباط مع مباحث المغناطيس الحيواني كماسيمر بك. والذي علينا الآن أن نتابع نقل ترجمة فوجيل الي آخرها ونأتي علي كل ماورد في هذا الباب من آراء الموافقين والمخالفين ثم نكتب رأينا في ذلك في كلمة نوم مغناطيسي

قال فوجيل بعد ما مر: « ومع هذا فقد شهر جماعة من الاطباء رأي مسمير بعد ان نوعوه بعض التنويع وأيدوا آراءهم بأمور واقعية لا يظن دائما وقوعها

« فذكروا شفاء أشخاص مصابين بالاعتقال والتشنجات والشلل والاوجاع الروماتيزمية ونحو ذلك باستعمال المغناطيس ولكن اذا تليت تلك المشاهدات تحقق أن منهم من كانت معارفه الطبية غير كاملة مع اتهام المرضي الذين كانوا تحت نظرهم

« وقد ألف لونوبل الذي كان في الغالب يعتقد فى خاصة الصفحات المغطسة رسالة سنة (١٧٧٧) في أعماله الطبيعية والعلاجية وقدمها للمجمع الملكي الطبي بباريس ورأي أهل هذا المجمع أن يبادروا لتحقيق اعتبار هذا العلاج الممدوح جداً عند العامة تحقيقا لا ريب فيه فكلفوا الطبيبين اندريه وتوريت اللذين كانا من أهل الثقة والصدق الطبي وجودة النظر وجميع الصفات الحميدة بأن يعيدوا تجربات لنوبل وأن يفعلا بأنفسهما تجربات عديدة ففعل هذان العالمان ما أمرا به وشرحا أعمالهما في رسالة تدل علي شرف عقولهما الفلسفية وأمكنهم ان يؤكدوا تأكيداً غير مبهم شفاء الاوجاع العصبية والشقيقة والوخزات المؤلمة والأوجاع الروماتيزمية والآلام المعدية والشلل الاختناقي أي شلل اختناق الرحم، وكانت نتيجة هذه الرسالة هي ارجاع دعاوي المغناطيسيين الي اعتبارها الصحيح وتحرير الأحوال التي قد يكون هذا المغناطيس فيها واسطة للشفاء أو بالاقل يكون سلاحا علاجيا لا ينبغي اهماله اذا لم تنجع المعالجات الاعتيادية.

«ومن حينئذ تأكد عند كثير من أفاضل الأطباء من جميع الجهات مثل مارسلان ولاهنك والبير وشوميل وريكمير وهاليه وغيرهم حقيقة أكثر

المشاهدات التي شهرها اندريه وتوريت »

« قال تروسو ونحن قد استعملنا أحيانا هذا المغناطيس وتيسر لنا ان نحقق ان هذا الجوهر العلاجي يؤثر علي العضو الذي يلامسه تأثيراً لا يمكن أن ينسب لتخيلات المرضي فقط فقد شاهدنا أوجاعا عصبية تنوعت ونوبا من عسر التنفس العصبي وقفت سريعا وغير ذلك

« فنحن بدون ان ندخل في ايضاحات غير ضرورية للعمل وغير مهمة نقتصر على أن نبين أولا كيفية وضع المغناطيس وثانيا النتائج الفزيولوجية لهذا الوضع ، ونحيل ذكر النتائج العلاجية للمغناطيس على ما سبق لنا ذكره وننهي هذا البحث بمستنتجات مختصرة

(كيفية وضع الدعائم المغطسة)

يستعمل كما هو معلوم لأجل تكوين الدعائم جملة قطع من الفولاذ المغطس تتوافق بالضبط على شكل الأعضاء وأطرافها مثقوبة بثقوب معدة لعرى بواسطتها تتعلق القطع بعضها ببعض (أي انها مؤلفة من قطع ممغطسة أو أقراص معوجة أو مستطيلة أو على شكل عنيق أو حزام أو شريط أو غير ذلك تختلف في الشكل والعدد والاقطار) وهنالك احتراس تنبغي مراعاته اذا وضعت وهو معارضة قطب لقطب بحيث يلتفت القطب الجنوبي للقطب الشمالي ولذا يجب الانتباه لتبيين الاقطاب بأن يرقم بالنحت علي الصفحات حرف ج وحرف ش ويحفظ الكل لشريط حرير أو خيط ثم يغطى بلفافة أو رباط يحيط بالعضو (وبالجملة يكون وضع قطع المغناطيس كما قال هاليه بحيث تؤثر قطعة في أخري مارا تأثيرها على الجزء المتألم ، وذلك هو مايفعل في العادة اذا أريد وضع جملة قطع حول عضو وكان ذلك أيضا هو مقصود بعض الاطباء الذين يأمرون المريض بازدراد برادة الحديد ثم يضعون المغناطيس على جزء من البطن

وكذا مقصود من عالج الكُمنة (وهي ظلمة في البصر أوجرب وحمرة فيه أوهي حمرة في الاجفان) بوضع مغناطيس قوي على القفا وأكياس مملوءة ببرادة الحديد على الاعين فاذا لم يشغل الألم الا محلا واحدا تحتاج الدعامة لأن تتركب من قطعتين . فلأجل شفاء ألم

عصبي صدغي بوضع أحد الاقراص على الصدغ المتألم والآخر علي الجهة المقابلة لها بل يكفي أحيانا اذا كان الألم قويا محدودا وضع قرص واحد . وكذا يكفي أن يوضع مجرد قضيب ممغطس علي السن المتسوس فبذلك يمكن أن يزول ألمه

أما ذا كان الألم شاغلا لجميع طول طرف كما في عرق النسا فانه يجب أن توضع ٣ أزواج أو ٤ من المغناطيس في ارتفاعات مختلفة فاذا أريد شفاء ضيق النفس المصاحب لخفقانات القلب يحاط الصدر بمنطقة مركبة من أربع قطع على الاقل ومثل ذلك أيضا اذا أريد مقاومة وجع شاغل لجميع الرأس أولسمك طرف من الاطراف ومقدار الزمن الذي تحمل فيه الدعائم لمغطسة يختلف باختلاف شدة المرض الذي عولج بهذه الواسطة. ففي أحوال الاوجاع الروماتيزمية والآلام العصبية كثيرا مايضطر لأن يمسك المغناطيس موضوعا مدة أسابيع بل جملة أشهر . فاذا كان الداء متقطعا لزم أن يكون التداوي كذلك

« قال تروسو ولذا نجح معنا في تسكين نوب الاورطوبنيه أي التنفس الانتصابي تسكينا وقتيا اذ كان يأتي مرة في كل شهر وذلك بأن يحمل المريض في الليل قرصين ممغطسين حول عنقه فاذا اضطر لابقاء الدعائم اكثر من ١٥ يوما ملامسة للجلد كان من المناسب تنظيفها ثم مغطستها فبدون ذلك الاحتراس تفقد جميع خواصها ولكن من حيث ان التأكسد هو السبب المضعف للخاصة المغناطيسية لزم زيادة التحرس منه بأن يغطى الوجه الباطن للدعائم بورقة من الفضة أو البلاتين وليس بلازم دائما أن يستخدم مغناطيسان حتي ولو أريد انالة تيار مغناطيسى ينفذ من الاعضاء فلذلك توضع أكياس من برادة الحديد في الجهة المقابلة للمغناطيس فتنال من ذلك نتائج ثمينة غنيمة وان كانت أقل تأثيراً من النتائج التى تحصل من الدعائم

(النتائج الفزيولوجية لوضع المغناطيس) وضع دعامة ممغطسة لاينتج في العادة نتيجة محسوسة . قال تروسو وقد تيسر لنا تأكيد ذلك كثيرا ومع ذلك فقد يتفق عند ماتكون درجة حرارة قطع الجهاز مساوية لحرارة الجسم

أن يحصل في محل الملامسة حكة تولد أكلانا فحينئذ يصير اكثر حرارة وأشد احتقانا ويغطى بعرق بحيث يؤكبد الفولاذ في بضعة أيام بل أحيانا في خمس ساعات أو ست ساعات

« ومن العظيم الاعتبار ماشاهده اندريه وتوريت وأكده غيرهما وهو ان التأكسد لايحصل اذا لم ينتج من ملامسة الدعامة نقص للألم ولا للاحساس المعتاد الذي ذكرناه

« فاذا بقيت القطع الممغطسة زمنا طويلا انتهي حالها بأن تسبب في الجلد اندفاعا حوصليا (اكزيما بسيطة) يظهر غالبا تحت الدعامة نفسها وأحيانا يبعد عن المحل الموضوعة عليه بمسافة ما . وبعض المرضى يشكو أيضا من احساسات من نوع آخر فيري شرر الامعاء أو يحصل له طنين في الآذان اذ كانت الدعامة موضوعة . وشاهد اندريه وتوريت اسهالات شديدة تحرضت من وضع جملة مغاطيس علي هيئة حزام

« قال تروسو : ونحن أيضا وضعنا يوما قرصا ممغطسا في التقعير المعدي لامرأة وقرصا آخر في المحل المقابل له من الظهر بقصد شفاء وجع تحس به المرأة فحرضنا بتلك الواسطة عسرا قويا في الهضم فكانت نتيجة ذلك هوجا كابدته المرأة مدة حياتها . وتلك الظاهرات تسمح لنا بأن نجزم بصحة ماقاله المؤلفون من الظاهرات العصبية التى تحصل أحيانا من وضع الدعائم

« وقال ميريه : تختلف كثيرا النتائج المحسوسة لوضع المغناطيس وكانوا ينسبون ذلك لاسباب مختلفة فتارة تظهر حالا بعد السكون الفجائي للآلام وذهاب التقلصات وغير ذلك وتارة تتأخر عن ذلك ففي الحالة الاولي قد يزول الداء ثم يظهر طورا طورا علي حسب وضع المغناطيس أو ازالته ، وقد لايحصل ذلك وفي بعض الاحوال يغير الداء محله أو يتنوع . وأحيانا يقاوم المغناطيس الخفيف ثم ينقاد للقوي . وأحيانا لاتشاهد ظاهرة محسوسة . وأحيانا آخر لاتنقص العوارض وانما يظهر انها زادت من المغناطيس ولكن ذلك نادر . وقد تظهر ظاهرات جديدة واحساسات شاقة كالحرارة والتقلص والغشي والوخز والاكلان وغيرها ويزول ذلك اذا أزيل وضع

المغناطيس »

(النتائج العلاجية لوضع المغناطيس)

لم يبق علينا الا كلمات عن النتائج العلاجية لوضع المغناطيس بعد النتائج التي ذكرناها سابقا فقد نتج من التجريبات المفعولة بسلامة قلب ونية أن المغناطيس لا ينجح في الحقيقة الا في الآفات والأوجاع العصبية والأمراض الروماتيزمية ، وان هذه الواسطة لا تستعمل عموما الا اذا لم تنفع جميع الوسائط التي تنجح في العادة ومع ذلك تنتج في بعض الأشخاص نتائج أنفع وأسرع من الوسائط الأخر ، والتحليل المختص ببعض الأمور الواقعية كاف لتصور الأحوال الخاصة التي يمكن أن تستعمل فيها هذه الواسطة مع المنفعة

(فأولا) في الأمراض العصبية كالذبحة الصدرية أي الخناق الصدري وضيق النفس العصبي والنفس الانتصابي المتقطع (أورطو بنيه) والخفقان والهستريا أي اختناق الرحم

«فقد اتفق ان امرأة مصابة بخناق الصدر وكانت نوبه تتزايد متقاربة تقاربا هائلا مع تزايد الألم

«ومنذ ثمانية أيام كانت النوب كأنها مهددة بفقد حياة المريضة كل لحظة

فبعد تجربة جملة وسائط للعلاج المسكن وعدم حصول تخفيف منها حتى ولا من وضع ايدروكلورات على حراريق موضوعة على طول أعصاب الذراع وعلى قسم القلب أوصاها (ابريتون) باستعمال المغناطيس فوضع لها دعامة مركبة من قطعتين علي الصدر ووضع قرصا علي قسم القلب وقرصا آخر من الخلف على القسم المقابل له فحصل التخفيف حالا ولكن مضى على المريضة عشرون يوما بدون نجاح ومن ذلك الحين كان يحصل لها تزايدات قليلة الشدة فاتضح أن خناق الصدر لم يشف وانما تنوع بالمغناطيس تنوعا أحسن مما يتحصل عليه بالوسائط الأخري

ومن الأمور الهامة أن ننبه الى أن القرص المستند على القسم القلبي يتأكسد سريعا وان الجلد يتغطى بدماميل صغيرة كثيرة كما علمت.

« وهناك أمر واقعي شبيه بذلك ذكر في رسالة أندريه وتوليت

« وأوصى (لاهنك) بالمغناطيس في علاج خناق الصدر وشاهد ان هذا الفاعل العلاجي كثيرا مايسكن أو على

الأوّل أن ينوع الأوجاع المتسببة عن هذا الداء الهائل . والنجاح الذي ناله أيضا في الفواق التقلصي كان أيضا واضحا

« واستعمل في هذا العصر الاخير (مرجولين) و (ريكمبير) و (مرسلين) و (لاهنك) وغيرهم الدعائم المغطسة مع النجاح في عسر التنفس الانتصابي العصبي

« قال تروسو : وتيسر لنا الحصول علي مثالين يدلان علي أن المغناطيس لا يبري هذه الداآت وانما ينوع شدتها علي الاقل . وذلك انه اتفق ان شابا عمره ٣٠ سنة كان مكدراً مدة ثمان سنين بخناق متقطع يأتي في الليل فقط ، ولا يوجد عند هذا الشاب آفة تشاهد في الرئة ولا في القلب . فبعد ان استعمل الحمامات ومضادات التشنج والمخدرات والحراريق والحمصات والمسهلات والافصاد والعلق وغير ذلك بدون منفعة التجأنا لوضع دعامة ممغطسة فوضعت احدي قطعتيها أمام الحنجرة والاخري على القفا وكانتا لا تحفظان على الجلد الا مدة الليل فمر علي الشخص أسبوعان لم يحصل له فيهما نوبة ثم ظهر الداء بشدة

«ولما تأكسدت الاقراص مغطسناها ثانية فحصل منهما أيضا تخفيف عظيم كالمرة الاولى ثم لم يحصل بعد ذلك من هذا التداوي نفع أصلا

«فالتجأنا لاوراق الداتورة وأمرنا المريض باستنشاق دخانها فنجحت هذه الوسيلة البسيطة نجاحا تاما بحيث أن المريض الذي كان لايقدر على الاضطجاع علي الجانب منذ ستة أشهر لم تحصل له نوبة شديدة واحدة في جملة سنين

« واتفق لعالم ماهر من أصحابنا من أرباب الشرائع ومن المحامين بباريز انه حصل له تخفيف أيضا بوضع دعامة ممغطسة مع ضيق نفس ومع ذلك رجع له مع دوام استعماله تلك الواسطة

« وهناك أمور واقعية ذكرها (أونزير) و (ديمان) و (هرسو) تدل على شدة فعل المغناطيس في الهستريا ولكن نظير ذلك ما يذكرونه من الشفاء الخارق للعادة الذي يحصل للنساء المصابات بهذا الداء من المكث في الجبانات عند المقابر

«فهذا شيء يحوجنا للتشكك في

القصص والأخبار المتعلقة بالنساء الهستريات

« وكذلك ما ذكره كثيرون بوثوق من كثرة الشفاء من الصدع مثل (لنوبل) و (مسمير) و (ديمان) و (هرسو) و (اندريه) و (توريت) و (غيرهم) مع ان أكثر الأمور الواقعية التي ذكروها لم يحقق جيداً فيها التشخيص الاختلافي بين هذا الداء الهائل والآفات الأخر التشخيصية بل لم يؤكد ذلك في الحالة التي تنوع فيها مدة استعمال المغناطيس لأن تجارب (اسكيرول) لم يثبت منها ثبوتا كافيا بأي علاج كان نقص كثرة نشبات الصرع وثقلها أحيانا مدة أشهر

(ثانيا) في الأوجاع العصبية . أكثر استعمال الدعائم المغناطيسية مع النجاح غير المشكوك فيه هو في الأوجاع العصبية الحقيقية. والتجارب التي فعلها في أيامنا هذه (مرجولين) و (لبريتون) و (البير) و (هرتلوب) وغيرهم تؤكد تأكيداً قوياً مستنتجات رسالة اندريه وتوريت فان هذين الأخيرين ذكرا من أمثلتهما الغريبة قصة مريض كان معه منذ سنين مرض عصبي في الزوج الخامس سبب له أوجاعا شديدة مع تشنجات في عضلات الوجه فوضعت له الاقراص المغطسة فتخدرت حالا حساسية الأعصاب وبدوام هذا العلاج انتهي الحال بحصول شفاء وقتي فقط فان النوب ظهرت ثانية وسكنت شدتها بالمغناطيس ففي الحقيقة لا تكون هذه الواسطة العلاجية الا مسكنة

« ومدحوا المغناطيس كثيراً لمضادة الوجع السني ولكن هذه الحالة من الأحوال التي يعسر أن يؤكد فيها هل كانت آلام الاسنان وقتية كما هو الغالب بحيث يعسر ان يجزم بكون الداء شفي بنفسه أو زال بتأثير التداوي

« ومع ذلك فهناك أحوال كثيرة تكون فيها فروع الزوج الخامس المتوزعة في الأسنان مجلساً لوجع عصبي متقطع أو مستديم تطول مدته جملة أشهر

« فقد ذكر اندريه وتوريت قصة شخص كان معه وجع في الاسنان من النوع المذكور ولم يحصل له تخفيف الا بوضع قضيب من حديد ممغطس على السن المتألم ويجب ادامة ذلك الوضع مدة من ٤ دقائق الى ٥ بل أكثر الى ربع ساعة

« ووسائل (كلاريك) وغيره ممن يكتبون عـلى المغناطيس مملوءة بأمور واقعية تثبت خاصة مضادة الوجع السني في المغناطيس الطبيعي والقضبان الممغطسة والدعائم

« وأبرأ الطبيب لبرتون وجعاً عصبياً رحمياً شاقا جداً بوضع ٣ أقراص ممغطسة أحدها على جبل الزهرة والآخران على الاربيتين

« مع ان ذلك الوجع الغير المصحوب بعلامة التهاب فى الرحم قاوم الافصـاد الموضعية والعـامة والحمامات المرخيـة والمستحضرات المخدرة وغير ذلك

و (ثالثا) في الاوجاع الروماتيزمية هذه الاوجاع مهما كان محلهـا عولجت في بعض الاحوال مع المنفعة بالمغناطيس والذين كتبوا في هذا البحث ذكروا أمورا واقعية ولـكنها لا تخلو من شيء من الغلو وذلك انه يلزم أن لا يقطع النظر من أمور كعـدم تأكد مـدة الوجع الروماتيزمي والتأثيرات الصحية الجديدة التي عرضت لها المرضي والاحوال الجوية التي قـد تنوع سير الآفة ولذلك لا تقبل جميـع المستنتجات التي استنتجها المؤلفون الذين سبق ذكرهم فانهم ذكروا انه يحصل منه دائما شفاء غير منازع فيه مع ان هذا الشفاء وقتي يقينا كما هو في معظم أحوال الاوجاع الروماتيزمية

ومن أمثـلة ذلك قصة رئيس من كبار الحربيـين بفرنسـا اشتهرت في أيامنا هذه حالته المحزنة حيث لم يحصل لاوجاعه الروماتيزمية تخفيف الا من وضع الدعائم الممغطسة (أخذناه من المادة الطبية بتصرف)

***

(المغناطيسية الحيوانية) هي قوة خاصة بالانسان شبيهة بالقوة المغناطيسية التي في حجر المغناطيس قيل انها تنتقل من شخص الي شخص ويحـدث له بسبب ذلك نوم يكون فيه تحت ارادة ممغطسه . وهذا هو المعبر عنـه بالنوم المغناطيسى وقد أشبعنا الكلام في هذه المادة في كلمة نوم فليرجع اليها من شاء

﴿ مغنسيوم ﴾ أنظر مانيزيوم

﴿ المغنوليسيا المقبر ﴾ وقد يسمي بالمغنوليا الازرق ومغنوليا المستنقعات وشجر الكستور أي الجنـدبادستر و باللسان النباتي مغنوليا غلوكا واسمه آت

من اسم عالم نبـاتي يدعى مغنول كان موجودا في القرن السابع عشر .

عرف لهـذا النبات الآن نحو ١٨ نوعا والنوع المذكور هنـا هو الأكثر وجوداً ببساتين أوروبا وهو شجر صغير جميل المنظر مفرح يعلو من ١٥ الي ٣٠ قـدما أوراقه متعاقبـة ذنيبيـة بيضيـة بالعرض كاملة خالية من الزغب خضر زاهية من الاعلى ومغبرة بالـكلية من وجهها السفلي وأزهارها بيض وتتصاعـد منها رائحة ذكية جدا لهـا شـبه بزهر البرتقال وثمارها تبلغ من قيراط الى قيراط ونصف

وهذا النبات ينبت بالمحال الرطبـة من جزائر كارولين وورجيني وغيرهما وحمل الي أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وهو الآن يكثر في البساتين ولـكنه صار بالتربية شجيرة كثيرة التفرع تعلو من ٦ أقدام الي ١٠ والمستعمل قشره الذي هو من عطري يسمى احيانا بكينا وورجيني فهو مقو مضاد للحمى ويقرب من قشر العنبر ومن القرفة بسبب أوصافه الحارة والمنبهـة والمعرقـة يعطي في الولايات المتحدة الامريكيـة مع نجـاح عظيم في الاوجاع الروماتيزمية المزمنة وفى الحميات المتقطعة والمترددة ومكثوا مـدة طويلة يعتبرونه قشرا للانجستور الحقيقي قبـل أن يعرف

من أنواع هـذا الجنس مايسـمي بالمغنوليا الكبير الازهار وهو أجمل أنواع هـذا الجنس العظيمة الاعتبار بأمريكا الشمالية بسبب جمال أزهاره الكبيرة الزكية الرائحة وأوراقه اللامعة الثخينة الخضراء الجميـلة من الاعلى والحديدية اللون من الاسفل ينبت بأمريكا من كارولين الي لويزيان وهو شجر يعلو من ٦٠ الي ٨٠ قدما وجذعه قائم اسطواني ينتهي بهرم جميل مخضر وفروعه احاطية وأوراقـه متتالية ذوات ذنيب وطولها من ٨ قراريط الي ١٠ وعرضهـا ٣ بالتقريب وهي بيضيـة بالعرض كاملة منتهية بطرف دقيق جلدية القمة خضر لامعـة من الأعلى وقطنية حديدية اللون من الأسفل ، والأذينات قطنية ولونها زعفراني حديدي وأزهارها انتهائية بيض تنتشر منها رائحة غاية في الذكاء .

وقد دخل هـذا الشجر الجميل في بساتين أوروبا من زمن طويل وقـد ه

تستعمل بزور هذا الشجر في المكسيك مع النجاح علاجاً للشلل

ومن أنواعه مايسمي مغنوليا أقومناتا أي المنتهي بطرف حاد يوجد بأمريكا الشمالية ، أزهاره بيض كبيرة تقرب من أزهار مغنوليا غلوكا وقد يضرب لونها الي الزرقة تنقع هنالك في النبيذ فتجعله ذا مرارة عظيمة فيستعمل منه كوب أو أكواب في الصباح كحافظ من الحميات المتقطعة والآفات الروماتيزمية

ومن أنواعه مغنوليا يولان وهو نوع جميل أصله من الصين ويبلغ طوله هناك من ٣٠ الى ٤٠ قدماً أزهاره بيضاء كبيرة شديدة الرائحة يحفظه الصينيون من البرد في بيوت للحصول علي أزهاره في جميع الفصول ويربون أزرار أزهاره قبل نموها بالخل وتوضع أزهاره في الشاي لاجل تعطيره ويعطون منقوع ثماره في الآفات النزلية لأجل تلطيف السعال وتسهيل النفث ومسحوقها معطس وبزوره المرة كأغلب بزور النباتات المغنولية تستعمل مضادة للحمي

﴿ المقدونس ﴾ هو نبات مشهور جذره معمر عمودي أبيض بسيط وساقه قائمة اسطوانية محززة زغبية متفرعة قليلا وأوراقه جذرية ذنيبية ريشية منتهية بفرد. وريقاته عادمة الذنيب تقرب للشكل القلبي محفوفة الزاوية مسننة عادمة الزغب والاوراق الساقية وريقاتها أطول ومقطعة وأوراق الجزء العلوي كاملة تقرب للخيطية والازهار بيض وعلي هيئة خيمات عارية كالخويمات الصغيرة مركبة من أشعة عددها من ١٢ الى ١٥ تلتوي الى الاعلي والثمر بيضى أملس عادم الزغب منضغط قليلا ومحزز

هذا النوع كثير الوجود جدا في في المحال المخضرة اليابسة وعلى طول الطرق وفى الغابات ويزهر في أواخر الصيف والمستعمل في الطب جذره وهو أبيض رائحته قوية وطعمه مر

وقد وجد فيه بالتحليل الكيماوي دهن أتيري ودقيق وزلال وسكر متبلور وسكر سائل وراتينج ومادة خلاصية وزيت شحمى وحمض خلى وحمض جاوي وحمض تفاحى وكثير من الجوهر الخشبي فالجزء الفعال فيه هو الدهن الاتيري

ويقال انه قابض مقو مشدد للمعدة وأوصوا به لاجل أن يزيل من السنا

طعمهما الـكريه . ويستعمل كالنبات كله والبزور علاجا للالتهاب النخاعي وبحة الصوت والذبحة المخاطيـة وشلل اللسان اذا مضغ

من أنواعه جنس سموه بمبنيلا مجنا أي الكبير ينبت بالغابات الرطبـة من من أوروبا ويحمل أزهارا بيضاء أووردية في صنف ينبت بجبال الالب وجـذره يكون مسودا اذا كان رطبا ويحتوي علي عصارة زرقاء تلون الـكحول

وقد حلل بعضهم هذا الجذر المنبه المستعمل فى الطب البيطري فوجد تركيبه مشابهـا لتركيب النوع السـابق وهو يدخل فى المـاء العام وشراب الخطمية المركب وشراب القونصود الكبير وغير ذلك

وقد شوهد عليه نوع قرمز يحصل منه لون أحمر جميل وهذان النوعان تحب المعز الجبليـة أن تأكلهما لا بسبب رائحتهما فانهما يكادان يكونان بلا رائحة

النوع الاول منهما جـذره أبيض والثاني جذره أسمر وكل منهـما أبيض الزهر جـذرهـما معرق ومفتح ولاحم للجروح ومفتت للحصي ومنظف ومعرق يستعمل من تلك الجذور غرام من مسحوقها و ٨ غرامات من منقوعها

(جذر المقـدونس) يسمى نبات الـكرفس الجبلي أو الصخري . هو أبيض مخروطي فيـه تفرع وغلظه كغلظ الخنصر تعلوه ساق اسطوانية بسيطة من الاسفل ارتفاعها من قـدم ونصف الي قـدمين أوراقهـا مقطعـة ووريقاتهـا مشققة الي فصول حادة تشققا عميقا وأزهارها صغيرة بصفرة وثمارها بيضية فيها طول وخطوط مستطيلة تكاد لا تشاهد

هذا النبات سنوي أو ذوسنتين ينبت في المحال التى فيها عقم

رائحة هذا النبات قوية خاصة به ولا سيما اذا دق و بزوره شديدة العطرية يستخرج منها دهن طيار يتجمد بسهولة والمستعمل منه جذوره وأوراقه وثماره

ولا يخفي استعمال أوراقه في الاطعمة كالـكزبرة الخضراء حيث يكونان من توابلها وتدخل في السلطات وكثـيرا ما تدخل في طب العامة لانهـم يظنونهـا لاحمة للجروح فيضعونها عـلي الاجزاء المرضوضة

ويحصل من خاصتها المحلله نتيجة

حميدة بخلاف ماإذا وضعت على الجروح فانها تؤذيها لسكونها تلهب شفتي الجروح فتكون كجسم غريب يمنع الالتحام

وذكر بعض الأطباء انه يحلل قرص الناموس والنمل ويوضع أيضا على الثديين لازالة الاحتقان اللبني كما يستعمل أيضا في احتقانات غيرها من الغدد وتستعمل عصارته من ٤ أواق الى ٦ وقت شدة الحمي المتقطعة باعتبار انها مضادة للحمي

ويستعمل مطبوخ النبات نفسه في الجدري . وجذر المقدونس مدر للبول معرق وظنوه مفتتا لحصى المثانة ولكنه الآن قد هجر استعماله في جميع ذلك . وهو أحد الجذور الخمسة الشديدة التفتيح كما ان بزره أحد الابزار الاربعة الخفيفة الحرارة

أوصى بعض العلماء بالدهن الطيار للمقدونس في البليوراجيا ولا سيما الحادة والسيلان الكثير بمقدار من نقطتين الى ثلاث نقط في اليوم في كوب من ماء ويزاد المقدار تدريجاً وذكروا انه ينجح بالاكثر اذا استعصي الداء على الوسائط الأخري المستعملة

وذكر أطباء العرب ان هذا النبات حار قطاع ولذا يحدث البول والطمث كثيراً ويحل النفخ ويذهبه

وفي ديسقوريدس انه يدر ويوافق نفخ المعدة والمغص . واذا شرب وافق أيضاً وجع الجنب والكلي والمثانة وقد يقع في اخلاط الأدوية المدرة للبول وفي بعض المركبات

(مقداره في الاستعمال) يستعمل مطبوخه المصنوع بمقدار من ١٥ الي ٣٠ غراماً بل الى ٦٠ غراماً للتر من الماء

وماؤه المقطر يستعمل بمقدار من ٣٠ الى ١٠٠ غرام وعصارته المأخوذة بالعصر من ٣٠ الى ٦٠ غراماً ويستعمل من الظاهر ماؤه المقطر غسلات بمقدار كاف في الأمراض الحشرية اي التي تنمو فيها الحشرات كالقمل وغيره في جسم المرضي وتصنع ضمادات من اوراقه الرطبة

وهناك نبات ينسب لجنس آخر من هذه الفصيلة نفسها يسمى المقدونس المقدوني اوالكرفس المقدوني ينبت ببلاد اليونان ومقدونيا وبلاد المشرق بزوره صغيرة مستطيلة سنجابية زغبية جداً

منتهية بقرنين قصيرين وهي ملساء ويعلوها مهابل وعطرية اذا كانت رطبة وقد اعتبروها مدرة للبول وللطمث وطاردة للريح وغير ذلك وتدخل في الترياق ولكن ترك استعمالها . وذكروا ان أوراق هذا النبات عطرية اذا وضعت في الملابس منعت تسلط السوس والديدان عليها

وبالجملة خواصه كخواص المقدونس المعروف فهو أيضا مضاد خفيف للحمى وهو مثله مناسب في الاحتقانات الحشوية البطنية والاستسقاء واليرقان والسيلانات البيض وبعض الاحتباسات الدموية الناشئة من الضعف

﴿ مقدونس الابل ﴾ هو نبات يعرف منه ٨ أو ٩ أنواع له ساق متفرعة تعلو من قدمين الي ثلاث أقدام وهي عادمة الزغب ملساء أوراقها ثلاثية التريش متقطعة تقطيعاً كثيراً وأزهارها بيضاء تظهر في يوليه وأغسطس

ولعل هذا النبات هو المسمى عند العرب اآطريلال وهو اسم بربري اي بلغة بربر بلاد المغرب .

قال ابن البيطار وهذا النبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان

وانما سمي برجل الغراب لأن ورقه يشبه أرجل هذا الطير وتسميته بجزر الشيطان لمشابهة ورقه لورق الجزر

قال أطباء العرب الأآطريلال ينبت بالمواضع السمحة الحارة المزاج والمعتدلة بالاراضي المعمورة بالزرع ويشبه الشبث في ساقه وقدره الا أن زهره أبيض ويخلف حباً صغيراً مستطيلا دقيقا محمراً مشرباً بغبرة وهو حاد المذاق يحس بالحرارة عند مضغه وذلك الحب أصفر من حب المقدونس وأكبر من بزر الخلة وفيه حرافة ومرارة يسيرة يظهران في اللسان عند مضغه واذا أخذ منه غصن طري ووضع علي مستوي من الارض أشبه رجل الطير في أصابعه المقدمة والمؤخرة وهو من النبات الربيعي يدرك في شمس الجوزاء بأرضنا وهو شديد الحرارة مع يبس

وذكروا للبزر منافع جليلة في ازالة البهق والوضح أي البرص وأول شهرة منفعته في ذلك كان بالمغرب الاوسط كما قال ابن البيطار في جهات من أعمال بجاية وكان الناس يقصدون أهالي تلك

البلاد لمداواة هذا المرض وهم يخفون هذا الدواء عنهم ولا يعلمون به الا خلفا عن سلف الي ان أظهره الله تعالي عـلى يد بعضهم فأشهر ذكره وعرف عظيم نفعه فكان يستعمل مفـرداً أو مع جزء منه ربع جزء من العـاقر قرحاً ويلعق ذلك بالعسل او يخلط غرام ونصف غرام منه مع غرام من ورق السـذاب وغرام من سلخ الحية ويسحق الكل ويشرب منه على قدر العلة والقوة وتقادم المرض ومكانه من درهم الى ٣ دراهم بجملته مع عسل منزوع الرغوة ١٥ يوماً فيحصـل البرء بعـد تنقيه البـدن ويقعد شـاربه في شمس حارة صيفية ويكشف المواضع البرصة لاغير فانه حينئذ يخرج منها ماء أصفر بعـد ما يتنفط الجلد وهـذه علامة البرء ومدة مكثه في الشمس ساعة أو ساعتان حـتى يعرق فان الطبيعة تدفـع الداء باذن خالقها الي سطح البدن فيتنفط منها ولا يصيب شيئا من المواضع السليمة أصلا فاذا انفقأت تلك النفاخات وسال منها ماء ابيض مائل الى الصفرة قليـلا فليترك الشرب حينئذ الى تبـديل تلك القروح بعـد علاجها بالمراهم اللاحـمة والمبردة ان احتيج حتي يرجع الجلد للونه الطبيعي

وهذا الداء يسرع فعله في المواضع اللحميـة ويبطئ في المواضع العصبيـة والقريبة للعظم

قال ابن البيطار وقد جربته غـير مرة فحمدت أثره وهو سر عجيب في هذا المرض

وقد رأيت تأثيره مختلفا ففي عامين يسرع فيه انفعاله من أول دفعة من شربه أو دفعتـين وفي بعض اكثر من ذلك ولا يزال يسقي منه ويقعد في الشمس مرة وثانية وثالثة الي ان ينفعل بدنه ويتبين صلاحه بعد تقديم ما يجب تقديمه من استفراغ الخلط الموجب لهذا المرض في أيام الصيف أو في وقت تكون الشمس فيه حارة ودرهم منـه يسكن المغص حالا كما قال الزهراوي مجرب

وقال ابن البيطـار زعم الشريف ان الأطريلال هذا هو احد انواع النبات المسمى باليونانية دوقس وليس هو كذلك فاعلمه . انتهي من المادة الطبية

﴿ مقدونيا ﴾ هي قطر من أوروبا واقع في شمال البلاد اليونانيـة مساحتـه

(٩٤٠٠٠) كيلو متر مربع كان فيه غابات عظيمة قطع العثمانيون اكثرها وفيه مراع ثمينة و يستخرج منه صوف وجلود . وفيه كروم وفواكه

ومنه الجهات المسماة سهول سرس ولاغوس فى غاية الخصوبة ، تنبت الحبوب والقطن. وقد بلغ مقدار ما يستخرج منها سنويا من القطن خمسة ملايين كيلو غرام . وفيه تبغ كثير فان ثمن أرضها ينبته فيستعمل منه ربح عظيم .

و ينبت فيه شجر الافيون أيضا

أما الصنائع في هذا القطر فقليلة فلا يصنع فيه غير السجاجيد والحلى الكاذبة . والطرق فيه غير منتظمة .

وهو مجال التنازع والتقاتل بين الشعوب البلقانية . فان فيه يونانا في جنوبه ، و بلغارا في شماله ، وصر بيين حول اسكوب وأتراك وافلاخيون على هضبة كوبرول ، والبانيون في غربه ، و يهود في سلانيك ، ولذلك لاتنقطع المنازعات فيه بين البلغاريين واليونانين لاجل نشر اللغة

و بلاده الشهيرة موناستير . وفي بسلانيك ينتهي الخط الحديدي الواصل من فيينا . عدد أهله (٢٩٧٣٠٠٠) نسمة

اشتهرت مقدونيا في زمن الاسكندر الاكبر ومدت نفوذها على جميع بلاد اليونان وممالك شاسعة من آسيا ثم صارت ايالة رومانية سنة (١٦٨) ثم فتحها العثمانيون في القرن الخامس عشر ولما حدثت الحرب البلقانية سنة (١٩١٣) التى اتحدت فيها بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الاسود على الدولة العثمانية خرج هذا القطر من حكم هذه الدولة وانقسم بين بلغاريا واليونان وصربيا

ثم لما حدثت الحرب العامة سنة (١٩١٤) اضطربت مقدنيا فاحتل الحلفاء سالونيك وهم لا يزالون فيها الي الآن ولا يفصل في أمرها الا بعد حصول الحرب العامة

﴿ المقريزي ﴾ هو تقي الدين أحمد ابن علي بن عبد القادر ولد سنة (٧٦٦) أصله من بعلبك وقطن مصر ونشأ بالقاهرة وكان مولعا بالتاريخ

من مؤلفاته فيه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) وله (أمتاع الاسماع) في ستة مجلدات الخ

توفى سنة (٨٤٥)

﴿ مقع ﴾ امتقع لونه تغير من فزع أوحزن

﴿ مقله ﴾ يمقله مقلا نظر اليه . و (المقلة) شحمة العين التى تجمع السواد والبياض أو الحدقة وحدها

﴿ ابن مقلة ﴾ هو أبو علي محمد بن الحسين بن مقلة الوزير المشهور

كان في أول أمره يتولي بعض الولايات ببلاد الفرس ويجني خراجها وتنقلت به المناصب الي أن ولى الوزارة للامام المقتدر بالله سنة (٣١٦) ثم نقم عليه ونفاه الى بلاد الفرس سنة (٣١٨) بعد ان صادره

ثم لما ولى الامام القاهر استوزره فأرسل اليه في بلاد الفرس رسولا يجئ به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس سنة (٣٢٠) وخلع عليه ولم يزل وزيره حتي اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر سنة (٣٢١)

ولما ولي الراضي سنة (٣٢٢) استوزره وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا علي أمور الراضي وكان بينه وبين ابن مقلة الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير قبضوا عليه وان الخليفة لايخالفهم في ذلك وربما سره هذا الامر

فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا الى الراضي يعرفونه صورة الحال وعددوا له ذنوبا وأسبابا تقتضي ذلك

فأستصوب الخليفة رأيهم فيما فعلوه وكان ذلك سنة (٣٢٤) واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى عبد الرحمن بن عيسي بن داود بن الجراح فقلده الراضى الوزارة وسلمه الوزير بن مقلة فضربه بالمقارع وجري له من المكاره بالتعليق والعقوبات شيء كثير وأخذ عليه صكا بألف ألف دينار (أي مليون دينار) وأطلقه

فمكث الوزير ابن مقلة في داره بلا عمل

ثم ان أبا بكر محمد بن رائق استولي على الخلافة وخرج عليها فأنفذ اليه الراضى واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أميراً للأمراء ورد عليه تدبير أعمال

الخراج والضياع في جميع النواحي وأمر ان يخطب له على جميع المنابر فقوي أمره وعظم وتصرف على حسب اختياره واحتاط على أعمال ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين فحضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لهما في الافراج عن املاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد

فلما رأي ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الي الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاث مئة الف الف دينار (أي ثلاث مئة مليون) وكانت مكاتبته على يد علي بن هرون المنجم القديم فأطمعه الراضي بالاجابة الى ماسأل وترددت الرسائل بينهما في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على ان ينحدر اليه سراً ويقيم عنده الى ان يتم التدبير فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لأن القمر كما يقولون يكون تحت الشعاع وهو يصلح للأمور المستورة فيما يزعم المنجمون فلما وصل الى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غده الى ابن رائق وأخبره بما جري وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المراسلات في ذلك

فلما كان رابع عشر شوال سنة (٣٢٦) أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمني التى كتب بها تلك المطالعة

فلما انتهي كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمني ورد الى محبسه

ثم ندم الراضي علي ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى بريء

قال أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته :

كنت اذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسن فأعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص

فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه

وخاتمة القطوع . فينشدني ويقول

اذا ما مات بعضك فابك بعضا

فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل للراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد لا يمنع الوزارة

وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به

ولما قدم بحكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء لنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة و بفمه أخرى

وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله :

ماسئمت الحياة ولكن توثقـ

ـت بايمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياي حتى

حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي

حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش

ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب اليه أيضا :

لست ذا زلة اذا عضني الدهـ

ـر ولا شامخا اذا واتاني

أنا نار فى مرتقي نفس الحا

سد ماء جارٍ مع الاخوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزل للوزراء حيض

لحاه الله من أمر بغيض

ولكن الوزير أبا علي

من اللائي يئسن من المحيض

ومن شعره أيضا ماقاله الثعالبي في يتيمة الدهر :

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة

فى شامخ من عزه المترفع

قالت لى النفس العروف بقدرها

ما كان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة (٣٢٨) ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله . وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة (٢٧٢) ببغداد .

قيل ان الوزير ابن مقلة المذكور أول من صور الخط العربي بهذه الطريقة وكان قبل ذلك يكتب بطريقة الخط الكوفي .

وقيل بل الذي نقل الخط الى هذه الصورة هو أخوه .

وقد تبع ابن البواب طريقته ونهج اسلوبه .

ولابن مقلة الفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : « اذا أحببت تهالكت، واذا أبغضت أهلكت ، واذا رضيت آثرت ، واذا غضبت أثرت »

ومن كلامه أيضا : « يعجبني من يقول الشعر تأدبا لاتكسبا ، ويتعاطي الغناء تطربا لاتطلبا » وله كل معني مليح في النظم والنثر

وكان ابن الرومي الشاعر المشهور بمدحه . فمن معانيه الغريبة فيه قوله :

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يعادله
مازال يتبع مايجري به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت
ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه عبد الله الحسن بن على ابن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح انه الذي نقل الخط العربي من الاسلوب الكوفي الي الاسلوب الحالي كما قدمنا وقد ولد يوم الاربعاء سلخ شهر رمضان سنة (٢٦٨) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة (٣٣٨)

وأما ابن رائق المذكور هنا فان الحافظ ابن عساكر ذكر فى تاريخ الامام المقتفي بالله انه ولاه أمر دمشق واخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيدي ثم توجه الى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الأخشيدي فهزمه الاخشيدي فرجع الى دمشق وتوجه الي بغداد . وقتل بالموصل سنة (٣٣٠) وقيل ان بني حمدان قتلوه بالموصل . قتله ناصر الدولة الحسن

المقل هو صمغ راتينجي يأتي من الهند و بلاد العرب وكان معروفا عند القدماء باسم بادليوم ولم يعلم جيداً الشجر المنتج له

قال بعضهم انه ناتج من شجر يوجد فى باتراس في الشمال الشرقي من بلاد الفرس

وذلك الشجر مسود في عظم الزيتون وأوراقه تشبه أوراق البلوط وثمره كثمر البري ، والمقل يشاهد رشحه من قشره كما يشاهد من ثمره

وذكر بعض آخر ان المقل عصارة شجر نخلي

وذكر آخرون ان المقل خلاصة من ثمر نخل يسمى لانطالوس دومستيكا

وهذا الرأي مردود فانه يستحيل ان صمغاً راتينجياً على شكل حبوب وكتل يكون خلاصة ثمر ما كول

وبما انه يوجد أحيانا مع الصمغ العربي فيكون هناك وجه للظن بأنه ناتج من الأقاقيا

وظن أيضا انه ناتج من جنس السذاب

وظن العالم (لامارك) ظنا قريبا للعقل انه من جنس أميرس

وذكر بعضهم انه شاهد بأفريقا الشجر الذي يأتي منه المقل وأكد انه شوكي وانه يسمى عند الأهالى نيطوط ويعملون من شوكه مناقيش للأسنان ولم يزد علي ذلك شيئا

وقال الأستاذ ميريه ان (بيروتيت) الذي مكث زمنا طويلا فى السنغال شاهد (نيطوط) الذي هو النبات المجهز للمقل عند اديسون وهو آيدولوسيا أفريقانا عند ريشار

وهو شجر من الفصيلة التربنتينية وينتج منه صمغ راتينجى وذلك يبطل جميع الافتراضات التي ذكرت في أصل هذا الجوهر

والنوع الثاني للمقل الموجود في المتجر هو النوع الآتي من الهند وهو يوجد في المر وبسبب ذلك سمى مر الهند انتهى

هذا النبات هو الذي نعول عليه الآن بعد اضطراب كلام القدماء فيه ونظن انه هو المجزوم به الآن

وقال بعض أطباء العرب : المقل عند الاطلاق يراد به صمغ أي صمغ راتينجي فان كان الى الحمرة والمرارة فالمقل الازرق أو الى الصفرة فمقل اليهود وكلا النوعين صمغ شجر كالكندر بأرض الشحر وعمان يعظم جداً ، أو الي غبرة وسواد فهو الصقلي وكثيراً مايجلب هذا من المغرب .

(صفاته الطبيعية) يوجد بالمتجر

نوعان من المقل الاول يكون على شكل دموع أي حبوب مستديرة مترا كمة بعضها على بعض في حجم البندق ونحوه ولونه أحمر معتم نصف شفاف لزج السطح سهل الكسر ومكسره شمعي قشري وليس له رائحة خاصة وان كان فيه بعض عطرية وطعمه مر ويتكسر في الفم اكثر من كونه يلين فيه ، ويبقى فيه فضلة كبيرة لينة وهي الجزء الراتينجى والثاني يكون كتلا حمراء مسودة معتمة لامعة السطح كأنها مذابة ورائحتها وطعمها كالسابق وذلك هو الاكثر وجودا في بيوت الادوية وكثيرا مايوجد فيها أجسام غريبة ملتصقة بها . واذا حرق المقل انتشرت منه رائحة مقبولة وبسبب ذلك استعمل تبخيرا في آفات الرحم في التقلصات ونحو ذلك

وفى ابن البيطار عن ديسقوريدس ان أجوده ما كان مرا صافي اللون كأنه الغراء المتخذ من جلود البقر وباطنه علك لزوقي سريع الانحلال لايخالطه شيء من خشب ولا وسخ واذا بخر به كان طيب الرائحة شبيها بالاظفار أي أظفار الطيب

وقد يوجد منه ماهو اسود وسخ غليظ كبير الحجم ورائحته كرائحة الدارشيشعان يؤتي به من بلاد الهند من البلاد التى يقال لها باتراس شبيه بالراتينج وقريب من لون الباذنجان وهو ثان بعد الجيد في قوته

ونقل أيضا عن جالينوس ان المقل نوعان أحدهما صقلي وهو أشد سوادا وألين من النوع الآخر وقوته ملينة وعمله بهذه القوة بليغ والآخر عربي أيبس من الاول وقوته أشد تجفيفا

وما كان من هذا المقل حديثا رطبا ويلين اذا عجن باليد فعمله مثل عمل المقل الصقلي

وكلما عتق وحدث في طعمه مرار شديد وصار حارا حريفا يابسا فقد خرج عن طبقة اعتدال الادوية الملينة للاورام الصلبة

وقال (درفول) من المتأخرين المقل نوعان الاول مقل افريقا وهو كتل أوحبوب مستديرة مخضرة مكسرها وسخ شمعى والرائحة عطرية والطعم حريف وكثير ما يحتوي على قطع من الصمغ العربي .

والثاني مقل الهند له شبه عظيم بالمر ولذا يسمى بالمر الهندي

وقال (بوشارداه) ومقل الهند أشد عطرية وحرافة ومرارة ويباع باسم مر الهند وذكر (جيبور) للمقل نوعا سماه بالمعتم

ومن العرب من يميزه الى ثلاثة أنواع هندي وعربي وصقلي

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ٥٩ر٠ من الراتينج و٩ر٢ من الصمغ و٣٠ر٦ من باصورين و١ر٢ من دهن طيار وأجزاء مفقودة ومغلاه في الماء يعطي لونا كخضرة البحر أي أخضر مبيضا.

أما الكحول فيتلون منه بالحمرة وماؤه المقطر يحتوي على عطريته

(خواصه الدوائية) يقال ان المقل فيه جميع خواص المر ورأي كثير من المؤلفين تشابه هذين الجوهرين بحيث يصح ان يسمي المقل (أمبرا امبرفكتا) أي المر الغير الكامل والآن قل استعمال الاوروبيين له بعد ان كان مشهوراً بكونه مفتحاً للسدد طارداً للسعال مدراً للطمث مضاداً للتشنج قابضا

وعالج به هوفمان كثيراً من قروح الرئة وغيرهما من الأحشاء

وكان مستعملا أيضا من الظاهر كدواء محلل وذلك هو العلاج الوحيد المستعمل احيانا

ويدخل هذا الجوهر في (مثروديطوس) وحبوب الحنظل ولصوق الحشائش والدياخلون المصمغ واللصوق الالهي وغير ذلك .

واتسع أطباء العرب فى ذكر خواصه ونقلوا كلام القدماء فيه وزادوا عليه كثيراً من تجرباتهم وكانوا يرون ان المقل العربي يفتت الحصى المتولد فى الكليتين اذا شرب ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة ويطردها

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوته مسخنة ملينة فاذا احتمل اوتبخر به فتح الرحم المنضم وجذب الجنين وكل رطوبة

واذا شرب منه من به سعال او نهشة شئ من الهوام نفع من ذلك كما ينفع من وجع الجنب والكزاز والرياح . وقد يقع فى اخلاط

وعن الرازي انه ينفع من الطواعين وعن أبي جريج فيه حدة فينفع الجراحات اذا خلط بمراهمها ويدمل الخنازير

واذا طلي بالخل على السعفة أبرأها

وعن حنين وغيره انه يحلل الدم الجامد والاورام الداخلة شربا بمطبوخ ، والاورام الخارجة فى الاعضاء ضمادا

واذا خلط بالادوية الحادة المسهلة قمع حدتها ونفع من سحج الامعاء والاضرار بها

وعن ابن سينا ينفع من وجع قصبة الرئة وأورامها ومن السعال المزمن وينقي الرحم وينفع من البواسير شربا وتدخينا

وقيل ينفع من جميع السموم . واذا ضمدت به الاورام البلغمية الصلبة حللها واذا وضع ذلك علي قيلة المـاء نفعها فى جميع الاسنان ، أو علي قيلة اللحم في الصبيان خاصة أضمرها سواء كان معجونا برغوة الباقلا أو بلعاب الصائم حتي يصير كالمرهم

واذا سحق وخلط بنخالة القمح وتكون النخالة ثلاثة أمثاله وطبخ برب العنب وعرك بشيء من السمن ثم وضع على أورام النغانغ حللها مجرب

(المقدار للاستعمال) مقدار استعماله من الباطن من عشر قمحات الي ٤٨ قمحة . وبالجملة مقاديره واستعمالاته كالمر

(تنبيه) يطلق المقل عند العرب على ثمر شجر الدوم بل على الشجر نفسه المخرج للثمر فيقال لذلك الثمر مقل مكي لكونه يوجد بمكة

قال ابن واقد المقل المكي ثمر الدوم وهو ينضج بمكة ويؤكل خارجها مع اللذة

أما بالاندلس فلا ينضج بل يكون كثير العفوصة قليل المائية خشنا جداً عسراً قابضا يعقل البطن ويقوي المعدة

وليف المقل اذا حرق وغسل به البدن منع الجرب والحكة وولد القمل

وقال داوود يطلق المقل على شجر كالنخل فثمره رطباً يسمى النهس ويابساً الدقل وليفه هو المعروف بالمسد وهذا المقل المكي يؤكل في المجاعات

﴿ المقوقس ﴾ طائر مطوق . وهو أيضا لقب جريح بن مينا القبطي كبير القبط علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم .

كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الي المقوقس عظيم القبط

سلام علي من اتبع الهدي .

(أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فعليك اثم القبط ، يا أهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

فكتب اليه المقوقس :

« بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط

(أما بعد) فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن انه يخرج من الشام

وقد أكرمت رسولك و بعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم و بكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها »

فتح عمرو بن العاص مصر في زمن هذا الزعيم واتفق معه على الجزية فأغاظ ذلك قيصر الرومان وأرسل اليه يوبخه و يسفه رأيه و بعث الجيوش لمحاربة عمرو بن العاص فكان يساعد المسلمين على أعدائهم بالمؤونة حتي لا يقهروا فيعود الرومانيون عليه وعلى قومه بأشد مما كانوا حتي تم أمر عمرو بن العاص فكان له يد لا تنكر في دخول العرب الى مصر

وانما فعل المقوقس ذلك لأن الرومانيين كانوا يسومون القبط سوء العذاب و يضطهدونهم لأجل دينهم حتى قتلوا منهم مرة نحو ثماني مئة ألف نسمة وهي مجزرة من أشنع مجازر التاريخ كما فصلنا ذلك في كلمة (قبط) فليرجع اليها من شاء

ومن أراد استقصاء خبر المقوقس فليراجع تاريخ مصر في كلمتي (عمرو بن العاص) و (مصر)

﴿ مكث ﴾ بالمكان يمكث مكثا أقام به والاسم المكث . و (تمكّث) تلبّث

﴿ مكر ﴾ به يمكر مكرا خدعه . و (ماكره) خادعه . و (المكّار) الكثير المكر

﴿ مكران ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : هي ناحية واسعة عريضة يغلب عليها المفاوز والضر والقحط . من أكبر مدنها (القيربون) ومدينتها (راسك) ووصفها غيره باشتمالها

على مدن وقري وعلى معدن (الفانيز) وهو نوع من الحلي ومنها يحمل الى جميع البلاد وأجوده الماسكاني ، والماسكان احدي مدنها . وهذه الولاية غربها كرمان ، وسجستان شمالها ، والبحر جنوبها

وجاء في القاموس الجغرافي التركي أما بلاد مكران فهي قسم من بلاد بلوخستان واقع على ساحل خليج عمان يبلغ امتداده من الشرق الى الغرب ٧٨٠ كيلومتراً وهي بلاد جبلية بلحها مشهور ومقر واليها مدينة (كج)

﴿ مكس ﴾ الرجل يمكِس مكْسا جبي مالا فهو (مكاس) و (مكّس فلانا) ظلمه . و (ماكسه في البيع) استحطه الثمن . و (ماكسه) شاكسه و (المكْس) ما يأخذه المكاس

﴿ مكس ﴾ قال ياقوت الحموي : هو موضع بأرمينية من ناحية البسفرجان قرب قاليقلا

﴿ مكسيكا ﴾ هي جمهورية بأمريكا الشمالية ، تحد شمالا بالولايات المتحدة ، وشرقا بالمحيط الاطلانطيقي (خليج مكسيكا وبحر انتيلا) ، وجنوبا وغربا بالمحيط الهادي

أرض مكسيكا عبارة عن هضبة واسعة متوسط ارتفاعها (١٥٠٠) متر تقطعها سلاسل من الجبال طويلة تتجه من الشمال الغربي الي الجنوب الشرقي . وتشتمل تلك الهضبة في وسطها على صحار قاحلة رملية وعدة بحيرات مالحة تصب فيها بعض النهيرات وعلى بعض الاريضات التي تغشى شمالها . أما وسطها الذي تمتد فيه هضبة (اناهواك) وتعلوها من جهة جنوبها هضبة مكسيكا الي ارتفاع (٢٣٠٠) متر فهى هضبة كثيرة البراكين . والجبال الثلجية . وتفصلها عن هضبة أمريكا الوسطي سهول برزخ تيووانتبيك .

وأما سواحل مكسيكا فضيقة منحطة كثيرة المستنقعات والبحيرات التي أشهرها بحيرة ترمينوس الكائنة جنوب خليج (كمبيش)

يمكن تقسيم أرض مكسيكا من حيث جوها الى ثلاثة أقسام (أولا) الاقاليم الباردة أو الهضاب العالية وهي صحية خصبة . ولكن فيها جفاف شديد يضر

نمو المزرعات

(ثانياً) الأقاليم المعتدلة وتشغل منحدرات الجبال من ارتفاع ١٥٠٠ متر وهي أقاليم خصبة تنتج مثل الأقاليم السابقة مزروعات مختلفة كمزروعات أوروبا

(ثالثا) الاقاليم الحارة وتشتمل على السواحل وسفوح الجبال الي ارتفاع ٦٠٠ متر وهي أقاليم موبوءة كثيرة الحميات وخصوصا الحمى الصفراء . والسهول الشرقية رطبة ولذلك درجة انباتها قوية وأما السواحل الغربية فجافة يزرع فيها قصب السكر والبن والنيلاء والذرة والفواكه بأنواعها

مساحة المكسيك (١٩٥٠٠٠٠) كيلومتر مربع وسكانها (١٣٤٤٥٤٦٢) وعدد السكان النسبي اكثر من ٦ في كل كيلو متر مربع

يتألف سكانها من أكثر من مليون من الجنس الابيض وهم من ذراري الاسبانيين الذين نزحوا الى تلك البلاد مستعمرين وحكموا في الازمان الغابرة وهو عنصر له سلطة في تلك البلاد ومنه المتمولون . وفيها اكثر من أربعة ملايين من الهنود الامريكيين بعضهم وهم (الاستيك)الذين تهذبوا وتحضروا ومعظمهم من الزراعين . والبعض الآخر لم يزل على حال الوحشية والوثنية وفيها أخلاط من الاجناس الاخري . وفيها زنوج كانوا أرقاء وصاروا الآن أحرارا .

يدين المكسيكيون بالمذهب الكاتوليكي المسيحي ويتكلم معظمهم باللغة الاسبانية ماعدا بعض الهنود فانهم لايزالون يتكلمون بلغتهم الاصلية

المعارف في المكسيك متأخرة جدا حتى ان اكثر أهلها ليغلب عليهم الجهل وتسود فيهم الخرافات ولكن فيهم فئة متعلمة مهذبة

حكومتها جمهورية تعاهدية مؤلفة من ٢٧ جمهورية يحكمها رئيس ولها مجلسان مجلس نواب تنتخب أعضاءه الأمة ، ومجلس شيوخ تنتخب أعضاءه الجمهوريات ولكل جمهورية فى كل منهما عضوان

جيشها البري يبلغ عدده وقت السلم ٢٧٠٠٠ الف جندي وفي وقت الحرب يمكن ابلاغه الي نحو مليون جندي ولكن المدار في جمع هذه العدد يتعلق بووجود

الاسلحة والذخائر الحربية والضباط المتخرجين من المدارس . وأما سفنها الحربية فقليلة جدا

مالية المكسيك مختلة وهي في عجز مستمر وأهل البلاد في غاية الفقر ويبلغ ايراد الحكومة نحو عشرة ملايين جنيه ونفقاتها تزيد على ذلك . وتبلغ ديونها أكثر من ١٥ مليونا من الجنيهات

تنقسم مكسيكا الى ٢٧ جمهورية صغيرة مستقلة فى ادارتها الداخلية وعاصمتها مكسيكو عدد أهلها ٣٥٠٠٠٠ نسمة وهي قائمة على هضبة عالية تغشاها البراكين وهي في موضع جميل فيها معامل للصابون ومشهورة بصناعة الحلي والسروج

من أشهر مدن المكسيك (بويبلا) عدد أهلها نحو ١٥٠٠٠٠ نفس وهي مدينة محصنة تكثر بها صناعة الاواني الخزفية

ثم يلي هاتين المدينتين مدينة (جوانا جواتو) مشهورة بمناجم الفضة التي تعتبر أغزر مناجم العالم

ويليها مدينة (سان لويز بوتوزي) كانت مشهورة بغناها بتلك المناجم الفضية

ويأتي بعدها (جوادالاجارا) عدد أهلها نحو ١٢٠٠٠٠ نسمة وهي مشهورة بعمل الاواني الفخارية والسجاد

وبعدها (فيرا كروز) يسكنها نحو (٣٥٠٠٠) نسمة وهي ميناء على خليج المكسيك لها علاقة كبيرة مع أوروبا ورديئة الهواء

ويعقبها (تامبيكو) وهي ميناء علي الخليج المذكور . و (كمبيش) علي الخليج المسمي باسمها ومنها يصدر كثير من خشب الصباغة . و (مريدا) وهي مع سابقتها في شبه جزيرة (يوقاطان) . و (اكابلكو) وهي ميناء جيدة الهواء علي المحيط الهادي ومرسى للسفن الذاهبة من بناما الى سان فرنسيسكو . و (شيهواهوا) و (مونتيري) و (فيكتوريا) و (دورانجو) و (زاكتيكاس) و (موريليا) و (جاكا) و (سان كريستوبال) وكلها عواصم لبعض الجمهوريات

(جغرافيتها الاقتصادية) أرض المكسيك وان كانت خصبة الا ان الزراعة فيها منحطة بسبب عدم الأمن وقلة الطرق العامة والسكك الحديدية وقلة

المياه وكثرة المنازعات الأهلية . والصناعة فيها تكاد تكون معدومة

ولكن أخذت المكسيك بعد تكوين جمهوريتها تتقدم شيئا فشيئا فيزرع فيها الآن الذرة والقمح والكاكاو وقصب السكر والتبغ والسحلب

ويكثر فيها اللوز والصبر وخشب الآبنوس وخشب الصباغة وشجر التوت الذي يربي عليه دود القز

حيواناتها الأهلية من الثيران والأغنام كثيرة وخيولها التى استجلبت من القدم من اسبانيا جمه . ولكن تلك الحيوانات هائمة فى أقاليمها الشمالية على الحالة الوحشية

جبالها غنية بالمعادن فمنها تستخرج الفضة بكثرة ويكثر فيها الذهب والنحاس والزئبق والفحم الحجري والكبريت والحديد . ولكن الاهمال جعل كل هذه الثروة لاتزال كامنة في باطن الأرض

تجارتها الداخلية كاسدة لعدم الأمن العام وعدم كفاية الطرق ووعورة الأرض وعدم وجود أنهار قابلة للملاحة وقلة خطوطها الحديدية

وتجارتها الخارجية قليلة أيضا ومعظم ما يصدر منها هو الذهب والفضة والجلود وخشب الصباغة وبعض الحاصلات الزراعية

ويرد اليها من الخارج جميع أنواع البضائع واكثر معاملاتها التجارية مع انجلترة والولايات المتحدة ثم فرنسا والمانيا واسبانيا وكاومبيا

بلغ مقدار ما أنتجته من الفضة في سنة (١٨٩٠) ٩٢٣٧٠ كيلو غراما . وبلغ ما أنتجته من الذهب ١١٠٥٤ كيلو غراما

بلغت صادراتها في سنة (١٩٠١) ماقيمته ١١٧٢٢٦٣٢٨ دولارا من الفضة وبلغت صادراتها لانجلترة ١٢٠٣٣٠٧٧ ولفرنسا ٢٨٢٤٣٠٣ ولالمانيا ٥٠١٨٤٦٤ ولاسبانيا ١١٨٧٧١٤ فيكون مجموع ذلك ١٤٨٦٥٦٣٥٨ منهم ٩٧٩٢٤٤٩٨ قيمة للمعادن و ٣٦١٤٩١١٠ ثمنا للمواد النباتية

بلغ عدد السفن التى دخلت موانيها في سنة (١٩٠٠) ١٥٤١ حمولتها سفينة ٢٢٤٥١٦٦ طن منها ٨٤١٩١٩ طن أتت من انجلترة

فرنسا تورد للمكسيك المنسوجات الصوفية والمنسوجات والاقمشة القطنية

والساعات

(تاريخ المكسيك) لا نعرف شيئاً كثيراً عن الحوادث التاريخية التى توالت على المكسيك قبل الفتح الاسبانيولي في القرن الخامس عشر. وليس لدينا من الأسانيد التاريخية الا ما يرويه أهل البلاد في أقاصيصهم وما سلم من المخطوطات من الحريق الذي أمر به أول أسقف للمكسيك فانه لكراهته لديانة المكسيكيين أراد حملهم علي المسيحية بشئ من القهر فأمر باحراق جميع أساطيرهم فضاعت بضياعها جميع معالم تاريخهم

كل الذي يعلم الآن من تاريخ المكسيك ويكاد يكون محققا انه في أوائل القرن السابع الميلادي نزحت قبيلة التولتيكيين من شمال أمريكا الغربي ونزلت في جهة اناهواك من بلاد المكسيك فأسست هناك مملكة زاهرة نشأت فيها مدنية زاهية أشعت نورها على جميع بلاد المكسيك وتعدتها الى ما يجاورها جواتمالا والهوندراس ويوكاتان

وقد ذهب العلماء اليوم ان التولتيكيين [illegible] البلاد الأ[illegible]ة الوحشى فتقدموا باعينها وكانوا شعبا دمث الأخلاق لا يضحي بالانسان كما كان يفعل المكسيكيون من أهالي البلاد. وثبت ان ديانتهم كانت تنحصر في تأليه الحوادث الجوية والكواكب. فكان لهم ١٣ الها كبيراً وأكثر من ٢٠٠ اله صغير. فكان من بين آلهتهم المشهورين (تلالوك) اله المطر و (كيتزالكوالك) أو الثعبان ذو الريش اله الرياح والعقل. و (هويتزلوبوكتلى) اله الزوابع والشمس وكان هذا الاله في الوقت ذاته معتبراً الها للحرب عند الازتيكيين

ولقد كان للتولتيكيين قريحة صناعية طبيعية في غاية القوة فنهضت لديهم الصناعة نهضة عظيمة فأنتجت صناعة الخزف والصياغة وترصيع الجواهر نتائج فخمة. وكانوا يعرفون النسج والصبغ واحداث زينات غاية في الدقة بواسطة ريش الطيور، وكانوا علي علم تام بحفر الخشب لعمل أشياء منزلية منه تصلح للزينة. وكانوا يصنعون لمرايا من الاحجار اللامعة ومن المعادن، ويستعملون الملاعق والسكاكين الخ وكانوا يستخرجون الاعطار ويتضمخون بها. وكانوا من جهة فن البناء بالمكان الرفيع

وقد عرفوا استعمال الاحجار والآجر والسمنت والخشب في آن واحد في مبانيهم وبلغوا من الآداب مدي بعيدا جدا فكانوا يراعون قواعدها بدقة وعناية ولا يعددون الزوجات . وكانوا يحفظون حوادثهم التاريخية بواسطة رسوم هيروغليفية أو خيوط ذات ألوان متعددة يصنعونها بألوان مختلفة ويعقدونها عقدا متعددة ذات أشكال مختلفة . وكان لهم محفوظات على أقمشه قطنية وعلي جلود وعلى ورق عود الند المضموم بعضه الى بعض . وكانت المعارف الفلكية لديهم قد بلغت مبلغا عظيما فكانت سنتهم مقسمة الي ٣٦٥ يوما وكانوا يقسمونها الي ١٨ شهراً عدد أيام كل منها ٢٠ يوما وكانوا يتمونها في آخر السنة بخمسة أيام اذا كانت بسيطة وبستة أيام ان كانت كبيسة وكان شهرهم مقسما الي أربعة أسابيع عدة أيام الاسبوع خمسة . وكان القرن عندهم ٥٢ سنة

وكان فن الزراعة عند التولتيكيين معظما غاية التعظيم وكان أكثر زراعتهم الذرة . وكان لهم أوانٍ وتماثيل وأشياء اخري من الفضة والرصاص والقصدير . وكان لهم معرفة بنحت الأحجار وعمل التماثيل ولكن لم تخل مصنوعاتهم فى هذه الأشياء من صفات الأمم البربرية

وكان نظامهم السياسى حكم الطوائف فكان لكل طائفة منهم قطعة من الارض يستغلونها ويعيشون فيها من غير عدوان على مجاوريهم . وكان الابن يرث الاب في عمله وبالجملة كان المكسيكيون طليعة الشعوب الأمريكية الى المدنية . وكانت عاصمتهم مدينة (تولا) او (تولكان) على بعد ١٦ فرسخا من شمال مدينة مكسيكو العاصمة الحالية

بقي حكم التولتيكيين أربعة قرون ثم اضمحل بسبب توالى الحروب مع القبائل المتوحشة النازلة في البلاد وبتأثير المجاعات التي انتابت المكسيك . فاضطرت هذه الطائفة المتمدنة أن تهاجر من المكسيك فانقسمت الي فرقتين فرقة تبعت ساحل المحيط الاطلانتيقي وأخري تبعت ساحل المحيط الهادي حتي نزلت أمريكا الوسطى ويوكاطان وأسست هنالك ممالك زاهرة المدنية مثل بالينك وأوكسمال وغيرهما وقد بقي من هذه الممالك خرائب غاية في الفخامة

بعد أن ترك التولتيكيون بلاد المكسيك قام مقامهم فيها بعد قرن من الزمان قبيلة الشيشيميك وهم وان كانوا علي شيء من المدنية الا انهم لم يكونوا علي مثل حال التولتيكيين وكانوا لا يزالون يعدون من المتبربرين (١١١٧) ونحن الآن نجهل تماما الحوادث التي أدت الى انقراض الشيشيميك . فقد قيل انهم في القرن الثالث عشر هوجموا من الاستيكيين وهؤلاء من القبائل الشمالية وهم وان كانوا علي شيء من المدنية الا انهم كانوا لا يزالون يحفظون بعض صفات المتوحشين كأكل لحوم البشر في احتفالاتهم الدينية . فأسسوا في سنة (١٣٢٥) مدينة تينوكتيتلان التي سميت المكسيكو بعد ذلك بزمان . فلما فتح الاسبانيون بلادهم كانوا يدهشون من اسراف هذه القبائل في تضحية البشر لآلهتهم . فقد كان اله الحرب عندهم يسمى هوتزيلو بوكتلى فكانوا يضحون له سنويا من أسرى حروبهم من ٢٠٠٠٠ الي ٥٠٠٠٠ نسمة سنويا . وفي سنة (١٤٨٦) فى مناسبة الاحتفال بتأسيس معبد مكسيكو الكبير ذبحوا له ٧٠٠٠٠ انسان من أسراهم .

وكانت صورة قتلهم أن يؤتي بالرجل ويلقي على مذبح الههم فيأتي الكاهن ويشق بطنه ويستخرج قلبه وهو لا يزال يخفق فيهديه الاله وهو بين يديه ثم يقطع لحم المذبوح ويفرقه على الناس ليأكلوه

هذه كانت حالة المكسيك لما جاءها (فرناند كورتز) الاسباني فاتحا لها بست مئة وخمسين رجلا فقط . فقد توسل بالحيلة والقسوة الي امتلاكها وكان ذلك من سنة (١٥١٩ الى ١٥٢١)

لما استولت اسبانيا علي تلك البلاد جعلت همها استخراج معادنها ونقل الثروة منها الي بلادها وجعلت الحكم للرجال الذين كانت ترسلهم فعسفوا بأهالي البلاد وعزلوا جميع العاملين منهم واستبدوا بالأمر الى سنة (١٨١٠) حيث ثار القس (هيدالجو) وساعده في حركته بعض الضباط من مولدي المكسيك فجمعوا ٤٠٠٠٠ من أهل البلاد فاضطرت اسبانيا لمقابلتهم بالقوة فحدثت حروب هلك فيها أكثر رؤساء الثائرين فلما جاءت سنة (١٨٢١) انضم القائد الاسباني ايتوربيد الى الثائرين وأعلن استقلال مكسيكا فلم توافق اسبانيا على هذا الاستقلال الا في

سنة (١٨٣٧) . فلما تم للثائرين الغلب انتخبوا القائد ايتوربيد امبراطورا سنة (١٨٢٢) فلم يلبث الا قليلا حتى ثار عليه الثائرون وطردوه ثم قتلوه .

فخلفت الجمهورية الامبراطورية وكانت تارة تعاهدية وطورا موحدة فوقعت المكسيك في ثورات داخلية مدة ٤٠ سنة

وفي سنة (١٨٦١) امتنعت المكسيك عن أداء ديونها فاضطرت فرنسا وانجلترة واسبانيا للتداخل ثم حدث بينها شقاق أدي الي رجوع انجلترة واسبانيا وبقيت فرنسا وحدها فحدث بينها وبين (جوارز) الثائر المكسيكي وقائع شديدة . وفي أثنائها ولي على البلاد الارشيدوق مكسيمليان النمساوي فترك الفرنسيون البلاد سنة (١٨٦٧) ولكن الثائر المكسيكي حاصر الارشيدوق مكسيمليان وقبض عليه وقتله رميا بالرصاص . فانتخبه الناس رئيسا للجمهورية ثم انتخبوه ثانية سنة (١٨٧١) ثم مات فجأة سنة (١٨٧٢) فخلفه الجنرال مانويل غونزالز فعادت العلاقات السياسية بين المكسيك وبين فرنسا وذلك سنة (١٨٨٢)

وفي سنة (١٨٨٤) انتخب للجمهورية الجنرال بورفيريو دياز ولا تزال أحوال هذه المملكة مضطربة لا تستقر علي حال

﴿ مكة ﴾ من أشهر مدن العالم كله وهي عاصمة بلاد العرب وفيها البيت العتيق الذي يحج اليه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها . وبما انها بهذه المنزلة فقد وجب علينا أن نطيل في وصفها وبيان أحوالها ولا نجد مصدرا جديرا بالاعتماد عليه في ذلك غير ما كتبه الفاضل محمد لبيب بك البتنوني في رحلته الحجازية فانه قد شهد المدينة في الحج وكتب عنها عن عيان ، فرأينا أن ننقل هنا ما كتبه بحروفه لجليل فائدته قال :

« مكة وتسمى بكة وأم القري ، مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ مترا وهي على عرض ٢١ درجة و٢٨ دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و ٩ دقائق وتصعد عماريتها الى عهد ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وكان يعيش بنوه في الخيام والمضارب حتى عاد قصي بن كلاب من الشام في القرن الثاني من

الحجرة . فبني فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ومن ثم أخذت تزيد في عمرانها الى الآن

ثم قال : « وهذه المدينة تمتد من الغرب الي الشرق على مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات طولا وما يقرب من نصف ذلك عرضا في واد مائل من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتي جبال تكادان تتصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب أعني على أبواب مكة الثلاث . ولذا لا تشاهد أبنيتها للقادم عليها الا وهو علي أبوابها والسلسلة الشمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غربا ثم جبل قيقعان ثم جبل الهندي ثم جبل لعلع ثم جبل كَداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو في أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح . أما الجنوبية فانها تتركب من جبل أبي حديدة غربا يتلوه جبلا كُدَي (بضم أوله والف لينة في آخره) وكُدَيّ (بالتصغير) بانحراف الي الجنوب ثم جبل أبي قبيس الى شرقيهما ثم جبل خندمة . وكل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرة بالبيوت والمساكن

التي تتدرج عليها الي قلب الوادي و يبلغ عددها نحو سبعة آلاف بيت منها الكبير والصغير يحتشد فيها زمن الحج ٣٠٠٠٠٠ نفس علي الاقل . واذا كان الحج بالجمعة كان الناس أضعاف ذلك . ومساكنها على شبه مساكن جدة . و يكثر فيها مايسمونه بالادوار المسروقة ولا حوش لها في الغالب الا ما كان لعظمائها و كبرائها وأعظم مساكنها بالقرارة . وأحسن موقع في مكة شعب جياد لارتفاعه وسعة طرقه ومساكنه وفيه بيوت كثيرة جميلة على الطراز التركي يسكنها موظفو الولاية من الاتراك وفيه دار عظيمة للشريف عبد المطلب وداران عظيمتان للسيد محمد السقاف الذي له أملاك واسعة في مكة والمدينة . ومع ذلك فليس بمكة على قدم عهدها بالحضارة وعظم مكانتها في نفوس الناس من زمن بعيد جدا شيء يذكر من جهة العمارة القديمة مما هو موجود بكثرة بمصر والشام اللهم الا بيت الشريف ناصر باشا الذي هو في فخامة المنظر وجمال الصناعة العربية بمكان عظيم و يصح أن يكون أحسن بيت في مكة

« وضمن هذه المساكن بعض الدور

القديمة فتري دار ابن عباس فى المسعى على يمين السالك الي المروة وفي الشرق الشمالى للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة في الجاهلية والاسلام . وهي مهدمة لا عناية للقوم بها . ولو لاحظوا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لها يوم الفتح شأنا كبيرا حيث جعلها حرما محترما كل من دخلها من المشركين كان آمنا لكان المجلس البلدي بمكة أعارها شيأ من عنايته

« والحرم الشريف بين هذه البيوت مائل الي الجهة الجنوبية مما يلي جبل أبي قبيس . وفى هذه الجهة دار الخيزران يتلوها شرقا شعب بني هاشم ويسمونه شعب علي ثم شعب المولد ثم شعب بني عامر . وفي هذه الجهة كانت مساكن بني عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الاشراف . أما باقي قريش فكانوا في الجهة الاخري من الحرم خصوصا جهة الشمال ومن دونهم باقي أهالى مكة

« ويتوسط مكة طريق يقطعها من الغرب الى الشرق وهو أكبر شوارعها ويختلف اسمه باختلاف الجهات التى يمر عليها . فاذا ابتدأ غربا من جرول يسمي حارة الباب ، ثم الشبيكة حتى اذا وصل الى الحرم من جهة الشمال سمى الشامية فاذا انعطف الى الجنوب على يمين الحرم يسمى السوق الصغير . ثم جياد وفيه البوستة والتلغراف والتكية المصرية ودار الحكومة العثمانية ويسمونها بالحميدية والى جوارها ادارة الصحة وقشلاق الطوبجية والمطبعة الاميرية ، فاذا وصل الى الصفا سمى المسعي ثم القشيشية ثم سوق الليل ثم الغزة . ومنها الى باب مكة الشرقي أو باب المعلى . أما الشوارع التى في شمال الحرم فهى الشامية وفيها سوق المدينة والقرارة والنقا والسليمانية والجدرية والبراضية . وليس بمكة على كبرها ميادين عمومية اللهم الاصحن المسجد الحرام الذي بسعته يؤدي وظيفة الميادين الكبري . وهذه الطرق تختلف سعتها من مترين الي خمسة عشر مترا وتراها في زمن الحج غاية في الوساخة والقذارة مما يوجب علي المجلس البلدي في مكة أن يعتني بنظافتها خصوصا في مدة الموسم مع عدم اهماله أمر النور ليلا خدمة للدين والانسانية وفى مدة الموسم يري أهل البلاد لاسيما الاعراب يضعون

دائما سدادتين من القطن في فتحتي مناخرهم بعد أن يغمروهما بدهن المر ويسمونها الصمايم ويربطونهما بخيط يعلقونه في رقبتهم حتي اذا آنسوا عدم وجود قذارة رفعوهما وأرسلوهما على صدورهم ، وهم لو علموا ان هذه السدادة ضررها أكبر من نفعها لأبطلوا استعمالها، لأن وظيفة الخياشيم انما هي لتنقية الهواء من الأدران فتسوقه الي الرئتين نقيا . ولو دخل الهواء الفاسد الى الرئتين من طريق الفم فانه يدخل اليهما بما فيه من المادة الغريبة فيتصل معها بالدم وهنالك يكون تأثيره الضار والعياذ بالله . أما الطبقة الراقية وخصوصاً من الأعراب فانهم يضعون طرف صمادتهم (كوفيتهم) على فمهم وأنفهم ويثبتونها في عمامتهم أوعقالهم اتقاء البرد أو الروائح الكريهة

« ويقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الاسلامي من جميع أطراف المسكونة ، فتري بها الأزياء المتباينة والسحن المختلفة حتى ليجدر بها أن تسمى بالمعرض الاسلامي ولقد رأيت فيها رجلا يابانيا من كبار قواد اليابان قد أسلم وقدم اليها لتأدية فريضة الحج

« وقد اعتاد الشوام والمغاربة سكني الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم ، والأفغان والسليمانية (أهالي قندهار) في الجهة الشمالية الشرقية ، والهنود والجاوة في الجهة الشمالية الغربية ، واليمن والتركستان والضاغستان في المسفلة ، والعجم في شعب على ، وما سوي ذلك في وسط المدينة . وأهالي مكة يبلغ عددهم ١٥٠ الف شخص منهم خمسون الفا من الاهالي والباقون من الاغراب كما تراه في الجدول الآتي

الف	
٥٠	أهالي
٢٥	أعراب وغالبهم حجازيون ويمنيون وحضارم (من سكان حضرموت)
٢٠	بخاريون
١٢	هنود
١٥	جاوة
١٠	سليمانية وأفغان
٥	شوام
٥	مغاربة
٨	أجناس مختلفة
١٥٠	المجموع

« وأغلب هؤلاء الاغراب يشتغلون بالامور المالية وخصوصا التجارية لذلك نبه أمرهم وأصبحت مالية البلاد في أيديهم. وانا نذكر لك بعض البيوت القديمة التى توطنت منهم في مكة من زمن بعيد وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة »

ثم ذكر المؤلف أسماء بيوت كثيرة من الهنود والجاويين والبخاريين والحضارم والشوام والترك والمصريين ممن سكنوا مكة وأثروا بها ثم قال :

« ومن اختلاط هذه الاجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أوالمعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا فى خلقهم ، خليطا في خلقهم . فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الاناضولى وعظمة التركي واستكانة الجاوي وكبرياء الفارسى ولين المصري وصلابة الشركسى وسكون الصيني وحدة المغربي وبساطة الهندي ومكر اليمني وحركة السوري وكسل الزنجي ولون الحبشي . بل تراهم جمعوا بين رفه الحضارة وقشف البداوة . فبينما الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك ، وضعته بين يديك ، اذا هو قد استوحش منك وأغلظ فى كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك

« وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التي تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصري وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص في حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جداً وكثيراً ما يكون مرصعا بالأحجار الكريمة . ومع هذا فقد ترى الرجل الصانع الفقير يلبس القميص وعلى ياقته الظرافة المشغولة بالحرير وعلى رجل سراويله شيء يشبه الركامة وهو حافي الرجل (مثلا) . غير انك لا تلاحظ ذلك في طبقة الاشراف التي ترفعت عن هذا الخليط فلم يدخل في مادتهم غريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد ، بل خلقهم هو بعينه العربي البحت الذي ورثوه عن أجدادهم وألفوه بما فطروا عليه من كريم العنصر وذكاء المحتد . وعلى العموم فأخلاق أهل مكة غاية فى الكمال وخصوصا في الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم ولا يؤخذ على مجموعهم خسة بعض السوقة فيهم

« والذي يؤسف له ان هذا الخلط

وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون في الغالب بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية أو غيرها . وهم ينونون المضاف فيقولون في هذا حق فلان مثلا (هذا حقٌ فلان) مع ابدال القاف جيما مصرية . ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول (هـذا حقون فلان) أو يؤنث لفظه فيقول (حقة فـلان) ولا يحذفون النون من الفعل فى صيغة الأمر للجمع فيقولون (هياصلون المغرب واركبون) بدل صلوا واركبوا . ويستعملون الترخيم في غير المنادي فيقولون (قم لعنا) أي قم لعندنا . ويقولون في الابل البِل بكسر الباء وفي الجبـل البَل بفتحها . ويقولون كَسِمّنَّا أي كلمنا (خلصنا) . ويقولون (وصابتي) في وامصيبتي . واللمن في اليمن . ومما يكثر سماعه منهم قولهم (دَحين في هـذا الحين و (أزهم فلان) في ادع فلانا . ويعبرون عن الرجل بلفظ (زَلَمه) ويجمعون الرجل علي أوادم . ويقولون (زكّنه) أي اضربه . و (قل كذا) أي اعمل كذا . ويقولون (أبيض) للاستحسان و (سنّع) في صنّع أو اتقن . و (اجعمص) يعني اجلس . و (فصخ حـداك) أي اخلع نعالك . ويقولون (مشلح) للعبـاءة . و (شاية) للقفطان . و (امرح) اجر و (الوَدَن) للفدان من الأرض . و (الصُّمادة) للكوفية . و (ركّن عليه) أي أكد عليه و (زِل) بمعني مر . و (اندر) بمعني اخرج . و (الا) بمعني نعم . و (اغد) فى رخ . ويستعملون قولهم (اشكل) لأفعل التفضيل من الحسن فيقولون هذا الشيء اشكل من هذا يعني أحسن منه . ويستعملونها أحيانا للكثرة فيقولون (هذا اشكل من هـذا) يعني أكثر . ويسمون الأولاد بالبزورة فيقولون (بزورة فلان أو بزران فلان) أي أولاده. ويستعملون لفظ (هرّج) في معني كلم فيقولون (ماهرّجته) أي ما كلمته . ويستعملون لفظ (صاقن) التركيـة للاحتراس والتنبيه . و (قربوز) للبطيخ . ويستعملون غير ذلك كثيراً من الكلمات التركية والفارسية مثل (روشن) للشباك . ويقولون عن حياض بحري عين زبيدة (بازان) وهو اسم لرجل أعجمي قام بعمارة هذه الحياض وان كان تبادر لذهني لأول وهلة انه لفظ فرنسي (Bassin)

ظننته انه من وضع بعض المهندسين الأتراك الذين كانوا يعملون في اصلاح هذه العين . كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة الفاظا كثيرة في المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية اليها فيقولون (البيليت) لتذكرة السكة الحديد و (استاسيون) للمحطة و (شماندفير) للسكة الحديد و (الفاجون) للعربة و (البرسونيل) للمستخدمين وهكذا من الألفاظ التي لم يسمح الوقت لاستقصائها وهذا كله مع كثرة اغلاطهم النحوية وعدم مراعاة القواعد الصحيحة التي لا يهتمون بها في تقويم ألسنتهم أو أقلامهم واني بينما كنت محزونا لتأخر اللغة العربية في مشرق أنوارها ومظهر اعجازها اذ عثرت على ترجمة فرنساوية لكتاب عمرو ابن العاص الذي أرسله الى عمر بن الخطاب لما استولي على مصر يصفها له فيه ويشرح له السياسة التي سيتخذها فيها وقد نشر هذه الترجمة الكاتب الفرنساوي الشهير المسيو أوكتاف أوزان في جريدة الفيجارو الفرنساوية الشهيرة ونقلته عنها برمته جريدة البروجريه الفرنساوية المصرية مع التعليقات التي علقها عليه المسيو اوزان والتي وصف فيها هذا الكتاب بأنه من أكبر آيات البلاغة في كل لغات العالم ، وقال عنه انه من الفرائد في ايجازه واعجازه واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المسكونة حتي يتعلموا منه معقوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم على الأشياء وكيفية تنظيم الممالك وسياسة الاستعمار . وانا اذا أسفنا شديد الأسف علي ضياع هذه اللغة من الوسط الذي لا تزال فيه هذه العترة الشريفة القرشية التى نزل بلغتها القرآن وصار معجزة الاسلام بفصاحته و بلاغته ، وكتب بها ابن العاص هذا الكتاب وهو في بداوته وعلى نشأته الأولي ، هذا الكتاب الذي بعثته من أدراجه مدنية العصر العشرين من دفاتر الغابرين وأعطته ما يليق به من التجلة والاحترام فقد يجب علينا ان نفتخر بأن كتاب ابن العاص بقي فى مصر ملازماً لذلك الوصف الطبيعي الذي وصفها به عمرو من ثلاثة عشر قرنا ولا يزال قائما بها الى الآن بل والى آخر الزمان . وقد أثرت بلاغته في المصريين الذين هم والحمد لله الآن في مقدمة الناطقين بالضاد حتى لكأني بعصرهم في أيامنا هذه وقد

انتقلت اليهم فصاحة الخطباء ومتانة الكتاب وبلاغة الشعراء في عصر الحضارة الاسلامية ، وعسي ان يكون هذا خير فأل أو فأل خير لبنيها يكون لهم من ورائه ان شاء الله شأن كبير ومقام خطير

« وغالب اهل مكة يتكلمون بالتركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية والأوردية والجاوية والفارسية والصينية . أما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا نكاد نفهمها اذا سمعناهم يتكلمون بها ولكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف فى لفظها باختلاف القبائل فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول (زربة) في قربة . وعتيبة تقلب القاف سينا فيقولون (سواسب) في كوالب و (سليب) في كليب و (سبد) فى كبد . أما بنو شيبان فينطقون بالكاف جيما فارسية معطشة فيقولون (جواجب وجليب) وهم كذلك يقلبون القاف جيما فارسية فيقولون في (قربة) جربة وهكذا والعرب لا ينطقون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية . ومنهم من يقلب الميم باء كقولهم (بكة) في مكة .

ومنهم من يقلب الثاء فاء فيقولون (فم) في ثم . ومنهم من يغير الحركات فى الكلمة كقول الحجازيين (الحَج) وقول نجد (الحِج) وهكذا . وعلى كل حال فلايزال في عرب اليوم أثر ما كان في لغاتهم القديمة من الكشكشة والكسكسة والعنعنة والحمحمة والجعجعة والاستنطاء والطمطمانية والوثم مما هو مشروح بكتاب مميزات العرب لحفني بك ناصف المصري (أنظر كلمة عرب من هذا القاموس)

« وأهل مكة كلهم مسلمون ولا يدخلها غير مسلم من السنة التاسعة للهجرة التى نزلت فيها الآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا ان المشركين نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وكان على ينادي في الموسم الذي أعقب نزول هذه الآية الشريفة بقوله (ألا لايحج بعدعامناهذا مشرك) وكان المراد بذلك منع المشركين من الحج وعدم دخولهم البلد الحرام التى بها تتم مناسكهم لانهم مع ما كانوا عليه من سوء الضمير وخبث الطوية كانوا يلقون بذر الشقاق والفل بين قبائل العرب

المسلمين ويوغرون صدورهم بقصد التفرقة التي يكون من ورائها الطعن . فلما مات رسول الله صلي الله عليه وسلم ارتدت العرب في أطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعة أبي بكر وذلك بتأثير المشركين منهم حتى بلغ من أمر هؤلاء ان ادعى النبوة منهم طليحة في الشمال ولهيعة في اليمين ومسيلمة الكذاب مع سجاح في اليمامة (شرق بلاد العرب) وقام غيرهم بالدعوة لنفسه في وسط البلاد هنالك استنفر أبو بكر المسلمين الي قتال أهل الردة . وبعث اليهم بأحدعشر لواء وأمرهم أن يحاربوهم وأن لا يقبلوا منهم غير الاسلام فساروا وأبلوا فى قتالهم بلاء حسنا وخصوصا جيش خالد بن الوليد الذي كان له الفضل الاكبر في رجوع الناس الي الاسلام

« وبعد وفاة أبي بكر سار عمر علي طريقه في تطهير بلاد العرب ممن كان على غير دين الاسلام لانهم أهل البلاد الذين بهم عزها ولهم يكون خيرها أو شرها وبهم تكون سعادتها أو شقاوتها وسار على سنته من أتي بعده من الخلفاء الي اليوم . لذلك تري الآن أهل الحرمين أنفسهم يبالغون في مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدي ينبع وجدة وصنعاء جنوبا ومحطة العلاء شمالا أحد من الاجانب بالمرة وان فعل فانما هو مورط بنفسه الى حتفه من أهل البلاد ولذلك فان الاجانب من عمال السكة الحديد الحجازية ما كانوا يغادرون المحطة لجهة الجنوب ولو لضرورة

« أما افراد الفرنجة الذين قصدوا مكة والمدينة في أزمنة مختلفة وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية أو دينية أو عمرانية أو جغرافية انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد ان يعرفوا اللغة العربية ويدعون أنهم على الدين الاسلامي ونخص بالذكر منهم (بوركارت) السويسري و (برتون) الانجليزي و (هورجرنج) الهولاندي و (كورتامون) الفرنساوي . وأولهم هو أسبقهم الى التورط بنفسه في بلاد العرب. وبوركارت سويسري الجنس لوزاني المولد وفد الي مصر ودخل الازهر بعد ان ادعى الاسلامية وسمى نفسه ابراهيم المهدي وتعلم فيه العربية ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين وكتب

عنها كتابه الذي هو أحسن ما كتبه الفرنجة فيها خصوصا وصفه بلاد العرب وقبائلها ومات في مصر علي زيه الاسلامي ودفن فى قرافة باب الفتوح بجوار قبة الشيخ يونس ولايزال قبره موجودا بها ومكتوبا على شاهد تربته هذه العبارة

(هو الباقي)

(هذا قبر المرحوم الي رحمة الله)
(تعالى الشيخ حاج ابراهيم المهدي)
(ابن عبد الله بوركهرو اللوزاني تاريخ)
(ولادته ١٠ محرم سنة (١١٩٩) وتاريخ)
(وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة في)
(٢٦ ذي الحجة سنة (١٢٣٢))

« ومن عوائد أشراف مكة ان كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصاً الى قبيلة عدوان التى توجد في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التي أرضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشأون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتي اذا ترعرعوا عادوا الي مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عوائدهم وطبائعهم . وأحسن ماتراه فيهم الفروسية والحرية فى القول والفعل.وهذه العادة قديمة جداً في القوم . ومما يذكر عن الرشيد انه رأي ولده المعتصم وهو صبي يتأفف من الذهاب الى الكتاب فمنعه منه وأرسل به الى البادية فما زال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما بأخبارها حافظا لكثير من أشعارها . وقد ولي الخلافة وهو علي أميته

« ومن عادة شريف مكة أن يجلس للحكم في دار الأمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهاراً الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل الهامة وهنالك يستعد الى التوجه الي الحرم في ركبة بسيطة فيصلى العصر وكثيراً ما يجلس بالحرم حتي يصلى المغرب ثم يعود الى قصره فيتناول العشاء مع من يريد من بنيه وخاصته وضيوفه

« ومن عادته انه يجلس صباح يوم الجمعة في دار الامارة للمقابلات فيفد عليه الوالي وكبار الموظفين ثم أعيان مكة ووجوهها وبعد السلام عليه يذهبون الى السلام علي الوالي ومن عادته أن يصلى الجمعة في الحرم حتى اذا كان فى الطائف ينزل منها فى موكبه فيصليها فيه وبعد العصر يعود الى مصيفه

« ومن عادة أهل مكة التأنق في

المـأكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الالوان الزاهية الباهية وخصوصا الاحمـر و الازرق والوردي وتري في مساكنهم كثيراً من أدوات الزخـرف والزينة والرياش الثمينة وخصوصاً البسط العجمية النادرة المثال

« ومن عادتهم تقديم الشاي في أي وقت تحية للقادم عليهم واقامة المآدب في حفلة يسمونها قيلة (لعلها آتية من القيلولة) و يتفاخـرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها . وليس لأطعمتهم نظام مخصوص فمنها الهندي والعربي والشامي والمصري والتركي . ويقعد المدعون في هذه الولائم علي سماط يمد على الأرض وتخدم عليهم الألوان لونا بعـد آخر . و بعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر أو سـماع بعض الأغاني وآلات الطرب كالعود أو القانون أو الرباب ثم ينصرفون . وغالبا تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء وهنالك يبكرون اليها ويقضـون يومهم في سرور وحبور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجري أو لعب الكرة أو النرد أو الشطرنج مثلا. ولأهل كل حارة من حارات مكة عادة مع أميرها ذلك أن يجتمعوا ويدعوا الشريف الى وليمة يقيمونها له كل سنة في أحد متنزهاتهم خارج مكة فاذا قبل منهم ذلك عين يوم الوليمة وفيه يذهب مع خاصته الذين يدعوهم للتوجه معه في موكب فخيم تجري أمامه خيالة الاعراب والبيشة والناس يهتفون له بقولهم — دائما — (يعيش) حتي اذا وصل مكان الدعوة جلس مع من أراد وفي وقت الغداء تمد الموائد على النظام الافرنجي والتركي والعربي و يجلس الشريف و يدعو خاصته للأكل معه . و بعد الطعام تلعب الأعـراب بألعاب الفروسية تارة بالخناجر وأخري بالسيوف الى آخر النهار . و بعد فترة من الليل يعود الشريف في موكبه الى مكة

« ومن عوائد أهل مكة انهم يأكلون مرتين في اليوم ، واحدة فى نحو الساعة التـاسعة صباحاً والأخري بعـد صلاة العصر وهم يميلون الي الأبهة والفخفخة كثيراً و يقلد صغيرهم كبيرهم في التظاهر بالكرم والشجاعة خصوصاً فى شهر رمضان وقد كانوا يفطرون في الحرم بعد صـلاة المغرب فيمدون فيـه الموائد هنا وهناك لا سـيما في زمن الحر ولـكن الشريف

عون الرفيق أبطل هـذه العادة (وخيراً فعل) لأن فضلات الأكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطاط وغيرها . ومن عوائد كثير منهم انهم يشرطون وجنات صبيانهم ثلاث شرط في كل جهة ونساؤهم يدخن بالنارجيلة والزار يفشو فيهن كثيراً و بعضهن يخرجن الى الأسواق بملاءة واسعة سوداء في الغالب و برقع كثيف فيه ثقبان صغيران فيما يقابل العينين وفي أرجلهن أخفاف ضخمة لونها أصفر غالبا

« وأفراحهم ومآتمهم غاية في البساطة ومن عوائدهم فى زواجهم انهم يدعون الاهل والمحبين نساء ورجالا فتأتي الرجال و يجلسون في الاماكن المعدة لهم خارج البيت ووقت العشاء يمد لهم سماط مستطيل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون أما النساء فيدخلن البيت فيجدن علي باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء فتحني المرأة يدا من يديها ثم تدخل الى المكان و بعد السلام تجلس على هذا الحال مع باقي النسوة ولا يزلن يتجاذبن أطراف الحديث الي منتصف الليل وهناك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد ان يضعن في عنقها عقودا كثيرة من زهر الفل أو من ثمر التفاح وهو في قدر البندق

« أما مآتمهم فعند موت الميت تصرخ امرأة من أقرب النساء اليه صرخة واحدة أو صرختين اعلانا بالمصيبة فتتوافد عليها النساء فيجدن قصعة الحناء بجوار قاعة الجلوس فتحني كل واحدة منهن يدا من يديها ثم يدخلن القاعة و بعد ان يعزين صاحبة الفقيد بكلمات قليلة يجلسن ويأخذن في الحديث في شؤن مختلفة ثم ينصرفن . أما الميت فيأخذه بعض أقاربه و يدفنونه بغير احتفال كبير و بعد دفنه يتوارد الرجال على أهله فيعزونهم و ينصرفون لوقتهم . ومن عوائدهم أنهم يحتفلون احتفالا كبيرا بختم أولادهم للقرآن الكريم و يسيرون بهم بموكب عظيم في طرق مكة و يحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بالزاهر على مسافة نحو سبعة كيلو مترات من مكة علي طريق المدينة فينصبون خيامهم في تلك الصحراء و يتفاخرون بكثرة

الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلي الله عليه وسلم فى ربيع الاول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول ميمونة وحول النبى . وفي شهر رجب يحتفلون بزيارتهم للمدينة المنورة

«ومن عاداتهم الاصطياف في الطائف ويرتفع عن سطح البحر بمسافة ١٥٥٠ مترا ، والهدي فوق جبال كرا وترتفع عن سطح البحر بمسافة ١٧٦٠ مترا وفيه جنات كثيرة تجري من تحتها الانهار ، فيها مايشتهون من أثمار وأزهار وأشهر مصيف فى الطائف يسمى شبرا وهو لاشراف ذوي عون أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهي لذوي غالب وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بخوخها وعنبها وماؤها أعذب مياه تلك الجهة . وللطائف طريقان طريق القافلة ويبعد عن مكة بنحو ٣٦ ساعة وطريق البغال على جبلى كرا وهو علي نحو نصف هذه المسافة . ومدينة الطائف مشهورة بطيب هوائها وليس أحسن منها الا جبل الهدي الذي يبعد عنها بنحو ثلاث ساعات الى مكة واهله مشهورون بجمال خلقتهم ونعومة بشرتهم وينسبون ذلك الى شربهم من نهر هناك يسمونه المعسل يبالغون في حلاوة طعمه . وفي الطائف قبر السيدين الطاهر والطيب ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر سيدنا عبدالله بن العباس ويقصده اليمانيون لزيارته قبل الموسم وله علي الخصوص عندهم احترام كبير وكان بها زمن الجاهلية معبد اللات والعزي وكانت تدين بهما ثقيف وغيرهما من القبائل المجاورة للطائف ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم في اول نبوته وطلب منهم نصرته فأبوا عليه ذلك

« ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة علي دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهراً بين اطلاق بنادقهم من كل الجهات اعلانا بأنهم يقظون لكل من قصدهم بسوء

ويوجد بمكة وخارجها مزارات كثيرة منها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي ومولد فاطمة ودار الخيزران

« أما مولد النبى صلى الله عليه فهو في شعب بني عامر أو شعب المولد وهو

مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درجات من الحجر توصل الي باب يفتح الي الشمال يدخل منه الي فناء يبلغ طوله نحو اثني عشر مترا وعرضه ستة أمتار . وفي جداره الايمن (الغربي) باب يدخل منه الى قبة في وسطها (بميل الى الخلف الغربي) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعيين مولد السيد الرسول عليه الصلاة والسلام . وهذه القبة والفناء الذي خارجها لا يزيد مسطحها عن ثمانين مترا مربعا . وهما يكوّنان الدار التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان السيد الرسول وهب هذه الدار لعقيل بن أبي طالب فباعها ولده لمحمد بن يوسف الثقفي (أخي الحجاج) فلما بني داره المشهورة بدار ابن يوسف وكانت بجوارها أدخلها فيها حتي اشترتها الخيزران أم الرشيد وفصلتها و بنتها على ما كانت عليه وجعلتها مسجداً وهي باقية كذلك الى يومنا هذا

« ويقرب من مولد النبي صلى الله عليه وسلم مولد سيدنا على رضى الله عنه وهو علي شكل سابقه الا انه أصغر منه

« أما مولد السيدة فاطمة ففي درب الحجر وهو دار خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ولدت جميع أولادها منه . وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان يعمل في تجارتها الى الشام ثم اختارته لنفسها لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال الصفات وصفات الكمال فتزوجها في سنة ٣٨ أعني قبل بعثته بخمس عشرة سنة وماتت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بأربع سنين وهي في الرابعة والستين من عمرها

« وهذه الدار قد ارتفع عنها الطريق أيضا فينزل اليها بجملة درجات توصل الي طرقة علي يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الارض بنحو ثلاثين سنتيمترا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولا في أربعة عرضا وفيها كتاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم وعلي يمينها باب صغير يصعد اليه بدرجتين يدخل منه الى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب الذي على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولا في أقل منها عرضا وهذا المكان كان معدا لعبادته صلى الله عليه وسلم وقد كان ينزل الوحي

عليه . وعلي يمين الداخل اليه مكان منخفض عن الارض يقولون انه كان محل وضوئه عليه الصلاة والسلام . والباب الذي في قبالة الداخل الي الطرقة يفتح علي مكان واسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذي كان يسكنه صلي الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضي الله عنها . أما الباب الذي علي اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها . وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يقولون انها من رحي السيدة فاطمة التى كانت تستعملها في حياتها . وعلى طول هذا المسكن والطرقة الخارجة والمصطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مترا وعرضه نحو سبعة أمتار وأظن انه المكان الذي كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها

« وهذه الدار كانت مقرا له صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته في مكة ومبعثه الى الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأمعنت بها فكرك لاتراها الا البساطة بنفسها . دار تحتوي على أربع غرف ثلاث داخلية منها واحدة لبناته والثانية له ولزوجه ، والثالثة لمولوله والرابعة بمعزل عنها لهولعموم الناس . يالله ماهذا الترتيب الجميل وماهذا النظام البديع ؟ بل ماهذه الآداب الكبري والكمالات الحيوية العظمي التى صيغت في شكل هذه البساطة المتناهية ؟ تأمل قليلا تري ان هذا النظام هو بذاته ماقضت به المدنية العصرية لولا انه يعمل فيها بشكل تعددت صفاته ، وكثرت حاجياته . هذه هي دار الرسول الذي أرسل للناس كافة نعم هذا هو منزل هذا النبي الامي وذلك هو نظامه في بيته . ذلك النظام الذي وان كان مجردا عن مظاهر العظمة والفخامة فقد اكتسي بحلى الجلال والكمال . اللهم اني آمنت بك وبرسولك هذا الذي لم يتخذ دينك وسيلة الى عيش الاغنياء وحياة العظماء بل كان حسبه من عيشه ماكان يقوم بحياته التى انما كانت كلها خيرا وبركة ويمنا وسعادة للناس أجمعين

« ولما هاجر صلى الله عليه وسلم

الى المدينة استولي على هذه الدار عقيل ابن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية ابن ابي سفيان فجعلها مسجدا وعمرت في زمن الناصر العباسي وقد وضع في حائط الطرقة الخارجية على يسار الداخل لوح من الرخام مكتوب عليه بالحروف البارزة : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة - بد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفي المختار صلي الله عليه وعلي آله وسلم سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وجعل منافعه ومشتغلاته وأجره عائدا علي مصالحه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي . على مايري الناظر المتولي له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالي وطلبا لثواب الدار الآخرة تقبل الله ذلك منه وجزاه أجر المحسنين . وذلك على يد الفقير الى رحمة الله تعالي على بن أبي البركات الذوراني الانباري في سنة (٦٠٤) ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين الي يوم الدين آمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلي آله الطاهرين »

ثم عمرها بعد ذلك الاشرف شعبان ملك مصر ثم الملك المظفر صاحب اليمن ثم السلطان سليمان في سنة (٩٣٥)

« أما دار الارقم المخزومي المشهورة بدار الخيزران فهى في زقاق على يسار الصاعد الى الصفا وهي الدار التي كان يختبئ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر بعثته هو ومن آمن معه وكانوا يصلون بها سرا حتي أسلم عمر رضي الله عنه فقويت به عصبتهم وجهروا بالاسلام والصلاة . وباب هذه الدار يفتح الى الشرق ويدخل منه الى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة . وعلي يسارها ليوان مسقوف على عرض نحو ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان موضوعان فوق بعضهما مكتوب فى أعلاهما بالحرف البارز « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . هذا مختبأ رسول

الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الاسلام أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين » ومكتوب في الثاني « بسم الله الرحمن الرحيم هذا مختبأ رسول الله صلي الله عليه وسلم المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وانشائه العبد الفقير لرحمة الله جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاه وأناله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة »

« ومن الأماكن المقدسة غار حراء وهو الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ومساحته تقرب من ثلاثة أمتار فى مترين ، ويوجد في قمة جبل النور الذي علي يسار السالك الى عرفة وفيه نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم لأول مرة ثم جبل ثور وهو الي الجنوب من جهة المسفلة وعلى ساعتين منها وفيه الغار الذي اختفي فيه رسول الله مع صاحبه أبي بكر حين قصد الهجرة الي المدينة ومساحته نحو مترين مربعين . ثم المَعْلَي وهي مقبرة مكة وتوجد خارج بابها الشرقي وفيها ضريح السيدة خديجة زوج النبي صلي الله عليه وسلم وهو داخل قبة تجددت سنة (١٢٩٨) وفى القبة مقصورة من خشب الجوز أقيمت علي قبرها الشريف . والي جانبها مقصورة صغيرة مدفون فيها ستة عشر شخصا من الأشراف. وخارج هذه القبة الى الغرب قبر السيدة الكبيرة حرم ساكن الجنان محمد على باشا وكانت قد أتت الى الحج سنة ١٢٦٦ فماتت ودفنت بهذا المكان. وقبالة قبة السيدة خديجة الى الجنوب قبة السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام وبجوارها مقصورة دفن فيها الشريف محمد بن عون . وفي شمالها قبة أبي طالب عم النبي صلي الله عليه وسلم وبجوارها قبة جده عبد المطلب وكلتاهما تجددتا فى سنة ١٣٢٥ . وفى هذه القرافة قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وكانت له قبة هدمها الشريف عون الرفيق فيما هدم ولم تشيد بعد وفيها قبر أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان قد حضر الى مكة حاجاً في سنة (١٥٨) فمات ودفن بالمعلى ولا يعرف مكانه .

وفيهـا غير ذلك كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم

« ومن المزارات بمكة أيضاً مسجد الجن ومسجد الراية ومسـجد الاجابة ومسجد البيعة ومسجد أبي بكر ومسجد عمر ثم جبل أبي قبيس وفيه مسجد بلال ومسجد انشقاق القمر وزاوية السنوسي الذي له في الحجازشأن كبير ومقام خطير ومعظم الأعراب على شيعته

« وفي مكة مكان للتلغرافات والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نوري عند بنائه لدار الحكومة (الحميـدية) وغيرها منذ كان واليا عليها لأول مرة سنة ١٨٨٢ ميلادية .

« وفي شوارع مكة كثير من القهاوي البـلدية الـتي ترى في دوائرهـا دككا وكراسي من الخشب مقاعـد مصنوعـة من شبكة من الليف أو الخوص المجدول وأحسنها في جهـة جياد فيجلس عليهـا الحجاج وخصوصا فيا كان منهـا خارج البلد مدة الصيف، ويشربون بها الشاي (ويسمونه الشاهي) والقهوة والنرجيـلة التى يجهزونها بالتمباك الحمي عادة لكثرة استعماله هناك . ولقد رأيت بعض الهنود يمر على هـذه القهاوي وهو ينادي قائلا « كابوس كابوس » (مكبساتي) فاذا استدعاه أحـد ممـا فيها فرشـه على دكة وأخذ يكبسه بمهارة فائقة نحو نصف ساعة على الاقل في نظير قرش أو قرشين ويقرب من هـذه القهاوي عادة سوامر يقوم فيها بعض أناس في الغالب من اليمـانيين يتغنون بأغنية جميـلة تطرب منها النفوس وكلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وفي بعض الاحيان ترى هؤلاء المتغنين متنقلين في طرق مكة

« وفي مكة ثلاث تكايا وأكبرها وأفخرها وأنظمها وأكثرها موردا التكية المصرية وهي بناء فخيم شيده المرحوم محمد على باشا جد العائلة الكريمـة الخديوية في مكان دار السعادة التي كانت محل حكومة بني زيدان من الاشراف كما كانت دار الهناء محل حكومة بني بركات وكانت توجـد مكان دار الشريف أبي نمى تجاه باب الوداع وفي هـذه التكية مخازن وطاحونة ومخبز ومطبخ ومكان نظيف منظم لحضرة مديرها وأمكنـة لمستخدميها ويطبخ بها يوميـا الشوربة للفقراء والمعوزين الذين يفدون الى بابها

صباحا لاخذها مع ماهو مرتب لهم من الخبز الذي تقوم به حياتهم ويبلغ عددهم يوميا نحو خمسمائة شخص أو يزيدون

وفي مكة قلعتان تحكمان علي المدينة ويسكن بهما عساكر الدولة وهما قلعة جياد التي بناها الشريف سرور سنة ١١٩٦ هجرية في الجهة الجنوبية وقلعة الهندي التي بناها الشريف غالب سنة ١٢٢١ في الجهة الشمالية وفيها حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر ، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ ، والثاني بالقشاشية ويسمونه حمام النبي وبها مطبعة للولاية وتسمي باسمها . ويصدر فيها جريدة بالتركية والعربية اسمها (حجاز) وهي شبيهة بالرسمية وكل ما فيها تقريبا يتعلق بأخبار الحكومة واعلاناتها

« وليس في مكة كتبخانات تذكر اللهم الا كتبخانة بسيطة في باب أم هانيء تسمى كتبخانة شرواني زادة محمد رشدي باشا والى الحجاز سابقا وأخري في باب الدُرَيبة قرب باب السلام تسمي بالكتبخانة السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكوّنها من شتات كتب الحرم وغيرها مما أرسله اليها من الآستانة . ولكل كتبخانة من هاتين فهرست بخط اليد ومغير يقوم بشؤونها . والكتب التى يقوم بها نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وغالبها باللغة العربية وفيهاشيء بالفارسية والأوردية الهندية والتركية والجاوية (لغة الملايو) وقد كان بمكة كتب كثيرة مهمة وكانت موضوعة في دور البيت في دائر حائط الحرم ، سرق بعضها والسيول التي أغرقت المسجد وخصوصا في سنة ٤١٧ صعدت الى هذه الخزائن واتلفت منها شيئا كثيراً وكان فى ذلك أكبر مصيبة على العلم والعلماء لأنهم فقدوا بها مالا يصلحه الزمان ولا يعوضه الانسان

« وفيها مدرستان المدرسة الصولية بناها المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي الشهير (صاحب كتاب اظهار الحق) ويدرس فيها القرآن الشريف وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والاعمال الحسابية والهندسية ويصرف عليها من تبرعات أهل الهند وهو أمر لاثبات له ولا تدوم معه حياة مدرسة نافعة مثلها ، ثم المدرسة التي يقوم بها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف محمد الخياط وهو

من علماء مكة الأماثل ويدرس فيها ما يدرس في الأولى بتوسعة ، وعناية مولانا الأمير بها كبيرة ولذلك فالأمل في نجاحها عظيم . ولقد قرأت بعدد ٣ جمادي الآخرة سنة ١٣٢٨ من جريدة المفيد الغراء نقلا عن جريدة صباح ان الحكومة العثمانية افتتحت مدرسة بمكة المكرمة بحضور الوالي والشريف وجمهور من الوجهاء والاعيان فعسى أن يكون فيها الخير المرجو لام القرى بل لام العواصم الاسلامية

« ولو كان مولانا الامير يقضى بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون بها ماهو خاص بوظيفتهم لكان في ذلك اكبر خدمة دينية لان جل الموجود منهم الآن يجهل مأموريته الكبرى . وليت بعضهم يقف عند هذا الحد بل يلقى في ذهن الحاج ماليس من الدين في شئ كمسألة الكنفاني والزلباني مثلا وهما حجران في طريق جدة الى بحرة يزعمون ان واحدا منهما كان كنفانيا والآخر كان زلبانيا وكانا يغشان الحجاج فمسخهما الله حجرين . ومسألة الناقة والحجام والحجامة بجبل عمر . ذلك ان هناك صخرة تشبه ناقة باركة والى جوارها حجران يزعمون ان النبي كان بهذا المكان بناقته فأتي رجل حجام مع امرأته وامسكا بالناقة التى لم تنهض برسول الله صلى الله عليه وسلم فمسخها الله معهما على هذه الصورة . ومسئلة سارق الصندوق وهو صخرة الى جهة جبل النور تقرب من صورة رجل يحمل صندوقا يزعمون انه كان سارقا فمسخه الله عليها . وأمثال هذا كثير مما تجب العناية بازالته خدمة للدين المتين . والأدهى من ذلك انهم يحرفون ألفاظ القرآن الكريم عمداً أثناء الطواف بتفخيمهم مالا يجوز تفخيمه أو ترقيقهم مالا يصح ترقيقه . بل منهم من يقلب الحرف بآخر لتقريبه الى نطق السامع ان كان تركياً أو هندياً أوفارسياً فيقولون مثلا « وكنا عذاب النار » في قوله تعالى « وقنا عذاب النار » و« مهمد رسول الله » في محمد رسول الله . و « يا أرهم الراهمين » في أرحم الراحمين و « اللوهم » في اللهم ونحو ذلك مما لا يجوز شرعاً ولا اجماعاً

« ويدرس في الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة ببضع

مئات جلهم من الجاوة الذين يفرون الى هذه البلاد من المظالم التى تتساقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم فتراهم يشتغلون وقت الدرس في الدراسة ووقت الفضاء منها يعملون فيه عملا يقوم بحياتهم

« ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين وعنايتهم بالتعليم قليلة جداً وذلك لقلة موارد الارتزاق ولأن مرتباتهم التي تصرف لهم من طرف الدولة لا تقوم بأودهم لأنها تختلف من مائة الى خمسمائة قرش عثماني سنوياً

الي أن قال : « وتجارة هذا البلد كلها أو جلها في يد الأعراب خصوصاً الهنود وغالبها من صنف العطريات والسبح والسجاجيد والأقمشة الحريرية الهندية والشامية ، والصناعة غير مهمة وهي لا تخرج عن صياغة بعض قطع ذهبية أو فضية وخصوصاً في عمل الدبل التى يدعون منفعتها للبواسير شفاهم الله . والحدادة عندهم بسيطة جداً ولكنها دقيقة في عمل الأسلحة وفيها من المصانع فاخورة لعمل الدوارق والقلل وكل ذلك في يد الأجانب أيضا . أما الأهالي فأغلبهم يعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الديني ، ولا تروج تجارتهم الا زمن الحج وما يأتيهم فيه من رزق يعيشون منه عامهم . غير ان كثيراً منهم يبرحون مكة بعد الموسم الى الجهات التى بها أناس ممن سبقت معرفتهم بهم في الحج فيفدون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم

« والنقود التى تستعمل في مكة هي النقود التركية والمصرية فضية أو ذهبية والروبية والقروش الهندية والريال الشينكو وابوطيرة والريال البُرُم الجاوي وهو على أشكال مختلفة والجنيه الانجليزي والفرنساوي والروسي وليس لهذه النقود قيمة ثابتة هناك بل تراهم يستعملونها على الدوام في مصلحتهم فيأخذونها منك بأقل من قيمتها أو يعطونها لك بأكثر مما تساوي . وهذا عيب كبير من عيوب المعاملات ولعل أرباب الأمر والنهى يجتهدون في ازالته قريباً . والريال أبوطيرة هو اكثر النقود استعمالا عند الأعراب وقيمته عندهم كالريال الشينكو والمصري ومما يناسب ذكره هنا اني أعطيت مرة قطعة من النقود ممسوحة قليلا الي طفل صغير اعرابي فردها الى قائلا هذه زلطاء

وهي كلمة بدوية صرفة كان لها وقع عظيم على سمعي . والأعراب لا يعرفون قيمة هذه النقود واذا وجد معهم شيء منها يتوجهون به الى التاجر ويقولون سوّ بهذه من الصنف الفلاني على أمانتك . ولا تهمهم جودة الصنف بل تهمهم الكثرة منه

« وأسواق مكة كثيرة ومنها سوق الشامية في شمال الحرم وهي اشبه شيء بالأسواق التركية ولها سقف من الخشب على مثال الخان الخليلي بمصر لولا ان شوارعها أضيق وهذه السوق تضيق بالمارين خصوصاً عند مرور الجمال بها وفيها يبيعون السبح والأقمشة الهندية والتركية وغيرها وفيها كثير من الفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذي يبيعه على الخصوص حجاج اليمن في شوارع المدينة بأثمان رخيصة جداً

« ثم السوق الصغير وهو تجاه باب ابراهيم وأغلب مافيه للغذاء كالخبز واللحوم والبقول الجافة والخضر التي يؤتى بها من الاودية المحيطة بمكة كوادي فاطمة شمالا ووادي الليمون شرقا ووادي العبيدية (العبادية) والحسينية جنوبا وكثير من هذه الخضر يأتي مع الفاكهة من جهة الطائف وجبال كرا . وفي هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الاسماك المقلية التى يؤتى بها من جدة وهي فى الغالب مضرة جدا بالصحة لتعفنها من الحرارة وطول زمن النقل وفي شرق المسجد سوق الليل وهي سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الحاج وفي كل هذه الاسواق ترى مدة الموسم حركة لاتنقطع يأتي من ورائها ربح عظيم لاهل البلد ومدار حركة الاشغال الشاقة في مكة على العبيد فمنهم الجمالون والحطابون والحمارون والحمالون والسقاؤن والخدامون. ولقد كان للرقيق سوق كبيرة أخذ أمرها يضمحل شيأ فشيأ حتى كاد لايكون له أثر بالمرة وكانوا يسمون المكان الذي يبيعون فيه بالدكة لانه كان في حوشه دكة يجلسون عليها مايراد بيعه منه

« وبهذه المناسبة أقول ان مايصرفه الحجاج بمكة ليس بالشيء الذي يستهان به الا اذا فرضنا ان متوسط عددهم يبلغ سنويا مائتي الف نفس وان متوسط مايصرفه سنويا الواحد منهم مدة اقامته خمس جنيهات فيكون مايصرفه الحجاج

في مكة على أقل تقدير مليونا من الجنيهات فى نحو شهر من الزمان في أجرة مسكن و بعض المآ كل وأجرة مطوف وزمزمي و بعض هدايا يشتريها لذويه وأهليه . ومع هذا كله فان بعض أهالي مكة لا ينظرون الى الحاج (بقطع النظر عن كونه ضيف الله وفى بلده الحرام) بالعين التي يجب أن ينظروه بها وعلي الاقل من الجهة الاقتصادية التى هي مصدر حياتهم لانهم مع احتقارهم له يسيئون معاملته و يرون في ماله كلأ مباحا لهم ، ويتقولون في ذلك الاحاديث التي لاتخرج معناها عن قولهم « الحاج رزق لاهل الحرمين ورزق الحاج علي الله » ولعل هذه المعاملة السيئة كانت فى ذلك الزمن السيء زمن الاستبداد الذي كان المطوفون فيه يوقفون أغنياء الحجاج في سوق المزايدة حتي يرسو أمرهم على أيهم يتولى شؤونهم كما حصل لبعض سراة المصريين في سنة ١٣٢٦ ولا حول ولا قوة الا بالله

« وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ومع ذلك فقد تحصل فيه سيول كثيرة من الامطار التى تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمل في شمال مكة قناطر لحجز مياه هذه السيول عن هذه المدينة وانصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة الى خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن وهناك تستعمل للاعمال الزراعية ولا تزال لهذه السيول أضرار جسيمة بمكة ومبانيها

« وأهواء مكة تختلف فى هبوبها جملة مرات في الساعة الواحدة ولهذا يقول المكيون « ان الله خلق سبعين هواء جعل منها في مكة تسعة وستين وفى العالم كله هواء واحدا» ذلك لان الهواء يدور فى جو المدينة بين جبالها المحدقة بها كما تدور الدوامة على سطح الماء ، فبينما نراه يدخل الى المساكن من المنافذ الغربية اذا به انقطع عنها ودخل من الشرقية أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا . ولذلك تجد مساكنهم كثيرة النوافذ وغالبا الي الجهات الاربع حتى لا تحرم من الهواء من اي جهة كان ، والهواء البحري عندهم وهو الغربي أحسنها وألطفها لأنه يأتي من جهة البحر ، ثم

هواء الشـام ويسمونه الشمأل والشمال ، اما الجنوبي والشرقى فهما حاران

« ويفسد هواء مكة فى أيام الحر لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها ، وتكثرفيها زمن الشتاء أمراض الصدر ويندر فيها التدرن الرئوي ، وفى زمن الصيف تكثر الاحتقانات الدماغية وضربات الشمس وأمراض العين والكبد والجهاز الهضمى والدوسنطاريا خصوصا بين الأطفال ويسببها عندهم أكل السمك العفن والفواكه الغير ناضجة وفى زمن الحر تكثرفيهم الحميات لا سيما عندفساد مياه الشرب ويكثر فيهم مرض الجدري ويموت بسببه سنوياً اكثر من اثنين في الألف . ومما يجدر بنا ذكره ان الكوليرة لم تظهر فى مكة الا سنة (١٢٤٦) هجرية أي في نحو سنة (١٨٢٥) ميلادية وفدت اليها مع حجاج الهند ولا تزال تفد اليها معهم ولو كانت الحكومة تعتني بشدة الحجر على حجاج الهنود والجاوة فى جزيرة قمران قبل دخولهم الي جدة بزمن لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الوبيل. والأوبئة الكبيرة التي حصلت بمكة في زمن الحج وفتكت بالحجاج فتكا ذريعاً كانت فى سنة ١٨٩٠ ميلادية وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٢ . وفي مكة مستشفى معروف الآن باسم شفخانة الخاصكية وهو من خيرات خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني وفيها اربع اجزاخانات اثنتان في طريق المسعي وواحدة في مصلحة الصحة بجياد والرابعة أشبه شئ بدكان عطارة بسيطة فيها من الأدوية ما فسد غالبه واصبح ضرره اكبر من نفعه . وعلي كل حال فالعناية بالمسائل الصحية بمكة قليلة جداً لأن ثقتهم بالطب القديم الذي مداره على الكي والفصد والحمية الشديدة وبعض اصناف العطارة الشرقية كالمر والصبر أكبر من ثقتهم بالطب الحديث

« وقد كان الجناب العالى الخديوي حفظه الله (يريد الخديو الأسبق عباس باشا الثاني) فكر فى ايجاد مستشفي بمكة ورتب له طبيباً واجزاجياً فلم يتيسر لهما القيام بمأموريتهما واكتفي الحال مؤقتا بالخدم التي تقوم بها مأمورية الأوقاف الصحية زمن الحج ومقرها فيها يكون

في التكية المصرية والحق يقال ان لهـا أثراً يذكر فيشكر ومصاريف هـذه المأمورية تبلغ سنوياً فوق السبعمائة جنيه مصري ومع هذا فانا لاننسى الخدم التي تقوم بهـا مأمـورية المحمل المصري الصحية لعامـة الحجاج لافـرق بـين مصري وغيره

« وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التى فيها مثل زمزم أوالتي ضواحيها كالزاهر والعسقلاني والجعرانه وغـيرها أو من الصهاريج التي تمـلأ من المطر أو ماء الينابيع أو من عين زبيدة التى يجري ماؤها الى المدينة فى قنوات تحت الارض لها خزانات فى شوارعها يملأ منها السقاؤن قربهم . وهذه العين لهـا أهمية عظيمة جدا وهى من أجل الآثار التى تنسب الى السيدة زبيدة زوج هرون الرشـيد رضى الله عنهما وكان السبب في انشائها ان هذه السـيدة البارة رأت في حجها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناء الشديد والاهوال الكثيرة لقلة المـاء في تلك الانحـاء ، فأمرت رحمها الله باجراء الماء الي أم القري من عين حنين التي توجد فيما وراء عرفة الي جهة الشمال الشرقي على مسافـة نحو خمسة وثلاثين كيلو مترا من مكة . وهذه العـين تخرج من جبـال طاد وتسير فى وادي حنين الذي حصلت فيه (سنة ٨ للهجرة بعـد فتح مكة) تلك الواقعـة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليـه وسلم و بين المشركين من هوازن وثقيف وثبت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثباتا عظيما كما أبلى المسلمون فيهـا بـلاء حسنا وقتل فيهـا دريد بن الصمة وهو من اكبر رجال أهل الجاهلية المشهورين قتله رجل من المسلمين يقال له ربيعـة بن رفيع السلمى

« وقد اهتمت السيدة زبيدة بهذا العمل الجليل اهتماما كبيرا وأرسلت اليه العمال من جميع الاطراف فبنوا لهذا المـاء مجري عظيما وأوصلوا به مجري آخر من وادي النعمان من الماء الذي ينزل اليـه من جبال كرا التي تبعد عن عرفات شرقا الى الجنوب بنحو اثني عشر كيـلو مترا وسيروا اليه سبع قنوات أخري من الجهات التى تسقط اليها السـيول حتي تساعد ماء المجري الاصلى الذي عند ما وصل الي جنوب مني نقر له في الصحراء

خزان كبير يصب فيه يسمى بئر زبيدة ومنه سيرت قناة الي مكة ومن هذا المجري امتد فرعان واحد الي عرفات والآخر الى مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج

« وفي نهاية القرن السابع الهجري طم مجري هذه العين وتهدمت قناتها وانقطع ماؤها عن المدينة ونال الناس من جراء ذلك جهد عظيم . وذكر الفاكهي في تاريخ مكة ان الامير جوبان نائب السلطنة بالعراق عن السلطان أبي سعيد بن خربندة (لعله خدابنده ملك التتار) أراد أن يعمل عملا نافعا في أم القري فطلب اليه أن يعمر عين زبيدة فأرسل رجلا من خاصته اسمه بازان لتعميرها فأتمها في سنة ١٢٦ وفيها جرت مياه العين الي سقايته التي بناها في المسعى وسماها باسمه ويظهر ان هذا الاسم يتغلب على باقي السقايات التى بمكة حتى صار يطلق علي كل واحدة منها اسم بازان الى الآن

« ومازالت هذه العين حياة لاهل البلد الحرام وحجاج بيت الله المعظم حتى أهمل شأنها وتهدم بنيانها وانقطعت مياهها مرة أخري فيما بين سنتي ٩٣٠ و ٩٧٠ ونال الناس من ذلك أهوال ما كانت تخطر على البال حتى بلغ ثمن زق الماء (قربة صغيرة تسع ٣ لترات تقريبا) بعرفة في غضون هذه المدة ليرة ذهبية . وسبب اهمال هذه العين في المدة المذكورة ان ملوك مصر هم الذين كانوا يعتنون بها ويقومون بعمارتها في الغالب فلما تغيرت الأحوال ودخلت مصر مع أرض الحجاز سنة ٩٢٣ ضمن أملاك الدولة العثمانية التى كانت تشغل كل وقتها كثرة حروبها الخارجية أهملت الدولة ترتيبها لداخلية حكومتها خصوصاً ما كان بعيداً عنها ولكن أهل الحرمين الشريفين قاموا فى سنة (٩٦٩) والتمسوا من السلطان سليمان اصلاح هذه العين وهناك رجته كريمته صاحبة السمو الملوكانى مهرماه سلطان أن يشرفها باجراء هذا العمل المبرور من مالها الخاص وعينت مديراً للقيام بهذه المهمة وسلمته الأموال اللازمة لها فسافر من وقته الى مكة وشكل مجلسا من أهل الرأي فيها وأمر بحفر القناة وتنظيف فروعها وبناء ماتهدم من مجراها . ولما وصل الاصلاح الي بئر زبيدة بمني أراد رحمه

الله أن يغير مجراها الى مكة فاضطر الى النزول على هذا الجبل الصخري على مسافة نحو ٣٥ متراً من سطح الأرض في مسافة طولها أكثر من كيلومتر ثم سيرها في حضن الجبل القبلي حتى أوصلها الى مكة سنة ٩٧٩

« وينقسم هذا المجري من البياضية شرقي باب المعلي الي أربع شعب تتخلل المدينة من جهة الي أخري ويبلغ عرض هذه القناة نحو متر وربع في ارتفاع نحو متر ونصف وتقرب من سطح الأرض وتبعد عنه على حسب ارتفاعها وانخفاضها ولها خزانات تملأ منها السقاؤون

« وفضل ماء زبيدة يسير الى المسفلة حتي يصب جنوب مكة في بركة الماجن وهناك يستعمل في سقي بعض البساتين والمزروعات التى لبعض الأشراف

« وكثيراً ما تعبث السيول بهذه القناة فتصلحها أمراء مكة بالأموال التي ترد اليها من الدولة أو من أصحاب الهمم والخيرات من المسلمين وآخر ما حصل لها من ذلك علي أثر السيول التي وقعت فى سنتى ١٣٢٧ و ١٣٢٨ فهدمت نقطا كثيرة منها وطم مجراها بما تخلف اليه من الرمال والأحجار فقام حضرة صاحب الدولة الشريف حسين باشا أمير مكة وجمع الناس وأصلح مااعتل منه وكان للجناب الخديوي أكبر فضل في ذلك لأنه بمجرد ما بلغ مسامعه خبر هذه الفاجعة التي أصيبت بها أم القري أرسل بألفي جنيه مصري لهذا العمل الجليل ووعد لغيره كلما اقتضت الحال لمساعدته

« وهنا يجدر بنا أن نلاحظ على بلدية مكة ان الفتحات التي في أعلى هذه العين من جهاتها المكشوفة في مكة وفي أعلاها يستعملها الناس فى غسيل ملابسهم وخلافها مما لاينطق على القوانين الصحية ولاتسمح به الشريعة الغراء الاسلامية . وهل يسمحون لى أن أقول لهم ان ذلك ولاشك العلة الوحيدة لكثير من الامراض التي تتفشى في مدينتهم ، وعليه فيجب أن تكون العناية بأمر هذه الفتحات كبيرة وأن يضرب علي أيدي من يعبث بها أو سدها في وجوههم بالمرة وهل فاتهم قول صاحب الشريعة السمحاء (النظافة من الايمان)

« وياحبذا لو يأمر دولة مولانا الشريف بوضع طلمبات علي فوهات

مجري عين زبيدة في مكة ومني وعرفة وعلي بئر زمزم وتكون هذه الطلمبات كبيرة بحيث تكفي لحاجة الحجاج من جهة ومن أخري تجعل ماءها بعيدا عن التلوث بأنواع البكتريا التى تكثر منها الحميات في الحجيج وتودي في الغالب بحياة الكثير منهم

« وعندي نصيحة للذين من عادتهم العناية بأمر ماء الشرب ذلك انهم اذا أرادوا الحج أخذوا معهم مايكفيهم من المياه المعدنية أثناء الطريق أامدة وجودهم في مكة والمدينة فحسبهم غلي الماء المخصص لشربهم ، ولو أضافوا على كل لتر منه عشر نقط من محلول مركب من واحد في الالف من برمنجانات البوتاسا لكان أحفظ لصحتهم وهناك طريقة أخري لتنقية الماء تنقية تامة وهي ان يؤخذ أقراص مجهزة تسمي أقراص (فياروجورج) ذات ثلاثة ألون الاول أزرق والثاني أحمر والثالث أبيض ، فيذاب أولا قرص أزرق ثم آخر أحمر في لتر من الماء المراد تنقيته وهناك يتم اتحادهما بهذا الماء فتموت جميع الجراثيم التي فيه في مسافة عشر دقائق ثم يوضع فيه القرص الابيض فيتحد مع اليود الذي به و يعمل معه تركيبا عديم الطعم وبهذه الطريقة يكون الماء صالحا للشرب . واذا لم يكن لاهذا ولا ذاك فعليهم بفلترسفري يمتصون به الماء ولو في الصحراء

« هذا وأرجو قبل قفل باب الكلام على مكة أن يسمح لى حضرة القاريء بكلمة أسوقها اليه : ذلك اني زرت القدس الشريف فرأيت به لكل نوع من النصاري واليهود على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم من الاديرة والتكايا ومنازل الضيافة شيأ كثيرا جدا تمهدت فيها سبل الراحة والحياة للناس أجمعين . فالفقير يجد فيها مكانا مجانا لمدة أسبوع على الاقل ، يري نفسه فيه آكلا شاربا نائما ساكنا مخدوما مشكورا من غير مايتكلف لذلك قرشا واحدا ، والغني يجد فيها راحته في نظير أجر يدفعه يوميا لا يزيد عن الأجر الذي يدفعه في لوكاندة بسيطة . ومن الأغنياء من يتخذها مسكنا فقط و يتدارك أكله بنفسه . وهذه الأماكن التي قامت بها شركات البر والاحسان من الممالك المختلفة على اختلاف جنسياتها ومذاهبها كثيرة جداً .

وأكثرها لليهود ثم للروس ثم للأروام ثم للأرمن ثم للانجليز والفرنساويين والألمان. وقد أقام الألمان هناك أخيراً دارا للضيافة وللصحة على جبل الزيتون صرفوا عليها أكثر من سبعين ألف جنيه وهي دار رحيبة فسيحة شامخة البنيان وطيدة الأركان وضع في مدخل سلمها تمثال امبراطور وامبراطورة الألمان . وافتتحت هذه الدار رسمياً بحضور ولى عهد المملكة الألمانية البرنس ايتل في شهر ابريل سنة ١٩١٠. وعدا هذه الدور والاديرة والملاجيء ترى هناك لكل جنس من النصاري واليهود المستشفيات العظيمة المشيدة والمدارس الفاخرة بحيث تكاد تري بجوار كل بيت من بيوت المدينة مدرسة هذه للألمان وتلك للانجليز وغيرها للروس وخلافها للفرنساويين وسواها لليهود ، بل تجد لكل فرقة من هذه الأمم مدارس مخصوصة للبنات والبنين على أحسن طراز جديد والتعلم فيها على أحسن بروجرام كافل لحياة المتعلمين. اللهم ان هذه هي الحياة الصحيحة وهذا هو الوجود بكامل معانيه وهل لاخواننا المسلمين في جميع أقطار المسكونة ان يقوموا بعمل مثل هذا بمكة ينتفع به الفقراء مع حجاج المسلمين ولهم من مساعدة الحكومة ما يوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التي تكون من ورائها راحة حجاج بيت الله الكريم . الخ »

(تاريخ مكة) يصعد تاريخ مكة الى سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه ففي سنة ١٨٩٢ قبل المسيح أمره الله بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر (كما ورد فى التوراة) فذهب بهما الي هذا الوادي الذي لم يسكنه احد بعدهم [illegible] الا أولئك العماليق الذين كانوا يسكنون غالبا فى الوادي الواقع شماله ويقال له الحجون . وهم قوم نزحوا الى هذا المكان من جهة البحرين وكان ملكهم فيها يمتد الى شبه جزيرة سينا والبابليون يسمونهم (ماليق) فأضاف اليهم العبرانيون لفظه عم (يعني أمة) فصارت (عم ماليق) فحرفها العرب الي عماليق والمصريون يسمونهم الهكسوس أي الرعاة

« فلما عثرت هاجر على بئر زمزم التى أصبحت حياة جديدة لهذا الوادي نزلوا اليها وسألوها الاقامة معها علي أن يكون الأمر لها ولولدها فقبلت ذلك

وكانت قد ابتنت لها بيتا تأوي اليه مع اسماعيل وكان ابراهيم يتردد لزيارتها من فلسطين فأمره الله تعالى بتطهير هذا البيت وجعله مصلي للناس : قال تعالي : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي وعهدنا الي ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ثم أمرهما أن يرفع قواعد هذا البيت وهنالك هدمه ابراهيم ورفع مع اسماعيل على قواعده الكعبة المكرمة . قال تعالي : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » ثم أمره الله بأن يؤذن في الناس بالحج فقال تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ومن ثم ابتدأت شهرة ذلك البيت المعظم تذاع في القبائل المجاورة ومنه أتي لفظ مكة أو مكا وهي كلمة بابلية سمته بها العماليق ومعناها (البيت)

« ورجع ابراهيم الي قومه وبقي اسماعيل في خدمة البيت حتي مات فتولى خدمته من بعده بنوه الى أن داخلهم الضعف فتغلب العماليق عليهم وصار أمر البيت اليهم . وما زالت السلطه في يدهم حتى وفدت جُرْهم علي مكة من طريق اليمن بعد قطع سد مأرب في نحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد عليهم مضاض ابن الحرث فزاحموهم وغلبوهم على أمرهم وصارت لهم الكلمة والسلطان في مكة بل وفي الحجاز بأكمله . فلما كبر سلطانهم وعظمت شوكتهم عثوا فى الارض فسادا فوقع فيهم وباء نال منهم. فضعف أمرهم وغلب عليهم بنو اسماعيل واستردوا أمر البيت منهم وطردوهم من مكة فساروا الى أرض جهينة (شمالي ينبع) وفي ذلك يقول شيخهم عمرو بن الحارث :

وكنا ولاة البيت من عهد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

« وما كادت تنحصر السلطة فى بني

اسماعيل حتي أتت خزاعة وتغلبت عليهم ووليت أمر البيت من سدانة (خدمة البيت) وسقاية (سقيا الحجاج) زمنا طويلا بما كان لها من العصبية رغما عما كان في بني اسماعيل من الرقي الأدبي والسمو النفساني لأنه كان كثيراً ما كان ينبغ فيهم رجال يبرهنون بحسن معرفتهم وكمال فضلهم علي ذكاء أصلهم وكريم محتدهم مثل كعب بن لؤي الذي اشتهر ببلاغته وفصاحته وهو أول من جمع الناس في يوم العَروبة (يوم الجمعة) وكان يخطبهم فيه بما يرشدهم الى طريق الفضائل ويبعدهم عن ارتكاب الرذائل وقد اشتهر أمره بين العرب وعظم قدره حتى كانوا يؤرخون بعام موته الى عام الفيل وهو زمن لا يقل عن أربعمائة سنة

« وما زال أمر البيت في يد خزاعة حتي رجع قصى بن كلاب من الشام وكان ذهب اليها مع أمه صغيراً وهو من احفاد كعب والبطن الرابع والعشرون من اسماعيل فجمع قبائل قريش بما كان فيه من حسن السياسة والذكاء وقوة العارضة بعد أن كانت تفرقت وأخذت الشحناء تدب فيما بينهم وسعي باصالة رأيه حتي اشتري من خزاعة حجابة البيت (الاستئثار بمفاتيح الكعبة) ثم أجلاهم بما وجد له من العصبية الي بطن مر (وادي فاطمة) ومن ثم كبر شأنه ونبه أمره وعظم سلطانه واجتمعت له السقاية والحجابة والرفادة واللواء (راية الحرب) ولم تجتمع في رجل قبله . وقصى أول من أطعم الحاج وسقاه لأنه ضيف الله وجاره ولذلك سارت الركبان بسيرته وتحدث الناس بنباهته ، وكان له رأي سديد وفكر رشيد . وهو الذي بني دار الندوة قرب البيت وجعل بابها اليه ليجتمع فيها مع قومه للبحث في شؤونهم والاقرار على مايتم من أمرهم فأصبح به ملك قريش عظيما وشأنهم جسيما حتى كان لهم بعد ذلك خراج على القبائل والعشائر يؤدونه اليهم ويتقربون به منهم . وكان لقصي ولدان عبد الدار وعبد مناف وقد شرف الأخير على صغره وزاد فضله على أخيه الأكبر فأوصى أبوه لعبد الدار بما كان في يده من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة حتى يتكافأ مع عبد مناف فى شرفه الذي وصل اليه بعقله وفضله

« ولما مات قصي استولي عبدالدار

على ما أوصى له أبوه وانتقل ذلك الى بنيه من بعده حتى ظهر بنو عبد مناف عليهم ونازعوهم ما في أيديهم ، وكانت تدور رحى الحرب بينهم . وانتهى الامر بتحكيم بعض القبائل فقسموا بينهم شرف هذه الامتيازات فكان لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبني عبد الدار الحجابة واللواء اللذان مازالا ينتقلان فيهم الى فتح مكة . وكانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما دخل البيت أراد أن يحجزها عنه فنزل قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه قائلا « هاكم خذوها خالدة تالدة » وبعد موت طلحة سلمها رسول الله الى أخيه شيبة فبقيت في بنيه الى الآن

« ووصلت قريش في الجاهلية الى مجد كبير وشرف عظيم وانتهى شرفها الى عشرة ابطن منها كانوا يقتسمون امتيازاتهم القومية من دينية وسياسية واجتماعية وتشريعية وكانت هذه الامتيازات يتوارثها الابناء عن الآباء وانتهى أمرها قبل الاسلام الى من سنذكرهم . كان العباس بن عبد المطلب (من هاشم) يسقي الحجيج واستمر ذلك في الاسلام وكان أبو سفيان بن حرب (من بني أمية) عنده العقاب وهي راية حربهم لايخرجها الا اذا حمي وطيسها فيسلمها الى من يجمعون عليه الرأي لحملها . وكان للحرث بن عامر (من بني نوفل) الرفادة وهي ما كانوا يخرجونه من أموالهم لاعانة المنقطع من الحاج . وكان لعثمان ابن طلحة (من بني عبد الدار) السدانة والحجابة واللواء والندوة . وكان ليزيد ابن زمعة بن الاسود من بني أسد المشورة في الامور الهامة . وكان لابي بكر الصديق (من تميم) الديات والمغرم ويقال لها الاشناق وكانوا يمضون علي على حكمه فيها . وكان خالد بن الوليد (من بني مخزوم) على خيل قريش وكانت له القبة وهي ما كانوا يجمعون فيه سلاحهم وذخيرة حربهم . وكان لعمر ابن الخطاب (من بني عدي) السفارة فيما كان يقع بينهم و بين غيرهم من العرب فيمضي عنهم مايراه من مصلحتهم . وكان لصفوان بن أمية (من جمح)

لأيسار وهي الازلام (وهي أقداح ثلاثة اكانت للعرب بالكعبة مكتوب على الاول أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث ليس عليه شيء . وكانت العرب اذا أرادت أن تمضي في أي أمر من أمورهم ذهبوا الى الكعبة واستقسموا بالازلام فيقترع لهم صاحبها فيمضون على ماقسم لهم منها) وكان للحرث بن قيس (من بني سهم) الحكومة والاموال التي يقدمونها لاصنامهم

« أما بنو هاشم فقدعلا أمرهم وعظم شأنهم خصوصا في مدة عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كبر سلطانه بعد وقعة الفيل وذاعت شهرته وهابته القبائل وقصدته العرب من جميع جهات الجزيرة . ولما ظهرت نبوة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وتجلى الاسلام بمظهره المنيع وتقدم بتقدمه السريع كمل لبني عبد مناف فضلهم ، وتم بهذا الشرف سؤددهم

(حكم الاشراف بمكة) من اكبر الحوادث التاريخية هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفتحه لها بعد ثمان سنين من الهجرة ومتى صارت مكة تابعة له وخلفائه من بعده

« وكانت حكومة الاسلام في مدته عليه الصلاة والسلام ديموقراطية « شورية » على حسب الشريعة الغراء وكذلك فى عهد خلفائه الراشدين حتى انقضت الخلافة الي مظاهر الملك فشابها شيء من الاستبداد

وكانت حكومة الحرمين تتبع في جميع أدوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية وأول من تولي امارة مكة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه ولاه عليها رسول الله بعد الفتح عند خروجه لوقعة حنين في [illegible] الاول من سنة ٨ للهجرة وانتقلت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين الي الامويين في سنة ٤٠ ﻫ وفي ابانها استولى عبد الله بن الزبير على مكة بضع سنين حتي استردها منه الحجاج بن يوسف الثقفي الى الامويين سنة ٧٣ وفي سنة ١٣٢ انتقلت الخلافة الى العباسيين ومازالت في أيديهم الى سنة ٣٥٨ وتولى أمر مكة في هذه المدة نحو مائة أمير من أشراف وغير أشراف . وفي هذه السنة انتقل حكمها الى الفاطميين وفيها دخلها جوهر القائد

ثم دخلها مولاه المعز لدين الله العبيدي ومن ثم كانت البلاد الاسلامية من بغداد الى حلب الى البصرة يخطب فيها للخليفة العباسى ومن حلب الى الحرمين وسائر بلاد العرب يخطب فيها للعبيديين والسبب في ذلك ان جعفر بن محمد بن الحسن الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله ابن موسي الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على أمير المؤمنين كرم الله وجهه تغلب علي مكة في السنة المذكورة وخاف من العباسيين فدعا للمعز لدين الله العبيدي صاحب مصر فكتب له المعز بولاية مكة وبه ابتدأت حكومة الاشراف عليها

« واستمرت في بنيه من بعده الي سنة ٤٥٥ حيث وليها حفيد أخيه هاشم وهو محمد بن جعفر بن عبدالله بن هاشم وتولى أمرها بنوه الي سنة ٥٩٧ ويقال لهم الهواشم وكان حكمهم جورا وظلما حتي ان آخرهم الشريف مكثر بن عيسي ضرب ضريبة على حجاج بيت الله الحرام مقدارها سبعة دنانير كان يتقاضاها في عيذاب أو في جدة علي كل شخص يفد الى مكة عن طريق مصر فاستغاث الناس بصلاح الدين الايوبي فاتفق مع مكثر علي الغائها ورتب له بدلها في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا ومن هذا الوقت ابتدأ الخطباء في مكة يدعون لصلاح الدين عقب دعائهم للخليفة العباسي ولامير مكة

« واستولي علي مكة بعد مكثر الشريف قتادة سنة ٥٩٧ وهو الحلقة السابعة من أحفاد الشريف عبدالله أخي الشريف جعفر بن محمد بن الحسن الثائر وكان قتادة من أهل النخوة والشجاعة والهمة العالية واتسع ملكه من اليمن الى المدينة الا ان اهل اليمن تغلبوا على مكة في مدة ولده حسن لسوء سلوكه ومازالت فى أيديهم الى سنة ٦٣٠ وبعدها تغلب الشريف راجح بن قتادة عليها وصارت الامارة بعده كالكرة يتلقفها القوي من بنيه أو بني اخوته . وكانت حكومتها تتبع ملوك مصر تارة وملوك اليمن أخري لاشتغال ملوك مصر عنها بالحروب الصليبية خصوصا بعد موت الملك الكامل الذي كان يدعي له في خطبة الحرمين هكذا :

« صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ،

والجزيرة ووليدها ، سلطان القبلتين، ورب العلامتين ، وخادم الحرمين الشريفين المحترمين ، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين » وأول من استقل من ملوك اليمن لذلك العهد نور الدين بن عمر بن على بن رسول ، وكان عاملا عليها للملك الكامل صاحب مصر ولقب نفسه الملك المنصور ، وما زالت حكومة مكة في هذا الارتباك والاختباط حتي آل أمرها الى الشريف أبي نمي بن حسن بن على بن قتادة سنة ٦٦٧ فخطب لبيبرس ملك مصر فأقره عليها وحج من سنته وما زال أبونمي حتي وقعت له مع العسكر المصري حروب ألجأته الى التنازل عن الامارة سنة ٧٠١ الي ولديه حميضة ورميثة فغلبهما عليهما أخوهما أبو الغيث بن أبي نمى . وفي مدته حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ واستمر بها حتى غلبه على الامارة أخوه حميضة سنة ٧١٤ وقتله ودعا اخوته الى وليمة عنده وقدمه اليهم مصلوقا وعلي رأس كل واحد منهم عبد شاهراً سيفه وما زال حتي تغلب عليه رميثة سنة ٧١٨ فهرب ومات في هربه وفي سنة ٧١٩ حضر الي مكة جيش مصري وقبض على رميثة وأتي به الى ملك مصر الملك الناصر بعد أن ولى مكانه الشريف عطيفة بن أبي نمي . وفي سنة ٧٣٢ أطلق الملك الناصر رميثة وأشركه مع أخيه في ولاية مكة وذهب عطيفة الي مصر ومات بها سنة ٧٤٣ وانفرد رميثة بالامارة حتى جعلها الملك الكامل شعبان ملك مصر لولده الشريف عجلان بن رميثة سنة ٧٤٦ وعزله عنها السلطان حسن بن محمد الناصر سنة ٧٦٠ الا انه رجع اليها بأمر من الملك المنصور محمد وما زال بها حتى مات سنة ٧٦٦ وتولى بعده الشريف أحمد بن عجلان وفي مدته صدر أمر الملك المنصور بلغو المكس الذي كان يؤخذ على الأشياء التي كانت تدخل الى مكة وعوض أميرها عنه مائة وستين ألف درهم وألف أردب قمحاً وأمر فنقش ذلك علي باب الصفا واستمرت الأمارة في بنيه حتي صدر أمر سلطان مصر بأن يكون الشريف حسن بن عجلان نائبا عنه في ولاية الحجاز وابنه الشريف بركات أميرا على مكة . وكان بركات عالما فاضلا محدثا وقد استدعاه الملك برسباي الى مصر فوفد اليها معظما مكرما وأخذ عنه كثير

من علمائها ثم رجع الى مكة ومات بها سنة ٨٥٩ وتولى مكانه الشريف محمد بن بركات وكان رضى الله عنه على أحسن ما يكون من العدالة والانصاف وحسن السيرة والرفق بالناس . وقد سافر الى مصر سنة ٨٧٧ مدة السلطان قايتباي فاستقبل بما يليق به من صنوف الاعظام والاجلال ثم رجع اليها معززاً مكرماً وفي مدته حج السلطان قايتباي سنة ٧٨٤ وشيد فيها لصق الحرم من الجهة الشرقية مدرسته التى تغلب عليها ذو غالب ولا تزال في أيديهم الى اليوم

« وما زال محمد بن بركات على امارة مكة وولاية الحجاز حتي مات سنة ٩٠٣ وتولي بعده ابنه الشريف بركات وما زالت الامارة تنتقل من يده الى يد اخوته حتي استقل بها في سنة ٩١٠ وفي سنة ٩١٨ أرسل اليه السلطان الغوري يدعوه الى مصر فاعتذر وأرسل بالنيابة عنه ابنه الشريف أبا نمى وعمره ثمان سنين فأكرمه السلطان كل الاكرام ورده الي أبيه معززا وأشركه معه في أمر مكة والأقطار الحجازية

« ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٢ أقرهما على مكة وسار للقياه الشريف أبو نمي بمصر فأكرم مثواه وأرسل معه أمراً بقتل حسين اغا الكردي الذي كان على جدة من قبل الغوري فلما وصل الي جدة قبض علي الأغا وأغرقه وولي غيره مكانه ومن هذا الوقت صارت بلاد الحجاز واليمن تابعة للدولة العثمانية

« وكان الشريف أبونمى من خيرة الأشراف عقلا وحلما وعلما وفضلا وادارة ودراية ، واليه ينتهي نسب أشراف بني حسن (الذين يحكمون الآن) و بني زيد، و بني بركات (الذين كان لهم الحكم قبل محمد بن عون) و بني ثقبه (وهم متفرقون فى بلاد العرب) وفي سنة ٩٩٣ مات أبو نمي وتولى بعده الشريف حسن وكان عالما فاضلا كاملا أديباً سار في ادارة بلاده علي الأشراف الحسنيين الذين منهم محمد بن عون جد العائلة الحاكمة الآن

« وهو الذي بني دار السعادة بمكة سنة ٩٦٧ فكانت محل امارته وامارة خلفائه زمنا طويلا ومما جاء في وصفها وتاريخ بنائها قول بعضهم

ان بيتا بناه خير مليك
أسس الملك كفه وأشاده
فاق في وصفه وحسن بناه
كل قصر لأهل العلي والسيادة
جاء تاريخ وصفه في نصيف
أنا بيت الملوك دار السعادة

« وما زال الشريف حسن قائما بأمر ولاية الحجاز حتى مات سنة ١٠١٠ وأخذت الشرافة تنتقل في بنيه وبني اخوته حتى تولاها الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي سنة ١٠٤٣ وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة وادارة حسنة ومازال قائما بولايتها خير قيام حتى مات سنة ١٠٧٧ وتولى بعده ولده الشريف سعد ولكنه خرج من مكة مقهورا وخرج بعيدا عنها احدي وعشرين سنة تولي أمرها فيها الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن أبي نمي ومات سنة ١٠٩٤ وأعقبه عليها ولده الشريف سعيد بن بركات فغلبه عليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد ثم عزل عنها وأعقبه الشريف عبد الله ابن هاشم ثم أحمد بن غالب الذي مات سنة ١١١٣ فرجع الي الامارة الشريف سعد بن زيد وأخذ يتناوب الولاية هو وولده الشريف سعيد جملة مرات ومات الشريف سعد بعيدا عن مكة بالعابدية سنة ١١١٦ وبقيت الولاية في يد ابنه الشريف سعيد حتى مات سنة ١١٢٩ وكان جليل القدر عظيم الفضل بعيد الآمال شجاعا مهيبا وأخذت الامارة بعده يتداولها بنوه وبنو اخوته حتى غلبهم عليها الشريف يحيي بن بركات ثم ابنه الشريف بركات بن يحيي فيما بين سنتي ١١٣٤ و ١١٣٦ ثم رجعت الى بني سعيد وما زالت فيهم حتي تولاها حفيده الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد في سنة ١١٨٦ وهو مشهور بعلو الهمة وجلائل الصفات والشجاعة الفائقة . حارب عرب الشروق وقبائل حرب وانتصر عليهم جملة مرات وانقادت اليه جميع بلاد الحجاز وامتد سلطانه على جهات كثيرة من بلاد العرب ومازال في الامارة حتي مات سنة ١٢٠٢ وتولي بعده الشريف عبد المعين بن مساعد الى ان تنازل عنها بعد أيام قليلة الي أخيه الشريف غالب وفي مدته استفحل أمر الوهابية ووقعت بينه و بينهم حروب كثيرة

كادت الغلبة تكون فيهالهم لولا ان الدولة العثمانية كلفت محمد علي باشا والي مصر بكبح جماحهم فأرسل اليهم جيوشا مصرية على رأسها ولده طوسون ثم ولده ابراهيم الذي فرق جموعهم واستولى على بلادهم بعد ان أخذ رئيسهم عبد الله بن سعود أسيرا وأرسله الي والده بمصر وفي سنة ١٢٢٨ جاء محمد على الي بلاد الحجاز فاستقبله الشريف غالب من جدة وسار في خدمته الى مكة وكان كل منهما على خوف من صاحبه وانتهى الامر بأن قبض محمد علي على الشريف وبنيه وأرسلهم الي مصر عن طريق القصير فوصل القاهرة في ١٧ محرم سنة ١٢٢٩ وقوبل فيها بالاحترام اللائق وبقي فيها الى ١٩ شعبان حيث سافر مع أولاده حسب الارادة السلطانية الي سلانيك وأقام بها الي أن توفاه الله سنة ١٢٣١ وفيها عادت أولاده الي مكة بمقتضى أمر سلطاني

« وكانت مدة امارة الشريف غالب على مكة ٢٧ سنة قضاها كلها فى حروب الوهابية وكان رحمه الله عالي الهمة كبير الشهامة ، كثير الدهاء . ولما نفي الى مصر ولى محمد علي مكانه الشريف يحيي بن سرور فى أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ومن هذا الحين صارت بلاد الحجاز تابعة لمصر

« وكان على أعمال العرب الشريف شنبر من جهة محمد على فنمت بينهما الضغائن فقتل يحيي شنبرا امام باب الصفا وهرب الي بدر . وتولي علي مكة الشريف عبد المطلب ابن غالب بأمر من احمد باشا يكن ولكن محمد على باشا أصدر أمره بتعيين الشريف محمد بن عون وكان اذ ذاك نزيلا عليه بمصر وكان سبق له ان تولى امارة تربة وعسير من قبله فسار الشريف عبد المطلب الي الطائف وجمع جموعاً من العرب وحارب بها احمد باشا ولكنه انهزم وطلب الأمان من الشريف محمد بن عون فأمنه هو والشريف يحيي وأرسلهما الي مصر بناء عن أمر محمد علي ومعهما عبد الله بن فهد وآخرون ولما وصلوا اليها أكرمهم محمد على كل الاكرام وبعد سنة أعادهم الى مكة الا الشريف يحيي فانه استبقاه ومات بمصر سنة ١٢٥٤ وبعد ذلك وقع نفور بين احمد باشا يكن والشريف محمد فاستحضرهما محمد على ثم

أعاد احمد باشا الى مكة وحجز الشريف محمد بن عون بمصر وبقي فيها حتي خرجت ولاية الحجاز من قبضة محمد على سنة ١٢٥٦ زمن السلطان عبد المجيد وصدرت الأوامر السلطانية بتولية ابن عون امارة مكة ، وكان رحمه الله عاقلا ذا دهاء وهيبة وذكاء ميمون الطالع عالما يحب العلم والعلماء ومكث زمنا طويلا وهو يدبر أمر الحجاز بحسن درايته وادارته وفي سنة ١٢٦٣ سار الي نجد لاخماد فتنة فيصل بين تركي أمير الرياض وتم أمرهما بالصلح بعد ان قرر على فيصل خراجا للدولة عشرة آلاف ريال كل سنة واستمر في ولاية مكة الى ان توفى في ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤ وتعين بعده ولده الشريف عبد الله باشا كامل وهو أول شريف منح رتبة الوزارة ولقب باشا وكان تربي في الآستانة وتعلم فيها العلوم الشرعية والتفسير والحديث وفنون الأدب فوصل جدة بعد ان انجلى عنها مراكب الانجليز سنة ١٢٧٥ وهناك قابله المندوبون البريطانيون وطلبوا منه ان يساعدهم فى وصولهم الي مكة ، فاعتذر عن احتمال هذه المسؤولية ثم قال لهم وماذا تريدون من بلد لا زرع فيه ولا نبات ولا ماء وربما نالكم منه مرض يذهب بحياتكم لعدم اعتيادكم على مثل هوائه في حين انكم في غني عنه فاقتنعوا بجوابه وعادوا الى بلادهم وسار هو الى مكة وفي سنة ١٢٧٧ ذهب الى المدينة لاستقبال سعيد باشا والى مصر ورجع معه الي القاهرة ثم عاد الى مكة بعد ان صادف من الاجلال وكمال الاعظام مايليق بمقامه واستمر في الامارة الى ان توفي فى ١٤ جمادي الآخرة سنة ١٢٩٤ وتعين اخوه الشريف حسن باشا مكانه فقدم اليها من الآستانة وكان على جانب عظيم من التقوي والصلاح والزهد والورع ووداعة الأخلاق واستمر حكمه الى سنة ١٢٩٨ حيث قتل أثناء دخوله جدة وكان ذهب اليها في موكب حافل فتقدم اليه رجل أفغاني كأنه يريد تقبيل يده وطعنه في خاصرته فتوفي بعد يومين مأسوفا عليه من عموم اهل الحجاز ونقل الى مكة رضي الله عنه وأهلها يلقبونه بالشهيد وتولي بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة ولكنه عزل عنها سنة ١٢٩٩ لكثرة الشقاق الذي كان بينه وبين الاشراف وتعين

عون الرفيق محمد بن عون فأخذ في تمكين قدمه في مركز الشرافة وعم نفوذه علي العرب والمأمورين من الاتراك حتي كانت الولاة كأنهم من المأمورين عنده الا في زمن ولاية عثمان نوري باشا الأولي فانه ضرب علي يديه ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعي عون الرفيق ومؤازريه فى الآستانة ومن وقتها خلا له الجو فكان يعطى ويحرم ويسعد ويشقي ويمنع وينعم وقد كان ينزع الي مذهب الوهابية أومايقرب منه فهدم كثيرا من قباب المزارات وخصوصا في المعلاة ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير بل وصل به الحال الي أن أمر بهدم قبتي السيدة آمنة والسيدة خديجة الاانه ماعتم ان استرجع أمره . وكذلك امر فأزيلت تلك الرحي التي كانت في مولد السيدة فاطمة (دار خديجة) رضي الله عنهما وكانوا يزعمون انها هي التي كانت تطحن عليها في حياتها وأمر أيضا بتوسيع باب غار حراء في جبل ثور وهو الذي خيم على بابه العنكبوت بعد ما آوي اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رفيقه أبي بكر عند هجرتهما من مكة الي المدينة وكان بابه لايسع الا نفرا واحدا يدخل منه زاحفا على بطنه وكان الناس يزعمون أن لايدخله الا السعيد وأما الشقي فلا فأراد بتوسيع هذا الباب ازالة هذا الوهم الفاسد الا انه لم يكن له على كل حال ان يغير أثر شكل طبيعي مثل هذا من أجل الآثار ومن الاشياء التي كان الانسان يقدر فيها تلك المعجزة التي خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه . وقد كان يميل رحمه الله الى الرفه بكل أنواعه فكان عنده على الدوام المطربون بالآلات والفراجية (الطبالون) والضاربون بالنوبة وجملة مايقال في معاملته للناس انه كان نهابا وهابا واستقدم أوتوموبيلا من أوروبا كان يركبه في طريق الطائف ولكنه مات بموته وأنشأ بستانا جميلا شمال جرول (بمكة) وهو المكان الذي يخيم عنده المحمل المصري وجلب اليه أشجارا كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها وساق اليه الماء من عين زبيدة ويقال انه كان في مدته جنة من الجنات لم يسبق له نظير في مكة . أما الآن وقد انصرفت عنه

المياه فقد جفت اشجاره وذبلت أزهاره وأصبح كقطعة من غابة فى الصحراء تنعق فيها الغربان ، وتزعق فيها العقبان، سبحان مغير الاحوال بيده الملك وهو علي كل شيء قدير

ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين ١٦ جمادي الاولى سنة ١٣٢٣ واختلف الناس في أسباب موته ؟ ؟ وكانت الشرافة بعده لاخيه الشريف عبد الاله باشا الذي كان يقيم في الآستانة ، ولكن صدرت الارادة السلطانية بسعي راتب باشا والى الحجاز بتوجيه الامارة الى الشريف علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عون الذي كان قائمقاما للشريف في مكة ، وما زال علي غاية الوئام والاتحاد مع راتب باشا حتي حصلت حركة الآستانة وقام الدستور مقام الاستبداد وعزل راتب باشا لجورة وظلمه وخرج مدحوراً الى الآستانة ومنها منفياً الى رودس بعد ان صودر في جميع أمواله . أما الشريف علي باشا فانه ظل بالطائف متظاهراً بمشايعة الحكومة الدستورية الجديدة ، وفي يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٢٧ . حدثت فتنة بين بعض أهالى مكة والعساكر العثمانية قتل فيها من الطرفين نحو عشرين رجلا ، وقيل انها كانت بايعاز الشريف علي باشا . وفي اليوم الثاني شاع في مكة عزل الشريف علي وتعيين الشريف عبد الاله باشا الذي كان مقيما بالآستانة ، ثم جاء الخبر بوفاته وتولية الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون وكان مقيما في الآستانة منذ سبع وعشرين سنة . فلما حضر الى مكة قام الشريف علي منها بعائلته قاصداً الآستانة ولما وصل الى السويس نزل الى مصر ولا زال بها الي الآن . اما الشريف حسين فانه قام بالامر حق قيام بهمة لا تعرف الملل ، وضرب علي ايدي قبائل العرب الذين كانوا يتحفزون للخروج علي الدولة : فكان حفظه الله يرسل بعسكره مع نجله هذا الي جهة فى حين ما يرسل بنجل آخر مع فرقة أخري الى غيرها وهكذا حتى هدأت البلاد وضرب الامن بجرانه في جميع أطراف الحجاز . ومما يذكر له بالثناء الجميل انه أمر بجعل اجرة الجمل من مكة الى المدينة الى ينبع اربعة وعشرون ريالا مجيديا بعد ان كان اكثر من سبعين ريالا في

مدة سلفه . »

الي هنا انتهى ما نقلناه من كتاب رحلة محمد بك البتانوني ونزيد عليه انه لما نشبت الحرب العامة ودخلت الدولة العثمانية فيها انتهز الشريف حسين هذه الفرصة واعلن استقلال الحجاز ولقب بملك الحجاز واعترف له بذلك جميع دول الحلفاء

(الحرم المكي) نقلنا المعلومات السابقة عن مكة وحكم الأشراف فيها عن رحلة الفاضل محمد لبيب بك البتانوني وننقل منه أيضا ماذكره عن الحرم المكي فهو أوثق مصادر العلم في هذا الباب لأنه شاهده بنفسه ووصفه وصفا دقيقا قال :

« كان الحرم المكي في مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود المطاف الآن وهي حدوده القديمة من عهد ابراهيم عليه السلام . فلما كثر سواد المسلمين زاد فيه عمر وعثمان شيئا مما اشترياه من الدور التي كانت حوله وزاد فيه عبد الله بن الزبير عند ما بني الكعبة وأقام ما كان تهدم منه . وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمره عمارة تذكر فتشكر . وهو أول من نقل اليه أساطين الرخام . واهتمام الوليد بالعمارات لا ينكر يعرفه من شاهد قبة الصخرة بالقدس الشريف ورأي ما بقي فيها من آثار الموزاييك الذهبية وغيرها من أعمال القيشاني التى تدهش العقل ويحار فيها الفكر ويوجد في المسجد الأموي بدمشق الي الآن شئ من أثر عمارته لم تصل اليه يد الحريق وبه أعمال موزاييك ذهبية بديعة جداً على حائطي الصحن الجنوبي والغربي

« ولما حج الخليفة محمد المهدي سنة (١٦٠) ورأي ان البيت ليس في وسط المسجد فاشتري كثيراً من البيوت خصوصاً فى الجهة الشرقية القبلية وزادها في المسجد وأدخل اليه كثيراً من الأزورارات التي كانت فيه وكانت في ملكية الغير ثم آتي من بعده ابنه الهادي فأكمل مانقص فى مدة والده

« وكانت دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية الغربية وكان ينزل بها الخلفاء والأمراء في حجهم في صدر الاسلام ولكنها أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث الهجري فأخذ يتهدم بناؤها فكتب فى ذلك الى الخليفة المعتضد العباسى فأمر بها فهدمت في سنة احدي وثمانين ومائتين وجعلت مسجداً

وفيها قبلة الى الكعبة ثم جعلوا لها قبة عالية ثم غير شكلها فيما بعد الي شكل آخر واستمر يصلى فيها الامام الحنفي الي أن اتي الأمير كادي أمير مكة في سنة ٩٥٧ فهدمها و بني المقام مربعاً ذا طبقين الاولى للامام والمصلين والثانية للمؤذنين والمبلغين وهو على هذا الشكل الى الآن

« وفي سنة ٨٠٢ احترق الرواق الشرقي فأمر الملك الناصر فرج بن برقوق ملك مصر بتعمير ما خرب منه ووضع بدل الأعمدة الرخام التي احترقت اعمدة من الحجر الشميسى ومن ثم كانت تقوم بعمارة الحرم ملوك مصر وحسبك العمارة التى قام بها السلطان قايتباي في سنة ٨٨٦

« وفي سنة ٩٧٩ مال الرواق الشرقي من الحرم ميلا محسوسا فأمر السلطان سليم الثانى بأن يرسل المعماريون والمهندسون والصناع من جهة الاصقاع لعمارته فأنزلوا سقفه جميعه وأساطينه كلها وهدموا محيطه و بنوه علي التربيع الحالي وأقاموا أعمدة الرخام بين أساطين حجرته متناسبة الوضع و بنوا عليها قبابا بدل السقوف التي كانت تطحنها يد الرطوبة المتخلفة من الامطار مع ما كان يكثر فيها من الحيوانات التى اشتهرت بعداوتها للاخشاب كالارضة والسوس وغيرهما من الحشرات المضرة وفي أثناء هذه العمارة مات السلطان وكان الذي انتهى منها الجانب الشرقي والشمالى فقط أعني من باب العمرة . ولما تولى السلطان مراد خان أمر بتتميم العمارة علي الوجه الذي كان قد أمر به والده فتمت علي أحسن حال بالشكل الذي نراه الآن وليس لمن بعده من السلاطين بهذا الحرم الا عمارات ترميمية أو تكميلية

« وفي هذه العمارة نزل العمال بأرضية الشارع الموصل الي المسفلة بحيث صار يصرف ماعساه يدخل الي الحرم من مياه السيول التي كثيرا ما كانت سببا في نقض أركانه وهدم بنيانه . وكانت الزيادات التى تتخلف من الدور التى دخلت في تربيع الحرم الشريف في كل عماراته يبني بعضها مدارس و بعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبة العلم في المسجد وكان لها أوقاف جمة ولكن كثيرا ماتغيرت أوقافها واستبدلت بغيرها أو خرجت من يد واقف الي يد غيره أقوي منه ومن ذلك مدرسة قايتباي التي

لاتزال للآن على يسار الداخل من باب السلام فانها بعد ان كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيأً فشيأً فنقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل اليها أمراء الحاج المصري ثم صار يسكنها بعض أشراف ذوي غالب وهي في أيديهم الي الآن ولا يزال المحملان المصري والشامي يوضعان في أيام وجودهما بمكة لصق حائطها الذي من داخل الحرم و بجوارهما من الخدم مايقوم بحراستهما وعلى يمين باب السلام مدرسة يقال لها المدرسة السليمانية بها كتبخانة تقدم الكلام عليها في مكة

« والحرم من داخله علي شكل مربع (منتظم تقريبا) وفي وسطه (بميل الى الزاوية الجنوبية) الكعبة المكرمة وطول ضلع الحرم المقابل للحطيم وهو الذي فيه باب الزيادة مائة وأربعة وستون مترا وطول الذي يقابله وهو الذي فيه باب الصفا مائة وستة وستون مترا وضلعه الذي فيه باب السلام مائة متر وثمانية والذي يقابله وهو الذي فيه باب ابراهيم مائة وتسعة أمتار فيكون مسطحه من الداخل سبعة عشر ألف وتسعمائة واثنين من الأمتار المربعة وهو ما يزيد عن أربعة أفدنة وربع . أما من الخارج فمتوسط طوله مائة واثنان وتسعون متراً وعرضه مائة واثنان وثلاثون متراً (وهذا حسب تحقيق المرحوم محمد صادق باشا أمير الحاج المصري) ويحيط بالحرم من داخله أربعة أروقة فيها ثلاث مائة واحد عشر عموداً يتخللها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة من الحجر الشميسي الأحمر تقوم عليها قباب على محيط المسجد وعلي بعض هذه العمد كتابة محفورة فيها تدل على ما كان لبعض الملوك من العمارة بالمسجد أو من الأعمال التي فيها نفع للمسلمين كأبطال المكوس ونحو ذلك ومن هذه الأعمدة عمود بقرب باب الحزورة لا يزال منقوشاً عليه عهد كتبه الأشرف شعبان

« وأبواب الحرم ثمانية في الجهة الشمالية : وهي باب الدريبة ، وباب المدرسة ، وباب المحكمة ، وباب الزيادة وبجواره الى الغرب باب القطبي ، وباب الباسطية ، وباب الزمامية ، ثم باب عمرو ابن العاص . ويليه من الجانب الغربي أولها باب العمرة ، وباب ابراهيم ، ثم

باب مخزوم . ويليه من الجهة الجنوبية سبعة أبواب : أولها باب أم هاني ، وباب العجلة ، (ويسمونه باب التكية) ، وباب الرحمة (أو المجاهدية) ، وباب أجياد (أو السنبلة) ، وباب الصفا ، وباب بني مخزوم ثم باب بازان ، ويلي ذلك من الجهة الشرقية أربعة أبواب : وهي باب بني هاشم (أو باب علي) وباب العباس (أو باب الجنائز) ، وباب النبي ، وباب السلام وهو الذي يدخل منه الى الحرم عند طواف القدوم . ومجموع هذه الابواب اثنا وعشرون بابا ، ولكن منها ماله مدخل واحد ومنها ماله مدخلان أو ثلاثة أو خمسة فيكون مجموعها تسعة وثلاثون مدخلا

وفي رحبة ابراهيم تجد آلافا من فقراء حجاج الدكارنة والهنود والمغاربة وفيهم كثير من المقعدين الذين لا يقدرون على الحركة ، فيمضون هنالك أيامهم عائشين من حسنة أرباب الخير ، وربما كان منهم بالمسجد ما تلجئهم الضرورة اليه مما لا يصح التوسع في شرحه ! ! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم الله ! فهل لحكومة الحجاز ان تفكر في أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو في مدة الموسم ؟ وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الآستانة يتدارك ما أهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل

« وفي المسجد ست منارات : الاولي منارة باب العمرة وهي من أعمال الخليفة المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة مائة وثلاثين ، ومنارة باب السلام ، ومنارة باب علي ، ومنارة الحزورة وهي من أعمال المهدي العباسى في عمارته للمسجد سنة مائة وثماني وستين ، ومنارة باب الزيادة وهي من أعمال المعتضد العباسى سنة مائتين وأربع وثمانين ، ومنارة السلطان قايتباي . وقد حصلت في جميعها ترميمات وزيادات فى مدة العمارة التي قام بها السلطان سليم الثاني في المسجد ، وكلها باقية للآن يؤذن عليها في الاوقات الخمس . وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم ، وفيها مزولة مثبتة فى حائطها الجنوبي ، من عمل رجل من مراكش أهداها الى الحرم ، وهي غاية في الضبط والاحكام وعليها ميقاتهم في النهار . فاذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالاذان فيتبعه المؤذنون الذين على

المنارات بأصوات يحركها الهواء على طبلة الاذن فتحدث لها اهتزازات فى القلب يمتلئ منها خشية ورهبة وخشوعا وخضوعا

« وعلى حدود المطاف تلقاء كل ضلع من أضلاع البيت ، سقيفة قامت علي أعمدة من الرخام : فالشمالية منه مصلى الامام الحنفي ، والغربية للامام المالكي ، والجنوبية للامام الحنبلى ، أما الامام الشافعي فيصلي فى مقام ابراهيم أو في المطاف مما يلي الكعبة مباشرة جاعلا بابها على يساره ، والحنفى يبتدئ بالصلاة فى جميع الاوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعى ثم الحنبلى ، الا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعى ويتأخر بها عنهم الحنفي. ومما يلاحظ في الحرم ان أهل كل جهة من العالم الاسلامي يجلسون عادة في الجهة التى يستقبلون فيها الكعبة فى بلادهم : فالاعجام تجدهم عند باب السلام ، والشوام والاتراك بينه وبين باب الزيادة والمصريون وراء المقام المالكي ، واليمانيون والجاوة والهنود وراء المقام الحنبلى . ومن أغرب ماشاهدت ان بعض المصريين يستعمل هناك البوصلة التي عملت للصلاة بمصر ولاحظ فيها الاتجاه لجهة مخصوصة ، ولا يمكن أن تؤدي وظيفتها الا في البلاد التى على اتجاه مصر من الكعبة ، أما اذا وضعت مثلا في طريق المدينة أو اليمن او الطائف فانها لاتؤدي وظيفتها بالمرة ، فليفهم ذلك من يجهله

« وللحرم صحن كبير غير مسقوف تقطعه مماش محجورة ، وما بينها ارض بها زلط دون الفولة يسمونها الحصباء ، وأول من حصب أرضية الحرم عمر رضى الله عنه ، والكعبة في وسط صحن المسجد بميل الي الجنوب ويليها من الشرق مقام ابراهيم . وفي جنوبه الشرقى قبة زمزم التي بناها ابو جعفر المنصور فى سنة مائة وخمسة واربعين وفرش أرضها بالرخام ، وعمقها المأمون ، اما الشبكة التي على فوهتها فقد امر بعملها السلطان احمد العثماني وشرقي زمزم الي الشمال باب شيبة ، وهي باكية كبيرة قامت وسط الحرم في حدود المطاف ، علي عمودين من البناء المكسو بالرخام ، فى المكان الذي كان به باب المحاة [illegible] . وفي شمال المقام المنبر . وهو من الرخام غاية في حسن الصناعة اهداه الى الحرم السلطان

سليمان القانى ومكتوب على بابه بالخط الذهبي الجميل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وأول من وضع المنبر بالمسجد الشريف معاوية بن أبي سفيان حين قدومه الى مكة حاجا وكان الخلفاء قبله يخطبون على أرضية المسجد تحت جدار الكعبة أو في الحجر ثم أهدي اليه سنة مائة وسبعين منبر من خشب جميل من صناعة مصر لمناسبة حج الرشيد الذي خطب الناس عليه في حجه في السنة المذكورة وفي خلافة الواثق أمر فعمل له ثلاثة منابر واحد وضع في الحرم والثاني في عرفة والثالث في مني وخطب في حجه عليها جميعها . وقد كان الخطباء اذا أرادوا الخطبة في الحرم وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الأسود والركن اليماني فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ثم دعا وصعد المنبر ، و بعد الخطبة كان ينقل المنبر الي مكانه بجوار زمزم . فلما أهدي السلطان سليمان اليه منبره الرخامي بقي مكانه واستمرت فيه الخطبة الى اليوم . وفي حوائط المسجد الحرام من الداخل أبواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم و بعضها مخازن في يد خدمة المسجد أو الزمازمة وهؤلاء يستعملونها أحيانا لاستحمام كبراء الحجاج فيها بماء زمزم أو وضوئهم منها

« وبالجملة فشكل الحرم المكي على بساطته في بنائه فخم جداً ووضعه صحي وصحنه الكبير يؤدي بلا شك للمدينة وظيفة الميادين الكبري كما سبق لنا بيانه في الكلام على مكة

« وشيخ الحرم هو الوالي عادة وللحرم الشريف نائب وقائمقام النائب ومدير يقوم بشؤونه وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الأربعة و ١٠٧ مدرسون و ٤٥ مؤذنون و ١٠ مشدون و ١٢ فراشون و ٨ وقادون و ٣٠ كناسون و ٣٠ بوابون و ١١ جبادون (ملاؤون) من بئر زمزم و ١٠٨ غسالون لقناديل الحرم وهناك وظائف أخري أخصها وظائف الأغوات وعددهم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم . وأول من رتب الأغوات فى الحرم المكي للخدمة فيه هو الخليفة أبو جعفر المنصور ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة المكرمة

فهم سدنتها من بني شيبة . والخدمة في الحرم وراثية غالباً ما عدا شيخه ومديره فانهما يعينان من طرف السلطنة ، ووظيفة الأول تكاد تكون سياسية اكثر منها ادارية . والخدمة فى الحرمين الشريفين محترمة جداً وتتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الى الآن . ويوجد ضمن رتب الدولة العثمانية رتبة مخصوصة اسمها « خادم الحرمين » انتهى ما نقلناه من رحلة حضرة الفاضل محمد لبيب بك البتانوني (انظر كعبة)

﴿ مكي القيسى المصري ﴾ هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد ابن مختار القيسى المقري

كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التأليف في علم القرآن محسنا لذلك مجوّداً للقرا آت السبع عالما بمعانيها

ولد بالقيروان في شعبان سنة (٣٥٥) وقيل (٣٥٤) قال أبو عمرو المقري الداني انه نشأ بالقيروان وترعرع وسافر الي مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع الى القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة (٣٣٤) ثم عاد الى مصر ثانية بعد استكماله القرا آت بالقيروان وحج في سنة (٣٧٧) ثم ابتدأ بالقرا آت على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقري . نزل مصر في سنة (٣٧٨) فقرأ عليه بقية السنة و بعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقي عليه بعض القرا آت ثم عاد الى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد الى القيروان في سنة (٣٨٣) وأقام بها يقرأ الي سنة (٣٨٧) ثم خرج الي مكة وأقام بها الى آخر سنة (٣٩٠) وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة سنة (٣٩١) فوصل الى مصر ثم رحل منها الى القيروان في سنة (٣٩٢) ثم ارتحل الى الاندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجوّدوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخيلة قرطبة فى مسجد النخيلة الذي بالرواقين عند باب

العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتي انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدي الى المسجد الخارج بقرطبة واقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس ابن عبد الله وكان ضعيفا عنها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الى أن مات رحمه الله تعالي . كان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهوراً باجابة الدعاء وله في ذلك أخبار ، فمن ذلك ماحكاه أبو عبد الله الطرفي المقري قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبي محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب ويغمزه ويحصي عليه سقطاته ، وكان الشيخ كثيرا مايتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر الي الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل فى الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا علي دعائي ، ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه ، فأمنا . قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم

المكي المقري تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية الي بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا . ومنتخب الحجة لابي على الفارسي ثلاثون جزءا وكتاب التبصرة في القراآت في خمسة أجزاء وهو من أشهر تآليفه . والموجز في القراآت جزآن . وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء . وكتاب الرعاية لتجويد القرآن أربعة أجزاء . وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء . وكتاب الكشف عن وجوه القراآت وعللها عشرون جزءا . والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء . والايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه جزء . والزاهي في اللمع الدالة علي مستعملات الاعراب أربعة أجزاء . والتنبيه على اصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن . والانتصاف فيما رده على ابي بكر الادفوي وزعم انه غلط فيه . والامالة ثلاثة أجزاء. والرسالة الى اصحاب الانطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء . والابانة عن معاني القراءة جزء. وكتاب الوقف على كلا و بلى في القرآن جزآن .

وكتاب الاختلاف في عدد الأعشار جزء. وكتاب الادغام الكبير في المخارج جزء. وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء. وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء. وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء. وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم جزء. وكتاب اليا آت المشددة في القرآن والكلام جزء. وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء. وكتاب ايجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الامام مالك والحجة في ذلك جزء. وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء. وكتاب بيان العمل في الحج أول الاحرام الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء. وكتاب فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا جزء. وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء. وكتاب تسمية الاحزاب. وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن. وكتاب الحروف المدغمة جزآن. وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء. وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءا. وكتاب هجاء المصاحف جزآن. وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء. وكتاب المنتقى في الأخبار أربعة اجزاء. وله في القرا آت واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي في يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وار بعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلي عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى. وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو بعدها شين معجمة. وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة فأغني عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقري المصري المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال وكان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه واعرابه متفننا في سائر علوم الادب. أنشدت قصيدة منها قوله:

عليك باقلال الزيارة انها
اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر ان الغيث يسأم دائما
ويطلب بالايدي اذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب

المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادي الاولى سنة تسع وثلثمائة رحمه الله تعالى (وفياب الاعيان)

أبو الحزم مكي الضرير المقري

هو أبو الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقري النحوي الضرير الملقب صائن الدين

قال القاضي بن خلكان رحمه الله :

كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيأ وترك والده أبا الحزم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه علي القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الي بغداد واجتمع بأئمة الادب وقرأ علي أبي محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانباري وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الى الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير . وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب المجمع علي دينه وعقله ، المتفق علي علمه وفضله، رحل الى بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال : وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل أعني ابن المستوفي المذكور :

سئمت من الحياة فلم أردها
تسالمني وتشجيني بريقي
عدوي لا يقصر في أذاي
ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء دارا
وأهل مودتي بلوي العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا :

اذا احتاج النوال الي [illegible]
فلا تقبله تضح [illegible] عين
اذا عيف النوال لفرد من
فأولي أن يعاف لمنتين

وله أيضا :

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا
له أدبا لا ان نعماك تحجب
فان كان اذن فهو كالخير داخل
عليك والا فهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

على الباب عبد من عبيدك واقف
بنعماك مغمور بشكرك معترف
أيدخل كالاقبال لا زلت مقبلا
مدي الدهر أم مثل الحوادث ينصرف

ثم قال المستوفى وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبدا يتعصب لابي العلاء المعري ويطرب اذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب فسلك مسلكه فى النظم . انتهي كلام ابن المستوفي »

ثم قال القاضى بن خلكان : « قلت وحكي له بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات تلك الليلة فلما كان السحر خرج الى الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول : لاخري ماتدرين من جاء ؟ فقالت لا . قالت مكيك بن فلانة . فقال والله لا أقمت في بلد أدعي فيها مكيك وسافر من غير ريث بعد ان كان قد نوي الاقامة بها مدة . وعاد الى الموصل ثم خرج الي الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى اليه وقضى منه وطره ورجع الي الموصل من حلب . وكان دخوله الي الموصل في شهر رمضان . وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة (٦٠٣) بالموصل وخلف له ولدا صغيرا ، ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافي بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالي ويقال انه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضي ذلك والله أعلم »

﴿ ابن مكي القرشي الدمشقي ﴾ هو محمد بن محمد مكي بن محمد بن الحسن بن عبدالله القرشي الدمشقي العدل الاديب بهاء الدين بن الدجاجية . كان يجيد النظم روي عنه الدمياطي من شعره :

ماراح عندكم النسيم ولا غدا
الاليأخذ عند عبدكم يدا
أحباب قلبى ذلك القلق الذي
قد كان يأخذني عليكم ماهدا
كدرتم بعد الصفا وغدرتم
بعد الوفا وبخلتم بعد الجدي

وجعلتم الريان منزل حبكم
ولكم محب مات فيه من الصدا

وقال أيضا :

من أين لقدك ذا الهيف
قد حار الواصف ما يصف
الرمح الاسمر يحسده
والغصن الاخضر والالف
فتبارك من أنشاك لقد
في الخلق تفاضلت النطف
يا أحسن بل يا أظرف من
زينت بذؤابته الكتف
وقاك الله تعالي العيـ
ن وعن اعظامك تنصرف
كل الاقمار ببلدتنا
بضياء جبينك قد خسفوا
فاحكم فلأنت أميرهم
فيهم فببابك قد وقفوا
راقت أخلاقك للغربا
ء فكيف بمن بك قد الفوا
قسما بهواك وما أحلي
قسم العشاق اذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات مني
وحصي الجمرات بها حذفوا
لاحلت عن الميثاق ولو
أودي بحشاشتي التلف
ياحاني قوم ما فهموا
ماشاني فيك وما عرفوا

وقال أيضا :

الي سلم الجرعاء أهدي سلامه
فما ذا على من قد لحاه ولامه
تجلد حتي لم يدع معظم الجوي
لرائيه الا جلده وعظامه

وقال أيضا :

غرته غرته لما سري
ظن بأن الصبح قد أسفرا
أقبل يسعى خفرا خائفا
علي ذمام الوعد ان يخفرا
يحق يا قوم لمن قده الـ
خطار ان لا يذهب الاخطرا
ضممته اذ نام سماره
كما يضم البطل الاسمرا
بتنا ومافي ليلنا من كري
كأنما النوم غدا منكرا

وقال أيضا دوبيت :

ماعذر فتى مامذ للهو يدا
والدوح قد اكتسي ثيابا جددا

مالت طربا أغصانه راقصة
لما صدح الطير عليها وشدا
توفى سنة (١٥٧)

﴿ ملأه ﴾ يملأه ملأ شحنه وأفعمه فهو (مملوء) و (ملئ يملأ) امتلأ. و (ملؤ يملؤ ملاءة) صار مليئا. و (المليّ) الغني المقتدر. و (مالأه عليه) ساعده. و (هو مليء بكذا) أي مضطلع به. و (تمالأ القوم عليه) اجتمعوا عليه. و (المُلاءة) الربطة ذات لفقين جمعها مُلاء. و (المِلء) اسم ما يأخذه الاناء اذا امتلأ. و (المَلأ) الأشراف جمعه املاء. و (المَلأ الاعلى) سكان حظائر القدس من الملائكة وأرواح الصالحين. و (الملآن) الممتلئ. و (المِلأة) هيئة الامتلاء

﴿ الملآنة ﴾ نبات يشبه العدس ويتميز عنه بقرونه البيضية المنتفخة التى تحتوي على بزرة أو بزرتين مستديرتين وهو يألف الأرض الرملية الجيرية. يجلب هذا النبات في أوائل الصيف رطباً مشحونا بثماره فتؤكل بزوره خضراء ومتي جفت هذه البزور كانت الحبوب المسماة بالحمص

﴿ ملح ﴾ يملح ملحاً. وملح يملح ملوحة صار ملحاً. و ملح يملح ملاحة) حسن منظره فهو مليح

(وفلان يتملح) أي يتكلف الملاحة. و (المُلحة) الكلمة المليحة. و (الملاّح) النوتي و (المَلاّحة) منبت الملح

﴿ الملح ﴾ الملح الذي نتبل به أطعمتنا جسم مركب من عنصرين يسمى أحدهما الكلور والآخر الصوديوم حتي ان الكيماويين يسمونه كلورور الصوديوم وهو كثير الوجود على سطح الأرض فيوجد فى بعض الصخور القديمة و يعرف بالملح الجبلي وقد يكون على هيئة كتل عظيمة فى أغوار تحت الأرض

و يوجد في اسبانيا جبل من الملح على حالة النقاء التام حتى انه ليشبه الكتل العظيمة من الزجاج فيقطعه العمال منه كما يقطعون الأحجار من المحاجر

ومياه البحار تحتوي على مقدار منه يختلف باختلاف الجهات فبعضها يحتوي كل لتر من مائه على ٣١ غراماً منه كالمحيطين الاطلانتيقي والهادي و بعضها يحتوي كل لتر من مائه على ١٨ غراماً منه كالبحر الأسود. وتقل هذه النسبة في بعض

البحار فلا يحتوي اللتر الواحد من ماء البحر الأحمر الا على نحو ٦ غرامات

أما البحر الأبيض المتوسط فيحتوي اللتر منه على أكثر من ٣١ غراماً فهو يعتبر أكثر البحار ملحاً

(كيفية استخراجه)

الملح لا يستخرج على صورة واحدة في البلاد المختلفة ففي بلاد النمسا مثلا يحفرون الأرض الي أغوار عميقة حتى يصلوا الى معادنه فيها حيث يكون على هيئة طبقة سميكة جداً فيحفرون فيها ما يشبه الغرف و يملأونها بالماء فيذوب فيه جزء عظيم من الملح فيستخرجون ذلك الماء الي سطح الأرض و يضعونه في مراجل على النار فيتطاير الماء و يبقي الملح علي هيئة حبوب بلورية

و يستخرجونه في فرنسا بطريقة أسهل من هذه وهي انهم يعمدون الي الأرض التى تحتوي على الملح في باطنها فيحفرون فيها آباراً حتي تصل الي الطبقات الملحية ثم يملأون تلك الآبار بالماء فيذوب الملح في ذلك الماء فيستخرج ويغلى في مراجل (قزانات) حتى يتبخر الماء و يبقي الملح

ولكن في البلاد الباردة التي لا يسمح الجو فيها بتبخر الماء على الدرجة المعتادة وليس لأهلها من الوسائل ما يمكنهم من اغلاء الماء الملح لتبخير الماء بالحرارة يعمدون الى تثليج الماء الملح و يساعدهم على ذلك كثرة الثلج عندهم وشدة البرد فى بلادهم فيتثلج الماء النقي و يترك الملح في قاع الأحواض فيجنونه و يستعملونه

أما في بلادنا فيستخرج الملح بأيسر الطرق وأسهل الوسائل وذلك انه توجد بجوار البحر الملح في الاسكندرية ورشيد ودمياط أحواض متسعة قليلة العمق تسمى بالملاحات فتملأ تلك الأحواض بمياه البحر في الصيف وتترك قليلا حتي يرسب ما يكون فيها من الأقذار ثم تنقل منها الى أحواض مجاورة لها وتترك فيها فبعد مرور مدة كافية يتطاير الماء من تلك الأحواض بتأثير حرارة الجو العادية ويبقي الملح راسباً في قاعها فيؤخذ ويكوم أكواماً بجانبها ليتصفي مما يكون عالقا فيه من الماء فيؤخذ و يرسل الى الجهات ليستعمله الناس

﴿ أنواع الملح ﴾

للملح أنواع عديدة بسبب ما يكون عالقا مع عنصريه من الاملاح الأخري أو المعادن. فالملح الجبلي مثلا يكون أصفر اللون بسبب وجود أكاسيد معدنية فيه ولا يصح استعماله على تلك الصورة لأنه يكون ضاراً فيجب تصفيته عدة مرات

وهناك املاح أخري يشوب طعمها شوائب من المرارة ويكون السبب فيها وجود املاح أخري مع ملح الطعام وقد شوهد ان أجود الاملاح وأنقاها هو ملح دمياط ورشيد

(خواصه وفوائده)

الملح معتبر من التوابل التى تعطي الأغذية طعما مشيراً للشهية فانها بدونه تكون تفهة لا يستطاع تعاطيها حتي سماه الناس لذلك بمصلح الطعام

ومن فوائده الصحية انه يُدرُّ اللعاب فاذا وضعت قطعة منه فى فمك تأثرت منها الغدد اللعابية فسال اللعاب وملأ الفم ولذلك فائدة عظيمة في تسهيل الهضم

ذلك أن الأغذية التى نتناولها فيها نشا كثير يدخل فى تركيب الخبز والبقول والبطاطس والفواكه وهذا النشا لا يهضم الا في الفم بواسطة اللعاب لأن في اللعاب خميرة خاصة تؤثر عليه فتحيله الي سكر قابل الانهضام . أما لو نزل النشا بحالته الى المعدة فلا ينهضم أصلا وينزل مع الفضلات كما هو فيحرم الجسم من فوائده

وبما أن الملح يثير الغدد اللعابية ويسيل مقداراً عظيما من اللعاب فيكون له فائدة عظيمة فى تسهيل هضم الأغذية النشائية فضلا عن ان هذا اللعاب ضروري أيضا لعجن بقية أصناف الأغذية في الفم

ولكننا مع اعترافنا بهذه الفائدة ننصح بعدم الاسراف في تعاطيه فانه ثقيل علي المعدة مفسد لتركيب الدم حتى ذهب بعض كبار العلماء الى وجوب عدم تعاطيه أصلا محتجين بأن الاملاح الموجودة في الخضر والاغذية الاخري تكفي لما يحتاجه الجسد من الاملاح الضرورية لتركيبه

ولكننا اذا لم نستطع أن نسير علي هذا المذهب فلا أقل من الاعتدال في تعاطيه

﴿ ملَخ ﴾ الشيء يملَخه جذبه . و(امتلخ سيفه) انتضاه مسرعا .

و (امتلخ الضرس) اقتلعه

﴿ الملوخية ﴾ من الخضر المستعملة في بلادنا بكثرة تذرع ببذر بذورها في الحياض بعد حرثها جيدا وتسميدها تسميدا وافرا وهي تزرع في أي وقت بين فبراير واكتوبر

هذا النبات كثير المحصول في الاراضى الصفراء ويحتاج لعناية في الزرع والتسميد الكثير على الاخص والماء الغزير ويتوقف عدد مرات جنيها وجودة نوعها علي هذه الاحوال

تجني الملوخية لاول مرة بعد زرعها بخمسة وثلاثين أو أربعين يوما وقد تجني سبع مرات بين المرة والاخري نحو خمسة وعشرين يوما ومع هذا فقد تنحط جودة المحصول بعد الجنية الثالثة لقلة أوراقها وخشونتها وصغر حجمها وتنضج بذورها بعد شهرين

كثيراً ماتنمو الملوخية في مزروعات الاقطان كحشائش معطلة لنمو الزرع

وجاء في المادة الطبية للعلامة الرشيدي ماياتي :

« واستنبت عندنا (الضمير مذكر لانه يعود على قوله الملوخية نبات) ببلاد المشرق وبلاد المغاربة لاجل الأكل فيؤكل مطبوخا بالمصلوقات الدسمة والسلطات ولكن كثرة لعابيتها تصيرها عسرة الهضم

« وذكر بعض المتأخرين ان خواصها الطبية كخواص الخطمى وان مطبوخها يكون بالاكثر صدريا وان درهمين من بزورها تقذف أي تسهل الاخلاط اسهالا قويا . ويظهر ان هذا البعض أخذ هذا من كتب القدماء . فقد قال اطباء العرب قديما ان خواصها الدوائية كخواص الخبازي وان قيل انها تسخن قليلا وتنحدر سريعا لرطوبتها ولزوجتها فهى متوسطة الانهضام وانها تعطش للطفها وتهيج الحرارة وانه لاينبغى المبادرة باستعمال الماء عليها وان بزرها يسهل الاخلاط الغليظة واللزجة ويفتح السدد انتهي

ثم قال العلامة الرشيدي :

« ولم يعط اليونانيون لهذا النبات اسم قرقوروس الذي معناه مسهل الا لكونه يرخى ويقلل انضمام الالياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك الانحدار والا فهو لايحتوي علي جوهر

مسهل وانما يحصل منه الاسهال بفعله الميخانيكي . وأوراقه الجافة قوية التأثير في فتح الخراجات ضمادا بالماء . ولننبهك على انه ذكر فى المفردات الطبية العربية ان البستاني من الخبازي هو الملوخية فجعلوها صنفا من الخبازي مع ان الامر ليس كذلك بل ليست من فصيلتها الزيزفونية التي هي وان قربت للفصيلة الخبازية الا انها تختلف عنها باختلافات كثيرة مذكورة في علم النبات . ونظير ذلك ما قالوا أيضا ان الخطمى نوع من الخبازي والحال ان كلا منهما الآن جنس مخصوص وان كانت فصيلتهما واحدة وعذرهم في ذلك عدم تقدم علم النبات في الازمنة السالفة فهم مقلدون لمن سبقهم من أطباء اليونان»

وجاء فى كتاب الدكتور كلوت بك وهو الطبيب الفرنسى الذي استحضره محمد على باشا والي مصر لانشاء المدرسة الطبية . وقد الف كتابه هذا بعد درس أحوال مصر ونباتاتها قال كما ورد في ترجمة كتابه المسماة بكنوز الصحة :

« من الاغذية الغروية الخبازي المعروفة بالخبيزة والباميا والملوخية لان كلامنها يحتوي على كثير من المادة الغروية وهي جيدة للتغذية طبيعة الا انها لاتناسب بعض الاشخاص لانهم يحصل لهم تعب من أكلها وأحيانا يحصل لهم قئ . ومن كانت طبيعته كذلك ينبغي أن لايتناول منها شيأ الا بعد خلطها بجواهر أخري أقل غروية منها . وهذه الغروية توجد في الاسفاناخ والرجلة والخس والسلق ولكنها أقل مقدارا مما فى الخبازي والبامية والملوخية »

نقول في هذه المناسبة ان العامة يخطئون في زعمهم ان الملوخية قليلة التغذية اذا أرادوا انها كذلك في ذاتها ، ويصيبون اذا قصدوا انها كذلك على الاسلوب الذي يعملونها به . ذلك انهم يحتونها حتي تكاد تكون عجينا ثم يشبعونها بالماء فتصير أشبه بمرق الخضر (أو شوربة الخضر) ثم يتعاطونها لا بالملاعق بل بغمس اللقمة فيها ، وماذا عسى أن يعلق باللقمة منها غير قطع لا تجدي في التغذية ؟ ولكنهم ان قللوا ماءها وأكثروا من أكل مادتها كانت من أحسن الخضر تغذية

﴿ ملد ﴾ امرأة أملود وأملودة أي

ناعمة . و (الشاب الأملد) أي الناعم

﴿ ملس ﴾ الشيء يملس ملساً وملاسة ضد خشن . و (ملسه) جعله أملس و (تملس وانملس) أفلت

﴿ ملص ﴾ الشيء يملص ملصاً سقط متزلجا . و (تملص) تفلت وتخلص . و (انملص) انفلت

﴿ ملطية ﴾ بلد غربي الفرات كثير الفواكه شديد البرد وهي في مستوي من الأرض تحيط بها جبال

﴿ الملطاط ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان هو الطريق على ساحل البحر وكان يقال لظاهر الكوفة اللسان وما ولى الفرات منه الملطاط

﴿ ملطية ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان هي مدينة من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة وهي من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام

وقال ابن حوقل عند الكلام علي العواصم وهي الثغور التي كانت تفصل بين المسلمين والروم وكانت تشحن بالمقاتلة تارة من هؤلاء وطوراً من أولئك علي حسب دخولها في حوزتهم وكانت مدينة ملطية من أكبر الثغور وأكثرها سلاحاً ورجالا دون جبل اللكام الي ما يلي الجزيرة ويحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكروم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها وهي من أقوي بلاد الروم في هذا الوقت يسكنها الأرمن وفتحت في سنة ٣١٩

وقال صاحب المرآة وأما مدينة ملطية فهي بقرب الفرات ومصب نهر قرەصو أهلها نحو ١١٠٠٠ نفس منهم ٨٠٠٠ مسلمون والباقي أرمن وكانت قديماً مشهورة ولكنها انحطت عن عظمتها كثيراً والظاهر ان موقعها الآن غير موقعها القديم والى الجنوب منها سميساط علي الفرات والي الغرب من هذه مرعش

﴿ ملكه ﴾ يملكه ملكا وملكا وملكا استولي عليه . و (ملك العجين) عجنه فأنعم عجنه و (ملكه الشيء) جعله له ملكا ومثله (أملكه) و (أملك فلانا المرأة) زوجه اياها . و (تملك) ملك . و (الملاك) الاقتدار . و (ملاك الأمر) قوامه الذي يملك به . و (الملك) اسم لما يملك . و (ماله ملك) أي شيء يملكه . و (أعطاه من ملكه وملكه وملكه) أي مما يقدر عليه و (المليك

و (المَلْك) صاحب الملك ومثلها المليك.
و (أقر بالمَلَـكَـة والمُـلوكة) أي بالملك.
و (المَلَـكَـة) صفة للنفس راسخة فيها.
و (المَلَـكوت) العز والسلطان والملك العظيم. و (المملكة) عز الملك وسلطانه.
و (المملوك) العبد

﴿عبد الملك بن مروان﴾ أحد خلفاء بني أمية هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي

بويع له بعد أبيه في خلافة الزبير وصار ملكه على مصر والشام وملك ابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين ثم غلب عبد الملك على العراق و بقية البلاد وقتل ابن الزبير واستوثق الأمر له.

كان عبد الملك عابداً ناسكا بالمدينة شهد يوم الدار (اليوم الذي قتل فيه عثمان) مع أبيه وهو ابن عشر سنين

قال ابن سعد واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وسمع عثمان وأبا هريرة وأباسعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية. وهو أول من سمى عبد الملك في الاسلام

قال ابو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن أبي ذؤيب

وعن ابن عمر قال ولد الناس أبناء وولد مروان آباء

وقال يحيي بن سعد أول من صلى في المسجد مابين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان

وقال ابن عائشة أفضي الامر الى عبد الملك والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني و بينك. نقول لعل هذا مكذوب عليه أو لعله قال ذلك يريد به ان مهام الخلافة ستقطعه عن تلاوته وتحرمه منه. ولكننا على أي حال نأخذ مثل هذه الاقوال بتحفظ فان اكاذيب المؤرخين في تلك الازمان كانت من الشيوع بحيث لا يصح أن يبني حكم صحيح على رجل الا بعد تمحيص جميع الاقوال فيه

كان عبد الملك ربعة أبيض ليس بالبادن ولا النحيف مقرون الحاجبين كبير العينين مشرف الانف كثير الشعر مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب. وكان يلقب برشح الحجر لبخله. ولد يوم تولى عثمان بن عفان الخلافة وكانت

مدة ملكه احدي وعشرين سنة ولما مات صلي عليه ابنه الوليد ، وفي أيامه حولت الدواوين الي العربية وكانت لغتها الرومية والفارسية . ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية أيضا سنة (٧٦) وكانت علي الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية وعلى الدراهم كتابة بالفارسية

يقال انه كتب الي الحجاج مرة بلغني عنك اسراف في القتل وتبذير في المال وهاتان خلتان لاأحتمل عليهما أحدا وقد حكمت عليك في العمد بالقَوَد وفي الخطأ بالدية وفي الاموال ان تردها الي مواضعها وكتب فى آخرها :

وان تر مني غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان تر مني غضبة أموية
فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
سأملى لذي الذنب العظيم كأنني
أخو غفلة عنه وقد جب غاربه
فان كف لم أعجل عليه وان أبي
وثبت عليه وثبة لا أراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعد فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأفون ، الا وان من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال ، الاواني لاأداهن هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا اعمال المهاجرين الاولين ولاتعملون من أعمالهم فلم تزدادوا الا اجتراحا ولن تزدادوا الا عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا وبينكم هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا . ألا وانا نحتمل من كل شيء الا وثوبا على منبر أو نصب راية . الا وان الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله لايفعل أحد فعله الا جعلتها في عنقه ، ثم لا تخرج نفسه الا صعدا

وزاد بعض الرواة انه قال بعد ذلك :
« والله لايأمرني أحد بتقوي الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه . ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمامها وقال :

فصحّت ولا شلت وضرت عدوها
يمين أراقت مهجة ابن سعيد

وعبد الملك هذا أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وان يعترضوا عليهم

بما يفعلون

نقول عبد الملك بن مروان يعتبر أكبر خلفاء بني أمية وقد أدرك الامر من أوله وحدثت في أيامه احداث عظيمة تعد حاسمة في تاريخ الخلافة ، وقد صارت مقدمات لما جاء بعدها من التقاليد الاجتماعية فلا يصح أن نوجز في ترجمته ولا أن نستخلصها من أقوال المؤرخين بل الأمثل أن نترك الكلام فيها لمؤرخ قريب من ذلك الزمن ، بعيد عن عهد التنطع في القرون المتأخرة ، وهو العلامة أبي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة المتوفى في سنة (٢٧٠) فقد أفاض في هذه الحوادث الكبر في كتابه الامامة والسياسة قال :

«ان عبد الملك ابن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيرا ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق . وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم ، لا يختلف في دينه ولا ينازع في ورعه ، فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام . فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الاشدق فوعده عبد الملك أن يستخلفه بعده فبايعه علي ذلك وشرط عليه أن لا يقطع شيئا دونه ولا ينفذ أمرا الا بمحضره . فأعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الي المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعا بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أتي بماء فتوضأ على المنبر . قال أبو معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أرسل الى جابر بن عبد الله الانصاري فدعاه ، فقال تبايع لعبد الملك امير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله علي أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة ؟ فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني أبايعك علي ما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة . قال ثم ارسل الي عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين علي السمع والطاعة ؟ فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله . ثم خرج ابن دجلة من [illegible] ذلك نحو الربذة وقام في أثره رجلان أحدهما

على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعا الى الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة . وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان سرْ الي حبيش بن دجلة وأصحابه في ناس فسار حتي لقيهم بالربذة في شهر رمضان وبعث الحارث ابن عبدالله بن أبي ربيعة من البصرة معداً الى ابن الزبير حنيف ابن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات أهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتي أصبحوا وبات الآخرون فى المعازف والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتي تشربوا من سويقكم المعتد. فأهرقوا الماء وعدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها . قال وكان يوسف أبو الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس ابن سهل فقال انزلوا على حكمي فضرب أعناقهم

(غلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم) قال وذكروا ان ابن عباس ابن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع الى المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبدالله بن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله بن ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتي يجعلونها كأنها أصفار . فقال لهم هلم بسبعة ثقالا . فأتوه بسبعة . ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم . قال وأتوا بالمكيال الذي يكيلون به فقال هذا قريب صالح ، ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل فقال : لأن تفسد البصرة أحب الى من أن يفسد الحرث والنسل . قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : أهل البصرة لايقدم عليكم أحد الا لقبتموه وأنا ألقب لكم نفسى أنا القصاب . ثم سار الى المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها) قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك

قالوا كان ابن زياد أول من ضُمّ اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الي عامّهم وكان بعضهم له علي مايحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واشتد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بني أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد الي المسجد فقام خطيبا فحمد الله وأثني عليه وقال : ايها الناس ان الذي كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان امرتموني عليكم حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وانصفت مظلومكم واخذت علي يد ظالمكم حتي يجتمع الناس على خليفة

فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري وقال الحمد لله الذي أراحنا من بني أمية وأخري من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيدالله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه و بين ذلك . ثم خرج الثانية عبيدالله ابن زياد الي المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه . وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نؤمر رجلا حتي نجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على أن يؤمروا عمرو ابن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذي من كندة فبينماهم علي ذلك اذ أقبل النساء يبكين وينعين الحسين وأقبلت همدان حتي ملأوا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف وأجمع رأي أهل البصرة والكوفة علي عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الي عبدالله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال في الأمصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الا خرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن أبي ذؤيب فقال : يا هؤلاء ، من ينصر الله ينصر الكعبة ، من يغار على ابن سمية ، سارعوا أيها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا

قَوَد هذه البيعة فانها بيعة هدي فانه من أحد علمتم عبد الله بن الزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن أسماء بنت أبي بكر الصديق. أما والله لو أن أبا بكر علم انه بقي علي الأرض من هو خير منه وأولي بهذه البيعة ما مد يده ولا نازعته اليها نفسه ، أما والله لقد علمتم ما أحد على وجه الأرض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبريّ من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الأمر. ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا على حِدَة والقبائل كل قبيلة في المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد في القصر وقد أخذوا بأبوابه وقد تمنع ان يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بأفواه السكاك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم الحاربة اثني عشر ألفا ليعتز بهم فوالله ما ذادوه الا ذلا فلما رأي ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل وان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل الي الحارث ابن قيس الجهمي من الأزد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد أكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فأنشدكم الله فيَّ قال الحارث اخاف ان لا تقدر علي الخروج الينا لما رأي من سوء رأي العامة فيك مع سوء آثارك في الازد . قال فتهيأ عبد الله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه فخرج به علي الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من اهلي كانت زائرة لأهل ابن زياد أتيت اذهب بها . فقال عبيد الله للحارث أين نحن ؟ قال في بني سليم فقال سلمنا الله . قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن ؟ قال في بني ناجية من الأزد . قال نجونا ان شاء الله . قال فأتي به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الأزد فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيرا قال ولم جئتني بالعبد؟ قال أنشدتك فقد اختارك على غيرك . فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع . فقال مسعود يا غلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فأكل وانما أراد ابن زياد ان يتحرم بطعامه . ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ قاصية قال فكأن عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد الى

السطح بحزمة من قصب فأشعل أعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فأقبلت الأزد على الخيل وعلى أرجلها حتى شحنوا السكك وملأوها فقالوا ما لسيدنا ؟ قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته ورفعته وما هو عليه، قال هذا والله العز والشرف . فأقام عنده أياماً وعنده امرأتان امرأة من الأزد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الأزدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك . وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود ابن عمرو فاجتمعت القبائل فى المسجد والخوارج وهم في أربعة آلاف . فقال ابن مسعود ما أظنني الا خارجاً الى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم. قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فأقبل مسعود يوماً على برذون له وحوله عدة من الأزد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر . قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر ؟ قال قد سألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الأزد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر . قال فأقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه . وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد بأجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيد الله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه بأسيافهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الأزد فأقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عُبّاد بن الحصين لينظر الى عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ، أبا قيس قد وفيت ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجمتهم بنفسك . ثم ألقى عليه كساءه ثم أقبلت الازد فكان بينهما وبين مضر ماوقع ذكره فى غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة بن الزبير

قال الهيثم قال ابن عباس حدثني عوكل اليشكري قال : انا مع عبيد الله بن زياد في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيدالله ياعوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك. قال عوكل : فوالله انا لنسير بالسمَّارة اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كاب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال بأربعمائة درهم لا انقصكم درهما فأشار الينا عبيدالله أن خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدري من هذه ولكن بيني وبينكم هذا المولى يعني عبيدالله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقمر شبيهاً بالموالى . قال فأخذه منه. فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي أنا أقسم بالله ان لكم شأنا وما أظن صاحبكم الا والي العراق فاستقفاه عبيدالله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه . قال عوكل ثم ان عبيدالله بينا هو على راحلته اذ هجمت عينه. فقلت له أراك نائما. فقال ما كنت بنائم . فقلت له ما اعلمني بما كنت تحدث به نفسك ؟ قال وبأي شيء كنت أحدث به نفسي ؟ قال قلت : ليتني لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم اتخذ المحاربة . قال ما خطر لي هذا على بال . اما قولك ليتني لم أبن البيضاء فما كان عليَّ منها اثم بناها اليزيد من ماله وأما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابي ومن كان قبله . وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لأني كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من لا إل بينه وبينهم ولكني كنت أحدث نفسى اني ندمت علي تركي أربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت أضرمت البيضاء عليهم حتي آتي على اخرهم وودت اني جمعت آلي وموالىَّ ونابذت اهل المصر على سواء حتى يموت الأعجل وودت اني قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد .

(قتل المختار عمرو بن سعد) قال وذكروا ان المختار ابن أبي عبيد كتب الي عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى عبد الله بن الزبير فأت المهدي محمد

ابن علي وهو ابن الحنفية فأقرأ عليه مني السلام وقل له يقول لك أخوك أبو اسحاق اني أحبك وأحب أهل بيتك. قال فأتاه الرسول فقال له ذلك . فقال له كذبت وكذب أبو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن علي أخي ؟ قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد ابن علي . فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين . قال عمرو لابنه حفص يا بني قل له ماشأن النوائح يبكين الحسين ؟ قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك أن تبكي عليه؟ فقال أصلحك الله انههن عن ذلك . قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتني برأسه . قال فأتاه فقال قم الي أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف، فجلله بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي . فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه . قال أتحب أن ألحقك به ؟ قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب رأسه فقتله. قال ثم أرسل عبدالله بن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد واحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم أرسل عبد الله ابن مطيع الى الكوفة ، ثم بعث المختار بن أبي عبيد علي الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيدالله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان أميرا على العراق وندب معه جيشاً عظيما من أهل الشام فأقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذا الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

(قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد الله) قال وذكروا ان ابامعشر قال لما قتل عبيدالله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث ابن نوفل فأمروه على انفسهم ثم اتي عبد الله بن الزبير وأم عبدالله بن الحارث هند بنت أبي سفيان وكانت امه تنبذه وهو صغير ببه فلقب ببه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن ابي ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث

حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير اخاه وضم اليه العراقين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول واراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الى اخيه مصعب ان سر الي المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة ايام حتي هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه وقتل مصعب اصحاب المختار. قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجاً في سنة احدي وسبعين فقدم عبدالله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق واشرافهم. فقال ياامير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم كلٌ مطاع في قومه وهم الذين سارعوا الي بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا اهل معصيتك وسعوا في قطع عدوك فأعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتني بعبيد اهل العراق وتأمرني أن أعطيهم مال الله لا أفعل ، وأيم الله لوددت اني أصرفهم كما

تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام . ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الي عبد الملك ابن مروان أن اقبل الينا .

(خلع ابن الزبير) قال وذكروا ان ابا معشر قال لما اجمع القوم علي خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك ابن مروان أن سر الينا فلما اراد عبد الملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فأغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ماتصنع اتذهب الى اهل العراق وتدع دمشق ، اهل الشام اشد عليك من اهل العراق . فأقام مكانه فحاصر اهل دمشق اشهرا حتي صالح عمرو بن سعيد علي انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم ارسل عبدالملك الى عمرو وكان بيت المال بيد عمرو ان أخرج للحرس ارزاقهم قال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك ارزاقهم ايضا

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قال وذكروا ان ابا معشر قال : لما

اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ارسل عبد الملك الى عمر بن سعيد نصف الليل ائتني ابا امية . قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لاتذهب اليه فاني اتخوفه عليك واني لأجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها ، فتركته فأخرج معه اربعة آلاف رجل من اهل دولته لايقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان . فقالوا لعمرو اذا دخلت علي عبد الملك ياابا امية ورابك منه شيء فأسمعنا صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزمان بيني و بينكم ميعاد . ان زالت الشمس ولم اخرج اليكم فاعلموا اني مقتول او مغلوب فضعوا اسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتي تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون ياابا امية اسمعنا صوتك. وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس . فقال له عبد الملك أتمكر ياابا امية عند الموت ؟ خذوه . فأخذوه فقيل له ان امير المؤمنين قد اقسم ليجعلان في عنقك جامعة منه ثم نشروه الي الارض نشرة فكسرت ثنيته . قال فجعل عبد الملك ينظر اليه، فقال عمرو لاعليك ياامير المؤمنين عظم انكسر ، فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى ارجع اليك . قال فلما اراد عبد العزيز ان يضرب عنقه ، قال له عمر تمسك بالرحم ياعبد العزيز انت تقتلني من بينهم ؟ فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالسا فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن اما ولدته ؟ قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته . قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويد فضرب عنقه ثم ادرجه في بساط ثم ادخله تحت السرير . قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته ، فقال له عبد الملك كيف رأيك في عمرو بن سعيد فأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا امير المؤمنين . فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتك الا ناصحاً امينا موافقا قال له فما تري في هؤلاء الذين احدقوا بنا واحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح

رأسه اليهم ياأمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبد الملك برأس عمرو ان تطرح اليهم من اعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونثرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادي: ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ ولكم على امير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى أكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لامير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك ابن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيبطئون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس أبان بن مروان : ياأمير المؤمنين سلطني عليهم ، فأعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم . قال فكان لايمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا أحرق عليه بيته فلما رأي ذلك أهل الشام خرجوا . قال فأصابهم من ذلك غلاء في الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار بأهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

(مسير عبد الملك الي العراق وقتله)

قال وذكروا ان عبد الملك لما سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس مابينهما من الاخاء والصداقة. فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني اكلمك . قال فدنا كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ماأجري الله بيني و بينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من إخائي وصحبتي والله أنا خيرلك من عبد الله وأنفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني وانصرف الي وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعة هذين المصرين والامر أمرك لاتعصى ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لاتجفي ووزيراً لاتعصي

فقال له مصعب : أما ما ذكرت في من ثقتي بك ومودتي وإخائي فذلك كما ذكرته ، ولكنه بعدقتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما مني اليك وأولي بما عندك فقتلته غدرا ، ووالله لو قتلته في ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من أثمه . وأما ما ذكرت من انك خير لي من أخي فدع عنك أبا بكر واياك واياه لا تتعرض له واتركه ما تركك وارج عاجل عاقبته ، وارج الله في السلامة من عافيته . فقال له عبد الملك : لا تخوفني به فوالله اني لأعلم منه مثل ما تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها أبدا : عُجْب قد ملأه ، واستغناء برأيه ، وبخل التزمه فلا يسود بها أبدا

(قتل مصعب بن الزبير) قال وذكروا ان عبد الملك لما أيس من مصعب كتب الي أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الي نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطا وعهوداً ومواثيق وعقوداً وكتب الي ابراهيم بن الأشتر يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لأصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الي هذا الكتاب وكتب لأصحابي كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب أعناقهم واضرب عنقي معهم . فقال مصعب : ما كنت لأفعل ذلك حتي يستبين لي ذلك من أمرهم . قال ابراهيم فأخري . قال وما هي ؟ قال احبسهم في السجن حتي يتبين ذلك فأبي ، فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك أبداً . وقد كان قال له قبل ذلك أدع أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبداً وهي ما شرطه الله ، فقال له مصعب لا والله لا أفعل لا أكون قتلتهم بالأمس وأستنصر بهم اليوم . قال فما هو الا ان التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الي عبد الملك ابن مروان . قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة ، قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال أين الناس أيها الامير ؟ فقال غدركم يا أهل العراق . قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الي عبد الملك يدعي انه

قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الأرض ماقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف : فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لا لحقتك سريعاً به . قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

(ذكر حرب ابن الزبير وقتله)

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك ابن مروان من أهل العراق وأتاه الحجاج ابن يوسف فقال يا أمير المؤمنين اني رأيت في المنام كأني أسلخ عبد الله بن الزبير . فقال له عبد الملك أنت له فاخرج اليه . فخرج اليه الحجاج في ألف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتي نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافي الناس عنده قدر مايظن انه يقدر علي قتال عبد الله بن الزبير وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فثار الحجاج من الطائف حتى نزل مني فحج بالناس وعبدالله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس ونواحي مكة كلها فرمي أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل في صبيحتها جمع عبدالله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بني مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما تريد على أن نموت معك انما هو احدي خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لأنفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله ان لا يبايعني أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله إنا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخري الحفيظة ان أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك . فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت اكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فو الله لا يقبل هذا مني أبداً او اكتب اليه لعبد لعبد الملك أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء علي الغبراء أحب الىّ من ذلك قال عروة أخوه : يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال عبدالله من هو اسوتي قال الحسن بن علي ابن أبي طالب خلع نفسه وبايع معاوية

فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتي ألقاه ثم قال ياعروة قلبي اذاً مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وما ضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لاأقبل شيئا مماتقولون. قال فلماأصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعي لى طعاماً فصنعت له كبداً وسناماً قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبنا فأتي بلبن فشرب ثم قال صبوا علي غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا ألين لغير الحق أسأله

حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل علي أمه اسماء بنت أبي بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة. فقال لها: يا أماه ما ترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي. فقالت: يا بني لا يلعبن بك صبيان بني أمية عش كريماًأومت كريماً. فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم اهل الشام فيهزمهم وهو يقول: ويل امه فتح لو كان له رجال. قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكنك ضيعتهم. قال فجاءه حجر من حجارة المنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما دري اهل الشام انه هوحتى سمعوا جارية تبكي وتقول: وا أمير المؤمنين. فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن امية وعمارة بن عمرو ابن حزم ثم بعث برؤسهم الي عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادي الأولي سنة ثلاث وسبعين. قال أبو معشر: ثم اقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون. قال فلما مات بشر بن مروان وكان علي الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر علي العراقين واحتل لقتالهم فانه قد بلغني عنهم ما اكره. واستعمل عبد الملك على المدينة يحيي بن حكيم بن ابي العاص

(ولاية الحجاج على العراقين) قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الي العراقين ويحتال لقتلهم توجه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من أخلاط الناس وتقدم بألفي رجل وتحري دخول البصرة في يوم الجمعة في حين أوان

الصلاة فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم . وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الي الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضي به الى داخل ازاره . فقال لهم اني اذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبوني فاذا رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال : أيها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك أميرٌ استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماماً على عباده وقدولاني مصركم وقسمة فيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء ، والعقاب الى العاصي المسيء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافأة ، وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة ، فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبري الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الي الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعاوسبعين الفا(؟)حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال أبومعشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد أحيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : اني أري رؤساً قد أينعت وحان قطافها . فهـابوه وكفوا ثم كلهم فحصبوه وا كثروا فأمر بهم جندا من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا

به من حوله ومن حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : اني لاأري ذلك صوابا ان الشاهد يري مالا يري الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وأنت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

(خروج ابن الاشعث على الحجاج)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل أعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأي؟ قال الرأي أن تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره . قال وانتهى الخبر الي الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وأنا أعلم ان سعيداً لايخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه . فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن ابن الاشعث من كرمان وتقدم اليه أن لايكتمه من أمره شيئا فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن . قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان؟ قال : شر طويل تغد الحجاج قبل ان يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهي أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابي من بكر ابن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال له الغضبان : السلام كثير وهي كلمة مقولة ، قال الاعرابي من أين أقبلت؟ قال : من الارض الذلول. قال وأين تريد ؟ قال : أمشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي أخرج لعباده

منها ، قال الاعرابي فمن عرض اليوم؟قال الغضبان المنقول . قال فمن سبق؟قال حزب الله الفائزون قال الاعرابي ومن حزب الله ؟ قال هم الغالبون . فعجب الاعرابي من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض؟ قال الغضبان انما تقرض الفأرة .قال أفتنشد ؟قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع؟ قال انما تسجع الحمامة . قال أفتنطق؟ قال انما ينطق كتاب الله قال أفتقول؟قال انما يقول الامير . قال الاعرابي تالله مارأيت مثلك قط . قال الغضبان بلى ولكنك نسيت . قال الاعرابي فكيف أقول ؟ قال أخذتك الغول في العاقول وأنت قائم تبول . قال الاعرابي أتأذن لي أن أدخل عليك؟ قال الغضبان وراءك أوسع لك . قال الاعرابي قد أحرقتني الشمس . قال الغضبان الآن يفيء عليك الفيء اذا غربت . قال الاعرابي ان الرمضاء قد أحرقت قدميَّ . قال الغضبان بل عليها يبردان . قال الاعرابي ان الوهج شديد . قال الغضبان مالي عليه سلطان . قال الاعرابي اني والله ماأريد طعامك ولا شرابك .قال الغضبان لاتعرّض بهما فوالله لاتذوقهما . قال الاعرابي وما عليك لو ذقتهما ؟ قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شيء من الأكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك . قال الاعرابي سبحان الله . قال الغضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك وأضراسك الى الدنيا . قال الاعرابي ما عندك الا ما أري . قال الغضبان بل عندي هراوتان أضرب بهما رأسك حتي تنتثر دماغك . قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون . قال الغضبان أظلمك أحد ؟ قال الاعرابي ماأري ؟ ثم قال يا آل حارث ابن كعب قال الغضبان بئس الشيخ ذكرت . قال الاعرابي ولم ذلك ؟ قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثا . قال الاعرابي اني لأحسبك مجنونا . قال الغضبان اللهم اجعلني من خيار الجن . قال الاعرابي اني لأظنك حروريا .قال الغضبان اللهم اجعلني ممن يتحري الخير قال الاعرابي اني لأراك منكرا ! قال الغضبان اني لمعروف فيما أوتي . فولى عنه وهو يقول . انك لبذخ أحمق وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم الغضبان علي الحجاج قال له أنت شاعر

قال لست بشاعر ولكني حائر. قال أفعراف أنت؟ قال بل وصاف. قال كيف وجدت أرض كرمان؟ قال الغضبان: ارض ماؤها وَشَل، وسهلها جبل، وثمرها دقَل، ولصها بطل، ان كثر الجيش بها جاعوا، وان قلّ بها ضاعوا. قال صدقت أعلمت من كان الاعرابي؟ قال لا. قال ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك. اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة: تغدّ الحجاج قبل ان يتعشاك. وانت ياغضبان قد انذرك خصمك على نطق لسانك فما الذي به دهاك؟ قال الغضبان جعلني الله فداك ياامير المؤمنين اما انها لاتنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه. فقال الحجاج: اجل ولكن اتراك تنجو مني بها والله لأقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك. قال الغضبان: اصلح الله الامير قد آذاني الحديد واوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء ولا يقطع من رجائك المسيء، قال الحجاج انك لسمين. قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن. قال إنا حاملوك علي الادهم. قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر. قال الحجاج: انه لحديد. قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً. قال الحجاج اذهبوا به الى السجن. قال الغضبان: «فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون» فاستمر في السجن الى أن بني الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط. قال الحجاج: أما ان لها عيبا فما هو؟ قالوا ما نري بها عيبا، قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فأقبل الغضبان وهو يرسُف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له ياغضبان كيف قبتي هذه؟ قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية. قال اخبرني بعيبها. قال: بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لايبقي بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقي ولايدوم فكأنه لم يكن. قال الحجاج صدق ردوه الى السجن. فقال الغضبان أصلح الله الامير قد أكلني الحديد وأوهن ساقي القيود وما أطيق المشي. قال احملوه فلما حمل على الايدي قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين» قال انزلوه قال: «رب انزلني منزلا مباركا

وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحي عنه قال الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه

(حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله) قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميرا زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها فى جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناوأه . وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد الاشعث الكندي له ابهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطيقا مع ما كان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبراً وفخرا وتطاولا فالزمه بنفسه وألحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجري عليه العطايا الواسعة صِلة لصهره وحبا لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لايزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الاقبولا وفي نفس الحجاج من عجبه مافيها لتشمخه زاهيا بأنفة حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا : أما والله ياعبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عني بقفا غادر وأيم الله لنبتاين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهرا حتى اذا عيل صبر الحجاج على مايتطلع من عبد الرحمن أراد أن يبتلى حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وان يبدي منه مايكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان . فلما بلغ ذلك أهل بيت عبدالرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديدا فأتوا الحجاج فقالوا له أصلح الله الامير أنا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبي أن ينتهي عن عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقا أو أن يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأي كالذي رأيتم ولقد استعملته على بصيرة

فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدي ان شاء الله . فلما توجه عبد الرحمن الي عمله توجه وهو مصر" لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الي أيوب بن القرّية التميمي وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوّها كليا يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرّية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام علي أهل طاعة الله واوليائه الذين يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ، و يجاهدون في سبيله ، ويتورعون لذكره ولا يسفكون دماحراما ، ولا يعطلون للرب احكاما ، ولا يدرسون له اعلاما ، ولا يتنكبون النهج ولايبرمون السى ، ولا يسارعون في الغى ،ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل تمكنون عند الاشتباه و يتراجعون عند الاساءة ، اما بعد فاني احمد الله حمدا بالغا في رضاه منتهيا الى الحق في الامور الحقيقة لله علينا ، و بعد فان الله انهضني لمصاولتك و بعثني لمناضلتك حين تحيرت امورك ،وتهتكت ستورك ،فأصبحت عريان حيران مهينا الا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ، ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذي الهمني ذلك ان يصيرك في حبالك وان يجيء بك فى القَرَن ، و يسحبك للذقن ، و ينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من اتهمته وعاديته . فلعمري لقد طال ماتطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت ان أن تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلفك من حيالها خَلْفُها نعالها وتدرعت حلالها تدرعها مطالها لايحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيدا يتأملون خزايتك و يتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطعمون الله لحمك . وأيم الله لينافقك منهم الابطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به علي طاعة الله شرَوْا أنفسهم تقربا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام علي أهل طاعة الله . فلما قدم

الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه وألقي الطرف الآخر يجره من خلفه حتي صعد المنبر ونودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

نقاتلهم ولم نشتم عدواً
وشر عداوة المرء السِّباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ما تأتون وما تبغون . العجب المجيب وما هو أعجب من العَيْر الأبتر اني وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا في نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير أبتر .ومن كيده ماهو أعجب العجب على حين اننا قد امنا الخوارج واطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم ياأهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم علي الله وانتهاككم حرمته واغترارکم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش الاوهو في جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الي خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة في صحبة ولا ذماماً في طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذي يتخوف منكم ياأهل العراق أما هذا الذي يتقي والله لقد أكرمنا الله بهوانكم واهانكم بكرامتنا في مواطن شتي تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه المَعْلوجاء المقصصة انحرافا او لهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت ان اترك بكل سكك منها جيفا منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . ياأهل الشام احدوا قلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال :

قد جد اشياعكم فجدوا
والقوس فيها وَتَرٌ عَرَدٌ
* مثل ذراع البكر او اشد *

هيهات ترك الخداع من اجري من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه يُهدَّم ، واري الحزام قد بلغ الطُّبْيَين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كهدان ، انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأي كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا العيوبكم وايا كم

ان اكون انا وانتم كما قال القائل :

انك ان كلفتني مالم اطـق
ساءك ماسرّك مني من خلق

والخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون، فالتقدم قبل التندم ، واخو المرء نصيحته ثم قال :

لذي العلم قبل اليوم ماتقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلمـا

ثم قال : احمدوا ربكم ثم صلوا على نبيكم صلي الله عليه وسلم . ثم نزل وقال: اكتب يانافع وكان نافع مولاه كاتبـا يكتب بين يديه : « بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الي عبد الرحمن ابن الاشعث سلام علي اهل النزوع من التزييغ واسـباب الرداء لا الي معـادن السيء والتقحم في الغى ، فاني احمد الله الذي خلاك في حيرتك اذ بهتك فى السيرة، ووهلك للضرورة ، حـتى اقحمك امورا اخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، اقبلت مستنا بحريم الحرّة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرهـا وجلبت لغـيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكتبن لنحرك ، ولتقلبن لظهـرك ، ولتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقـامك ، ولتشغلن سهامك ، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هَوْجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة أبطالها والسـلام على على من أناب الي الله وسـمع وأجاب» ثم قال : من هاهنا من فتية بني الاشعث ابن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير . قال فأتي به قال انطلق بهذا الـكتاب الي هـذه الطاغية الذي قد فتن فأردعـه ما انتهك عدو الله الي مافى ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتى بانك قـد حويت علما وأصبت فقها أخاف أن يكون عليك لا لك لعهدت لك به عهدا تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله علي البريد. فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منـه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوي كالذي هوي ، وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للنـاس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبـير في

لليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأي هو من خلع الحجاج فأبي سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهرا كريتا فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رغبته وخلعا طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج اليه الحجاج بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتي لقيه بدير من اديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا كان في جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه علي ماوراء بابه وأما يحيي فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هونسي أو غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر مابداله ان يذكر . وأما زياد فكان ذا رأي ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . وأما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأي فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لايظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشَّعْبي فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في ان يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأي شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب . غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف اترجل ويترجل اهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم . ففعل واصبح صائما وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول . اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم واصيب منه وانهزم ابن الاشعث في سواد الليل واصاب الحجاج عسكره واسر سعيد بن جبير وافلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد اما تستحي مني ومدك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لي ولك والحافظ علي وعليك فقال : اصلح الله الامير وامتع به هي بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال

الامير وكما نسبه له واضافه اليه الا اني اتيت رجلا قدازهي وطغى والبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث في صدره واملى على لسانه فخفته واتقيته بالذي فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك . فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخري . ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الي عبدالرحمن . فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فأخبره فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الي أهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطئونه و يستعجلونه حتى قدم عليهم . و بلغ الحجاج فسبقه الي البصرة فدخل الحجاج المسجد منكبا قوسه فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه وحرض الناس علي قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من أهل البصرة يقال له سلمة المنقري من بني تميم وكان رجلا منطيقا وله هوي فى الخوارج وكان الحجاج به خابرا فلما رآه عرف انه يريد الكلام فقال له ادن يا سلمة . فدنا . فقال له قل فقال : قد رضينا بالله ربا و بمحمد نبيا و بالاسلام دينا و بالقرآن اماما و بأمير المؤمنين خليفة و بالحجاج بن يوسف واليا والله لو كنا زمعا و بني زمع مارضينا أن نكون تبعا لهذا الحائك . أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الامير أكرمه الله من ان نسارع له في معصية أو نبطيء عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لا أدخله صدري ولأ ردنه في نحرك حتي تبتلى حقيقته ان شاء الله. وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده في الزاوية والزاوية في طريق من ناحية البصرة في طرف بني تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقا لاتحصي كثرة قبل هذه المرة حتي يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني أسماء بنت أبي بكر الصديق لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم . وكان لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الي أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتيه فأبت أن تأتيه . فقال والله لئن لم تأتني لأبعثن اليها من يجر بقرون رأسها

و يسحبها حتي تصل اليَّ. فقيل لها ذلك فقالت والله لاأسير اليه حتي يبعث الي من يجر بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتي وقف عليها فقال لها كيف رأيت مافعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المعتي لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه ؟ فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيرا من اكرامك . ولكن ياحجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقيّ هذين أوتدري ما نطاقيَّ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فأوثقت به خطام بعيره ، فقال لى رسول الله صلي الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقين في الجنة . فانتقص عليّ بعد هذا أودع . ولكن لاأخالك ياحجاج أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف الكعبة بأحجارها ألا لعنة الله عليه . فأفحم الحجاج ولم يجد جوابا . قال وسار ابن الاشعث بعد ماهزم الحجاج الى الكوفة حتي نزل دير الجماجم فقتل

للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان أن امددني بالرجال فأمده بمحمد بن مروان في أناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج أميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا أياما بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعا . ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر على مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله أن يتنحي عنهم لما كرهوا ولايته حتي يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه . فلما انتهي اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة . قال من أنت ؟ قال رجل من خزاعة . قال من أهل البصرة أنت أم من أهل الكوفة؟ قال لا بل من أهل سجستان . قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا ؟ قال لا ، قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا في هذه الفتنة ياأخا خزاعة ؟ قال والله ماهويتها ولقد جلبني اليك مكرها . قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه ؟ قال بالامرة. قال فهل تري في ذلك انك صادق ؟ قال

الله أعلم بأي الامرين هو في نفسك على الصواب أم على الخطأ ؟ قال الله أعلم أي الامرين في نفسي . قال أما انك يا أخا خزاعة قال رددت الامر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به وأعلمه بالذي كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الي الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أي مثل مافعله) كف فلم يسأله أمام من حضر حتي ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر . قال وما وراءظهرك الا هذا ؟ قال له في دون ماجئتك به مايكفيك فقد رأيت أمراً صعبا ليس وراءه الا المناجزة . ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية في ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابتر الكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشي على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكي على ميسرته فأعطى الناس على هذا وأقام في معسكره متربصا ومنتظرا

ليوم الاربعاء . فلما رأي ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريبا منه على مقدار حضر الفرس رجاء أن يتحرش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فرارامنه وتطيرا به فلما رآي الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم الي أمراء أجناده وقواده والي أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحدا من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادي مناديه فى عسكره أن انهضوا الي قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتليه حتي اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف

فصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبرا من حديد فجلس عليه وترامي الناس حتي اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الاشعث وهو ينادي ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشى وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوما من دهرك لتركتها يومك هذا ولما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن أنت ياشيخ؟ فقال رجل من بني تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ، ثم انصرف الي مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم الي بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والحرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم علي الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكي فلما رأي الحجاج قد انكسرت ناحيته وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن أيوب في خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتي ترده الى مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشى يستأذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا أن تري أمراً مقبلا وتمكننا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكي وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه علي ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالي كثيرا وكبروه تكبيرا عاليا ثم انتهوا الي ربوة فأومأ اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران في يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهي من قول عبيد بن الابرص او من قول اليشكري :

كيف ترجون سقوطي بعد ما
جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنوا وقد اوريتهم
عند غايات المدي كيف اقع

رب من انضجت غيظا قلبه
قد تمني لى موتا لم يطع
ويراني كالشجى في حلقه
عسرا مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر ما لم يرني
فاذا اسمعته صوتي انقمع
ويحييني اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمي رتع
ورث البغضاء عن والده
حافظا منه الذي كان استمع
ولسان صيرفي صارم
كذباب السيف مامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو اهله للذي كان من صنعه فبينا هو كذلك اذ اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه في نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوي فقطع معه ليلا وأرسله في طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم أن لايدركوا أحدا الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الي معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الي معسكره فنزل ودخل فسطاطه فدخل واذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسري فكلما أتي بأسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما أصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادي بالقفل فقفل وقفلت معه أجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذي بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهارا حتي لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى في طلبه حتي غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الي موضع حتي استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه في القصر فلما رآي ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمي بنفسه من بعض علالى القصر وطمع أن يسلم ولا يشعر به فيدخل في غمار الناس فيخفي أمره ويكتم خبره فسقط وانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به أصحاب

لحجاج فأخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فأتوا به الي ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال أيقن انه لايقدر على أن يبلغ الحجاج حتي يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الي الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكرا وحمدا فيما كان من تمام الصنع وماهيأ له من التأييد والظفر واقام كذلك لايمر عليه يوم الا وهو يؤتي فيه بأسري فلما رأي كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم في اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا علي الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج عليه خارج بعدها فلما رآي كثرة من يؤتي به من الاسري تحري فجعل اذا أوتي بأسير يقول له : امؤمن انت ام كافر ؟ ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفي عنه . ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه . واسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن اسر وكان مع ابن الاشعث في جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها للذي كان عليه من حاله الاسعيد بن جبير . وافلت سعيد بن جبير فلحق بمكة وأتي بالشعبى الى الحجاج في سورة غضبه وهو يقتل الاسري الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق . فلما سار عامر بن سعيد الشعبى الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن ابي مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبي لهفي بالعلم الذي بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت علي الامير فبؤ له بالكفر والنفاق عسى ان تنجو . فلما دخل على الحجاج صادفه واضعا رأسه لم يشعر ، فلما رفع رأسه رآه قال له وانت ايضا ياشعبي فيمن اعان علينا وألب؟ قال : اصلح الله الامير اني امرت بأشياء اقولها لك ارضيك بها واسخط الرب ولست افعل ولكني اقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فهو في الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل واجدب وا كتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في حرب لم يكن فيه بررة اتقياء ، ولا فجرة اقوياء . فقال له الحجاج كذلك ؟ قال نعم اصلح الله الامير وامتع به. قال فنظر الحجاج الي اهل الشام فقال صدق والله يااهل

الشام ما كانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة اقوياء فيقووا علينا . ثم قال انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت احق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد حضر بالباب رجلان احدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب أن يقوله فلما ادخلا قال الحجاج للبكري أمنافق أنت ؟ قال نعم أصلح الله الأمير لكن أخو بني تميم لايبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي : أنا على دمي أخدع اصلح الله الامير منافق مشرك . فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما . قال الشعبي فوالله ما أتي لذلك الأمر الا نحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهي : أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها ؟ قال فدل عليَّ . فأرسل الى وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم وأخت وجد ؟ فقلت : أصلح الله الأمير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت . قال : هات ماقال فيها علي . فأخبرته. قال فما قال فيها ابن مسعود ؟ فأخبرته. قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفاً؟ فأخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ فأخبرته . قال فما قال زيد بن ثابت ؟ قلت أخذها من تسعة أسهم فأعطي الأم ثلاثة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم وأعطى الأخت سهمين. فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضي يمضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان .

قال الشعبي ودخلت عليه الترك قد شدوا أوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من أعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم ودخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فأنبأه عنهم وعنه بصلاح . فقال ما كان وراءك من غيث ؟ قال نعم أصلح الله الأمير اصابتني سحابة في موضع كذا فوادسائل وواد تارع ، فأرض مدبرة وأرض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أما كنها فما أتيتك الا في مثل مجري الضب . فقال للحاجب . ائذن للناس فدخل عليه رجل

أتاه من قبل نجد ، فقال له ما كان وراءك من غيث ؟فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأكل ما اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المخبر أنت . قال أخبرتك بالذي كان . فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث ؟ قال نعم وسمعت الرواد يدعون الي ريادها وسمعت رائداً يقول هلموا أطعمكم محلة تطفو فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعز . فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال أصلح الله الامير اما تطفو النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد نار واما ان يشتكي النساء فانه من جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها. واماتنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان التمر مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة .

ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان أشجع الناس في زمانه يقال له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم أزل أطلب أثرها حتى دخلت علي الامير فقال الحجاج أما والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لأطولهم خطوة .

ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع بأرض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من أصحاب ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو ابن موسي التيمي ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون ابن عبد الله بن الحارث في ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فأشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس. قال ابو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان اخبروني بآية بيني و بينكم حتي اخرجكم . قال فكتب اليه عبد الله بن الحارث كنت يوما كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته

و بنيه فسكناه عمان وأسر من بقي واسروا اثني عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسي التميمي ومحمد بن سعد بن أبي وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الي عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر في كتابه ان سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذا مناجزا لأهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك أنت وللخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب . فقال عمرو أيها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فارسل يدي وقد برئت مني الذمة. فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك الى النار . فضربت رقبته. ثم جيء بمحمد بن سعد ، فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن ، أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم ، فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدي وقد برئت مني الذمة . قال لا حتى اقدمك الي النار . ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لي مفرق رأسه فضرب فمال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

(ذكر قتل سعيد بن جبير) قال وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر اذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقي في الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طومارا مختوما ففضه ثم قرأه علي الناس فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة ، أما بعد فاني وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسري فاسمعوا له واطيعوا ولا يجعلن امرؤ علي نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوي سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد وقال : والذي نحلف به ونحج اليه لا اجده في دار أحد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله

ولحق بالشام . فأتي رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفياً بمكان كذا فأرسل خالد في طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت بأخذك وأتيت لاذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق بأي بلد شئت وأنا معك قال له سعيد بن جبير . ألك هاهنا أهل وولد ؟ قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذي كان ينالنا . قال الرسول فاني أكلهم الي الله فقال سعيد لايكون هذا . فأتي به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام . ان الحجاج قد أنذر به واشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكي من كل عمل يتقرب به الى الله . فقال خالد وقد كان ظهره الي الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبدالملك لا يرضى عني الا بنقض هذا البيت حجراً حجرا لنقضته في مرضاته .

فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك ؟ قال سعيد . قال ابن من ؟ قال ابن جبير ؟ قال بل أنت شقي ابن كسير . قال سعيد أمي أعلم باسمي واسم أبي . قال الحجاج شقيت وشقيت أمك . قال سعيد الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج لاوردنك حياض الموت . قال سعيد اصابت اذاً امي اسمي . فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال سعيد ولو اني أعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال الحجاج فما قولك في محمد ؟ قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين الي الناس كافة بالموعظة الحسنة . قال الحجاج فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج اشتمهم أم امدحهم . قال سعيد لا أقول مالا اعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب اليك ؟ قال : حالاتهم يفضل بعضهم على بعض . قال الحجاج صف لى قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ؟ قال الحجاج فأي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا اهون علي الله من أن يطلعني على الغيب . قال الحجاج ابيت ان تصدقني . قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك . قال

الحجاج فدع عنك هذا كله . اخبرني مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ؟ قال الحجاج فأنا أضحك . فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناي قال فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكي سعيد قال الحجاج مايبكيك ؟ قال : ياحجاج ذكرتني أمرا عظيما والله لاشبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لما رأيت . قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو؟ فقال سعيد . بل هذا والله الخرق، أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الي الحساب . واما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . فقال الحجاج أنا قاتلك . قال سعيد قد فرغ من تسبب موتي . قال الحجاج أنا أحب الى الله منك . قال سعيد لايقدم أحد علي ربه حتي يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم . قال الحجاج كيف لا أقدم علي ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة ؟ قال سعيد ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له . قال الحجاج كيف تري مانجمع لأمير المؤمنين ؟ قال سعيد لم أر . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه . قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه . قال الحجاج وما شرطه قال : أن تشتري له بما تجمع الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذي حمل حمله ولا ينفعه الا ماطاب منه . قال الحجاج فتري جمعنا طيباً ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه . قال الحجاج أتحب ان لك منه شيئا ؟ قال لا أحب مالا يحب الله قال الحجاج ويلك . قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار . قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه . قال اني أشهدك ياحجاج ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله استحفظكهن ياحجاج حتى ألقاك .

فلما أدبر ضحك . قال الحجاج ما

يضحكك يا سعيد ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك . قال الحجاج انما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نهى الله عنها ، اضربوا عنقه . قال سعيد حتى اصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصاري الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر . قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمى واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقرب منه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما اخاف الا دعاء من هو فى ذمة الجماعة من المظلومين فأما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتي خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير . ويقال متي كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق »

انتهى مانقلناه من كتاب ابن قتيبة من تاريخ عبد الملك بن مروان وانما عمدنا الي نقله بحروفه ليري القاريء صورة الحوادث علي ما كانت عليه في ذلك العصر فيتبين تركيب حكوماته وأساليب أهله . وانما عمدنا الى النقل عن ابن قتيبة لانه أقرب الى تلك الحوادث ممن خلفه من المؤرخين فيكون تصويره لها أقرب الى الحقيقة

﴿ عبد الملك بن صالح ﴾ هو ابن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابوعبد الرحمن الامير

تولى المدينة والصوائف لهرون الرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين . اخذ الحديث عن ابيه ومالك بن انس وكان افصح الناس واخطبهم ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته

قيل ليحيي بن خالد البرمكي وقد ولى الرشيد عبد الملك المدينة كيف ولاه

المدينة من بين عماله ؟ قال أحب ان يباهي به قريشا ويعلمهم ان في بني العباس مثله

ودخل على الرشيد يوما وقد توفى له ولد وجاءه ولد : فقال ياامير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ، ولاساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه جزاء للشاكر وثوابا للصابر

وقيل له ان اخاك عبد الله يزعم انك حقود فقال

اذا ماامرؤ لم يحقد الوتر لم تجد
لديه لدي النعماء حمداولا شكرا

ووجه الي الرشيد فاكهة في أطباق الخيزران وكتب اليه اسعد الله امير المؤمنين واسعد به اني دخلت الي بستان لي افادنيه كرمك ، وعمرته لي نعمك ، قداينعت اشجاره، وآتت ثماره فوجهت الى امير المؤمنين منه شيأ علي الثقة والامكان ، في اطباق القضبان ، ليصل الىّ من بركة دعائه ، مثل ما وصل الىّ من كثرة عطائه

فقال رجل ياامير المؤمنين لم اسمع بأطباق القضبان . فقال الرشيد ياابله انه كني عن الخيزران اذ كان اسما لأمنا

ولما ودعه الرشيد وقد وجهه الى الشام فقال له الرشيد ألك حاجة . قال نعم يا امير المؤمنين بيني و بينك بيت يزيد بن الدثنة حيث يقول :

فكوني علي الواشين لدّي شغوبة
كما أنا للواشي ألد شغوب

ثم ان الرشيد جعل ابنه القاسم في حجر عبد الملك بن صالح فقال عبد الملك يحض الرشيد علي ان يوليه العهد بعد اخويه الأمين والمأمون:

ياأيها الملك الذي
لو كان نجما كان سعدا
للقاسم اعقد بيعة
واوقد له في الملك زندا
الله فرد واحد
فاجعل ولاة العهد فردا

فجعله الرشيد ثالثهما . ثم وشي به بعد ذلك وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرشيد،فدخل عليه في بعض الايام وقد امتلأ قلب الرشيد غيظا فقال له اكفرابالنعمةوغدرا بالامام ؟ فقال عبد الملك قد بؤت اذن باعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك يا امير المؤمنين الا بغي حاسد نافس فيك وفي

تقديم الولاية ومودة القرابة . ياامير المؤمنين انك خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في امته ، وامينه على عترته ، لك عليها فرض الطاعة واداء النصيحة ولها عليك العدل في حكمها ، والتثبت في حادثها

فقال الرشيد هذا ثمامة كاتبك يخبر بفساد نيتك وسيرتك ، ثم أمر باحضاره وقال له الرشيد تكلم غير خائف ولا هائب . فقال أقول انه عازم علي الغدر بك ياأمير المؤمنين والخلاف عليك . فقال عبد الملك وكيف لايكذب عليَّ من خلفي من يبهتني في وجهي ؟

فقال الرشيد هذا ولدك عبدالرحمن يقول بقول كاتبك ، ويخبر عن سوء ضميرك ، وفساد نيتك ، وانت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعدل من هذين؟ فقال يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بين مأمور أو عاق . فان كان مأمورا فمعذور ، وان كان عاقا فهو عدو اخبر الله بعدوانه وحذر منها فقال جل ثناؤه في محكم كتابه: ان من أولادكم وازواجكم عدوا لكم فاحذروهم

فنهض الرشيد فقال أما أمرك فقد وضح ولكن لااعجل حتي أعلم ماالذي يرضى الله فيك فانه الحكم بيني و بينك

فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فاني اعلم انه يؤثر كتاب الله على هواه ، وامر الله علي رضاه

ثم انه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى اقبل عليه بوجهه وقال ماهذا الامر الا كما قلت ياابا عبد الرحمن وانك محسود وامير المؤمنين يعلم انك على سريرة صالحة غير مدخولة ولاخسيسة ثم دعاعبدالملك بشربة ماء . فقال له الرشيد ماشرابك يا اباعبد الرحمن ؟ فقال سحيق الطبرزذ بماء الرمان

فقال الرشيد بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظمأ ، و يلذان المذاق

فقال عبد الملك صفتك لهما يا امير المؤمنين ألذ من فعلهما . ثم ان الرشيد تنكر له بعد ذلك فحبسه عند الفضل بن الربيع ولم يزل محبوسا حتى توفي الرشيد فأطلقه الامين وعقد له بالشام وجعل الامين عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو

حتى لا يعطى للمأمون طاعه فمات ودفن بدار الامارة بالرقة

فلما قتل الامين وخرج المأمون يريد الروم أرسل الى ابن عبد الملك حوّل أباك من داري فنبشت عظامه وحولت

ومن شعر عبد الملك بن صالح ما كتبه الي الرشيد وقد تغير عليه :

أخلاي لى شجو وليس لكم شجو
وكل امريء من شجو صاحبه خلو
من اي نواحي الارض ابغى رضا كمو
وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو
فلا حسن نأتي به تقبلونه
ولا ان أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال والله ان كان قالها فقد أحسن ، وان كان رواها فقد أحسن ، وكتب اليه من السجن رحمه الله :

قل لأمير المؤمنين الذي
يشكره الصادر والوارد
ياواحد الاملاك فى فضله
مالك مثلى في الوري واحد
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي
حقا كما قد زعم الحاسد
فلا يضق عفوك عني فقد
فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو في السجن :

لئن ساءني سجني لفقد أحبتى
واني فيهم لا أمر ولا أحلى
لقد سرني عزي بترك لقائهم
ومامشتكي من حجابي ومن ذلي

ولما أخرجه الأمين من السجن دفع اليه كاتبه وابنه فقتل ابنه وهشم وجه كاتبه بعمود

توفى سنة (١٧٦)

مالك بن دينار هو ابو يحيي مالك بن دينار البصري وهو من موالى بني سامة لؤي القرشى

كان عالما زاهدا كثير الورع لا يأكل الا من كسب يده ، فكان يكتب المصاحف بالاجرة روي انه قال : قرأت في التوراة ان من يعمل بيده طوبي لحياه ومماته. وكان يوما في مجلس وقد قص فيه قاص فبكي القوم ثم ما كان بأوشك من ان اتوا بروس فجعلوا يأكلون منها فقيل لمالك كل فقال انما يأكل الرؤس من بكي وانا لم ابك فلم يأكل منها

لمالك المذكور مناقب عديدة وآثار

مشهورة فمن ذلك ما حكاه ابو القاسم خلف بن بشكوال الاندلسى فى كتابه الذي سماه كتاب المستغيثين بالله تعالى فانه قال بينا مالك بن دينار يوماجالس اذ جاءه رجل فقال ياأبا يحيي ادع الله لامرأة حبلى منذ اربع سنين قدأصبحت فى كرب شديد . فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال مايري هؤلاء القوم الا اننا أنبياء . ثم قرأ ثم دعا فقال اللهم هذه المرأة ان كان في بطنها جارية فابدلها بها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب . ثم رفع مالك يده ورفع الناس ايديهم . وجاء رسول الي الرجل وقال أدرك امرأتك فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلي رقبته غلام جعد قطط ابن اربع سنين وقد استوت اسنانه فأقطع سراره

كان مالك بن دينار من كبار السادات توفي سنة (١٣١) بالبصرة

﴿ مالك بن انس ﴾ هو الامام ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان وقيل عثمان بن جثيل وقيل خثيل بن عمرو ابن ذي اصبح واسمه الحارث الاصبحي المدني

هو امام دار الهجرة واحد الائمة الاعلام اخذ القراءة عرضا من نافع بن ابي نعيم وسمع الزهري ونافعا مولي ابن عمر رضى الله عنهما . وسمع عنه الاوزاعي ويحيي ابن سعيد واخذ العلم عن ربيعة الرأي وافتي معه عند السلطان

قال مالك قل رجل كنت اتعلم منه مامات حتي يجيئني و يستفتيني

وقال ابن وهب سمعت مناديا ينادي بالمدينة ألا لا يفتى الناس الا مالك بن انس وابن ابي ذئب

وكان مالك اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا احدث به الامتمكنا على طهارة وكان يكره ان يحدث على الطريق او قائما او مستعجلا ويقول احب ان اتفهم مااحدث به عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا اركب في

مدينة فيها جثة رسول الى صلى الله عليه وسلم مدفونة

وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضى الله عنهما ؟ قال قلت على الانصاف ؟ قال نعم . قلت ناشدتك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم ؟ قال قلت ناشدتك الله من اعلم بأقاويل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم . قال الشافعي فلم يبق الا القياس والقياس لايكون الا على هذه الأشياء فعلى أي شئ نقيس؟

وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضي ويقضى الحقوق ويجالس في المسجد ويجتمع اليه اصحابه . ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلى وينصرف الي مجالسه . وترك حضور الجنائز فكان يأتي اهلها فيعزيهم . ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد تلك الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحدا يعزيه ولا يقضي له حقا واحتمل الناس له ذلك حتي مات عليه وكان ربما قيل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره

وسعى به الي جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وهو عم ابي جعفر المنصور وقالوا له انه لايري أيمان بيعتكم هذه بشئ . فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتي انخلعت كتفه وارتكب منه أمراً عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حليا حلى به

وذكر ابن الجوزي في شذور العقود في سنة (١٤٧) وفيها ضرب مالك بن انس سبعين سوطا لأجل فتوي لم توافق غرض السلطان والله اعلم

ولد مالك سنة (٩٥) للهجرة وحمل به ثلاث سنين وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة رضى الله عنه فعاش أربعا وثمانين سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة

وقال ابن الفرات فى تاريخه المرتب على السنين توفي مالك بن أنس الاصبحى لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة

تسع وتسعين ومئة وقيل انه توفى سنة ثمان وسبعين ومئة وقيل ان مولده سنة تسعين للهجرة

وقال السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الاصبحي انه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله أعلم

(وحكي) الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس قال حدّث القعنبي قال دخلت على مالك ابن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك ؟ فقال لي يا ابن قعنب ومالي لا أبكي ، ومن أحق بالبكاء مني، والله لوددت اني ضربت بكل مسئلة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت اليه وليتني لم أفت بالرأي . أو كما قال

وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه ورثاه أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج بقوله

سقي جدثا ضم البقيع لمالك
من المزن مرعاد السحائب مبراق
امام موطاه الذي طبقت به
أقاليم في الدنيا فساح وآفاق
أقام به شرع النبي محمد
له حذر من أن يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة
فللكل منه حين يرويه اطراق
وأصحاب صدق كلهم علم فسل
بهم انهم ان أنت ساءلت حذاق
ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده
كفاه ألا انّ السعادة أرزاق

والاصبحى بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة الي ذي أصبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو من يعرب ابن قحطان وهي قبيلة كبيرة باليمن واليها تنسب السياط الاصبحية

وقال هشام بن الكلبي في جمهرة النسب ذو أصبح هو الحرث بن مالك ابن زيد بن غوث بن سعد بن عوف ابن عدي بن مالك بن زيد بن سهل ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم

ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن بن عابر ابن شاخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام

﴿ مالك بن طوق ﴾ هو التغلبي صاحب الرحبة أحد الاشراف والفرسان الاجواد في عهد بني العباس

تولي مرة دمشق للمتوكل وكان ينادي على باب داره بالخضراء وكانت دار الامارة بعد المغرب : الافطار يرحمكم الله ، قال والابواب تكون اذ ذاك مفتحة يدخلها الناس

وهو الذي بني الرحبة التي على الفرات واليه تنسب . وسبب ذلك ان هرون الرشيد ركب في حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق فلما قرب من الدواليب قال ياأمير المؤمنين لو خرجت الى الشط لنجوز هذه الدواليب . قال أحسبك تخاف هذه . قال الله يكفي أمير المؤمنين كل محذور . قال الرشيد قد تطيرت بقولك ثم صعد الى الشط فلما بلغت الحراقة الى الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بما فيها فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكرا لله تعالى وتصدق بأموال كثيرة وقال لمالك وجبت لك علينا حاجة فسل ماتحب . قال يعطيني أمير المؤمنين هنا أرضا ابنيها فتنسب الىّ . قال قد فعلنا وساعدنا بالاموال والرجال . فلما عمرها واستوثقت أموره فيها وتحول الناس اليها أنفذ اليه الخليفة يطلب منه مالا فتعلل ودافع ومانع وتحصن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينه و بين عسكر الرشيد الى أن ظفر به قائد جيش الرشيد وجاء به مكبلا فمكث في السجن عشرة أيام ثم أمر باحضاره في جمع من الرؤساء وأرباب الدولة فقبل الارض ولم ينطق . فتعجب الرشيد من صمته وغاظه ذلك وأمر بضرب عنقه و بسط النطع وجرد السيف وقدم مالك . فقال الوزير يامالك تكلم فان أمير المؤمنين يسمع كلامك . فرفع رأسه وقال يا أمير المؤمنين أخرست عن الكلام دهشة وقد أدهشت عن السلام والتحية . فأما اذ اذن أمير المؤمنين فاني أقول السلام علي امير المؤمنين ورحمة الله و بركاته الحمد لله الذي خلق الانسان

من سلالة من طين ، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ، ولم بك شعث الامة ، وأخمد بك شهاب الباطل ، واوضح بك سبل الحق ، ان الذنوب تخرس الالسنة الفصيحة ، وتصدع الافئدة ، وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة ولم يبق الاعفوك أو انتقامك . ثم أنشأ يقول بعد ما التفت يميناوشمالا :

أري الموت بين النطع والسيف كامنا
يلاحظني من حيث ماأتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي
وأي امرئ مما قضي الله يفلت
يعز علي الاوس بن تغلب موقف
يهز علىّ السيف فيه وأسكت
وأي امرئ يدلي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
وما بي من خوف أموت وانني
لأعلم ان الموت شيءٌ مؤقت
ولكن خوفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني اراهم حين أنعي اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا آمنين بغبطة
أذود الردي عنهم وان مت موّتوا
فكم قائل لايبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكي هرون الرشيد وقال لقد سكت على همة ، وتكلمت عن علم وحكمة ، وقد عفوت لك عن الصبوة ، ووهبتك للصبية ، فارجع الي ولدك ولا تعاود

فقال سمعا وطاعة .وانصرف

توفي سنة (٢٥٩)ه

﴿ مالك بن نويرة ﴾ بن حمزة بن شداد ابو المغوار اليربوعي اخو متمم

كان يلقب بالجفول لكثرة شعره أسلم في مدة النبي صلي الله عليه وسلم قيل ثم ارتد مع من ارتد بعد وفاته فقتل في حروب أهل الردة التي قام بها ابو بكر الصديق امير المؤمنين

قال ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني : كان ابو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال اهل الردة قد اوصاهم انهم اذا سمعوا الاذان في الحي واقامة الصلاة نزلوا عليهم فان اجابوا الى اداء الزكاة والاالغارة.فجاءت السرية حي مالك وكان في السرية ابو قتادة الانصاري وكان ممن شهدانهم اذنوا واقاموا وصلوا فقبض عليهم خالد وكانت

ليلة باردة فأمر خالد مناديا ينادي ادفئوا اسراكم ، وكان لغة كنانة اذا قالوا ادفئوا الرجل يعنون أقتلوه ، فقتل ضرار بن الازور مالكا . وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا اراد الله امرا اصابه. فقال ابو قتادة هذا عملك . فزبره خالد. فغضب ومضي حتى اتي ابا بكر ، فغضب عليه ابو بكر حتي كلمه فيه عمر فلم يرض الا ان يرجع الى خالد ويقيم معه فرجع اليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة . وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك. فقال عمر ان في سيف خالد رهقا وحق عليه ان يقيده . وا كثر عليه في ذلك وكان ابو بكر لايقيد عماله . فقال ياعمر ان خالدا تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه . ثم كتب الي خالد ان يقدم عليه فقدم واخبره بخبره فقبل عذره فعنفه بالتزويج. وقيل ان خالدا كان يهوي امرأة مالك في الجاهلية ، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول انه قال لى وهو يراجعني ما إخال صاحبكم الا قد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد أوما تعده صاحبك ؟ ثم قدمه فضرب عنقه . ومما يؤيد خالدا وان مالكا صار مرتدا ان متمما اخاه لما

انشد عمر مراثيه في مالك قال عمر والله لوددت اني أحسن الشعر فارثي اخي زيدا بمثل مارثيت أخاك . فقال متمم لو ان أخي مات علي مامات عليه أخوك مارثيته. فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني احد عن أخي أحسن مما عزاني به متمم . وقال الرياشي صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضى الله عنه الصبح ثم أنشده :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاه قتلت يا ابن الازور

الابيات ، ثم بكي حتي سالت عينه العوراء ثم انخرط علي سية قوسه مغشيا عليه ، وقيل لمتمم مابلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أصبت باحدي عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ

ويقال في المثل : (فتى ولا كمالك ومرعي ولا كالسعدان) يعنون به مالكا هذا .

وقيل لمتمم صف لنا مالكا ، فقال : كان يركب الجمل الثقال في الليلة القرة يرتمي لاهله بين المزادتين ، عليه الشملة الفلوت يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا

ومن شعر متمم في أخيه مالك :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاه قتلت ياابن الازور
أدعوته بالله ثم غدرته
بل لودعاك بذمة لم يغدر
لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه
صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشو الدرع كنت وحاسرا
ولنعم مأوي الطارق المتنور

وقال يرثيه من أبيات

وكنا كندمان جذيمة حقبة
من الدهر حتي قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
أصاب المنايا رهط كسري وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فان تكن الايام فرقن بيننا
فقد بان محمودا أخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه
وجون يسح الماء حتي تريعا
سقي الله أرضا حلها قبر مالك
ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
تحيته مني وان كان نائيا
وأمسي ترابا فوقه الارض باقعا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته
لقبر ثوي بين اللوي والدكادك
لقد لامني عند القبور علي البكا
رفيقي لتذراف العيون السوافك
فقلت لهم ان الشجا يبعث الشجا
دعوني فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضي الله عنه لمتمم أكان مالك يحبك مثل محبتك اياه ؟ فقال اين انا من مالك ، والله ياأمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقا وألقوني بفنائهم فبلغه خبري فأقبل عليّ على راحلته حتى انتهى الي القوم وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليّ أعرض عني وقصد الى القوم فعرفت ما أراد فوقف عليهم فسلم وحادثهم وضاحكهم فوالله مازال حتى ملأهم سرورا وأحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغدي معهم ففعل ثم نظر اليهم وقال لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقي بين أيدينا لايأكل معنا وأمسك عن الطعام فقام القوم وصبوا الماء على قدّي حتي لان وحلوني ثم جاؤا بي وأجلسوني معهم علي الغداء . فلما أكلنا قال لهم ماترون تحرّم هذا بنا

وأكل معنا وانه لقبيح بكم أن تردوه الى القيد فخلوا سبيلي وأطلقوني بغير فداء

﴿ ابن مالك النحوي ﴾ هو محمد ابن عبد الله بن مالك الامام العلامة الأوحد جمال الدين الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق

ولد سنة (٦٠٠) وسمع بدمشق وتصدر بحلب لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربي علي المتقدمين . وكان اماما في القرآآت وعللها وصنف فيها قصيدة في قدر الشاطبية . واما اللغة فكان اليه المنتهى فيها . وكان اماما في العادلية فكان اذا صلى فيها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان مؤلف وفيات الاعيان الى بيته تعظيما له . واما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لاساحل له . واما اطلاعه على اشعار العرب التي يستشهد بها فكان فيه غاية وكان اكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شيء عدل الي اشعار العرب ، هذا ما كان عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل . واقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة . وكان نظم الشعر عليه سهلا وصنف كتابا لتسهيل الفوائد مدحه سعد الدين بن عربي بأبيات وهي :

ان الامام جمال الدين جمله
رب العلي ولنشر العلم اهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم
يزل مفيدا لذي لب تأمله

ومن تصانيفه سبك المنظوم ، وفك المختوم ، وكتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها ، والخلاصة ومختصر الشافية ، واكمال الاعلام بمثلث الكلام ، وفعل وأفعل ، والمقدمة الاسدية صنفها باسم ولده الاسد ، وعدة اللافظ وعمدة الحافظ ، والنظم الاوجز فيما لا يهمز ، والاعتضاد في الظاء والضاد ، واعراب مشكل البخاري . توفي سنة (٦٧٢)

رثاه شرف الدين بقوله:

ياشتات الاسماء والافعال
بعد موت بن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط
منه فى الانفصال والاتصال

مصدرا كان للعلوم باذن الـ
ـله من غير شبهة أو محال
عدم النعت والتعطف والتو
كيد مستبدلا من الابدال
ألم إعتراه اسكن منه
حركات كانت بغير اعتلال
يالها سكنة لهمز قضاء
اورثت طول مدة الانفعال
رفعوه في نعشه فانتصبنا
نصب تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا عظم مافعلوه
وهو عدل معرف بالجمال
ادغموه في الترب من غير مثل
سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفـ
ـن وقوفا ضرورة الامثال
ومددنا الأكف نطلب قصرا
مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا حظنا منه
حظه جاء أول الانفال
يالسان الأعراب ياجامع الاعـ
ـراب يامفهما لكل مقال
يافريد الزمان في النظم والنثـ
ـر وفي نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها في اناس
علموا ما بثثت عند الزوال

﴿ ملك النحاة ﴾ هو ابو نزار الحسن ابن ابي الحسن صافى بن عبدالله بن نزار ابن ابي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة

قال العماد الكاتب في الخريدة : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكي ماجري بينهما من المكاتبات بدمشق ، وبرع في النحو حتى صار أنحى اهل طبقته وكان فهما فصيحا ذكيا الا انه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك

خرج من بغداد وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من اهلها ادبا كثيرا واتفقوا على فضله ومعرفته

وذكر أبو البركات بن المستوفى في تاريخ اربل فقال ورد اربل وتوجه الى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الامام الشافعى رضي الله عنه وأصول الدين على ابي عبد الله القيرواني والخلاف على اسعد المهيني واصول الفقه على ابي الفتح بن برهان صاحب الوجيز والوسيط

في اصـول الفقه . وقـرأ النحو عـلي الفصيحى وكان الفصيحي قـد قرأ على عبـد القـاهر الجرجاني صاحب الجمـل الصغري . ثم سافر الي خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق وتوفي بها سنة (٥٦٨) وقد ناهز الثمانين ودفن بمقابر باب الصـغير . اما مولده فكان في سنة (٤٨٩) بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الدقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والاصلين والنحو وله ديوان شعر . ومدح النبي صـلى الله عليه وسلم بقصيدة ومن شعره:

سلوت بحمد الله عنهـا فأصبحت
دواعى الهوي من نحوها لا أجيبها
علي انني لاشامت ان أصابها
بـلاء ولا راض بواش يعيبهـا

وله أشياء حسنة وكان مجموع فضائل

﴿ ملّ ﴾ فلان يَمَل أصابه الملال و (ملّ الشئ يَمَله) سئمه . و (أَمَلّ الكتاب وأملاه عليه) أي قاله له فكتب و (المَلال) السآمة والضجر . و (المِلة) الشريعة والدين والطريقة . و (المَلال) ذو الملل . و (تململ الرجل) تقلب على فراشه مرضا أو غمـا . و (ململه) جعله تململ

﴿ المليمتر ﴾ هو جزء من الف من المتر وجزء من مئة من الديسـيمتر وجزء من عشرة من السنتيمتر

﴿ ملى ﴾ يقال(أمـلي له في الغى) أطال له ، و (تمـلّى فلان عمره) استمتع منه . و (تمـلاه) عـاش معـه متمتعا به . و (المَـلا) الصحراء والمتسع من الارض جمعه املاء ، و (المَـلَوان) الليل والنهار و (المَـلوة) البرهة من الدهر

قوله تعـالى عن لسان بعض خلقه « واهجرني مليا » أي دهرا طويلا

و (الاملاء) الامهال والتأخير فى المـدة . و (الامالى) جمع أمليـة وهو ما يمليه المعلم على تلاميذه من العلوم

﴿ المليم ﴾ جزء من عشرة من القرش المصري

﴿ المليون ﴾ كلمـة أعجمية معناه الف الف

﴿ ابن مَمَّاتي ﴾ هو القاضى الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير ابي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن ابي قدامة ابن أبي مليح ممـاتي المصري الكاتب الشاعر

كان ناظرا للدواوين في الديار المصرية معروفا بالفضائل. له مصنفات جمة وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين ونظم كتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر جيد منه:

تعاتبني وتنهى عن أمور
سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني
وحقك ما على أضر منها

وله قصيدة طويلة :

لنيرانه في الليل أي تحرق
على الضيف ان أبطا وأي تلهب
وما ضر من يعشو الي ضوء ناره
اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وله في كتمان السر :

وأكتم السر حتى عن اعادته
الى المسر به من غير نسيان
وذاك ان لساني ليس يعلمه
سمعي بسر الذي قد كان ناجاني

قال العماد الاصفهاني في كتاب الخريدة لقيته بالقاهرة يتولى ديوان جيش الملك الناصر وكان هو وجماعته نصارى فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحي ثم حدث ان الاسعد المذكور خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر فهرب من مصر مستخفيا وقصد مدينة حلب لائذا بجانب السلطان الملك الظاهر وأقام بها حتى توفي سنة (٦٠٦) وعمره اثنتان وستون سنة

قيل سمى القاضى الاسعد المذكور مماتي لانه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والاطعام وخصوصا الصغار المسلمين فكانوا اذا رأوه ناداه كل واحد منهم مماتي فاشتهر به

رثاه أبو طاهر بن مكنسة المغربي الشاعر بقوله :

طويت سماء المكرما
ت وكورت شمس المديح
من ذا أؤمل أو أرجي
بعد موت أبي المليح

وكان لابي طاهر المذكور مدائح جليلة في ابن مماتي المذكور

﴿ دولة المماليك ﴾ انظر كلمة (مصر)

﴿ داء الملوك ﴾ انظر (نقرس)

﴿ مَن ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين نحو (مَن يجدّ يجدْ) وتكون اسم استفهام نحو (من فعل هذا ؟) . واسم موصول نحو (جاء كل من في البيت)

﴿ مِن ﴾ حرف جر ومن معانيه ابتداء الغاية نحو (جاء من البيت) . ومن معانيه التبعيض نحو (منهم من كلّمنا)

﴿ منحه ﴾ الشيءَ يَمنحه اياه اعطاه اياه . و (استمنحه) طلب عطيته واسترفده و (المِنحة) العطية . و (المَنيح) عند العرب سهم بلا نصيب في المقامرة

﴿ ابن مندة ﴾ هو أبو عبد الله محمد كان من كبار الحفاظ توفي سنة (٣١٠)

﴿ ابن مندة ﴾ هو ابو زكريا يحيي ابن عبد الوهاب بن الامام ابي عبد الله ابن اسحق بن محمد بن يحيي بن مندة ابن الوليد بن مندة بن بطة بن استندار ابن جهاز بخت بن فيزان

كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين حفيد المتقدم فهو محدث ابن محدث بن محدث بن محدث بن محدث بن محدث . وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا مكثرا صدوقا كثير التصانيف بعيدا عن التكلف . خرّج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبامنصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني واباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبيدالله وابا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد ابن أحمد بن النعمان القضاعى وابا عبد الله محمد بن على بن الحسين الجورداني وابا طاهر أحمد بن محمود الثقفي

ورحل الي نيسابور وسمع ابا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي وبالبصرة أبا القاسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعداني وجماعة كثيرة سواهم

صنف تاريخ اصبهان وغيره من الجوع ودخل بغداد حاجا وحدث بها واملي بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن ابي صالح الجيلي وابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي في خلق كثير لشهرته وثبته

وروي عنه ابو البركات عبد الوهاب ابن المبارك الانماطي الحافظ وابوالحسن على بن ابي تراب الزنكوي الخياط البغدادي وابو طاهر يحيي بن عبد الغفار ابن الصباح بن هبة الله بن العلاء الحافظ

وجماعة كثيرة

ذكره الحافظ ابن السمعاني فى كتاب الذيل وقال كتب لى الاجازة بجميع مسموعاته

ثم قال سألت عنه أبا بكر محمد بن أبي نصر بن محمد الكفتواني الحافظ يقول بيت ابن منده بدئ بيحيي وختم بيحيي يريد فى معرفة الحديث والعلم والفضل

وذكره الحافظ عبدالغافر بن اسماعيل ابن عبد الغافر الفارسي في مساق تاريخه بنيسابور فقال أبو زكريا يحيي بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف علي الصحيحين . وكان يروي باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال (كثرة الضحك امارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأي ، وقلة الرأي من سوء الادب ، وسوء الادب تورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد طرف لادواء له ، والنمائم تورث الضغائن)

وكان يروي بالاسناد المتصل الى الاصمعى انه قال دخلت في البادية الى مسجد فقام الامام يصلي فقرأ (انا أرسلنا نوحا الي قومه) وارتج عليه فجعل يكررها ويقول (انا أرسلنا نوحا الى قومه) فقال اعرابي من ورائه وهو قائم يصلي . ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره

وكان يحيي المذكور كثيرا ماينشد:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدي
وللمشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من ذين اخيب

ولد بأصبهان في شوال سنة (٤٣٤) وتوفي بها يوم عبد النحر سنة (٥١٢) ولم ينبغ في بيت ابن منده بعده مثله

وقال ابن نقطة في كتابه اكمال الاكمال توفي في ١٢ ذي الحجة من سنة (٥١١) وذكر ان مولد أبيه عبدالوهاب سنة (٣٨٦) وتوفي سنة (٤٧٥)

﴿ منذ ومذ ﴾ حرفاجر بمعني من، ان كان الزمان ماضيا ، وبمعني في ، ان كان الزمان حاضرا ، وبمعني من والى ، ان كان معدودا نحو (مارأيته مذ يوم الجمعة أو مذ يومنا أو مذ ثلاثة أيام)

﴿ المنصورة ﴾ مدينة مصرية هي قاعدة مديرية الدقهلية وهي مدينة جميلة

جيدة الهواء واقعة على الشاطئ الايمن لفرع دمياط تعتبر من مدن مصر التجارية في القطن والحبوب وبها معاصر للزيوت كثيرة ومعامل لحلج القطن وتصنع فيها أيضا أقمشة قطنية وكتانية ، وقد يبلغ الآن عدد سكانها نحو (٦٠٠٠٠) نسمة

بناها الملك الكامل ناصر الدين الايوبي في سنة (٦١٦) هجرية عند مادخل الفرنج دمياط . وحصلت بقربها سنة (٦٤٨) هجرية أي (١٢٥٠) ميلادية وقعة دموية بين الصليبيين تحت قيادة الملك لويز التاسع ملك فرنسا الملقب سان لويز أي القديس لويز و بين المصريين تحت قيادة الملك طوران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب . فدارت الدائرة على المهاجمين وأسر الملك لويز ووضع هو وأركان حربه بدار بها يقال لها دار ابن لقمان لم تزل آثارها باقية الى الآن . ثم حدث صلح وافتدي ملك الفرنسيين نفسه بمال عظيم

(انظر دقهلية)

﴿ المنصورة ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مواضع متعددة من كتابه :

منها المنصورة بأرض السند وهي قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج ولهم خليج من نهر مهران أصل اسمها همناباذ . قيل لها المنصورة لان عمير بن حفص المهلبي بناها في أيام المنصور من بني العباس وخليجها يحيط بها فهي منه في شبه الجزيرة . وهي شديدة الحر بينها والديبل ست مراحل، و بينها والملتان اثنتى عشرة مرحلة من المنصوره الي أول حد البرسة

ومنها المنصورة كانت بالبطيحة

ومنها المنصورة وهي مدينة خوارزم كانت في شرق جيحون

ومنها المنصورة كانت بقرب القيروان من نواحي افريقية

ومنها المنصورة بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل (هي التى بمصر)

ومنها المنصورة باليمن بين الجند و بقيل الحمراء أنشأها طغتكين الايوبي

وقال ابن حوقل عند الكلام على السند :

« والمنصورة وهي مدينة مقدارها

في الطول والعرض نحو ميل في مثله يحيط بها خليج من نهر مهروان وأهلها مسلمون وملكها من قريش وهي مدينة حارة بها نخيل وليس بها من الفواكه غير الليمون الا انه شديد الحموضة وفاكهة تشبه الخوخ تسمى الانبج واسعارهم رخيصة وفيها خصب » انتهى

المعروف باسم المنصورة الآن قريتان في الجزائر أحدهما في ولاية وهران تبعد عن مدينة تلمسان بنحو ٣ كيلو مترات ، وهي مبنية على أطلال المدينة التى كانت تسمي بهذا الاسم ولم يبق فيها الأثر السور ومنارة متهدمة

والمنصورة الثانية بولاية قسطنطينية وهي صغيرة لايبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة

﴿ منعه ﴾ الامرَ يمنعه حرمه اياه . و (منُع الحصن يمنُع مناعة) اشتد و (مانعه) نازعه ومنعه منه . و (تمنّع عنه وامتنع) كف عنه . و (المَنَعة) العز و (المَنوع) الشديد المنع . و (المنيع) العزيز القوي

﴿ منّ ﴾ عليه يَمُن منا أنعم عليه و (منّ على فلان بما صنع مِنّة) عدّ له مافعله . و (امتن عليه) قرّعه بمنه . و (المن) كل مايمن الله به

﴿ المَنّ ﴾ هو عصارة متجمدة سكرية ذات طبيعة خاصة تسيل من شجر لسان العصفور وقيل ان لفظ مَنّ عبراني معناه المغذي الالهي . وكان المن يسمى أيضا ندي السماء وعسل الهواء والعسل السماوي لانه يشاهد نقطا على أوراق بعض الاشجار فكانوا يظنون في الماضي انه ناتج من ندي يتجمد علي هذه النباتات وكان العرب يقولون بذلك أيضا وهو خطأ عظيم

ويظهر انه لافرق بين المن والشيرخشك الذي كان معروفا عند العرب وهو لفظ فارسي معناه حلاوة يابسة . وكان العرب يدعون انه طل يقع على الاشجار وخصوصا شجر الخلاف في اواخر الربيع

وظن بعضهم انه مادة حيوانية ناشئة من بعض الحشرات حيث شوهد سقوط تلك الحشرات على أوراق النباتات ولاسيا في الصيوف الحارة بحيث تحصل منها عليها طبقة طلائية عذبة الطعم عسلية ، ولكن هذه الطبقة تختلف

عن المن الذي يكون أولاً سائلاً ثم يتجمد الي حبوب متميزة بعضها عن بعض

المن الطبيعي كما تقرر الآن هو عصارة خاصة لاشجار من جنس الدردار وهي محوية في قنوات تخرج منها بانفتاحها بذاتها أو من شقوق تعمل في قشورها أو بفوهات تحدث فيها بفعل بعض الحشرات فهو ليس بندي سماوي ولا بمادة حيوانية وانما هو عصارة نباتية للنبات المذكور

وقد ثبت ذلك بالتجربة فان العالم (بليا) غطى ذلك الشجر بأغطية حتي لا يصل اليه الندي فرأي ان المن تكوّن عليه كما يكون في العادة

شوهد ان الدردار لا يفرز المن الا مدة تختلف بين ٣٠ و ٤٠ سنة ولا يبتدئ خروجه الا اذا بلغ عمر النبات ١٠ سنين و يزيد مقداره كلما تقدم النبات في السن . وقد ذكر العالم بروس ان هذا الافراز النباتي يكثر في اسبانيا الى درجة يمكن معها ان يكون من الصنوف التجارية ولكنه مهمل فيها

للمن أصناف وهي المن الدمعي والمن العام والمن الدسم . فالاول يخرج على هيئة حبوب مستديرة صلبة خفيفة لونها أبيض وطعمها سكري ويكاد لا يكون مغثيا

والمن العام كثير الوجود ويكون علي شكل قطع مكونة من حبوب متضامة بواسطة عصارة لينة مسمرة تلوث الاصابع ويكون لونه مصفرا وطعمه أقل سكرية تفها مغثيا حمضيا اذا كان جديدا

والمن الدسم يكون على شكل كتل رخوة دبقة تعلق باليد لونها أسمر وطعمها أكثر كراهية تختلط بها أجزاء غريبة

يجني المن باحاطة الشجر بطبقة من أوراقه وتعمل شقوق في القشرة فتسيل منها عصارة تتجمد فجزء عظيم منها يسيل من ساق الشجر والباقي من فروعه ويحصل هذا الجني مرة في كل يومين من وسط يونيه الي آخر يوليه ويسيل من وسط النهار الي المساء وخصوصا اذا كان الجو صحوا على شكل سائل صافي يجمد شيئا فشيئا ولا يجمع الا في الصباح اذا تجمد من رطوبة الليل . فاذا كان الزمن غير صحو كضباب أو مطر فقد المن . والذي يبقي على الشجر يجني مع الانتباه ويقوم منه ما يسمى بالمن الدمعى ، والذي ينزل على الارض ينفصل الى جزئين

أنظفهما هو المن العام والجزء الا كثر لينا واختلاطا بالاجسام الغريبة هو المن الدسم .وذكروا ان المن الدمعي يجني في يوليه واغسطس والمن المشترك في سبتمبر وا كتوبر والمن الدسم في الخريف . وقد يجني المن العام من أسطحة الاوراق بذاته ويسمي بمن السوق وكل مايسيل بواسطة الشق يسمي بالمن القهري . ويجمعون المن الدمعي بعضه علي بعض فيكون قطعا مستطيلة منشورية بيضاء خفيفة ويسمى حينئذ من أصابع . وكثيرا ماتوجد في باطنها تجاويف يوجد فيها أحيانا نوع من الشراب وذلك يدل على ان المن جديد

واذ أريد أن يجني نقيا وعلى هيئة قطع اجمل فيوضع أنابيب من سوق القمح مثلا في الشقوق فيسيل في جوفها . وهذا النوع أكثر سكرية بل يؤكل كما تؤكل الحلوي وهو لنقائه تصنع منه اللعوقات والمربيات والعجينات والاقراص ويكون أقل اسهالا بل لايسهل اصلا وانما يكون صدريا ملطفا مسهلا للنفث فى النزلات والتهاب الطرق التنفسية وسدد الرئة ، واتهم صناع ايطاليا بعمل المن بالصناعة واتهم الصيدلانيون بأنهم يضيفون اليه مساحيق مسهلة كمسحوق السنا المكي والجلابا والسقمونيا ليزيدوا في خواصه المسهلة مع ان ذلك خطر لانه يكون شديد الاسهال

(تركيبه الكيماوي) قال العالم تينار انه مركب من قاعدة خاصة تسمي مانيت تختلف مقاديرها فيه باختلاف أنواعه ، ومن سكر قابل للتبلور ومن مادة غير قابلة للتبلور مغثية الطعم يظهر ان فيها خاصة الاسهال

ووجد غيره ان فيه جسما سكريا قابلا للتبلور فاذا خرج من قنوات الشجر كان على هيئة عصارة سكرية يتكون منها المن بدخولها في التخمر الخلي

ووجد غيرهما في المن مادة خلاصية نسب اليه خاصة ارخائه وقال انها هي سبب خاصته الملينة وانكر انه يحتوي علي سكر حقيقي

وقد صنع العالم لوكنسويس جدولا أبان فيه المقادير الموجودة من المواد المختلفة في أنواع المن الثلاثة وهو :

	من دمعي	من عام	من دسم
ماء	١١ر٦	١٣ر٠	١١ر١
مادة غير قابلة للذوبان	٠ر٤	٠ر٩	٣ر٢
سكر	٩ر١	١٠ر٣	١٥ر٠
مانيت	٤٢ر٦	٣٧ر٦	٣ر٠
جوهر لعابي وراتينج وحمض آلى ومادة أزوتية	٤٠ر٠	٤٠ر٨	٤٢ر١
رماد	١ر٣	١ر٩	١ر٩

هـذا المن يذوب كله في الكحول الحار ولكنه يرسب منه بالتبريد كتلة متباورة شديدة البياض خفيفة اسفنجية. ويتكون منه مع الحمض النتري الحوامض التى تتكون من الحمض والصمغ وذلك لايحصل في العسل الذي ذكر بعضهم ان بينه و بين المن مشابهة عظيمة

(استعمال المن في الطب) كان المن معروفا في فن العلاج منذ عهد طويل ولكن يظهر ان جالينوس لم يكن يعرفه · ذكره ديسقوريدس باسم اليوميلى وقال انه مسهل يسهل الصفراء والاخلاط الفجة . واول من استعمله الايطاليون كغذاء في أماكن كثيرة من ايطاليا ولا غرابة في ذلك فانه اذا كان جديدا لايكون مسهلا ويكون كالسكر ولكنه مع طول مكثه تحدث فيه تفاعلات كيماوية يكتسب منها خاصة التليين وكلما كان أقدم كانت نتائجه أوضح ويسهل يقينا اذا صار زنخا وكانت رائحته مغثية .

أقل أنواع المن اسهالا المن الدمعى بل ربما لا يسهل أصلا وانما يستعمل صدريا ملطفا مسهلا للنفث في النزلات والتهاب الطرق التنفسية وتابك الرئة ونحو ذلك

والمن العام ملين ملطف واذا دخل في الجرعات المسهلة كان تعديله المسهلات أكثر من زيادته في فعلها والمن الدسم هو الاكثر تليينا ولايدخل غالبا الا في المسهلات السود كالسنا وفي الحقن . والمن كثيرا ماينهضم وان

أعطي باسم دواء فلا يسهل الا اذا زال منه وصف التغذية

ينقسم فعل المن علي الجسم الحي الى قسمين : فعل موضعي وفعل عام ، فالأول يحصل في الطرق الهضمية بعد أزدراد الجوهر بيسير فكثيرا مايشعر متناوله بثقل في الجسم المعدي وأحيانا بقولنجات خفيفة ورياح ثم تحصل بعد بضع ساعات استفراغات ثفلية تنشأ كثرتها من الحالة التي تكون عليها القناة الغذائية وقت استعمال الدواء فيظهر انه مر من المعدة الى الامعاء بصفاته الطبيعية وفجاجته فلم يتغير الي كيموس في المعدة فيكون في الامعاء كجسم متعب لها فتشتد حركاتها الانقباضية وتندفع بذلك المواد الثفلية الموجودة في باطنها ومع ذلك فلا يحصل منه حرارة بطنية ولا عطش ولا ثوران في الدم ولا في النبض ولا غير ذلك مما يسببه المسهل الحقيقي ولا ينتج ظاهرات تفيد تغير حالة المراكز العصبية كما تفعل ذلك المسهلات القوية

أما الفعل الثاني أي النتائج العامة فهو تأثير مرخ يمتد على المجموع كله فترتخى المنسوجات الحية وتضعف حركاتها ولذا كان مناسبا في الدور الأول من الحميات ليلطف العطش والاحتراق الحمى ويعين علي سيلان البول ويسكن اضطراب الدم وغير ذلك ويناسب أيضاً في الآفات الالتهابية البطنية كالقولنجات الالتهابية والالتهابات المعوية والدوسنطاريات وجميع الاحوال التى يظن فيها وجود تهيج أو التهاب مبهم الصفات . وكثيرا ما يستعمل مع النجاح لتخليص القناة الهضمية من المواد المخاطية المتراكمة فيها . وكذا للاستهواء والنزلات والسعال التشنجي وآفات القناة البولية المصاحبة لحرارة في المثانة والكليتين ويعطي كثيرا في الآفات الاندفاعية كالجدري المتجمع حيث يلازمه التهيج المعوي غالبا اذ لا يسمح حينئذ باستعمال المسهلات القوية وكذا يعطى بكثرة في الآفات العصبية المصاحبة للتهيج في القنوات الغذائية . والغالب أن يكون هو المسهل للاطفال والارقاء المزاج . وينبغي الاحتراس من استعماله في التلبكات المعدية والآفات التي يحتاج فيها للتقايئ لأنه قد ينقذف بالقئ فلا يؤثر الا اذا كانت المواد المراد

استفراغها خارجة عن المعدة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل هذا الجوهر ذائبا في الماء أو اللبن أو في مصله أو في مغلى مناسب من ٤٨ غراما الى ٦٤ في ١٢٥ غراما من سائل من السوائل المذكورة اذا أريد منه الاسهال . ويظهر ان الحرارة تظهر رائحته المغثية فاذا حل على البارد في أي حاصل كان قل الاحساس بتلك الرائحة ولا بأس باذابته على النار لكن بدون اغلاء لانهم قالوا انه يفقد خاصته المسهلة اذا أغلى . وهذا رأي مخالف لتجارب بعض العلماء اذ شاهدوا حفظه في الماء المغلى مدة أيام بدون ان تفقد عنه تلك الخاصية مع ان المن ليس فيه شئ طيار واذا ترك محلوله المائي ونفسه في حرارة ١٥ درجة فانه يعطى مقدارا من الحمض الخلى فاذا زيد في السائل شئ من خميرة الفقاع وعرض للهواء الحارنيل من ذلك سائل كحولي

والماء الملين الوبائي يصنع بأخذ ٨ غرامات من المن و ٦ من السنا المكي وجزء واحد من الطرطرات الحمضى للبوتاسا و ١٨ من الماء ويستعمل من أوقيتين الي أربعة أوفي الجرعه المستحلبية للمن تصنع بأخذ أوقيتين من المن الدمعي و ٤ من كل من اللوز الحلو وماء زهر البرتقان وأوقية من شراب زهر الخوخ و ٤ من منقوع عرق السوس ويستعمل ذلك في ثلاث مرات ومعجون المن يصنع بأخذ ١٦ غراما من كل من المن والسكر والماء المقطر للشمار وجزء من ايرسافلورنس و ٨ من دهن اللوز الحلو ويستعمل ذلك بالملاعق الصغيرة كل يوم ٣ ملاعق أو ٤

وشراب المن يصنع بأخذ ٤٨ غراما من المن وجزء من كل من الشمار والزنجبيل و ١٧٦ من السكر و ١٩٢ من الماء والمقدار لاجل الاستعمال من نصف أوقية الي أوقية

وأقراص المن تصنع بمزج ٢٠ غراما منه مع ١٤٠ غراما من مسحوق السكر وتعمل أقراصا بواسطة جسم لعابي من صمغ الكثيرا بماء زهر البرتقان وتنفع تلك الاقراص في الالتهابات الشعبية المصاحبة لصعوبة النفث (المادة الطبية)

﴿ المانيت ﴾ هو قاعدة خاصة توجد في المن الدمعي حيث يكون الجزء الأكبر المكون له ويكفي لاستخراجه

أن يسخن المن على حمام مارية مع الكحول الذي في درجة ٣٣ من مقياس كرتيير ثم يرشح المحلول المغلي ويترك ونفسه فيتبلور المانيت بالتبريد ولكن يبقى في خلاله معظم مياه الام الكحولية فيسيل منها مقدار يسير اذا اميل الاناء الذي فعل فيه التبلور ثم تؤخذ الكتلة وتعصر ليفصل منها الكحول ثم تجفف في محل دفيء وتحول بعد جفافها الى مسحوق . فاذا أريد الحصول على المانيت مبلورا وذلك غير نافع للاستعمال الطبي لزم أن يحل من جديد في الكحول ثم يبلور غير انه يمسك معه بذلك مقدار من الكحول لأنه كالاسفنج لا يمكن ازالته منه الا بالعصر . ويمكن أيضاً أن يتحصل من مياه الام على مقدار من المانيت أقل جودة فلأجل تنقيته يعصر ثم يبلور من جديد . وكثيرا ما يضطر لتبييض البلورات الأخيرة بالفحم . وهذا الجوهر أبيض خفيف مسامي قابل للتبلور الى ابر نصف شفافة عادمة الرائحة وطعمه رطب سكري ولا يتغير من الهواء ويعطي بالاحراق رائحة السكر المحرق ويذوب بسهولة في الماء بجميع درجات الحرارة . وتلك خاصة أسس عليها استخراجه وعدم تأثير العنصر المخمر عليه أي انه لا يكابد تخمراً كحوليا وبذلك يتميز عن أصناف السكر القريبة منه . أما على حسب تجريبات (بالاس) فهو كالسكر قابل لأن يتخمر تخمراً كحوليا وانما يكون هذا في درجة ٢٠ فوق الصفر وبذلك يقرب له . وهذا المانيت مركب من ٦ من الكربون و ٤ من الاوكسيجين و ٥ من الايدروجين. ووجد فيه (سوسور) قليلا من الازوت ومنه ماعدا ذلك جزآن من الماء يفقدان منه اذا اتحد بأوكسيد الرصاص . وكما يوجد هذا الجوهر بمقادير مختلفة فى أنواع مختلفة من المتجر يظهر انه يتكون من ذاته فى السوائل المعرضة للتخمر الخلى وذلك يحمل على ظن ان المن نفسه يمكن أن يكون نتيجة عصارة بعض انواع الدردار ولذلك وجده (وكاين وفوركروا) في عصارات البصل والقاوون المتخمر ، ووجده (براكونوت) في عصارة الساجم و (لوجيير) في عصارة الجزر التي حصلت فيها تلك الحالة . ووجده (جلبير) في العسل المتخمر وكذا في عصارة القصب المتخمرة . وعلى مقتضى

تحليل (مسكوليك) لا يوجد في من طورسيناء الذي هو كسكر لعابي ينتج من نوع شجر تمركسي جاليكا

ويوجد في القرفة البيضاء جوهر شبيه بالمانيت ولكنه أقل سكرية منه ويعطي بالحرق أبخرة بلسمية وذكروا أيضا قواعد أخر من هذا النوع في اوراق الكرفس البستاني وجذره وأوراق وقشور شجر الزيتون وكذا في المادة البيضاء التي ترسب على أوراق النبات الاوروبي المسمي بالافرنجية فوزين من نوع من الحشرات يسمي (افيس ايفونيمسى) وذلك يؤدي الى ظن وجوده في انواع أخر من الحشرات المختلفة العسلية التى ترسب منها على الاوراق

وقد ذكرنا ان هذا المانيت ليس الذي تنسب له خاصة الاسهال التي فى المن ورائحته وطعمه الكريهان وخاصة جذبه للرطوبة وانما ذلك منسوب لجوهر مخاطي مغث غير قابل للتبلور ولذا كان المن أقل فاعلية وكراهية فى الطعم كلما كان أنقي أعني محتويا على مقدار من المانيت اكثر ويفقد كثيرا من فعله اذا اغلى زمنا ما محلوله المائي . وأعطى الدكتور

(رسال) هذا المانيت بمقدار ٦ دراهم لطفلين و بمقدار أوقية ونصف للبالغين فلم يحصل منه اسهال محسوس مع ان العالم (لجرنج) جعل هذا المانيت هو القاعدة الفعالة للمن ، ولكنه لم يذكر تجاربه في ذلك ، ولم يثبت ذلك بتجارب غيره

وقال العالم (سو بير) ان المانيت هو الجزء المسهل من المن ويستعمل بمقدار ١٦ الى ٣٢ غراما فى مقدار من الماء من ٦٤ الي ١٢٥ غراما

ويوجد فى قاموس المفردات البسيطة والمركبة انه يسهل بلطف

وقال (سو بير) أيضا انه دواء مقبول مناسب للنساء والاطفال فيسقي محلوله الحار لأنه يتبلور بالتبريد ويعمل منه مرهم مكون من ٤ دراهم منه واوقية من القيروطى أي المرهم البسيط ويستعمل ذلك مروخا علي البطن فيحصل منه بدون قولنج اسهال خفيف ومهما كان فالاطباء متوافقون علي ان المن يقصد منه التأثير الصدري وان هذا التأثير يكون أوضح كلما كان هذا الجوهر أنقي وان الظاهر ان هذا الفعل ينسب المانيت

لاغير . فبالنظر لذلك اذا استعمل المانيت لزم تجزئته اما اقراصا مجموعا مع وزنه سكرا واما محلولا في الجرع الصدرية واما قائما مقام المن في مربي طرنشين اذا لم يرد من هذا الدواء الفعل المسهل الذي يطلب من المن ولا توجد فيه الرائحة ولا الطعم الكريهان اللذان في المن . ويظهر انه الي الآن قليل الاستعمال في الطب وانما يقال ان الغشاشين يغشون به كبريتات الكنين لرخص ثمنه (المادة الطبية)

﴿ المُنّة ﴾ القوة جمعها مُنن . و (المَنون) الدهر و (ريب المنون) حوادث الدهر و (المنون) أيضاً الموت. و (الممنون) المقطوع من منّه أي قطعه

﴿ المنوفية ﴾ هي اقليم مصري واقعة بين فرعي النيل في جنوب اقليم الغربية الى القناطر الخيرية . مساحة أراضيها الزراعية تبلغ (٣٦٦٨٠٣) فدانا ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة . قاعدتها شبين الكوم يزيد عدد أهلها عن ٣٠ الف نسمة وهي مدينة علي بحر شبين ومن الاسواق المهمة لتجارة القطن والحبوب . تبعد عن القاهرة ١١٤ كيلو مترا وتنقسم الى خمسة مراكز وهي

(١) تلا ويتبعه ٦٦ ناحية و ١٠٨ عزب وغيرها وقاعدته تلا

(٢) شبين الكوم ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٠ عزبة وغيرها ومقره شبين الكوم

(٣) منوف ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٧ عزبة وغيرها ومقره منوف

(٤) اشمون ويتبعه ٦٦ ناحية و١١٧ عزبة وغيرها ومقره اشمون

(٥) قويسنا ويتبعه ٦٦ ناحية و١١١ عزبة وغيرها ومقره قويسنا

﴿ منساه ﴾ به يمنوه منوا ابتلاه وخبره فهو ممنون به أي مبلى به

و (مَناة) موضع بالحجاز وصنم لبني هزيل وخزاعة بين مكة والمدينة .

﴿ المَنيّ ﴾ هو المادة التي تنفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل. وهو نجس عند أبي حنيفة ومالك . والأصح من مذهبي الشافعي واحمد انه طاهر وسنتكلم عنه فيما يلي

(أمني الدماء) اراقها . و (تمنّي الرجل) أراد . و (تمنّي الكتاب) قرأه و (المَنّي) الموت وقضاء الله . و (المِنَي) القصد . و (مِنَي) موضع

بكلمة سيأتي بعد في هذه المادة . و (المُنية) بضم الميم وكسرها البغية وما يتمني جمعها مُني . و (المَنية) الموت جمعها منايا . و (الأُمنيّة) البغية وما يتمني . والكذب . وما يقرأ

﴿ المني ﴾ اهو كما قدمنا المادة التى تنفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل وقد كتب حضرة الدكتور المفضال حسين افندي الهراوي بحثا تحت هذا العنوان واهداه لدائرة معارف القرن العشرين ننشره لحضرته شاكرين له خدمته اكثر الله من أمثاله المجتهدين

﴿ مقدمة ﴾

لم تتجه الانظار الي أن أسباب العقم قديكون من الرجل الا فى الازمان الاخيرة ولا يخفي نتيجة تأثير هذا على نمو عدد سكان البلدان. والاحصا آت القليلة التي عملت عن هذا تدل علي ان نسبة الزواج العقيم الذي منشاه من الرجل يقدر بنحو عشرة الى خمسة وعشرين في المئة وربما كانت النسبة الحقيقية اكبر من ذلك

وأول من استلفت الانظار الي أهمية هذه المسألة هو الدكتور (ماتيوس انكان) في محاضراته بجولستون سنة ١٨٨٣ . ثم في سنة ١٨٨٦ كتب مايأتي :

ان الخبرة والبحث تزيد الاعتقاد الراسخ في نفسى ان للرجل نصيبا عظيما وان الطريقة المثلى ان لايطيل على المرأة علاجا مؤلما خطرا لمداواة العقم مالم نتأكد من سلامة الرجل من وجهتي السائل المنوي والجماع . ولكن الى الآن نري ان البعض ينبذ هذه الطريقة المثلي وكثيرا مايحدث ان الذنب ينسب الي المرأة فتعالج طويلا علي غير جدوي فيضطر الطبيب الي الافتكار في الرجل مالم تكن حالة الرجل ظاهرة لاتحتمل الشك في مسئولية

(السائل المنوي)

لاهمية السائل المنوي فى مسألتي النسل والعقم نكتب عنه كلمة اجمالية :

المني الطبيعي السليم من الامراض اذا خرج من المجري البولى كان سائلا مركبا من افراز الخصيتين والقناة الناقلة للمني والحويصلات المنوية والبروستاتة وغدد كوبر وافراز مخاطى من غشاء المجري البولي وهو سائل لزج ويكون اما قلويا أو متعادلا لاقلوي ولاحامض . وشكله

كشكل مطبوخ النشا ورائحته خاصة به تغني عن وصفها وعلى رأي (لاندوا) ان المني الطبيعي يحتوي على ٨٢ في المئة من ماء وزلال المصل وزلالات قلوية ونيوكانين وليستين وكولسترين وشحم فسفوري وقلويات وسلفات وكربونات وكلوريدات

واذا برد المني بعد خروجه يتحول الى شكل هلامي. واذا لم يحرك في انبوبة اختبار ينفصل الي طبقتين متساويتين في المقدار ، السفلى منهما كثيفة سميكة وتحتوي على خليات، والمرتفعة رقيقة ليست بالكثيفة ولا الشفافة ومحتوياتها قليل من الخليات

ومن الصعب تقدير مقدار مايخرجه الرجل في المرة الواحدة ويدلنا علي ذلك الاختلاف العظيم وهو اختلاف الحالات الفردية واختلاف المقادير المنفرزة باختلاف الاحوال وتعدد الوقاع والانهماك التناسلي والمدة بين الوقاعين وهلم جرا

وأقرب الآراء صحة ان المقدار يختلف ما بين درهم ودرهمين فاذا تعدد الوقاع وكثر الانهماك قلت هذه المقادير كثيرا الي نقط يسيرة أو انعدم الافراز مطلقا

وأهم عناصر المني الحيوانات المنوية والواحد منها عبارة عن خلية صغيرة تتحرك بواسطة اهداب دقيقة وطول الواحد منها جزء من ٢٠ من المليمتر

والحيوان منها له رأس ورقبة وجسم وذنب ومؤخرة . فالرأس ذو شكل بيضى وله غطاء ، وعلي رأسه جزء محدد يشبه الرمح أو السكين ويستعمله الحيوان في قطع جزء من البويضة فى حالة التلقيح والرأس هي نواة الخلية وبقية الخلية نفسها

وكما يري القايء في شكله بالبحث الميكروسكوبي ان الحيوانات المنوية كثيرة جدا وكلها تجري وتتحرك بواسطة ذيلها اذ تسير بسرعة نصف ملليمتر في الثانية وهي أسرع ماتكون عند خروج المني مباشرة فيعوج الرأس مدفوعا بحركة الذيل الثعبانية ورأي الاستاذ (الترمان) ان المني الصحيح اذا امتحن بعدسة العين الميكرسكوبية نمرة ٣ والنظارة نمرة ٧ يري الناظر منه حيوان على أقل تقدير ولكن في العادة اكثر من ذلك بكثير

وخلاف الحيوانات فان المني يحتوي على خليات منوية أخري مختلفة الاشكال والانواع من مجري البول ونوعين من البلورات الاول عديم اللون ذو أربعة جوانب تري في أكثر الاحيان في المني الطبيعى والحيوانات لاتزال حية، والنوع الثاني متوازي الاضلاع يعرف ببلورات (بوتشروشر بنر) ويري بعد مضي زمن كثير علي خروج المني في مدة بين ثلاثة أيام أو اربعة الى يومين . واذا كان المني عديم الحيوانات المنوية أوقليلها تكونت هذه البلورات في مدة أقرب ومن رأي (شر بنر) انها أجسام فسفاتية مع مركبات عضوية تعتبر كقاعدة والمعروف ان هذه الحيوانات لاتتكون قبل البلوغ و يستمر خروجها بعده بمدة كبيرة . وقدوجدها الدكتور (كرلنج) عدة مرات في خصيات رجال أربوا على السبعين وفي رجل بعد السابعة والثمانين والاستاذ (كاسبر) والدكتور (ايل) وجداها بعد السادسة والتسعين والذي يغلب علي الظن ان هذه الحيوانات مع وجودها فى مني هؤلاء الشيوخ فهى قليلة الجدوي غير قادرة على التلقيح وهذا ماعارض به (باجوت ديو بلاي) وقال ان الاخير غلط فى قوله ان الرجال قادرون على التلقيح في اي سنة من سني حياتهم ولو انه يوافق علي وجود الحيوانات بكثرة ولكنها تختلف تماما عن الموجودة منها في الشبان اذ ان طول الواحد منها يوازي نصف طول السليم وهي أرفع وقليلة الحركة جدا اذ جل سيرها ان تهتز وهي مكانها ولا تسبح سبحا مستمرا مثل السليم منها فى الشبان والذي يجعل (باجوت) يصمم على رأيه انه وجد أمثال هذه الحيوانات الضعاف في صغار الشبان المتزوجين زوجات خاليات من الامراض ولم يعقبوا. ومن نتيجة الانهماك الكثير والتكرار قد ينقطع مؤقتا وجود الحيوانات وقد امتحن (لنجوا) مادة أحد الطلبة وكان جامع ثلاث أو أربع مرات يوميا مدة عشرة أيام متوالية فلم يجد اثرا للحيوانات المنوية ثم ظهرت ثانية بعد ثلاثة أسابيع حيث انقطع الطالب عن كل عمل تناسلي

يوجد بعض التغيير من الوجهة الفسيولوجية ومن وجهتى العدد والحجم فى الحيوانات ومباحث الاستاذ (كاسبر) في كتابه

الطب الشرعي علي رجل قوي البنيـة في الستين من عمره تظهر ذلك بجـلاء ووضوح

ففي احـدي المرات بعد ثلاثة أيام مضت علي جماعه وجد عددا كبيرا من الحيوانات الصغيرة وفى اليوم الرابع وجدها قليلة جدا و بعد يومين لم يجد شيئا وكان السائل المنوي اشبه بالماء و بعدفترة خمسة أيام وجدها ثانية بكمية كبيرة و بعدمضي ستة أيام وجدها بكمية أقـل ولكنهـا اكبر من نظيراتها المتقدمة

يري بعض العلمـاء ان الحيوانات المنـوية لاتتحرك الا اذا وصلت الي الي الحويصلات المنوية. ويري (فور برنجر) ان حركتها ناتجة عن الافراز البروستاتي. ويري بعض الثقات خلاف ذلك

وتختلف المدة التي تعيشها الحيوانات خارج الجسم اختـلافا عظيما باختـلاف الاحوال

روي الاستاذ (الترمان) ان المني المحفوظ من الضوء والبرد تعيش حيواناته مدة ٤٨ ساعة والدكتور (كوبر) وجدها بعد ٨٤ ساعة في مني حفظ في زجاجـة عادية غـير محكمة في برد شهر ابريل.

ويستمر تحرك الحيوانات تحت نظارة الميكروسـكوب عدة ساعات وتسـتمر حركة الاهتزازمدة ٣٠ ساعةو يجب بحث السائل في أقرب فرصة بعد خروجه مع الاحتراس التام فى تقـدير سيرالحيوانات فالبرد له تأثير شديد على الحيوانات فانها تسكن اذاوصلت على زجاجة ميكروسكوب باردة وتتحرك ثانيـة اذا سـخنت تلك الزجاجة وفي بعض الاحيان يكون السائل لزجا غليظا فلا يمكن الحيـوانات الحركة فيه بسرعة وتمتنع حركة الحيـوانات اذا أضفنا اليها حمضا أو قلويا شـديدا أو ماء غزيرا . و بعض الأغشـية التى يلبسها الرجال تحرزا من الحمل يكون في مطاطها مواد مؤثرة علي حيـاة الحيـوانات كما شاهدنا ذلك غير مرة ومن النادر أن نجد الحيوانات المنوية في البول . واني قـد وجدتها مرة في بول شخص فيه قليل من المخاط ربما كان السبب في حمـايتها أو ربما كانت الكثافة النوعية لهذا البول موافقة لها و بالتأكيد لايمكن اكتشاف الحيوانات فى البول بالعين المجردة ولكن اذا وجدت كمية من السائل المنوي فمن السهل أن تري على شكل هلامي يرسب

في الزجاج بعد زمن يسير

ومن المباحث الجليلة التى قررها الاستاذ (الترمان) ان الحيوانات المنوية التى تموت بعد خروجها من العضو التناسلي يري انها منبسطة والتي تموت قبل خروجها تظهر ملتفة على نفسها وهذه نقطة هامة يجب ان نذكرها عنداختبار كل سائل منوي فانها طريقة لايشك أحد في صدقها وصحتها

ويري أيضا الاستاذ ان هذا الالتواء يكون في الحيوانات التى تموت من تأثير شيء ضار لها كالبول الحمضي وافرازات المهبل وقد يتأتي من تأثير الماء الغزير

وكما هو قانون الطبيعة ان لكل شيء شواذ فكذلك في الحيوانات فمنهاذوات الرأسين وذوات الذيلين أوضخام الرأس او طوال الذنب أوقصارها

واذا جف المني على زجاجة ميكروسكوبية انضمت الحيوانات بعضها الى بعض على شكل غير منتظم فيتعسر معرفتها بغير التدقيق التام

واذا ماتت الحيوانات على مثل هذه الزجاجة حفظت شكلها بعد موتها عدة أعوام فلدي (الدكتور كوير) زجاجة ميكروسكوبية محفوظة منذ سنة ١٨٩١ حافظة شكلها الي الآن ولم يضف اليها أي اشيء كيماوي ومع ذلك فحيواناتها واضحة تمام الوضوح

والجزء الباقي من السائل المنوي مركب من افرازات مختلفة وهو قليل الاهمية وأشهرها (المذي) المعروف وهو افراز غدد كوبر

﴿ الفصل الثاني ﴾

(التغيرات في الكمية والمحتويات)

يطرأ على السائل المنوي عدة تغيرات إما ناشئة عن وظائف الاعضاء أو تأثير منوي

(كثرة الكمية) أسلفنا الكلام عليها وقال الاستاذ (الترمان) انه وجدها تربو علي ٣٥ غراما في أحد المرضى العصبي المزاج وليس في اعضائه التناسلية مرض مطلقا والمظنون ان أمثال هذا قليل ولكن الذي يستلفت الانظار ان الكمية الزائدة في الجزء السائل لا في الحيوانات المنوية ومنشأ ذلك الغدد التي اسلفنا الكلام عليها

(قلة الكمية) ربما كانت الكمية

قليلة جدا وأسبابها يتعذر تحديدها تحديدا تاما . وقلة الكمية أمر طبيعي في سن الشيخوخة وفى أحوال الضعف العام ومن الجائز أن تكون القلة ناشئة عن عدم افراز احدي الغدد أو بعضها وعلى ذلك يجب بحث كل غده على حدة

(انعدام المني) هذا أهم تغيير يطرأ على السائل المنوي وهو اما ناشئ من عدم الافراز مطلقا أو خروج الافراز على غير الطريق الطبيعي . وانعدام المني اما ناشئ عن تكوين الشخص نفسه أو طارئ جديد حدث له بعد ولادته وهو أيضا اما دائم أو مؤقت

فما كان منه ناشئا عن نقص في التكوين يكون منشأه زوغانا عن الحالة الطبيعية لاعضاء التناسل . وانعدام المني بدون وجود نقص طبيعي ضرب من النادر وقد وقعت حالتان تحت أنظار الاستاذ (الترمان) والحالة الآتية هي للدكتور كوبر قال : استشارني شاب فى العشرين من عمره لم يحدث له انزال مني مطلقا سواء في الحلم أو اليقظة ولم يأت امرأة قط ولكنه كان كثير الانهماك في جلد عميرة ولم يظفر مرة في حياته بالانزال وكان شديد الميل التناسلي وأحلامه في هذا القبيل كانت كثيرة مصحوبة بانتصاب شديد وكان يشعر في بعض الاحيان بحاسة الانزال ولكنه اذا استيقظ لايجد شيئا ولم يصبه أي مرض ولا التهابات الغدة النكفية وبالفحص لم نجد فيه الاغاية الصحة وكل شئ على غاية مايرام وكان من السهل ادخال عدة قساطر الي مثانته وبوله طبيعي من كل الوجوه

أما انعدام المني النسبي فهو الناشئ أحيانا متفرقة فبعض الاوقات يحدث الانزال وأخري لايكون . ولهذا النوع عدة أشكال فتارة يكون هذا الانعدام فى حالة الجماع أو اليقظة ولايوجد السائل على أي شكل كان مع انه يكون في حالة النوم بغزارة تامة ومحتوياته تكون طبيعية . وقال :

استشارني شاب فى الثامنة والعشرين من عمره شديد الميل التناسلى وذو صحة تامة الا فى تتميم وظيفة الجماع بالانزال مهما طال به الزمن ولم يفز بالانزال في حالة الصحو سواء بالاجتماع بالنساء أو بجلد عميرة مادام في حالة الصحو ولكنه

مع ذلك كثير الاحلام التناسلية المصحوبة بالانزال واذا استيقظ قبل تمام الانزال انقطع الباقي منه وليس لديه أي ضعف فى الانتصاب واذا طال به الزمن في الجماع ضعف الانتشار وهبطت الحرارة الاولي وانكمش القضيب من غير انزال وأعطاني هذا الشاب نموذجا من السائل الذي ينزل منه في الاحتلام فوجدته طبيعيا من كل الوجوه. وبفحصه لم أجد في أعضائه التناسلية أقل تشويه غير قليل من الاتساع في مجري البول الخلفي وهذا لايفسر بالطبع هذه الظواهر كلها وكان المريض عصبي المزاج أمه مصابة بالهستريا

وفي حالة أخري لشاب له من العمر احدي وعشرين سنة كانت حالته أغرب لانه يحدث له الانزال فى حالة جلد عميرة ولكنه يتعذر في حالة الجماع الطبيعي وتفسير هذا من الصعوبة بمكان

والانعدام الكسبي ليس من الانواع النادرة وهو اما دائم أو مؤقت واسبابه اما ميكانيكية أو تابعة لتأثير في النفس

فالتهاب البروستاتة والتهاب القناة الناقلة للسائل المنوي أو التحام يحدث بعد التهاب شديد فيسد قناة الحويصلات كل هذا يسبب انعدام المني

وربما كان أكبر سبب لانعدام المني هو السيلان اذ هو المسبب لأكثر هذه الالتهابات. ومن نتيجة الالتهابات المتقدمة أن تنسد المسالك بالمرة فيجتمع مطلقا أو يحصل تضايق في مجري البول فيتحول السائل الي المثانة. ودرن المثانة والقناة البولية وما يصيبها من الجروح والقطوع كل ذلك يؤثر علي مجري المني

وعملية استخراج حصيات المثانة من العجان بين السبيلين كانت فى الماضي مصدرا كبيرا للعقم عند الرجال. أما الآن فقد استبدلت بما هو أصلح منها، ولكن بعض الثقات يضاد هذا الرأي باحصا آت جمة كانت فيها الزوجة مصدر العقم

أما عملية استئصال البروستاتة فقد لاحظ (فنويك) ان تأثيرها على وظيفة التناسل لايمكن للطبيب أن يؤكد ببقائه ولكن في العادة أن تكون هذه العملية في سن الشيخوخة حيث لا مطمع للمريض ببقاء خصوبته، والنتيجة تتعلق بما يطرأ على قنوات الافراز من جراء ضخامة

البروستاتة ومقدار ما يتعرض به الجراح لها أثناء العملية

وهذا النوع من الانعدام دائم ولكن من الجائز ان يكون مؤقتا بعد علاج . أما النوع المؤقت فناشيء من اضطراب في المجموع العصبي منشأه الخوف أو الهيبة أو التهيج الشديد وفي هذا النوع ربما يتأثر الانتصاب أيضا .

وهنا نذكر سببا هاماوهو مايسمونه العزلة وهو عدم تتميم الجماع والاكتفاء بالانزال خارج المهبل تحرزا من الحمل. ووقع تحت مشاهدتي عدة افراد من هذا القبيل . وقديذهب التطرف في بعض الرجال الى حد بعيد وهو ان يضع أحدهم خاتما من المطاط حول القضيب ومن تأثير الضغط الشديد يدخل المني الي المثانة بدلا من خروجه المعتاد وقد أصبحت ذلك عادة فيهم حتى بعد نزع هذا الخاتم المطاطى كما روي ذلك الدكتور (همند) في ثلاث حالات . والتقرح العميق الموضعى في رأس القضيب من أسباب الانعدام كما هو حال القرحة الزهرية وقد يكون هذا أيضا في بعض الامراض العصبية وحصيات البروستاتة أيضا من أسباب الانعدام المشهورة

(الانعدام الكاذب)

يكون هذا اذا جري المني في القناة البولية وامتنع عن الخروج منها من تأثير عدة مؤثرات منها تضيق القناة من أثر التحام السيلان أو فتحة غير طبيعية في القناة اما على ظهر القضيب أو تحته أو ناسور بولى فى العجان أو المستقيم . وهذه الاسباب تغير مجري المني عند سيره الطبيعى فلا يدخل الرحم ولا يحصل اللقاح من جراء ذلك

وعلي ذكر تضيق القناة البولية نقول : انه ليس من الضروري ان تكون هذه الاماكن ضيقة جدا لانه في حالة ارتخاء القضيب تكون المضايق أكثر اتساعا عن حالة الانتصاب وفضلا عن ذلك فالتضايق الناتج عن أثر التحام جرح تمنع نزول المني علي الحالة الطبيعية . وانا لنذكر على سبيل المثال ان أحد مرضانا شاب في الثالثة والعشرين من عمره أصيب بعدوي السيلان وتركه فأزمن معه ذلك ونتج عدة خراريج في العجان وقد شاهد ان المني يقل نزوله بالتدريج واستشارني عند انقطاع الانزال عند الجماع

منذ شهرين وفي بعض الاحيان كان ينساب منه الافراز على غير الحالة الطبيعية وكان مجري البول ضيق وملتهب وبه عدة مضايق وكل هذا شفي بالعلاج. وعدم الختان من دواعى الانعدام اذا كانت القلفة ضيقة

وأخيرا نقول ان الانتصاب الشديد من دواعى الانعدام وعلاج ذلك قليل من البرومور

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ التغيرات الداخلية فى ﴾

(السائل المنوي)

قلنا ان شكل السائل المنوي يشبه مطبوخ النشا ويترك أثرا على الملابس ذا لون سنجابي فيتصلب بعد جفافه ويطرأ بعض الاعراض على هذا السائل فيتغير كالآتي

اما ان يكون ذا لزوجة أكثر من المعتاد وذلك بافراز سوائل اكثر غلظا عن العادة تفرزها الحويصلات المنوية أو قلة افراز البروستاتة وقد يكون ذلك في الاصحاء عند الامتناع التناسلى عدة أيام وقد يكون السائل كالماء سيولة وأكثر مايكون ذلك في حالة انعدام الحيوانات المنوية

ومن التغيرات أيضا وجود دم او صديد في السائل فاذا اختلط السائل بالدم تغير لونه تغيرا مناسبا لكمية الدم أو التأثيرات الكيماوية المؤثرة فيه والمنبع الذي خرج منه . واكثر الاسباب احداثا لنزول الدم هو التهاب مجري البول الخلفي خصوصا في الحالات التي تصيب الحويصلات المنوية واذا أفرط الانسان في الاعمال النسائية حدث احتقان في البروستاتة ومجري البول الخلفي وتسبب عن ذلك نزول الدم وعليه فكثيرا مايكون هذا النوع شكوي المتزوجين حديثا أو أصحاب جلد عميرة . ومن الاسباب الاخري التهاب البروستاتة الناشئ عن ضخامتها عند الشيوخ وسل البروستاتة والحويصلات المنوية

ويتغير لون السائل ولون البقع التى يتلون بها السائل على حسب مصدره وقد أري الاستاذ (الترمان) ان الدم الناتج من التهاب خلفي في القناة البولية يكون غير مستوي الاختلاط بالسائل المنوي ويري على شكل عدة نقط متفرقة بعضها عن بعض ولون السائل نفسه يكون كلون الصدأ

الحديد أما الناتج من الحويصلات فانه يكون مختلطا بالسائل وممتزجا به امتزاجا متساويا واذا كان في السائل صديد فان لونه يتحول الى أصفر على حسب كمية الصديد الموجودة به واذا لطخت به ثياب وجدت البقع صفراء فاقعة وتضرب الي الخضرة

وأكثر الاسباب شيوعا فى وجود صديد بالمني هو السيلان واذا وجد مع ذلك دم ثان بقع المني على القماش تكون غير مستوية الوضع بمعني انه يكون هناك كثيرا من البقع الدموية في بقعة واحدة من المني وان كان من الحويصلات فشأنه تقدم . واذا اختلط الصديد بالدم في المني تغير لونه باختلاف الكمية والمحتويات ولا يجب الخطأ فى هذا اللون وبين المني المصبوغ بالصفراء من تأثير مرض اليرقان والميكروسكوب خير حكم في هذا السبيل فاذا احتوي السائل المنوي على صديد أودم وكان البول خاليا منهما حكمنا ان منشأ الصديد هي أعضاء التناسل لا الجهاز البولي

ومما استلفت الاستاذ (الترمان) الانظار اليه هو صبغة المني بلون نيلي بعد الاكثار من الاعمال التناسلية خصوصا في أصحاب المزاج العصبي واللون الاحمر فيه لايفرق عن لون الدم الا بالميكروسكوب وغير اللون الاحمر فقد صادف اللون الاخضر أما الازرق فلم يصادفه

قال الدكتور (كوبر) ونحن لم يقع تحت مشاهدتنا شئ من ذلك

﴿ الفصل الرابع ﴾

(التغيرات الميكروسكوبية)

ناشئة عن الامراض الطارئة على الحيوانات من موت أو قلة أو انعدام كلي

ومما لاشك فيه ان لكل غدة من الغدد التناسلية افرازا ولكل افراز تأثيرا علي حياة الحيوانات وعليه فاذا فقد أو مرض أحد هذه الافرازات ماتت الحيوانات

فاذا وجدنا ان الحيوانات خرجت ميتة من الجسم كان ذلك ولاشك ناتجا عن مرض في البروستاتة أو الحويصلات المنوية أو القناة بينها و بين الخصية نفسها أو مجري البول

وانعدام الحيوانات بالمرة ناشئ عن

انسداد القناة المنوية نفسها ويري (سرتلون) ان هذا الانسداد قد لا يكون كليا بل ان أي التهاب يصيب القنوات يورث الانعدام وقد أجري عدة تجارب علي كلاب وحقن فيها مواد محدثة للالتهاب فنشأ عنها انعدام الحيوانات اما (نيسر) فيري ان السيلان هو الطامة الكبري التي تولد ذلك

والحيوانات قد تكون قليلة أو ضعيفة أو منعدمة في حالات التهاب القناة البولية الخلفية اذا وجدت مع البروستاتة أو الحويصلات المنوية أيضا

واذا حدث التهاب في القناة من جهة الخصية فليس من الواجب أن يكون هناك أي تناسب بين شدة الالتهاب وانعدام الحيوانات وليس من الضروري أيضا أن يحدث العقم اذا لم تلتهب القناتان

وعلى ذلك قد يحدث انسداد فى مجري المني بدون أعراض اكلينيكية نعم اننا نشك اذا كان الرجل عقيما أن يكون السبب في ذلك التهاب سيلاني في مؤخرة المجري البولى مالم يظهر مايخالف ذلك وفي بعض الاحيان قد ينحبس انزال المني ويكون هناك أول عهد المريض باستشارة الاطباء ولكن في حالة انعدام الحيوانات فقط فان المريض يقذف النطفة ولا يعرف أي تغيير فيها وقوته الحيوية في نضرتها لم تتأثر ولا يشك في نفسه انها هي سبب العقم ولا ذنب للمرأة فيه ومن الظلم أن نتهمها في كل الحالات دون بحث الزوج أيضا ولا يجوز أن نقول ان بعض الزواج العاقر منشأه عدم اتفاق الزوجين حيويا.

واذا كان هناك ورم فى أي جزء من أجزاء الجهاز التناسلي وجب فحص المني ميكروسكوبيا ولكن بالنظر المجرد نجد له هناك فرقا عظيما فان السائل يكون كالماء والراسب الذي يحدث بعد عدة ساعات هو قليل جدا وربما لا يمكن رؤيته بخلاف الطبيعى فان الراسب يكون نصف السائل وفى بعض الاحيان يحتوي المني على كرات صغيرة من المخاط وفى بعض الاحيان يكون المني العقيم له تفاعل مع حمض الازوتيك يضرب لونه الي الصفرة بخلاف الاصفر الفاقع مع الطبيعى

وتحت الميكروسكوب نجد ان هذا الراسب عبارة عن بعض خلايا تحولت

الى التحول الشحمي و بعض كرات دم بيضاء و بللورات بوتشر

و يوجد بعض اسباب أخري غير السيلان داعية لانحباس الحيوانات وهذه هي أي حاجز يمنع نزولها فالزهري مثلا لايؤثر في الخصيتين والقناة فينشأ منه ذلك

وفي بعض الاحيان لا يمكن ايجاد أي عرض مرضى في الخصيتين . ومن المعلوم أيضا انه ليس من الضروري حدوث ذلك ولكن هذا المرض لايمنع العلوق ولكنه يقتل الجنين .

وأما الامراض الاخري التي ينشأ عنها ذلك فهي التهاب الغدد النكفية وحمى الملاريا والوافدة (الانفلوينزا) والجدري والتيفويد وطرق تأثيرها هو حدوث التهاب في الخصيتين يحدث بعده ضمورها والكيسة في هذه الحالات اصابةخصية واحدة

والاصابات التي تحدث في الخصية مثل الضرب أو العمليات الجراحيه أو غيرها ربما مست الخصية أو القناة بسوء كقطعها أو قطع الاوعية الموصلة اليها وضغط القيلة المائية المزمنة والقيلة الدموية والاورام التى في الكيس تحدث ضمورا في الخصيتين وانعداما في الحيوانات

وامراض أوردة الخصيتين (فاريكوسيل) قد تؤثر في الخصيتين ولكن من المشاهد ان واحدة منهمافقط تكون مريضة بهذا الداء والاخري سليمة ولذلك يجب البحث في هذه المسألة قبل الشروع في العمليات الجراحية اللازمة لهذا المرض

وانا نظرنا نظرة عامة لجميع الاسباب التي أوضحتها نجد ان حوادث الالتهاب السيلاني وأمثاله هي أكثر شيوعا وا كثر عرضة فى التأثير على القناتين المنويتين ولو ان كثيرا من الحالات تؤثر على واحدة فقط كما ان فوهتي القناتين قريبتين احداهما من الاخري حتي ان الكثير من الاحيان لايمكن الحكم على سلامة واحدة في حالة مرض الاخري ومن الغرائب ان تكون العدوي الواصلة الي الخصيتين بواسطة الدم كحالات التهاب الغدد النكفية مثلا كثيرا ماتصيب واحدة فقط وفي مثل ذلك لا يحدث عقم

وعلى كل ماتقدم ففحص السائل المنوي هو خير واسطة لمعرفة الحقيقة واليك البيان :

استشارني رجل عمره ٣٥ سنة وليس به مايشكو منه من الوظيفة التناسلية ولكنه لم يعقب بعد مضي ١٤ سنة على زواجه وليس لديه مايستحق الذكر غير انه حدث له جرح في الصفن من الجهة اليمني فأطلت منه الخصية أما الجهة اليسري فما زالت فى أحسن حالات الصحة ومنذ احدي عشرة سنة أصيب بالتهاب الغدة النكفية وحلل منه في هذه الآونة فوجد طبيعيا وبه حيوانات وبعد مضى هذه المدة وقعت الشبهة علي الزوجة وأتي هو لعرض حالته علىّ فوجدت به فتقا في الجهة الشمالية وخصية هذه الجهة صغيرة جدا . أما الجهة الاخري فكانت الخصية أكبر من أختها ولكنها أقل من الطبيعي وما عدا ذلك فقد كان طبيعيا وبعد مضى أسبوع مضي عليه بغير جماع امتحنت منيه فوجدته خاليا من الحيوانات وليس به غير كرات دم بيضاء . ومن هذه الحالة نجد انه قد تكون الخصية السليمة صغيرة قليلا ولكنها عقيمة وقد قرر هذا الجراح (شرشمان) فى التقرير الثالث عشر من كتاب مستشفي جون هو بكن أن قد أصيبت خصية بضر به ضمرت بعدها الى حجم نواة البلح ولكنها مع ذلك كانت طبيعية في محتوياتها

والغرض لاشعة رنتجن سببت عقما في بعض المرضى والاطباء المنوطين بالعمل

ومن الاشياء المتكررة الحدوث ان السمن وضخامة البدن تحدث ضعفا في القوي التناسلية في كلا النوعين وقد تتحول الخصية استحالة شحمية ومن احصائيات كيس ان الزواج العقيم يكون بنسبة واحد في العشرة اذا كانت الزوجة سمينة جدا و بنسبة واحد الى خمسة اذا كان الزوجان سمينين

أما الادمان علي الخمر فهو من مسببات العقم ومن المعلوم ان السكيرين اكثر مايكونون سمانا

وقد كتب ماتيلوس دنكان عن عقم المرأة فى محاضراته قصة فتاة مدمنة ظلت عدة أعوام بلا حمل ولم يكن في جسمها مايدعو الى هذه العاهة وعولجت

بالامتناع عن الخمر مدة عام فحملت ومن المشاهد ان الادمان من مسببات التهاب المبيضين في الانثي

نقول اننا نشرنا هذا الرأي عن النساء برغم ان بحثنا في الرجل لاحتمال علاقة بين الاثنين وهـذا مايعززه رأي فوريل من تقليل الخمر للنسـل وضرب الامثال بعدة مناطق من الروسيا فأكثرها ادمانا علي الخمر أقلها سكانا

أما العقاقير الداعية للعقم فهي :

الافيون والزرنيخ والرصاص واليودور والبرومور اذا أخذت بمقادير سمة

﴿ الفصل الخامس ﴾

(العلاج)

تعالج الاسباب باختلاف أنواعهـا

كثرة المني وقلته لا أهمية له مادامت الحيوانات حيـة فاذا ماتت يبحث عن كل الاعضاء التناسليـة و معرفة انهـا أصل الداء

انحباس الحيوانات يكون :

(١) اما ان تكون موجودة في الجسم ولكنها لاتخرج و يعـالج أي سبب داع الى الفعل الانعكاسي . و كثـيرا مارأينا ان مجري البول الخافي يكون اكثر حساسية فتنكمش جميع العضلات عنـد ادخال المجس وشفيت بالكهرباء (التيار المتقطع) وادخال المجسـات واستعمال المهبطات

الانعدام الكسبي :

مثـل التحام جروح داخل المجري البولي فتسد مدخـل المني كان الامـل ضعيفا في الشفاء وتتغـير النتيجة بتغـير العلاج وسبر المرض في مثل أحوال السل الموضعي أوضخامة البروستاتة

أما الاحوال النفسية من خوف أو جزع أو رهبة فيزول بزوال السبب مادام المجري خاليـا من أمراض اخـري كالسيلان الخ

أما الانعدام الكاذب فيعالج بتوسيع الضيق العارض ومـداواة الالتهـابات وحالات انفتاح مجري البول فى غير الموضع الطبيعي تزال بالعملية الجراحيـة واذا وجدت الحيوانات ميتة فتعالج الامراض المسببة وهذه تكون في الخصية والبروستاتة والحويصلات ولا ننسي كثرة لزوجـة افراز الذين مضى عليهم زمن كبير بدون جماع وتكون الحيوانات أقل قوة

ووجود دم أو صديد شرحنا علاجه

وحالات الافراط تعالج بالاقلال

موت الحيوانات وضعفها وقلة الحيوانات وانعدامها

دائما تكون موجودة في المني الدموي والصديدي وكذلك أسبابها وعلاجها واذا لم يكتشف لها سبب يلتفت الى الصحة العامة

وفي حالة قلتها وضعفها يجب البحث اذا كان السبب فسيولوجي أو مرضى مؤقت أودائم

نعم انه يختلف عدد الحيوانات باختلاف الاشخاص ولذلك يجب ملاحظة تاريخ المريض اذ ربما كان سبب الانعدام ناشئ عن الافراط فقط كالشبان المتزوجين حديثا أو جماعة المفرطين الذين لاينفكون ليلة عن هذا العمل

ويري بعض الباحثين ان أطفال شهر العسل أقل قوة من الاطفال الذين بعده لان الرجل في هذا الشهر يكون منهوك القوي وحيواناته أقل قوة من غيرها

أما التشويهات الخلقية فلا يكون من ورائها العقم

أما السيلان فيعالج بالعلاج الخاص به لئلا يهدد فوهات الحويصلات المنوية

ومرهم الزئبق نافع في التهاب البربخ

أما في التهابات البربخ والخصية المزمن فاستعمال الاربطة المطاطية على طريقة (بير)مفيدجدا يوضع المطاط عن عنق الكيس ١٢ ساعة ولا يجوز اليأس في حالات التهاب البربخ السيلاني فان العلامة (جودارد)عالج عقما منشأه التهاب سيلاني بعد مضي سنتين ولا يعزب على الاذهان ان ازالة الاورام شئ ووجود الحيوانات المنوية شيئ آخر فهبوط الاورام ليس معناه وجود الحيوانات

وأما الضغط الناشئ عن قيلة مائية أودموية أو فتق فيستدعي عمل عملية

والاحتفاظ واجب من أشعة رنتجن ولكن الآلات الحديثة والحواجز قد تمنع حدوث ذلك ومع ذلك فالانعدام وقد تعود وحدها بعد ثلاثة شهور

والسمن وضخامة الجسم تعالج بعلاجها الخاص بها وكذلك ادمان الخمر تعالج بالامتناع

(الدكتور حسين الهراوي)

﴿ مِنَي ﴾ هو موضع بقرب مكة يقصده الحجاج للنحر ورمي الجمار . فان المؤدين لفريضة الحج بعد ان يقفوا بعرفات يقصدون مِني ويكون مع كل منهم تسعة وأربعون حصاة من الوديان القريبة من عرفة فاذا نزلوا مني باتوا لياليهم فيها حتي اذا أصبحوا كان يوم العيد الاكبر ويكون المحمل المصري نازلا شمال المصطبة التي فيها مخيم الشريف الى جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع يحيط به سور متسع والى حائطه الغربي رواق علي طوله ، قام سقفه على أعمدة من البناء ، وباب هذا المسجد الي الشمال وفي وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت علي مكان يصلى الناس فيه وهو المكان الذي صلي فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباي سنة (٨٨٤) وبني بجانب هذا المسجد دارا كان ينزل اليها امير الحاج المصري فاندثرت ولكن المسجد باق على حاله

عند وصول الحجاج الي مني يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها وينحرون ويحلقون أو يقصرون ثم يلبسون ملابسهم وعندها يحل لهم كل شيء ماعدا النساء والطيب

وتذبح القرابين شرقي مني وتلقي في حفر هناك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بتلك الجثث ردمت وحفر غيرها وهكذا ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جدا

تقيم الحجاج بمني الى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ثم ينزلون الي مكة لاداء الركن الباقي من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعي لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم . ومن الناس من ينزل الى مكة أول يوم بعد رمي جمرة العقبة لاستكماله جميع مناسك الحج ثم يرجعون من يومهم الى مني فيقيمون فيها مع اخوانهم ثاني وثالث أيام التشريق ويرجمون في كل يوم منهما الجمرات الثلاث وفي عصر اليوم الثالث ينزلون الي مكة

يوجد في مني غير مسجد الخيف غار قريب في الجبل الجنوبي يسمي بغار المرسلات كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت عليه فيه سورة

الموسلات ويقصده الناس للزيارة والتبرك به . وفى الجبل الشمالى منها مغارة يقولون ان ابراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها مترين ونصف متر وعلي يمين الداخل فيها كهف نقر في جوف الجبل وفي خارجها مصلى يقولون عنه انه مذبح اسماعيل وبجوارها صخرة كبيرة في جوف الجبل فيها شق كبير يزعمون ان تلك السكين التى أراد أن يذبح بها ابراهيم ولده أفلتت من يده رحمة بالذبيح فغاصت فى هذا الصخر فشقته . وبقرب هذه المغارة يقيم حجاج الهنود ولهم فيها اعتقاد عظيم . قال محمد بك لبيب البتانوني الذي ننقل عنه هذه التفصيلات : « فترى الهنود هناك وقد فرشوا على الحصباء وخارج خيامهم وداخلها شطرات نيئة من لحم الاضحية وبعد جفافها في الشمس يحتفظون عليها ويأخذونها معهم الى بلادهم هدية مباركة مقدسة لمن كان عزيزا عليهم . وأظن ان هذه عادة قديمة للعرب كانوا يقومون بها في أيام مني ومنها سميت بأيام التشريق أي التقديد وهي الثلاثة الايام التي تعقب يوم النحر . وقد مر بك في باب القربان مثل ذلك في عوائد الرومان ولعلهم أخذوها من اليونان وهؤلاء أخذوها ضمن العوائد الكثيرة التى أخذوها عن الهنود أنفسهم فيكون أصلها منهم ومرجعها اليهم »

وبمناسبة ذكر الرجم في مني ننقل هنا عن الفاضل محمد بك لبيب البتانوني ماذكره فى رحلته الحجازية عن أصل الرجم عند الامم قال حضرته :

﴿ الرجم ﴾

« الرجم في اصطلاح الحجيج رمي غرض مخصوص في منى بسبع حصيات في حجم الفولة ، وهذا الغرض يسمي جمرة والجمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطى ، والجمرة الصغري (ويسميها العامة ابليس الكبير والوسطاني والصغير) ولكل جمرة مكان مخصوص (موصوف في وصف الطريق الى عرفة) ، ورميها واجب باتفاق المذاهب . فيري الحاج فى أول أيامه بمنى (يوم الاضحية) جمرة العقبة وحدها ، ثم يرمي ثلاثتها في كل يوم من اليومين التاليين ، فيكون جملة مايرميه سبع حصيات في سبع (٤٩ حصاة) ومكان الجمرات تراه علي الدوام غاصا

بالرامين فلا تصل اليه الا بمشقة عظيمة وكثيرا ما تشاهد بين هؤلاء الرماة اناساً يَجْمَرون بتَشَفٍّ شديد ، ومنهم من يغلو في ذلك فيرمي هذا الغرض برصاصة طبنجته كأنما يرمي عدواً ألد ، والكل يتخيل ان يرمي ذلك الشيطان الرجيم الذي لا تخفي عداوته لبني الانسان ، فكأنما هم بهذا الرمي يشهرون عليه حرباً عوانا لما سبق من اغوائه لهم ، ويقطعون كل صلة بينهم وبينه

والعرب كانوا يرجمون هذه الجمرات الثلاث فى حجهم قبل الاسلام ، لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالي أوحي الى ابراهيم وهو في تلك الجهة بذبح ولده اسماعيل ، فأخذه وسار ليصدع بأمر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل ، فأخذ حصيات ورماه بها ، وكان ذلك في المكان الذي به الجمرة الاولي ، فتركه وسار الى هاجر وأخذ يقبح لها عمل ابراهيم ، فأخذت حجارة ورمته بها ، وكان ذلك في مكان الجمرة الثانية . فذهب الى اسماعيل يشنع له عمل أبيه ، فأخذ قبضة من الحصى ورماه بها ، وكان ذلك في مكان الجمرة الثالثة . لذلك كانت ترجم العرب هذه الامكنة مشخصين ذلك الشيطان ، وتابعهم عليه الاسلام ولا غرابة في ذلك لان الناموس الطبيعي يقضى بأن يكون كل معني من المعاني مصدره المادة ، وعليه فهذا الرمي المادي يوصل بلاشك لمعنى دقيق جليل في ذاته: هو تربية ملكة جديدة في شخص الرامي وهي مخالفة شيطان النفس والابتعاد عن مسالك الشرور

والرجم أمر قديم في الامم : قال الله تعالي فى سورة الشعراء فى اجابة قوم نوح على نصائحه لهم « لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » . وقال تعالى في سورة هود في جواب أهل مدين على نصيحة نبيهم شعيب لهم « قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما نقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز »

وكان الرجم في بني اسرائيل ، وقد ورد في الآية ٢٤ و ٢٥ من الاصحاح السابع لسفر يشوع مانصه : « فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب و بنيه و بناته و بقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل

معه ، وصعدوا بهم الي وادي عخور ، فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم ، فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة »

والنصاري يرجمون مكان شجرة التين التى لعنها المسيح حينما أراد أن يأكل منها ولم يجد فيها ثمرا ، أنظر آية ١٩ من الاصحاح الحادي والعشرين من انجيل متى ، ومكان هذه الشجرة على طريق الذاهب من بيت المقدس الى نهر الاردن في الوادي الذي ينزل على يسار جبل الزيتون

والعرب كانوا يرجمون في الجاهلية من سخطوا عليه حيا وميتا ، فكانوا يرجمون الزاني المحصن حياً لشناعة عمله ، وتابعهم عليه الشريعة الغراء ، كما كانوا يرجمون قبور من ينقمون عليهم . وهم يرجمون من القرن الاول قبل الهجرة الي الآن قبر أبي رغال فى المغمس بين مكة والطائف لانه كان يقود جيش أبرهة الي مكة ، فمات في هذا المكان قبل وصوله اليها ، قال جرير يهجو الفرزدق :

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر أبي رغال

والمسلمون يرمون قبر أبي لهب خارج مكة لانه عدو نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرمون قبر أبي جهينة فى طريق العمرة لانه كان من حكام مكة الظالمين ، ويرمون قبر يزيد بن معاوية لسوء سيرته وشناعة فعلته مع آل البيت رضوان الله عليهم ، ويرجمون قبر مسلم بن عقبة في ثنية المشلل بين مكة والمدينة ، لانه فتك بأهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله في صحابته وجيرته . وقد ذكر المسعودي فى مروج الذهب عند ذكر اليمن وملوكها انه يوجد فى طريق العراق الى مكة نحو النظامية ، موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة »

منيوق هو شجيرة متسلقة غليظة الجذر أصلها من افريقيا وكانت تستعمل غذاء لدي الزنوج . فان جذرها لحمى درني لونه سنجابي أو أحمر أوأخضر من الظاهر و باطنه أبيض يمكن ان يبلغ وزنه ٣٠ رطلا وهو مملوء بعصارة بيضاء لبنية شديدة الحرافة . أما ساقها فقائمة تعلو من ٦ الى ٨ أقدام اسطوانية عقدية

جزؤها العلوي مزين بأوراق متعاقبة طويلة الذنيب مشققة تشققا عميقا الى ٣ فصوص أو ٥ أو ٧ بيضية سهمية متموجة الحافات لونها أخضر قاتم في وجهها العلوي ومبيضة مغبرة في الوجه السفلي وأزهارها عنقودية في آباط الاوراق العليا ويتركب العنقود من أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة

هذه الاشجار تنبت بالاقاليم الحارة من امريكا واستنبتت هناك في أقاليم أخري

أما جذرها فتتركب مادته من النشا مع عصارة بيضاء حريفة تشبه العصارة الموجودة في أغلب النباتات الفربيونية ومع ذلك فيسهل أخلاؤه من من قاعدته الحريفة السامة اما بفعل الحرارة واما بالفعل المتكرر فيصير ذلك الجذر غذاء سليما كثير الاستعمال . فلأجل ذلك يكفي أن ينشر وهو رطب ويحول الى عجينة غليظة تغسل بالماء جملة مرات مع الانتباه لتجديد الماء في كل مرة فاذا غسلت جيدا تجفف علي هيئة أقراص غير منتظمة تسمى حينئذ خبز كَسّاف

فاذا أريد أكلها عمل منها فطائر مفرطحة تخبز في النار وتلك الفطائر جيدة التغذية مقبولة الطعم وهي الغذاء الرئيسى لقسم كبير من القبائل الساكنة بأمريكا الجنوبية ، وماء غسل عجينة المنيوق يرسب في قعر أوانيها مسحوق أبيض وهو دقيق غذائي نقي جدا وهو الذي يجفف ويباع باسم تبيوكا وبالحقيقة خبز كساف مصنوع من هذا الدقيق بل يمكن تحويله قبل خبزه الى دقيق بأن يجفف في تنور مع التحريك فيحصل ذلك الدقيق المسمى أيضا عندهم كواك بضم الكاف الأولى .ودقيق المنيوق عذب لزج أي لعابي تفه محبب مغذ أبيض مصفر وأوقيتان منه تكفي لأكلة كاملة لانه ينتفخ كثيرا اذا طبخ ورطل واحد منه يغذي رجلا مدة ٢٤ ساعة مهما كانت شهيته وقد يسمى ذلك الدقيق موساش وهي لفظة من اللغة الاندلسية معناها طفل كأنه يقال عنه طفل المنيوق ويسمي في كيان سبيبا بكسر السين والباء الاولي ويستعمل لتنشية الخرق ونحوها ويصنع منه بأوروبا شوربات للمرضي

وقد يشتبه بدقيق أرفروت ولكن هذا أخف منه فان العلبة التي تسع ١٦ أوقية من الاروفروت لا تسع من الموساش الا

١٤ ولكن المخصوص باسم تبيوكا دقيق المنيوق مجفف على صفائح حارة وذلك يعطيه منظراً متحببا

وأما عصارة الجذر فهى حريفة قوية السمية تقتل الطيور وذوات الأربع بل والانسان بمقدار يسير وذلك بأن تسبب قيأ وتشنجات وعرقا باردا ثم ينتفخ الجلد ثم يحصل الموت والحيوانات التي تموت بذلك لايوجد في امعائها ولا في معدتها أثر التهاب وانما تأثيرها كتأثير الحمض ادروسيانيك مع انه لايوجد في تركيبها أثر منه على حسب ماذكر سوبيران الذي شبه رائحتها برائحة اللوزالمر والقاعدة القتالة لتلك العصارة شديدة التطاير والتصاعد لأن تلك العصارة اذا عرضت للهواء ٣٦ ساعة كانت غير سامة كما أكد ذلك باجون بتجريبات أكيدة وكذلك اذا عرضت للغليان وتمر تلك القاعدة بالتقطير فمن الثابت أن تلك العصارة يتحصل منها سائل قوي الشدة بحيث ان نصف ملعقة قهوة منها تقتل كلبا في أقل من ٥ دقائق واتفق ان عبداً سم آخر فحكم عليه بالموت وأمر بازدراد ٣٥ نقطة منها فمات في أقل من ٦ دقائق وفي هاتين الحالتين لم يوجد أثر لهذا السم في المعدة ولا في الامعاء . وريكور الذي نال هذه القاعدة الفعالة لهذا النبات شاهد ان وضع نقط منها على لسان كلب كاف لموته في أقل من ١٠ دقائق ولا يشاهد الامتلاء القلب بالدم وزعم بعضهم ان استعمال السكر بمقدار كبير وماء البحر والمغرة أي التراب الاحمر المعروف وحمض الجول والنبات المسمي ستيزوس كاجان هي مضادّات التسمم بلبن المنيوق . واثبت ريكور منفعتها في ذلك وعصارة نندير وبا القلبية الشكل اذا أعطيت حالا أضعفت نتائج هذا الجوهر . وثبت ان القلويات المخلوطة به بمقدار خمس وزنه تمنع فعله القتال ويقال ان الوحشيين يستعملون هذه العادة لتسميم سنان رماحهم. ويقال أيضاً ان الماء الذي طبخ فيه المنيوق الاعتيادي مسمم ويستعمل في بعض أماكن من البرزيل لصيد الطيور بأن يوضع في أماكن خالية من الرطوبة فتأتي تلك الحيوانات وتشرب منه فحالا ترتبك وتنحل قواها ويمكن مسكها باليد ويدخل المنيوق في عمل مشروب متخمر يسمي هناك أويكو بضم الهمزة وكسر

الواو بدلا عن النبيذ والفقاع في الاقاليم الأخر. وهناك صنف عذب من المنيوق يسمي قمنيوق وتنشأ عذوبتـه من طول مدة استنباته فعصارته ليست سامة ويؤكل بدون أن يبشر مطبوخا بالمـاء. ومن أنواع يطروفا مايسمى باللسان النبـاتي يطروفا ايلستيكا أي المرن وقـد يسمي سينوفيا ايلستيكا وهو المنتج للصمغ المرن وهناك أنواع أخر من هذا الجنس تنتج ذلك كما قال دوقندول. ومن أنواعه يطروفا غلندلوز أي الغددي وقد يسمى قروطون ويلوزوم أي الخـلي . ذكر بركال ان العصارة الجديدة لهذه الشجيرة توضع في بلاد العرب على الدماميل مع انها تأكل الحديد وتوضع عساليجه أي براعيمه على الأورام لأجل تلبينها وتسكين آلامهـا ومن أنواعه يطروفاغاوكوس أي الأخضر يستعمل في بلاد الهند دهنه المستخرج من بزوره مروخا في علاج الوجع الروماتزمي المزمن والشلل ومن أنواعـه يطروفا جوسيفوليا أي القطني يستعمل بأمريكا الجنوبية مطبوخ أوراقه عـلاجا للقولنج والتلبكات الصفراوية ونحو ذلك كمسهل وذلك هو السبب في تسميته حشيشة وجع

البطن ويثبت على جذعه درنات تكون مسهلة أيضـاً ومعطسة ويظهر أن بزوره حلوة لأن الطيور تأكله حسبما ذكر برون وذكر لبات الذي أقام مدة بجزائر أنتيلة أن ثماره تؤكل دائما وذلك موجود في ميدسنيير أيضاً ولذلك يشتبهان ببعضهما ومن أنواعه يطروفا ملتفيدا أي المتضاعف الشق وهذا النوع عظيم الاعتبار بأوراقه الاصبعية الخيطية وأزهاره الحمر وينبت في البرزيل والهند وغير ذلك واستعمل في اسبانيا ثماره كمسهل وذلك هو السبب في تسميته جوز الاسهال وميدسنيير اسبانيا والميدسنيير الصغير ويستخرج منه دهن مسهل قوي ولم يجـد سوبيران فرقا في التركيب الكيماوي بين هذه البزور وبزور الميدسنيير الاعتيادي وعلى رأي دوقندول يمكن أكل لوز هذا الثمر اذا طرح جنينه كما في الميـدسنيير ومن أنواعـه يطروفا أو بيفيرا أي المسعف وهذا النبات ينبت بالبرزيل وجذره أبيض لحمي تجهز منـه خلاصة راتينجية تستعمل في هذه البلاد بمقـدار من نصف درهم الى درهم كمسهل وخصوصا في الاستسقاء كما ذكر ذلك مرتيوس (المادة الطبية)

﴿ المُهْجة ﴾ الدم وقيل دم القلب و (مهجة كل شيء) خالصه جمعه مُهَج ومُهَجات

﴿ مَهَد ﴾ لنفسه يَمْهَد مَهْدا كسب . و (مَهَد الفراش) بسطه . و (مَهَّد له الفراش) أيضا بسطه . و (تمهّد له الامر) تسهل له . و (المِهاد) الفراش جمعه أمهدة ومُهُد . و (المَهْد) الارض . ومرقد الصبى جمعه مهود

﴿ المهدي والمهدية ﴾ أنظر مادة هدي

﴿ مَهَر ﴾ المرأة يَمْهَرها جعل لها مَهْرا . والمهر الصداق . و (مَهَر الرجل في الشيء) مهارة حذق فهو ماهر ، و (أمهر المرأة) سمى لها مهرا . و (المُهْر) ولد الفرس جمعه مِهار . و (الابل المَهْرية) منسوبة الى مَهْرة وهو حي من قضاعة من عرب اليمن

﴿ مهر المرأة ﴾ هو صداقها أي المال الذي يقدمه الرجل لمن يريد التزوج بها . وله أحكام فى الشريعة الاسلامية وقد رأينا ان أحسن من كتب فيها العلامة الفيلسوف ابن رشد فى كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فانه قد ألم بالمسألة من جميع أطرافها واتي علي جميع الاختلافات فيها فنري أن ننقل هذا الفصل عنه لما فيه من العلم والفائدة ، قال رحمه الله :

والنظر في الصداق في ستة مواضع الأول في حكمه وأركانه . الموضع الثاني في تقرر جميعه للزوجة ، الموضع الثالث فى تشطيره . الموضع الرابع في التفويض وحكمه . الموضع الخامس في الاصدقة الفاسدة وحكمها . الموضع السادس في اختلاف الزوجين في الصداق

﴿ الموضع الاول ﴾

وهذا الموضع فيه أربع مسائل ، الاولى في حكمه ، الثانية في قدره ، الثالثة فى جنسه ووصفه ، الرابعة في تأجيله

﴿ المسئلة الاولى ﴾

أما حكمه فانهم اتفقوا علي انه شرط من شروط الصحة وانه لا يجوز التواطؤ علي تركه لقوله تعالى « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » وقوله تعالى « فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن »

﴿ المسئلة الثانية ﴾

وأما قدره فانهم اتفقوا علي انه ليس لاكثره حد واختلفوا فى أقله فقال

الشافعي وأحمد واسحق وأبو ثور وفقهاء المدينةمن التابعين ليس لاقله حد وكل ماجاز أن يكون ثمنا وقيمة لشيء جاز أن يكون صداقا . و به قال ابن وهب من أصحاب مالك وقالت طائفة بوجوب تحديد أقله وهؤلاء اختلفوا ، فالمشهور في ذلك مذهبان : أحدهما مذهب مالك وأصحابه، والثاني مذهب أبي حنيفة وأصحابه . فأما مالك فقال أقله ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم كيلا من فضة أو ماساوي الدراهم الثلاثة أعني دراهم الكيل فقط في المشهور، وقيل اوما يساوي أحدهما . وقال أبو حنيفة عشرة دراهم أقله ، وقيل خمسة دراهم، وقيل أربعون درهما. وسبب اختلافهم في التقدير سببان أحدهما تردده بين أن يكون عوضا من الأعواض يعتبر فيه التراضي بالقليل كان أو بالكثير كالحال في البيوعات و بين أن يكون عبادة فيكون موقتا وذلك انه من جهة انه يملك به على المرأة منافعها على الدوام يشبه العوض، ومن جهة انه لا يجوز التراضي على اسقاطه يشبه العبادة . والسبب الثاني معارضة هذا القياس لمقتضي التحديد لمفهوم الأثر لذي لا يقتضي التحديد . أما القياس الذي يقتضي التحديد فهو كما قلنا انه عبادة والعبادات موقتة. وأما الأثر الذي يقتضي مفهومه عدم التحديد فحديث سهل بن سعد الساعدي المتفق على صحته وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله اني قد وهبت نفسي لك ، فقامت قياما طويلا. فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من شيء تصدقها اياه. فقال ماعندي الا ازاري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعطيتها اياه جلست لا ازار لك فالتمس شيئا . فقال لا أجد شيئا . فقال عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور سماها. فقال رسول الله صلى الله عليه قد أنكحتكها بما معك من القرآن . قالوا فقوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد دليل على انه لا قدر لأقله لأنه لو كان له قدر لبينه اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. وهذا استدلال بين كما ترى مع أن القياس

الذي اعتمده القائلون بالتحديد ليس تسلم مقدماته . وذلك انه انبني على مقدمتين احداهما أن الصداق عبادة والثانية أن العبادة موقتة ،وفي كليهما نزاع للخصم. وذلك انه قد يلفي فى الشرع من العبادات ماليست موقتة بل الواجب فيها هو أقل ماينطلق عليه الاسم . وأيضاً فانه ليس فيه شبه العبادات خالصا وانما صار المرجحون لهذا القياس علي مفهوم الأثر لاحتمال أن يكون ذلك الأثر خاصا بذلك الرجل لقوله فيه قد أنكحتكها بما معك من القرآن ، وهذا خلاف للأصول ،وان كان قد جاء فى بعض رواياته انه قال قم فعلمها لما ذكر انه معه من القرآن فقام فعلمها فجاء نكاحا باجارة . لكن لما التمسوا أصلا يقيسون عليه قدر الصداق لم يجدوا شيئا أقرب شبها به من نصاب القطع على بعد مابينهما .وذلك ان القياس الذي استعملوه في ذلك هو انهم قالوا عضو مستباح بمال فوجب أن يكون مقدراً أصله القطع. وضعف هذا القياس هو من قبل ان الاستباحة فيهما هي مقولة باشتراك الاسم وذلك ان القطع غير الوطء ،وأيضاً فان القطع استباحة على جهة العقوبة والأذي ونقص خلقة ، وهذا استباحة علي جهة اللذة والمودة،ومن شأن قياس الشبه على ضعفه أن يكون الذي به تشابه الفرع والأصل شيئا واحدا لا باللفظ بل بالمعني ، وان يكون الحكم انما وجد للاصل من جهة الشبه ، وهذا كله معدوم في هذا القياس ، ومع هذا فانه من الشبه الذي لم ينبه عليه اللفظ . وهذا النوع من القياس مردود عند المحققين لكن لم يستعملوا هذا القياس في اثبات التحديد المقابل لمفهوم الحديث اذ هو في غاية الضعف وانما استعملوه في تعيين قدر التحديد

وأما القياس الذي استعملوه في معارضة مفهوم الحديث فهو أقوي من هذا يشهد لعدم التحديد ماخرجه الترمذي ان امرأة تزوجت علي نعلين ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ؟ فقالت نعم.فجوز نكاحها وقال هو حديث حسن صحيح، ولما انفق القائلون بالتحديد على قياسه علي نصاب السرقة اختلفوا في ذلك بحسب اختلافهم في نصاب السرقة،فقال مالك هو ربع دينار أو ثلاثة دراهم لانه

النصاب في السرقة عنده . وقال أبو حنيفة هو عشرة دراهم لانه النصاب في السرقة عنده . وقال ابن شبرمة هو خمسة دراهم لانه النصاب عنده أيضا في السرقة . وقد احتجت الحنفية لكون الصداق محددا بهذا القدر بحديث يروونه عن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لا مهر الا بعشرة دراهم. ولو كان هذا ثابتا لكان رافعا لموضع الخلاف لانه كان يجب لموضع هذا الحديث أن يحمل حديث سهل بن سعد على الخصوص ، لكن حديث جابر هذا ضعيف عند أهل الحديث فانه يرويه قالوا مبشر بن عبيد عن الحجاج ابن أرطاة عن عطاء عن جابر ومبشر والحجاج ضعيفان وعطاء أيضا لم يلق جابرا ولذلك لا يمكن أن يقال ان هذا الحديث معارض لحديث سهل بن سعد

﴿ المسئلة الثالثة ﴾

أما جنسه فكل ما جاز أن يتملك وأن يكون عوضا واختلفو من ذلك في مكانين في النكاح بالاجارة وفي جعل عتق امته صداقها . أما النكاح على الاجارة في المذهب فيه ثلاثة أقوال قول بالاجارة وقول بالمنع وقول بالكراهة والمشهور عن مالك الكراهة ولذلك رأي فسخه قبل الدخول وأجازه من أصحابه أصبغ وسحنون وهو قول الشافعي .ومنعه ابن القاسم وأبو حنيفة الا في العبد فان أبا حنيفة أجازه وسبب اختلافهم سببان أحدهما هل شرع من قبلنا لازم لنا حتى يدل الدليل على ارتفاعه ام الامر بالعكس؟ فمن قال هو لازم أجازه لقوله تعالى «اني أريد انكحك احدي ابنتي هاتين علي ان تأجرني ثماني حجج » الآية ومن قال ليس بلازم قال لا يجوز النكاح بالاجارة . والسبب الثاني هل يجوز ان يقاس النكاح في ذلك على الاجارة وذلك ان الاجارة هي مستثناة من بيوع الغرر المجهول ولذلك خالف فيها الاصم وابن علية وذلك ان اصل التعامل انما هو على عين معروفة ثابتة في عين معروفة ثابتة والاجارة هي عين ثابتة في مقابلتها حركات وافعال غير ثابتة ولا مقدرة بنفسها ، ولذلك اختلف الفقهاء متى تجب الاجرة على المستأجر . واما كون العتق صداقا فانه منعه فقهاء الامصار ماعدا داود واحمد . وسبب اختلافهم معارضة الأثر الوارد في ذلك للاصول أعني

ماثبت من انه عليه الصلاة والسلام أعتق صفية وجعل عتقها صداقها مع احتمال ان يكون هذا خاصا به عليه الصلاة والسلام لكثرة اختصاصه في هذا الباب . ووجـه مفارقته للاصول أن العتق ازالة ملك والازالة لاتتضمن استباحة الشئ بوجه آخر لانهـا اذا اعتقت ملكت نفسـها فكيف يلزمها النكاح؟ ولذلك قال الشافعي انها ان كرهت زواجه غرمت له قيمتهـا لانه رأي انها قد أتلفت عليه قيمتها اذ كان انما أتلفها بشرط الاستمتاع بها . وهذا كله لايعارض به فعله عليه الصلاة والسلام ولو كان غير جائز لغيره لبينه عليه الصلاة والسلام ،والاصل ان أفعاله لازمة لنا الا ما قام الدليل علي خصوصيته . وأما صفة الصداق . فانهم اتفقوا على انعقاد النكاح على العـرض المعـين الموصوف أعـني المنضبط جنسه وقدره بالوصف واختلفوا في العرض الغيرموصوف ولا معين مثل ان يقول أنكحتكها علي عبد أو خادم من غير أن يصف ذلك وصفا يضبط قيمته. فقال مالك وابو حنيفة يجوز وقال الشافعي لايجوز واذا وقع النكاح على هذا الوصف عند مالك كان لها الوسط مما سمى . وقال

أبو حنيفة يجبر على القيمة . وسبب اختلافهم هل يجري النكاح في ذلك مجري البيع من القصد في التشاح أو ليس يبلغ ذلك المبلغ بل القصد منه أكثر ذلك ، المكارمة ، فمن قال يجزي فى التشاح قال كما لايجوز البيع على شيء غـيره موصوف ، كذلك لايجوز النكاح . ومن قال ليس يجري مجراه اذ المقصود منه انما هو المكارمة ، قال يجوز . وأما التأجيـل فان قوما لم يجيزوه أصلا وقوم أجازوه واستحبوا أن يقـدم شيأ منـه اذا أراد الدخول ، وهو مذهب مالك والذين أجازوا التأجيـل منهم من لم يجزه الا لزمن محدود وقـدر هذا البعد ، وهومذهب مالك . ومنهم من أجازه لموت أوفراق وهومذهب الاوزاعي وسبب اختلافهم هل يشبه النكاح البيع فى التأجيل أو لا يشبهه ؟ فمن قال يشبهه لم يجز التأجيـل لموت أوفراق . ومن قال لايشبهه أجازذلك . ومن منع التأجيـل فلكونه عبادة

﴿ الموضع الثاني في النظر في التقرر ﴾

واتفق العلماء علي أن الصداق يجب كله بالدخول أو الموت . أما وجوبه كله بالدخول فلقوله تعالي « وان أردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ » الآية . وأما وجوبه بالموت فلا أعلم الآن فيه دليلا مسموعا الا انعقاد الاجماع على ذلك . واختلفوا هل من شرط وجوبه مع الدخول المسيس أم ليس ذلك من شرطه بل يجب بالدخول والخلوة ؟ وهو الذي يعنون بارخاء الستور . فقال مالك والشافعي وداود لايجب بارخاء الستور الا نصف المهر مالم يكن المسيس .وقال أبو حنيفة يجب المهر بالخلوة نفسها الا أن يكون محرما أو مريضا أوصائما في رمضان أو كانت المرأة حائضا .وقال ابن أبي ليلى يجب المهر كله بالدخول ولم يشترط في ذلك شيأ . وسبب اختلافهم في ذلك معارضة حكم الصحابة في ذلك لظاهر الكتاب . وذلك انه نص تبارك وتعالى في المدخول بها المنكوحة انه ليس يجوز أن يؤخذ من صداقها شيء فى قوله تعالى « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض » ؟ونص في المطلقة قبل المسيس ان لها نصف الصداق فقال تعالى « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم »

وهذا نص كما ترى في حكم كل واحدة من هاتين الحالتين أعني قبل المسيس وبعد المسيس ولا وسط بينهما فوجب بهذا ايجابا ظاهرا ان الصداق لا يجب الا بالمسيس والمسيس ههنا الظاهر من أمره انه الجماع وقد يحتمل أن يحمل على أصله في اللغة وهو المس ولعل هذا هو الذي تأولت الصحابة ، ولذلك قال مالك في العنين المؤجل انه قد وجب لها الصداق عليه اذا وقع الطلاق لطول مقامه معها فجعل له دون الجماع تأثيرا في ايجاب الصداق . وأما الاحكام الواردة فى ذلك عن الصحابة فهو ان من أغلق بابا أو أرخى سترا فقد وجب عليه الصداق لم يختلف عليهم فى ذلك فيما حكموا واختلفوا من هذا الباب في فرع وهو اذا اختلفا في المسيس، اعني القائلين باشتراط المسيس وذلك مثل أن تدعى هي المسيس وينكرهو ، فالمشهور عن مالك ان القول قولها . وقيل ان كان دخول بناء صدقت وان كان دخول زيارة لم تصدق . وقيل ان كانت بكراً نظر اليها النساء . فيتحصل فيها في المذاهب ثلاثة أقوال . وقال الشافعي وأهل الظاهر

القول قوله . وذلك لانه مدعي عليه ومالك ليس يعتبر في وجوب اليمين على المدعي عليه من جهة ماهو مدعي عليه بل من جهة ماهو أقوي شبهة في الاكثر ولذلك يجعل القول في مواضع كثيرة قول المدعي اذا كان أقوي شبهة . وهذا الخلاف يرجع الى هل ايجاب اليمين علي المدعي عليه معلل أو غير معلل ؟ وكذلك القول في وجوب البينة على المدعى وسيأتي هذا في مكانه

﴿ الموضع الثالث في التشطير ﴾

واتفقوا اتفاقا مجملا انه اذا طلق قبل الدخول وقد فرض صداقا انه يرجع عليها بنصف الصداق لقوله تعالى « فنصف مافرضتم » الآية والنظر فى التشطير في أصول ثلاثة في محله من الانكحة وفى موجبه من أنواع الطلاق. أعني الواقع قبل الدخول وفي حكم مايعرض له من التغييرات قبل الطلاق . أما محله من النكاح عند مالك فهو النكاح الصحيح أعني أن يكون يقع الطلاق الذي قبل الدخول في النكاح الصحيح وأما النكاح الفاسد فان لم تكن الفرقة فيه فسخا وطلق قبل الفسخ ففي ذلك قولان . وأما موجب التشطير فهو الطلاق الذي يكون باختيار من الزوج لا باختيار منها مثل الطلاق الذي يكون من قبل قيامها بعيب يوجد فيه واختلفوا من هذا الباب في الذي يكون سببه قيامها عليه بالصداق أو النفقة مع عسره ولا فرق بينه وبين القيام بالعيب . وأما الفسوخ التي ليست طلاقا فلاخلاف انها ليست توجب التشطير اذا كان فيها الفسخ من قبل العقد أو من قبل الصداق . وبالجملة من قبل عدم موجبات الصحة وليس لها في ذلك اختيار أصلا . وأما الفسوخ الطارئة على العقد الصحيح مثل الردة والرضاع فان لم يكن لاحدهما فيه اختيار أو كان لها دونه لم يوجب التشطير . وان كان له فيه اختيار مثل الردة أوجب التشطير والذي يقتضيه مذهب أهل الظاهر ان كل طلاق قبل البناء فواجب أن يكون فيه التنصيف سواء كان من سببها أو سببه . وان ما كان فسخا ولم يكن طلاقا فلا تنصيف فيه . وسبب الخلاف على هذه السنة معقولة المعني أم ليست بمعقولة فمن قال انها معقولة المعني وانه انما وجب لها نصف الصداق عوض ما كان لها

لمكان الجبر على رد سلعتها وأخذ الثمن كالحال فى المشتري فلما فارق النكاح في هذا المعني البيع جعل لها هذا عوضا من ذلك الحق . قال اذا كان الطلاق من سببها لم يكن لها شئ لانها أسقطت ما كان لها من جبره على دفع الثمن وقبض السلعة ومن قال انها سنة غير معقولة واتبع ظاهر اللفظ قال يلزم التشطير في كل طلاق كان من سببه أو سببها . فاماحكم مايعرض للصداق من التغييرات قبل الطلاق فان ذلك لايخلو أن يكون من قبلها أو من الله . فما كان من قبل الله فلا يخلو من اربعة اوجه :اما ان يكون تلفا للكل واما انيكون نقصا واما ان يكون زيادة واما ان يكون زيادة ونقصانا معا. وما كان من قبلها فلا يخلو ان يكون تصرفها فيه بتفويت مثل البيع والعتق والهبة ، اويكون تصرفها فيه في منافعها الخاصة فيما تتجهز به الى زوجها . فعند مالك انهما في التلف وفي الزيادة وفي النقصان شريكان . وعند الشافعى انه يرجع فى النقصان والتلف عليها بالنصف ولا يرجع بنصف الزيادة وسبب اختلافهم هل تملك المرأة الصداق قبل الدخول او الموت ملكا مستقرا

أو تملكه فمن قال انها لاتملكه ملكا مستقرا قال هما فيه شريكان مالم تتعد فتدخله في منافعها .ومن قال تملكه ملكا مستقرا والتشطير حق واجب تعين عليها عند الطلاق و بعد استقرار الملك أوجب الرجوع عليها بجميع ماذهب عندها . ولم يختلفوا انها اذا صرفته في منافعها ضامنة للنصف واختلفوا اذا اشترت به مايصلحها للجهاز مما جرت به العادة هل يرجع عليها بنصف ما اشترته أم بنصف الصداق الذي هو الثمن فقال مالك يرجع عليها بنصف مااشترته وقال أبو حنيفة والشافعى يرجع عليها بنصف الثمن الذي هو الصداق . واختلفوا من هذا الباب في فرع مشهور متعلق بالسماع وهو هل للاب أن يعفو عن نصف الصداق فى ابنته البكر أعني اذا طلقت قبل الدخول وللسيد في أمته ؟ فقال مالك ذلك له . وقال أبو حنيفة والشافعي ليس ذلك له. وسبب اختلافهم هو الاحتمال الذي في قوله تعالى (الا ان يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) وذلك في لفظة يعفو فانها تقال في كلام العرب مرة بمعني يسقط ومرة بمعني يهب . وفي قوله الذي

بيده عقدة النكاح على من يعود هـذا الضمير هل علي الوليّ أو على الزوج فمن قال الزوج جعـل يعفو بمعني يهب ومن قال على الوليّ جعـل يعفو بمعني يسقط. وشذ قوم فقـالوا لكل ولى أن يعفو عن نصف الصداق الواجب للمرأة . ويشبه يكون هـذان الاحتمالان اللذان فى الآية على السواء . لكن من جعله الزوج فلم يوجب حـكما زائدا في الآية أي شرعا زائدا لان جواز ذلك معلوم من ضرورة الشرع . ومن جعله الولى اما الاب واما غيره فقد زاد شرعا . فلذلك يجب عليه أن يأتي بدليل يبـين به أن الآية أظهر في الولي منها في الزوج وذلك شئ يعسر والجمهور على ان المرأة الصغيرة والمحجورة ليس لها أن تهب من صـداقها النصف الواجب لها . وشذ قوم فقالوا يجوز ان تهب مصيراً لعموم قوله تعـالى « الا أن يعفون » واختلفوا من هـذا الباب في المرأة اذا وهبت صداقها لزوجها ثم طلقت قبل الدخول . فقـال مالك ليس يرجع عليها بشئ .وقال الشافعي يرجع عليهـا بنصف الصداق . وسبب الخـلاف على النصف الواجب للزوج بالطلاق هو في عين الصداق أو في ذمة المرأة . فمن قال في عين الصداق قال لايرجع عليها بشئ لانه قد قبض الصداق كله . ومن قال هو في ذمة المرأة قال يرجع وان وهبته له كما لو وهبت له غيرذلك من مالها ،وفرق ابو حنيفة فى هذه المسئلة بين القبض ولا قبض .فقال ان قبضت فله النصف وان لم تقبض حتى وهبت فليس له شيء كأنه رأي ان الحق فى العين مالم تقبض فاذا قبضت صار في الذمة

﴿ الموضع الرابع في التفويض ﴾

واجمعـوا علي ان نـكاح التفويض جائز وهو ان يعقد النـكاح دون صداق لقوله تعالي « لاجناح عليـكم ان طلقتم النساء مالم تمسـوهن او تفرضوا لهن فريضة » واختلفوا من ذلك في موضعين احدهما اذا طلبت الزوجة فرض الصداق واختلفا فى القدر . الموضع الثاني اذا مات الزوج ولم يفرض هل لها صداق ام لا ؟

﴿ فأما المسئلة الاولى ﴾

وهي اذا قامت المرأة تطلب ان يفرض لها مهرا ،فقالت طائفة يفرض لها مهر مثلها وليس للزوج في ذلك خيارفان طلق بعد الحـكم فمن هؤلاء من قال لهـ

نصف الصداق . ومنهم من قال ليس لها شيء لان اصل الفرض لم يكن فى عقد النكاح وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال مالك واصحابه الزوج بين خيارات ثلاثة اما ان يطلق ولا يفرض ، واما ان يفرض ماتطلبه المرأة به . واما ان يفرض صداق المثل ويلزمها . وسبب اختلافهم اعني بين من يوجب مهر المثل من غير خيار للزوج اذا طلق بعد طلبها الفرض ومن لا يوجب ، اختلافهم في مفهوم قوله تعالي « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة » هل هذا محمول على العموم في سقوط الصداق سواء كان سبب الطلاق اختلافهم في فرض الصداق او لم يكن الطلاق سببه الخلاف في ذلك. وايضا فهل يفهم من رفع الجناح عن ذلك سقوط المهر في كل حال او لا يفهم ذلك فيه احتمال وان كان الاظهر سقوطه فى كل حال لقوله تعالى « ومتعوهن علي الموسع قدره وعلي المقتر قدره » ولا خلاف اعلمه في انه اذا طلق ابتداء انه ليس عليه شيء وقد كان يجب علي من اوجب لها المتعة مع شطر الصداق اذا طلق قبل الدخول في نكاح غير التفويض وأوجب لها مهر المثل في نكاح التفويض أن يوجب لها مع المنفعة فيه شطر مهر المثل لان الآية لم تتعرض بمفهومها لاسقاط الصداق فى نكاح التفويض وانما تعرضت لاباحة الطلاق قبل الفرض فان كان يوجب نكاح التفويض مهر المثل اذا طلب فواجب أن يتشطر اذا وقع الطلاق كما يتشطر في المسمي . ولهذا قال مالك انه ليس يلزم فيه مهر المثل مع خيار الزوج

﴿ واما المسئلة الثانية ﴾

وهي اذا مات الزوج قبل تسمية الصداق وقبل الدخول بها فان مالكا وأصحابه والاوزعي قالوا ليس لها صداق ولها المتعة والميراث . وقال أبو حنيفة لها صداق المثل والميراث . و به قال أحمد وداود . وعن الشافعي القولان جميعا الا ان المنصور عند أصحابه هو مثل قول مالك . وسبب اختلافهم معارضة القياس للأثر ، أما الأثر فهو ماروي عن ابن مسعود انه سئل عن هذه المسئلة فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ، أري لها صداق امرأة من نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة

ولها الميراث . فقام معقل بن يسار الاشجعي فقال أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق . خرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه . وأما القياس المعارض لهذا فهو أن الصداق عوض فلما لم يقبض المعوض لم يجب العوض قياسا على البيع وقال المزني عن الشافعي في هذه المسئلة ان ثبت حديث بروع فلا حجة في قول أحد مع السنة . والذي قاله هو الصواب والله أعلم

﴿ الموضع الخامس ﴾

(في الاصدقة الفاسدة)

والصداق يفسد اما لعينه واما لصفة فيه من جهل أوعذر . فالذي يفسد لعينه فمثل الخمر والخنزير وما لايجوز أن يملك. والذي يفسد من قبل العذر والجهل فالاصل فيه تشبيهه بالبيوع وفي ذلك خمس مسائل مشهورة

﴿ المسئلة الاولي ﴾

اذا كان الصداق خمرا أو خنزيرا او ثمرة لم يبد صلاحها أو بعيرا شاردا . فقال ابو حنيفة العقد صحيح اذا وقع وفيه مهر المثل . وعن مالك في ذلك روايتان احداهما فساد العقد وفسخه قبل الدخول و بعده ، وهو قول أبو عبيدة . والثانية انه ان دخل ثبت ولها صداق المثل . وسبب اختلافهم هل حكم النكاح في ذلك حكم البيع ام ليس كذلك ؟ فمن قال حكمه حكم البيع قال يفسد النكاح بفساد الصداق كما يفسد البيع بفساد الثمن. ومن قال ليس من شرط صحة عقد النكاح صحة الصداق بدليل ان ذكر الصداق ليس شرطا في صحة العقد قال يمضي النكاح ويصحح بصداق المثل والفرق بين الدخول وعدمه ضعيف والذي تقتضيه أصول مالك ان يفرق بين الصداق المحرم العين و بين المحرم لصفة فيه قياسا على البيع ولست اذكر الآن فيه نصا

﴿ المسئلة الثانية ﴾

واختلفوا اذا اقترن بالمهر بيع مثل ان تدفع اليه عبدا ويدفع ألف درهم عن الصداق وعن ثمن العبد ولا يسمى الثمن من الصداق . فمنعه مالك وابن القاسم و به قال أبو ثور واجازه اشهب . وهوقول أبي حنيفة ، وفرق عبد الله فقال ان كان الباقي بعد البيع ربع دينار فصاعدا بأمر

لايشك فيه جاز . واختلف فيه قول الشافعي فمرة قال ذلك جائز ومرة قال فيه مهر المثل . وسبب اختلافهم هل النكاح في ذلك شبيه بالبيع ام ليس بشبيه فمن شبهه في ذلك بالبيع منعه ومن جوز في النكاح من الجهل مالا يجوز في البيع قال يجوز

﴿ المسئلة الثالثة ﴾

واختلف العلماء فيمن نكح امرأة واشترط عليه في صداقها حباء يحابي به الاب ،علي ثلاثة اقوال : فقال ابوحنيفة واصحابه الشرط لازم والصداق صحيح . وقال الشافعي المهر فاسد ولها صداق المثل .وقال مالك اذا كان الشرط عند النكاح فهو لابنته،وان كان بعد النكاح فهو له . وسبب اختلافهم تشبيه النكاح في ذلك بالبيع فمن شبهه بالوكيل يبيع السلعة و يشترط لنفسه حباء قال لايجوز النكاح كما لايجوز البيع .ومن جعل النكاح في ذلك مخالفا للبيع قال يجوز. واما تفريق مالك فلانه اتهمه اذا كان الشرط في عقد النكاح ان يكون ذلك الذي اشترطه لنفسه نقصانا من صداق مثلها ولم يتهمه اذا كان بعد انعقاد النكاح والاتفاق علي الصداق . وقول مالك هو قول عمر بن عبدالعزيزوالثوري وابي عبيد . وخرج النسائي وابو داود وعبد الرزاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت علي حباء قبل عصمة النكاح فهو لها ، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن اعطيه واحق ما اكرم الرجل عليه ابنته واخته، وحديث عمر بن شعيب مختلف فيه من قبل انه صحفه ولكنه نص في قول مالك وقال ابو عمر بن عبدالبر اذا روته الثقات وجب العمل به

﴿ المسئلة الرابعة ﴾

واختلفوا في الصداق يستحق او يوجد به عيب فقال الجمهور النكاح ثابت واختلفوا هل ترجع بالقيمة او بالمثل او بمهر المثل . واختلف في ذلك قول الشافعي :فقال مرة بالقيمة وقال مرة بمهر المثل . وكذلك اختلف المذهب في ذلك فقيل ترجع بالقيمة وقيل ترجع بالمثل . قال ابو الحسن اللخمي ولو قيل ترجع بالاقل من القيمة او صداق المثل لكان ذلك وجها . وشذ سحنون فقال النكاح

فاسد ومبني الخلاف هل يشبه النكاح في ذلك البيع أو لا يشبهه فمن شبهه قال ينفسخ ومن لم يشبهه قال لاينفسخ

﴿ المسئلة الخامسة ﴾

واختلفوا في الرجل ينكح المرأة على أن الصداق ألف ان لم يكن له زوجة وان كانت له زوجة فالصداق ألفان . فقال الجمهور بجوازه . واختلفوا في الواجب في ذلك . فقال قوم الشرط جائز ولها من الصداق بحسب ما اشترط . وقالت طائفة لها مهر المثل وهو قول الشافعي وبه قال أبو ثور الا انه قال ان طلقها قبل الدخول لم يكن لها الا المتعة . وقال أبو حنيفة ان كانت له امرأة فلها ألف درهم وان لم تكن له امرأة فلها مهر مثلها مالم يكن أكثر من الألفين أو أقل من الالف . ويتخرج في هذا قول ان النكاح مفسوخ لمكان الغرر . ولست اذكر الآن نصا فيها في المذهب . فهذه مشهور مسائلهم في هذا الباب وفروعه كثيرة . واختلفوا فيما يعتبر به مهر المثل اذا قضي به في هذه المواضع وما أشبهها فقال مالك يعتبر في جمالها ونصابها ومالها . وقال الشافعي يعتبر بنساء عصبتها فقط . وقال أبو حنيفة يعتبر في ذلك نساء قرابتها من العصبة وغيرهم . ومبني الخلاف هل المماثلة في المنصب فقط أو في المنصب والمال والجمال لقوله عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لدينها وجمالها وحسبها الحديث

﴿ الموضع السادس ﴾

(في اختلاف الزوجين في الصداق)

واختلافهم لايخلو أن يكون في القبض أو في القدر أو في الجنس أو في الوقت أعني وقت الوجوب . فأما اذا اختلفا في القدر فقالت المرأة مثلا بمائتين وقال الزوج بمائة فان الفقهاء اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا . فقال مالك انه ان كان الاختلاف قبل الدخول وأتي الزوج بما يشبه والمرأة بما يشبه أنهما يتحالفان ويتفاسخان . وان حلف أحدهما ونكل الآخر كان القول قول الحالف . وان نكلا جميعا كان بمنزلة ما اذا حلفا جميعا ومن أتي بما يشبه منهما كان القول قوله وان كان الاختلاف بعد الدخول فالقول قول الزوج وقالت طائفة القول قول الزوج مع يمينه . وبه قال أبو ثور وابن أبي ليلى وابن شبرمة وجماعة . وقالت طائفة القول قول الزوجة الي مهر مثلها وقول

الزوجة فيما زاد على مهر مثلها . وقالت طائفة اذا اختلفا تحالفا ورجع الى مهر المثل ولم تر الفسخ كمالك وهو مذهب الشافعي والثوري وجماعة . وقد قيل انها ترد الى صداق المثل دون يمين مالم يكن صداق المثل أكثر مما ادعت وأقل مما ادعى هو . واختلافهم مبني علي اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام البينة على من ادعى واليمين علي من أنكر . هل ذلك معلل أو غير معلل ؟ فمن قال معلل قال يحلف أبداً اقواهما شبهة فان استويا تحالفا وتفاسخا ، ومن قال غير معلل قال يحلف الزوج لانها تقرله بالنكاح وجنس الصداق وتدعى عليه قدرا زائدا فهو مدعى عليه ، وقيل ايضا يتحالفان أبدا لان كل واحد منهما مدعى عليه وذلك عند من لم يراع الاشياء . والخلاف في ذلك في المذهب . ومن قال القول قولها الي مهر المثل والقول قوله فيما زاد علي مهر المثل رأي أنهما لايستويان أبدا في الدعوي بل يكون احدهما ولابد أقوي شبهة . وذلك انه لايخلو دعواها من ان يكون فيما يعادل صداق مثلها فما دونه فيكون القول قولها او يكون فيما فوق ذلك فيكون القول قوله . وسبب اختلاف مالك والشافعي في التفاسخ بعد التحالف والرجوع الى صداق المثل هو : هل يشبه النكاح بالبيع في ذلك ام ليس يشبه ؟ فمن قال يشبه به قال بالتفاسخ . ومن لايشبهه لان الصداق ليس من صحة العقد قال بصداق المثل بعد التحالف وكذلك من زعم من اصحاب مالك انه لايجوز لها بعد التحالف أن يتراضيا علي شئ ولا ان يرجع احدهما الى قول الآخر و يرضى به فهو في غاية الضعف . ومن ذهب الي هذا فانما يشبهه باللعان وهو تشبيه ضعيف مع ان وجود هذا الحكم للعان مختلف فيه . وأما اذا اختلفا في القبض فقالت الزوجة لم اقبض وقال الزوج قد قبضت . فقال الجمهور القول قول المرأة الشافعي والثوري واحمد وابو ثور . وقال مالك القول قولها قبل الدخول والقول قوله بعد الدخول وقال بعض اصحابه انما قال ذلك مالك لان العرف بالمدينة كان عندهم ان لا يدخل الزوج حتى يدفع الصداق . فان كان بلد ليس فيه هذا العرف كان القول قولها ابدا والقول بأن القول قولها ابدا أحسن لانها

مدعي عليها . ولكن مالك راعى قوّة الشبهة التي اذا دخل بها الزوج واختلف اصحاب مالك اذا طال الدخول هل يكون القول قوله بيمين او بغير يمين احسن ؟ واما اذا اختلفا في جنس الصداق فقال هو مثلا زوجتك على هذا العبد وقالت هي زوجتك على هذا الثوب . فالمشهور في المذهب انهما يتحالفان ويتفاسخان ان كان الاختلاف قبل البناء وان كان بعد البناء ثبت وكان لها صداق المثل مالم يكن اكثر مما ادعت او اقل مما اعترف به . وقال ابن القصار يتحالفان قبل الدخول والقول قول الزوج بعد الدخول . وقال اصبغ القول قول الزوج ان كان يشبه سواء كان اشبه قولها او لم يشبه فان لم يشبه قول الزوج فان كان قولها مشبها كان القول قولها وان لم يكن قولها مشبها تحالفا وكان لها صداق المثل . وقول الشافعي فى هذه المسئلة مثل قوله عند اختلافهم في القدر أعني يتحالفان و يتراجعان الى مهر المثل وسبب قول الفقهاء بالتفاسخ في البيع ستعرف أصله في كتاب البيوع ان شاء الله . وأما اختلافهم في الوقت فانه يتصوّر في الكالئ والذي يجئ علي اصل قول مالك في المشهور عنه ان القول في الاصل قول الغارم قياسا على البيع وفيه خلاف و يتصور أيضا متى يجب هل قبل الدخول أو بعده فمن شبه النكاح بالبيع قال لا يجب الا بعد الدخول قياسا على البيع اذ لا يجب الثمن علي المشتري الا بعد قبض السلعة . ومن رأي ان الصداق عبادة يشترط في الحلية قال يجب قبل الدخول ولذلك استحب مالك ان يقدم الزوج قبل الدخول شئ من الصداق

﴿ الركن الثالث ﴾

(فى معرفة محل العقد)

وكل امرأة فانها تحل في الشرع بوجهين اما بنكاح أو بملك يمين . والموانع الشرعية بالجملة تنقسم أولا الى قسمين موانع مؤبدة وموانع غير مؤبدة . والموانع المؤبدة تنقسم الي متفق عليها ومختلف فيها . فالمتفق عليها ثلاث نسب وصهر ورضاع والمختلف فيها الزنا واللعان . والغير مؤبدة تنقسم الي تسعة أحدها مانع العدد ، والثاني مانع الجمع ، والثالث مانع الرق ، والرابع مانع الكفر ، والخامس مانع الاحرام ، والسادس مانع

المرض ، والسابع مانع العدة على اختلاف في عدم تأييده ، والثامن مانع التطليق ثلاثا للمطلق ، والتاسع مانع الزوجية فالموانع الشرعية بالجملة أربعة عشر مانعا»

﴿ المهرجان ﴾ معناها بالفارسية محبة الروح وهي عيد عندهم

﴿ مهكه ﴾ يمهكه مَهْكا سحقه فبالغ فى سحقه

﴿ مهل ﴾ في عمله يمهل مَهْلا عمل برفق وسكينة . و (مهّله وأمهله) أنظره وأخره ، و (تمهّل في عمله) اتأد . و (المَهْل) التؤدة . و (المُهْل) اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة ونحوها. و (المُهْل) القطر والسم والقيح ودردي الزيت . و (المَهَل)التؤدة ومثلها المُهلة

﴿ مهما ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين ، أولهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه نحو (مهما تخفِ الحقد يظهرْ)

﴿ مهنه ﴾ يمهنه مهنا خدمه . و (مهَن يمهَن مَهْناً) عمل في صنعته . و (مَهُن يمْهُن مهانة) كان مهينا . و (ماهنه) مارسه . و (امتهنه فامتهن هو) أي استعمله للمهنة فاستعمل لذلك و (امتهنه) ابتذله واحتقره .

و (الماهن) المملوك والخادم جمعه مُهانة ومَهَنة . و (المَهْنة والمِهْنة) الحذق في العمل . و (المَهين)الحقير

﴿ المهمة ﴾ المفازة جمعها مهامه

﴿ المَهاة ﴾ البقرة الوحشية وهي اشبه بالمعز الاهلية تشبه بها الرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها

﴿ مهيار ﴾ هو أبو الحسين مهيار ابن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيا فأسلم علي يد الشريف الرضى وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر . وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته

من شعره قوله :

وقد قاله يرثي أبا الحسين أحمد بن عبد الله وكان من معادن الفتوة الغريبة ، ومظان الكرم العجيبة ، واتفق بينه وبينه مودة قبل موته بسنين قلائل وقد توفي أواسط شوال سنة ٤١٣

نعم هذه يادهر أمُّ المصائب
فلا توعدني بعدها بالمصائب
هتكت بها سِتر التجامل بيننا
ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب

ومازلت ترمي صفحتي بين قاصد
ومنحرف حتى رميت بصائب
فرأيك في قودي فقد ذل مسحلي
وشأنك في غمزي فقد لان جانبي
سددت طريق الفضل من كل وجهة
وملت على العلياء من كل جانب
فلا سَنن الا محجة تائه
ولا أمل الا مطية خائب
أبعد ابن عبد الله أحظى براجع
من العيش أوآسى على إثر ذاهب
وأرسل طرفي رائدا في خميلة
من الناس أبغي نُجعة لمطالبي
وأقدح زَندا واريا من هوي أخ
وأكشف عن ود خبيئة صاحب
وأدفع في صدر الليالي بمثله
فترجع عني داميات المناكب
أبي ذاك قلب عنه غير مُغالط
برجم وحلم بعده غير عازب
وان خروق المجد ليست لراقع
سواه وصدع الجود ليس لشاعب
طوي الموت منه بردة في دروجها
بقية أيام الكرام الاطايب
محبرة سَدي وألحم وَشيها
صَنائع بحوك المكرمات الرغائب
كسا الله عطف الدهر حينا جمالها
فلما طغى قيضت لها يدُ سالب
لئن درست فيها الحظوظ فانها
ليبقي طويلا عرفها في المساحب
وجوهرة في الناس كانت يتيمة
وهل من أخ للبدر بين الكواكب
أألآن لما اشتد متني بوده
ورُدت مُلاءً من نداه حقائبي
فجعت به عضّ الهوي حاضر الجدي
جديدَ قميص الود سهل المجاذب
سددت فم الناعي بكفي تطيرا
ولوَّيت وجهي عنه لي مُغاضب
وقلت تبين ماتقول لعلها
تكون كتلك الطائرات الكواذب
فكم غام من أخباره ثم أقشعت
سحابته عن صالح الحال ثائب
فلما بدا لي الشر في كرّ قوله
ربطت نوازي أضلعي بالرواجب
وملت الى ظل من الصبر قالص
قصير وظنّ بالتجمل كاذب
ونفس شعاع قد أخلّ وقارها
بعادته في النازلات الصعائب
أسائل عنه المجد وهو معطل
سؤال الأجبّ عن سنام وغارب

واستروح الاخبار وهي تسوءني
علائق منها في ذيول الجنائب
فيفصح لى من كان عنه مجمجما
ويصدقني من كان فيه مُواربي
فقيد بعَيسانَ استوت في افتقاده
مشارق آفاق العلي بالمغارب
تنافث عن جمر الغضا نادباته
كأن فؤادي في حلوق النوادب
بكت ادمعا بيضاودمت جباهها
فتحسبها تبكي دما بالحواجب
هوت هضبة المجد التليد وعُطلت
رسوم الندي وانقض نجم الكواكب
وردت ركاب الخمسين بظمئها
تكدّ الدلاء في ركايا نواضب
فلم يَدرع السُّفار بعدك نفنفا
عريضا على أيدي المطيّ اللواغب
برغمي ان هب النيامُ وانني
دعوتك وجه الصبح غير مجاوبي
وأن لا تُري مستعرضا حاجَ رفقة
ولا سائلا من اين مقدم راكب
سري الموت من أوطانه في مآلفي
ونقب من اخلاقه عن حبائبي
عجبت لهذي الارض كيف تلمنا
وتصدَعُنا والارض امُّ العجائب
نطادر عن أرواحنا برماحنا
ونطرب في أيامنا للحرائب
وتسحرنا الدنيا بشبعة طاعم
هي السّقم المردي ونَهلة شارب
أُحدث نفسي خاليا بخلودها
فأين أبي الأُدني وأين أقاربي
وما كنت الاواحدا من عشيرة
ولا باقيا في الناس الا ابن ذاهب
فهل أنا أجي من مَقاول حمير
وأمنع ظهرا من مُشيّد مارب
وهل اخذت عهد السموأل لي يد
من الموت أوعندي حنية حاجب
ولا علم لى من اي شقيّ مصرعى
وفي أيما أرض يخط لجانبي
اذا كان سهم الموت لا بد واقعا
فياليتني المرميُّ من قبل صاحبى
ويا ليت مقبورا بكوفان شاهد
جوايَ وان كانت شهادة غائب
وليت طريف الود بيني وبينه
وان طاب يوم لم يكن من مكاسبي
سلامٌ على الازواح بعدك انها
وان عشت ليست اربة من مآربي
اذا دنس الحزن السلوَّ غسلته
فعاد جديدا بالدموع السواكب

وان أحدثت عندي يد الدهر نعمة
ذكرتك فيها فاغتدت من مصائبي
سقتك بمعتاد الدعاء مُرشة
أفاويقُ لم تُخدج بلمعة خالب
يلوث خطاف البرق في جنباتها
بهام الهضاب السود حمر العصائب
اذا عممت جلحاء أرض بوبلها
غدت روضة وفراء ذات ذوائب
وان كان بحرا في ضريحك غانيا
بجماته عن قاطرات السحائب

وقال يرثي الشريف الرضى ذا الحسبين أبا الحسن محمد بن الحسين الموسوي وتوفي في السادس من المحرم سنة ٤٠٦ وكان رثاه بقصيدة ميمية فشقت علي جماعة ممن كان يحسده في حياته كيف يرثي بمثلها بعد وفاته وتكلموا في ذلك فقال يلوّح بذكرهم

أقريش لا لفم اراك ولا يدِ
فتواكلي غاض الندَي وخلا الندِي
خلاك ذو الحسبين انقاضا متي
تجذب على حبل المذلة تنقد
فاذا تشادقت الخصوم فلجلجي
واذا تصادمت الكماة فعردي
ياناشد الحسنات طوف فاليا
عنها وعاد كأنه لم ينشد
اهبط الي مُضرٍ فسل حمراءها
من صاح بالبطحاء يانار اخمدي
بكر النعيُّ فقال اردي خيرُها
ان كان يصدق فالرضيُّ هو الردي
عادت اراكة هاشم من بعده
خوراً لفأس الحاطب المتوقد
فجعت بمعجز آية مشهودة
ولرُبّ آيات لها لم تشهد
كانت اذا هي في الامامة نوزعت
ثم ادعت بك حقها لم تُجحد
رضي الموافق والمخالف رغبة
بك واقتدي الغاوي برأي المرشد
ماأحرزت قصباتها وتراهنت
الا ظهرت بفضلة من سُؤدد
تبعتك عاقدة عليك أُمورها
وعري تميمك بعد لما تعقد
ورآك طفلا شِيبُها وكهولها
فتزحزحوا لك عن مكان السيد
انفقت عمرك ضائعا في حفظها
وعققت عيشك في صلاح المفسد
كالنار للساري الهدايةُ والقري
من ضوئها ودخانُها للموقد

من راكب يسع الهموم فؤادُه
وتُناط منه بقارح متعوّد
يطوي المياه علي الظما وكأنه
عنها يضل وانه للمهتدي
صلب الحصاة يثور غير مودع
عن اهله ويسير غير مزوَّد
قرّب قربت من التلاع فنها
أمُّ المناسك مثلها لم يقصد
دأبا به حتي تريح بيثرِبٍ
فتنيخه نقضا بباب المسجد
واحث التراب على شحو بك حاسرا
وانزل فعزِّ محمداً بمحمد
وقل انطوي حتي كأنك لم تلد
منه الهدي وكأنه لم يولد
بكت السماء له وودت انها
فقدت غزالتها ولما يفقد
وبكاك يومك اذجرت أخباره
برحا وسمي بالعبوس الأنكد
صبغت وفاتك فيه أبيض فجره
ياللعيون من الصباح الأسود
ولئن غمزت من الزمان بلين
عن عجم مثلك اوعضضت بأدْرَد
فالسيف يأخذ حكمه من مِغفر
وطلى ويأخذ منه سِنَّ المبرد
لو كان يغفل لم تنلك له يدٌ
لكن اصابك منه مجنون اليد
يامشكلا أمَّ الفضائل مورثا
يُتما بنات القاطنات الشرَّد
خلفتهن بما رضينك ناظما
مابين كل مُرجِز ومُقصِد
اشكو انفراد الواحد الساري بلا
أنس وان أحرزت سبق الاوحد
واذا حفظتك باكيا ومؤبنا
عابوا عليك تفجعي وتلددي
كانوا الصديق رددتهم لي حسدا
صلى الاله على مُكثر حُسدي
يغتر فيك الشامتون وانه
يوم همُ رهن عليه الي غد
لاغيرتك جنائب تحت البلى
وكساك طيب البيت طيب الملحد
وقربت لاتبعد وان علالة
للنفس زُوراً قولتي لا تبعد

﴿ مهيم ﴾ كلة استفهام بلغة أهل اليمن أي ماحالك أي ماوراءك وهو اسم فعل معناه اخبرني

﴿ ماء ﴾ القط يموء مؤاءاة صاح

﴿ الموبذان ﴾ كاهن الفرس وحاكم المجوس

﴿ موت ﴾ مات يموت ويمات موتا ضد حيي و(موّته)جعله يموت . ومثله (أماته) . و (تماوت) ادعى الموت و (استمات الرجل) طلب الموت . وذهب في طلب الشيء كل مذهب . و(الموات مالا روح فيه والارض الخالية . و (المُوتان) موت يقع في الماشية . و (المَوَتان) الموت وخلاف الحيوان . يقال (فلان يبيع المَوَتان) أي الامتعة التى لاروح فيها . و (المَيْتة) الحيوان الذي يموت حتف أنفه . و (المِيتة)الحال والهيئة . يقال (مات مِيتة الصالحين) و (الميْت) الميّت . و (الممات) الموت

﴿ الموت ﴾ هو نهاية كل حي في هذا الوجود مظهره خمود الشعور وتلاشي الادراك ودخول الجسد الحيواني في حالة تحلل واستحالته الى الاصول التي تكوّن منها . لايخلو حي مهما سفل في درجة الحيوانية من الشعور بثقل الموت وشناعته فتراه يهرب منه جهده ، ويدافعه بكل ماأوتيه من الوسائل ولكنه يضطر للخضوع له في النهاية لان عوامله تحتاط به من كل مكان فتعجزه عن المقاومة فيستسلم له مكرها و يموت كماشاء له القدر

لم يطرح مسألة الموت والحياة على بساط البحث من أنواع الحيوان غير الانسان لاتساع دائرة فكره وعجز تلك الكائنات عن متابعة النظر والتأمل فى الامور المعقولة . فعني بهذه المسألة من زمان بعيد أي الزمان الذي أقام فيه الدين، ولكنه حل هذه المسئلة على ضروب شتي على حسب مدركاته في كل جيل وذهب في ذلك كل مذهب حتي جاءت الاديان الكبري البرهمية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية فجعلت هذه المسئلة من أمهات مسائلها وأسست عليها كثيرا من طقوسها وليس هنا موضع لتفصيل مرامي كل منها وانما نقول انها كلها أجمعت (في شكلها الحاضر) على أن الموت ليس بشيء غير انتقال الروح من غلافها الطيني الي عالم وراء هذا العالم كانت فيه قبل دخولها في الجسد، وانها هنالك تثاب أوتعاقب على حسب أعمالها في هذا العالم الذي دفعت اليه لتبتلي فيه

قلنا ان كل هذه الاديان (فى شكلها الحاضر)بهذا القيد لان البوذية فى شكلها الاول كانت لاتقول بالحياة بعد الموت بل كانت تعد الموت هو المخلص للانسان

من شقاء هذا العالم لا لما يكون وراءه من الحياة الابدية في عالم أرقى من هذا العالم بل لأنه باب الفناء الابدي الذي لاشعور بعده

والديانة اليهودية في عهدها الاول لم تعن بخلود الروح ولم تذكره بحرف ، وما نشأ فيها ذلك الا بعد دخولها في دور جديد في الاجيال التالية

وكانت الفلسفة العقلية تشايع هذه الاديان وتوافقها على اعتبار الموت حالة انتقالية من عالم الى عالم، فكان فيثاغورث وأفلاطون وارسطو من أقطاب هذه الفلسفة . ولكن نشأ بجانبهم مفكرون آخرون كانوا يذهبون غير هذا المذهب ويعتبرون الموت نهاية الحياة منكرين كل وجود وراء هذا الوجود المحسوس فكان الصراع شديدا بين هذين المذهبين حتى جاءت الفلسفة الحسية في أوروبا منذ القرن السادس عشر فنصرت ملاحدة الفلسفة اليونانية وأخذت في مناقضة الديانات ومكافحتها وكاد يتم لها الغلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر لولا ان الخالق الذي خلق الموت والحياة وقدّر لكل منهما دائرة من الوجود لم يُرد أن يضل الناس ضلالا نهائيا ففتح للمستبصرين بابا الى عالم الروح ظهرت بمظهر التنويم المغناطيسي والمباحث الروحية التجريبية المسماة بالاسبرتزم فكانت سدا منيعا دون غلبة المذهب المادي فوقف حيث وصل اليه ، ثم اضطر للنكوص على عقبه أمام المشاهدات المحسوسة التى كانت تتالي تتالىَ الغيث الدافق بواسطة علماء من أولي العزم أمثال الاساتذة الأعلين وليم كروكس الكيماوي وروسل ولاس الفزيولوجي وأوليفر لودج الطبيعي وباركس الجيولوجي وفارلي الكهربائي وغيرهم من الانجليز ، والدكتوران أوليفييه وجيبيه والاستاذان شارل ريشيه وكاميل فلامريون وغيرهم من الفرنسيين ، والعلماء الكبار زولنر وفيشنر وويبر والتريسى وغيرهم من الالمان، والجهابذة مابس وهار وهزلوب وادمون واليوت وسواهم من الامريكان وغيرهم ممن لايحصون كثرة فأثبتوا ان الموت ليس هو الا حالة انتقال من حياة أرضية ضيقة مشوبة بالاكدار ، الي حياة علوية راقية حافلة بأنواع الجمال، وكتبوا في ذلك كتبا ومباحث نقلنا بعضها هنا في كلمة

روح وسننشر غيرها في كلمة نوم مغناطيسي ونشرنا مقدارا كبيرا منها في مجلة الحياة وسنوالي نشر هذه المباحث كلما سنحت الفرصة لأنها أكبر معول يستخدمه حماة الحياة لهدم تعاليم الالحاد واخراس الملحدين الذين قنعوا من الجهاد العلمي بأن يكونوا رسل الفناء . ونُذُر التلاشي والثبور ، وما دروا ان مذهبهم هذا لوصح لكان أحسن مايفعله الغيور المحب لخيره وخير ذويه أن يلقي بنفسه من حالق تخلصا من هذه الحياة المشوبة بالاكدار، أويقذف بنفسه بين أحضان البهيمية منغمسا في حمأة الشهوات والملاذ البدنية حتي ينتهى وجوده علي مالايتفق مع مصلحته ومصلحة العائشين معه في صعيد واحد . ولكن الله جلت قدرته لم يترك لهؤلاءِ النذر المشؤمين مجالا يجولون فيه بعد ظهور هذا النور العلوي فقبعوا حيث هم يتحينون الفرص لنفث سمومهم في الاذهان ، وهيهات « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق ، أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد »

(الخوف من الموت) يتخذ القائلون بخلود الروح اعتمادا على الادلة العقلية الخوف من الموت وحب الخلود من الادلة على بقاء الروح بعد الموت قائلين ان الخالق جلت قدرته لم يكن ليوجد هذا الحب للخلود عبثاء فلولم يكن الخلود مقدرا للروح لماشعرت به ، ولو شعرت به لما مالت اليه ، فميلها اليه هذا الميل الشديد وذعرها من الفناء هذا الذعر العظيم من الادلة القاطعة على انه مقدر لها لامحالة. والا فان هذ الشعور منها يكون جزافا والجزاف لايصح أن يوجد في صنع الله ولا فى صنع النواميس الحكيمة التي تقود هذا الوجود

هذه بعض حجج الفلاسفة العقليين ولكن الفلاسفة الماديين كانوا يردون عليهم بأن حب الخلود هوى من أهواء النفس لايرتكز على حقيقة وان الذعر من الموت لايكون الا في الادوار التي لايحسن الموت فيها من عمر الانسان ولكنه متى بلغ العمر غايته وجد الانسان في نفسه نزوعا الى الراحة الابدية فضعف حبه للحياة وتمني الموت كما تمني المتعب النوم وفقد الاحساس الى حين . ولكن

اعتراف كبار المفكرين وأقطاب العلماء الذين بلغوا الشيخوخة ينقض هذا الزعم فقد أجمعوا على انهم يخافون الموت ويحبون الخلود ولا يرغبون في تلك الحالة التي يذهب فيها الشعور ويتلاشي معها الادراك

من هذه الاعترافات ما كتبه الفيلسوف الفرنسي الكبير شارل رينوفييه قبل موته بأيام وقد بلغ من العمر ٨٨ سنة قال :

« اني لا أجهل حالتي اليوم وأعلم اني ميت بعد اسبوع أو اسبوعين وفي نفسي اشياء أحب أن أقولها تمس موضوع فلسفتنا . ولا يحق لانسان وهو في مثل سني أن يفكر في شئ لان الايام بل الساعات التي بقيت له أصبحت معدودة فيجب علينا الاذعان لما هو واقع

« اني أموت ولكن ليس بدون أسف ، وآسف خصوصا لاني لا أعرف ما ستؤول اليه أصولي . سأزول قبل أن أقول كلمتي الاخيرة ، وكل انسان يموت قبل أن يكمل عمله وهذا منتهى درجات الشقاء في هذه الحياة .

« عندما يكون الانسان شيخا كبيرا وقد اعتاد الحياة يصعب عليه كثيرا ان يموت ، وأري أن الشبان اكثر خضوعا للموت من الشيوخ . فانه عند ما يجوز الانسان الثمانين يصبح جبانا ويكره أن يموت ومتى تحقق دنو أجله تحزن نفسه وتتململ . وقد درست هذه المسألة من كل وجوهها وراجعت في ذهني مرارا على بدنو أجلي . ومع ذلك لم أتمكن من أن أقنع نفسى بأني ميت عما قليل . ليس الذي يهلع فيّ من الموت هو الفيلسوف لان الفيلسوف لا يصح أن يهاب الموت، بل الرجل القديم هو الذي يهابه . فهذا الرجل لا شجاعة فيه ليذعن ، مع انه يجب أن يذعن لما لا مناص له منه » انتهى

قال الاستاذ متشنيكوف خليفة العلامة باستور البكتريولوجي المشهور والبحاث في الهرم وأسبابه : « نعرف امرأة عمرها مئة سنة وسنتان وكانت تخاف كثيرا من الموت حتى اضطر أقاربها أن يكتموا عنها موت أي كان من معارفها . وأما مدام روبينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهي بين ١٠٤ و ١٠٥ سنين من عمرها وكانت تظهر غالبا ميلا اليه لانها كانت تحسب انها لا نفع منها في هذا العالم »

نقول لعل عدم اكتراث مدام روبينو من الموت كان ناشئا من عقيدتها بالخلود ولم يذكر الاستاذ متشنيكوف اذا كانت متدينه أم ملحدة

الخلاصة ان الخوف من الموت عام لان الموت اذا فهم بمعني الفناء قبيح منكر وكل قبيح منكر مكروه ببداهة العقل . واذا وجد من الشيوخ من يملون الحياة ويتمنون الموت فما ذلك الا لشدة مايقاسونه فى هذا العالم من آلام الهرم . كما قال أبو الطيب المتنبي :

واذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وانما الضعف ملّا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولي

وقد جاءت المباحث النفسية اليوم مثبتة بالتجارب وجود الروح وخلودها وقيام الارواح بأجسادها اللطيفة في عالم وراء هذا العالم بعد أن تتجرد من هذا الغلاف الطيني الثقيل

وقد وقفنا على رسالة كتبها العلامة الفيلسوف ابن مسكويه في علاج الخوف من الموت نذكرها هنا بنصها لفائدتها ، قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد وآله الطاهرين

«لما كان أعظم مايلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن أقول : ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لايدري ما الموت على الحقيقة أولا يعلم الي أين تصير نفسه ، أو لانه يظن اذا انحل و بطل تركيبه فقد انحلّ ذاته و بطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقي بعده كان هو موجودا أوليس هو موجودا كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية معادها ، أو لأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت اليه وكانت سبب حلوله ، أو لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت ، أولانه متحير لايدري الي أي شئ يقدم بعد الموت ، أولانه يأسف على مايخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لاحقيقة لها

«أما من جهل الموت ولم يدر ماهو فأنا أبين له ان الموت ليس بشيء اكثر

من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمى بدنا كما يترك الصانع مثلا استعمال آلاته . فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الي علوم تتقدمه وذلك مبين مشروح في موضعه . فاذا فارق الجوهر البدن بقي البقاء الذي يخصه ونقي من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة . ولا سبيل الى فنائه وعدمه ، فان الجوهر لا يفني من حيث جوهر ولا تبطل ذاته ، وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له وكل شيء يفسد فانما يفسد من ضده . وأنت إن تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخص من ذلك الجوهر الكريم واستقرأت حاله وجدته غير فان ولا يتلاشى من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الي بعض فيبطل خواص شيء شيء منه وأعراضه . فأما الجوهر نفسه فهو باق ولا سبيل الى عدمه وبطلانه . أما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيرا في ذاته وانما يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟

«وأما من يخاف الموت لانه لا يعلم الي أين تصير نفسه أو لانه يظن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي أن يعلمه فالجهل اذن هو المَخُوف اذ هو سبب الخوف . وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا ان الراحة الحقيقية التي يستراح بها من الجهل هي الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقي هو لقب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية . فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا به وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة، هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة الخسيسة والمطالب التي تؤدي اليها . اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة ، الزوال والفناء، كثيرة الهموم اذا وجدت ، عظيمة

الغموم اذا فقدت ، فاقتصروا فيها على المقدار الضروري في الحياة وتسلَّوا من فضول العيش التى فيها ماذكرت من العيوب وما لم أذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية . وذلك ان الانسان اذا بلغ منها غاية تداعت الى غاية أخري من غير وقوف على حد ولا انتهاء الي أمد. وهذا هو الموت لامخافة منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل . ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها، وعنوا بالحياة الارادية مايسعي لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في الغبطة الابدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل، ولذلك وصي افلاطون الحكيم طالب الحكمة بأن قال له : مُت بالارادة تحيَ بالطبيعة

«على ان من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ماينبغي أن يرجوه وذلك ان هذا الموت هو حد الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الي أفقه الاعلي . ومن علم ان كل شيء مركب من حده وحده مركب من جنسه وفصله ،وان جنس الانسان هو الحي وفصوله هو الناطق والمائت، علم انه مستحيل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لامحالة يستحيل الى الشيء الذي منه تركب فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالا ممن يظن ان فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ وذلك ان الناقص اذا خاف أن يتم فقد حل من نفسه على غاية الجهل .فاذن يجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل مايتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا ويثق بأن الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص نقاء وصفو لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين وخالطه بين الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من أضداده واغياره ومن هاهنا

تعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهى في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها سالكة الى أبعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها ولا قرار لها

«أما من يظن ان للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما تقدمته وأدت اليه فقد ظن ظنا كاذبا لان الالم انما يكون للحى والحى هو القابل اثر النفس واما الجسم الذي ليس فيه اثر النفس فانه يألم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لايألم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول اثرها فيه فاذا صار جسما لا أثر فيه للنفس فلا حس له ولا ألم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس ولا مؤلم فانه كان يحس ويألم به

«وأمامن خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون علي شيء باق منه بعد الموت فهولامحالة يعترف بذنوب وأفعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب علي السيئات لاعلي الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه أن يحترز ذلك الذنب ويجتنبه والافعال الرديئة التى تسمي ذنوبا انما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة التى هي الرذائل التي أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل ماينبغى أن يخاف منه وخائف ممـا لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وُثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض أفضى اليه لامحالة وهذه الثقة التى تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستيقن في دينه المستكمل بحكمته

«وأما من زعم انه ليس يخاف الموت وانما يحزن على ما يتخلفه من أهل وولد ومال ويأسف علي مايفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي أن يبين له ان الحزن لاجل ألم ومكروه علي مالا يجدي عليه الحزن طائلا وان الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لامحالة فمن أحب أن لايفسد فقد أحب أن لا يكون ومن أحب أن لايكون فقد أحب

فساد ذاته وكأنه يحب أن يفسد وان لا يفسد ويحب أن يكون وألا يكون وهذا محال

«وأيضاً لوجازأن يبقي الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس علي ماهم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعهم الارض وأنت تتبين ذلك مما أقول . تري لو أن رجلا واحداً ممن كان منذ اربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن يحصي أولاده الموجودين كأمير المؤمنين عليّ رضي الله تعالي عنه . ثم ولد له أولاد ولأولاده أولاد و بقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحدكم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا ؟ فانك تجد أكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان بقيتهم الآن مع ما اصابهم من الموت والقتل أكثر من مائة الف رجل . واحسب كل من في ذلك العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة . ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعودا أو متفرقين ولا يبقي موضع عمارة تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان؟

« فهذه حال من يتمني الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لامعدل عنه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية . فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فالموت اذن ليس برديء وانما الرديء هو الخوف منه فالخائف منه هو الجاهل به و بذاته وحقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن . وهو ليس فسادا للنفس وانما هو فساد التركيب

« فأما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فلزم فيه مالزم في الاجسام بل لا يلزم شيء من أعراض الاجسام أي لايتزاحم في المكان لانه لايحتاج الي مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد هذا الجوهر بالخواص والاجسام كمالا . فاذا كمل بها ثم تخلص منها صار الى عالمه الشريف القريب الي بارئه ومنشئه عز

وجل . والرجل الذي يتصدق عن أخيه الميت ويقضى عنه الدين يسعد بذلك الميت وذلك ان النفس ان كانت واحدة كما زعم جماعة فالمتصدق نفسه وتلك الأخري وسائرها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا يفضل المتصدق ذلك الفضل الا بمشاكلة تلك النفس وعلى هذا أيضاً شبه بشيء واحدوالسلام

« تمت الرسالة والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده وآله وصحبه وسلم

﴿ الصلاة على الميت ﴾ هي فرض كفاية وعن أصبغ من أصحاب مالك انها سنة والصلاة على الميت في المسجد جائزة اتفاقا وهي غير مكروهة فيه عند الشافعي وأحمد ، وقال أبو حنيفة ومالك بكراهتها

ومن شرط الصلاة علي الميت الطهارة

وقال محمد بن جرير الطبري تجوز بغير طهارة

وأجمع الأئمة علي ان الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت وقراءة القرآن عند القبر مستحبة و كرهها أبو حنيفة . والمشهور من مذهب الشافعى أن لا يصل الى الميت من ثواب القراءة

ونري أن ننقل هنا كل ما كتبه الفيلسوف الكبير ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في أحكام الميت فقد جمع كل مايجب أن يعلم في هذا الباب بعبارات غاية في البيان قال رحمه الله :

﴿ كتاب أحكام الميت ﴾

والكلام فى هذا الكتاب وهي حقوق الاموات علي الاحياء ينقسم الى ست جمل . الجملة الاولى فيما يستحب أن يفعل به عند الاحتضار وبعده . الثانية فى غسله . الثالثة في تكفينه . الرابعة في حمله واتباعه . الخامسة في الصلاة عليه السادسة في دفنه

﴿ الباب الاول ﴾

ويستحب أن يلقن الميت عند الموت شهادة أن لا اله الا الله لقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله ، وقوله من كان آخر قوله لا اله الا الله دخل الجنة . واختلفوا في استحباب توجيهه الي القبلة فرأي ذلك قوم ولم يره آخرون . وروي عن مالك انه قال في التوجيه ماهو من الأمر القديم

وروي عن سعيد بن المسيب أنه أنكر ذلك. ولم يرو ذلك عن أحد من الصحابة ولا من التابعين أعني الأمر بالتوجيه. فاذا قضى الميت غمض عينه ويستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك الا الغريق فانه يستحب في المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته. قال القاضي واذا قيل هذا في الغريق فهو أولى في كثير من المرضى مثل الذين يصيبهم انطباق العروق وغير ذلك مما هو معروف عند الاطباء حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لا ينبغي أن يدفنوا الا بعد ثلاث

﴿ الباب الثاني في غسل الميت ﴾

ويتعلق بهذا الباب فصول أربعة منها في حكم الغسل ومنها فيمن يجب غسله من الموتي ومن يجوز أن يغسل وما حكم الغاسل ومنها في صفة الغسل

﴿ الفصل الأول ﴾

فأما حكم الغسل فانه قيل فيه انه فرض على الكفاية وقيل سنة على الكفاية والقولان كلاهما في المذهب والسبب في ذلك انه نقل بالفعل لا بالقول والفعل ليس له صيغة تفهم الوجوب أو لا تفهمه وقد احتج عبد الوهاب لوجوبه بقوله عليه الصلاة والسلام في ابنته اغسلنها ثلاثا أو خمسا وبقوله في المحرم اغسلوه فمن رأي ان هذا القول خرج مخرج تعليم لصفة الغسل لا مخرج الأمر به لم يقل بوجوبه ومن رأي انه يتضمن الأمر والصفة قال بوجوبه

﴿ الفصل الثاني ﴾

وأما الاموات الذين يجب غسلهم فانهم اتفقوا من ذلك على غسل الميت المسلم الذي لم يقتل في معترك حرب الكفار واختلفوا في غسل الشهيد وفي الصلاة عليه وفي غسل المشرك. فأما الشهيد أعني الذي قتله في المعترك المشركون فان الجهور علي ترك غسله لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلي أحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم. وكان الحسن وسعيد بن المسيب يقولان بغسل كل مسلم فان كل ميت يجنب ولعلهم كانوا يرون ان مافعل بقتلي أحد كان لموضع الضرورة أعني المشقة في غسلهم وقال بقولهم من فقهاء الأمصار عبيد الله ابن الحسن العنبري. وسئل أبو عمر فيما حكي ابن المنذر عن غسل الشهيد فقال قد غسل

عمرو كفن وحنط وصلى عليه وكان شهيدا يرحمه الله . واختلف الذين اتفقوا على أن الشهيد في حرب المشركين لا يغسل في الشهداء من قتل اللصوص أو غير أهل الشرك فقال الأوزاعى وأحمد وجماعة حكمهم حكم من قتله أهل الشرك . وقال مالك والشافعى يغسل . وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هي الشهادة مطلقا أو الشهادة على أيدي الكفار فمن رأي ان سبب ذلك هي الشهادة مطلقا قال لا يغسل كل من نص عليه النبي عليه الصلاة والسلام أنه شهيد ممن قتل . ومن رأي ان سبب ذلك هى الشهادة من الكفار قصر ذلك عليهم

وأما غسل المسلم الكافر فكان مالك يقول لا يغسل المسلم والده الكافر ولا يقبره الا أن يخاف ضياعه فيواريه وقال الشافعى لا بأس بغسل المسلم قرابته. من المشركين ودفنهم . وبه قالوا ابو ثور وأبو حنيفة وأصحابه . قال أبو بكر بن المنذر ليس في غسل الميت المشرك سنة تتبع وقد روي أن النبى عليه الصلاة والسلام أمر بغسل عمه لما مات . وسبب الخلاف هل الغسل من باب العبادة أو من باب النظافة فان كانت عبادة لم يجز غسل الكافر وان كانت نظافة جاز غسله

﴿ الفصل الثالث ﴾

وأما من يجوز أن يغسل الميت فانهم اتفقوا على ان الرجال يغسلون الرجال والنساء يغسلن النساء واختلفوا في المرأة تموت مع الرجال أو الرجل يموت مع النساء مالم يكونا زوجين على ثلاثة أقوال : فقال قوم يغسل كل واحد منهما صاحبه من فوق الثياب وقال قوم ييمم كل منهما صاحبه وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وجمهور العلماء وقال قوم لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا ييممه وبه وقال الليث بن سعد بل يدفن من غير غسل . وسبب اختلافهم هو الترجيح بين تغليب النهى على الأمر أو الأمر على النهى وذلك ان الغسل مأمور به ، ونظر الرجل الى بدن المرأة والمرأة الي بدن الرجل منهي عنه فمن غلب النهى تغليبا مطلقا أعني لم يقس الميت على الحى في كون طهارة التراب له بدلا من من طهارة الماء عند تعذرها قال لا يغسل الواحد منهما صاحبه ولا ييممه ، ومن غلب الأمر على النهي قال يغسل كل واحد منهما صاحبه أعني غلب

الأمر على النهي تغليبا مطلقا ومن ذهب الى التيمم فلانه رأي انه لايلحق الأمر والنهى في ذلك تعارض وذلك ان النظر الي مواضع التيمم يجوز لكلا الصنفين ولذلك رأي مالك أن يمم الرجل المرأة في يديها ووجهها فقط لكون ذلك منها ليسا بعورة وأن تيمم المرأة الرجل الى المرفقين لأنه ليس من الرجل عورة الا من السر الى الركبة على مذهبه فكأن الضرورة التي نقلت الميت من الغسل الي التيمم عند من قال به هي تعارض الأمر والنهي فكأنه شبه هذه الضرورة بالضرورة التى يجوز معها للحى التيمم وهو تشبيه فيه بعد ولكن عليه الجمهور. فأما مالك فاختلف قوله في هذه المسئلة فمرة قال يمم كل واحد منهما صاحبه قولا مطلقا ومرة فرق في ذلك بين ذوي المحارم وغيرهم ومرة فرق في ذوي المحارم بين الرجال والنساء فيتحصل عنه أن له في ذوي المحارم ثلاثة أقوال أشهرها أنه يغسل كل واحد منهما صاحبه علي الثياب والثاني أنه لايغسل أحدهما صاحبه لكن ييممه مثل قول الجمهور في غير ذوي المحارم والثالث الفرق بين الرجال والنساء أعني

تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة فسبب المنع ان كل واحد منهما لايحل له أن ينظر الي موضع الغسل من صاحبه كالأجانب سواء وسبب الاباحة أنه موضع ضرورة وهم أعذر في ذلك من الاجنبي وسبب الفرق ان نظر الرجال الي النساء أغلظ من نظر النساء الى الرجال بدليل ان النساء حجبن عن نظر الرجال اليهن ولم يحجب الرجال عن النساء وأجمعوا من هذا الباب على جواز غسل المرأة زوجها واختلفوا في جواز غسله اياها فالجمهور على جواز ذلك وقال أبو حنيفة لايجوز غسل الرجل زوجته وسبب اختلافهم هو تشبيه الموت بالطلاق فمن شبهه بالطلاق قال لايحل أن ينظر اليها بعد الموت، ومن لم يشبهه بالطلاق وهم الجمهور قال ان مايحل له من النظر اليها قبل الموت يحل له بعد الموت، وانما دعا أبا حنيفة أن يشبه الموت بالطلاق لأنه رأي انه اذا ماتت احدي الاختين حل له نكاح الأخري كالحال فيها اذا طلقت. وهذا فيه بعد فان علة منع الجمع مرتفعة بين الحي والميت ولذلك حلت الا أن يقال ان علة منع الجمع غير معقولة

وان منع الجمع بين الاختين عبادة محضة غير معقولة المعني فيقوي حينئذ مذهب أبي حنيفة وكذلك أجمعوا على ان المطلقة المبتوتة لاتغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فروي عن مالك انها تغسله و به قال أبو حنيفة واصحابه

وقال ابن القاسم لا تغسله وان كان الطلاق رجعيا وهو قياس قول مالك لانه ليس يجوز عنده أن يراها و به قال الشافعي وسبب اختلافهم هو هل يحل للزوج أن ينظر الى الرجعية اولا ينظر اليها . وأما حكم الغاسل فانهم اختلفوا فيما يجب عليه فقال قوم من غسل ميتا وجب عليه الغسل وقال قوم لاغسل عليه . وسبب اختلافهم معارضة حديث أبي هريرة لحديث أسماء وذلك ان أبا هريرة روي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ . خرجه أبو داود وأما حديث أسماء فانها لما غسلت ابا بكر رضي الله عنه خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين والأنصار وقالت اني صائمة وان هذا يوم شديد البرد فهل علي من غسل ؟ قالوا لا . وحديث اسماء في هذا صحيح وأما حديث بي هريرة فهو عند اكثر اهل العلم فيما حكي ابو عمر غير صحيح لكن حديث أسماء ليس فيه في الحقيقة معارضة له فان من أنكر الشئ يحتمل أن يكون ذلك لأنه لم تبلغه السنة في ذلك الشئ وسؤال أسماء والله أعلم يدل علي الخلاف في ذلك في الصدر الأول ولهذا كله قال الشافعى رضى الله عنه علي عادته في الاحتياط والالتفات الي الأثر لا غسل على من غسل الميت الا أن يثبت حديث ابي هريرة

. ﴿ الفصل الرابع في صفة الغسل ﴾

وفي هذا الفصل مسائل احداها هل ينزع عن الميت قميصه اذا غسل ام يغسل في قميصه ؟ اختلفوا فى ذلك فقال مالك اذا غسل الميت تنزع ثيابه وتستر عورته وبه قال أبو حنيفة وقال الشافعي يغسل فى قميصه . وسبب اختلافهم تردد غسله عليه الصلاة والسلام في قميصه بين أن يكون خاصا به وبين أن يكون سنة فمن رأي أنه خاص به وأنه لا يحرم من النظر الى الميت الا ما يحرم منه وهو حي قال يغسل عريان الا عورته فقط التى يحرم النظر اليها في حال الحياة ومن رأي ان ذلك سنة يستند الي باب الاجماع أوالى

الأمر الالهى لأنه روي في الحديث انهم سمعوا صوتا يقول لهم لا تنزعوا القميص وقد ألقي عليهم النوم قال الأفضل أن يغسل الميت في قميصه

﴿ المسئلة الثانية ﴾

قال أبو حنيفة لا يوضأ الميت وقال الشافعى يوضأ ، وقال مالك ان وضئ فحسن. وسبب الخلاف فى ذلك معارضة القياس للأثر وذلك ان القياس يقتضى الا وضوء على الميت لان الوضوء طهارة مفروضة لموضع العبادة واذا أسقطت العبادة عن الميت سقط شرطها الذي هو الوضوء ولولا أن الغسل ورد في الآثار لما وجب غسله . وظاهر حديث أم عطية الثابت ان الوضوء شرط فى غسل الميت لأن فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فيه في غسل ابنته ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها وهذه الزيادة ثابتة خرجها البخاري ومسلم ولذلك ليس يجب أن تعارض بالروايات التي فيها الغسل مطلقا لأن المقيد يقضى على المطلق اذ فيه زيادة على ما يراه كثير من الناس ويشبه أيضا أن يكون من أسباب الخلاف في ذلك معارضة المطلق المقيد وذلك انه وردت آثار كثيرة فيها الأمر بالغسل مطلقا من غير ذكر وضوء فيها فهؤلاء رجحوا الاطلاق على التقييد لمعارضة القياس له في هذا الموضع والشافعى جري على الأصل من حمل المطلق علي المقيد

﴿ المسئلة الثالثة ﴾

اختلفوا في التوقيت في الغسل فمنهم من اوجبه ومنهم من استحسنه واستحبه والذين أوجبوا التوقيت منهم من أوجب الوتر أي وتر كان وبه قال ابن سيرين ومنهم من أوجب الثلاثة فقط وهو ابو حنيفة ومنهم من حد أقل الوتر في ذلك لا ينقص عن الثلاثة ولم يحد الأكثر وهو الشافعي . ومنهم من حد الاكثر في ذلك فقال لا يتجاوز به السبعة وهو احمد ابن حنبل وممن قال باستحباب الوتر ولم يحد فيه حدا مالك بن انس واصحابه وسبب الخلاف بين من شرط التوقيت ومن لم يشترطه بل استحبه معارضة القياس للأثر وذلك ان ظاهر حديث ام عطية يقتضى التوقيت لأن فيه اغسلنها ثلاثا او خمسا او اكثر من ذلك ان رأيتن وفى بعض رواياته او سبعا واما قياس الميت على الحي في الطهارة فيقتضي ان لا توقيت فيها كما ليس في طهارة الحي توقيت فمن رجح

الأثر على النظر قال بالتوقيت ومن رأي الجمع بين الأثر والنظر حمل التوقيت على الاستحباب واما الذين اختلفوا في التوقيت فسبب اختلافهم اختلاف الفاظ الروايات في ذلك عن أم عطية فأما الشافعي فانه رأي ان لا ينقص عن ثلاثة لأنه أقل وتر نطق به في حديث ام عطية ورأي ان مافوق ذلك مباح لقوله عليه الصلاة والسلام أو اكثر من ذلك ان رأيتن . وأما احمد فأخذ بأكثر وتر نطق به في بعض روايات الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام او سبعا . واما ابو حنيفة فصار في قصره الوتر علي الثلاث لماروي ان محمد بن سيرين كان يأخذ الغسل عن أم عطية ثلاثا يغسل بالسدر مرتين والثالثة بالماء والكافور وأيضا فأن الوتر الشرعى عنده انما ينطق على الثلاث فقط وكان مالك يستحب ان يغسل في الاولى بالماء القراح وفي الثانية بالسدر والماء وفي الثالثة بالماء والكافور واختلفوا اذا خرج من بطنه حدث هل يعاد غسله ام لا فقيل لا يعاد وبه قال مالك وقيل يعاد والذين رأوا انه يعاد اختلفوا في العدد الذي تجب به الاعادة ان تكرر خروج الحدث فقيل يعاد الغسل عليه واحدة وبه قال الشافعى وقيل يعاد ثلاثا وقيل يعاد سبعا واجمعوا علي انه لا يزاد على السبع شئ واختلفوا في تقليم اظفار الميت والاخذ من شعره فقال قوم تقلم اظفاره ويؤخذ منه وقال قوم لا تقلم اظفاره ولا يؤخذ من شعره وليس فيه أثر

واما سبب الخلاف في ذلك الخلاف الواقع في ذلك الصدر الاول ويشبه ان يكون سبب الخلاف في ذلك قياس الميت على الحى فمن قاسه اوجب تقليم الاظفار وحلق العانة لأنها من سنة الحي باتفاق وكذلك اختلفوا في عصر بطنه قبل ان يغسل فمنهم من رأي ذلك ومنهم من لم يره فمن رآه رآي ان فيه ضربا من الاستنفاء من الحدث عند ابتداء الطهارة وهو مطلوب من الميت كما هو من الحي ومن لم ير ذلك رأي انه من باب تكليف مالم يشرع وان الحي في ذلك بخلاف الميت .

﴿ الباب الثالث في الاكفان ﴾

والاصل فى هذا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيهما قميص ولا عمامة. وخرج ابو داود عن ليلى بنت

قائف الثقفية قالت كنت فيمن غسل ام كلثوم بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان اول من اعطاني رسول الله صلي الله عليه وسلم الحقو ثم الدرع ثم الخمار ثم الملحفة ثم ادرجت بعد في الثوب الآخر. قالت ورسول الله صلي الله عليه وسلم جالس عند الباب معها كفنها يناولناها ثوبا ثوبا . فمن العلماء من أخذ بظاهر هذين الأثرين فقال يكفن الرجل فى ثلاثة أثواب والمرأة فى خمسة أثواب. و به قال الشافعى وأحمد وجماعة. وقال ابو حنيفة أقل ما تكفن فيه المرأة ثلاثة أثواب والسنة خمسة أثواب، وأقل ما يكفن فيه الرجل ثوبان والسنة فيه ثلاثة أثواب. ورأي مالك انه لاحد في ذلك وانه يجزئ ثوب واحد فيهما الا انه يستحب الوتر . وسبب اختلافهم في التوقيت اختلافهم في مفهوم هذين الأثرين فمن فهم منهما الاباحة لم يقل بتوقيت الا انه استحب الوتر لاتفاقهما في الوتر ولم يفرق فى ذلك بين المرأة والرجل وكأنه فهم منهما الاباحة الا في التوقيت فانه فهم منه شرعيا لمناسبته للشرع . ومن فهم من العدد أنه شرع لا اباحة قال بالتوقيت اما علي جهة الوجوب واما علي جهة الاستحباب وكله واسع انشاء الله وليس فيه شرع محدود ولعله تكلف شرع فيما ليس فيه شرع وقد كفن مصعب بن عمير يوم أحد بنمرة فكانوا اذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه واذا غطوا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر .واتفقوا على ان الميت يغطي رأسه ويطيب الا المحرم اذا مات في احرامه فانهم اختلفوا فيه .فقال مالك وأبو حنيفة المحرم بمنزلة غير المحرم . وقال الشافعى لا يغطى رأس المحرم اذا مات ولا يمس طيبا. وسبب اختلافهم معارضة العموم للخصوص فأما الخصوص فهو حديث ابن عباس قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته فمات وهو محرم فقال كفنوه في ثوبين واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه ولا تقربوه طيبا فانه يبعث يوم القيامة يلبي . وأما العموم فهو ما ورد من الامر بالغسل مطلقا فمن خص من الاموات المحرم بهذا الحديث كتخصيص الشهداء بقتلي أحد جعل الحكم منه عليه الصلاة والسلام على الواحد حكما علي الجميع وقال لا يغطي رأس المحرم ولا يمس طيبا

ومن ذهب مذهب الجمع لا مذهب الاستثناء والتخصيص قال حديث الاعرابي خاص به لا يعدي الى غيره

﴿ الباب الرابع ﴾

(في صفة المشى مع الجنازة)

واختلفوا في سنة المشي مع الجنازة فذهب أهل المدينـة الى أن من سنتها المشي أمامهـا. وقال الكوفيون أبو حنيفة وأصحابه وسائرهم ان المشى خلفها أفضل. وسبب اختلافهم اختـلاف الآثار التى روي كل واحد من الفريقين عن سلفه وعمل به . فروي مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام مرسلا المشى أمام الجنازة. وعن أبي بكر وعمـر و به قال الشافعي . وأخذ أهل الكوفة بما رووا عن على بن أبي طالب من طريق عبد الرحمن بن أبزي قال كنت أمشي مع على في جنازة وهو آخذ بيدي وهو يمشى خلفها وأبو بكر وعمر يمشيان أمامها فقلت له في ذلك فقال ان فضل الماشي خلفها على المـاشى أمامهـا كفضل صلاة المكتوبة على صلاة النافلة وانهما ليعلمان ذلك ولكنهما سهلان يسهلان على الناس . وروي عنه رضي الله عنه انه قال قدمهـا بين يديك واجعلها نصب عينيك فانمـا هي موعظة وتذكرة وعبرة ، وبما روي ايضا عن ابن مسعود انه كان يقول سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السير مع الجنازه فقال الجنازة متبوعة وليست بتابعة وليس معها من يقدمها. وحديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلي الله عليـه وسلم قال الراكب يمشى أمام الجنازة والماشى خلفها وأمامها وعن يمينها و يسارها قريبا منها وحديث أبي هريرة أيضا في هذا المعني قال امشوا خلف الجنازة ، وهـذه الاحاديث صار اليها الكوفيون وهي أحاديث يصححونها و يضعفها غيرهم

وأكثر العلماء على ان القيـام الي الجنازة منسوخ بما روي مالك من حديث على ابن ابي طالب ان رسـول الله صلي الله عليه وسـلم كان يقوم في الجنائز ثم جلس. وذهب قوم الى وجوب القيام وتمسكوا فى ذلك بما روي من امره صلى الله عليه وسلم بالقيام لها كحديث عامر بن ربيعة قال قال رسول الله على الله عليه وسـلم اذا رأيتم الجنائز فقوموا اليها حتي تخلفكم أو توضـع ،واختلف الذين رأوا ان القيام منسوخ في القيام على القبر في وقت الدفن

فبعضهم رأي انه لم يدخل تحت النهى وبعضهم رأي انه داخل تحت النهي على ظاهر اللفظ ومن أخرجه من ذلك احتج بفعل عليّ في ذلك وذلك انه روي النسخ وقام على قبر ابن المكفف فقيل له ألا تجلس يا أمير المؤمنين فقال قليل لأخينا قيامنا على قبره

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى الصلاة على الجنازة)

وهذه الجملة يتعلق بها بعد معرفة وجوبها فصول احدها فى صفة صلاة الجنازة والثاني على من يصلى ومن اولى بالصلاة والثالث فى وقت هذه الصلاة والرابع في موضع هذه الصلاة والخامس في شروط هذه الصلاة

﴿ الفصل الأول ﴾

فأما صفة الصلاة فأنها يتعلق بها مسائل :

﴿ المسئلة الاولى ﴾

اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الاول اختلافا كثيرا من ثلاث الي سبع أعني الصحابة رضى الله عنهم ولكن فقهاء الامصار علي ان التكبير فى الجنازة اربع الا ابن أبي ليلي وجابر بن زيد فانهما كانا يقولان انها خمس وسبب الاختلاف اختلاف الآثار فى ذلك وذلك انه روي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الي المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات وهو حديث متفق على صحته ولذلك أخذ به جمهور فقهاء الامصار . وجاء في هذا المعني أيضا من انه عليه الصلاة والسلام صلى على قبر مسكينة فكبر عليها اربعا . وروي مسلم أيضا عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال كان زيد بن ارقم يكبر علي الجنائز أربعا وانه كبر على جنازة خمساً فسألناه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبرها وروي عن ابي خيثمة عن ابيه قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يكبر على الجنائز اربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتي مات النجاشى فصف الناس وراءه وكبر اربعا ثم ثبت صلى الله عليه وسلم على اربع حتى توفاه الله وهذا فيه حجة لأئمة الجمهور

وأجمع العلماء على رفع اليدين فى اول التكبير على الجنازة واختلفوا في سائر التكبير فقال قوم يرفع وقال قوم لا يرفع

وروي الترمذي عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر في جنازة فرفع يديه فى اول التكبير ووضع يده اليمني علي اليسري فمن ذهب الي ظاهر هذا الأثر وكان مذهبه في الصلاة انه لا يرفع الا في اول التكبير قال الرفع في اول التكبير ومن قال يرفع فى كل تكبير شبه التكبير الثاني بالاول لانه كله يفعل في حال القيام والاستواء

﴿ المسئلة الثانية ﴾

اختلف الناس في القراءة في صلاة الجنازة فقال مالك وأبو حنيفة ليس فيها قراءة انما هو الدعاء . وقال مالك قراءة فاتحة الكتاب فيها ليس بمعمول به في بلدنا بحال . قال وانما يحمد الله ويثني عليه بعد التكبيرة الاولي ثم يكبر الثانية فيصلى علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت ثم يكبر الرابعة و يسلم . وقال الشافعى يقرأ بعد التكبيرة الاولي فاتحة الكتاب ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ذلك ، و به قال أحمد وداود . وسبب اختلافهم معارضة العمل للأثر وهل يتناول أيضا اسم الصلاة صلاة الجنائز أم لا . أما العمل فهو الذي حكاه مالك عن بلده . وأما الأثر فما رواه البخاري عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب فقال لتعلموا انها السنة فمن ذهب الي ترجيح هذا الأثر على العمل وكان اسم الصلاة يتناول عنده صلاة الجنازة وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصلاة الا بفاتحة الكتاب رأي قراءة فاتحة الكتاب فيها . ويمكن أن يحتج لمذهب مالك بظواهر الآثار التى نقل فيها دعاؤه عليه الصلاة والسلام على الجنائز ولم ينقل فيها انه قرأ وعلى هذا فتكون تلك الآثار كأنها معارضة لحديث ابن عباس ومخصصة لقوله لاصلاة الا بفاتحة الكتاب . وذكر الطحاوي عن ابن شهاب عن ابي امامة ابن سهل بن حنيف قال وكان من كبراء الصحابة وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدرا ان رجلا من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أخبره أن السنة في الصلاة علي الجنائز ان يكبر الامام ثم يقرأ فاتحة الكتاب سراً في نفسه ثم يخلص الدعاء في التكبيرات الثلاث . قال ابن شهاب فذكرت الذي أخبر به ابوامامة من ذلك

لحمد بن سويد الفهري فقال وانا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في الصلاة على الجنائز بمثل ماحدثك به ابو امامة

﴿ المسئلة الثالثة ﴾

واختلفوا فى التسليم من الجنازة هل هو واحد او اثنان فالجمهور على انه واحد وقالت طائفة وابو حنيفة يسلم تسليمتين واختاره المزني من اصحاب الشافعى وهو احد قولى الشافعى . وسبب اختلافهم اختلافهم في التسليم من الصلاة وقياس صلاة الجنائز علي الصلاة المفروضة ، فمن كانت عنده التسليمة واحدة فى الصلاة المكتوبة وقاس صلاة الجنازة عليها قال بواحدة ومن كانت عنده تسليمتين فى الصلاة المفروضة قال هنا بتسليمتين ان كانت عنده تلك سنة فهذه سنة وان كانت فرضا فهذه فرض وكذلك اختلف المذهب هل يجهر فيها اولا يجهر بالسلام

﴿ المسئلة الرابعة ﴾

واختلفوا أين يقوم الامام من الجنازة فقال جملة من العلماء يقوم فى وسطها ذكرا كان او انثي وقال قوم آخرون يقوم من الانثي وسطها ومن الذكر عند رأسه . ومنهم من قال يقوم من الذكر والانثي عند صدرهما وهو قول ابن القاسم وقول ابي حنيفة . وليس عند مالك والشافعي في ذلك حد وقال قوم يقوم منهما اين شاء . والسبب في اختلافهم اختلاف الآثار فى هذا الباب وذلك انه خرج البخاري ومسلم من حديث سمرة بن جندب قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ام كعب ماتت وهي نفساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة على وسطها . وخرج ابو داود من حديث همام بن غالب قال صليت مع انس بن مالك على جنازة رجل فقام حيال رأسه ثم جاؤا بجنازة امرأة فقالوا يا ابا حمزة صل عليها فقام حيال وسط السرير . فقال العلاء بن زياد هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى علي الجنائز كبر اربعا وقام علي جنازة امرأة مقامك منها ومن الرجل مقامك منه . قال نعم فاختلف الناس في المفهوم من هذه الافعال فمنهم من رأي ان قيامه في هذه المواضع المختلفه يدل على الاباحة وعلي عدم التحديد . ومنهم من رأي ان قيامه

على احد هـذه الأوضاع انه شرع وانه يدل على التحديد وهؤلاء انقسموا قسمين فمنهم من أخذ بحديث سمرة بن جندب للاتفاق على صحته فقال المرأة في ذلك والرجل سواء لان الاصل ان حكمهما واحد الا أن يثبت في ذلك فارق شرعي ومنهم من صحح حديث ابن غالب وقال فيه زيادة على حديث سمرة ابن جندب فيجب المصير اليها وليس بينهما تعارض أصلا . وأما مذهب ابن القاسم وأبي حنيفة فلا أعلم له من جهة السمع في ذلك مسند الا ما روي عن ابن مسعود من ذلك

﴿ المسئلة الخامسة ﴾

واختلفوا في ترتيب جنائز الرجال والنساء اذا اجتمعوا عند الصلاة فقال الاكثر يجعل الرجال مما يلي الامام والنساء مما يلي القبلة، وقال قوم بخلاف هذا أي النساء مما يلي الامام والرجال مما يلي القبلة وفيه قول ثالث أنه يصلى على كل على حدة ، الرجال مفردون والنساء مفردات. وسبب الخلاف ما يغلب على الظن باعتبار أحوال الشرع من انه يجب أن يكون في ذلك شرع محدود مع انه لم يرد في ذلك شرع يجب الوقوف عنده ولذلك رأي كثير من الناس انه ليس في أمثال هذه المواضع شرع أصلا وانه لو كان فيها شرع لبين للناس وانما ذهب الاكثر لما قلناه من تقديم الرجال على النساء لما رواه مالك في الموطأ من ان عثمان بن عفان وعبد الله ابن عمر وأبا هريرة كانوا يصلون علي الجنائز بالمدينة الرجال والنساء معا فيجعلون الرجال مما يلي الامام ويجعلون النساء مما يلي القبلة وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه صلي كذلك علي جنازة فيها ابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة والامام يومئذ سعيد بن العاصي فسألهم عن ذلك أو أمر من سألهم فقالوا هي السنة . وهذا يدخل في المسند عندهم ويشبه ان يكون من قال بتقديم الرجال شبههم امام الامام بحالهم خلف الامام في الصلاة ولقوله عليه الصلاة والسلام أخروهن حيث أخرهن الله . وأما من قال بتقديم النساء على الرجال فيشبه أن يكون اعتقد أن الاول هو المقدم ولم يجعل التقديم بالقرب من الامام وأما من فرق فاحتياطا من ان لا يجوز ممنوعا لانه لم ترد سنة بجواز الجمع فيحتمل أن يكون على أصل الاباحة ويحتمل ان يكون

ممنوعا بالشرع واذا وجد الاحتمال وجب التوقف اذا وجد اليه سبيلا

﴿ المسئلة السادسة ﴾

واختلفوا في الذي يفوته بعض التكبير على الجنازة في مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضي ما فاته أم لا وان قضى فهل يدعو بين التكبير أم لا فروي أشهب عن مالك انه يكبر أول دخوله وهو أحد قولي الشافعي وقال أبو حنيفة ينتظر حتي يكبر الامام وحينئذ يكبروهي رواية ابن القاسم عن مالك والقياس التكبير قياسا على من دخل في المفروضة واتفق مالك وأبو حنيفة والشافعي علي انه يقضى مافاته من التكبير الا ان أباحنيفة يري أن يدعو بين التكبير المقضى. ومالك والشافعي يريان أن يقضيه نسقا وانما اتفقوا على القضاء لعموم قوله عليه الصلاة والسلام ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فمن رأي ان هذا العموم يتناول التكبير والدعاء قال يقضى التكبير وما فاته من الدعاء ومن أخرج الدعاء من ذلك اذ كان غير مؤقت قال يقضى التكبير فقط اذ كان هو المؤقت فكان تخصيص الدعاء من ذلك العموم هو من باب تخصيص العام بالقياس فأبو حنيفة أخذ بالعموم وهؤلاء بالخصوص

﴿ المسئلة السابعة ﴾

واختلفوا في الصلاة على القبر لمن فاتته الصلاة على الجنازة . فقال مالك لا يصلى على القبر ، وقال أبو حنيفة لا يصلى علي القبر الا الولى فقط اذا فاتته الصلاة على الجنازة وكان الذي صلي عليها غير وليها . وقال الشافعي وأحمد وداود وجماعة يصلي علي القبر من فاتته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون باجازة الصلاة على القبر ان من شرط ذلك حدوث الدفن وهؤلاء اختلفوا في هذه المدة وأكثرها شهر . وسبب اختلافهم معارضة العمل للأثر . أما مخالفه العمل فان ابن القاسم قال قلت لمالك فالحديث الذي جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه صلي على قبر امرأة ، قال قد جاء هذا الحديث وليس عليه العمل والصلاة على القبر ثابتة باتفاق من أصحاب الحديث . قال أحمد بن حنبل رويت الصلاة على القبر عن النبي عليه الصلاة والسلام من طرق ستة كلها حسان وزاد بعض المحدثين ثلاثة طرق فذلك تسع . وأما البخاري

وسلم فرويا ذلك من طريق أبي هريرة وأما مالك فخرجه مرسلا عن أبي أمامة ابن سهل . وقد روي ابن وهب عن مالك مثل قول الشافعي . وأما أبو حنيفة فانه جري في ذلك على عادته فيما أحسب أعني من رد أخبار الآحاد التى تعم بها البلوي اذا لم تنتشر ولا انتشر العمل بها وذلك ان عدم الانتشار اذا كان خبرا فانه الانتشار قرينة توهن الخبر وتخرجه عن غلبة الظن بصدقه الى الشك فيه أو الى غلبة الظن بكذبه أو نسخه قال القاضي وقد تكلمنا فيما سلف من كتابنا هذا في وجه الاستدلال بالعمل وفي هذا النوع من الاستدلال الذي يسميه الحنفية عموم البلوي وقلنا انها من جنس واحد

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيمن يصلى عليه ومن أولى بالتقديم)

وأجمع أكثر أهل العلم على اجازة الصلاة على كل من قال لا اله الا الله وفي ذلك أثر أنه قال عليه الصلاة والسلام صلوا علي من قال لا اله الا الله وسواء كان من اهل الكبائر أو من أهل البدع الا ان مالكا كره لاهل الفضل الصلاة علي أهل البدع ولم ير أن يصلي الامام علي من قتله حدا . واختلفوا فيمن قتل نفسه فرأي قوم انه لا يصلي عليه وأجاز آخرون الصلاة عليه . ومن العلماء من لم يجز الصلاة علي أهل الكبائر ولا على أهل البغى والبدع ، والسبب في اختلافهم في الصلاة أما في أهل البدع فلاختلافهم في تكفيرهم ببدعهم فمن كفرهم بالتأويل البعيد لم يجز الصلاة عليهم ومن لم يكفرهم اذ كان الكفر عنده انما هو تكذيب الرسول لا تأويل اقواله عليه الصلاة والسلام قال الصلاة عليهم جائزة وانما اجمع المسلمون على ترك الصلاة علي المنافقين مع تلفظهم بالشهادة لقوله تعالى (ولا تصل علي احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) الآية واما اختلافهم في اهل الكبائر فليس يمكن ان يكون له سبب الا من جهة اختلافهم فى القول بالتكفير بالذنوب لكن ليس هذا مذهب اهل السنة فلذلك ليس ينبغي ان يمنع الفقهاء الصلاة علي اهل الكبائر واما كراهية مالك الصلاة علي اهل البدع فذلك لمكان الزجر والعقوبة لهم وانما لم ير مالك صلاة الامام علي من قتله حدا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل

علي ما عز ولم ينه عن الصلاة عليه خرجه ابو داود وانما اختلفوا في الصلاة على من قتل نفسه لحديث جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي ان يصلي على رجل قتل نفسه . فمن صحح هذا الأثر قال لا يصلى علي قاتل نفسه ومن لم يصححه رأي ان حكمه حكم المسلمين وان كان من اهل النار كما ورد به الأثر لكن ليس هو من المخلدين لكونه من اهل الايمان وقد قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه اخرجوا من النار من فى قلبه مثقال حبة من الايمان. واختلفوا ايضا في الصلاة علي الشهداء المقتولين في المعركة فقال مالك والشافعي لا يصلى علي الشهيد المقتول في المعركة ولا يغسل وقال أبو حنيفة يصلي عليه ولا يغسل . وسبب اختلافهم اختلاف الآثار الواردة في ذلك . وذلك انه خرج أبو داود من طريق جابر انه صلى الله عليه وسلم أمر بشهداء أُحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا . وروي من طريق ابن عباس مسندا انه عليه الصلاة والسلام صلي على قتلي أحد وعلى حمزة ولم يغسل ولم يمم . وروي ايضاً ذلك مرسلا من حديث أبي مالك الغفاري

وكذلك روي ايضاً ان اعرابيا جاءه سهم فوقع في حلقه فمات فصلي النبي صلى الله عليه وسلم عليه وقال ان هذا عبدك خرج مجاهدا في سبيلك فقتل شهيدا وانا شهيد عليه. وكلا الفريقين يرجح الاحاديث التى أخذ بها وكانت الشافعية تعتل بحديث ابن عباس هذا وتقول يرويه ابن أبي الزناد وكان قد اختل آخر عمره وقد كان شعبة يطعن فيه . وأما المراسيل فليست عندهم بحجة . واختلفوا متي يصلي على الطفل ، فقال مالك لا يصلى على الطفل حتي يستهل صارخا و به قال الشافعي وقال ابو حنيفة يصلى عليه اذا نفخ فيه الروح وذلك اذا كان له فى بطن أمه أربعة أشهر فأكثر و به قال ابن أبي ليلى . وسبب اختلافهم في ذلك معارضة المطلق المقيد وذلك انه روي الترمذي عن جابر ابن عبدالله عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال الطفل لا يصلي عليه ولا يرث ولا يورث حتي يستهل صارخا . وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث المغيرة بن شعبة أنه قال الطفل يصلي عليه فمن ذهب مذهب حديث جابر قال ذلك عام وهذا مفسر فالواجب أن يحمل ذلك

العموم على هـذا التفسـير فيكون معني حديث المغيرة ان الطفل يصلى عليه اذا استهل صارخا ومن ذهب مذهب حديث المغيرة قال معلوم ان المعتبر فى الصلاة هو حكم الاسلام والحياة والطفل اذا تحرك فهو حي وحكمه حكم المسلمين وكل مسلم حي اذا مات صلي عليه فرجحوا هـذا العموم على ذلك الخصوص لموضع موافقة القياس له ومن الناس من شـذ وقال لا يصلي علي الاطفال أصلا وروي أبو داود ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يصل على ابنه ابراهيم وهو ابن ثمانيـة اشهر وروي فيه انه صلي عليه وهو ابن سـبعين ليلة واختلفوا فى الصلاة على الاطفال المسبيين فذهب مالك فى رواية البصريين عنـه ان الطفل من أولاد الحربيين لا يصـلى عليه حتى يعقل الاسلام سواء سبي مـع أبو يه أولم يسب معهما وان حكمه حـكم أبو يه الا ان يسلم الأب فهو تابع له دون الأم ووافقه الشافعى علي هذا الا انه ان أسلم أحد أبو يه فهو عنده تابع لمن أسـلم منهما لا للاب وحده على ما ذهب اليه مالك وقال ابو حنيفة يصلى على الاطفال المسبيين وحكمهم حكم من سـباهم وقال

الأوزاعي اذا ملكهم المسلمون صلى عليهم يعني اذا بيعوا فى السبي قال وبهذا جري العمل في الثغر و به الفتيا فيه وأجمعوا على انه اذا كانوا مع آبائهم ولم يملكهم مسلم ولا أسلم أحد أبو يهم ان حـكمهم حـكم آبائهم . والسبب في اختلافهم اختـلافهم في أطفال المشركين هل هم من أهل الجنة أو من أهل النار وذلك انه جاء في بعض الآثار انهم من آبائهم أي ان حـكمهم حكم آبائهم ودليل قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد عـلي الفطرة ان حكمهم حكم المؤمنين

وأما من أولي بالتقديم للصلاة علي الجنـازة فقيل الولى وقيل الوالي فمن قال الوالى شبهه بصلاة الجمعـة من حيث هي صلاة جماعة ومن قال الولىّ شبهها بسائر الحقوق التى الوليّ بها أحق مثل مواراته ودفنه وأ كثر أهل العـلم على ان الوالي بها أحق قال أبو بكو بن المنذر وقـدم الحسين بن على سـعيد بنّ العاصي وهو والي المدينة ليصلي على الحسن بن علي وقال لولا انها سنة ماتقدمت قال أبو بكر و به اقول . وا كثر العلماء على انه لا يصلي الا علي الحاضر وقال بعضهم يصلي على

الغائب لحديث النجاشي والجمهور علي ان ذلك خاص بالنجاشي وحده واختلفوا هل يصلي على بعض الجسد والجمهور علي انه يصلى علي اكثره لتناول اسم الميت له ومن قال انه يصلي علي أقله قال لان حرمة البعض كحرمة الكل لاسيما ان كان ذلك البعض محل الحياة وكان ممن يجيز الصلاة على الغائب

﴿ الفصلى الثالث ﴾

(فى في وقت الصلاة على الجنازة)

واختلفوا في الوقت الذي تجوز فيه الصلاة على الجنازة فقال قوم لا يصلى عليها في الاوقات الثلاثة التي ورد النهي عن الصلاة فيها وهي وقت الغروب والطلوع وزوال الشمس على ظاهر حديث عقبة بن عامر ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيها وأن نقبر موتانا الحديث . وقال قوم لا يصلى في الغروب والطلوع فقط ويصلي بعد العصر مالم تصفر الشمس وبعد الصبح مالم يكن الاسفار . وقال قوم لا يصلى على الجنازة في الاقات الخمسة التي ورد النهي عن الصلاة فيها وبه قال عطاء والنخعي وغيرهم وهو قياس قول أبي حنيفة . وقال الشافعي يصلى على الجنازة في كل وقت لان النهى عنده انما هو خارج على النوافل لا على السنن علي ماتقدم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في مواضع الصلاة)

واختلفوا في الصلاة على الجنازة في المسجد فأجازها اكثر العلماء وكرهها بعضهم . منهم أبو حنيفة و بعض أصحاب مالك . وقد روي كراهة ذلك عن مالك وتحقيقه اذا كانت الجنازة خارج المسجد والناس في المسجد . وسبب الخلاف في ذلك حديث عائشة وحديث أبي هريرة أما حديث عائشة فما رواه مالك من انها أمرت أن يمر عليها بسعد بن أبي وقاص في المسجد حين مات لتدعو له فأنكر الناس عليها ذلك فقالت عائشة ما اسرع ما نسى الناس ما صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي سهل بن بيضاء الا في المسجد . وأما حديث أبي هريرة فهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلي على جنازة في المسجد فلا شيء له وحديث عائشة ثابت وحديث ابي هريرة غير ثابت أو غير متفق علي ثبوته لكن انكار

الصحابة على عائشة يدل على اشتهار العمل بخلاف ذلك عندهم ويشهد لذلك بروزه صلى الله عليه وسلم للمصلى لصلاته على النجاشي وقد زعم بعضهم أن سبب المنع في ذلك هو ان ميت بني آدم ميتة وفيه ضعف لأن حكم الميتة شرعي ولا يثبت لابن آدم حكم الميتة الا بدليل وكره بعضهم الصلاة على الجنائز في المقابر للنهي الوارد عن الصلاة فيها واجازها الأكثر لعموم قوله عليه الصلاة والسلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى شروط الصلاة على الجنازة)

واتفق الاكثر على أن من شرطها القبلة واختلفوا في جواز التيمم لها اذا خيف فواتها فقال قوم يتيمم ويصلي لها اذا خاف الفوات وبه قال أبو حنيفة وسفيان والاوزاعي وجماعة وقال مالك والشافعي وأحمد لا يصلى عليها بتيمم . وسبب اختلافهم قياسها في ذلك على الصلاة المفروضة فمن شبهها بها أجاز التيمم أعني من شبه ذهاب الوقت بفوات الصلاة على الجنازة ومن لم يشبهها بها لم يجز التيمم لأنها عنده من فروض الكفاية أو من سنن الكفاية على اختلافهم في ذلك وشذ قوم فقالوا يجوز أن يصلي على الجنازة بغير طهارة وهو قول الشعبي وهؤلاء ظنوا ان اسم الصلاة لا يتناول صلاة الجنازة وانما يتناولها اسم الدعاء اذ كان ليس فيها ركوع ولا سجود

﴿ الباب السادس ﴾

(فى الدفن)

وأجمعوا على وجوب الدفن والاصل فيه قوله تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض) وكره مالك والشافعى تجصيص القبور واجاز ذلك ابو حنيفة وكذلك كره قوم القعود عليها وقوم اجازوا ذلك وتأولوا النهي عن ذلك انه القعود عليها لحاجة الانسان والآثار الواردة في النهي عن ذلك منها حديث جابر بن عبد الله قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة عليها والجلوس عليها والبناء عليها ومنها حديث عمرو بن حزم قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر فقال انزل عن القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك . واحتج من اجاز القعود على القبر بما روي عن

زيد بن ثابت انه قال انما نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الجلوس على القبور لحدث غائط أو بول . قالوا ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس علي قبر يبول اليه أو يتغوط فكأنما جلس علي جمرة نار . والي هذا ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي اه

﴿ المورفين ﴾ هوجوهر أزوتي قلوي يستخلص من محلول الخلاصة المائية الافيون . أو يقال هو قاعدة تستخرج من بعض النباتات الخشخاشية تكون حاصلة على خواص الافيون القوية الفعل فتوجد في الافيون وفي خلاصة الخشخاش متحدة بحمض الميكونيك . اكتشف سنة (١٦٨٨) ولكنه لم يشرح شرحا وافيا الا في سنة (١٨٠٤) في رسالة قدمها العالم (سيجن) لمجمع العلماء الفرنسي . ثم احسن درسه العالم (سرتونير) وهو أول من اكد قلويته الخاصة

وقد بحث عنه في خلاصة الخشخاش الاوربي فلم يوجد . ووجده العالم (وكاين) وسواه في حقاق الخشخاش الاسود والابيض حتى استخرجوا من الاوقية منها عشر قمحات منه

وعلم من تحليل الكيماوي الانجليزي (انيل) ان الافيون الشرقي يحتوي على المورفين على نحو ١ على ١٤ من وزنه ويحتوي الافيون البلدي أي الاوروبي على ١٠ على ٢١ ويكون فيه متحدا بحمض الميكونيك

(صفاته الطبيعية) اذا كان المورفين نقيا كان ابرا منشورية شفافة ذوات مسطحات أربعة مقطوعة بانحراف أو غير ذلك ولا رائحة له ولا طعم بسبب عدم قابليته للذوبان . ولكنه اذا أذيب كان محلوله شديد المرارة وهو لا يتغير من الهواء ولكن يتشرب منه الحمض الكربوني

(صفاته الكيماوية) هو على رأي بلتييرودوماس مركب من ٧٢٫٠٢ من الكربون و٥٫٥٣ من الازوت و ٧٫٠١ من الادروجين و١٤٫٠١ من الاوكسيجين وكل ١٠٠ منه تحتوي على ٦ وثلث من الماء وهو لا يكاد يذوب في الماء البارد ولا في الأتير وأما الماء المغلى فيذيب من وزنه ١ من ٩٣ ويتبلور منه بالتبريد وهو

يذوب في ٤٠ غراما من الكؤول البارد الخالى من الماء وفى ٣٠ غراما من الكؤول المغلى الخالي أيضاً من الماء ويذوب في الزيوت الشحمية والطيارة ومحلوله الكؤولى يخضر شراب البنفسج ويحمر الكركم ويذوب المرفين ايضا في القلويات الكاوية وأوضح صفاته هو انه يذوب في الحمض النـتري ويحمره بحمرة كحمرة الدم لكن ليس هذا وصفا خاصا به لأن مثله في ذلك البروسيين والاستركنين لكن علي حسب تجربيات سيرولاس يكون الحمض يوديك هو الجوهر الكشاف له لانه يتحلل تركيبه به وباملاحه فيأخذ اكسيجينه ويجعل اليود خالصا يتضح وجوده بواسطة جليدية النشا ويتصاعد رائحة يودية شديدة مع تلون الحمض بالحمرة المسمرة والصبغة الكؤولية للعفص ترسب المرفين من جميع محلولاته ولو في الماء وان كان ذوبانه فيه يسيرا . واذا خلط المرفين بملح حديديّ كثير الاوكسيجينية ككبريتات الحديد فان المخلوط يكتسب لونا جميلا أزرق يزول اذا أضيف له مقدار مفرط من حمض . ويظهر اذا حصل الشبع وينتج من هذا التفاعل كما قال بلتيير كبريتات المرفين ومرفيت الحديد ويتحد هذا الجوهر بالحوامض فتتكون منه أملاح وتحت املاح وأغلبها قابل للتبلور وكلها سمية ويتحلل تركيبها بالقلويات المعدنية وبموجب ذلك لا تجمع معها

(تحضير المورفين) يلزم قبل تحضيره أن يختار أفيونها ولا بأس أن يؤخذ أفيون ازمير أو القسطنطينية وأحسن من ذلك الأفيون النقي الخالي من الغش اذا وجد ومن اللازم تجربته تجربة كيماوية ليتحقق المقدار الذي فيه من المرفين فاذا حصل من محلول الأفيون راسب أبيض كثير بروح النوشادر رجي جودة الناتج وهناك طرق كثيرة لتحضيره وطريقة الدستور هي المختارة وهي في الحقيقة طريقة سرطرنير فيؤخذ من الأفيون الخام ١٠٠٠ غرام ومن روح النوشادر السائل مقدار كاف فينزح من الأفيون بالماء البارد جميع أجزائه القابلة للذوبان فيه ويفعل مثل هذا العلاج ٤ مرات مع كونه يستعمل في كل مرة عشرة غرامات من الماء بجزء من الافيون فذلك كاف اذا انتبه لنقع الافيون مدة ساعات وهرسه باليدين ثم يرشح السوائل وتبخر لترجع لربع حجمها

فحينئذ يضاف لها من روح النوشادر مقدار يصير به السائل قلويا محسوسا ثم يغلى مدة دقائق مع كونه محفوظا دائما فيه مقدار مفرط يسيرا من روح النوشادر فبالتبريد يرسب المرفين الذي لم يزل ملونا وغير نقيّ على هيئة بلورات محببة تغسل بالماء البارد ويحوّل هذا المرفين الملوّن الى مسحوق وينقع في الكؤول الذي في ٢٤ درجة من مقياس كرتيير أي ٦٥ من مقياس جيلوساك وبعد ١٢ ساعة من النقع يصفى عنه السائل الكؤولى ثم يذاب في الكؤول المغلي الذي في ٢٣ درجة من مقياس كرتيير أي ٨٥ من مقياس جيلوساك فالمرفين الباقي يكون قد زال سابقا جزء عظيم من لونه بالكؤول البارد فيضاف للمحلول قليل من الفحم الحيواني ويرشح فالمرفين يتبلور بالتبريد الي أبر عديمة اللون وبيان ذلك انه اذا عولج الأفيون بالماء البارد أذاب ذلك الماء املاح المرفين والقودئين وجزأ من النركوتين وأما القواعد الاخر فلا تقبل الاذابة ولا توجد فيه مع أن بعضا منها ينجذب معه بمساعدة القواعد القابلة للأذابة فاذا عولج السائل بروح النوشادر فان ذلك الروح يرسب المرفين

مع النركوتين ويتكون منه مع الحمض ميكونيك وكبريتيك أملاح قابلة للأذابة ويترك في مياه الأم القودئين في حالة ملح مزدوج قاعدته روح النوشادر والقودئين ثم الطيبئين والنرسئين والميكونين كالمواد الخلاصية والملوّنة والصمغية ثم ان المورفين اذا رسب يجذب معه الملونة والنركوتين الذي يصحبه بمقدار يختلف عظمه فى كل علاج ويكون على شكل راسب محبب لان الراسب يحصل على الحار فيوضع مقدار مفرط من النوشادر وليؤكد رسوب جميع المورفين ثم يغلي لاجل طرد هذا المقدار المفرط من روح النوشادر الذي يذيب جزأ يسيرا من المورفين يبقي فى مياه الام اذا لم يطرد القدار المفرط من القلوي وغاية العلاج الاول الكؤلى فصل المورفين عن المادة الملونة ويستعمل الكؤل الذي فى ٢٤ درجة من الكثافة لاجل أن لا يذوب الا أدني مقدار من المورفين حسب الامكان وغاية العلاج بالكؤول القوي هو فصل المورفين عن المواد الغير القابلة للاذابة فى هذا الحامل وقد يصحبه في سير العملية والمورفين المنال بذلك

يحتوي دائما علي النركوتين وأحسن الوسائط لاخلائه منه هو أن يعالج بالاتير الذي يذيب النركوتين وقليلا جدا من المورفين والاحسن أن يكوّن ملح مرفيني ويرسب بمقدار مفرط من البوطاس الكاوي فهذا يرسب اولا القاعدتين ولكن المقدار المفرط يذيب المورفين ويترك النركوتين غير مذاب فاذا فصل هذا بالترشيح ثم اشبع السائل بحمض يذيب البوطاس والمورفين ثم صبّ عليه روح النوشادر فان المورفين يرسب حينئذ خاليا عن النركوتين فاذا اجتني الراسب بعد غسله ثم جفف نيل بذلك المورفين نقيا .وقد تنوعت طرق تحضير المورفين تنوعاعظيما فروبكيت أبدل روح النوشادر بالمغنيسيا وأوصى بعضهم بتقسيم النوشادر اللازم لترسيب المورفين الى مقدارين فنتيجة الأول فصل المادة النلدفية التى لا تحتوي احتواء محسوسا على المورفين وبعضهم عرض مذاب الأفيون الي تخمير كؤولى وبعضهم عالج الافيون بالماء المحمض بالحمض ادروكلوريك ونقي السوائل بالفحم الحيواني ويمكن انالة المورفين بدون استعمال الكؤول وبعضهم صير المورفين كبريتاتيا وأزال لون الملح القابل للذوبان بالفحم الحيواني وبعضهم أخذ الصبغة الكؤلية المصنوعة من خلاصة الأفيون مقداراً من روح النوشادر ثم تركها ساكنة فبعد زمن مّا توجد جدران الاناء وعمقه مغطاة ببلورات غليظة من المورفين

(التأثير والاستعمال) المورفين يؤثر علي البنية الحيوانية تأثيراً مخدراً واضحا جدا اذ هو القاعدة القوية الفعالة للافيون وفيها منافعه بدون حصول أخطار منها كما قال ماجندي وما يقال في تلك القاعدة يقال مثله في أملاحها التي تتكوّن منها ومن الحوامض ولقلة ذوبانها في الماء لم تستعمل الا في تلك الاحوال الاتحادية فلا يستعمل وحده غالبا وانما المستعمل أملاحها

وعلى رأي بالى هذا المورفين هو منشأ خواصها وليس أقل خاصية منها فيمكن انه يعطي مثلها في نفس الاحوال وبنفس المقادير أعني في الاحوال التى يعطي فيها الافيون وفي الاختصار يظهر ان المورفين وأملاحه ممتعة بخواص واحدة وبدرجة واحدة تقريبا فلنقتصر هنا على ذكر الاستحضار والصفات لتلك الاملاح

(أملاح المورفين) هذه الاملاح يحصل فيها التفاعلات التي تحصل في المورفين بالحمض نتريك والحمض يوديك وأملاح الحديد الكثيرة الاوكسيجينية ومعظمها قابل للتبلور وطعمها مر ويرسب فيها راسب بالكربونات القلوية ويذوب هذا الراسب بالمقدار المفرط من القلويات الكاوية ويرسب فيها راسب بالعفص والراسب يذوب ثانيا بالحوامض ويرسب فيها من يودور البوطاسيوم اليودوري راسب أسمر والراسب يتحول الي صفائح جميلة ارجوانية والمستعمل من تلك الاملاح في الطب هو ادروكاورات وكبريتات وخلات وسترات أي ليمونات المورفين

(الاول خلات المورفين) هو ملح متعادل ينتج من تأثير الحمض الخلي علي المورفين

(صفاته الطبيعية) هو أبيض عديم الرائحة وطعمه شديد المرار وقابل جدا لتشرب الرطوبة وعسر التبلور ومع ذلك يمكن انالته كتلا مبلورة مكونة من ابر بهيئة أشعة متباعدة عن بعضها

(صفاته الكيماوية) هو شديد الذوبان في الماء واذا سخن بقوة تحلل تركيبه وانتشرت منه رائحة مخصوصة كريهة جدا واذا عولج بالحمض الكبريتي الممدود حصل منه بخار الحمض الخلي وبالجملة هو يحتوي على الخواص الاخر للمورفين

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الخلي مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ويداف في مقدار يسير من الماء الحار ثم يصب عليه المقدار المراد اذابته فيه من الحمض الخلي ثم يبخر الكل علي حرارة هادئة الى الجفاف ثم تسحق الكتلة الباقية برستج من زجاج أي يد هاون زجاجية مسخنة قليلا ويحفظ المسحوق في قنينة جيدة الجفاف وجيدة السد

(الاستعمال) أول من جرب استعمال هذا الملح ماجندي وذكر أنه أحسن من كبريتيك المورفين الذي هو أحسن من مرياته أي ادروكاوراته مع ان هذا مشكوك فيه الآن وبالجملة خواصه كخواص المورفين ولكنه يؤثر بقوة أسرع منه بسبب قابليته للذوبان وهو الآن كثير الاستعمال في الاحوال

التي تستعمل فيها الافيون ومركباته

(الثاني كبريتات المورفين) هو ملح ناتج من فعل الحمض الكبريتي الضعيف على المرفين

(صفاته الطبيعية) هو يتبلور الي ابر منضمة ببعضها على هيئة شوش حريرية ولا يتغير من الهواء وهو عديم الرائحة وطعمه شديد المرار

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ١٠٠ غرام من المورفين و ١٢٫٤٦ من الحمض الكبريتي وذلك ماء التبلور وهو قابل للذوبان في مقدار وزنه مرتين من الماء المقطر المغلي ويسهل تحليل تركيبه بفعل النار ويكتسب بذلك لونا أحمر بنفسجيا ويصح أن يتحد بمقدار جديد من الحمض ليتكون من ذلك بيكبريتات وكل ١٠٠ من الكبريتات تحتوي على ٢٠ غراما من القاعدة و بمثل ذلك تقريبا من ماء التبلور فلا يكون المرفين فيه الا بمقدار ٣ على ٥ تقريبا

(الاجسام التى لاتتوافق معه) أغلب الاكاسيد المعدنية

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الكبريتي مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ثم يداف في مقدار يسير من الماء الحار ثم يضاف له من الحمض الكبريتى الممدود مثله ٣ مرات أو ٤ من الماء المقدار اللازم لاذابة المورفين ويبخر السائل علي حرارة لطيفة حتى يكتسب قوام الشراب الصافى ثم يوضع في محل رطب مدة ٢٤ ساعة أو ٣٦ فكبريتات المورفين يتبلور الى الابر الحريرية البيض المعتمة والغالب انها تنضم الى نجوم أو الى كتل حلمية فتترك لتنقط وتجفف بين ورقتين من أوراق الكورونة فى درجة حرارة من ٢٤ الى ٣٦

(الاستعمال) يستعمل فيه الخلات وفضله بالتمييز على الخلات لسهولة تبلوره وانالته نقيا ولذلك كثر الآن استعماله في بلاد الانكليز والامريكان وفضله علي علي بقية أملاح المورفين جيرار الذي هو من جملة المجربين لمستحضرات تلك القاعدة

(الثالث ليمونات المورفين) الانجليزيون والامريكيون يستعملون هذا الملح كثيرا و يسمونه بالقطرات السود و يركبونه من حمض نباتي غير نقي (حمض ليموني أو خلي) وأفيون وقاعدة عطرية

وعسل أوسكر ويظن أن فيه الخواص الوحيدة المسكنة للافيون وسائل ليمونات المورفين للطبيب برتير مكون من ٤ اوقيات من الافيون الخام و ٢ من الحمض الليموني المبلور محلولة في لتر من الماء المغلى ثم يرشح بعد ٢٤ ساعة من نقعه ويقال ان فيه نفس منافع الافيون أعني اللودنوم بسرعة تأثيره أي في ١٠ دقائق ومع ذلك عده بعض الاطباء أقل فاعلية من الافيون في الدوسنطاريا وذلك المستحضر يحتوي على النركوتين ومقدار مفرط من الحمض وليس في الحقيقة ملحا حقيقيا وأراد ماجندي ابداله بليمونات نقية مركبة من ١٦ قمحة من المورفين و ٨ قمحات من الحمض الليموني المبلور وأوقية من الماء المقطر الذي يتلون قليلا بيسير من الدودة ويكون ذلك أكثر سكينا بمقدار من ٦ نقط الي ٢٤ نقطة وسمى ذلك بالنقط الوردية

(الرابع ادرو كاورات المورفين)

هو ملح أكثر ذوبانا في الماء من كبريتات المورفين ويذوب أيضا في الكؤول ويتبلور الي ابر مشععة شديدة المرار وكما يذوب جيدا في الماء يذوب في الكؤول ولكن استعماله في الطب قليل وان كان شبيها بالكبريتات كما هو قريب للعقل ومع ذلك خواصه كخواص الخلاصة الكثيرة الاستعمال الآن ومقاديره مثله

(وأما ميكونات المورفين) فظن سوطرنير الذي يعتبر النركوتين تحت ميكرونات المرفين أن هذا الملح قابل للتبلور وقليل الذوبان في الماء ولكن أثبت بالتجريبات روبكيت لذي هو أول من حقق وجود قاعدتين مبلورتين متميزتين عن بعضهما في الافيون وهما النركوتين والمورفين خلاف ذلك أي أن هذا الملح كثير الذوبان في الماء وغير قابل للتبلور وهو يتلون محلول ببروكسيد الحديد بالحمرة الشديدة واليه ينسب عموما خواص الافيون وبالجملة انه الى الآن غير مستعمل في الطب

(النتائج الصحية للمورفين وأملاحه)

قد كان المورفين معروفا قديما بأنه عديم الفعل واذا كان في حالة ماحية كان مهيجا ولكن كان في ذلك الزمن غير نقي أي مخلوطا بكثير من النركوتين وأما الآن فقد علم انه هو القاعدة المسكنة والمخدرة

التي في الافيون ومع ذلك لاتنسب له وحده الخواص الفعالة التي في تلك الخلاصة كما كان يظن سابقا وعورض ذلك بمناقضات كثيرة ويكفي لنقض ذلك مايشاهد من أن المرفين الذي هو كما سبق ١ علي ١٤ تقريبا من الافيون يكون أقوي فاعلية بمرتين أو ٣ من الخلاصة المائية للافيون حتى ان أورفيلا ساوي بين فعل الاملاح الذائبة للمرفين وفعل هذه الخلاصة. وأما بالي فجعل نسبة فعل المرفين للافيون الخام كنسبة أربعة لواحد . ومهما كان ينبغى أن تنسب خواص هذا الافيون لملح المرفين الذي هو قاعدة ديرزن وللمادة المخدرة التى يحتوي عليها الافيون وتتصاعد منه اذا قطر مع الماء وبموجب ذلك يكون فعل الافيون ناتجا من اجتماع فعل هذين معا وأول من جرب بفرنسا أملاح المرفين ماجندي فوجد فيها جميع منافع الافيون بدون اخطار أصلا وشاهد متابعوه انها اذا أعطيت بمقدار يسير لم تنتج طلاء عجينا علي اللسان ولا قطعا للمواد المندفعة ولا عرقا ولا صداعا ولا امساكا مستعصيا وكثيرا ماتتحملها المرضي جيدا

مع ان الافيون يؤذيهم بل اعتبر بعضهم خلات المرفين أحسن من الافيون للمسلولين اذا كان قطعه قليل الاهتمام أي لايخاف منه لان العادة أن يبدل العرق بالاسهال. وأما سندراس فاستنتج من مشاهداته ان المرفين لا يرجح علي الافيون وفيه دائما الاخطار التى فيه ولا نقول شيأ في الخاصة التي نسبها بلمان لخلات المرفين من كونه معدلا لليود وأسس ذلك علي مشاهدة امرأة مصابة بغدة استيروسية ثديية واحتقان في الرحم ووجدت ضررا من استعمال اليود وحده باستعمال مرهم مكون من أوقية من الشحم الحلو و ٦ قمحات من أول يودور الزئبق و ٨ قمحات من خلات المرفين وربما أيد ذلك أمر واقعى للطبيب جردنير وهو ان آفة تشنجية شديدة الثقل في المعدة والامعاء نشأت من استعمال غير قانوني لليود وشفيت من تأثير خلات المرفين وهناك مشاهدات تفيد أن هذا الجوهر مضاد للتسمم بجوز القيء بحيث ان قمحتين من هذا الملح وضعتا على محل نفاطة فأزالتا عوارض تيتنوسية نتجت من ذلك الجوز ولكن لانعوّل

على النتائج العامة التي شاهدها بالي من المرفين وأملاحه حيث أعطاهما بدون تمييز بينهما لا كثر من الف مريض وذكر ان هذه النتائج غير منازع فيها ومجردة من العوارض التى قد تنشأ من المقادير الزائدة عن العادة وعن التنوعات التى قد تتولد من الاستعدادات وطبيعة الامراض وتلك النتائج هي التأثرات الدوائية الحقيقية للمرفين فعلى رأي هذا الطبيب لاينتج المرفين أصلا جفافا في الفم ولا طلاء على اللسان ولا حرافة في الحلق ولا عطشا ولا تكدراً في الهضم ولو هييج المعدة كما يحصل كثيراً و يعلن بهذا التهييج جشاء وغثيان وأوجاع في القسم المعدي ثم قيء من مواد خضراء كراثية دائما وذلك يحوج لنقص مقدار الدواء أو قطع استعماله بالكلية. وفعله المقىء أوضح من فعل الافيون فقد يكفي لذلك قمحة في الابتداء وقمحتان يعطيان بعض أيام وهو يسبب الامساك أولا وكثيرا مايعرض بعد ذلك فيضان اسهالي وقتي وكثيرا ماتشاهد قولنجات كثيرة المدة وقد يعرض لكن على سبيل الندرة عسر بول بل احتباسه لكن بدون تغير فيه

ولا يحصل ذلك للنساء أصلا وذلك يحمل علي ظن أن سبب ذلك في البروستتا لا في عنق المثانة وأما الاعضاء الصدرية فلا تتأثر من المرفين بل كونه مسكنا لمجموعه الشرياني أولي من كونه منبها له وقد يبطئ النبض ولا يتحرض منه بواسير وليس مدرا للطمث ولا ينبه نزيفا ولا عرقا ولا يزيد في الحرارة الموضعية أو العامة ولا يحدث تكدرا في التنفس ولا يسكن السعال تسكينا كافيا وربما نفع الربو العصبي ولا يشاهد من تأثيره تلون ولا حرارة فى الوجه وان كانت الأعين أكثر لمانا ولا اعراض اختناق وانما يعرض بعد بعض ايام أكلان عام أو جزئي في الجلد يصحبه اندفاع ازرار صغيرة مخروطية قليلة البروز تارة حمراء وتارة عديمة اللون وتلك الظاهرة أي الأكلان مستدامة وتشاهد أحيانا مع الافيون ولا تشاهد أصلا مع النركوتين ونتائج المرفين وأملاحه على المخ هي العظيمة الاعتبار فمقدار من ثمن الى ربع من القمحة قد يحرض النوم ولاسيما فى الفصول الممطرة ويندر أن يكون هذا النوم هادئا ولكن أغلب الاطباء لم يوافقوا بالي علي ذلك

فاذا زيد المقدار نبه المخ وساعد على السكتة وعلى الانزفة المخية فليس المرفين في الحقيقة مسبتا لأن النعاس الذي يسببه كثيرا ما تصحبه ظاهرات تنبه كسدر ودوار واحلام مفزعة ورؤية شرر وظلمة في العينين ودوي في الاذنين وانزعاج فجائي مع حس لغط في الرأس وتعرض تلك النتائج سريعا وتنقطع بنفسها فاذا زيد في المقدار أكثر مما سبق ظهرت أيضاً ظاهرات غريبة وهي نعاس يقظي أو سبات وعدم انتظام في المشى واهتزازات واضطرابات كاضطرابات الكهربائية واختلاط في الحواس ونحو ذلك ومع هذا لا يحصل هذيان حقيقي ولا تغير فى القوي العقلية وسوي ذلك خدر وضعف عضلى بدون عاهة في الحساسية وارتعاش وكثيرا ما يظلم الابصار وتنقبض الحدقة بحسب مقدار الدواء وتلك صفة مخصوصة بهذا السم النباتي ولا تفقد الا نادرا ويحصل عكس ذلك في الحيوانات على حسب تجريبات اورفيلا وماجندي ودبوي فاذا أعطى الدواء حقنة انتج بحسب الظاهر اتساع الحدقة وهذه الظاهرات المذكورة التي هي أثر الفعل الفسيولوجي للمرفين

المستعمل في حالة المرض إما أن تكون موضعية أي حصلت بالمباشرة كالغثيان والقيء ونحو ذلك وإما أن تكون ناشئة من السنباتيا أي الاشتراك أو الامتصاص كاحتباس البول والأكلان والاعراض المخية وحقق اورفيلا من تجريباته أن المرفين النقي اذا أدخل وهو صلب في معدة الانسان أثر بقوة كتأثير خلات المرفين ورأي أنه يتحول الى ملح يذوب باتحاده مع الحوامض الموجودة في تجويف المعدة وعلم من الظاهرات أنه مشابه تقريبا الافيون في أفعاله فيسبب تغيرات في المخ وفي النخاعين ونتائج الخلات والكبريتات لا تختلف في كل ذلك عن نتائج الافيون ويشتد تأثيرها على المخ اذا كان فيه تهيج أو التهاب أو كان مجلسا لتيبس جزئي أو انصباب دموي أو نحو ذلك كما تختلف أيضاً تلك النتائج اذا كان في عضو مهم من الجسم آفة مرضية كما شوهد في امرأة مصابة بآفة في الرحم انه كان يحصل لها من استعمال قمحتين الى ٤٠ قمحة في اليوم من هذا الخلات اشتداد في الاعراض الرحمية مع قلس كريه ثم نعاس مع احلام رديئة وتظن أنها

سقطت من السماء للارض وتصير في حالة سكر مع دوار وقيء ولا تستشعر بالآلام التى كانت مع دائها القديم لأنها مستورة بتكدر المخ ولا تنس أن فعل الافيون على الجسم الحى يكون بقوتين متضادتين احداهما منبهة والأخري مسبتة وهنا كذلك فمن تأثير المنبهة تحصل نتائج التنبيه كامتلاء النبض وتلون الوجه والحركات التشنجية والقيء والعرق والاندفاع الجلدي ومن تأثير القوة المسبتة يحصل النوم والهبوط والخدر وعدم الاستشعار بالألم و بالجملة فالمرفين يحصل منه علي حسب المقدار المستعمل جميع النتائج التي يمكن أن تحصل من عصارة الخشخاش أعني نتائج مسكنة فقط ونتائج مسكنة مخلوطة بنتائج منبهة بحسب الظاهر ونتائج منبهة فقط بدون حصول شيء من النتائج الأخر وسيأتي لنا أن النركوتين يؤثر في المراكز العصبية تأثيرا مخصوصاً به فلا يكون الحاصل في تلك الاعضاء مجرد تنبه فقط فالمرفين ليس محتويا على القوة المسكنة الافيونية فقط فلا تجد فيه دائما صناعة الشفاء فاعلا توقف به حركة منخرمة أو تقطع به جذبا مؤلما أو نحو ذلك وانما المرفين كالافيون يغير الحالة الاعتيادية للمراكز العصبية وذلك التغيير يسبب ارتخاء نافعا فى المنسوجات المريضة فيبطئ الحركات وجذبات الحبيلات العصبية المولدة للألم ولكن قد يحصل مع ذلك ثقل في الرأس ودوار وأحلام وخدر واهتزازات تشنجية وقيء ونحو ذلك وتلك عوارض لاتنفك عن نقص الألم وانما هي مستنتجات مرتبطة ببعضها لايمكن انعزالها عن الفعل العضوي الواحد فاذا وضع مثلا خلات المرفين على جزء متعرّ عن البشرة نري ان تأثيره ينقسم الي زمنين ففي الزمن الأول يحصل من التأثير الموضعى الوخز والألم الشديد وحس الاحتراق الذي يحرض الصياح والبكاء من أرقاء المزاج وفي الزمن الثاني يتأثر الجهاز العصبي من امتصاص الجوهر ويبتدئ تقريبا بعد الوضع بربع ساعة أو نصف ساعة فتنتج جميع الظاهرات التي يحرضها هذا الملح اذا استعمل من الباطن ولكن نتائج الوضع من الظاهر ليست دائمة الحصول فقد لايمتص الجوهر أصلا أو لايمتص باستواء ولو فعل جميع مايساعد

علي الامتصاص ولم تعرض من ذلك ظاهرة قط يظن منها دخول الجوهر في دورة الدم بل قد يشاهد تخالف في المريض الواحد ففي يوم تظهر ظاهرات تدل على امتصاصه وفي اليوم التالى لا يظهر شئ وفي الثالث يظهر بعض ظاهرات فيتضح من ذلك أن هذا الخلات قد ينفذ في دورة الدم فيؤثر في المراكز العصبية وقد لا يمتص الا بعضه وكثيرا مالا يمتص أصلا بل يبقي علي الجلد المتعري وربما نتج من ذلك أن الوضع من الظاهر علي الادمة المتعرية غير أكيد مع أنه هو الكثير الاستعمال الآن وقد اشتهرت أمثلة للتسمم بذلك فمن ذلك امرأة عصبية استعملته مع النجاح ثم قطعت استعماله ثم عادت اليه لاعلي التدريج بعد القطع فأخذت نصف قمحة فحصل لها في الليل كله اضطراب لا سكون فظنت عدم كفاية المقدار فاستعملت في الصباح ثلاثة أرباع قمحة في مرة واحدة فبعد نصف ساعة حصلت العوارض المخية والعصبية مع تعب وعرق بارد وغشيان وقلس مخاطي وانتقاع في الوجه وسقوط في حالة عدمية ومكثت كذلك في هبوط زائد مدة ٣ أيام ولم تستعمل لذلك الا منقوعا مضادا للتشنج محمضا بعد ابتداء الاعراض بست ساعات وشوهد حصول مثل تلك الاعراض مع وضع نصف قمحة فقط من الخلات فى جرح كي. وأما ماجندي فلم يشاهد أن هذا الملح أنتج شيئا من هذه العوارض بل شك في الفعل الخطر المرفين حيث قال ان ذلك لايحصل الا بشرطين عظم المقدار جداً وعدم وجود القيء مع أن هذا ربما كان عسرا فهو يعتبر هذا الملح أقل فاعلية مما يظن عموما. ولكن تجريبات بالي تفيد غير ذلك كما علمت وأنه قد يحصل منه تأثير محزن وتقوي ذلك بمشاهدات حتي ان شفليير الاقرباذيني تجاسر وعرض نفسه لتأثير هذا الخلات ليشاهد نتائجه فاستعمله ٤ أيام متتابعة مبتدئا بربع قمحة حتي وصل الى قمحة وحصلت له الاعراض المتعبة مثل الصداع والعطش المحرق والقولنج والجذب في المعدة واتساع الحدقة وقوة النبض وتعب التنفس مع أوجاع في الصدر والبطن وطول السلسلة ونوم شاق متقطع مفزع وتكسر في الاطراف وأزرار محمرة بهيئة طفحات وفقد للقوي العقلية

وتكدر في البول ولما وصل الى ٤قمحة اشتدت تلك الاعراض وصار النوم عميقا و باجملة اذا استعملت أملاح المرفين بمقادير كبيرة أنتجت في الانسان العوارض التى يحدثها الافيون وستأتي فتسبب أولا نقصا في الفعل العضوي ثم يقف مقدار كبير من الدم في المراكز العصبية فتتكدر القوي العقلية و يحصل هذيان وانخرام فى التأثير العصبي يحرض انقباضات في العضلات فجائية وتشنجات وتيبسات في الاطراف ونو باتيتنوسية وكذلك انخرام في انقباضات القلب والحجاب الحاجز والعضلات التنفسية وذلك يحرض القيء ونحوه ثم من تراكم الدم في المخ يحصل فيه مايسمي بالاحتقان الدموي فيعرض انتقاع الوجه وانتفاخه و بطء النبض وعدم انتظامه وفقد للحس والحركة ثم حالة سكتية ثم الموت. وأكد بعضهم أن هذه الاملاح لايحصل منها في الحيوانات الا النوعان الأولان من النتائج ولا يتكون فيها الاحتقان الدموي المخى الذي يحدثه الأفيون في الانسان ولعل ذلك لهيئة تشريحية في المخ تفيد اختلافا في نتائج الأفيون اذا قوبل فيها الانسان بالحيوانات. وفى كتاب السموم لاورفيلا أن تأثير المرفين ومركباته أقل شدة علي الحيوانات من تأثيرها على الانسان وأنزل جداً من فعل الأفيون فالكلاب القوية تتحمل منها مقادير كبيرة بدون أن تموت وأما الكلاب الصغار سناً وقداً فتقتلها فى بعض ساعات ٤٠ أو ٦٠ قمحة مع أن ١٢ قمحة من الخلاصة المائية للأفيون تسبب للكلاب تسمما قويا أوربما الموت والتأثر بها يكون واحداً تقريبا سواء أدخلت في الطرق الهضمية أو في الأوردة أو في المنسوج الخلوي أو وضعت على الاعصاب أو النخاع الشوكي أو المخ واذا حلت في الكؤول كان فعلها أشد على الانسان ولعدم اعتياد الكلاب علي الكؤول يحصل لها من هذا السائل وحده نتائج مهلكة واذا فتحت الجثة لايوجد في التسمم الحاد تغير فى القناة الهضمية ولا في أعضاء أخر أما في التسمم البطيء الحاصل من ازدياد كميات خلات المرفين كل يوم فانه يوجد التهاب في القناة الهضمية المعدية خصوصا في ستة قراريط من ابتدائها و في المستقيم وتوجد جميع الاعضاء لينة ضامرة وعلاج هذا النوع

من التسمم مثل علاج التسمم بالأفيون وهو أن يدفع الجوهر بالمقيئات ثم تستعمل المشروبات المحمضة والمنقوع القوي لبن القهوة ثم المحولات والحقن المسهلة وسيما الفصد اذا كان هنـاك احتقان مخي وهو آخر علاج يفعل واعتبر ألبير الأيبكا كوانا ومطبوخ القهوة قويي الفعل جداً وأما جعل بعضهم الحمض الخلي علاجا ذاتياً لهـذا التسمم فان المشاهدات تؤيد أن ذلك في الابتداء يزيد في العوارض

(الاستعمال العـلاجي) يستعمل المرفين وأملاحه في الاحوال التي يستعمل فيها الأفيون حتي في الاحوال التي لايتحمل فيها هـذا الجوهر واختصاصها بأمراض مخصوصـة أقل من اختصاصها بالأعراض كالآلام ففي الحقيقة أكثر استعمالاتها للحساسية العصبيـة والسهر والآفات المؤلمة من جميع الانواع فهي في ذلك أنفع منه وتنال منها نتائج جيدة وأمثلة ذلك عنـد الاطباء كثيرة وسيما تجريبات بالي وماجندي وجيرار وغيرهم وأكثر استعمال المرفين وأحسن منـه أملاحـه وضعا على الادمة في الوجـه الروماتزمي المزمن والأوجاع العصبيـة المختلفة الانواع كالآلام القطنية والنسائية حيث نال بالي من استعمالها في ذلك نتائج جليلة نجاحية وبلغ بعضهم بالكميـة الى ٦ قمحات من الباطن في وجع عصبي قطني متقطع قوي الشـدة فزال بذلك حالا . واستعمل جيرار وضع الخـلات والكبريتات من الظاهر على الجلد ووجد فعلهما قويا بمقدار نصف قمحة الي قمحتين بل ٣ قمحات تزدرد من الباطن لتدخل في الطرق الاولى وشـفي كثيرا بهـذه الأدوية من الباطن أوجاع عصبية وجهية وأوجاع معـدية مزمنة ونجح استعمال الخـلات في آلام استيروس الرحم وفي الأوجاع التي تعلن في النساء بمجيء الحيض وشوهد أن مقـدارا منه من قمحتين الي ٦ قامت في النفع مقـام ٣٠ بل ٤٠ قمحة من الأفيـون فى مصـابة بسرطان رحمي مصحوب بأوجاع شديدة وأن صداعا مصحوبا بسهر شفي بمقـدار من ثمن قمحة الي قمحة. وعلى رأي ريكور انه اذا أعطي منه ربع قمحة كل ساعـة في ملعقتين من ماء سكري في ابتـداء الشقيقة فانه يقطع نوبهـا وحقق ذلك جملة من الاطباء واتفق أن مريضا كان

يحصل له عسر ازدراد مصحوب بتشنجات وفواق وفقد معرفة متى أراد أن يأكل ومكث على هذه الحالة خمسة عشر يوما فانقـاد ذلك لوضعين من نصف قمحـة من كبريتات المرفين تحت الحنجرة على الادمة المتعرية وقد ذكـرنا أن قمحتين وضعتا على نفاطة فأبرأتا تيتنوسا نتج من استعمال جوز القيء وشوهـد كثيرا شفاء تيتنوسات ناشئة من أسباب أخر كالفزع والاعمال الجراحية وشفي هـذيان مهول قوي الشدة باستعمال قمحـات قسمت أربع كميات. وبالجملة ثبت بالتجريبات نفع الخلات في آفات عصبية مختلفة وفي التهابات مزمنه في الجهاز التنفسي والهضمي وثبت فعله المسكن في الآفات المزمنـة في القلب وفي الاسـتعداد السرطاني ووجدوه أحسن من المستحضرات الأفيونيـة الأخر في الآفات النزليـة للصـدر. وشفيت أيضاً أوجاع بلوراوية بوضع نصف قمحة منه الى قمحتين على الادمة العـارية من بشرتها. ونفع أيضاً في أنورسما الاورطي الصدرية المصحوبة بآلام وسهر فسكنت تلك الاعـراض باستعماله ومدحه بعضهم في الأنزفة الرحمية وسيما المصحوبة بأوجاع في الرحم أي بعد استعمال الفصد في الأول

(المركبات الاقرباذينيـة للمرفين وأملاحه) ينبغي أن يكون مقدار المرفين وأملاحـه في الابتداء من ثمن أو ربع قمحة ونادرا نصف قمحة ويكرر حسب الحاجة مرتين أو أكثر في اليوم والاعتياد لا يزيل من التـأثير الا شيئا يسيرا كما شاهد ذلك ماجندي وبالي ولذا لا يزاد المقدار الا بعد كثير من الأيام حتى يبلغ قمحة أو قمحتين في اليـوم مع الانتباه لنتائجه. وحبوب المرفين تتكون في العادة من سنتغرام واحد أو ٢ من المرفين أو خلاته أو ادروكلوراته أو كبريتاته ويقسم هذا المقدار في كمية كافية من مادة لعابيـة ومسحوق عديم الفعل ومن حيث ان المرفين أقل ذوبانا من أملاحـه يكون تأثيره أقل شدة منها وكبريتات المرفين تسهل اذالتـه نقياً فهو المختار في العـادة ومع ذلك قد يكون من النافع تغيير تلك الأملاح بعضها ببعض اذا اعتاد المريض عليها وشراب المرفين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من شراب السكر و ٢٠ سنتغراماً من خـلات المرفين فيصنع ذلك بمقتضى

الصناعة شرابا يمكن أن يقوم مع المنفعة مقام شراب الخشخاش والمقدار منه ملعقة قهوة في كل ٣ ساعات فاذا أبدل خلات المرفين بكبريتاته نيل شراب كبريتات المرفين الذي يستعمل كما ذكر. والجرعة المضادة للوجع المعدي (سندراس) تصنع بأخذ ٤٠ غراما من الماء و٥ غرامات من السكر و١٠ سنتغرام من كاورادرات المرفين و يستعمل من ذلك ملعقة قهوة متي استشعر بالوجع و يجدد استعمال تلك الملعقة كثيرا أو قليلا على حسب شدة الوجع وثقله عند الاحتياج الى أن تفرغ الجرعة مع أن الغالب سكون الوجع وخلاص المريض من الداء بعد استعمال بعض ملاعق و بين كل ملعقة وأختها ١٠ دقائق . ومرهم المرفين يصنع بأخذ ديسيغرام واحد من كاورادرات المرفين و٦ غرامات من الشحم الحلو البلسمي يمزجان و يدلك به الجزء المتألم وهذه الواسطة مستعملة في معظم الأوجاع العصبية عند سندراس واستظهر انها اما مساعد قوي للمرفين أو قائمة مقامه في الوضع علي البشرة المتعرية ولذا حصل من استعمال هذا المرهم نجاح عظيم بوضعه علي أجزاء الوجه المتألمة بالأوجاع العصبية التي مجلسها في الزوج الخامس وكذا على مسير العصب النسوي فى أوجاعه العصبية وعلى القسم القلبي في الاوجاع العصبية التي تحصل في القلب وعلى مسير الأعصاب التى بين الاضلاع اذا كانت تلك الاعصاب مجلسا للداء وعلي القسم القدمي أو الاربي أو المعدي اذا لزم الوضع على تلك الاقسام (الخلاصة الطبية)

﴿ المورو ﴾ هو نوع من السمك يستخرج من كبده الزيت المعروف بزيت السمك وهذا الزيت لشيوعه نري أن ننقل هنا عنه ماذكرته المادة الطبية فقد جمعت فأوعت مما يهم معرفته والاطالة في هذا الموضوع خير من الايجاز :

قد يقال له أيضاً دهن كبد مورو بضم الميم والراء وهو دهن يستخرج من كبد حيوان بحري يقال له بالافرنجية مورو و باللسان الطبيعي غادوس مورو وقد يقال مرلوسيوس بكسر الميم وكما يستخرج من كبد مورو و يستخرج أيضا من كبد أنواع أخر من جنس غادوس مثل كبد السمك المسمي بالافرنجية ريه

بفتح الراء و باللسان الطبيعي رايا بستنا كا وجنس غادوس يحتوي علي أنواع كثيرة يقل الاهتمام بها في الطب وانما المهم منها فيه هـذا الحيوان المسمى مورو والنوع المسمى مرلان أي البوري المهم في المآكل وتعيش تلك الحيـوانات فى أوقيانوس متجمعة مع بعضها فتكون في البحر بهيئة قطائع وهي جـزء مهم من صيد السمك ولحمها أبيض مورق وسليمة غالبا ولذيذة فى المـأ كل والنوع الذي نحن بصـدد دهنه سمك يطول جمـلة أقدام ويسكن بالأ كثر البحر الشمالى وسيما صـخور الارض الجديدة التى هي جزيرة بامريكا الشمالية حيث يصاد بكثرة ويكون للارلنديين غذاء اعتياديا كما يكون لغيرهم من الأغـذية العظيمة النفع واذا كان طريا سمي أيضاً بالأفرنجية قابليو ويسمي بذلك عند الهولنديين وهو جيد للأ كل واذا جفف وملح كان في الغالب قشريا عسر الهضم غالبا ولكنه نافع واذا قلل ملحه ولطف بالزبد الطري ونحـوه كان قاعدة لمـآ كل فاخرة يسئل عنها. وجلده دسم لذيذ الطعم وكبده جيدة المـأ كل وكانوا سابقا يستعملون مسحوق أسنانه

والحجارة التي في رأسه بمقـدار من ١٠ قمحات الي ٣٠ كدواء ماص نافع للصرع والاسهال وسلامورته كدواء محلل ومجفف اذا وضعت من الظاهر وكملين لطيف اذا أعطيت حقنة ولكن النافع منه الآن بالنظر العلاجي دهن كبده وهو المهم لنا وكما يسمى دهن كبد السمك وهو غـير الدهن الاعتيادي للسمك الذي يغش به غيره من الأدهان

(تحضير هـذا الدهن وصفاته)

تستخرج أ كبـاد تلك الأسماك بعـد صيدها وتلقي في دنان معرضـة للشمس فيسيل منها دهن صاف قليل الرائحـة يسئل عنه في المتجر ولكن خاصته الدوائية قليلة بل معدومـة ثم يحصل في تلك الا كباد بعض تعفن وينفصل منها مقدار جـديد من دهن أسمر شفاف طعمه سمكي واذا ازدرد حـدث عنه احساس غض في عمق الحلق فهذا نوع ثان معروف أيضاً في المتجر وهو فى الطب أقوي فاعلية من الأول ويتم استخراج الدهن بالقاء هذه الا كباد المتعفنة في طنجير من مخلوط المعادن ويفصل منها بالغلي دهن ثالث اسمر فيه بعض شفافية ورائحتـه

سمكية كريهة شياطية وطعمه حريف قوي وهذا هو الذي يلزم استعماله في الطب دون غيره من الصنفين الآخرين ولكن بعد اجتنائه منعزلا عن الحبوب التى تتكون من المواد الازوتية يلقي على خرقة أو منخل من الصوف فاذاسال معظمه يضغط على مافي منخل الصوف بحلوق ثم يترك ٢٤ ساعة والدهن المنال بذلك حيث لم يبق فيه ماء يترك ونفسه بعض أيام لترسب منه مادة بيضاء متجمدة فاذا انقطع الراسب يرشح ويحفظ للاستعمال واكباد السمك المسمي ريه يخرج منها أكثر من ربع وزنها زيتاً مرشحا واذا فعل الطبخ من أول الأمر فى الاكباد كان الدهن المجهز منها أصفر ذهبيا ورائحته كرائحة دهن القيطس أي البالين أو السردين الطري وبالجملة فالزيت الموجود بالمتجر ثخين أسمر وثقله الخاص ٩٢٨ ر. واذا سخن الى ١٥٠ درجة لم يتحلل تركيبه واذا نزلت حرارته الي ١٥ تحت الصفر لم يرسب منه راسب كما قال مردير

(صفاته الكيمارية) هو مركب من ١٣٠ ر. من راتينج رخو أسمر يذوب في الاتير و ١٥٦ ر. من راتينج صلب أسود و ٩٣٦ر. من الهلام و ٩٥ ر. من الحمض أونئيك أي الدهني و ٨٠٠ ر من الحمض مرجريك أي اللؤلؤي و ١٨٠ ر من جليسرين و ٢٥ ر من مادة ملونة ويحتوي ماعدا ذلك على يود لكن بمقدار يسير فقد استخرج من لتر من دهن مورو ١٥ سنتغرام من يودور البوطاسيوم ومن دهن ريه ١٨ سنتغرام. انتهي من بوشرده. وقال تروسو توهم الطبيب (كاب) سابقا وجود اليود في هذا الدهن فترجي مبغير الاقر باذيني بمدينة أورم أن يحقق ذلك فحصلت التجربة بالكيفية الآتية وذلك أنه أخذ رطلا من دهن أكباد هذه الحيوانات الذي هو أصفر مسمر محمر وصوبنه بمحلول الصودا الكاوي المفرط المقدار ثم كربن الصابون المنال وغسل الفضلة غسلا قلويا ثم أضيف للمحلول الحمض الكبريتي لكن لم يصل به الي الشبع التام ثم بلور كبريتات الصودا وبخرت مياه الأم الى الجفاف ووضعت الفضلة في قنينة صغيرة مع يسير من الماء وأضيف لها الحمض الكبريتي المركز مع يسير من بيروكسيد المنقنيز فحينئذ أخذت ورقة

منشاة وثبتت في السدادة فتلونت بزرقة جميلة وعولج جزء آخر من الفضلة بالنشا والحمض النتري فحصل منه أيضا يودور النشا الازرق ونتج من عمل آخر أن الدهن القاتم اللون يحتوي علي يود أزيد بقليل من الدهن الزاهي اللون. وبحث عن قريب في الدهن المسمى دهن برجان بكسر الباء المأخوذ من أنواع مختلفة من جنس غادوس فعلم أن دهن مورو هو الأحسن والأكثر فنتج مما ذكر أن لهذا الدهن ٣ أصناف الدهن الأبيض الذي ينفصل بنفسه من الأكباد المتراكمة في الدنان والدهن الأسمر الذي ينفصل فيما بعد والدهن الأسود الذي يسبح علي سطح الماء الذي غليت فيه الاكباد الذي تجهز منها قبل ذلك الدهن الابيض والدهن الاسمر. انتهى وقال ميره في الذيل ذكر هوس ان الأجودهو الأسود وأن الأبيض عديم الفعل وأن الاسمر فيه بعض خواص ولكن لا تبلغ خواص الأسود انتهي. وفى تروسو ان الاصناف الثلاثة حللت تحليلا كيماويا ونتج من تلك التحاليل أن دهن الاكباد بقطع النظر عن أجسامه الدسمة ومواده الصفراء التي يتكون منها أعظم جزء منه وعن اليود الذي انكشف فيه من زمن طويل يحتوي على كلور وبروم وفصفور ومن وجود هذه الاجسام الثلاثة التي لها خواص قوية يتضح لنا التأثير الخاص لهذه الأدهان في بعض الأمراض وكان ذلك التأثير منسوبا قديما لليود ولكن لا ينبغى أن ينسب له وحده وانما الفعل الجليل المخصوص بهذه الأدهان في لين السلسلة ينسب للفصفور كما هو قريب للعقل وثبت من التحاليل الجديدة أن القواعد الفعالة وهي اليود والفصفور وغير ذلك تكون في الدهن الاسود بمقدار أكبر مما في النوعين الآخرين وأن هذا الأسود يحتوي خلاف هذا على مقدار يسير من الحديد وبالجملة استحق دهن مورو أن يعد الآن من الجواهر الدوائية التى تذكر في المادة الطبية

(التأثير الصحي) علم من ٧١ مشاهدة استخرج رستيرنتائجها أنه شوهد غثيان في ٣ أحوال وقيء في ٣ أيضاً وحصل في حالة واحدة فقد شهية وحس احتراق وشوهد نقص الشهية في المصابين بلين السلسلة وشوهد في ١٧ زيادة استفراغ

معوي وفي ٨ زيادة افراز بولي مع رسوب فيه وشوهد أيضاً فيضان طمثي وفي ١٢ تعريق وأحيانا ظهرت رائحة الدهن في العروق وفي ٧ حرارة في الجسم يسبقها أحيانا أكلان محرق في الجلد وأحيانا أخر اندفاع نكت صغيرة حمر مع أكلان وبالجملة فالتأثير الصحي قليل

(التأثير العلاجي) تأثير هذا الدواء في داء السلسلة واضح بحيث يستحق أن يأخذ له محلا جليلا في صناعة العلاج فقد اتفق أن طفلا عمره سنتان لانت سلسلته فاستعمل في الصباح وفي المساء نصف ملعقة من الدهن وتم شفاؤه حينما استكمل ٢٥٠ غراما وطفل آخر كذلك شفي بعد استكمال ٣٠٠ غرام وتكررت أمثلة من ذلك في الصغار وكان مقدار ما يستعملون من نصف ملعقة الي ملعقة من هذا الدهن وليس ظهور فاعلية الدواء من تغيير التدبير الغذائي أو دخول الفصل الجيد أو ابتداء دور النمو والغالب ظهور الجودة بعد اسبوع أو اسبوعين من استعماله فالاسنان تنظف وتتصلب بعد اسودادها وتحركها وتبتدئ الاطفال في استمساك الساقين بل يمشون اذا كانوا في سن المشي وتحسن حالة هضمهم وتصير ابدانهم أكثر استرخاء وسيما في القسم الكبدي ويزول منهم الجوع الكابي أو فقد الشهية الذي كان مع حموضة المعدة ويعود الشكل الطبيعي للاضلاع التى كانت ملتوية. واشتهرت مشاهدات كثيرة في بلاد النمسا من هذا القبيل حتى في البالغين. وأعاد تروسو تلك التجريبات فأكد أنه يؤثر تأثيرا سريعاً نافعا في الاطفال المصابين بذلك ونال نجاحا بسرعة كانت غير مؤلمة. قال وشاهدنا أحيانا بعد أربعة أيام أو خمسة من العلاج قطع الاوجاع الحادة التي تكون مع الاطفال في جميع أطرافهم وكثيراً ما اكتسبت العظام التى كانت سهلة الانثناء من اللين صلابة عظيمة بعد خمسة عشر يوما واتفق أن امرأة مصابة بلين العظام في أعلي درجة ولا يمكنها أن تحرك طرفا من أطرافها ان هيكلها رجع لصلابته ومتانته بعد شهرين من العلاج وصارت ممتعة بصحة جيدة قال وقبل أن نعتاد على ممارسة أمراض الاطفال وتشخيصها كان يشتبه علينا كما كان يشتبه على غيرنا داء السلسلة بالخنازير مع أن داء الخنازير

كثيرا مايتضح بآفات درنية وأما لين السلسلة فلا تظهر فيه درنات أو أقله أن مصاحبته لذلك نادرة على أن هذه التولدات العارضية توجد في معظم الاطفال الذين يموتون بمرض مزمن .وكان يشتبه علينا أيضاً مرضان متميزان عن بعضهما أحدهما الاستحالة الدرنية فى العقد الماساريقية والاستسقاء السمباتوي أي الاشتراكي لداء السلسلة فمن المهم أن يعرف أن أغلب الاطفال المصابين بالراشيتس يعظم فيهم الكبد ويحصل في بريتونهم انصباب مصلى يكون فى الغالب كثيرا وذلك الانصباب تمتص مواده بأسهل وجه مع شفاء داء السلسلة.ويظن الاطباء الغير المجربين أنهم أبرأوا بدهن مورو هذا الداء المهول الذي يندر شفاؤه أي الاستسقاء البريتوني.ونقول أيضاً أن الراشيتس داء يبتدئ غالبا فى خلال السنة الثانية من الحياة وأما الاستحالة الدرنية الماساريقية فهى آفة نادرة في الأطفال الرضع بحيث تكاد لاتشاهد بالمارستانات مدة سنين فلا يفتح فيها الا جثة طفل أوطفلين ماتا بداء الماساريقا أي استحالتها الدرنيــة ونحن ما أردنا

بذلك المنازعة في منفعة هــذا الدهن في علاج الخنازير المحقق فانا نعلم أنه شفي به عقد محتقنة جدا درنية أي باستعمال مقادير كبيرة منــه أي من ٢٠ الي ٣٠ غراما في اليوم ولما نجح علي يد كثير شفاء الخنازير العقدية بهذا الدواء تجاسروا علي تجربته في داء أثقل جـداً من الاستعداد الخنازيري وهو السل الرئوي فكان بريرة من أشد الناس حميــة لذلك التداوي وعرض لديوان العلماء مؤلفا نسب فيه له أحوالا كثيرة من الشفاء . قال تروسو وقد أعدنا كغيرنا تجريباته فوجدناه في معظم الاحوال عـديم النفع كغيره من المداواة التجربية والمعقولة التي تستعمل كل يوم في هــذا السل .وأما نفعــه في الروماتزم المزمن فلم يتوافقوا عليــه مع أن مشاهدات سنك تفيد نفعه في ذلك نفعا جليــلا لكن تلك المشاهدات التى ذكر أن موضوعها داء روماتزمي ربمــا كان موضوعها أمراضا في النخاع والعمود الفقري لا أوجاعا روماتزمية حقيقية علي ان أحوالا من البر بليجيا المؤلمة (أي تشلل ماهو أسفل الحجاب الحاجز) التي مكثت مدة سنين وأحوالا من عرق النسا المفرد

أو المزدوج الناشئ كما هو قريب للعقل من مرض في طرف النخاع الفقري انقادت سريعا لتأثير هذا الدهن بعد أن كان غيره من الأدوية عديم النفع وذكرت مشاهدات تثبت فاعليته في الامراض المزمنة أو الخنازير في المجموع العظمى لكن في كثير من الاحوال قد تزيد الأوجاع الروماتزمية من الكميات الأولى وبالجملة حصلت منازعات بين الأطباء في هذا الدهن فأنكر كثير من أطباء البلجيق والنمسا خواصه الدائية وقالوا ان مثله في الخواص الدهن المسمى في المتجر بدهن السمك المستخرج من الاسماك القشرية الكبيرة واستحسن هذا الرأي بريطونو وأمر لمرضاه بدهن القيطس أو دهن السمك بدون فرق بينهما . ويقال انه نال من ذلك نجاحا واستعاض دبواس عن دهن مورو بدهن الخشخاش المأكول واستعمل دهن القرنفل في ١٤ من الراشيتس وفي ١٠ من أمراض خنازيرية مختلفة ولكن نتائجه لم تكن أنفع من نتائج دهن مورو وأمر بوفان في أحوال من الآفات الخنازيرية كالتيبسات العقدية والقروح الخنازيرية وانتفاخ العظام مع تسوس أو بدونه باستعمال شحم الخنزير واعطاه للمرضى على الخواء بمقدار ٨ غرامات وبعد الازدراد حالا يأكل المريض في أي شوربة كانت الجزء الشحمي الذي سال من الشحم بفعل الحرارة وبعد ساعة يستعمل طاس قهوة مع شقق من الخبز مدهونة بالزبد فاذا كان الداء خفيفا كفي ٤ اسابيع أو ٦ لاتمام الشفاء واذا كانت الاعراض ثقيلة أدمن استعمال ذلك ٣ أشهر » الى أن قال بعد ذكر امكان مساعدة فعل الزيت بأكل اللحم وهو رأي قد ظهر بطلانه: وجرب بوبرفي كثير من الأمراض أدهانا مختلفة الانواع كزيت الزيتون وزيت الخشخاش وزيت الكتان وزيت السمك وتلك الزيوت لم تستعمل الا من الظاهر دلكا علي جميع سطح الجسم بواسطة اسفنجة رقيقة فتسخن تسخينا لطيفا وتفعل الدلكات عادة في المساء ثم يلف المريض في رداء من الصوف ويترك كذلك مدة ساعتين وأول ظاهرة تشاهد حينئذ عرق كثير ينتشر على سطح الجسم وكثيرا مايصحب ذلك في الاطفال اندفاع شبيه

في المنظر بالحمرة . والنتيجة الثانية العظيمة الاعتبار هي سكون المجموع العصبي الذي لم يلبث قليلا حتى يظهر بنوم هادئ عميق . والنتيجة الثالثة هي ازدياد جميع الافرازات وسهولة النفث أي التنخم وكثرة البول وفاعلية حميدة في وظائف الكبد . وآخر النتائج هو ما يشاهد سريعاً في الاطفال وهو ان البراز الذي كان أخضر حمضي الرائحة يصير أصفر وفي منظره الاعتيادي . فاذن يصح أن تؤمل نتيجة حميدة من الدلكات الزيتية في جميع الآفات والأوجاع العصبية والتشنجات والروماتزمات ونحو ذلك حيث يتكون من الظاهرات المذكورة دلالات رئيسية على الحالة المرضية وماعدا ذلك يصح أن يعتبر الدهن دواء ذاتياً حقيقياً للأمراض التى طبيعتها خنازيرية وتلك الدعوي مبنية على تجريبات عديدة فعلها الطبيب المذكور فى أشكال مختلفة من الآفات الدرنية ويظهر منها أن الدلكات الدهنية تؤثر في الأحوال التى من هذا النوع بأن تصير الهضم الاثني عشري أقوي فاعلية و يزيد في مقدار الكيلوس وتجعل البنية فى أحوال مخالفة

للاحوال التى تعين على ظهور الخنازير وينبغى أن يعلم أن استعمال هذا الدهن سواء من الباطن أو الظاهر لايخلو من أخطار فاذا أدخل في المعدة خيف من القرف وعدم الهضم واستعماله دلكا يلوث الخرق والملابس ومع ذلك قد يكون تحمل القذارة بالاستعمال من الظاهر سهل مما ينتج من الازدراد ولذا كانت تجريبات بوير كلها بالدلكات و يمكن في الاحوال التي كان منشأ المرض فيها ارتداع اجزئتها الى الباطن أو غيبوبة عرض خنازيري ان الدلكات تعيد الآفة للجلد بعد أن يجرب غيرها من الوسائط بدون منفعة . ونال بوير نتيجة واضحة في حالتين من الاندفاع القوباوي في البالغين الذين كانوا عرضوا لمعالجات أخر وكذا في حالتين من السل الدرني المؤكد مع حمي دقيقة فى احداهما فساعدته المقادير على شفائهما بذلك في زمن يسير ومع ذلك اعترف بأنه يلزم في هذا الداء المهول اعادة التجريبات وكان في الاحوال التي من هذا القبيل لم تقتصر على استعمال الزيت من طريق الدلك بل أمر أيضاً باستعماله حماما مع

استنشاق الابخرة الزيتية المعلقة باجزاء الهواء المحيط بالحمام .قال تروسو وهذا غير معلوم لنا اذ لا يخفي ثبات هذه الاجسام أي الزيوت وامتد النجاح مع هذا الطبيب للاستسقاء الحاد في الاطفال الخنزيرين فاستعمل أولا العلاج الاعتيادي المعقول لهذا الداء منضما مع الزيت ثم استعمل هذا الجوهر الأخير وحده من ابتداء العلاج الى انقطاع العوارض انقطاعا تاما . انتهي . فتلخص مما ذكرنا أن هذا الدهن قوي التنبيه يستعمل علاجا للين السلسلة والأورام البيض وتسوس العظام الحاصل من آفة خنازيرية وجميع الآفات الخنازيرية والدرن والروماتزم المفصلى وبقية الأوجاع الروماتزمية والنقرسية والامساك المستعصى وسلس البول ولكن شهرته الكبيرة في لين السلسلة والعظام فبتقويته يقهر اللين . ومدحوه أيضاً لازالة نكت القرنية واستعملوه حقنا علاجا للديدان الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال) هذا الدهن يمزج عادة بشراب أو بمربي للاطفال الذين عمرهم سنة أو سنتان والمقدار من غرام الي ١٠ ولم يجاوز تروسو هذا المقدار ولكن يزاد للمتقدمين في السن وقد تكرهه الاطفال في اليومين أو الثلاثة الاول ثم يستطعمونه بل يتطلبونه وهناك من يرفض تعاطيه . وأما الغثيان والقيء والاسهال التى قد تسببها المقادير الاول فتزول بنفسها. ولكن هناك عارض متعب وهو الاندفاع الاجزنتياوي أو الحوصلي الذي يحصل منه للاطفال أكلان شديد ويدوم ذلك مدة استعمال الدواء والمقدار منه للاستعمال من الباطن خالصاً من نصف ملعقة قهوة الى ملعقتي فم أو ٣ تكرر مرتين في اليوم ويستعمل بعد كل مرة قليل من منقوع القهوة أو كاس من منقوع عطري ثم تعتاد المرضى على طعمه بعد كراهتهم له . ويستعمل أيضاً من الظاهر خالصاً دلكات تكرر مرتين أو ٣ فى اليوم على محل الآفة ويوضع منه نقط بين الاجفان في أمراض الأعين .انتهى بوشرده . وقال ميره يعطى من الباطن في اليوم بمقدار من ٣ ملاعق الى ٤ من ملاعق الفم للبالغين ومثل ذلك العدد من ملاعق القهوة للاطفال ويمزج لهم بشراب أو لعوق أبيض بحيث تأخذه الاطفال مع اللذة . وأما للبالغين فمن حيث

انه قد يسبب قلسا كريها ينبغي مضمضة الفم بعد ازدراده ومضغ بعض خبز أو تعاطي بعض أجسام عطرية أو روحية بمقدار يسير . وقال انه كثيرا ما يجمع للاطفال مع تحت كربونات البوطاس وقليل من دهن طيار . انتهى . ثم انهم ادخلوه في مركبات وجعلوه أساساً لها وخصوصا في الاستعمال من الداخل لاجل اخفاء طعمه فصابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ٦٠٠ غراما من دهن مورو و ٨٠ غراما من الصود الكاوي و ٢٠ غراما من الماء يذات الصود في الماء ثم يمزج حسب الصناعة المحلول مع الدهن و يصح أن يستعمل ذلك الصابون بكيفية استعمال اللصوقات ويخدم للتغيير على الجروح لانه غير قلوي وكل ٨ غرامات منه تحتوي على ٥ غرامات ونصف من الزيت . وصوبنة يودور البوطاسيوم مع صابون دهن مورو تصنع بأخذ ٤ غرامات من يودور البوطاسيوم و ٤ غرامات من الماء العام و ٣٠ غراما من صابون دهن مورو تمزج حسب الصناعة بحيث ينال من ذلك مخلوط متجانس الطبيعة جيداً . وبلسم دهن مورو يصنع بأخذ ٦٠ غراما من كل من صابون دهن مورو ومن الكؤول الذي في ٩٠ من المقياس المئيني لجيلوساك يذاب الصابون في الكؤول علي درجة حمام مارية ثم يصب المحلول في قناني بلسم أو بودلدوك تسد بعد ذلك مع الانتباه فاثنان وثلاثون غراما من هذا البلسم تحتوي علي ١١ غراما من دهن كبد مورو . وحبوب صابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ١٠ غرامات من صابون كبد مورو يحبب الصابون في مسحوق صمغ الكثيرا ثم يقسم حسب الصناعة ٢٠ حبة متساوية تستر رائحتها بتغطيتها بطبقتين متواليتين من عسل وصمغ فلأجل ذلك يذاب على الحرارة ٦٠ جزأ في الوزن من عسل أبيض صلب فى ٦ أجزاء من الماء و يستخدم المحلول المنال لأجل تندية سطح الحبوب ثم تترك هذه الحبوب لتسقط علي مسحوق صمغ الكثيرا فاذا انفتلت بالمناسب في هذا المسحوق تترك ونفسها حتى تجف ثم تعالج مرة ثانية بالكيفية التى ذكرناها بالماء المعسل ومسحوق الصمغ وهاتان الطبقتان تكفيان لمنع الرائحة والطعم الخاصين بالصابون بحيث لا تدركهما

حاسة الشم ولا حاسة الذوق في المريض وكل حبة من تلك الحبوب يوجد فيها ٤٠ سنتغراما من الصابون وتحتوي على ٢٧٥ ملليغرام من الدهن وجرعة دهن مورو تصنع بأخذ ٩٠ غراما من الدهن و ١٥ غراما من الصمغ العربي و٦٠ من كل من الماء ومن شراب الأفيون تمزج حسب الصناعة. واستعمل رايير هذه الجرعة ٣ أيام بثلاث كميات علاجا للالتهابات الرئوية المزمنة والمعدية المزمنة. وشراب دهن مورو يصنع بأخذ ١٢ جزءا من السكر وجزء من كل من اللوز المر ومسحوق الصمغ و ٢ من الدهن و ٦ من الماء النقي يجروش اللوز مع الصمغ ويقصر السكر ثم يضاف له شيئاً فشيئا الدهن مخلوطا قبل ذلك بالماء ويصوّل ذلك زمنا طويلا ثم يضاف له شيئا فشيئا باقي الماء اللازم دخوله فى الشراب ثم يصفي السائل المستحلب ثم يذاب السكر على حرارة لا تجاوز ٤٠ مئينية لأجل التحرس من تجمد الجزء الزلالى الذي في اللوز. ومرهم دهن مورو يصنع بأخذ ٢ جزء من خلاصة الهباب ومثلها من دهن مورو وجزء من المرهم الليموني و ٤٨ من نخاع العجول تمزج حسب الصناعة. واستعمله قارون في بعض الأرماد المزمنة. ومرهم آخر يصنع بأخذ ١٥ جزءا من الدهن و ٨ من تحت خلات الرصاص الذائب و ١٢ من مح البيض يمزج ذلك ويستعمل في التغيير على الجروح الخنازيرية التابعية وفي التهاب وتقرح العقد اللينفاوية

﴿ الموز ﴾ جاء في كتاب الزراعة المصرية الذي أصدرته الحكومة :

يطلق اسم الموز والطالح في كثير من البلاد على نوع واحد من الفاكهة بلا تمييز الا أننا اذا دققنا في القول فان الطالح يطلق على النبات الكبير ذي الثمر الأطول والأصلب والأقل عطرا عادة ولبه نشوي أما الموز فانه متي نضج يكون أكثر سكرا وأقل نشاء وأطيب رائحة

ويزرع في مصر كل من الموز والطالح فأما الموز فمنه نوعان أحدهما الموز الحقيقي. والموز الصيني

وهناك أنواع أخري منه مثل النوع المسمى أنست والنوع المسمى رؤساسيا الا أن هذين النوعين يزرعان بقصد الزينة لحسن أوراقها والموز من بين

النباتات الحشيشية الغزيرة الكثيرة الانتشار في الأقاليم الحارة والتي تليها التى تستدعي عادة التفاتا خصوصيا لأنه من الامثال العجيبة التى تدل على فخار المزروعات فى الأقاليم الحارة ومع ذلك فهذا الشجر الشبيه بالنخل ليس خاصا بالاقاليم الحارة بل هو أيضا في كثير من الممالك الاقل حرارة في كل من نصف الكرة فانه يزرع في أنحاء منطقة عظيمة ممتدة بين درجات العرض ٣٧ أو ٣٨ شمالا و ٣٥ جنوبا ولو ان زراعته ليست متواصلة

وليس لهذه الفاكهة فى أفريقا أهمية تضاهي أهميتها في آسيا وأمريكا الا في غينيا وجزائر كناريا وجزائر مادير وجزائر مدغشقر حيث يزرع كثير من الموز الوطني

ولا يوجد الموز علي الشواطئ الشرقية الا قليلا في الحبشة والنوبة ومصر ويوجد أيضاً في الجزء الشمالي من أفريقا حيث أدخل زراعته العرب الا أنهم لم يعتنوا اعتناء عظيما أبدا بهذه الزراعة أما فى أوروبا فان زراعته خاصة بالجنوب وعلى الأخص في جنوب اسبانيا وصقلية

وقد ذكر مسيو دي كاندولى أن موطن هذا النبات هو جنوب آسيا ولكن زراعته الآن تكاد تكون عامة في المناطق الحارة التي تليها لأنه من أسهل الفواكه زرعا وأكثرها فائدة اذا نجحت زراعته الا أن الريح الشمالية الشديدة قد تهلك محصول العام في ليلة واحدة اذا لم تحصن الاشجار من تأثير الرياح خصوصا اذا كانت مزروعة بقرب شاطئ البحر

وقد ذكر كل من الموز والطلح عند اليونان والرمان الا أنه من المدهش ان المصريين واليهود لم يعرفوهما فان هناك جملة أسماء باللغة الهندية القديمة لفواكه يطلق العرب عليها اسم موز الذي هو اسم جنس مفرده موزة

(أوصافه النباتية) الموز مع انه في الواقع نجم الا أنه في الظاهر يشبه الاشجار وأعظم وجه للشبه بينه وبين النجم هو أن ساقه الشبيهة بسيقان الشجر يتكون أسفلها من جملة أوراق يغلف بعضها بعضا وهي لينة أسفنجية خالية من التركيب الخشبي وارتفاعها من متر ونصف الي تسعة أمتار بحسب الانواع المختلفة

وتنشأ السيقان الجديدة من البراعيم على جذر النبات أو في القسم الداخل في الارض وهذه السيقان المعروفة في العادة بالفسائل هي التي ينشأ منها التوليد أي تكوّن نباتات جديدة وقد تكون الاوراق عديمة العنق نادرا جداً الا أنها فى الغالب يكون لها ساق سفلي قوي سميك وعصب بارز

وتنبثق الازهار من سنابل كبيرة طرفية من مركز تاج الاوراق وهي مرتبة علي السنابل على شكل عنقود شبه حلقية والازهار موضوعة بحيث تنتهي ببراعيم ورقية بيضاوية تحمل على محاورها الازهار التي لم تفتح

وطول الثمرة يختلف بين ٥ سنتيمترات و ٣٠ سنتيمترا كما تختلف أيضا في المذاق وفي مقدار المادة السكرية وغير ذلك ولونها من الخارج أصفر غالبا خالية من الحبوب عادة

ويزرع الموز والطلح في مصر كثيرا منذ قرون عديدة خصوصا في شمال الدلتا حوالي الاسكندرية ودمياط ورشيد انما يزرع علي مقربة من شاطئ البحر أكثر من الجهات البعيدة عنه الا انه لم تبذل همة لتحسين نوعه

وكلا النوعين نبات عالي الساق ولا تنجح زراعتهما قرب شاطئ البحر الا اذا أحيطا بسياج أوحائط عالى ليقيهما من الريح الشمالى الشديد المتوالي وقد ترك زرعهما في الأزمنة الأخيرة

ومنذ سنين قليلة أدخلت زراعة الموز القصير المسمي بالموز الصيني أو الموز الكافانديشى أو الموز المسمى سنيسيس الذي يبلغ ارتفاعه الي مترين ونصف ويعطي محصولا وافرا فينجح نجاحاعظيما خصوصا قرب الاسكندرية عند القباري والرمل وغيرها والاراضى التي علي الترعة المحمودية . ويجود زرعه كثيرا في شمال الدلتا ويعطى فاكهة جيدة جداً ولها خاصية المكث طويلا ونظرا لقصر قامته فهو أقل تعرضا للتلف بالريح الا أنه لسوء الحظ قد أصبح أخيراً فريسة الدودة المسماة (نيماتود) أو الدودة الخيطية التي تسري في الجذر فتهلك مساحة واسعة من الموز

وأهم أنواع الموز الذي يزرع فى مصر الانواع الآتية :

١ — البلدي أو الموز الحقيقي

٢ — أصبع الست

٣ — الهندي أو الصيني

٤ — الامريكي

ويسمى أيضا موز آدم أو تين آدم

والبلدي مرتفع وكثيرا مايصل الي ارتفاع عظيم فقد يكون نحو ٤ أمتار ونصف ويزرع علي الخصوص بعيداً عن البحر وهو اكثر الانواع انتشارا فى حدائق القاهرة وثمره قصير نوعا غليظ خال من حب وطوله من ١٠ الي ١٥ سنتيمترا وهو من الخارج أخضر مصفر واللب يشتمل على مقدار عظيم من المواد السكرية طيب الرائحة جدا لذيذ الطعم يطلب كثيرا ويثمر من أوائل الخريف لغاية الربيع

أما أصبع الست فهو ذو فاكهة صغيرة رفيعة خالية من الحبوب منحنية نوعا طولها نحو سبعة أو ثمانية سنتيمترات ولونها من الخارج أصفر ذهبي جميل وهو أقل من سابقه من كل وجه والطلب عليه قليل ويكون في تمام ايناعه فى الخريف

والنوع الهندي هو نوع عظيم جدا ويستحق زيادة العناية ونظرا لموافقة مصر له فسيصبح قريبا هو الموز المصري الوحيد ولو في شمال الدلتا فقط ويصل ارتفاع شجره الى مترين أو الي مترين ونصف وساقه غليظ قصير ويعطي محصولا وفرا وتعيش فاكهته زمنا طويلا بلا تلف وهو أحسن الانواع للتصدير وهو أصفر طوله من اثني عشر الى خمسة عشر سنتيمترا غليظ الجلد منحن قليلا ولبه خال من الحبوب جيد الطعم زكي الرائحة وهو أروج الانواع فى التجارة ويطلب كثيراً وهو موجود في جميع أوقات السنة ولكنه يكون أحسن مايكون في أواخر الصيف وفى فصل الربيع ومن حيث الاغراض العامة فانه أحسن الانواع المزروعة

والنوع الامريكي شجره عال كبير الفاكهة جدا وكثيرا مايصل طولها الى ٣٥ سنتيمترا الا أن العادة أن يكون بنصف ذلك الحجم والثمر مستدير الزاوية وذو لون أصفر جميل ولبه صلب الا أنه خال من السكر بالكلية ضعيف الطعم والرائحة مشتمل على بعض حبوب جنينية الا أنه وافر المحصول كبير العراجين

ونباته جميل المنظر جداً حتى انه كثيرا مايزرع في الحدائق لهذا الغرض

وثمره رخيص الثمن قليـل الطلب لأنه لايصلح للأكل الا مطبوخا

وزراعة الموز في مصر رائجة جدا الا أنها في الوقت الحاضر قاصرة على الجنائن تقريبا ولا يزرع منـه في مصر مايكفي لاسواقها بل ترد مقادير عظيمة من جزائر ماديرة وكناريا

(الأرض) ـ ينمو الموز في جميع أنواع الأراضي تقريبا ماعدا الارض المكونة من الرمل وحـده وأوفق أرض له هي الدفئة المستوفيـة الصرف ويحسن أنها تكون رطبة عميقة مسامية صفراء خصبة مشتملة على كثير من الدبال فاذا كانت الأرض كما ذكر وكان الجو جيـداً فان محصول الموز يكون عظيما

(التوليد) ـ ان ساق الموز الذي تحت الارض ينبت جملة فروع جانبية أو فسائل اذا تركت ونفسها فانها تنتج جملة سيقان وهي التي يتكاثر بها النبات فتفصل هذه عن الجزء الأصلي بسكين أو مقطع أو فأس حاد وذلك بأن يزال التراب أولا باحتراس لكشف محل اتصال الصنو بالجـذع

وأوفق طول للفسائل التي تزرع متر أو مـتر ونصف تقريبا على حسب الانواع الا أن عادة المزارعين هنا أن يستعملوا جذوعا أكبر والغالب أن تكون الفسائل ضعيفة سهلة الكسر جـداً وان الكبيرة منها لاتنبت بسهولة ويجب أن تكون سميكة قويه وهـذه أفضل مما لو كانت رفيعـة طويلة ويلزم أن تنتخب من أصل سليم قوي جيد الفاكهة مبكر المحصول

(النقل) ــ تحضر الارض جيدا ثم تحفر حفر فيها صفوف متباعدة بقدر ٣ أمتار أو ٤ وتكون صفوفها متباعدة مثل ذلك والابعاد تتعلق بالأنواع المنزرعـة وتحفر الحفر على طول قناة تستعمل للري بحيث يكون عمقهـا ٤٠ سنتيمترا وتنعم أسافلها جيـدا ويوضع فيهـا سماد بلدي معطن جيدا

ويفضل أن تكون الفسائل ضاربة في الارض بقـدر ٣٠ سنتيمترا على أن تكون قريبة من سطح الارض ثم يدك التراب حولها بالاقدام لمنع تخلل كثير من الهواء الذي يجفف الجذور حينما تخرج الساق

أما من حيث زمن الزرع فـكل

وقت في السنة يوافقه الا أن الأحسن أن يكون من ١٥ فبراير الى آخر مارس

(الخدمة بعد الزرع) - متى زرعت هذه الفسائل فانها تنمو نموا حسنا وتعطى محصولا في أواخر العام الثاني وربما تعطى في العام الأول الا انه عادة يكون قليلا غير جيد

وقبل أن يتكون الساق المزهر تظهر الفسائل فوق الارض وهذا أمر يحتاج للعناية التامة فيجب أن تقطع الفسائل الا واحدا في أول أمر النبات وبهذه الطريقة تتجه قوة الانبات كلها الى أثمار الساق الاول وتظهر عراجين قوية جميلة وبعد ذلك متى بلغ الساق الموجود في الارض أشده يمكن ابقاء ثلاثة أو أربعة جذوع على حسب قوة ذلك الساق الا انه لايجوز بحال من الاحوال ابقاء عدد أكبر من ذلك متي أريد الحصول على عراجين ذات محصول جيد

وتحتاج الارض الى تفكيك خصوصا حول سيقان النباتات مع تسميدها سنويا بسماد بلدي معفن جيدا حينما تكون الفاكهة على الشجر وذلك لاجل حفظ قوة النبات ودوام انتاجه ومتي ظهرت علامات الضعف علي أحد الجذوع كما يحصل غالبا بعد بضع سنوات فيلزم أن يقطع ويزرع مكانه فسائل جديدة

قد قلنا ان هذا النبات يعطي محصولا جيدا في الارض الرطبة وعليه فلا بد من تكرار الري فيجب سقي الشجر بعد زرعه مباشرة ثم بعد أزمنة قصيرة الي أن تثبت جذور النبات جيدا وبعد ذلك يقل الاحتياج للماء ويستحسن اطالة المدة بين السقية والأخري عندما يثمر النبات خصوصا عند قرب استواء الثمر لأن الرطوبة الكثيرة فى هذا الوقت مضرة فاذا رشحت الارض بالرطوبة فيجب الصرف حتما لأجل الحصول علي ثمر جيد كبير الحجم سليم

(المحصول) - يتعلق الزمن الذي يمضي بين زرع الفسائل والاثمار بالاحوال الجوية والموضع والنوع المزروع وغير ذلك فبالنظر لحالة مصر الجوية والانواع التي تزرع فيها تثمر النباتات عادة في السنة الثانية وبما أن بعض الاشجار تتأخر فى النمو وبعضها يتقدم فالموز يوجد فى جميع فصول السنة

وعراجين الجذوع الثانية عادة أدق

من عراجين الجذوع الاولى ولذا لا ترسخ زراعة هذا الشجر جيدا قبل السنة الثالثة أو الرابعة فيجب أن لا يثمر الجذع الواحد أكثر من مرة واحدة ومتى أعطى الجذع فاكهته يجب قطعه ويجب أن تجني الثمرة بقطعها مع جزء من الفرع الحامل لها حتى يمكن تعليقها نحو ثمانية أيام او عشرة قبل استوائها وذلك عند اصفرارها قليلا لانها اذا تركت حتي تستوي على الشجرة فانها تفقد كثيرا من حسن طعمها وتتعفن غالبا واذا قطعت قرب استوائها تعلق باعتناء في مكان مظلم واذا قطعت قبل ذلك يجب حفظها فى وسط طبقات من التبن وأحيانا يوضع فوقها ثقل الى أن تستوي وتصير ناعمة وتكتسب الطعم السكري والرائحة الطيبة ويتم نضج الفاكهة في مدة بين ٧٥ و ٨٥ يوما

ويجب أن يعتني كثيرا بنقل الفاكهة باحتراس ولطف منذ جنيها الي حين بيعها والا قلت قيمتها كثيرا

ومن الصعب تقدير محصول الفدان لأن ذلك يتعلق بأحوال كثيرة وثقل العرجون الواحد يختلف كثيرا على حسب النوع المزروع والسماد المستعمل والموسم وغير ذلك فيكون بين ٢٥ و ٧٥ رطلا والمتوسط من ٣٥ الى ٤٠ رطلا ويختلف الثمن على حسب الموسم والنوع والموضع وغير ذلك

(استعمالاته) ـ الموز من بين المحاصيل الخضرية فى العالم ربما كان أعجبها من حيث بهاء المنظر والنفع فهو ذو قوة انبات عظيمة ومفيد للانسان من وجوه شتى وهو أحد الأغذية الاساسية في الأقطار الحارة وقد يقوم مقام الغلال فى المناطق الاكثر اعتدالا وتستعمل جميع أجزاء النبات تقريبا وأهمها الفاكهة وجميع أجزاء النبات تكثر فيها الخيوط التى لم تستعمل للآن بانتظام

والفاكهة مغذية جدا وسهلة الهضم للغاية وتؤكل خضراء غالبا وقد تجفف وتحفظ في علب في بعض الجهات وخصوصا في أمريكا الجنوبية أو يفصل منها الدقيق ويصنع منه البسكويت

والدقيق معتبر ذا قيمة عظيمة لأنه لذيذ وسهل الهضم ويوافق الاطفال والمرضى

وتصلح الاوراق والسيقان لصناعة الورق والاوراق الجافة تستعمل كثيرا

في حزم البضائع الصغيرة الحجم خصوصا الفواكه واذا شرح الساق فانه يستخرج منه خيوط خشنة . انتهي .

(خواص الموز الغذائية واستعمالاته الطبية) نهاية مانقول في هذه الثمار انها غذاء سليم مقبول ولكنها مولدة للرياح قليلا والسدد ، مضعفة للهضم و يصلحها العسل أو السكر ومتي انهضمت حصل منها غذاء كثير وهي تسمن لانه لايبقي منها فضلة لجذب الاعضاء لها بالطبع ثم هو لايؤكل في العادة الا ناضجا و يصح أن يطبخ قبل نضجه كاللفت باللحم والسمك ولحم الترسة . و يصح أيضاً شيه و يستعمل حينئذ متبلا بالسكر وعصارة النارنج . وتعمل منه خبائص ومقليات ويجفف في التنانير أو في الشمس لاجل حفظه والسودان يعملون منه عجينة مع السكر والعطريات و يتغذون منها في الاسفار وتصنع منه مربيات وغير ذلك وذكر أطباء العرب انه ينفع من السعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة فاذاطبخ في السيرج أو دهن اللوز وحسي أصلح الصدر

وأما موز العقلاء المسمي بالافرنجية بما معناه تين الموز وتين الهنود فاعتبره ديفوس صنفا من الاول ونسبته للعقلاء مبنية على ماقيل ان الاشخاص العدول اصحاب السيرة الحميدة من فلاسفة الهنود المتقشفين يقضون حياتهم فى مشاهدته و يتغذون من ثمره وهو ينبت فى الاماكن التى ينبت فيها النوع السابق وهو شبيه به في قوامه وقامته وانما يتميز عنه بأوراقه التي زاويتها احد وخصوصا بثماره التي هي اصغر اي اقصر ولكنها اكثر عددا واقوي سكرية والذواقيل وشحمها أكثر لينا وذو بانا في الفم وهو شبيه بالتين وهذا هو سبب تسمية الافرنج له بتين الموز لانه سهل الذوبان في الفم و يصح أن يستخرج منه سكر قابل للتبلور ويعمل منه سائل كؤولي يحفظ قليلا ويعطي بالتقطير كؤولا . واذا تخمر حصل منه حمض كما يحصل ذلك في جميع الثمار السكرية وتلك المنافع توجد أيضاً في النوع السابق. قال ميره وتين الموز له أصناف عديدة وقد اعتبروه عظيم النفع للصدر وفي آفات الطرق البولية وعلاجا للحميات الحادة وغيرذلك انتهى . و بالجملة منافعه الطبية وغير الطبية كالسابق فالسائل الذي يؤخذ من أي

واحد منهما يحمض بسهولة فلذا يلزم أن لايحضر منه الا مقدار يسير اذا أريد فاذا هرس الموز النضيج من أي نوع كان ونخل من منخل ليستخرج منه الجزء الليفي تكونت من ذلك عجينة يصح أن يحضر منها خبز جيد التغذية ومعظمها مكوّن من النشا ويمكن حفظها جافة زمنا طويلا فاذا أذيبب في الماء أو في مرقة تكون من ذلك غذاء جيد (انظر المادة الطبية)

﴿ موسي ﴾ هو الرسول المشهور صاحب الدين الموسوي وقد رأينا في الكلام عليه أن نأتي أولا علي تاريخه ونشأته ووظيفته من المصادر العربية ثم نتبعه بما قيل عنه في المصادر العلمية العصرية مع بيان قيمة الوظيفة التى أداها للعالم علي الاسلوب النقدي التاريخي فنقول : جاء عنه في المصادر العربية :

أرسل الله تعالى موسى بن عمران ابن قاهاث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبياً بشريعة بني اسرائيل وكان من أمره أنه لما ولدته أمه كان قد أمر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الاطفال فخافت عليه أمه والقي الله تعالي في قلبها أن تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته والتقطته آسية امرأة فرعون وربته وكبر فبينما هو يمشي في بعض الأيام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطي فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب وقصد نحو مدين واتصل بشعيب وزوجه ابنته واسمها صفورة وأقام يرعي غنم شعيب عشر سنين ثم سار موسي بأهله في زمن الشتاء وأخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في ليلة شاتية فأخرج زنده ليقدح فلم يظهر له نار واعيا مما يقدح فرفعت له نار فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون. فلما دنا منها رأي نورا ممتداً من السماء الي شجرة عظيمه من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف ورجع فنودي منها ولما سمع الصوت استأنس وعاد فلما أتاها من جانب الطور الايمن من الشجرة أن ياموسي اني أنا الله رب العالمين ولما رأي تلك الهيبة علم انه ربه فخفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت بنيته ثم شد الله تعالى قلبه ولما عاد عقله نودي أن اخلع

نعليك انك بالواد المقدس وجعل الله عصاه و يده آيتين ثم أقبل موسى الي أهله فسار بهم نحو مصر حتي أتاها ليلا واجتمع به هرون وسأله من أنت فقال أنا موسي فاعتنقا وتعارفا ثم قال موسي ياهرون ان الله أرسلنا الى فرعون فانطلق معى اليه فقال هرون سمعا وطاعة، فانطلقا اليه وأراه موسي عصاه ثعبانا فاغرا فاه حتي خاف منه فرعون فأحدث في ثيابه. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار. فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الى جيبه وأخرجها فاذا هي على لونها الاول ثم أحضر لهما فرعون السحرة وعملوا الحيات وألقي موسى عصاه فتلقفت ذلك وآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دما فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه وآخر الحال ان فرعون أطلق لبني اسرائيل أن يسيروا مع موسي وسار موسى ببني اسرائيل ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتي لحقهم عند بحر القلزم فضرب موسي بعصاه البحر فانشق ودخل فيه هو و بنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم. ومن جملة المعجزات التي أعطاها الله عز وجل موسى

قضيته مع قارون

قالوا وكان قارون ابن عم موسى وكان الله تعالي قد رزق قارون المذكور مالا عظيما يضرب به المثل علي طول الدهر قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا و بني دارا عظيمة صفحها بالذهب وجعل أبوابها ذهبا وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر فتكبر قارون بسبب كثرة ماله على موسى واتفق مع بني اسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته وأحضر امرأة بغيا من البغايا وجعل لها جعلا وأمرها بقذف موسى بنفسها واتفق معها على ذلك ثم أتي موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا فخرج اليهم موسي وقال من سرق قطعناه ومن افتري جلدناه ومن زني رجمناه. فقال له قارون وان كنت أنت قال موسى نعم وان كنت أنا. قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة. قال موسى فادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك مايقول هؤلاء؟ قالت لا كذبوا ولكن

جعلوا لى جعلا على ان أقذفك . فأوحي الله تعالي الى موسي مر الارض بما شئت تطعك . فقال يا أرض خذيهم فجعل قارون يقول ياموسى ارحمني وموسى يقول يا أرض خذيهم فابتلعتهم الارض ثم خسف بهم وبدار قارون .ولما أهلك الله تعالي فرعون وجنوده قصد موسى المسير ببني اسرائيل الي مدينة الجبارين وهي أريحا فقالت بنو اسرائيل ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، ياموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون فغضب موسى ودعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض. فبقوا في التيه وأنزل الله عليهم المن والسلوي

ثم أوحي الله تعالى الى موسى اني متوف هارون فأت به الي جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هما بسرير فناما عليه وأخذ هارون الموت ورفع الي السماء ورجع موسي الي بني اسرائيل فقالوا له أنت قتلت هارون لحبنا اياه . قال موسي ويحكم أفتروني أقتل أخي؟ فلما أكثروا عليه سأل الله فأنزل السرير وعليه هرون وقال لهم اني مت ولم يقتلني موسى. ثم توفى موسي واختلف فى صورة وفاته قيل كان هو ويوشع يتمشيان فظهرت غمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق موسى فانسل موسي من قماشه وبقي يوشع معتنق الثياب وعدم موسى وأتي يوشع بالقماش الى بني اسرائيل فقالوا أنت قتلت موسي ووكلوا به فسأل يوشع الله تعالى أن يبين براءته فرأي كل رجل كان موكلا عليه في منامه ان يوشع لم يقتل موسي فانا رفعناه الينافتركوه . وقيل بل تنبأ يوشع وأوحي الله تعالي اليه وبقي موسى يسأله فلم يخبره فعظم ذلك علي موسى وسأل الله الموت فمات. وقيل غير ذلك وكانت وفاة موسى فى التيه في سابع اذار لمضى الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان فى أيام منوجهر الملك وكان موت موسي بعد هرون أخيه باحد عشر شهرا وكان هرون أكبر من موسي بثلاث سنين وكان مولد موسي لمضى اربعمائة وخمس وعشرين سنة من مولد ابراهيم وكان بين وفاة ابراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة وولد موسي لمضى الف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان عمره لما خرج

ببني اسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام في التيه اربعين سنة فيكون عمر موسي مائة وعشرين سنة وأما بنو اسرائيل وكانوا قبل أن يخرجهم موسى من تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم وكانوا على بقايا من دينهم الذي شرعه يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان أول قدومهم الى مصر لمضي تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف فأقاموا في مصر بقية عمر يوسف وهو احدي وسبعون سنة لأن عمر يوسف كان مائة وعشر سنين فاذا نقصنا منها تسعا وثلاثين سنة بقي احدي وسبعون سنة وأقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف ومولد موسى وهو أربع وستون سنة وأقاموا أيضا ثمانين سنة من عمر موسى حتي خرج بهم فيكون جملة مقام بني اسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسي سنة مائتين وخمس عشرة سنة

(موسى في نظر الفلسفة التاريخية)

ذكرنا فيما تقدم ماتقوله الكتب الاسلامية واكثره يوافق ماورد عنه فى القرآن الكريم وما ذكرته عنه الكتب الاسرائيلية ولكن لنقدة التاريخ مجالا لايجوز اغفاله في مثل هذا البحث فان المسئلة من أمهات المسائل التاريخية لتعلقها بحياة رجل عظيم كان مؤسساً لدين عظيم وموجدا لشعب كبير له أثر يذكر في الحركة الانسانية العامة

يقول نقدة التاريخ ان موسى عليه السلام ولد في سنة (١٥٧١) قبل الميلاد وتوفي على جبل ينبو من بلاد العرب سنة (١٤٥١) فيكون قد عمر مئة وعشرين سنة

قالت دائرة معارف (لاروس) :

« اتفق قدماء المسيحيين وقدماء الوثنيين على مدح مؤسس الديانة الموسوية ولو انهم لم يعلموا عن أعماله شيئا كبيرا . فانه من الثابت انه وان كان قد أسس مدنية ودينا فاننا لانملك الكتاب الحقيقي لشريعته . ولقد نسب اليه التوراة أو الخمسة الكتب الأولى من الكتاب المقدس . ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لانزاع فيها من الحواشي والتنقيحات ومن علامات أخري تدل على انه الف بعد الزمان الذي مات فيه موسى بعهد طويل . فقد ذكرت فيه أسماء مدن لم توجد الا بعد موسى . ويجد القاريء ان موسي قد ذكر وفاة نفسه فيه . ويلاحظ تالي التوراة

ان مؤلفه الذي لم يذكر اسمه ينوه عن موسي كما ينوه عن رجل مات منذ قرون كثيرة . وقد لوحظ أيضاً ان التوراة لم يُذكر في المزامير ولا في الكتب المعزوة الي سليمان ولا في كتب جريمى واسحق ولا في القوانين الكنيسية الأخري . وزيادة على ماتقدم فان الخمسة الاسفار التى تؤلف التوراة وهي سفر الخليقة وسفر الخروج وسفر الاعداد والليفيتيك وسفر التثنية اسماؤها يونانية وتاريخها هو تاريخ الترجمة السبعينية

« وقد جمع فولتير في قاموسه الفلسفي اعتراضات القرن الثامن عشر على وجود موسي . وكان قد أنكر وجوده قبل ذلك (هويه) المشهور مطران افرانش وأتي فولتير أيضاً علي الشكوك التى تحوم حول صحة الكتب المنسوبة اليه

« فقد تساءل فولتير قائلا بأي لغة أمكن موسي أن يكتب ما كتبه في تلك الصحراء الموحشة ؟ لايمكن أن يكون قد كتب بغير اللغة المصرية . لأن الكتاب المعزو اليه ينص علي ان موسي وشعبه كله قد ولدوا بمصر . ويرجح انه لم يكن يتكلم بغير تلك اللغة . وقد كان المصريون لذلك العهد لم يعرفوا ورق البردي فكانت كتاباتهم بالهيروغليفية على الرخام والخشب وقد قيل ان الألواح الموسوية كتبت علي الاحجار . واذا صح ذلك وجب أن يكون قد نقش الكاتبون للتوراة أسفاره الخمسة علي الاحجار المصقولة وهو أمر يقتضي زمانا طويلا ومجهودا غريبا . فهل يعقل أن يوجد رجال من المهارة بحيث ينقشون خمسة أسفار التوراة علي الرخام والخشب في فلاة لم يكن فيها مع الشعب الاسرائيلي حذاؤن ولاخياطون وتكلف فيها خالق الكون أن يحفظ ثيابهم وأحذيتهم من البلاء من طريق الاعجاز المستمر ؟

ثم قالت دائرة معارف لاروس بعد ايراد هذه الشبهات :

« ان هذه الشبهات وغيرها استخرجت من نصوص الكتاب المقدس . فان المعلومات اللغوية العصرية عن الشرق والتاريخ القديم للأمم التي سكنت الشواطئ السورية للبحر الأبيض المتوسط قد ولدت شبهات ليست بأقل قيمة من الشبهات المتقدمة والواقع انه عرف الآن بما يكاد يصل لحد الاجماع في العالم العلمي

بأن التوراة قد حررها اسدراس بعد رجوعه من اسر بابل بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن وأساطير عربية كان لها تأثير مستمر في طباع الشرق

« والأساليب التي تخيلت لبيان حال موسي هي أشد جرأة ومجازفة من شبهات النقد والعلم . فقد حاول (هويه) المتقدم ذكره أن يخلط بين موسي و باخوس (البطل اليوناني) وقد اخترع الأب (جيرين دروشيه) نظرية أشد اغرابا أيضاً . وقد هجر كلا هذين الفرضين الآن . والآن اذا كان وجه موسى العظيم لا يزال محاطا بظلام حالك فان للعمل الذي ينسب اليه والشرع المعزو له معجبين متحمسين . فقد قال جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعى : « القانون الموسوي الباقي للآن يدل علي عظم الرجل الذي أملاه ، واذا كانت الفلسفة المتكبرة وروح التعصب الأعمي لا تعتبر موسى الا كاذباسعيد الطالع فان السياسة الحقة تعجب بالنظامات التي سنها بتلك الروح العظيمة القوية وهي لا تزال موجودة في تلك النظامات الخالدة »

(نظرة علي ماسبق) لا نزاع في أن موسي كان رجلا من رجال التاريخ العظماء لقيامه بأمرين خطيرين لا يتسنيان للمتصدرين لهما عفوا أو بمجهود مّا ، وهما تخليص أمته من سلطة الفراعنة الجبارين ، وتحليتها بدين وشريعة . وهذان الأمران عينهما يسوغان لنا أن نعترف له بالنبوة التي ادعاها لنفسه وقد كان في استطاعته أن يدعي الاعتزاء الى الله تعالى في تلك العصور المظلمة التي كان الناس فيها يميلون الي تأليه عظمائهم ونسبة صفات الربوبية لهم . فاكتفاء موسى بادعاء النبوة وتأسيسه لدين توحيدي خالص من شوائب الوثنية ولا سيما في ذلك العصر المشحون بالأساطير والأوهام ونجاحه في ذلك وعدم حيده عن مذهبه ذلك طول حياته واجماع المصادر التاريخية علي انه كان هيناً لينا وادعا لم تغره ابهة السلطان . ولم تستخفه جلالة الملك كما استخفت بأكثر القادة الذين سبقوه فحملتهم على ادعاء الربوبية كالاسكندر وغيره كل هذا يدل على انه كان صادقا في دعواه ، مخلصاً فيما رمي اليه من اقامة حكم الله . وقد جاء القرآن الكريم مقرا على هذه العقيدة فكان الدليل علي نبوته معززاً

الاسناد النقلي أيضاً فتظاهر العقل والنقل في الشهادة له ، وليس بعد هذا في تقوية مركزه مرمي

نعم ان موسي تلمذ للكهنة المصريين القدماء وأخذ عنهم العلوم اللاهوتية والفلسفة العقلية ، وأصول الشريعة المصرية ، فلم يكن لما دُعي الي تخليص قومه يجهل معني النظام الاجتماعي، ومرمي الروح القومي لشعبه ، وأركان التشريع الحافظ لقوام الجماعات ، ولكن كل هذا لايصح أن يضعف من أدلة نبوته بل هو يقربها من العقل فان انفتاق حجب الكثافات البشرية ، وإطلال الروح علي عوالم الغيب من عارف بمعني الحجب والكثافات اقرب حصولا واسهل منالا منها لجاهل بمعناها وليس نجاح موسي في دعوته يرجع لمعرفته بالنظامات والشرائع وأسرار اللاهوت المصري بل يرجع الي سمو روحه وكفاءتها للتأثير علي الغير وقيادته الى مايهواه أحب ذلك أم كره . وهذا السمو لايتفق لروح كاذبة خادعة مرائية تكذب علي الله والناس، وتجعل الدين آلة للتذليل والاستعباد

ولو كان مجرد تعلم الشرائع، والوقوف علي أسرار المعارف يؤهل الانسان لبلوغ أمثال هذه الدرجات العلى بين الأمم لساد كل عالم علي قومه وقادهم الي حيث يريد ، والواقع ان هذه السيادة والقيادة حفظت لأفراد معدودين هم الذين ادعوا انهم أنبياء ودلت الحوادث على صدق دعاويهم بطهارة سيرهم ، واستقامة أمورهم وتجردهم عن حب الدنيا ومضيهم على وتيرة واحدة من الورع من يوم وجودهم الي يوم وفاتهم . ولو اتفق فادعي النبوة من ليس من أهلها وساد قومه بمزاعمه حينا من الأحيان افتضح أمره بعد ذلك وأسقطه قومه شر اسقاط ولفظه الوجود كما تلفظ الحثالة الضارة ، وباد كما تبيد الترهات أمام الحق الصراح

فالذي يجعل النبي نبياً ليس مايكون قد حصله من العلم بالشرائع ،أو بالأصول الدينية ، ولكن الذي يجعله جديرا بهذا اللقب روحه العالية ، وقواه الأدبية التي لاتكون لغير الصادقين أولى العزم من أفراد يرسلهم الله الى هذا النوع كلما أراد أن يحدث في الناس حوادث ذات شأن عظيم

ويمكن أن يقال ان مهمة موسى التي قام بها لاتكفي في الدلالة على نبوته فقد

كان بنو اسرائيل في أسر الفراعنة يتنسمون نسمة الخلاص ويرجون أن يرسل الله من يقودهم بيد من حديد الي ماينجيهم من هذا الشر العظيم ، وكانوا شعبا لهم عصبية ، ووحدة قومية ، ومرام اجتماعية فنبوغ رجل فيهم كان منتظرا، فلما آنس موسى من نفسه القدرة على قيادتهم انتحل لنفسه هذه الوظيفة فتبعه قومه مقودين بدوافع قهرية ذاتية فلم يجاهدهم كما جاهد محمد صلى الله عليه وسلم قومه ، ولم يجد منهم من النفور والاضطهاد ماوجده خاتم الانبياء بل هب معه قومه مجيبين دعوته فسار بهم الى حيث أراد ، ثم أوهمهم انه نبي وان الله يكلمه وجها لوجه الى آخر مافى هذا الباب

نقول ليست هذه الشبهة وان كان ظاهرها قويا مما يثبت على النقد الفلسفي أيضاً فان موسى وان كان قد وجد قومه متضامين متضامنين يرجون أن ينبغ فيهم من ينقذهم من محن الفراعنة الا ان هذا الرجاء فيهم كان من قبيل الأماني بدليل مكثهم قرونا طويلة فى مصر يرزحون تحت كلاكل الظلم والاضطهاد فلماذا لم يتفق لهم ذلك الخلاص الا على يد موسى ، ولماذا يدعي لهم انه نبي ولم يدع لهم انه قائد ، وكيف يتفق لهم النجاح مع اضماره الكذب، والتحافه للرياء والخديعة، وكيف يظل حافظا لهذا الثوب العاري طول حياته ولم يفتضح أمره ؟

ثم لاتنس ان وجود الأمة على حالة نظام اجتماعى قد يكون سببا كبيرا في رفضها دعوة الدعاة الي قيادتها لما يكون في مجموعها من أصحاب المطامع الى مثل هذه الخطط السامية فيفسدون علي صاحب الدعوة قلوب الأمة . فقيادة مثل هذا الشعب وحفظ مركزه بين ظهرانيه عشرات من السنين مسموع الصوت نافذ الكلمة ليس من الهنات الاجتماعية

أما تأسيس موسى عليه السلام لدين توحيدي في وسط تلك الوثنية الشائعة في العالم كله وذهابه في ذلك مذهب الانبياء الذين سبقوه أدل دليل علي انه واحد منهم فانه ليس من السهل المقام على التوحيد والدعوة اليه في مثل تلك الأزمان البعيدة . فلو لم يكن متلقياً لذلك التوحيد من طريق الوحي لما استطاع أن يصر عليه بل لدعا الناس الى نفسه وكان روح العصر يساعده علي ذلك . ولكنه على

اعكس من ذلك أصر على دعوة الناس الى الله الواحد مجردا نفسه من الالوهية والشركة لله ، مقـرا بالعبودية البحت لمولاه . وهـذا من ضبط النفس ، وأدب القلب بالمكان الذي لا يليق لغير الانبياء

يقولون ان التوراة كتاب اثار عليه النقد العـلمى الشكوك والريب من كل قبيل ، وفيه من الآراء العلمية ، والنظامات الاجتماعية مالا يتفق مع العلم ولا ينطبق على العدالة المعروفة بين الناس . فقد جاء فيه عن خلق السموات والارض مالا سبيل للتعويل عليـه ونص على ان موسي كان يحارب المدينة فيستبيحها بعد فتحها فيقتل جميع سكانها حتى حيواناتها فلا يبقي ولا يذر . وورد فيـه أيضاً ان الله بكته علي ابقائه على بعض أهل مدينة من المدائن التي فتحها . وكل هـذا لا يمكن أن يسنه الله ولا يعقل أن ينسب اليـه بحال من الأحوال

نقول : أما وقد أريناك مايقوله النقد العلمي في التوراة فلا نقبل الاحتجاج به على موسي عليه السلام وليس في التاريخ العام أثارة تدلنا على ان موسي كان من القسوة بحيث كان يجتاح المدائن التي يفتتحها ولو كان كذلك لعده الناس واحدا من الطواغي أمثال بختنصر وقمبيز ونيرون وجنكيزخان وتيمورلنـك ، فلم يحصون علي هؤلاء أعمالهم ولا يحصون على موسى عمله فيحشروه معهم ؟

الخلاصة ان الأدلة العقلية والتاريخية كلها متظاهرة على ان موسي كان واحدا من الأنبيـاء الكرام أولى العزم ، الذين ارسلوا لنقل النوع البشري الى مرحـلة جديدة من مراحل المدنيـة فأقام دولة موحدة ذات مدنية راقية وسط أمم عريقة في الوثنية فساعد بحركته هذه علي وجود الديانة المسيحية بتمهيده السبيل لهـا كما مهدت المسيحية السبيل للديانة الاسلامية خاتمة الأديان السماوية

(الآيات القرآنية الواردة فى موسى عليه السلام) يجدر بنا هنا أن نأتي على قصة موسي من النص القرآني نفسه لتتم الفائدة من هـذا الفصل . وقد ذكر الله موسي كثيرا في كتابه وأجمع ماجاء عنه هو ماذكره في سورة القصص فننقله برمته وهـو :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الـكتاب المبين

نتلو عليك من نبأ موسي وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم انه كان من المفسدين. ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليكِ وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون. وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون. وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون. فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون.

ولما بلغ أشده واستوي آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين. ودخل المدينة علي حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين. قال رب اني ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له انه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسي انك لغوي مبين. فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ان تريد الا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين. وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين. فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من الظالمين. ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون. ووجد من دونهم

امرأتين تذودان ، قال ماخطبكما ، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقي لهما ثم تولي الي الظل فقال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير. فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين. قال اني أريد أن انكحك احدي ابنتى هاتين علي أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على مانقول وكيل. فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ن ياموسي اني أنا الله رب العالمين. وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين. أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملأه انهم كانوا قوما فاسقين . قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون. وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون. قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفتري وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. وقال موسي ربي أعلم بمن جاء بالهدي من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيري فأوقد لى ياهامان علي الطين فاجعل لى صرحا لعلي أطلع الى اله موسي واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون. فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين . ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون. وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسي الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون .

﴿ موسى ﴾ بن علي اللخمى البصري من علماء الحديث النبوي توفي سنة (١٧٣) هـ

﴿ موسى ﴾ بن نصير هو أبو عبد الرحمن . كان من التابعين روي عن تميم الداري وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقياً وكان أحد كبار قواد الدولة الأموية لم يهزم له جيش قط وهو فاتح بلاد الاندلس. ولما خرج معاوية لقتال على بن أبي طالب لم يخرج معه فقال له معاوية مامنعك من الخروج معي ولى عندك يد لم تكافئني عليها ؟ فقال لا يمكنني أن أشكرك بكفر من هو أولي بشكري . فقال ومن هو ؟ قال الله عز وجل . فقال وكيف لا أم لك ؟ قال وكيف لا أعلمك هذا فأغض وامض . قال فأطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله . ورضى عنه

تولى أفريقية والمغرب سنة (٧٧) هـ ولم يسمع في الاسلام بمثل سباياه وغنائمه. حارب البربر سكان بلاد المغرب الاصليين حتي وصل الي طنجة فولي عليها مولاه طارق بن زياد . ثم رجع وكتب بعد ذلك الي طارق بغزو الاندلس . فامتثل وركب البحر ونزل بالاندلس وصعد الي الجبل الذي سمي باسمه وهو جبل طارق وكان معه (١٢) الفا من البربر وقليل من العرب . فلما علم به رودريك ملك الاندلس داهمهم بجيش جرار يبلغ سبعين الفا فعمد طارق الى اسطوله فأحرقه وخطب فى اصحابه وقال لهم : أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام فى مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وأنتم لاوزر لكم

غير سيوفكم ولا اقوات لكم الا ماتستخلصون من أيدي أعدائكم . الخ ثم هجموا على عدوهم فانهزم اعداؤهم ووقعت في أيدي العرب بلاد كثيرة . ثم لحق به مولاه موسى بن نصير لتتميم الفتح .

ولد سنة (١٩) ه وتوفي سنة (٩٩) ه

وقد رأينا اتماما للفائدة فى هذا أن نأتي على تفصيل استيلاء موسى بن نصير على المغرب والاندلس بلسان مؤلف قريب من تلك العصور وهو العلامة ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة (٢٧٠) في كتابه (الامامة والسياسة) فان فيه تفصيلا عن سير الامور في ذلك العهد وبيانا عن الاسلوب الاستعماري الذي كان يجري عليه العرب ، وهذا البيان قيمته من الوجهة التاريخية عظيمة يجب امعان النظر فيها . قال ابو محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة :

﴿ تولية موسى بن نصير البصرة ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن يولي أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبد العزيز ابن مروان وهو بمصر و بشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : اني قدوليت أخاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الي موسى وأعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير. فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسي ابن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسي بن نصير خاتمه وتخلي عن جميع العمل. فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم ان رجلا من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك أن أسقيك شرابا لاتشيب معه أبدا بعد أن أشترط عليك شروطا ؟ قال بشر وماهي؟ قال : لاتغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة في أربعين ليلة ولا تدخل حماما. فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب الناس و بعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك ما لم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها. فأتاه الرجل فناشده لايخرج ولا يركب وان لايتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الي كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأي

الرجل عزمه قال له فاشهد لى على نفسك بأنك قد عصيتني. ففعل بشر ذلك وأشهد انه قد ابرأه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا أميالا حتى وضع يده علي لحيته فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه. فلما رأي ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك. فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسي بن نصير مافاتك فلا يفوتك وكان عبدالملك قد أراده لامر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن أو أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيرا به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق: يا أمير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الي

(دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله علي عبد الملك. قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبدالعزيز بن مروان يطول ذكرها. قال سالم قال لى موسي لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلني علي عبد الملك فلما رآني عبد الملك قال موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا؟ قال قلت لم يا أمير المؤمنين؟ قال لجرأتك علي واقتطاعك الفيء. قال فقلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحاً واجتهادا واصلاحا قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة. قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة. فذهبت لاتكلم فأشار علي عبد العزيز ان قل نعم، فقلت نعم يا أمير المؤمنين. ثم خرجت فأعانني عبد العزيز بخمسين الفا وأديت خمسين الفا في ثلاثة أشهر نجمها على

(تولية موسى ابن نصير على افريقية)

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الي مصر سار موسى معه فكان من أشرف

الناس عنده فأقام بها ما أقام حتي قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية) واليا فأقبل حتى نزل مصر و بعث معه بعثا من هناك فأخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتي نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه. فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة؟ قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبدالعزيز فقال حسان ما أنا فاعل . فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقا. قال فأتي به حسان فلما قرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها؟ قال والله لا انعزل عما ولانيه أمير المؤمنين. قال فاقعد في بيتك فسيولى هذا الأمر من هو خير منك وأولى به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك. ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعي بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين

فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسي بن نصير فلما صار علي الجيش الاول أتي عصفور حتى وقع علي صدره فأخذه موسي فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه علي صدره وعلى نفسه. ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

(خطبة موسي بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا ان موسي لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأي رأيا فى حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبدالعزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله مابه . وانما الأمير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل ان أجهد نفسه في الاختيار لكم

وانما أنا رجل كأحدكم فمن رأي مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأي مني سيئة فلينكرها فاني أخطيء كما تخطئون وأصيب كما تصيبون . وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا مريئا ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

(دخول موسى بن نصير افريقية)

قال وذكروا ان موسي لما سار متوجها الي المغرب بقيـة صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادي الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان ابن مالك الفهري وأبا صالح فغـرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسى أفريقية وما حولهـا مخوف بحيث لايقـدر المسلمون أن يبرزوا في العيدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب و بناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بني القبـلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لاترام وعامة السهل

(خطبة موسي بأفريقيـة) قال وذكروا ان موسي لما قدم أفريقية ونظر الي جبالهـا والي ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أيها الناس انما كان قبلي على أفريقيـة أحد رجلين مسالم يحب العافيـة و يرضي بالدون من العطية و يكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليـل المعرفة راض بالهوني . وليس أخو الحرب الا من اكتحل السهر واحسن النظـر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو و يسلم دون أن يكلم أو يكلم و يبلغ النفس عـذرها فى غـير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه، جازما في عزمه، مستزيدا في علمه، مستشيرا لاهل الرأي في أحكام رأيه ، متحنكا بتجاربه، ليس بالمتجـابن اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما، ان ظفر لم يزده الظفر الاحذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً، راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى ان العاقبة للمتقين أي الحـذرين . وبعـد فان كل من كان قبلي كان يعمد

الى العدو الاقصى و يترك عدواً منه أدني ينتهز منه الفرصة و يدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتي يضع الله أرفعها و يذل أمنعها و يفتحها علي المسلمين بعضها أوجميعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(فتح زعوان) قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين و يرصدون غرتهم والذي بين زعوان و بين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى ثم وجه ابنا له يقال له عبد الرحمن بن موسى الي بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز ابن مروان) قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وأمكن له و يعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه . فكتب اليه عبد العزيز: انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الي بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم . فلما قدم الكتاب علي موسي كتب اليه : بلغني ان الامير أبقاه الله يذكر انه استكثر ماجاءه من العدة التى أفاء الله على وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الامير والخمس ايها الأمير ستون الفا حقا ثابتاً بلاوهم . قال فلما أتي الكتاب الي عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

(انكار عبد الملك تولية موسى ابن نصير) وذكروا ان عبد العزيز لما ولّى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسي بلغ ذلك عبد الملك بن مروان

فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأي عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأي ان لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسي مكانه وعلم الامر الذي له عزلته وقد كنت أنتظر منك مثلها في موسى وقد امضي لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيرا فانه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان لمثلها مني منتظراً في موسى ويعلمني انه قد أمضى لى من رأيي ما أمضيت وولايتى من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذي فتح الله على يدبه ولم أعد مع نظري لأمير المؤمنين بأن عزلت حسان ووليت موسى في يمن طائره وحسن أثره. فأما قول أمير المؤمنين قد كنت انتظرها منك في موسى فلعمري لقد كنت لها فيه مرصدا ولامير المؤمنين أن يسبق بها اليه منتظرا حتي حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسى الرأي والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك) وذكروا ان عبدالعزيز كتب الى عبد الملك : أما بعد فاني كنت وانت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فأتيا معاً وقد مدت الغاية لأحدهما ولك عنده مزيد ان شاءالله. وقدجاءني ياأمير المؤمنين كتاب من موسي وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم لمثل الذي مثلته في حسان وموسي ويقول لك عند أحدهما مزيد وكل قد عرف الله علي يده خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل مجر بالخلاء مسرور والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ماذكر موسي وعلي ما كتب به فلما قدم الرسول علي موسى دفع اليه ماذكر وزاده الفا للوفاء

(فتح هوارة . وزناتة . وكتامـة) قال وذكروا ان موسى أرسل عياش بن اخيل الي هوارة وزناتة في ألف فارس فأغار عليهم وقتـلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسي الي عبـد العزيز في وجوه الاسري فقتله عندالبركة التي عند قريةعقبة فسميت بركة كامون. فلما اوجع عياش فيهم دعوا الي الصلح فقدم عـلي موسي بوجوههم فصالحـوهم وأخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسى فصالحتـه وولي عليهم رجلا منهم وأخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الي موسى انما نحن عبدانك قتل احدناصاحبه وانا خير لك منه فلم يشك موسى ان ذلك انما كان عن ممالأةمن كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسي قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهم ولمهم انما هربوا فوجه الخيول في طلبهم فأتي بهم فأراد صلبهم فقالوا لاتعجل أيها الامـير بقتلنا حتي يتبـين أمرنا فان آبائنا وقومنا لم يكونوا ليدخـلوا في خلاف أبداً ونحن في يدك وانت علي البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديدا وأخرجهم معه الى كتامة وخرج هـو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهـم .

(فتح صنهاجـة) قال وذكروا ان الجواسيس أتوا موسى فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفـلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا علي أثقال المسلمين وعيالهم بظبية في الفي فارس وعلي مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلي ميمنته المغـيرة بن أبي بردة وعلى ميسرته زرعة بن أبي مدرك فسار موسي حتى غشي صنهاجـة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لايشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الي الغرب فخرج نحو مما كان

معه فالتقي المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله منحه اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما) قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى نجدة ابن موسى في طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وما حولها واستخلف عبدالله بن موسي على القيروان ثم خرج وهو فى عشرة آلاف من المسلمين وعلي مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن أبي بردة القرشي وعلى ساقته نجدة بن مقسم فأعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد فى الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف وسار بمن معه حتي انتهى الي نهر يقال له ملوية فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره أن يجوز عليها فلما أجاز وانتهي اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديدا في جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادي بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسي الي مروان ابنه فقال له اخرج اليه أي بني فخرج اليه مروان ودفع اللواء الي أخيه عبدالعزيز بن موسي فلما رآه البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره أن أعدم منك أباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتي الجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون ثم التقي الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم أن الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ومالا يحصى من النساء السلسات اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة. قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدي موسى قال

علىّ بمروان ابني قال فأتي به قال له أي بني اختر قال فأختار ابنة كسيلة فاستسرها فهي أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن أبي مدرك قتالا شديداً أبلي فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى ان لايحمل الا على رقاب الرجال حتي يدخل القيروان وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الي عبد العزيز بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا مايقول اذا جاءه فتوح موسى . لتهنئك الغلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . قال و بعث موسي الى عياض وعثمان والي عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم في قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فأرسل اليه موسى أن أمسك فقال : أما والله لو تركتني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان موسي لما قدم وجه بذلك الفتح الي عبد العزيز بن مروان مع علي بن رباح فسار حتي قدم علي عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الي عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزادفي عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا اكره أن أفعل مثل مافعل لزدتك مثلها ولكن تعدلها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الي موسى يعلمه انقد فرض لجميع ولده فيء مائة وبلغ به هو الى المائتين وفرض في مواليه واهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان امير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التى اغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم علي موسي كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فاني أشهدكم انه ردعلى المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب. وكان موسي اذا أفاء الله عليه شيئاً اشتري من ظن منهم انه يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد ان يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضي عتقه

وتولاه وان يجد فيه مهارة رده في الخمس والسهام . قال وكتب موسي الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبي مدرك وما أوصله وانه لولا ذلك أوفده الى أمير المؤمنين ففرض له عبد العزيز في مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك في سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى في البحر) قال وذكروا ان موسى أقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجري البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لانطيقه فقام الى موسي رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الأمير قد مر عليّ مائة وعشرون سنة وان أبي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لايعجزها شئ لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الأمير فان الله تعالى سيعينك علي مانويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسي وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبني دار صناعة بتونس وجري البحر اليها مسيرة اثني عشر ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك بقية سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسي بسوسة فأخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفى هذا العام فأقم لاتغرر بنفسك فانك في تشرين الآخر فأقم بمكانك حتي يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسي رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتي أتي جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة واشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فأصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل افريقية فلما بلغ ذلك موسي وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقي البحر من سفن عطاء واصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لافتشه

فنازعني فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير . ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من النواتية فأدخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتي اذا ركبوا في الفلك ولم يبق أحد الا أن يرفع دعا برمح فعقده لعبدالله بن موسى ابن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته وانما أراد موسي بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم سار عبدالله بن موسى في مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت في بحر أفريقية قال فأصاب في غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فأصاب مالا يدري فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون مابين الالف الي التسعمائة ثم انصرف قافلا سالماً . فأتت موسى وفاة عبدالعزيز ابن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة

و بفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله علي يده ثم ان موسى بعث زرعة بن أبي مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤسهم الى موسي فأعطاهم الأمان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب أهل افريقية فشتا في البحر وأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل في ست وثمانين. ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسي في سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوي الذهب والفضة والحرث وغيره

(غـزوة السوس الاقصي) قال وذكروا ان موسي وجه مروان ابنه الي السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسواري فسار في خمسة آلاف من أهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأي مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان في يده اليمني القناة وفى يده اليسري الترس وانه ليشير بيده الي الناس ان كما انتم . فلما التقي مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة

ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدي مروان فبلغ السبي أربعين الفا وعقد موسي على بحر افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا ان خادما للوليد ابن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال : اني لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ أتي رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما أتي علي آخره حتي أتي رسول آخر من قبل موسي بن نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فأعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامدا ثم التفت الي قال أمسك الباب لايدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبو بين يديه فلما خر الوليد ساجدا شاكرا لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا أستطيع أن أغيثه لما أمرني به من امساك الباب وأطال السجود حتي خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف) قال ثم ان صاحب قلعة ارساف أغار على بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسي خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال قتلني الله ان لم اقتله وأنا مقيم هنا. قال فأقام موسى ما أقام ثم انه دعا رجلا من أصحابه فقال له اني موجهك في أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندي فيه حسن الثواب خذ هذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتي تأتي موضع كذا وكذا في مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدي هذين الاذنين بما فيهما ثم انصرف الى بالاذن الأخري وبعث معه موسى قبة من الخز والوشى ومن طرائف أرض العرب شيئا مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاب كأنه كان كتب به الى موسي يسأله الأمان على أن يدله على عورة الروم وكتب فيه أمان من موسى مطبوع . فسار حتي انتهي الي الموضع الذي وصف له موسي فترك الاذن

بما فيها وانصرف راجعا في الاذن الأخري حتى قدم على موسي ، وان الروم لما عثروا علي اذن موسي استنكروها فرفع أمرها ال بطريق تلك الناحية فأخذ مافيها فلما رأي مافيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هي الى الملك الاعظم. فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الي ارساف رجلا وملكه عليها وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذي أغار علي ساحل أفريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس) قال وذكروا ان موسي وجه طارقا مولاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسي اني قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتممها سبعاً ثم سر بها الى شاطئ البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر ادار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالأعجمية مارس فاذا كان يوم احد وعشرين منه فاشحن علي بركة الله كما أمرتك ان شاء الله فاذا أجريت فسر حتي يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الي جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر في من معك الي رجل طويل أشقر بعينيه قبل وبيده شال فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتي يغشاك ان شاء الله. فلما انتهي الكتاب الي طارق كتب الى موسى : اني منته الى ما أمر الأمير ووصف غير اني لم أجد صفة الرجل الذي أمرتني به الا في نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعمائة وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لاندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعاً الي طارق في سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت

والزبرجد ومعه الجبال ولا يشك في أسرهم. فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة و بسط لهم في آمالهم ثم قال. أيها النـاس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبـان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب. كثرة أيها الناس مافعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحمـلوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامـد الى طاغيتهم بحيث لا أنهيه حتي أخالطه وأقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير. وايا كم ايا كم أن ترضوا بالدنيـة ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيـذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين. وها أنا ذا حامل حتي أغشاه فاحمـلوا بحملتي. فحمل وحمـلوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق و بعث به الي موسي بن نصير و بعث به موسي مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل أفريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق مالا يدري ماهو ولا ماقيمته . قال وكتب طـارق الي مولاه موسي . ان الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادي في النـاس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد الله بن موسى على أفريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن معه حتي أجاز الى طارق قبل دخول أبيـه موسى وخرج موسى ابن نصير والناس معه حتي أتي المجاز فأجاز بمن زحف معه في جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجـد الجموع قد شمردت اليـه من كل مكان فسار حتي

افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلي . ثم ان موسي سار لا يرفع له شيء الا هذه يفتتح له المدائن يميناً وشمالا حتي انتهي الي مدينة الملوك وهي طليطلة فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الاندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب علي التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولّي ووجد في ذلك البيت أيضاً مائدة عليها اسم سليمان ابن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسي الي التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الأغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدري ماقيمته، فأما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

(اتهام الوليد موسي بالخلع) قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد أن يخلع ويقيم فيها و يمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت كتب موسي عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضى أن يدعو على موسى اذا قضي صلاته . وان موسى لما دخل طليطلة بعث علي بن رباح بفتحها وأوفد معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فألفي القاضى يدعو على موسى فقال : أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله ما نزع يداً من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين واني لاحدثكم عهداً به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندي خبره وما أفاء الله على يده لأمير المؤمنين وما أيد به المسلمين ماتقر به أعينكم وتسر به خليفتكم .

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسي ارسل اليه فأدخل عليه ثم قال له ماوراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسي بن نصير في الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح علي يد أحد وقد أوفدني الي أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه

فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتي علي آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضاً ساجدا ثم رفع رأسه ، فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

(ذكر ماوجد موسي في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب) قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا انها كانت لسليمان ابن داود عليه السلام فقال : كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذي افتتحت الاندلس على يديه وفي ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتي أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والأساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت بغمه ولاعلمت مافيه . فقالوا أصلحك الله انه لاخير في مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالأولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبي الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت ان فيه من المال والجواهر وما خطر علي قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم . فأبي الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها . فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

(ذكر ما أفاء الله عليهم) قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الأوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام . قال وذكروا ان رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأي رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت . فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون

يمينا وشمالا مايلتفتون اليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع. قال وأقبل رجل الى موسى فقال ابعث معي أدلكم علي كنز. فبعث معه موسى رجالا فقال الذي دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى أرسلوا اليه. فأرسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد. قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو أنفس منه. قال الليث وبلغني ان رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ماغل حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت. وحدثنا ابن أبي ليلى النجيبى عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسي فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة. قال وكتب موسي حين افتتح الاندلس الي أمير المؤمنين. انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر. وأخبرني عن عبدالحميد بن حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لايحاط بعلمه. قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها. فقلنا له فكيف علمت هذا؟ قال اني والله من سبيه ولأخبرنكم بعجيب. والله ما اشتراني الذي اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير. فقلنا له ما أقدمك فقال أبي كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الي عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه في موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه. قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته؟ قال نعم، فلم ندر بعد مافعل

(غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج) قال وذكروا ان موسي خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حتي دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم

وغزا البشكيس فدخل فى بلادهم حتى أتي قوما كالبهائم ثم مال الي أفرنجة حتي انتهي الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الي الأندلس قال فأصاب فيها مالا يدري ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهر أو أربعون ليلة قال وذكروا ان عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الأندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى مابلغنا مع موسي الا يسيراً من ورائها فأتينا مدينة علي بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها اذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الأمير انا قد فرقنا الجيش أرباعا علي نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصى وعليه رتبة . قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه. قال ثم ان موسي التفت الي وقال لي كم معك من الزاد قلت مابقي معى غير تليس. قال فأنت لم يبق معك غير تليس وأنت من أمراء الجيش فكيف غيرك ؟ اللهم أخرجهم من ذلك الباب. قال المغيرة فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها

موسي منه ووجه ابنه مروان في طلبهم فأدركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيما. قال وذكروا ان جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسي فحاصرنا حصناً من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادي فينا أن أصبحوا على تعبئة، وظننا انه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : أيها الناس اني متقدم أمام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا. فقال الناس سبحان الله أتري فقد عقله أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه ؟ قال فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل علي الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعني الا خيل المسلمين تمزع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا منها السبي والجوهر مالا يحصى. قال وحدثتني

مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح ان موسي حاصر حصنها الذي كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فأقام لنا محاصراً حيناً ومعه أهله وولده وكان لايغزو الا بهم لما يرجو في ذلك من الثواب . قالت ثم ان أهل الحصن خرجوا الى موسي فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه. قالت فلما رأي ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما موسى في يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني اتي حصناً ثالثاً فالتقي الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً حتي حال المسلمون حوله. قال فأمر موسي بسرادقه فكشطه عن نسائه و بناته حتي برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى وحمي المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له . وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في غزواته كلها فلم ترد له راية قط ولا هزم له جمع قط حتى مات. وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أساقفتها: انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً تصيد بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسى وأعجبه. وقال عبد الحميد بن حميد عن أبيه ان موسي لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا مافى أيدينا . وكان موسي قال حين دخل أفريقية وذكر عقبة بن نافع: لقد كان غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه أما كان معه رجل رشيد ؟ فسمعه حبيش الشيباني قال فلما بلغ موسي ذلك المبلغ قام حبيش فأخذ بعنانه ثم قال : أيها الأمير اني سمعتك وأنت تذكر عقبة ابن نافع تقول لقد غرر بنفسه و بمن معه أما كان معه رجل رشيد، وأنا رشيدك اليوم أين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل، وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك؟ اني سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملؤا أيديهم وأحبوا الدعة . قال فضحك موسى ثم قال أرشدك الله وكثر في المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا الي الاندلس . فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الي لقدتهم الى رومية ثم يفتحها

الله على يدي ان شاء الله

(خروج موسى بن نصير من الاندلس) قال وذكروا ان عبد الرحمن ابن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس، قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسي عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز بن موسى فجاز موسي البحر على الاندلس فغزا بالناس حتي بلغوا اربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف ومالا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه وجوه الناس. قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال: كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة وبياضاً مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت: فماعظمها؟ قال. كنا بموضع والناس معسكرون اذأفلت بغل لرجل من موالى موسي يقال له صالح أبو ريشة علي رمكة فكردها في العسكر فقام الناس اليه بأعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسي قال ماهذا وتطلع الجواري فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسي وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتي تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوي

(قدوم موسي أفريقية) قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولي موسي أخبرهم انه لما جاز موسي الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشي الاندلسي حتي أتي أفريقية فلما قدمها بقي بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبدالله علي أفريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان ابن موسي وعبد الأعلى بن موسي وعبد الملك بن موسي وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وزرعة بن أبي مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من

وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر و بنو ملوك البربر وملك السوس ومزدانة وملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً بأصناف مافي كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصي فأقبل يجر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

(قدوم موسى الى مصر) قال وذكروا ان يزيد بن سعيد بن مسلم أخبرهم قال لما أتي موسي مصر وانتهي ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسي حتى اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة استخلف ابن رفاعة علي الجند حتى توفي فلماسمع بموسي خرج مبادراً حتى لحقه حين استوي على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من أنت يابن أخي؟ فانتسب له فقال مرحباً وأهلا، فسار معه حتي نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة فى المال الذي كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهري وذلك بعدمهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الي ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسي ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف الاوقد أوصل اليه موسي صلة ومعروفا كثيراً وأهدي لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتي فلسطين فتلقاه آل روح ابن زنباع فنزل بهم فبلغني أنهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

(قدوم موسي على الوليد رحمهما الله تعالى) قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر أخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي توفي منها وقد كان سليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه

على الوليـد يأمره بالتثبط في مسيره وأن لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلمـا أتي موسى بالكتاب من سليمان وقـرأه قال : حييت والله ماغـدرت وما وفيت والله لاتربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني أسير بمسيري فان أوافه حيـاً لم أتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله . فرجع الرسول الي سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه أو ليـأتين علي نفسه. فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لمـا بلغه قدوم موسي واقترابه منه وجـه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى وانه أراد أن يراه وأن يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسى شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فأقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجـد والوصفاء والوصائف والوشى ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمائدة فكسرت وعمد الي أخر مافيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير) قال وذكروا ان عبدالرحمن أخـبرهم ان سليمان بن عبد الملك لمـا أفضت الخلافة اليه بعث الي موسى فأتي به فعنفـه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ : أعليّ اجـترأت وأمري خالفت والله لأُقلن عـددك ولأُفرقن جمعك ولابددن مالك ولأضعن منـك ما كان يرفعه غيري ممن كنت تمنيه أماني الغرور وتخدعه من آل أبي سفيان وآل مروان . فقال له موسى : والله يا أمـير المؤمنـين ماتعتل عليّ بذنب سوي انني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولي النعمة عندي فيه. فأماماذكر أمير المؤمنين من انه يقل عددي ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالى فذلك بيـد الله والي الله وهو الذي يتولى النعمة على الاحسان الى وبه أستعين ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه أن يجري علي يديه شيئاً من المكروه لم أستحقه ولم يبلغـه ذنب اجـترمته . فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحـر عل طريقة قال وكانت بموسى نسمة فلما أصابه حرالشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه. قال وجعلت

قرب العرق تعتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الي أن نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشياً عليه قال عمر بن عبد العزيز : ما مر بي يوم كان أعظم عندي ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسي وما كان عليه من بعد أثره في سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الىّ سليمان فقال يا أبا حفص ما أظن الا قد خرجت من يميني قال عمر: فاغتنمت ذلك منه فقلت يا أمير المؤمنين شيخ كبير بادن و به نسمة قد أهلكته وقد أتت علي مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الأثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين. قال عمر والذي منعني من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحقده عليه ، فخشيت ان ابتدأته ان يلح عليه وهو لحوح، قال فلما قال لى ماقال حمدت الله علي ذلك وعلمت ان الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه. فقال سليمان من يضمه ؟ فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه يا أمير المؤمنين. قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة، قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه . قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فأقام أياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان في الصلح حتي افتدي منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

(عدد موالي موسي بن نصير) قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسي ذات ليلة وقد سهر سهراً طويلا يا أبا عبد الرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال كثير قال يكونون الفا قال له موسي نعم والفا والفا حتي ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ما أظن ان أحداً خلف مثلهم. قال له يزيد انك لعلي مثل ماوصفت وتعطى يدك، ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك و بعثت بما قدمت به فان أعطيت الرضا أعطيت الطاعة والا كنت علي التخيير من أمرك؟ فقال موسى والله لو أردت ذلك ماتناولوا طرفا من أطرافى الي أن تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة. ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى وقال لمن عنده والله ان في رأس أبي خالد لنفرة وليأتين عليها

(ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب) قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ أهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذي أفاء الله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الي اليوم ونزلوا موضعاً بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمي سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ان موسي اتخذ لنفسه داراً وسكمنا حتى كان من أمر سليمان ماقد ذكر وهو الذي أخرجه وأهله من المغرب. قال وحدثنا بعض أهل افريقية ان موسي ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من أفريقية على رأس أميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتني داراً واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا الكريم أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسي انتهي الى صنم يشير بأصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم أما الصنم الأول فاذا هو يشير بأصبعه الي السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير بأصبعه تحت قدميه فلما انتهي موسى الي الصنم الثالث قال موسي احفروا فاذا بمحدث مختوم الرأس قد أخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ماهذا قالوا لا والله أيها الأمير ماندري. قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبي الله سليمان بن داود. قال وحدثنا بعض مشايخ أهلَ المغرب ان موسى أرسل ناسا فى مراكب فأمرهم أن يسيروا حتي ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه أمامه في جزيرة في البحر ثم يسيروا حتي يأتوا صنما آخر فى جزيرة يشير بأصبعه أمامه ثم يسيروا الليالي والأيام ويجدوا في السير حتي يأتوا صنما آخر في جزيرة في البحر فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك في أقصى المغرب ليس وراءه أحد من الناس الا البحر المحيط وهو أقصى المغرب في البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ من أهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من أقصى المغرب فاذا عليه في الشق الأيمن أصنام ذكور وفي الأيسر اصنام أناث وان موسي لما انتهي الي ذلك الموضع خاف الناس فلما رأي ذلك منهم رجع

بالناس ثم مضى في وجهه ذلك حتي انتهي الي أرض تميد بأهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبدالله بن قيس قال بلغني ان موسي لما جاوز الاندلس أتي موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضي فعرف موسي انه شيطان من الشياطين التي سجنها سليمان بن داود فأمر موسي بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس. قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسي كان يسير فى بعض غزواته وهو بأقصى المغرب اذ غشى الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى في ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فأمر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوي على سورها تردي فيها. ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك. ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار؟ فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسي فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم علي رسلكم يأتيكم الأمر على ماتحبون ان شاء الله. ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر أن يرمي الحصن فلما علم من فى الحصن ماعمل موسي ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا. فقال لهم موسى أين أصحابي وما فعلوا؟ قالوا هم عندنا على حالهم. فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فأخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا مادرينا ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتي أخرجنا اليك. فقال موسى الحمد لله كثيرا. ثم تقدم بالناس سائرا يفتتح كل مامر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبدالملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسي عليه) قال وذكروا ان سعيد بن عبدالله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب في العطاء وتقلب في

الأرزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد أن رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر عليّ ياموسي فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله بعيد الأثر طويل الجهاد. فقال له موسي : أي يا أمير المؤمنين ان توجهه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجل حتي يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتي يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسى وأهلى ومالى وولدي وأنا آتيك بالملك، فأمنه ومضى البطريق الى الملك الأعظم وأعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأي ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط في يديه . فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه؟ فقال الملك اجعل تاجي علي رأسك وأقعدك مكاني. فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال أخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك. فبعث البطريق الى جميع الحصون فأمرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ما قدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له : لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتي يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسي عن المغرب)

قال وذكروا ان محمد بن سليمان أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت علي الاندلس؟ قال له عبد العزيز ابن موسى. قال ومن خلفت على افريقية؟ وطنجة والسوس؟ قال عبد الله ابني. فقال له سليمان لقد أنجبت ياموسى فقال موسى ومن انجب مني يا أمير المؤمنين ان ابني مروان آتي بملك الاندلس، وابني عبد الله آتي بملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان أتي بملك السوس الأقصي فهم متفرقون فى الأمصار وغيرهم يغيرون

فيأتون من السبي بما لايحصي فمن أنجب مني يا أمير المؤمنين؟ قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك؟ فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لانه به ومنه وعلي يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني امية فقال له ياموسى أنت ملك المغرب واعلم الناس تخرج الي الوليد وتعلم من سليمان؟ فقال له موسي : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني امية ماتعلم ألا تري يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيمقفه بحبل ثم ينصبه ويهيئ ويضع فيه حبة بر أو ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الي الوقوع فيه. فاحذر يا ابن أخي أن تراك الشام أو تراها . فخرج موسي الي الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسي ماذ كرنا واخرج القرشى الى الشام فضربت عنقه .

(ذ كر قدوم موسي على الوليد)

قال وذ كروا ان موسي لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل رجل من الاسري تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا وامر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاشبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالأموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة الحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء ملوك افرنجة وأقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد أثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لأجل قدوم موسي ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسي ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ في حمد الله تعالي والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام

لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلي بالنـاس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسي فصب عليه الوليـد الخلع ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعا في الشرف وفـرض لخمسمائة من مواليه ثم أدخل عليـه موسي ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤوس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ثم ان الوليد هلك .

(ذكر اختـلاف الناقلين في صنع سليمان بموسى) قالوا لمـا استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان أحنق الناس على الحجاج وموسى بن نصـير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لأمر يطول ذكره . قال فأرسل سليمان الى عمر بن عبـد العزيز فأتاه فقال اني صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمـر الى موسي فأتاه فقال له: يا ابن نصير اني أحبك لاربع: الواحدة بعد أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله ، والثانيـة حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثالثـة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه، وكان عياض من عبـاد الله الصالحين ، والرابعة ان لأبي عندك يداً وصنيعة وأنا أحب أن تتم يده وصنيعتـه حيث كانت وقد سمعت أمـير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فاحـدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك. فقال له موسي قد فعلت وأسندت ذلك اليك. فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن اسند الي من أحببت. فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حمارة الصيف دعا سليمان موسي فأدخل عليه متعباً وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتوعـده فقال له موسي : أما والله يا أمير المؤمنين ماهذا بلائي ولا قدر جزائي، اني البعيد الأثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائي مع آبائك ونصيحتي لهم . قال فيقول له سليمان كذبت قتلني الله ان لم أقتلك . فلما أكثر على موسي قال له أما والله لمن في بطن الارض أحب الي ممن على ظهرها. فقال سليمان ومن أولئك؟ واستطير. فقال له

موسى مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك. قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك. فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين. فيقول ولم لا لاأم لك؟ فيقول له موسي اني لأرجو أن لايكرم موسى بهوان أمير المؤمنين. وموسي حينئذ قائم في الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره. ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أري يميني الا قد برت ياعمرو. قال عمر فاغتنمها منه ولم أبال أن يحنث باحياء رجل من المسلمين. فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتاً. قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال؟ فقال يزيد بن المهاب أنا يا أمير المؤمنين. قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى. فخرج به يزيد فحمله علي دابة ابنه ثم انصرف به الي منزله فأكرمه وبره وقال له: أطع أمري وأجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحماني كما قاضيته عليه. فقال له موسي أما اذا كنت انت صاحب هذا الشأن فأنا غير مخبرك فيما ضمنت لأمير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره بالبسط علي لكان أحب الى أن ألقي الله عزوجل وأقرب الى من أن يأخذ مني دينارا واحدا ولكن أديا يابني عن أنفسكما وعن أبيكما. فقالا نعم فغدا يزيد بن المهاب الي سليمان فأعلمه بذلك وبرضا موسي بمقاضاته فأدخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لولم أقاضك ما كنت فاعلا؟ فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلي ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتي على أنفسكم. فقال موسي الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فأعطني أربع خصال ولك مادعوتني اليه من هذا المال. فقال وما هن؟ قال لاتعزل عبد الله بن موسي عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ماجباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين. وان تدفع الى طارقا مولاي واكون أعلي به عيناً وبماله. فقال له سليمان أما ماسألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك. وأما ماسألت من دفع طارق اليك فتكون أعلي عيناً به وبماله فليس

هذا جزاء أهل النصيحة لأمير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك و بين عقوبته ولا أخذ ماله. فقاضاه موسى علي مال فأجله فى ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ماقاضى عليه عبدالله سليمان أمير المؤمنين موسي بن نصير قاضاه على أربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين ديناراً ذهباً طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة الف وبقي علي موسى سائر ذلك اجله أمير المؤمنين الي سير رسول أمير المؤمنين الي ابن موسى الذي بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعاً بالمال الا ما كان من أفريقية وما دونها وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو فيء أو أمانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدي موسى الذي سمى أمير المؤمنين فى كتابه هذا من المال الي ماقد سمي أمير المؤمنين من الاجل فقد بريء موسي وبنوه وأهله ومواليه وليس عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسي أو بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول أمير المؤمنين افريقية فهو من الذي علي موسى من المال يحسب له من الذي عليه مالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلي أمير المؤمنين بين موسي وبين أهله ومواليه ليس له ظلم أحد منهم غير ان أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئاً من الذي قد أباه عليه أول يوم. شهد أيوب ابن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمرو ابن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد ابن الريان وعمر بن عبد الله ويحيي بن سعيد وعبدالله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادي سنة تسع وتسعين : فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسي وابنيه والكف عنه فأعانه يزيد ابن المهلب بمائة الف دينار فأهدي اليه موسي حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الي ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى أتدري لم قلت لأمير المؤمنين أنا أضمه؟ قال لا

قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يري فيك ما أنا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت أن أجزيك بها عنه وبالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ما شاكتك عندي شوكة حتي لا يبقي لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

(ذكر يد موسي الى المهلب) قال وذكروا ان مخبراً أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التي أسداها موسى الي المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً أخاه جعل معه موسي بن نصير وزيرا ومديرا لأمره وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولى المهلب قتالهم وكان بشر المهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأته فولي بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئا فكتب عبد الملك الي بشر أخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه . فصمم بشر على رأيه فلما استغاظ امر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير فى أمر المهلب فأما عكرمة واسماء فوافقاهواه فيه، وأماموسي فقال له ان أمير المؤمنين لايحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فان كان مابلغك أمر يقال انه أتاه فاكشفه عنه حتي تعلم عذره فيه أو ذنبه فلم يزل موسي يردد أمر المهلب علي بشر ويعطفه عليه بعد أن كان هم بقتله ان ظفر به حتى أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلى فبعث اليه موسي بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسي قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الايام التى كان يخاف فيها بشر بن مروان علي نفسه خرج الي مال له فكان فيه وحده فأتي رجل الى بشر وعنده موسى فقال له ان كان لك أيها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الي موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا

قال فنهض من مجلسه موسي فوجه اليه غلاما له ثم قال له أنت حر لوجه الله ان أنت سبقت هذه الخيل حتى تنتهى الي موضع كذا وكذا فتأتي المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الي المهلب فأعلمه فاستوي علي فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحداً هناك فانصرفوا راجعين الي بشر فاعلموه بذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس) وذكروا ان محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسي بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتي رضي عنه وابنه عبد الله بن موسي على أفريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز علي الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بأبيه موسي تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فنمت الى سليمان فخاف سليمان أن يخلع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان ابن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبى وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الي كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الي عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم الى عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الى ذلك الذي أحب من مكانفتكم لانه بأزاء العدو وأعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو أمير مكانه . وكتب الي عبد الله بن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بأزاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل أمير المؤمنين فأخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم الى عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز . أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الي الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له أن بأفريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبد الله بن موسي يأمره بأشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك. وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر فى قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسي بأفريقية أشخص القوم

فخرجوا حتي قدموا علي عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان في الطافهم واكرامهم فقربهم عبدالعزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أي نواحي وثغوري شئتم فضربوا الرأي فقالوا انكم ان فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم نأمن أن يميل معه عظيم الناس فان في يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم في الفتك به قالوا فان هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسي قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل و بايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد أهل الاندلس صلاحا وفضلا فأعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم : قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم و كبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يداً من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وأنتم ترون وامير المؤمنين لا يري فأطيعوني ودعوا هذا الأمر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله بن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك فأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبلوا أهل الأندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز ابن موسى رحمهما الله. انتهى

﴿ الموسوية أو المفضلية ﴾ فرقة من الشيعة قالت بامامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الاوهو سمي صاحب التوراة ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق فمن ميت فى حال حياة أبيه لم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ميت غير معقب وكان موسى هو الذي تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمرو وزرارة بن أعين وعمارة السباطى وروت الموسوية عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه عد الايام فعدها من الاحد حتي بلغ السبت

قال له كم عددت؟ فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا، وأشار الى موسى. وقال فيه أيضاً انه شبيه بعيسي. ثم ان موسى لما خرج واظهر الامامة حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى ابن جعفر ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندي ابن شاهك وقيل ان يحيي ابن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم أخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد. واختلف الشيالة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لاندري أمات أم لم يمت. ويقال لهم المسطورة وسماهم بذلك علي ابن اسماعيل فقال ما أنتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية. ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة. ويقال لهم الوقفية. أسامي الأئمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضى والمجتبي والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضى والتقي والنقي والزكي والحجة والقائم والمنتظر

﴿ الموشكانية ﴾ من اليهود أصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية انهم أثبتوا نبوة المصطفي عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوي اليهود لانهم أهل ملة وكتاب. وزعمت فرقة من (المقاربة) ان الله تعالي خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل مافي التوراة وسائر الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز أن يوصف الباري تعالى بوصف. قالوا فان الذي كلم موسي عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك و يتعالى الرب تعالي عن أن يكلم بشراً تكليما وحمل جميع ماورد في التوراة من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله في السحاب وكتب التوراة بيده واستوي علي العرش قراراً وله صورة آدم وشعر قطط ووفرة سوداء، وانه بكي على طوفان نوح حتي رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتي بدت نواجذه الى غير ذلك علي ذلك الملك قال و يجوز في العادة أن يبعث ملكا واحداً من جملة خواصه ويلقي عليه اسمه

ويقول هذا هو رسولي ومكانه فيكم مكاني وقوله وأمره قولي وأمري، وظهوره عليكم ظهوري، كذلك يكون حال ذلك الملك. وقيل ان اريوس قال فى المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم أخذ قوله من هؤلاء. وهم كانوا قبل اريوس بار بعمائة سنة وهم أصحاب زهد وتقشف. وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندي قرر لهم هذا المذهب وأعلمهم ان الآيات المتشابهة في التوراة كلها مؤولة وانه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل في القرآن المجيء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال في حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفي مواضع أخر فنفخنا فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشراً سوياً ليهب لها غلاماً زكيا

﴿ الموصل ﴾ — قال ياقوت بفتح الميم وكسر الصاد المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبرا وعظما و كثرة خلق وسعة رقعة فهي باب العراق ومفتاح خراسان منها يقصد اذربيجان قال و كثيرا ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لانها باب الغرب والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما يمر بها وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمي الموصل وهي مدينة قديمة الاس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوي وفى وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبى وفى داخل سورها جامعان أحدهما وسط السوق جديد بناه نور الدين محمود والآخر عتيق قيل بناه مروان بن محمد آخر ملوك بني امية وهو الذي عظمها وألحقها بالأمصار وجعل لها ديوانا مفرداً ونصب جسرها و بني سورها وزادت بعد ذلك عمارتها وتضاعف حاصلها و بينها و بغداد أربعة وسبعون فرسخا.

وقال ابن حوقل وأما مدينة الموصل فعلى غربي دجلة صحيحة التربة والهواء وشربهم من ماء دجلة وفيها نهر يقطعها و بين مائه ووجه الارض نحو الستين ذراعا ولم يكن فيها شجر ولا بساتين الا الشيء

القليل فلما كان في وقتنا هذا (القرن الرابع) غرست فيها الاشجار وكثرت الكروم والفواكه والنخيل والخضر وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجبي أموالها ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع جبايات زادت على ما كان في سالف الزمان بالظلم والعدوان وذلك لان ابن حمدان اغتصبهم ضياعهم الخراجية واشتري منها القليل بسهم من أعشار ثمنها واستملك رباعها وداخلها وخارجها الى أن قال وهي مدينة ابتنيتها بالجبس والحجارة كبيرة غناء أهلها عرب ولهم بها خطط واكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة وكان بها من كل جنس من الأسواق الي الأربع مما يكون في السوق مائة دكان وبها من الفنادق والحمامات والمحال مارغب اليه سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبهم اليها رخص أسعارها فسكنوها وهي فرضة لأذربيجان وأرمينية ولها بوادو أحياء كثيرة تصيف في مصائفها وتشتو في مشاتيها الى أن قال وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ففرقهم جور بني حمدان بعد انتزاع املاكهم ثم مهد لوصف ماكان عليه البلد من العتاد والعدد وكثرة ارتفاعه (ايراده) بقوله « العبرة في الدلالة على قوة البلد وقوة أهله بارتفاعه وجباته اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء » وأخذ يسرد أنواع الايراد بابا بابا مما تجده مفصلا في كتابه من صيحفة ١٤٥. نقول ولا تزال مدينة الموصل قاعدة لولاية تنسب اليها ويكاد لا يزيد عدد سكانها اليوم عن خمسين ألف نسمة وتجارتها ضعيفة في البسط وبعض الأقمشة

﴿ الموصلي ﴾ هو أبو محمد اسحق ابن ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الارجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبته ونسبه فأغني عن الاعادة

وكان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرّد بهما وكان من العلماء باللغة والاشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس وروي عنه مصعب ابن عبد الله الزبيري والزبير بن بكار وغيرهما وكان له يد طولي في الحديث والفقه وعلم الكلام. قال محمد بن عطية العطوي الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيي بن أكثم فوافي اسحق بن ابراهيم الموصلي

وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيي فقال له أعز الله القاضي أفى شئ مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن؟ قال لا. قال فما بالى أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وأنسب الى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ يعني الغناء. قال العطوي فالتفت الي القاضي يحيي وقال لى الجواب في هذا عليك. وكان العطوي من أهل الجدل فقال للقاضي يحيي أعز الله القاضى الجواب عليّ ثم أقبل على اسحق فقال يا أبا محمد أنت كالفراء والاخفش في النحو؟ فقال لا. فقال فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعى وأبي عبيدة؟ قال لا. قال فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخى؟ قال لا. قال فأنت في الفقه كالقاضى وأشار الى القاضى يحيي؟ قال لا. قال فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس؟ قال لا. قال فمن ههنا نسبت الي ما نسبت اليه لانه لا نظير لك فيه وأنت في غيره دون رؤساء أهله. فضحك وقام وانصرف فقال القاضي يحيي للعطوي لقد وفيت الحجة حقها وفيها ظلم قليل لاسحق وانه ممن يقل في الزمان نظيره. وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن باطيش الموصلي في كتابه الذي سماه التمييز والفصل أن اسحق بن ابراهيم الموصلى كان مليح المحاورة والنادرة ظريفا فاضلا كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير وأخذ الأدب عن الاصمعى وأبي عبيدة وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه. وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه وكان المأمون يقول لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء فانه أولى وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالغناء وغلب علي جميع علومه مع انه أصغرها عنده ولم يكن له فيه نظير. وله نظم جيد وديوان شعر فمن شعره ما كتبه الي هرون الرشيد:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري
فليس الي ما تأمرين سبيل
أري الناس خلان الجواد ولا أري
بخيلا له في العالمين خليل

واني رأيت البخل يزري بأهـله
فأ كرمت نفسى أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته
اذا نال شيأ أن يـكون ينيل
عطاءي عطاء المكثرين تكرما
ومالي كما قـد تعلمين قليـل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغني
ورأي أمـير المؤمنين جميـل

وكان كثـير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصـلي ألف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أ كثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي. ونقلت من حكاياته انه قال كان لناجار يعرف بأبي حفص وينبز باللوطى فمرض جار له فعاده فقال له كيف نجـدك أما تعرفني فقال له المريض بصوت ضعيف بلى أنت أبو حفص اللوطى فقال له تجاوزت حد المعرفة لا رفع الله جنبك . وكان المعتصم يقول ماغناني اسحق بن ابراهيم قط الا خيـل لى أنه قد زيد في ملكي. وأخباره كثيرة وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنتين . ومولده في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيهـا الامام الشافعى رضى الله عنه كما تقـدم ترجمتـه في مادة شفع . وتوفي في شـهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب وقيل في شوال سـنة ست وثلاثين والأول أشهر. وقيـل توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خـلون من ذي الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالي ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبح اللهو تحت عفر التراب
ثاوياً فى محـلة الأحبـاب
اذ مضى الموصلى وانقرض الا
س وبحت مشاهد الاطراب
بـكت الملهيات حزنا عليـه
وبكاه الهوي وصفو الشراب
وبكت آلة المجـالس حتي
رحم العود عـبرة المضراب

وقيل ان هذه المرثية فى أبيه ابراهيم والصحيح الأول

﴿ الموصلي ﴾ هو محمد بن دانيـال ابن يوسف الموصلي الحكيم الفاضـل الأديب شمس الدين صـاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي

هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره وضع كتاب طيف الخيال فأبدع طريقه وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة . من شعره :

قلت لمولاي السني المحسن المتحسن
من قال انك ماتن فان عبدك ماتني

(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)

ولرب ليل بالخليج قطعته
اذ بت منه ساهرا بالشاطى
أمسى الضناء منادمي وحشاشتي
محشوة بغرائب الاخلاط
ولشقوتي بتنا معاً في مضجع
متردين على الثرى ببساط
عصفت عليّ رياحه فوجدتها
أقوى هبوبا من رياح شباط
قد كنت أنعس لانتشاق فسائه
غشياً فيوقظني بصوت ضراط
مازلت أنشق منه ريحا منتنا
حتي استحال الى الخراء مخاطى

(وقال أيضاً رحمه الله تعالى في فرسه)

قد كل الله برذوني لمنقصة
وشانه بعد ما أعماه بالعرج
اسير مثل أسير وهو يعرج بي
كأنه ماشياً ينحط من درج
فان رماني على مافيه من عرج
فما عليه اذا مامت من حرج

وقال في الشيخ ابن تعلية وقد ترك الغناء واللهو وتصوف في المشتهى من روضة مصر:

لطمت بعدك الخدود الدفوف
وتحامت تلك الصروف الكفوف
وتساوي عند الرقاق وقد ما
ت لدينا ثقيلها والخفيف
وعلت ضجة المواصل حزنا
والندامي على السرور عكوف
وجرت أدمع الرواويق حتى
عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الدم
ع انسان عينه مطروف
يا امام الملاح دعوة قاض
في قضايا المجون ليس يحيف
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو
ياحريفي بالله أو حريف
ثبت الله توبة الشيخ ان الز
هد لا يحتوي عليه الضعيف
لاتكن راسب المقر فما ير
سب في المقر الا الكثيف

واذا قمت للصلاة فقم تعـ
ليـة ناشـقا فأنت نضيف
واذا ماخـلوت في خـلوة المسـ
جد قل للمريد عندي ضيوف
واذا ما أخرجت كيسك بالمعـ
لوم قل للحضور هـذا سفوف
حبـذا زهدك التليد فمـا أنـ
ـت به في الشيوخ الا طـريف
قسما ياقلبـة البـين اني
قـرم الشـوق للقا ملهـوف
اترجي منـك الرجوع قريبـا
طمعا فيـك والمحب عطوف
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
أصبحت أفقر من يروح و يغتدي
مافي يدي من فاقـة الايدي
في منزل لم يحو غـيري قاعداً
فاذا رقـدت رقدت غير ممـدد
لم يبق فيـه سوي رسوم حصيرة
ومخـدة كانت لأم المهتـدي
ملقي علي طراحـة في حشوها
قمـل كمثـل السمسم المتبـدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الأديم وأجرد

هذا وكم من ناشر طاوي الحشا
يبدو كمثل الفـاتك المـتردد
هـذا ولى ثوب تراه مرقعاً
من كل لون مثل ريش الهدهد
(وقال أيضاً رحمه الله تعالي)
قد عقلنـا والعقل أي وثاق
وصبرنا والصبر مر المـذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى
فاضلا عنـد قسمة الأرزاق
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
عاينت عينـاي في عطلتي
أدبر من حظي ولا بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد
أصبحت لا فـوقي ولا تحتي
(وقال أيضاً رحمه الله تعالي)
ياسائلى عن حرفتي في الوري
وصنعتي فيهـم وافـلاسي
ماحال من درهم انفـاقه
يأخـذه من أعين النـاس
(وقال أيضاً رحمه الله تعالي)
رأيت سراج الدين للصفع صالحا
ولـكنه في علمـه فاسد الذهن
وأستره بالكف خوف انطفائه
وآفته في طفئـه كثرة الدهن

وقالوا وقد صلبوا ابن الكازروني وفي
عنقه جرة خمر في الأيام الظاهرية شعرا
لقد كان حد الخمر من قبل صلبه
خفيف الأذى اذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي
ألا تب فان الحد قد جاوز الحدا
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
لقد منع الامام الخمر فينا
وصير حدها حد اليماني
فما جسرت ملوك الجن خوفا
لأجل الخمر تدخل في القناني
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
كم قيل لى اذ دعيت شمسا
لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء
سما الى السطح من ضلوع
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
فسر لى عابر مناما
أحسن لي في قوله وأجمل
وقال لابد من طلوع
فكان ذاك الطلوع دمل
(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)
يارشا لحظه الصحيح العليل
كل صب بسيفه مقتول
لك ردف غادرته رهن خصر
وهو وهن كما علمت ثقيل
(وقال أيضا سامحه الله تعالى)
يالائمي في العذار مهلا
فأنت بالعذل لي مهيج
الحسن قد زادني غراما
اذ رقم الورد بالبنفسج
وكل ديباج خد ظبي
ان لم يكن معلما قد حرج
(وقال أيضا سامحه الله تعالي)
وقال وقد أبطلت المنكرات في أيام
حسام الدين لاجين
احذر نديمي أن تذوق المسكرا
أو أن تحاول قط أمراً منكرا
لاتشرب الصهباء صرفا قرقفا
وتزور من تهواه الا في الكري
أنا ناصح لك ان قبلت نصيحتي
اشرب اذا مارمت سكرا سكرا
والرأي عندي ترك عقلك سالما
من أن تراه بالمدام تغيرا
ذي دولة المنصور لاجين الذي
قهر الملوك وكان سلطان الوري
اياك تأكل أخضرا فى عصره
ياذا الفقير يصير جسمك أحمرا

والمزز يامسعود دعـه جانبـا
واشرب من اللبن المخيض مبكرا
وبني حرام احفظوا أيديكم
فالوقت سيف والمراقب قددري
توبوا وصلوا داعيين لملكه
فبـه تنالون النعيم الأكبرا
(وقال أيضا سامحه الله وقـد دعي
الي عـرس)
دعوتني للعـرس ياسيدي
فكدت أن أحضر من أمس
وها أنا الليـلة في داركم
فالكاب مايهرب من عرس
وقال في البرهان الفاحشة وقد صفع
وهو أرمد
صفع البرهان وما رجما
فبكي من بعـد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا
فازداد بذاك الصفع عمى
ورمي النـوروز أخادعـه
حتي باتت تشكو ورمـا
أدماه القـوم بآجـرة
كانت حـورا لابل أدما
نزلوا سحرا في ساحـله
فرأي الاصباح بهم ظلما
من كل فـتي بالنطع بدا
مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بهـا صرفا سـبعاً
وسقاه بهـا سبعين بمـا
(وقال أيضا سامحه الله تعالي)
في وصف حسنكم تكل الالسن
وجمالكم فهو الجمال الاحسن
ياسادة غابوا فمـات تصبري
وبكيتهم حتى بكاني المسكن
لي فيكم ظبي ذكـرت لحسنه
عين الجنان أجم احور اعين
قاسى الفؤاد علىّ لكن عطفه
مثـلى على غمز الصبابة لين
باد ولكن في الضمير محجب
سهل ولكن بالرماح محصن
حلفوا بأن الورد زهرة خـده
صدق الوشاة وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لكن وجهه
بسوي الحياء الطلق لايتلوّن
في خط عارضه ونقطة خاله
شكل يصادر في الهوي ويبرهن
(وقال أيضاً سامحـه الله في شرح
حاله وشكوي زوجته)

قل لقاضي الفسوق والادبار
عضد البله عمدة الفجار
والذي قد غدا سفينة جهل
وله من قرونه كالصواري
بك أشكو من زوجة صيرتني
غائبا بين سائر الحضار
غيبتني عني بما أطعمتني
فانا الدهر مفكر في انتظار
غبت حتي انهم لو صفعوني
قلت كفوا بالله عن صفع جاري
فنهاري من البلادة ليل
في التساوي والليل مثل النهار
دار رأسي عن باب داري فبالله
أخبروني ياسادتي أين داري
ملكتني عيارة وعيارا
حين زادت بالدرديس عياري
أين مخ الجمال من طبع مخي
في التساوي وأين مخ الحمار
غفر الله لي بما رحت للبحر
من البرد أصطلي بالنار
وتجردت للسباحة في الآل
لظني به الزلال الجاري
ولكم قد عصبت رجلي برؤيا
أوطأتني حلما علي مسمار
ولكم رمت قلع ضرس ضروب
بعد ماضر غاية الاضرار
فاذا بي قلعت بعد عنائي
واجتهادي القوي من أوزاري
ورحي حزتها لطحن فما زا
ت ضلالا أدور حول المدار
واناادي وقد سئمت من الرك
ض الى أين منتهي مضماري
أنا أختار لو قعدت من الجهد
ولكن امشي بغير اختيار
أنا أنسي أني نسيت فلا يخـ
شي سميري اذاعة الاسرار
أنا سطل الشرائحي بما أو
دعت من عجة ومن أبزار
ولكم قد رأيت في الماء شيخا
وهو جاث في الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقنا ولكن
وجهه في سواده كالقار
أشبه الناس بي وقد يشبه التيـ
س أخاه في حومة الجزار
فاعتراني رعب وناديت ما كنـ
ت اخال اللصوص في الازيار
أين ترسي وأين درعي الحقيني
أم عمرو بصارمي البتار

ان أمت كنت في الغزاة شهيدا
أو أعش كنت شاطر الشطار
ثم أثخنت ذلك الزير ضربا
بحسامي حتي هوي لانكسار
وجري الماء فاختشيت والا
كدت أقفو الآثار في التيار
انا كالبان في قوامي وان أف
ردتني كنت في التهاوش ضاري
أنا مثل الخروف قرنا وان اس
قطت فاني أعد في الاقذار
أنا لو رمت للعلاج طبيبا
ماتعديت دكة البيطار
بعد ما كنت من ذكائي أدري
أن بابي من صنعة النجار
أحرز البيض قبل ما يكسروه
أن فيه البياض فوق الصفار
وبعيني نظرت كوز نحاس
كان عندي أقوي من الفخار
وكثير مني على شيب رأسى
حفظ هذي الاشياء مثل الكبار
(وقال موشحاً يعارض به احمد
الموصلي رحمه الله)
غصن من البان مثمر قمرا
يكاد من لينه اذا خطرا
بديع حسن سبحان خالقه
مسك ذكي الشذا لناشقه
أبيض ثغر يبدي لعاشقه
نمل عذار بحير الشعرا
وفرق شعر يستوقف النهرا
يابابي شادن فتنت به
يهواه قلبي على تقلبه
مذ زاد في التيه من تجنبه
أحرمني النوم عند ما نفرا
حتي لطيف الخيال حين سرا
جوي أذاب الحشا فحرقني
ونيل دمعي جري فغرقني
لكنه بالدموع خلقني
فرحت أمشي في الدمع منحدرا
ذاك لاني غدوت منكسرا
(وأما موشح احمد الموصلي فانه قوله)
بي رشأ عند مارنا وسري
باللحظ للعاشقين اذ أسرا
بما بأجفانه من الوطف
وما بأعطافه من الهيف
وما بأردافه من الترف
ذا الاسمر اللدن ردني سمرا
وفي فؤادي من قده سمرا

السحر من لحظه ومقلته
والرشد من فرقه وغرته
والغي من صدغـه وطرته
بدر لصبيح الجبين قد سترا
بليل شعر فانظر له سترا
ان قلت بدر فالبدر ينخسف
أوقلت شمس فالشمس تنكسف
أوقلت غصن فالغصن ينقصف
وسنان جفن سما عن النظـرا
وكل طرف اليه قد نظرا
يزهو بثغـر كالدر والشهب
والطلع والاقحوان والحبب
رصع شبه اللجين فى الذهب
حوي الثريا من ثغـره أثرا
له الذي أدمعى به نثرا
حاجبـه مشرف على شغفي
عارضـه شاهد عـلي أسفي
ناظـره عامل عـلى تلفي
به غـرامي قـد شاع واشتهرا
وسيفه في الحشا اذا شهرا
عذاره النمـل في الفؤاد سعى
والنحل من ثغره الاقاح رعي
ويوسف أيدي النسا قطعا
بالنور من وجهه سبي الشعرا
وردني بالجفا وما شعرا

﴿ الموصلى ﴾ هوعلي بن عـدلان ابن حماد بن علي الامام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الربعى الموصلى المترجم ولدسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفى سنة ست وستين وستمائة وكان علامـة تصدر بجامع الصالح وكان من أذكيـاء بني آدم انفرد بحل المترجم والالغاز وله في ذلك تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز ومصنف في حل المترجم للملك الاشرف وكتب الى علم الدين السخاوي وهو بدمشق باللبـادين قول الحسين بن عبد السلام في المعمى :

ربما عالج القوافى رجال
في القوافي فتلتوي وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين
وعصتهم نون ونون ونون

فحلهما ابن الحاجب فقال قوله عين وعين وعين يعني نحو غد ويد ودد لانها عينات مطاوعات فى القوافي مرفوعـة كانت أو منصوبة أو مجـرورة لأن وزن غدفع ووزن يدفع ووزن ددفع وقوله عصتهم نون ونون ونون الحوت يسمي نونا والدواة لانها تسمي نونا والنون الذي هوالحرف

وكلها نونات غير مطاوعة في القوافى اذ لايتم واحد منها الامع الآخر. ونظم ابن الحاجب :

أي غد مع يد ودد حروف
وطاوعت في الروي وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا
ت عصتهم وأمرها مستبين

وقال عفيف الدين أنشدني اسماعيل المسمول الذي ينسب الي صلاح الدين الاربلى رحمه الله تعالي:

وما بيت له في كل عضو
عيون ليس تنكرها العقول
اذا بسطوه تلقاه قصيرا
وان قبضوه تبصره طويل

فقلت هذه شبكة صياد طيور فأخذ يباهت فقلت قد تركته ولا يلزمني أكثر من هذا فأخذ في المباهتة فقلت هذا في جركاه فاعترف انه هو. وكتب اليه ناصر الدين بن النقيب ملغزا في سيف

ياعفيف الدين يامن
رق في الفهم وجلا
والذي سموه في النا
س عليا وهو أعلى
يا أخا الفضل الذي فيـ
ـه لنا القدح المعلى
أي شيء طعمه مـ
ـرّ وان كان محلي
وهو شيخ لايصلي
ولكم بالضرب صلي
ماله عقل وكم منـ
ـه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهد
مايذوق النوم أصلا
وهو لايحسن قولا
وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تعكسه قيـ
ـس فصحفه والا
وهو مطبوع نحيف
عند ما يلقاك بسلا
ولكم بدد جمعا
ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ
ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلي
منه في اللفظ وأحلي
وابق في ايوان عز
وبناء ليس يبلي

فكتب عفيف الدين الجواب:

ناصر الدين الذي فا
ق جميع الناس فضلا
والذي وافق في الاسـ
ـم الذي وافق فعلا
والذي أشعاره أشـ
ـهى من الحلى وأحلى
هو حلو في فم النا
س وفى العينين يحلى
ان تسلني عن رفيق
لك نجلى حين يجلى
هو أنثى في زمان
ويري في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ
كل الا اللحم أكلا
والندي يؤذيه والنا
ر له الف فيصلى
وهو يعمي العين لاشك
متى ما كان كحلا
محرم في كل وقت
ماراه الناس حلا
عجمى وفصيح
جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدي
مثل رأي الشكل شكلا
ولموع برقة الخلـ
ـاب لايمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ
ـر ذباب ماتولي
وهو مثل الناس فى النشـ
ـأة مذ قد كان طفلا
ويري شرخا وشيخا
بعد ما قد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الشيـ
ـشنف الآذان حلي
قلت لما جاءني أهـ
ـلا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمس قد
دقت معانيه وجلا

﴿ الماء ﴾ قد بقي الماء زمناً طويلا وهو معدود من الاجسام البسيطة مع أن كاالعلامة كافنديش شاهد تكونه عند احتراق الايدروجين واستمر تركيبه مجهولا الى أن أبان لافوازييه أنه مركب من أوكسيجين وايدروجين وعين نسبة مقدارهما

وتوصل لمعرفة تركيب الماء بطريق

بضغط جوّين أي بضغط يساوي ضغط الهواء مرتين لايغلي الا على درجة ١٣٠ زايد و بانخفاض الضغط تنخفض درجة غليان الماء فالماء الموضوع في الفراغ يغلي على درجة ٢٠ زايد

ويتصاعد من المـاء بخار علي جميع درجات الحرارة ويسمى (تبخرا) ومن الجليد يتصاعد بخار أيضا

ويذيب الماءعددا عظيما من الاجسام ولا يذيب المـواد الدسمة ولا غالب الاجسام المحتوية على كثير من الكربون

ويتحلل المـاء بالتيـار الكهربائي و بالحرارة و ببعض الاجسام أيضاً كالكلور والبروم والبوتاسيوم والصوديوم

والمياه المذيبة لكثير من الاندريد كربونيك تذيب مقدارا عظيما من كربونات الجير بمرورها في أرض جيرية وكلما تصاعد شئ من حمض الكربونيك المذاب فيها رسب مايكون ذائبـا به فى المـاء من كربونات الجير وهـذه المياه بمرورها من شقوق المغارات تسيل نقطة بعد نقطة وهذه النقط تبقي معلقة في سقف المغارة برهة ثم تسقط وفي أثناء هـذا التعلق يتصاعد بعض الاندريد كربونيك فيرسب في سقف المغارة ما كان مذيبا له من كربونات الجير وما يسقط من المـاء في قاع المغارات يتبخر فيترك مافيه من الاملاح ومنها كربونات الجـير فتنتهي هذه الرواسب بعد مضى أعوام بأن تكوّن عمودين أحدهما متدل من سقف المغارة والآخر قائم من أرضها و يسميان بالاستلكتيت والاستلجميت

وتنقسم المياه الى مياه (صالحة للشرب) وهي مياه الأمطار والأنهر والينابيع ومياه لاتصلح للشرب وهي مياه البحار والمياه المعدنيـة

(المياه الصالحة للشرب) الميـاه التى تصلح للشرب تحتوي على العناصر الداخلة في البنية ولا تحتوي الأغـذية على مقدار كاف منها أما الاجسام التي لادخل لها فى البنية فوجودها في ميـاه الشرب مضر بالصحة ومن الاملاح التي يلزم وجودها في المياه الصالحـة للشرب ثاني كربونات الكالسيوم وثاني كربونات المغنيسيوم ومقدار قليـل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولأجل أن تكون المياه صالحة للشرب يلزم أن يكون فيها الصفات الآتية

واستحالة المـاء الى جليد هو تبلور حقيقي فان الجليد مكون من اجتماع بلورات منشورية ذات ستة سطوح والثلج الذي هو عبارة عن ماء متجمـد بالبرودة الكائنة في الطبقات العليـا من الجو يكون فى هيئة ندف شبيهـة بالقطن مكونة من اجتماع نجوم ذات ستة أشعة جميـلة

وتتأخر درجة تجمد المـاء بوجود أملاح فيه ومتي تجمد تخلص مما فيه من الاملاح فانه يتركها في (المياه الامية) أي التي حصل فيها التجميد ولم تتجمد

وفي الصنائع يجمد المـاء بالبرودة الناشئة عن تمدد الهواء فجأة فان الغازات والهواء اذا ضغطت انتشرت منها كمية من الحرارة فاذا تركت مضغوطـة بردت فتصير درجة حرارتها هي درجة حرارة الوسط الذي هي فيه وذلك بسبب مايحصل بينها و بين هـذا الوسط من التشعع فاذا زال الضغط الواقع عليها دفعة واحدة فانها تمتص ماتركته من الحرارة وقت ضغطها و بامتصاصها هذه الحرارة من الاجسام المجاورة لها نبرد تلك الاجسام فاذا كان المـاء في اناء محاط بكتلة عظيمة من الهواء مضغوطة ضغطا قويا ثم أزيل هذا الضغط فان الهواء يتمدد ويأخذ مايلزم من الحرارة لتمدده من أقرب الاجسام اليه وهو الماء المحيط به فيبرد هذا المـاء برودة كافية لأن يتجمد

ويغلى المـاء النقي علي درجـة ١٠٠ اذا كان الضغط الجوي يساوي ٧٦٠ مليمترا والحرارة الكامنة في استحالة الماء الى بخار تساوي ٥٧٦ سعرا أي انه يلزم لاحالة كيلو غرام من المـاء من درجة ١٠٠ الي بخار درجتـه ١٠٠ كمية من الحرارة كافيـة لرفع حرارة ٥٧٦ كيـلو غراما من الماء درجة واحـدة وفي مدة غليان المـاء تكون درجة حرارته واحدة فالحرارة المعرّض لها الماء حال اغلائه تصير كامنة فيه بها يستحيل من سائل الي بخار ولكون درجة غليان الماء ثابتة جعلت هي النقطة الثانية للترمومتر وهي نقطة ١٠٠ فوق الصفر في الترمومتر المئيني

ووجود أملاح في المـاء يرفع درجة غليانه فالماء المشبع بكلورور الكالسيوم لايغلي الا علي درجة ١٧٩

وازدياد الضغط الواقع على سطح المـاء يرفع درجة غليانه فالمـاء المضغوط

بضغط جوين أي بضغط يساوي ضغط الهواء مرتين لايغلي الا على درجة ١٢٠ زايد وبانخفاض الضغط تنخفض درجة غليان الماء فالماء الموضوع في الفراغ يغلى على درجة ٣٠ زايد

ويتصاعد من الماء بخار علي جميع درجات الحرارة ويسمى (تبخرا) ومن الجليد يتصاعد بخار أيضا

ويذيب الماء عددا عظيما من الاجسام ولا يذيب المواد الدسمة ولا غالب الاجسام المحتوية على كثير من الكربون

ويتحلل الماء بالتيار الكهربائي وبالحرارة وبعض الاجسام أيضاً كالكلور والبروم والبوتاسيوم والصوديوم

والمياه المذيبة لكثير من الاندريد كربونيك تذيب مقدارا عظيما من كربونات الجير بمرورها في أرض جيرية وكلما تصاعد شيء من حمض الكربونيك المذاب فيها رسب مايكون ذائبا به فى الماء من كربونات الجير وهذه المياه بمرورها من شقوق المغارات تسيل نقطة بعد نقطة وهذه النقط تبقى معلقة في سقف المغارة برهة ثم تسقط وفي أثناء هذا التعلق يتصاعد بعض الاندريد كربونيك فيرسب في سقف المغارة ما كان مذيبا له من كربونات الجير وما يسقط من الماء في قاع المغارات يتبخر فيترك مافيه من الاملاح ومنها كربونات الجير فتنتهي هذه الرواسب بعد مضى أعوام بأن تكوّن عمودين أحدهما متدل من سقف المغارة والآخر قائم من أرضها ويسميان بالاستلكتيت والاستلجميت

وتنقسم المياه الى مياه (صالحة للشرب) وهي مياه الامطار والانهر والينابيع ومياه لاتصلح للشرب وهي مياه البحار والمياه المعدنية

(المياه الصالحة للشرب) المياه التى تصلح للشرب تحتوي على العناصر الداخلة في البنية ولا تحتوي الأغذية على مقدار كاف منها أما الاجسام التي لادخل لها فى البنية فوجودها في مياه الشرب مضر بالصحة ومن الاملاح التي يلزم وجودها في المياه الصالحة للشرب ثاني كربونات الكالسيوم وثاني كربونات المغنيسيوم ومقدار قليل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولأجل أن تكون المياه صالحة للشرب يلزم أن يكون فيها الصفات الآتية

واستحالة المـاء الى جليد هو تبلور حقيقي فان الجليد مكون من اجتماع بلورات منشورية ذات ستة سطوح والثلج الذي هو عبارة عن ماء متجمـد بالبرودة الكائنة في الطبقات العليـا من الجو يكون فى هيئة ندف شبيهـة بالقطن مكونة من اجتماع نجوم ذات ستة أشعة جميـلة

وتتأخر درجة تجمد المـاء بوجود أملاح فيه ومتي تجمد تخلص مما فيه من الاملاح فانه يتركها في (المياه الامية) أي التي حصل فيها التجميد ولم تتجمد

وفي الصنائع يجمد المـاء بالبرودة الناشئة عن تمدد الهواء فجأة فان الغازات والهواء اذا ضغطت انتشرت منها كمية من الحرارة فاذا تركت مضغوطـة بردت فتصير درجة حرارتها هي درجة حرارة الوسط الذي هي فيه وذلك بسبب ما يحصل بينها و بين هـذا الوسط من التشعع فاذا زال الضغط الواقع عليها دفعة واحدة فانها تمتص ما تركته من الحرارة وقت ضغطها و بامتصاصها هذه الحرارة من الاجسام المجاورة لها تبرد تلك الاجسام فاذا كان المـاء في اناء محاط بكتلة عظيمة من الهواء مضغوطة ضغطا قويا ثم أزيل هذا الضغط فان الهواء يتمدد و يأخذ ما يلزم من الحرارة لتمدده من أقرب الاجسام اليه وهو الماء المحيط به فيبرد هذا المـاء برودة كافية لأن يتجمد

ويغلى المـاء النقي على درجـة ١٠٠ اذا كان الضغط الجوي يساوي ٧٦٠ ملليمترا والحرارة الكامنة في استحالة الماء الى بخار تساوي ٥٧٦ سعرا أي انه يلزم لاحالة كيلو غرام من المـاء من درجة ١٠٠ الي بخار درجتـه ١٠٠ كمية من الحرارة كافيـة لرفع حرارة ٥٧٦ كيـلو غراما من الماء درجة واحـدة وفي مدة غليان المـاء تكون درجة حرارته واحدة فالحرارة المعرّض لها الماء حال اغلائه تصير كامنة فيه بها يستحيل من سائل الي بخار ولكون درجة غليان الماء ثابتة جعلت هي النقطة الثانية للترمومتر وهي نقطة ١٠٠ فوق الصفر في الترمومتر المئيني

ووجود أملاح في المـاء يرفع درجة غليانه فالماء المشبع بكلورور الكالسيوم لا يغلي الا على درجة ١٧٩

وازدياد الضغط الواقع على سطح المـاء يرفع درجة غليانه فالمـاء المضغوط

الكبريتيك ليتحقق أن الايدروجين جف جفافا تاما قبل نفوذه على أوكسيد النحاس وذلك بعدم ازدياد وزنها. ويتركب أيضاً من دورق وضع فيه أوكسيد النحاس ووزن بما فيه بعد استفراغ الهواء منه ومن دورق آخر متصل بعدة أنابيب محتوية علي مواد ذات شراهية عظيمة الماء وهذا الدورق والانابيب توزن خالية من الهواء وتبرد بعد الوزن فاذا سخن الدورق المحتوي على أوكسيد النحاس ونفذ الايدروجين فيه فان أوكسيد النحاس يتحلل ويتحد أوكسيجينه بالايدروجين فيتكون الماء ويتكاثف في الدورق الثاني ومالا يتكاثف منه تمتصه المواد الشرهة الماء والفرق بين وزن الدورق المحتوي على أوكسيد النحاس قبل التحليل وبعده هو وزن مادخل في الاتحاد من الاوكسيجين والفرق بين وزن الدورق الثاني وما يتبعه من الانابيب قبل الاتحاد وبعده هو مقدار ماتكوّن من الماء والفرق بين وزن الاوكسيجين الداخل في الاتحاد والماء الناتج عن هذا الاتحاد هو مقدار الايدروجين الذي كوّن باتحاده مع الاوكسيجين هذا الماء

وقد أثبتت هذه التجربة للعالم دوماس أن الماء مكوّن بالوزن من

ايدروجين ١١ و ١١
أوكسيجين ٩٩ و ٨٨
١٠٠ و ٠٠

أي أن نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين فى الماء هي كنسبة ١ : ٨ أو ٢ : ١٦

(تنقية الماء) المياه التي تشاهد فى الكون لاتكون نقية بل تكون مذيبة أو معلقة لمواد غريبة كالمواد العضوية والاملاح والغازات فمياه المطر المأخوذة مباشرة تكون موسخة بآثار من النوشادر والاملاح الفلزية وحمض الكربونيك ، ومياه المطر أقل وسخاً من المياه الجارية على سطح الارض وأوساخ هذه تختلف باختلاف الارض التى تمر فيها وينقي الماء بتقطيره والجهاز المستعمل لعمل هذا التقطير يسمى (انبيقا) وهو يتركب من جزء معد لتسخين الماء واحالته الي بخار يسمي (قرعة) وهي عبارة عن قدر من نحاس ذي غطاء يوضع علي فرن ومن جزء معد لتكاثف بخار الماء يسمي (الملتوي) وهو عبارة عن انبوبة من رصاص ملتوية

زجاج سميكة الجدران مسدودة أحد الطرفين مدرجة يمر فيها سلكان من البلاتين تملأ بالزئبق وتنكس على الحوض الزئبقي ويدخل فيها وهي في هذا الوضع حجمان من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين ثم يوصل سلكا البلاتين بقطبي عمود كهربائي فيتحد حجما الايدروجين بحجم الاوكسيجين من غير أن يبقى شيء بدون اتحاد

واذا أدخل في هذا الاوديومتر حجوم متساوية من الايدروجين والاوكسيجين ١٠٠ سنتي متر مكعب مثلا من كل منهما فبعد الاتحاد يشاهد أنه زال نصف الاوكسيجين فقط أي أن تكوّن الماء حصل من اتحاد ١٠٠ سنتي متر من الايدروجين بخمسين سنتي مترا مكعبا من الاوكسيجين وبعبارة أخري ان الماء تكوّن من اتحاد حجمين من الايدروجين بحجم من الاوكسيجين ومن تعيين حجوم الايدروجين والاوكسيجين المركبين الماء استخرج غيلوساك وهومبولد وزن هذين الجسمين فى الماء

وقد عين هذا الوزن دوماس مباشرة بطريقة خاصة له مؤسسة على ما الاوكسيد النحاس من الخواص فهذا الاوكسيد جسم مركب من اوكسيجين ونحاس لونه أسود اذا سخن على درجة حرارة الاحمرار ونفذ عليه تيار من الايدروجين الجاف النقي فان هذا الأخير يتحد مع مافيه من الاوكسيجين فيتكون الماء ويتركب الجهاز الذي استعمله دوماس من آنية يتصاعد منها الايدروجين بتأثير حمض الكبريتيك على الخارصين ومن عدة أنابيب معدة لتنقية وتجفيف الايدروجين فالانبوبة الاولى من هذه الأولي من هذه الانابيب تحتوي على أزوتات الرصاص لتخليص الايدروجين مما يكون فيه من الأيدروجين المكبرت والثانية تحتوي على كبريتات الفضة لتخليصه من الايدروجين المفسفر والثالثة والرابعة تحتويان على البوتاسا لتخليصه من الايدروجين المكربن والايدروجين السليسى والخامسة والسادسة تحتويتان على حجر الخفاف المندّي بحمض الكبريتيك موضوعتان في مخلوط مبرد وهاتان الأنبوبتان معدتان لتجفيف الايدروجين والانبوبة السابعة محتوية على حجر الخفاف المندي بحمض

الكبريتيك ليتحقق أن الايدروجين جف جفافا تاما قبل نفوذه على أوكسيد النحاس وذلك بعدم ازدياد وزنها. ويتركب أيضاً من دورق وضع فيه أوكسيد النحاس ووزن بما فيه بعد استفراغ الهواء منه ومن دورق آخر متصل بعدة أنابيب محتوية على مواد ذات شراهية عظيمة للماء وهذا الدورق والانابيب توزن خالية من الهواء وتبرد بعد الوزن فاذا سخن الدورق المحتوي على أوكسيد النحاس ونفذ الايدروجين فيه فان أوكسيد النحاس يتحال ويتحد أوكسيجينه بالايدروجين فيتكون الماء ويتكاثف في الدورق الثاني ومالا يتكاثف منه تمتصه المواد الشرهة الماء والفرق بين وزن الدورق المحتوي على أوكسيد النحاس قبل التحليل وبعده هو وزن مادخل في الاتحاد من الاوكسيجين والفرق بين وزن الدورق الثاني وما يتبعه من الانابيب قبل الاتحاد وبعده هو مقدار ماتكوّن من الماء والفرق بين وزن الاوكسيجين الداخل في الاتحاد والماء الناتج عن هذا الاتحاد هو مقدار الايدروجين الذي كوّن باتحاده مع الاوكسيجين هذا الماء

وقد أثبتت هذه التجربة للعالم دوماس أن الماء مكوّن بالوزن من

ايدروجين ١١و١١
أوكسيجين ٩٩و٨٨
______
٠٠و١٠٠

أي أن نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين فى الماء هي كنسبة ١ : ٨ أو ٢ : ١٦

(تنقية الماء) المياه التي تشاهد فى الكون لاتكون نقية بل تكون مذيبة أو معلقة لمواد غريبة كالمواد العضوية والاملاح والغازات فمياه المطر المأخوذة مباشرة تكون موسخة بآثار من النوشادر والاملاح الفلزية وحمض الكربونيك ، ومياه المطر أقل وسخاً من المياه الجارية على سطح الارض وأوساخ هذه تختلف باختلاف الارض التى تمر فيها وينقي الماء بتقطيره والجهاز المستعمل لعمل هذا التقطير يسمى (انبيقا) وهو يتركب من جزء معد لتسخين الماء واحالته الي بخار يسمي (قرعة) وهي عبارة عن قدر من نحاس ذي غطاء يوضع علي فرن ومن جزء معد لتكاثف بخار الماء يسمي (الملتوي) وهو عبارة عن انبوبة من رصاص ملتوية

زجاج سميكة الجدران مسدودة أحد الطرفين مدرجة يمر فيها سلكان من البلاتين تملأ بالزئبق وتنكس على الحوض الزئبقي ويدخل فيها وهي في هذا الوضع حجمان من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين ثم يوصل سلكا البلاتين بقطبي عمود كهربائي فيتحد حجما الايدروجين بحجم الاوكسيجين من غير أن يبقى شيء بدون اتحاد

واذا أدخل في هذا الاوديومتر حجوم متساوية من الايدروجين والاوكسيجين ١٠٠ سنتى متر مكعب مثلا من كل منهما فبعد الاتحاد يشاهد أنه زال نصف الاوكسيجين فقط أي أن تكوّن الماء حصل من اتحاد ١٠٠ سنتى متر من الايدروجين بخمسين سنتى مترا مكعبا من الاوكسيجين وبعبارة أخري ان الماء تكوّن من اتحاد حجمين من الايدروجين بحجم من الاوكسيجين ومن تعيين حجوم الايدروجين والاوكسيجين المركبين للماء استخرج غيلوساك وهومبولد وزن هذين الجسمين فى الماء

وقد عين هذا الوزن دوماس مباشرة بطريقة خاصة له مؤسسة على ما الاوكسيد النحاس من الخواص فهذا الاوكسيد جسم مركب من اوكسيجين ونحاس لونه أسود اذا سخن علي درجة حرارة الاحمرار ونفذ عليه تيار من الايدروجين الجاف النقي فان هذا الأخير يتحد مع مافيه من الاوكسيجين فيتكون الماء ويتركب الجهاز الذي استعمله دوماس من آنية يتصاعد منها الايدروجين بتأثير حمض الكبريتيك على الخارصين ومن عدة أنابيب معدة لتنقية وتجفيف الايدروجين فالانبوبة الاولى من هذه الأولي من هذه الانابيب تحتوي على أزوتات الرصاص لتخليص الايدروجين مما يكون فيه من الايدروجين المكبرت والثانية تحتوي على كبريتات الفضة لتخليصه من الايدروجين المفسفر والثالثة والرابعة تحتويان على البوتاسا لتخليصه من الايدروجين المكربن والايدروجين السليسى والخامسة والسادسة تحتويتان على حجر الخفاف المندّي بحمض الكبريتيك موضوعتان في مخلوط مبرد وهاتان الأنبوبتان معدتان لتجفيف الايدروجين والانبوبة السابعة محتوية على حجر الخفاف المندي بحمض

من الاملاح الجيرية في قدورها فتكون سبباً للأخطار

(المياه المعدنية) بعض المياه يحتوي علي أجسام ملحية بسببها يكون فيها خواص طبية تصيرها نفيسة في معالجة بعض الامراض فهذه المياه هي المسماة (المياه المعدنية) وأحيانا ينتفع بهذه المياه لاستخراج أملاح منها نافعة في الصنائع وقد تكون درجة حرارة هذه المياه مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار عميقة في الارض أو لكونها بالقرب من براكين فهذه المياه تسمى (بالمياه المعدنية الحارة) وذلك كمياه فيشى التى درجة حرارتها ٤٥

وتسمي المياه المعدنية بأسماء مختلفة بحسب الاجسام الموجودة فيها فمن المياه المعدنية مايكون معظم مافيها من حمض الكربونيك ذائبا وتكون أيضاً محتوية على كربونات قلوية وقليل من كلورور الصوديوم وأحيانا على كربونات حديد ويحصل منها فوران بتعريضها للهواء فهذه المياه تسمى (المياه الغازية والمياه الحمضية) ومثالها ماء سلس ومنها مايكون معظم مافيها من الكربونات الحمضية للقواعد القلوية والترابية وخصوصاً كربونات الصوديوم فهذه تسمي (المياه القلوية) ومثالها ماء فيشى . ومنها مايكون معظم مافيها من الكلورورات خصوصاً كلورور الصوديوم مع قليل أو كثير من كلورور البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم فهذه المياه تسمي (المياه الكلورورية) ومثالها ماء بلريك . ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتورات القلوية أو من حمض الكبريت ايدريك والاولي تكون في العادة حارة والثانية باردة فهذه تسمى (المياه الكبريتورية) ومثالها مياه حلوان ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتات اما من كبريتات الصوديوم كمياه كرلسباد أو من كبريتات المغنيسيوم كمياه بولندا وسدلتس وهذه المياه تسمي (المياه الكبريتاتية) ومنها مايكون محتويا علي الحديد على حالة كربونات الحديد أو على حالة كربيتات الحديد وهذه تسمى (المياه الحديدية) ومثالها مياه ارتزا ومنها ما يكون محتويا على برومورات قلوية ويودورات قلوية وهذه المياه تسمي (المياه البرمورية واليودورية) ومثالها مياه كروزناخ ومياه البحر تحتوي علي ملح الطعام

ومقداره يختلف بين ٣٢ و٣٨ غراما في اللتر منها وتحتوي كذلك على كبريتات و برومورات و يودورات قلوية وأملاح جيرية ومغنيسية (انظر الدروس الابتدائية في الكيمياء العمومية)

﴿ الاستعمالات الطبية للماء ﴾ الماء يستعمل كثيرا واسطة من وسائط العلاج في أمراض كثيرة بل ان في أوروبا وأمريكا اليوم مذهب لا يعول في علاج الامراض الا على الماء فيجدر بنا أن نأتي على بيان شاف لهذه الطرق وكيفية تطبيقها وعلى تاريخ ظهور هذا المذهب الي غير ذلك مما يهم الالمام به وليس لدينا فيما قرأناه عن هذا الموضوع أكمل وأدق مما كتبه الطبيب المصري الكبير احمد افندي الرشيدي في مادته الطبية فنورد ماقاله في ذلك فهو أوفي بالغرض، وألمّ بأطراف الموضوع الذي نحن بصدده. قال رحمه الله :

(ادروتيرابيا أي العلاج بالماء) قال تروسو والطب التجربي أسس هذه الطريقة العلاجية علي فعل صدر من فلاح من سليزيا ببلاد الاوتريش يسمي ابريسنيت واشتهر اسمه الآن بالاوربا واذا عرفت التعسرات الباطنة والظاهرة للطب أعني كثرة عدد الامراض المعضلة الغير القابلة للشفاء المهلكة والغير المهلكة وندرة المرضى العقلاء وندرة الاطباء القادرين علي توجيه علاج مرض مزمن توجيها أدبيا وسياسياً وطبياً اتضحت لك بذلك شهرة ابريسنيت والازدحام الذي اكتسبه هذا الشخص في جرافنبرغ وهذا حال كل من الامور العلاجية الجديدة. فالادروتيرابيا اجتمع فيها مايلزم لهيجان الناس ومن المعلوم أن الماء والبرد فاعلان طبيعيان لايظن منهما سوء لأن الماء ينقي الدم والبارد يقوي الاعصاب وغير ذلك والاعراق الكثيرة والاندفاعات الدملية ونحوها يحصل منها البحران واستفراغ الاخلاط الفاسدة وغير ذلك وهذا هو الذي أوقع الناس في الغش وأكد عند ابريسنيت وعند مرضاه أنه لا شيء أسهل من الطب وأن الأطباء مهووسون بل هم أشخاص مضرون للناس وانه هو أفضل منهم بابرائه داآت وأمراضا عجزوا عنها ابراء حقيقياً. ومن الشفاء الحقيقي لتلك الامراض ظهر لك سبب هذا الهيجان العلاجي بالماء الذي ينسب له أعظم غلط للمذهب العلاجي المسمي أوميوباتيا أي

احداث مرض مماثل للداء القديم في الشخص واكتسب هذا المذهب سمعة وشهرة فاذن لابد من ذكر فصل في ذلك نافع في صناعة العلاج ولا يتأتي لنا الاستعفاء عن توسيع المقام قليلا فى هذا الاستعمال الجديد للماء البارد ولا شيء أحسن من ذكره هنا . انتهي

وقبل أن ننقل ماذكره تروسو نقدم ماذكره ميره في مبحث الماء في ذيل كتابه حيث قال: استعمال الماء النقي على طريقة اروصدوباتيك موضوع جديد للدراسة لا باعتبار كونه واسطة علاجية فقط بل أيضاً باعتبار حالته الطبيعية اذ جميع الاخطار التي زعموا وجودها من البرد الوقتي ومن استعمال الماء البارد من الباطن وتخوفت منها الأطباء وفزعت منها الاعتيادات تزول بالكلية أمام التجربة التي جهزت لذلك كيفية كوضع فوطة أو ملاءة مبتلة بالماء البارد علي الوجه لأجل انالة شفائه كما شوهد أن الماء البارد المشروب بكثرة يسبب عرقا كثيرا ثم شوهد أن الآلام تزول باستعمال الماء البارد بأي شكل كان مخالف للتعقلات التي قبلت الي الآن ولكن بدون خطر في ذلك الاستعمال بل مع المنفعة انتهي

وقال في مبحث ادروتيرابيا هي كيفية علاج الامراض المزمنة بالاستعمال الباطن والظاهر للماء البارد بمساعدة العرق الناتج من ذلك الماء ولذا كان التعبير بادروصدوباتيا أنسب لفهم المعني أكثر مما يفهم من ادروتيرابيا الموضوع لذلك واستعمال الماء البارد فى علاج بعض الامراض الجراحية معروف عند القدماء واستعملوا الماء في الطب نحو آخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر وآخر الأمر أن فلاحا من بلاد الاوتريش بالنمسا يسمى ابريسنيت اخترع طريقة جديدة لعلاج الامراض المزمنة بالماء البارد، قال بوشرده وأسسها علي قاعدة وهي أن جميع الامراض حاصلة من اخلاط معيبة ممسوكة في باطن الجسم وأنه يكفي حصول تبخير مناسب لتندفع به تلك الاخلاط الي الخارج وترجع الصحة للشخص وجدد هذا الفلاح محلا فى ضيعة فيما حول مدينة ويانة تسمي جريفنبرغ علي جبل سليسيا الاوتريشي قال ميره وكان هذا المحل أولا قليل المورد ثم صار فى بعض سنين موردا كبيرا يرد عليه كثير من المرضي حتي من بيوت

الممالك و يعالجها بتلك الطريقة مع النفع كما يقال وأول علاج فعله ابريسنيت بالماء البارد كان في مرضى بخان والده في جريفنبرغ ثم اشتهر أمره في اقليمه سنة ١٨٣٥ وأسس مواضع مثل ذلك في جملة محال من هذه البلدة وحصل فيها الشفاء لامراض عوجلت بغير ذلك من الأدوية بدون نفع . قال بوشرده وهذا الشخص ممتع بحساسية جميلة يعرف بها كيف يختار من المرضى من تؤثر طريقته فيه و يبرأ من مرضه . وقال أيضاً انهم أضعفوا وقللوا مصائب هذه الكيفية و بالغوا في الاهتمام بالاحوال الحميدة حتى صار العلاج بالماء سلاحا قويا غير انه لا يستعمل في جميع الاحوال و يستدعي استعماله تأملات كثيرة . وقال ميره رغب كثير من الفرنساويين في تحقيق تلك الكيفية العلاجية مثل جبير ودوفرجي ولاطور وغيرهم ولم يمكنهم منع الاعتراف بأن هذه الكيفية متبوعة بالنجاح في كثير من الاحوال . نعم غيرهم من الاطباء مثل روش وفابوس و بلياروغيرهم عابوا هذا الاستعمال التجربي حتي في الامراض المزمنة المخصوص بها غالبا هذا الاستعمال

(كيفية العلاج بالماء البارد علي طريقة ابريسنيت) كيفية العمل ببلاد النمسا أن يعري المريض من ملابسه الاعتيادية و يلف في رداء أو حرام من الصوف الغليظ النسج ولا يكشف منه الا الوجه والرأس الذي يحاط بفوطة قال بوشرده و يعمل ذلك في الساعة الرابعة أو الخامسة في النهار أي بعد نصف الليل بأربع ساعات أو خمس و يغطى بأغطية أخري من منسوجات زغبية أو فراء ثم من المرضى من ينغمر بالعرق في نصف ساعة ومنهم من لا يبتدئ العرق فيه الا بعد ٣ ساعات أو ٤ فاذا كان الجلد مستعصياً على العرق استعمل له على التعاقب دلكات جافة وغسلات باردة وملاآت سرير مبتلة باردة حتي ان العضو الكاسر للشعاع أي الجلد ينتهى دائما بالانقياد و يحصل منه استفراغ عظيم للعرق ومتي حكم الطبيب الموضوع قرب مريضه بأن هذا التنفيس كاف وضعه حالا بسرعة ما أمكن في حمام بارد محضر من قبل قرب سريره فأول انطباع يحصل للمرضي هو أن يستشعروا غالبا براحة عظيمة تامة ومدة ذلك الحمام تختلف

وتستدعي التقدير من الطبيب فبعض المرضي لايمكثون في الحمام البارد الا دقيقة واحدة ومنهم من يبقي فيه الى ظهور القشعريرة الثانية والاشخاص الذين هم في غاية الرقة واللطافة ترفع لهم درجة الحرارة قليلا وغيرهم بالعكس أي تخفض لهم بالصناعة ما أمكن ثم بعد الحمام الخارج يستعمل الحمام الداخل أي الباطن أي يبتدئ المريض في الرياضة التى في مدتها يشرب ماء كثيرا حتى يحس بثقل متعب للمعدة ويشاهد من اعتيادات المرضى ان منهم من يشرب في العادة قليلا من الماء ومنهم من يشرب بسرعة من ٢٠ الي ٣٠ كوبا في اليوم ثم تتبع الرياضة بالغداء فيتغذي المريض بدون أن يشرب مشروبات مهيجة وتكون قاعدة المأكل أجساما صلبة مغذية ومن السار حقيقة مشاهدة ان المرضى حتى من كان معهم سابقا عسر هضم وفقد شهية ينهشون الأغذية التى تقدم لهم بشهية عظيمة. فهذه هي الكيفية التى تؤخذ من بوشرده. وأما مايفهم من ميره فهو أنه بعد أن يعري المريض من ملابسه يلف في حرام الصوف حتي يكون له كالقماط ماعدا الوجه والرأس الذي يحاط بفوطة ثم يوضع علي السرير ويغطي بأغطية أخري ويكون ذلك في حجرة يوجد في حرارتها بعض ارتفاع فحينئذ لابد وأن تظهر الحرارة شيئا فشيئا ويتلون الوجه وغير ذلك ومتى ظهر العرق يفتح الشباك ويسقي المريض في كل ربع ساعة ماء باردا أي ربع كوب أولا ثم يزاد المقدار تدريجا حتي يشرب كوبا كبيرا في كل مرة بحيث ينفذ العرق حالا من السرير ويمكن اجتناؤه منه بالالتار قال ويصح أن يعمل منه للمريض مجلسان فى اليوم بدل مجلس كبير فى ٤ أو ٥ ساعات اذا كان المريض ضعيفا ثم يحل القماط ويغمس المريض فى حوض من ماء بارد حالة كونه عارقا ناهجا ويمكث فيه من ٨ دقائق الى ١٠ مع اعطائه فيه زيادة حركة ما أمكن ثم يخرج من الحوض ويمسح جسمه ويدلك ثم يلبس ملابسه سريعا ويرتاض في هواء واسع مطلق فيحصل رد فعل نحو الجلد وحرارة لطيفة واحساس براحة ظاهرة وغير ذلك وبعد ذلك بساعة يدخل في قاعة الأكل ويجلس على المائدة ويأكل. قال والمرضى الضعاف هم الذين يغمسون فى الماء البارد

وأما المسترخون القليلو القوة فلا يعرضون لذلك وانما يبدل الغمس لهم بوضع خرق مبتلة على أجسامهم وقد ذكرت تنوعات مختلفة وزيادة في الشرح كتبها الطبيب طريفيت في التفتيشات الطبيـة في شهر مرس سنة ١٨٤٤ فراجعها ، وانمـا نقول فقط ان هذه الطريقة تستدعي لأجـل انالة النجاح منها هواء نقيا في محل مرتفع وتيارا هوائيا في الحجرة التى يفعل فيها هذا العلاج وممارسة كثيرة من جانب المريض ونحو ذلك وكما يستعمل المـاء البارد في هـذه الطريقة مشروبا وحماما يستعمل أيضاً نصف حمام وحماما قدمياً وصبوبات وزروقات وحقنا ونحـو ذلك ويدفع في الخياشيم من ذلك الماء ويتغرغر منه وغير ذلك وتغذية المرضى تكون على حسب شهية المريض فيأكل مايشتهيه انتهي . ويستفاد نحـو ذلك من كلام بوشرده حيث قال ان هذا العمل المستعمل زمن العلاج الى اليوم الاخـير يكون للضعفاء اللطفاء ومن يسهل انقياد وجعهم الى الممارسات الرياضـية ، وأما الاقوياء المصابون بأوجاع مزمنة مستعصية فيبتدؤن بالتعرض لتأثير المـاء البارد المستعمل تارة بهيئة مطر أو غبـار وتارة صبوبات ومنهم من يأخـذ انصاف حمامات أي حمامات مقعدية أو حمامات قدمية قال وينبغي لأجل أن يسمح للمرضى بالاستدامة على استعمال هـذه الوسائط العلاجيـة والرغبة في السكون والراحة أن يكون عشاؤهم بعد الزوال بيسير ويمنع عنهم المـاء البارد في مدة الهضم الا اذا كانوا مصابين بالسمن المفرط ثم يعودون لاستعمال الوسايط العلاجيـة في الصباح مالم تكن بنيتهم شـديدة الضعف ومن الاشخاص من يجدد لهم التنفيس والحمام التابع له كل يوم وبعـد عشائهم الذي تتطلبه شهيتهم يفتشون على سكون يحتاجون اليـه في الحقيقة . قال وهناك شرطان مهمان لحصول النتيجة من هذا العلاج المـائي الذي دلالته المحكمة تفيد نتائج حميدة أولهما أن تكون الطرق الهضمية في حالة جيدة أو أن تصير كذلك باستعمال الماء ، وثانيهما أن يكون المـاء المستعمل للحمامات وللشرب هوائيا جـداً وجيد الصفة مقبولا وسليما بقدر الامكان من أنواع الكبريتات التى تسهل وتخـرم الهضم ولتكن أيضاً تلك الميـاه شديدة

البرودة ، ويسهل أن يعلم ان هذه الكيفية العلاجية لا يمكن ممارستها في جميع الأماكن اذ لا توجد كثيرا في كل الجهات مياه جيدة الصفات ومياه باريس وان لم تكن مناسبة لهذا العلاج الا أنه تيسر لهم استعمالها مع النجاح في مارستان سنت لويس سواء لمعالجة بسريازس مستعص أو جذام عام قديم . انتهى

ويوجد بفرنسا كما قال ميره جملة محال من هذا النوع حتي قرب باريس تعالج فيها المرضى بهذا العلاج المائي بطريقة الفلاح النمساوي. وجرب الطبيب ورطين هذا العلاج بالماء في مارستان سنت لويس تجاه أعين الطبيبين جنير ودوفرجي علاجا لامراض الجلد الغير القابلة للشفاء غالبا وللاكتيوز الأسمر أي الداء السمكي الذي تتغطى فيه البشرة بفلوس ثخينة وحصل من ذلك شفاء ظاهري وفى الحكة المستعصية وفى بسريازس وغير ذلك (انظر الجرنال السنوي لبوشرده في سنة ١٨٤٣) انتهى

وقال تروسو نحن وان لم نجعل للادروتيرابيا استعمالا ثابتا قانونيا قد استعملنا هذا العلاج بالماء أحيانا ولكن لابد أن نذكر رأينا باختصار مشبع وأظن أنه لأجل ذكر قواعد هذه الكيفية فى العلاج يلزم أن نستعير من الكتاب الشهير الذي يظهر لنا أنه الأليق بالموضوع وهو المؤلف الجديد للطبيب سيديل بفتح السين والدال المهملة وعنوانه مبحث كلينكي في الادروتيرابيا ويكفينا بعض صفحات من مقدمته وذكرت في هذا الكتاب الكيفيات الرئيسة لهذا العلاج الجديد المائي ومؤلفه قبل أن يذكر عمليات ابريسنيت نفسه ذكر أن جملة من الاطباء لهم تفتيشات مهمة في استعمال الماء البارد في آخر القرن الأخير مثل جكسون وقوري وبوم . قال تروسو نقلا عن سيديل ان جملة من الاطباء يعني هان وجكسون ووريح بعد استعمالهم مع نجاح عظيم صبوبات باردة في الحميات الثقيلة التي طبيعتها تيفوسية أشهروا ان هذا العلاج ممتع بفاعلية جليلة في علاج هذه الآفات. وقوري وسع دائرته توسيعا جديدا فهو أول من وضع قواعد علمية للادروتيرابيا وهو بواسطة مقياس الحرارة الذي في يده أثبت ان التراكم المرضى للحرور الذي يقوم منه العنصر الرئيس لكل ثوران

حمي يخرج بأسرع مايكون اذا وضع الماء البارد على سطح الجسم ثم انه بقواعده العلمية وتجريباته أشهر هذا الابراز للحرارة بواسطة الماء البارد وجعله دواء جليلا في علاج الآفات الحمية بل مقدما فعله على الاستفراغات الدموية . وعلى رأي هذا الطبيب هناك واسطة وحيدة وهي الطرطير المقيئ يمكن أن يستعمل مع النفع عوضاً عن هذين الفاعلين القويين المسكنين فالماء البارد والاستفراغات الدموية والطرطير المقيئ يقوم منها عنده القواعد الثلاث للصناعة في علاج جميع الآفات الالتهابية مع ان قوري بعيد جداً عن أن يعتبر الحمي الحقيقة مجرد تراكم للحرارة في البنية لكن لما كانت هذه الظاهرة هي التي يتكون منها العرض المتسلطن في هذه الذات وان اخراجها يلطف دائما الخطر بل قد يزيل سريعاً كل عرض مرضى بدون فقد لقوي المريض ظن هذا الطبيب انه أسس اعتبار هذا الاخراج أحسن واسطة للعلاج ومع ذلك أطلب من الاطباء أن يتأملوا تأملا مخصوصاً في هذا الرأي فان قوري وان اعتبر ذلك عملا عظيم الاهتمام لم يقصر الجسم على تأثيره بل ظن أيضاً أن الصدمة الفجائية الشديدة الوقتية المنطبعة في البنية كلها من الماء البارد تقطع التقلص المرضى الذي في المجموع العصبي وفي غلافه الخصوصى وينتج من تلك الحالة المزعجة سرعة رجوع هذا الغشاء لوظائفه الاعتيادية ويعان بهذا الرجوع أعراق تحصل من ذاتها كأنها بحرانية وكان نتيجتها منع للتراكم المرضى للحرارة الآتي فيما بعد أن يدوم حصوله في البنية . قال وجكسون الذي نازع نزاعا معقولا قوري ووريح في أولية استعمال الماء البارد في علاج الآفات الحمية جعل النتيجة الأخيرة للماء البارد هي نتيجة تنوع المجموع العام بخلاف رأي قوري فانه اختار كما قلنا شيئين أحدهما ابراز الحرارة وتلك نتيجة لم يلتفت اليها غيره من الاطباء وانما أثبتها بمقياس الحرارة الذي في يده وثانيهما التنوع المنطبع في جميع المجموع العصبى فينتج منه أيضاً نتيجة مخصوصة جاذبة معها قطع التراكم الآتي بعد للحرارة وبموجب ذلك قطع الحمى ويظهر لي أن الادروتيرابيا الجديدة أهملت هذه النتيجة الاخيرة من استعمال الماء البارد ولم تعتبر

في علاج الآفات الالتهابيـة الابراز للحرارة وظهور الاعراق والنتيجة التحويلية للدلك. وهناك أمر ثالث صحيح أساسي مهم جداً ذكره قوري وهو استعمال الماء البارد من الظاهر ومن الباطن ويكون أقل خطرا كلما كانت حرارة الجسم أرفع وتلك قاعدة معارضة للرأي الطبي المعروف عموما وهو ان وضع البـارد من الباطن ومن الظاهر يكون أخطر كلما كانت الحرارة أرفع وقد عرف جيانيني حقيقة هـذه القاعدة في العلاج بالماء وعاب على قوري فى قصره تأثير المـاء البارد على البنيـة حيث لم يوص باستعماله الا في الاحوال التى تكون الحرارة فيها زائدة وأما جيانيني فوجده جيد الاستعمال في الادوار الاخيرة للتيفوس اذا صارت الحرارة الحيوانيـة ناقصة لا زائدة. ومن الغريب ان قوري عرض هذه المشاهدة للطبيب دروان الذي عاب هو عليه في كونه لم يعتبر الا اخراج الحرارة أي فلم يعتبر للماء البـارد الا النتيجة العدميـة أي المسكنة ناسياً أن هـذه الواسطة يمكن أن يحدث منها انفعال قوي جداً يقاوم مع الشدة النتيجة المسكنة للبارد وهذا القانون الذي ذكره قوري باعتبار كون السلامـة أعظم فى استعمال البارد كلما كان الجسم أشد حرارة يتأكـد كل يوم باستعمالات مختلفـة للادروتيرابيا الجديدة والمذهب الجـديد الذي يبعـد عن أن يجمع جميع الآراء الطبية المقبولة لم يحصل منـه الا تأكيد الرأي الذي ذكره قوري. وهناك قانون رابع للادروتيرابيا الجديدة ذكره أيضاً الطبيب المـذكور وهو أن الاستعمال الموضعي الظاهر للمـاء البارد المفعول بكيفية ما يبعـد أن ينتج نتيجة مسكنة وانما يوقظ الفعل الحيوي في هذه الاعضاء وينتج في المحـال البعيدة نتيجة محولة وبذلك يوضح التحويلي الذي ينال من الادروتيرابيا في بعض الاحوال بواسطة الحمامات الموضعية والحمـامات القدمية بالمـاء البارد وذلك التحويل اعتـبره كثيرون معارضا بالكلية للقوانين الصحية المعروفة وهذه القواعد التي ذكرها قوري ليست فرضيه وانما هي مؤسسة على أمور واقعية مقنعة وتقوم منها القواعد العلميـة للادروتيرابيا وسيما التي تستعمل في علاج الآفات الحـارة ويمكن اختصارها الى ماسيذكر فأولا اخراج الحرارة المتراكمة

تراكما مرضيا وتلك هي النتيجة التى تنال على رأي فوري اما بواسطة الاستعمال مباشرة للماء البارد واما بواسطة التبخير الذي يحصل من سطح الجسم باستعمال غسل الاعضاء بالمـاء البارد وثانياً عظم قدر المـاء البارد بسبب فعله المخصوص الذي ينتجه في المجموع العصبي فينتج من ذلك قطع الحركة الالتهابية وثالثاً أن السلامة والمنافع تكون أعظم في استعمال الماء البارد كلما كانت حرارة الجسم أرفع ورابعاً ازدياد حيوية الاعضاء حيث نيل ذلك بالاستعمالات الموضعية للماء البـارد فينتج من ذلك نتائج محولة تستحق زيادة الانتباه وفضل فوري الماء المالح علي الماء البسيط لاستعمال الصبوبات والانغماسات وكان هـذا الرأي مؤسسا على النجاح الغير المنتظر الذي ناله رويح بهذه الوسايط وسوي ذلك ظن أن الانفعال حينئـذ يلزم أن يكون أسهل وآكـد وهـذا كان عظيم الاهتمام لانه لاينسي أن التسكين لم يكن هو الغاية الوحيدة التى تقصد من أفعاله العنيفة وأما طبيب ليفر بول فلم تكن الغاية الوحيدة لاشغاله وتفتيشاته لانتصاب لتأكيد النتائج المذكورة وجعلها كقواعد أصلية وانما هي اثبات منافع المـاء البارد في آفات كثيرة عصبيـة وتشنجية فجملة من الامور الواقعية العظيمة الاهتمام هنا تؤكد الفاعلية الزائدة للماء البارد في هذه الامراض المستعصية . وهناك عدد كثير من آفات تشنجية يدخل فيها التيتنوس عولجت وشفيت بالماء البارد وان ظن فوري أنه يلزم عموما في هذه الآفة الاخيرة أن يضم للصبوبات والانغماسات استعمال النبيذ والافيون مع انه ذكر أحوالا نجحت فيها الانصبابات الباردة وحدها عنـدما أكـد أن الوسايط القوية المعروفة عديمة القوة ووضع فوري في علاج هذه الامراض بالماء البارد كقانون أساسى أن يستعمل دائما الانصبابات أو الانغماسات مـدة أدوار النوب التشنجية واستنبط هـذا الطبيب أعظم المنافع من استعمال المـاء البارد من الباطن في كثير من الامراض المزمنة وظن ككثير من مشاهير الاطباء ان أعظم جزء من فاعلية الميـاه المعدنية آت اما من خاصة التحليل التى في نفس المـاء واما من الفعل المقوي الذي وصل الي المعدة من المـاء المزدرد ومن هناك انتقل لجميع البنية والامراض التى حصل

لهـا بالأكثر منافع عظيمة من استعمال الماء من الباطن هي الاستيريا أي اختناق الرحم والايبوخندريا والآفات المختلفة المزمنة في الطرق الهضمية وأما الآفات الحادة التي أمر قوري فيها باستعمال المـاء البارد من الظاهر فهي الحميات الاندفاعية كالجدري والحصبة والقرمزية فالحرارة الشديدة الغير الطبيعية في الجلد منضمة لحالة الجفاف يقوم منها على رأيه الدلالات التي تستدعي الاستعمال بدون امهال ولا يلتجأ اليها أصلا في أحوال الالتهابات الحادة الحشوية ومع ذلك ذكروا أحوالا انقادت فيها للصبوبات البـاردة الاعراض الواضحة التي لالتهاب الرئتين كالاوجاع الصدرية ونفث الدم العارض في سير الحميات التيفوسية ونحو ذلك من الاعراض. وقد تلطف قوري جداً في التوضيح وظهر له أن مذهب هنتير أحسن لتوضيح منافع المـاء البارد فعلى هـذا الرأي لايمكن أن يوجد معاً تأثيران مرضيان في بنية واحدة أو في محل واحد من الجسم ولذلك اعتبر قوري التأثر المخصوص الناتج في مجموع البنية من الفعل الفجائي الحاصل من الماء البارد على سطح الجسم غـير موافق للحالة المرضية الموجودة من قبل فلذلك تنسب النتائج الجيدة للفعل المزعج الحاصل من الدواء مثـل ماتنسب لاخراج الحرارة. ونقول مع ذلك ان المستثنيات العديدة من القـانون الذي وضعه هنتير تسقط كثيرا منها هذه القاعدة العامة والكيفية التي فعلتها الطبيعة لأجل التخلص من الحرارة الزائدة استدعت أيضاً انتباه قوري فجميع الناس ومنهم فرنكلين يظنون أن تبخير العرق من سطح الجسم تقوم منـه الواسطة الرئيسة التي تستخدم لأجـل تحصيل تلك الغاية ومع ذلك يظنون أن فعل الاعضاء المفرزة للعرق له دخل في هذه النتيجة ويعرفون أيضاً ان هـذا الفعل العـام الذي حصل في جميع سطح الجسم وبه استخرج من الدم السائل المـائي يلزم أن يكون مصحوبا كغيره من الافـرازات بتنبه مفرط موضعي أو عام وتلك نتيجة مخالفة بالكلية للنتيجة التي فرضوها ولذلك لايجتهد في كشف السر غالبا وانما يعرض للشكوك والظنون ويذكر شيء من هـذا المبحث المهم من علم الصحة عندما يذكر الكيفيـة المعرقة

للادروتيرابيا وذكر قوري بالأرقام العددية النتائج الترمومترية لخروج الحرارة الحاصل بالماء البارد فكان يجد دائما أن الجودة تكون أوضح كلما كان هذا الاخراج أبين في الترمومتر وانما يوضع في الابطين وتحت اللسان هذا المقياس الذي ينتهي بانتفاخ مفرطح يسمح بسهولة الاستعمال ودرجة الحرارة الزائدة الارتفاع التي وجدها كانت في القرمزية فانها كانت من ٣٤ الى ٣٥ من مقياس ريومور وأما الحرارة الاعتيادية فهي من ٢٦ الى ٣٠ من مقياس ريومور فلذا يلزم من الآن وصاعداً أن يعمل بالترمومتر الاعمال والاشغال الادروتيرابيا ولأجل ذلك تجهزت الآن مستحضرات ثمينة من الاعمال والتفتيشات الجيدة من كثير من الاطباء مثل بكريل و بريشيت واندرال وغيرهم ولا سيا أشغال روجير وابراز الحرارة بواسطة الماء البارد له حد وايضاح هذه المسئلة يؤخذ من بعض تجريبات قوري فانها تدل على انه يمكن في حالة الصحة أن يحصل الانفعال حتى مع استدامة استعمال الواسطة المبردة فالحرارة الخارجة التي كانت ٣ درجات من مقياس ريومور بعد ٣ دقائق مكثت في الماء البارد الذي درجة حرارته ٤ درجات من مقياس ريومور لم تكن الا بعد ٦ دقائق الا درجة واحدة و نصف درجة ومن تلك اللحظة صعد الترمومتر تدريجا بحيث انه بعد اقامة مدة من ٢٠ دقيقة الى نصف ساعة في الماء البارد لم يكن نقص الحرارة المدلول عليها بالترمومتر الموضوع تحت اللسان الا درجة واحدة فهل هذه التجريبات جيدة الانتاج؟ أقول لا أظن ذلك لأن الرأس يبقى خارجا عن الماء والدم يندفع اليه بالضرورة فالحرارة الناشئة فيه تكون أعظم كلما صار الاحتقان أكثر ولنذكر الآن القواعد المستخرجة من تجريبات قوري الموافقة للأمور الواقعية الغريبة التي للادروتيرابيا الجديدة ولكنها مخالفة لآراء هذا الطبيب المتعلقة بوضع الماء البارد على سطح الجسم عند ما يكون هذا الجسم مغمورا بالعرق فاستعمال هذا الفاعل العلاجي سواء من الباطن أو من الظاهر يكون أقوى تأثيرا كلما كانت الحرارة أعلى من الحالة الاعتيادية و يمنع استعماله اذا استدام التنفيس الجلدي زمناً فلذا

ظن أن الغمس البارد المفعول مدة العرق أو بعد العرق حالا يمكن أن يكون خطرا لأن التنفيس المستطيل المدة حيث أحدث في الشخص برداً كثيرا وابرازاً جديداً للحرارة بهذه الواسطة يمكن أن يسبب أخطارا ثقيلة. وقد وضح قوري العوارض التي شوهدت في أحوال من هذا النوع علي فرض ان حرارة الجسم في هذه الاحوال ناقصة من قبل العرق الغزير فالتبريد الجديد المضعف للبنية جداً المعارض للانفعال اللازم يمكن أن ينتج مرضا أو الموت وظهر له ان الخطر يكون أعظم كلما كان الشخص الذي حصل له التنفيس زمنا طويلا أضعف والتجريبات اليومية في جريفنبرغ تدل علي ان هذا الرأي خطأ. قال وسنتكلم عند مبحث العرق بالمحرض بالادروتيرابيا علي هذه المسئلة المهمة كلاما واسعاً بقدر اللازم. قال المؤلف الذي نقل عنه تروسو هذا المبحث ان جميع مارقمه قلم الطبيب قوري يستفاد منه عظم معارفه العلمية وتوقيره أكثر من غيره من الأطباء الذين كتبوا في هذا المبحث ورغبوا في استعمال الماء في علاج الأمراض لأن كتاباتهم لاتخلو عن نقص

وأما الطبيب بوم البعيد جداً عن غيره في استعمال هذا الدواء فانه استعمل لمرضاه حمامات مدتها ٦ ساعات و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٨ و ٢٤ ساعة وحرارة تلك الحمامات الطويلة تكون أحيانا من ٨ درجات الي ١٠ فقط من مقياس ريومور وتحفظ تلك الدرجة الحرارية باضافة الماء البارد أو الجليد كلما رفعت حرارة الجسم حرارة الحمام ويندر أن يستعمل هذا الحمام في درجة أعلى من ٢٦ أو أنقص من ١٠ درجات من مقياس ريومور ومدح هذا الطبيب نفسه باستخراجه منافع من استعمال الماء البارد من الخارج بهيئة انغماسات وصبوبات وغسلات وحمامات ومن الباطن بهيئة ماء الدجاج الذي يصنع بغلي دجاجة صغيرة بقدر قبضة اليد مدة ربع ساعة في ٦ ألتار أي ١٢ رطلا فهذا الطبيب الجسور وان استخرج نتائج نافعة من الماء في الامراض الالتهابية وسيما أمراض المخ الا أن نجاحه بالأكثر في الآفات العصبية كالايبوخندريا والاستيريا بجميع أشكالها والرعشة والامراض الأخر التشنجية وتجاسر بوم

أحيانا على استعمال المـاء البارد حقنا وحمامات حتي مدة دوام السيلان الطمثي وبذلك كان موافقا لابريسنيت. وأما بيانه التعليمى فلا أذكره الا لتوضيح المـدة الغير المحدودة للحمامات التى غمس فيها مرضاه حتي نال الاسترخاء الطبيعي للاعضاء المتيبسة بالرشح المـائي وذلك أنه ماعدا الاسهال الذي يعرض غالبا للاشخاص المعرضين للعلاج الادروتيرابي عند الطبيب بوم لم أجد فى الظاهرات المشاهدة فيهم مايمكن أن يقرب للظاهرات التى تظهـر في البنية المعالجة بالعلاج المـائي الجديد ويظهر أن من الخطأ الحقيقي في الحس سباحة المرضى علي سطح المـاء والبروقات اللغطية حيث أكد بوم أنه كثيرا ماسمعها فى أطراف الاشخاص الذين طالت مدة مكثهم في الحمـام زمنا طويلا فاذن الاستعمال العلمى لقوري والتجربة الجنونية ابوم حيث اختصرا جميع مافعله متقدموهم في هذا الموضوع لم يوجد في شيء منهما مشابهة تامة للمذهب الجديد الذي سلكه ابريسنيت وانمـا الفاعلية والاستدامة لهذا الشخص هما اللذان لهما في العلم مدحة حيث أمكن بهما انالة أمور واقعية تعطى للادووتيرابيا اتساعا جليلا

وهذه الشروح القصيرة التى ذكرناها لاستعمال قوري وبوم يستفاد منها حقية فاعلية الدواء الذي وضعته المصادفة بين يدي ابريسنيت ويتعجب من النجاح الخاص الذي حصل على يدهذا الشخص حيث سعى بتجربته شيأ فشيأ فلم يجـد واسطة للاستعمال الا الماء فاستعمله بجسارة في كثير من الاحوال التى لم يخطر ببال أحد من أهل الصناعة استعماله فيها. قال وعلى حسب الاستخبار الذي استفدته بمدينة جريفنبرغ من أشخاص من عائلة ابريسنيت ظهر لى أن هذا الشخص حصر انتباهاته في خمارة صغيرة رديئة في طرف جريفنبرغ وقطع من أرض كانت له ميراثا ورثه من آبائه وعرف انه يحصل له نفع من دلالات مبهمة أعطاها له راع من الرعاة الهائمة في الخواص الشفائية للمـاء ومن المحقق ان الراعي زاد له كليات مضحكة ولكن ابريسنيت فعل كما فعل برسى ولازمه زمنا طويلا وذلك أن برسى المذكور الشهير حكي أن طحانا أبرأ في اسطرسبرغ جملة مجاريح بماء يظهره للناس كأنه ماء كرامة أي خارق للعادة فجرب

بروى الماء البسيط ونال منه مثل هذا النجاح فكذلك خمار جريفنبرغ ظن حالا أن الماء هو الذي حصل منه شفاء الداء لا أن الشفاء حاصل من الانبساط الشخصى فاستعمل هذا الدواء في جميع العوارض التى تحصل له نفسه ولعائلته وأحبابه ولبهائم جيرانه فاشتهر بذلك اشتهارا عظيما في علاج أنواع الهرس واللي والحرق ثم في الكسور حتى أنه نفسه أبرأ من معه كسر في أضلاعه واقتصر في ذلك الزمن الذي وصل الي سنة ١٨٢٦ على على أن يضع من الظاهر الماء البارد بواسطة رفائد أو بهيئة غسلات بالاسفنج الغليظ ولما كان عنده وثوق بخواص الماء أمعن في ذلك انتباهاته الطبية واستصحب معه شخصاً من أقاربه مسمى باسمه وأخذت هذا الشرح منه وقبل اشتهاره بشفاء الامراض بالماء واستعمال الاسفنج على الظهر جال في الجبال الفاصلة بين جريفنبرغ وسليسيا البروسية وهناك أخذ في اعطاء مشورات واستعمال دوائه فى تلك البلاد والضيعات وصار المرضي يأتونه زمرا للمحال التي أعدت لذلك ولما سمع الوالى بذلك ذهب الي الارياف لينظر ذلك فنبهت الابريسنيتيون من قبل فحملوا أثقالهم الخفيفة حتي جاوزوا حدود مملكتهم ووصلوا جريفنبرغ والى بعض قري قريبة لها وأشهروا هناك دواءهم المذكور وجهزوه من جديد لأنواع الهرس والأوجاع وآلام الاسنان وأوجاع الرأس التي تصيب الفلاحين كأوجاع بهائمهم أيضاً وسيما الخيل العرج فكانت النتيجة للماء البارد محللة جداً تنتج نتائج جيدة في اليدين والرجلين المحتقنات لذوات الأربع وكثير من المرضي الذين عجز الأطباء عن معالجتهم وثقوا بهذا الفلاح أكثر من وثوقهم بالأطباء فقصدوه فابتدأ لهم باستعمال دوائه من الباطن مع نجاح لم يزل دائما آخذاً فى التقدم وكما رضي هؤلاء المرضى بجميع مايستدعيه منهم تغالوا أيضاً في طلبهم وعرضوا أنفسهم عليه مع الرغبات أن يجوب لهم طريقة كذا وكذا فلذلك استعملوا مع التتابع الحمام الكبير البارد والتنطيل والتنفيسات القهرية الجلدية وهذه الواسطة الاخيرة كانت مستعملة في الأزمنة السالفة بالمدينة كدواء عام ذي فاعلية عظيمة وذلك الظن في اندفاع الاخلاط الفاسدة

بواسطة الاعراق القهرية ارتسم في أذهان العامة وخصوصا أهالى جريفنبرغ وما حواليها وعرف الروسيون والبلونيون لغة فلاحي هذه الاقسام حتى تيسر لهم أن يبتاعوا منهم مايحتاجونه بدون أن يعرفوا لغة النمساويين فاسم ابريسنيت يعلن بطريقته والمرضي منقادون للرأي الخلطي العامي بحيث يبادرون بعد استعمال العرق القهري باستعمال الماء البارد حيث ظهر لهم منه نفع عظيم فبعد تحريض العرق الغزير فيهم يغمسون أنفسهم في حمام كبير بارد أو يصب عليهم الماء البارد عند الخروج حالا من تحت أغطية الصوف وذلك امتثال للاعتيادات العامية. ولا يستغرب من جمع هذه الطرق كلها اذا تذكرنا ان سليسيا التي هي اقليم كبير من البروسيا تسلطن فيها مدة طويلة تصور مبهم للخواص العلاجية التى للماء البارد ونجى تختها المسمي بريسلوا بهذا الدواء من رعب الوباء المخرب الذي حصل فيها سنة ١٧٣٧ ونقول من جهة أخري كان العرق القهري ثم الغسلات بعده بالماء البارد من اعتيادات العامة هناك قبل مجيء هذا الدواء لهم وأما السبب الذي

أرشده لابدال حمام البخار بالاحاطة بأغطية الصوف هو أن الفلاحين كانوا معتادين على فعل التنفيس بذلك من زمن قديم وأما التنفيس بالصوف المبتل فهو بالكلية من اختراعه أي نتيجة تعقله الجيد المشاهدة وهذه الوسايط المختلفة كانت منه تدريجية حتي صارت كلها جملة تستعمل في المحل اللائق بها ثم أخذ من هذا الاستعمال طريقة عامة فجعل الدلكات بالجوخ المبتل وباليدين المبتلتين بالماء البارد وبدل الدلكات الأولية بالاسفنج ثم اخترع لف المريض كله لا أجزاء منه فقط بملاءة من جوخ مبتلة بالماء البارد وزيادة على ذلك أنه شاهد أن بعض الاشخاص تنقطع أوجاع أسنانهم من الماء المنتعش قليلا بالحرارة وهو لهم أحسن بكثير من الماء البارد مع أن أشخاصا أخر بعكس ذلك فاخترع امتداد هذه التجربة لأوجاع مختلفة من الماء على سطح الجسم فكانت نتائج ذلك مساعدة جداً. ومن الواضح ان انضمام جميع هذه الطرق انما كانت من نتائج الزمن وغالبا بالمصادفة التي أخذت منها فطانة ابريسنيت منفعة جليلة وكذلك

الطبيب ورتيل أوصاه بأن يسقي المرضى كثيرا من الماء البارد حيث عرف نجاح ذلك وهو أول من ألف كتابا فى هـذه الطريقة ونتج من مدحه الزائد لها نتيجة قاطعة مساعدة لعلاج ابريسنيت فعلى رأي هذا الطبيب أن الشرب الكثير من المـاء البارد ودلك الجسم به يقوم منهما جميع الطب المطلوب وهذا الكتاب نبه الالمـانيين علي هذه الطريقة الجديدة ومن حينئذ ظهر لابريسنيت تاريخ جـديد ويظهر أن نتيجة هذا العلاج لم تزل آخذة في زيادة النفع حتي جاوز عـدد المرضي في السنة ١٢٠٠ وفي كل سنة يزيد عدد المرضى الذين يأتون لجريفنبرغ للتفتيش علي صحتهم وبنيت على الحمـارة العتيقة طبقـة من المساكن وبنيت الأماكن الخربة التى كانت حولها وتبدلت بأبنيـة جميلة وعمل في معظم بلاد الاوربا أماكن مخصوصة لهذا العلاج المـائي على شكل مكان جريفنـبرغ واحتقرت الأدوية والمركبات واعتبرت كأنها سموم قتـالة وأقر الاطباء بشرف مخترع هذه الطريقة وان الخير والصلاح الذي حصل علي يده لم يعادله فيه غـيره وأطباء المدن والقري المجاورة لجريفنبرغ كانوا أولا ينكرون فاعلية الماء في كثير من الاحوال ولكن غلطهم انمـا ينسب للآراء التى بقيت قوانينها خامدة عن المنافع التى يمكن أخذها من هذا الدواء يعني انهم لما رأوا نفع استعمال الاسفنج لهؤلاء المرضي قطعوه بأيديهم من الأحجار ليستعملوه في ذلك وعولج في جريفنبرغ لجملة أشخاص عظام من أهل المملكة فبعضهم من آفات مزمنة في المعدة وبعضهم من احتقانات نقرسية في المفاصل وبعضهم من آفات عصبيـة ثم ان ابريسنيت لم يكتب شيئا وقال لم يكن عندي زمن لذلك مع ان طريقته اشتهرت واستعملت ببلاد النمسا وانكلترة وغيرهما وكما استعملها الاغراب عن الطب استعملها أيضاً كثير من الاطباء أرباب الصناعة والى الآن لم يحكم بمناسبة دراستها في مدرسة من المدارس ولم تدخل في كاينك من الكاينكات المنتظمـة ومبالغات المتعصبين لها يتضح منها هـذا التشكك الذي هو طبيعى يقينا ولكن الأمل ان هـذه المبالغات الخارجة من العقل توصل أهل العلم للبحث بتأكيـد وبدون غرض نفساني على كيفية هـذا

والرياضة المنتظمة في الهواء الواسع ومنفعة هذه الطريقة واضحة في كثير من الآفات العصبية التى في المحور المخى الفقري ولا سيما النخاع الشوكي وفي الاعتقالات وآفات الحركة والآفات التشنجية والرعشة وغير ذلك ويظهر أيضاً أنها تنفع نفعاً جليلا في بعض أحوال عصبية غريبة في بعض الاعضاء كالرحم والاثداء والخصيتين (يقول جامعه احمد الرشيدي كان لي صاحب يعتريه زمنا فزمناً صداع شديد مزعج لم ينفع فيه شيءٌ من الأدوية الا صب الماء البارد على الرأس فيسكنه حالا)

والرابعة وهي الطريقة المغيرة أو المحالة هي التي اخترعها على الخصوص ابريسنيت ففي درجات الشدة كثيرا ما تستعمل كيفيات تنوع البنية تنوعاعميقا كالتنفيسات المتحرضة اما من أغطية الصوف الجافة واما من الملاآت المبتلة وتعقبها حالا تغمس المرضى فى حمام كبير بارد أو تستعمل دلكات في حمامات جزئية ومثل ذلك أيضاً النطولات الباردة والصبوبات المختلفة القوة وحمامات المقعدة المختلفة برودةواستطالة والتمريخات القوية باليد المبتلة علي سطح الجسم والوضعيات المنبهة المختلفة السعة وجميع الوسايط التى تضم لاستعمال الماء البارد من الباطن بكثرة تنوع الحيوية تنوعا عميقا وغايتها انتاج انفعالات تسمي بالبحرانات وجميع الآفات المزمنة تعالج بهذه الاعمال التي تساعد بتدبير غذائي مخصوص كثير التغذية وبممارسة جميع المجموع العضلي بحسب الطاقة في هواء واسع مع المنع التام عن جميع الوسايط الاقرباذينية ففي جريفنبرغ يعالج كل آن مع النفع الزائد أحيانا بالطريقة المغيرة المذكورة بعض الآفات المزمنة في المخ وكثير من آفات الصدر وجميع آفات البطن والنقرس والوجع الروماتزمي المزمن والآفات الباسورية والاعراض الزهرية الأولية أو الثانوية أو الثلثية والامراض المزمنة الجلدية والقروح المزمنة في الاطراف السفلى والنواصير البولية وتضايق مجري البول والاورام العظمية والامراض الأخر المزمنة في العظام والآفات الخنازيرية والاورام البيض ونحو ذلك فبواسطة الانفعال القوي والتنوع العميق الذي يطبعه هذا العلاج في جميع الوظائف

العضوية يمكن أن يوضح التحلل وزوال كثير من الاحتقانات المزمنة بالعلاج المائي فاخراج جميع مايظن غريبا ومؤذيا للجسم هو الذي ينتج الشفاء وبالأمل انه اذا لم يوصل لانالة هذا الاخراج التام بالتنبه والثوران العامين المنطبعين في البنية فأقلة أن يقف سير المرض العضوي بل يمكن أن يحصل منه حركة رجوع نحو الشفاء والانفعالات المختلفة الناتجة مدة استعمال الطريقة المحللة تسمي بالبحرانات وتعتبر كأنها أفعال شديدة من الطبيعة ليحصل عنها اندفاع السبب المرضى فعلى حسب هذه الآراء الخلطية أي المتعلقة بالاخلاط يوضح المعالجون بالماء التحليل والزوال لجميع أنواع الاحتقانات سواء في الاحشاء البطنية المختلفة أو في المفاصل المختلفة ويوضحون أيضاً بهذه الكيفية شفاء الامراض التى توضع تحت تعلق مجموع الوريد الباب والأوردة الدوالية فى المستقيم وبالجملة ينال على رأيهم بواسطة استعمال هذه الطريقة جميع النتائج التي يشاهد عروضها بعداستعمال المياه الحديدية الشهيرة جداً ومدة العلاج تطول فى الغالب وأساس هذه التجربة الصعبة تجاسر المرضى وصبرهم غالبا

وأما الطريقة الخامسة الاضافية أي المساعدة فهى التي تستعمل في الامراض التي لايرجي شفاؤها شفاء تاما ولكن اذا استعمل فيها العلاج بالماء استعمالا مناسبا جاز أن يحصل منه نفع مهم ففي أمراض القلب وبعض الآفات الرئوية المزمنة وأنواع الشلل يمكن أن يجد الطبيب مساعدة ثمينة من استعمال هذه الطريقة العلاجية . قال قد رأيت في جريفنبرغ مريضاً مصابا بآفة عضوية ثقيلة في القلب مصحوبة بنزلة رئوية مزمنة وربو أحوج المريض لملازمة السرير مدة ١٥ يوما بسبب الازدياد الوقتى للعوارض النزلية والرئوية فترك حجرته في آخر هذا الزمن حيث كان الفضل للادروتيرابيا التي صيرت المريض فى غاية الراحة وترك سريره بعد أن لازمه هناك نحو عشرة أيام بسبب ازدياد النزلة أو الربو وكان منتقع اللون ضعيفا هزيلا نحيفا لايمكنه الزحف الا بعسر ثم لما حصل له النجاح من هذا العلاج بالغ في مدحه كثيرا . والوسايط المستعملة في جريفنبرغ وان كانت بسيطة يمكن اعتبارها

مفزعة بباريس فاستعمالها يستدعي من المريض وثوقا كبيرا ولذا كان هذا المريض الذي ذكرته شخصا عمره ٦٠ سنة وكان في كل صباح يجلس بجانب سريره على كرسى ليس له مسند ويدلك جسمه كله برداء مبتل بالماء البارد مدة دقيقتين أو ٣ ثم ينشفه جيدا وتوضع له رفائد منبهة على سوقه المحتقنة وهوموضوع علي سريره وأحيانا يوضع في حمام جزئي حرارته ١٢ درجة من مقياس ريومور ويمكث فيه بعض دقائق ويدلك وهو فيه جميع جسمه بقوة

وأما المصابون بالسل الذين لايؤمل شفاؤهم ويكونون فريسة لحمي بطيئة أنحلتهم وهم مكدرون بأعراق ليلية هزلتهم فالعلاج الادروتيرابي يكون واسطة مساعدة لهم من أعظم مايكون بشرط التشجع من المريض والأحسن في هذه الاحوال أن يلف المريض مرات في رداء مبتل فان ذلك يسكن هذه الحمي ويوصل للجلد قوة شديدة لاينتجها غيره من أنواع التداوي سوي الصب البارد وكذلك الفالج وبربليجيا أي شلل النصف الاسفل يجدان في هذا العلاج واسطة مساعدة من أنفع مايكون حتي ولو منع ثقل المرض الوثوق بالشفاء التام ولذلك شاهدنا في جريفنبرغ أشخاصا مصابين بربليجيا يعتبرهم ابريسنيت غير قابلين للشفاء فاستعملوا مع النفع الجليل بمباشرته دلكات بملاآت من جوخ مبتلة في جميع سطح جسمهم مدة بعض دقائق وكان ينبههم بنطولات باردة مفعولة على جميع أجزائهم ماعدا العمود الفقري مدة دقيقة أو دقيقتين فلذا نمدح هذه الواسطة حيث ان الصحة العامة التى كانت فاسدة رجعت بها مزهرة وحركات الاطراف السفلى وان كانت غير تامة الا أن المريض لم يزل عنده رجاء الشفاء والانزعاج الزائد الذي يشاهد غالبا في المرضى المصابين بشبه هذه الآفات كان في هذا الشخص نفسه يسكن سكونا عظيم الاعتبار بالتفافه في ملاءة مبتلة والادروتيرابيون يعتبرون العلاج بالماء واسطة مساعدة في علاج الرعاف الذي لايوجد في ذاته ثقل ولا يحتاج لعلاج عام وخطر مجيء الداء دفعة لايقاوم بمنفعة من المنافع الأخري وهذه الطريقة علي رأيهم تساعد في علاج الحميات الاندفاعية وسيما الجدري الافعال

القوية للطبيعة وتجتاز بالداء أوجهه المختلفة مع قصر مدتها لكن من الواضح ان الحمي الاندفاعيـة اذا كانت خفيفة ترك الحـال لفعل الطبيعة واذا التجىء الي الادروتيرابيا فذلك لأنه يوجـد اذ ذاك اعراض تستدعي الاستعانة بها ففي تلك الاحوال كما أثبت قوري انما حصل النفع باخراج الحرارة وبالنتيجة المضادة للتشنج التي للدواء فتـولد من ذلك كله السكون وزالت الاحتقـانات الباطنة فالعـلاج بالمـاء فى هذه الاحوال لم يكن مساعدا وانما كان مسكنا ومضادا للالتهاب والادروتيرابيـا اذا استعملت بتعقل في النقاهات كواسطة اضافية جاز أن يحصل منها نفع عظيم وكذلك الغسلات العامة القصيرة المدة بالماء البارد أو الذي درجة حرارته مناسبة والدلكات المفعولة بجوخ مبتل تعين مع الرياضة علي تقوية المريض وتعيد له صحته سريعا والحركات الحميـة الواضحـة والانزعاجات العصبيـة التي تتعب الناقهين تعالج مع نجاح بالالتفاف فى الجوخ المبتل وتلك واسطة يحصـل منها نفع جليـل في تقوية المريض فى الوقت الذي يكون من المهم توفير قواه

وهـذا التقسيم للادروتيرابيـا أي الي الطرق المـذكورة يستدعي غاية الاهتمام وأقل نفعها اعتبار هذا الفرع من العـلوم الطبية وتأكيد سعة وضعياته اذفي الحقيقة لايوجد من الفواعل العلاجية ماهوواسع الاستعمال الا المسهلات مع أن استعمالها ليس متسعا عاما كاتساع العلاج المـائي والتقارب بين المسهلات والادروتيرابيـا يكون أضبط وأصح عند من ينسب لهما القدرة على استفراغ الاخلاط الفاسدة فى البنية وطردها عنها فالفضل في الحقيقة في شفاء الامراض لخاصتهما المنقيـة وهـذا الرأي له اعتبار وان لم يكن هو الرأي المشهور الآن ونقول هل تكون المسهلات هنا قاعدة للعـلاج فاذن يلزم من طرف ابريسنيت اثبـات شىء وهو أن جميـع الامراض ينتج منها وجود خلط يكون من المهم استفراغـه وتلك الكيفية في توضيح نتيجة الادوية بكونه ينسب لهـا خواص منقية كما هو المشهور عند العامة معروفة أيضاً عنـد أرباب المعارف وتساعد مساعدة قوية على شهرة طرق العـلاج المؤسس علي هـذا الرأي فابريسنيت فعـل هـذه التنقية بلف

المريض من الخارج وبالمسهلات التي تفعل فعلها على الجلد الباطن وكل حزب منهم يذكر شفاآت عديدة أكيدة عنده عظيمة الاعتبار ثم في التأمل في المبدأ الذي ذهب منه ابريسنيت وفي بعض القضايا المبهمة في الخواص الشفائية للماء مصحوبا ذلك بدلك الجزء المريض بالماء البارد ووضع رفائد مبتلة عليه ومقابلة هذا المبدأ الدنيء بالاستعمال الكثير الزائد النفع غالبا حينما عرف هذا الشخص أنه دواء أوقعته المصادفة بين يديه لا يمنع التعجب من استدامته وشدة فاعليته فتوضح هذه النتيجة بالفاعلية الحقيقية للماء في كثير من الاحوال وبجسارة ابريسنيت وبالتجريبات التي تفوت بمبالغات المرضى في مدحهم له ومدح نجاح فعله واذا لم تتجاسر الأطباء على فعل هذه الكيفية نرى أن المرضى تمارسها بأنفسهم فتكون نتيجة ذلك زيادة الشهرة لتجربته سواء كانت تلك النتائج التابعة حميدة أو مغمة. ولم يكتف ابريسنيت بالنتائج المنالة بل كان يشتغل أيضاً بتصورات جديدة فيترك الطريق الذي سلكه أولا حتى شاهد طريقا آخر يوصله بسرعة للمقصد المطلوب له ولذا ترك من نفسه عمل التنفيس أي التبخير بعد أن كان يستعمله مرتين في اليوم فالتفاف المرضى بالأردية المبتلة كان عوضا عن الاعراق التى كانت تستعمل منذ سنين والآن مال بالأكثر للانغماسات المتعاقبة فأولا في حمام جزئي من ماء فاتر يدلك فيه جسم المريض بعض دقائق ثم يخرج منه لينغمس في حمام كبير بارد ثم يرجع المريض من هذا الحمام الى الحمام الجزئي والى الدلكات ومن ذلك الى الحمام الكبير وهكذا حتى يحصل للمريض أحيانا حالة غشى تحوج لوضعه على سريره والآن هذه الحمامات المتعاقبة مع الالتفاف في الجوخ المبتل لها تقدم على التنفيسات القهرية. انتهى مما نقله تروسو من كتاب سينديل باختصار. ثم قال تروسو وهذا الشرح اللطيف الذي ذكرته برمته عنه كاف يقينا لمن أراد أن يستفيد تصوراً صحيحا للادروتيرابيا فالعلاج بالماء وان ظهر بمقتضى هذه النبذة اليسيرة أنه شئ سهل الا أن الطبيب قد يعسر عليه اتمام الشروط اللازمة للنجاح فعليه أن يعرف تفصيلا شرح كل من هذه الطرق وما يتعلق

بدلالتها المخصوصة وأن يدرس ماسطر في المؤلفات الصحية التي كتبت فى هـذا المبحث ككتتات لوفر بيير واسقوطيطان فاذا أريد بالعلاج بالماء التداوي المقوي تكون حمامات البحر هي الانفع في ذلك (وقد ذكرنا لها في كتابنا هـذا مبحثا مخصوصا) فاذا أريد أن يضاف للفعل المقوي نتيجة مغيرة أو منقية فالادروتيرابيا يوجد فيها الينابيع التى لا توجد فى حمامات البحر فان من القريب للعقل أن نفوذ مقدار كبير من الماء مدة طويلة في الجهاز الدوري وفي جميع الاعضاء المفرزة يكون شيئا موافقا للبنية وينوع الاحوال المرضية تنوعا عميقا كالنقرس والوجع الروماتزمي والقوابي المستعصية على العلاج ونحو ذلك وتلك آفات علاجها بحمام البحر ضعيف القوة وهنا حصل تقدم آخر أدخله في العلم فلاح جريفنبرغ من التداوي بالماء البارد حيث استعمله بأوضاع غريبة الشكل مفعولة مع التعقل والضبط فاكتسبت رتبة متميزة عن غيرها فى صناعة العلاج فاما كواسطة مسكنة أو مقوية أو محللة فيلزم الانتباه في استعمالها فلا يستعملها الا طبيب نبيه. انتهي

﴿ موقان ﴾ قال ياقوت موقان بضم أوله ولاية فيها قري ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي فأكثر أهلها منهم وهي من اذربيجان يمشي القاصد من اردبيل الى تبريز في الجبال

﴿ ميافارقين ﴾ قال ياقوت ميافارقين بتشديد الياء وكسر الراء والقاف أشهر مدينة بديار بكر قيل مابني منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان وما بني منها بالآجر فهو بناء ابرويز والذي يعتمد عليه انها من بناء الروم لانها في بلادهم الى أن قال وأحكم بانيها تحصينها حتي يقال انها لم تؤخذ عنوة قط حتى ٦٢٠ هـ وآمد بالقرب منها وهي أحصن منها وأحسن وقد أخذت بالسيف مراراً وأمر الملك قسطنطين وزراءه الثلاثة فبني كل واحد منهم برجا فيها وجعل لها ثمانية أبواب وقيل انه كان مدة عمارتها حتى كملت ثمان عشرة سنة الى أن قال: وما زالت ميافارقين بأيدي الروم الى أيام قباذ بن فيروز ملك الفرس فانه غزا ديار بكر وربيعة وافتتحها وسبا أهلها ونقلهم الي بلاده وبني لهم مدينة بين فارس والاهواز فأسكنهم فيها وجعل اسمها أبر قباذ ثم ملك بعده ابنه أنوشروان

ابن قباذ ثم ابرويز بن هرمز وكان ابرويز مشتغلا بلذاته غافلا عن مملكته فخرج هرقل فافتتح هذه البلاد وأعادها الى مملكة الروم وملكها بأسرها ثمان سنين آخرها سنة ثمان عشرة للهجرة و بعد أن فتحت الشام وجاء طاعون عمواس ومات أبوعبيدة بن الجراح أنفذ عمر رضى الله عنه عياض بن غنم بجيش كثيف الي أرض الجزيرة فجعل يفتحها موضعاً موضعا وقيل ان خالد بن الوليد والاشتر النخعى سارا الى ميافارقين في جيش كثيف فنازلاها فيقال انها فتحت عنوة وقيل صلحا على لى سين الف دينار على كل محتلم أربعة دنانير وقيل دينارين وقفيز من حنطة ومد زيت ومد خل ومد عسل وان يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة أيام وجعل للمسلمين بها محلا وقرر أخذ العشر من أموالهم وكان ذلك بعد أخذ آمد . قال وكان المسلمون لما نزلوا عليها نزلوا بمرج هناك علي عين ماء فنصبوا رماحهم هناك بالمرج فسمى ذلك الموضع عين البيضة الي الآن .

﴿ ميان ﴾ قال ياقوت ميان في المشترك ميانج من أعمال اذربيجان وهي على مسيرة يومين من مراغة وأهل اذربيجان يسمونها ميانة وهي مدينة كبيرة . وقال في اللباب ميانة بلد باذربيجان خرج منها جماعة من أهل العلم منهم القاضى أبو الحسن الميانجي المشهور في أخبار موشان عند همذان

وقد عد ابن حوقل مدينتي موقان والميانج ضمن بلاد أذربيجان حيث قال وأما الميانج وخوي ومرند وتبريز وموقان فهي مدن صغار متقاربة في الكبر لطاف وجميع ذلك معموم بالشجر معمور بالخيرات والثمر غير مخصوص منه مكان دون مكان بالأنهار والبساتين وعمارة الأرضين بل كل مملوء بالبركات

﴿ ميانروذان ﴾ قال يقول ياقوت بفتح الميم كلمة فارسية معناها وسط الأنهار وهي جزيرة تحت البصرة فيها عبادان تحيط بها دجلة من جانبيها وتصب في البحر الأعظم في موضعين أحدهما يركب فيه الراكب القاصد الى البحرين وبر العرب والآخر يركب فيه القاصد الى كيس و بر فارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة والجانب الثالث البحر الاعظم وفيها نخل وعمارة وقري

من جملتها المحرزي التي هي مرفأ سفن البحر وميان روذان أيضاً ناحية في أقصى ماوراء النهر قرب أوزكندا

﴿ماح﴾ فلانا يميحه نفعه و (امتاح الماء) غرفه: و (استماحه) سأله العطاء

﴿ماد﴾ يميد ميدا تحرك. و (تميّد) تمايل مهتزا و (المائدة) الطعام والخوان عليه الطعام جمعه مائدات

﴿الميداني﴾ هو ابو الفضل احمد ابن محمد بن احمد الميداني النيسابوري. كان أديباً عارفا باللغة له فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الأمثال

توفي بنيسابور سنة (٥١٨)

﴿مار﴾ فلانا عياله يميرهم ميرا أتاهم بميرة و (المِيرة والمَيْر) الطعام. و (امتار) مثل مار

﴿مازه﴾ يميزه ميزا عزله وفرزه من غيره. و (ميّزه تمييزا وامازه) بمعنى مازه. و (تميّز الشيء وانماز) انفصل عن غيره

﴿التمييز﴾ هو اسم يذكر لبيان عين المراد من اسم سابق يصلح لأن يراد به أشياء كثيرة نحو (اشتريت رطلا مسكا) فان مايذكر بعد رطلا يصح أن يكون خبزا وحريرا الخ فلما قلت مسكا ميزته فصار مسكا تمييزا. والمميز اما ملفوظ أو ملحوظ فالأول كأسماء الوزن والكيل والمساحة والعدد كما رأيت. والملحوظ مايفهم من الجملة نحو (طاب محمد نفسا، وأنا أكثر منك علما) فانك متى قلت أنا أكثر منك احتمل أن تقول مالا أو ماشية، فلما قلت علما صار تمييزا

﴿ميس﴾ ماس الرجل يميس ميسا تبختر و (تميّس الرجل) تبختر و (الميسان) المتبختر

﴿ميسان﴾ قال ياقوت هي كورة واسعة كثيرة القري والنخيل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزير النبي مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور

﴿ميط﴾ ماطه يميطه أبعده و (اماطه) ابعده ونحاه و (المِياط) الادبار و (المياط) أيضاً الاقبال

﴿ميع﴾ ماع يميع سال وجري. و (ماع السمن ذاب فهومائع. و (اماعه)

أسـاله و (تميّـع الشيء) تسيـّل . و (المـائع) خلاف الجـامد و (ميعة الشباب) اوله

﴿ الميعة السائلة ﴾ هي عصارة بلسمية سائلة تسمى بالافرنجية اصطركس لكيد أي الميعة السائلة و بومقو بلم أي بلسم قو بلم وقو بلم الكيد أي القو بلم السائل ولكيدمبر أي العنبر السائل و يسمى النبات باللسان النباتي لكيدامبر اصطراسفلوا ولكيدامبر أورينتال وهما نوعان من الجنس تخرج منهما هذه العصارة فجنسهما لكيدامبر كان موضوعا في فصيلة امتناسية والآن وضع في الفصيلة الشمعية وصفاته النباتيـة انه كثير الذكور وحيد المحل أي أن أزهاره المذكرة والمؤنثة على شجرة واحدة منفصلتين عن بعضهما فالازهار المذكرة يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة وتتركب من عدد كثير من ذكور خالية بالكليـة من الكاس والتويج بل ومن الفـلوس التي تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعيّ الورق يسقط فيما بعـد والأزهار المؤنثة يتكون منها سنابل هرية كرية مصحوبة أيضاً بمحيط فـلوسي مركب من ٤ وريقات وهـذه الازهار ملززة جداً وملتصقة ببعضها وكاسها متسع وحيد القطعة مقطوع وغير متساوي الحافة وهي محتوية على مبيضين وحيدي المسكن وملتصقين بقاعدتيهما مع الكاس وينتهى كل منهما بطرف حاد منحني القمـة وينفتح من جانبه الباطن ويحتوي على جملة بذور ملتصقة بجدرانه ومجنحة واسم هذا الجنس مركب من كلمتين احـداهما لكيد أي سائل وثانيتهما امبر أي عنبر فمعناهما أي عنـبر سائل وهو مأخوذ من المستنتج البلسمي الخـارج من أنواعـه الداخلة فيه

(الصفات النباتية) الازها يتكون منها عناقيد صغيره متفرعة فالمذكرة فيها ذكور كثيرة وخالية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعي الورق يسقط فيما بعد والمؤنثة يتكون منها سنابل هرية كرية مصحوبة أيضاً بمحيط فلوسى مركب من أربع وريقات وبقية الصفات كصفات الجنس المتقدمة والنوع الأول المسمى لكيدامـبر اصطراسفلوا شجر كبـير ينبت بامريكا الشماليـة كمكسيك ورجيني وريف أونيون و يسمي

هناك شجر قو بلم واستنبت أيضاً استنباتا جيداً في الاراضي الممتلئة من اقليم باريس وهو بمنظره وتوريقه يشبه النبات المسمى إربل و بالأكثر الجميز المسمى بالافرنجية سيقومور ولكن أوراقه متعاقبة غالبا ذنيبية ذوات ٥ فصوص سهمية عميقة ومسننة تسنينا غير متساو. وتستخرج الميعة منه بنفسها أو بشقوق تعمل فيه والنوع الثاني المسمى لكيدامبر أورينتال أي المشرقي ينبت بالمشرق بالنسبة لأوربا نحو البحر الاحمر و بلاد العرب و بلاد الاثيوبيين و يسيل منه بلسم سائل شبيه ببلسم النوع السابق و يعطى أحدهما بدلا عن الآخر و يمكن أن يكون هو المسمى روزمالا أو روزمالوس الذي أكد بعضهم انه مستنتج بلسمي عليه هيئة عجين سائل يجني من نبات سماه بعضهم بذلك وينبت بجزيرة قبرس قرب قاديس وفي طرف البحر الاحمر على ٣ أيام من السويس وينقل من هناك الى جدة ونسبه آخرون لغير ذلك مثل لكيدامبر أيظسيا والطنجيا اكسلزا من الفصيلة المخروطية قال ميره وهو بعيد لأن النباتات المخروطية انما تعطى تربنتينات لا بلاسم

وذلك هو ما رأيناه فى جنس الطنجيا لأن الطنجيا اكسلزا المسمى عند رمفيوس ضمارا ألبا شجر من الفصيلة المخروطية ينبت في ملوك ويتصاعد من جذعه بالطبيعة أو بشقوق تفعل فيه راتينج يكون أولا رخواً لزجا ثم يتيبس على الشجر في أيام فيكون كتلا غليظة فى بعض الاحيان وحينئذ يكون فى بياض البلور ولكن اذا عتق اصفر كالكهربا وقد يقطر نقطة نقطة على الأرض و يتجمد عليها و يتوسخ فاذا كان هذا الراتينج سائلا كانت رائحته كرائحة الصنوبر والمصطكي واذا كان جافا لم يكن له رائحة أصلا واذا وضع على الفحم المتقد حصل منه ما يحصل من راتينجيات الصنوبر وليس لهذا الراتينج استعمال طبي ولكن ذكر رمفيوس انه يمكن استعماله في تلحيم الجروح وفي جراح القدمين ونحو ذلك وانما يخدم في ملوك لطلاء السفن ولذا كان موضوعا لمتجر كبير ويسمى بلسان المليزيين ضمارابوتي أي الراتينج الابيض فعلم من ذلك أنه لا يصح نسبة الميعة لجنس الطنجيا الذي هو من الفصيلة المخروطية ثم قال وقد أوصل الينا

بعض العلماء أنموذجا من عصارة بلسمية ثخينة لزجة قوية الرائحة جداً وراتينجيتها أقوي من ذكاوتها وهي في مصر مسماة باسم عصارة العنبر السائل (شك لكيد امبر) ويمكن كونها ناتجة من روزماالاقال وحيث انها عتيقة جداً تحولت تقريبا الى دهن شحمي وذلك تغيير يحصل كثيرا في الراتينجيات كما نشاهد حصول ذلك في راتينج الصنوبر

(الصفات الطبيعية للميعة السائلة) هي ثخينة في قوام العسل فاذا كانت جديدة نقية كانت قليلة التلون ولذلك قد تسمى بالعنبر السائل الابيض وقد تكون سنجابية مسمرة معتمة ورائحتها ذكية هى رائحة الحمض الجاوي قابلة للانتشار وطعمها مرحار عطري غير حريف أو فيه بعض حرافة وهذا المستنتج صار الآن نادر الوجود بل لا يوجد أصلا في المتجر ويستخرج منه بالتصفية أو بالعصر الجزء الأكثر سيلانا المسمى بدهن العنبر السائل فاذا تيبس هذا البلسم وذلك يحصل فيه مع طول الزمن سمى براتينج قوبلم وهو غير الراتينج المسمي راتينج قوبال أما في امريكا الشمالية فلا يخرج منه بلسم وانما تغلى أغصانه وتجتني المادة التى تسبح على الماء فتكون هى القوبلم الاسود عند بعض الصيادله وتعطى أحيانا باسم عصارة اصطركس أو فسنال أي الطبي أي المسمي اصطوركس ويسهل حصول هذا الغلط اذا كان المستنتجان متحدين في التركيب والخواص ولكن الاصطيركس الصادق هوالذي بامريكا وأما الاصطوركس فباوربا وهناك مستحضر من هذا الاخير يظهر كونه صناعياً ويأتي من البلاد الشرقية مسمى بالاصطوركس السائل وهو ناتج من اذابة الاسطوركس في الدهن أوفى النبيذ مخلوطا بالترنبتينا واعتبره بعضهم ناتجا من اغلاء أغصان وفروع الاصطيركس الطبي حيث يفعل ذلك بالبلاد الشرقية ويقوم مقام العصارة النقية التى لاتعرف الآن لهذا الاصطركس الطبي وانما الموجود عصارة صلبة هى المسماة بالميعة اليابسة

(الصفات الكيماوية) هي مركبة من دهن طيار وراتينج واسطراسين وحمض سيناميك فالدهن الطيار المسمي اصطيرول لم يكن متكونا الا من كربون وادروجين وهو سائل يعطي مع الحمض النتري

مستنتجات غريبة من جملتها ناتج أزوتي طيار حريف كالدهن الطيار للخردل والراتينج مركب من راتينجين أحدهما صلب والآخر رخو وربما كان هذا الرخو شبيها بالسينامئين وأما الاصطراسين فاكتشفه بونسطر ودرسه بالأكثر سيمون وهو يكون على شكل ابر جميلة مستطيلة بيض تميع في ٥٠ درجة وهى مركبة من ٢٤ من الكربون و ٤١ من الادروجين و ٢ من الاوكسيجين وهو لايذوب في الماء ويذوب فى ٣ غرامات من الكؤول المغلى و٢٢ من الكؤول البارد ويذوب في ٣ غرامات من الاتير واذا ضم للحمض النتري حصل مثل مايحصل من الحمض سيناميك الذي يشبهه كثيرا ويعطي من مستنتجاته الحمض سياندريك وادرور البنزويل وهو مع القلويات الكاوية يتغير الى راتينج وحمض سيناميك وزيت ثقيل سماه سيمون اصطراقون يغلى في ٢٢٠ ورائحته كرائحة الورد مقبولة أو اللوز أو القرفة ويحتوي هذا الزيت على ٩ من الاوكسيجين في المائة وينال الاصطراسين بأن يقطر البلسم مع كربونات الصود ليستخرج الدهن الطيار ثم يغسل الراتينج بالماء ويذاب فى الكؤول فاذا قطر ذلك الى ثلثيه رسب الاصطراسين الغير النقي بالتبريد فيغسل بالكؤول ثم يذاب في الاتير ثم يبخر الاتير ويذاب ثانيا حارا في الكؤول ليحصل من ذلك بالتبلور الاصطراسين

(الاستعمال) الميعة السائلة الصادقة المسماة أيضاً بلسم قوبلم فيها خواص البلاسم عموما فهى منبهة للمجموع المخاطى فتعطي في النزلات المزمنة في الصدر والامعاء والطرق البولية ونحو ذلك فيكون ذلك الجوهر مقويا للمعدة ومنبهاً للعرق والبول وكثيرا مايستعمل من الظاهر وضميات في مستحضرات مرهمية فيوضع على الجروح الغنغرينية النتنة الرديئة الطبيعة ونحو ذلك وكان العطريون يستعملونه سابقا وسيادهنه المطري. كذا ذكر ميره وقال بوشرده استعمل هيرتيير الاصطيركس السائل في ليقوريا النساء والبلينوراجيا أي السائل الزهري بدل بلسم القوباو فجهز منه بلوعا سنذكرها أي نجعل منافع هذا الجوهر كمنافع بلسم القوباو . وذكر أطباء العرب أن هذه الميعة حارة طيبة الرائحة تدخل في الطيب

وفيها قبض وتجفيف وقيل انها تسخن وتنضج وتلين فتشفي السعال والزكام وفيها جميع ماقلناه عنهم في الميعة اليابسة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يلزم قبل استعمالها من الباطن تنقيتها بتصفيتها من خرقة مثلا و بلوع الاصطيركس تصنع بأخذ المقدار المراد من الاصطيركس السائل النقي والمقدار الكافي من مسحوق عرق السوس ويحبب ذلك حبوبا كل حبة من ٣٠ الي ٤٠ سنتي غرام يستعمل منها ٦ في اليوم ٣ فى الصباح و٣ في المساء وقد يصل المقدار فى اليوم الى ١٢ وأوصى لوباج بتجهيز هذه الحبوب بأخذ ثمن من المغنيسيا المكلسة تجمع مع البلسم المذكور علي حمام مارية مدة نصف ساعة وشراب الاصطيركس يصنع بأخذ غرامين من الاسطيركس النقي و ٥١ من الكؤول الذي في ٤٠ درجة من الكثافة و ٦٠ جزأ من السكر و ٣ من مسحوق الصمغ العربي فيذاب الاصطيركس في الكؤول ثم يصب المحلول مغليا و يرشح على السكر ثم يجفف في محل دفيء ثم يسحق السكر و يذاب في ٣٠٠ غرام من الماء علي حمام مارية ثم يضاف له الصمغ العربي المذاب فى ٥٠ غراما من الماء ويصفي. وهذا الشراب منظره كمنظر المستحلب ويحتوي كل ٢٠ غراما منه على ٣٠ سنتي غرام من الاصطيركس كذا قال لوباج وجهز هرتيير شراب الاصطيركس بهضمه في الماء .قال سو بيران وأنا أختار التركيب الذي ذكره لوباج لأن شراب الاصطيركس ليس شرابا مقبولا للالتذاذ لانه يحتوي على مقدار كبير من الراتينج وبالضرورة يكون أقوي فاعلية وأما طلاء الاصطيركس ففي بوشرده يصنع بأن يذاب علي نار لطيفة ١٠ غرامات من القلفونيا و ٨ من راتينج اللامي و ٨ من الشمع الاصفر ثم يضاف علي ذلك مع الاحتراس ٨ من الاصطيركس السائل ثم ١٢ غراما من زيت الجوز ثم يصفي ويحرك الي أن يبرد و يتمرهم و يستعمل هذا المرهم مجففا وكثيرا مايجمع أيضاً مع مرهم جالينوس ولودنوم سيدنام وتركيب هذا الطلاء فى سو بيران يختلف عن ذلك فانه قال في تركيبه يؤخذ من القلفونيا ٤ غرامات ومن كل من راتينج اللامي والشمع الاصفر والاصطيركس السائل غرامان

ومن زيت الجوز ٣ غرامات ثم تمزج القلفونيا وراتينج اللامي والشمع مع بعضهما في قدر فتذاب علي نار هادئة ثم يضاف لها الاصطيركس السائل ولكن مع غاية الاحتراس خوفا من نتائج شدة الغلي حيث تنتج تبخير ماء الاصطيركس اذا كان المخلوط الراتينجي شديد الحرارة فاذا ذاب الاصطيركس يضاف له زيت الجوز ثم يصفي من خرقة ويحرك الطلاء حتي يقرب للبرودة فيحصل علي سطح الطلاء الاصطيركسي شبه قشرة ناشئة من ثخن زيت الجوز في الطبقات السطحية بسبب الخاصة المجففة في هذا الزيت وتفصل هذه الطبقة اذا أريد استعمال الطلاء وأما الميعة المنقاة المتجمدة فتصنع بأخذ ١٢٠ غراما من الميعة المنقاة و ١٠ غرامات من الكاس المائي يمزجان ويسخنان مدة ساعة علي حمام مارية ويعمل ٢٤٠ بلعة ويصح أن يستعمل منها كل يوم من ٥ الي ٣٠ بلعة في البلينوراجيا (انظر المادة الطبية)

﴿ الميعة اليابسة ﴾ لفظة ميعة اسم عربي مشتق من الميعان لانه اذا أطلق فانما يراد به السائلة وتسمى هذه العصارة أيضاً اصطيرك بضم الطاء وكسرها وهو اسمها بالافرنجية ويسمى النبات الخارجة منه بالعربية لبني بضم اللام وسكون الباء وباللسان النباتي اصطرك أوفسنالس والاسم العامي عند الاور بين اصطوركس أو اصطيركس قلاميت وباللسان الاقرباذيني اصطيركس قلاميتا ويقال له أيضاً الييوفيير والييوسيير واصطيركس فجنسه اصطيركس أو اصطوركس عشري الذكور أحادي الأناث من الفصيلة الميعية أو الآبنوسية

(الصفات النباتية للنوع المذكور)

هو نبات ينبت في بروونسة وايطاليا واسبانيا وبلاد الروم واليونان وآسيا الصغري ومعظم بلاد المشرق بالنسبة لأوربا كما يوجد أيضاً في جنوب فرنسا ويألف المحال اليابسة قال ريشار ويعلو من ١٥ قدما الى ٢٥ ويتتوج بفروع أوراقها متعاقبة بيضاوية كاملة ذنيبية رخوة زغبية الوجهين وسيما من الاسفل حيث تكون بيضاء قطنية وقال ميره ان الاوراق قطنية مبيضة من الأسفل وخضر من الأعلي وتشبه أوراق السفرجل والازهار بيض عنقودية. وقال ريشار الازهار بيض

تنضم ٣ أو ٤ مع بعضها في طرف الاغصان وهي فى العظم والشكل كأزهار البرتقان وكاسها قصير يقرب لأن يكون دنيّ الشكل والتويج ذو ٥ أو ٦ فصوص ضيقة والذكور يختلف عددها من ١٠ الي ١٦ واعسابها وحيدة الاخوة من قاعدتها والثمر كري في غلظ ثمر الكرز وغلافه الخارج جاف قطني ذو مسكن واحد يحتوي على بزور من ٢ الي ٤ يختلف شكلها جداً فيستخرج من جذعه بالشقوق في البلاد الحارة من آسيا الصغري وجزائر اليونان عصارة تتجمد فتسمي بالميعة ولا يستخرج منه شئ بفرنسا انتهى. قال ميره ذكر دوماميل أنه رأي سيلان هذه العصارة من شجرة موضوعة في منتريو بفرنسا وذكر برنارجوسيو أنها تنفرز مما سماه لينوس لكيدامبر أورينتال أي المشرقي وهو رأي غير مختار أصلا ولا يشتبه هذا النبات بشجر الميعة السائلة الذي سماه لينوس لكيدامبر اصطيراسفلو وسنذكره ومع ذلك نقول كما قال جيبور ندرة هذا البلسم تقل موافقتها مع كثرة الشجرة المنتجة له حيث يكثر طبيعة بايطاليا الى بروونسة وهذا

ربما أوقعنا في الشك في أصل هذا البلسم وسيما ان جوسيو نسبه لغير النبات المذكور وقال ميره فى الذيل ينبغى تمييز النبات المسمي بالافرنجية الييوسيير عن المنتج للعصارة السائلة أي المسمي لكيدامبر اصطراسفلو فالبلسم المسمي اصطيركس أو فسنال أي الطبي هو المسمي اسطوركس والآن قد تشكك جوسيو في الاسطوركس الآتي من هذا الشجر ولم يوضح هذا التشكك ثم ان الاسطيركس الشبكي والحديدي والذهبي التى تنبت في اقليم بايا وفي البريزيل تعطي راتينجا بلسميا يقرب كثيرا لما يخرج من الاصطيركس الطبي في الرائحة والخواص ويتسلط على قشورها حشرات معروفة الانواع فتخزها فيسيل البلسم منها نقطة نقطة تجمعه الاهالي مع الاحتراس وتستعمله فى الكنائس ويوضع في اللصوقات المقوية وغير ذلك. كذا نقل ميره عن مرتيوس، ولاطبائنا كلام فيه أيضا ومنهم من يميل أيضا الي أنهما من شجرة واحدة فقد نقلوا عن ديسقوريدس أن الميعة السائلة هى دسم المر الطوسي المستخرج بالعصر والميعة اليابسة هى الاصطرك ويقال لها

بالسريانيـة سطركا وهو صمغ شجرة كالسفرجل وهو ضرب من الميعة أشقر الي البياض دسم طيب الرائحـة شبيه بالراتينج أي صمغ الصنوبر الي آخـر ماقالوا . وقال اسحق بن عمران الميعة شجرة جليلة لها خشب يشبه خشب التفاح ولها ثمرة بيضاء أكبر من الجوز ويؤكل الظاهر منها وفيه مرارة والتي في داخـل النوي دسمة يعتصر منهـا دهن وقشرها هو الميعة اليابسة ومنه تستخرج الميعة السائلة وصمغ هذه الشجرة هو اللبني وهو ميعة الرهبان وهو صمغ أبيض شديد البياض وهو العبهر وهو لبني الرهبـان . وقال أبو جريج الراهب الميعة صمغة تسيل من شجرة تكون ببـلاد الروم فمنها مايخرج منها بنفسه ومنها مايؤخـذ بالطبخ وقد يعتصر من لحـاء تلك الشجرة فما عصر يسمي ميعة سائلة والثخين هو الميعة اليابسة. وقال صاحب المنهاج الميعـة السائلة هي اللبني والرطبة منها ماتتحلب بنفسها صمغا ومنها مايستخرج بالطبخ للحـاء تلك الشجرة والمتحلب بنفسه أصفر والمستخرج بالطبخ أسود والثفل الثخين هو اليابسة . وقال في مبحث لبني اللبني هو الميعـة السائلة ويقال لعسله السائل عسل اللبني فقد علمت أن معظمهم يميـل الي أن اليابسة والسائلة يستخرجان من شجرة واحدة وهو خلاف ماعلم الآن عنـد محققي النباتيين

(الصفات الطبيعية للميعة اليابسة)

مـيزها جيبـور الي ٣ أنواع الاول الاصطوركس الابيض وهو حبوب بيض معتمة كبـيرة الحجم رخوة منضمة مع بعضها الى كتلة وحيدة بسبب التصاقها ببعضها ولرخاوتها تتشكل بشكل انائهـا وتشبه حينئذ القناوشق الابيض الكتلى ورائحة هذا النوع قوية ذكيـة وطعمه عـذب عطري وينتهى بصـيرورته مراً والثاني الاصطوركس اللوزي وهو كتل جافة قابلة للكسر مكونة كالسابق من حبوب ملتصقة ببعضها وتتشكل مع الزمن بشكل الأواني الحاوية لهـا ومكسرها يوجـد في عمقه الأسمر حبـوب لوزي الشكل بيض مصفرة وذلك يعطيها شبها بالقناوشق الجميل العتيق والاجزاء السمر التى مع الزمن تسيل وتمـلأ الخلو الذي بين الاجزاء السفلى للكتلة وجدار الاناء يتكون منها طبقة زجاجيـة شفافة حمراء

زاهية ورائحته أشد ذكاء وتشبه رائحة الفانيلا وطعمه أحلى من النوع السابق فهو في ذلك أعلى من البلاسم الأخر والثالث الاصطوركس الاحمر المسمر وهو كتل مختلطة بنشارة من الخشب وفيها بعض لزوجة وتلين تحت الاسنان ولونها أحمر مسمر وطعمها عذب ورائحتها مقبولة جداً وهي أقل قوة من الأول وتنبذر فيها حبوب محمرة وأما ميره فجعل الانواع ٣ أيضاً باعتبار الاشكال التى توجد بالمتجر أولها الحبوبي وهو معروف من مدة طويلة وثانيها الشبكي لكونه يحفظ في شبكات وهو الانقي ولذا كان نادرا وهو القلاميت ويكون قطعا يختلف حجمها ولونها الأشقر مسود وهي لامعة جافة سهلة الكسر نصف شفافة في الحافة وسهلة التفتت خفيفة شديدة العطرية من رائحة الجاوي أو الفانيلا وتلين تحت الاسنان وطعمها مر راتينجي وتحترق مع شعلة خفيفة وثالثها هو القرصى وهو أكثر سوادا ووساخة ومعتم في جميع أجزائه وأقل عطرية وقال في أنواع جيبور ان أحدها أبيض وهذا لانعرفه وربما كان هو الحبوبي وثانيها اللوزي وهو القلاميت وحجمه كاللوز وثالثها الأحمر المسمر وهو المعروف بالمتجر الاحمر ونقل ميره أن مرتيوس جعل اصطيركس البريزيل ٣ انواع أحدها اصطيركس اوريوم أي الذهبي وثانيها فيروجينوم أي الحديدي وثالثها ريطقولانوم أي الشبكي وذكر أن الانواع الثلاثة تجهز بالشق في القشر مثل مايجهز من اصطوركس أو فسنالس أي الطبي ولتعلم أن الموجود الآن بالمتجر بكثرة هو الاسطوركس الاحمر الذي هو عصارة الشجر المعروفة ونشارة خشبها حيث يجهز ذلك في البلاد المشرقية ويباع بثمن مرتفع وأما المصنوع في بعض البلاد من النشارة والجاوي العام ويباع بثمن واه فردي

(الخواص الكيماوية) هذه الميعة مستنتج نباتي من طبيعة البلاسم أي تحتوي على حمض جاوي ولم يقع لها تحليل صحيح لكن من المعلوم كونها مركبة من الحمض الجاوي ومن راتينج وصمغ ودهن طيار وقاعدة زيتية ثابتة واذا وضعت في الماء صيرته لبنيا ووصلت له رائحتها وهي تذوب في الكؤول وغير ذلك

(الاستعمال)هذا الدواء منبه ولاسيما

للأغشية المخاطيـة ومقو فيشبه الراتينج في فعله وكان سابقا يستعمل في الربو الرطب وبحة الصوت والسعال المستعصي والاحتقانات الرئوية بل والسل وأوصوا به في الامراض العصبية المختلفة وفي غير ذلك ومدحها مورطون بالأكثر في شفاء قروح الرئتين ولكن المشاهدات لم تؤكد ذلك غـير أن عدم قابليـة الداء للشفاء تكفي عذراً لعـدم تأثيره فيه لأن شفاء مثل هـذا الداء بمحض تأثير الله وكانوا يستعملونها تبخيرا في الأوجاع الروماتزمية في أي محل كان من الجسم وفي الصداع وفي الرعاف وبعض أحـوال من عسر التنفس ونحـوه كما تستعمل لذلك من الباطن أيضا فكانوا يعرضون الاطراف التي هي مجلس لمثل تلك الآفات لبخار هـذا الجوهر المقذوف علي الفحم المتقد ولكن الآن ترك استعماله وتدخل الميعة في الترياق ومثروديطوس وديسقرديون وغير ذلك ويعطر بها كثير من المركبات كالشكولا ونحوها بدل الفانيـلا التي هي غالية الثمن وبالجمـلة هي من العطريات والطيوب التي كانت كثيرة الاسـتعمال وسيما في الثياب والمشرقيون يكثرون التبخير بهـا وكانوا يحنطون بها موتاهم

وفي كتب أطباء العرب عن جالينوس انها مسخنة مليـنة منضجـة فلذا تشفي السعال والزكام والنوازل والبحوحة وتدرّ الطمث شربا وحمولا وتدخينا وقد تحرق فيؤخذ منها دخان كدخان الكندر وعن ديسقوريدس نحو ذلك وانها اذا شربت أو احتملت وافقت انضمام الرحم والصلابة العارضة فيها وأدرّت بالطمث واذ ابتلع منها شئ يسير مع صمغ البطم لينت البطن تليينا خفيفا وتخلط ببعض المراهم المحللة وبالادهان للأعياء وتعجن بها ضمادات النقرس والمفاصل فيقوي عملها وان طبخت بالزيت ومرخ بها دفعت الاعياء والنافض والرعشة والخـدر والكزاز مجرب وتنفع أمراض الاذن قطورا والرياح الغليظـة والاستسقاء والطحال والكلي والمثـانة وأوجاع الظهر والوركين والجـذام وان استحكم مطلقا ولو بخورا ورائحة بخورها تقطع رائحة العفونة كيف كانت وتنفع من الوباء

(المقدار وكيفية الاستعمال) مقدارها عند المتأخرين من ٥٠ سنتي غـرام الي غرامين بلوعا أو حبوبا ويصنع شرابها

بجزء منها و١٦ من الشراب والاستعمال من ٦٠ غراما الي ١٠٠ في جرعة أما من الظاهر فيؤخذ منها جزآن لثلاثة أجزاء من الزيت فيكون طلاءً جيداً (المادة الطبية)

﴿ ابو الفضل الميكالى ﴾ هو عبد الرحمن بن احمد بن على بن اسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن سور بن سور بن سور بن سور أربعة من الملوك ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور أبو الفضل الميكالى

مات يوم عيد الاضحي سنة ست وثلاثين وار بعمائة كان أوحد خراسان فى ذلك العصر أدبا وفضلا ونسباً حسن الخلق مليح الوجه والشمائل كثير القراءة دائم العبادة زكى النفس سمع بخراسان من الحاكم أبي أحمد الحافظ وأبي عمرو ابن حمدان وعقد له مجلس للاملاء وأبوه مشهور جليل القدر

وله من التصانيف كتاب المنتحل وكتاب مخزون البلاغة وديوان رسائله وديوان شعره وكتاب ملح الخواطر ومنح الجواهر ومن شعره :

اذا ماجاد بالاموال ثني
ولم تدركه في الجود الندامة
وان هجت خواطره بجمع
لريب حوادث قال الندامه

وقال أيضاً :

مبدع فى شمائل المجد خيما
ما اهتدينا لأخذه واقتباسه
فهو فيض بالمال وقت نداه
وجواد بالعفو في وقت باسه

وقال :

ألا رب أعداء لئام قريتهم
متون سيوف أو صدور عوالي
اذا كلبهم يوما عوي لى رميتهم
بكلاب اذا عاوي الرجال عوي لي

وقال أيضا رحمه الله تعالي

عجبت لوغد قد جذبت بضبعه
فأصبح يلقاني بتيه ويبسما
يريد مساماتي ومن دونها السما
وكيف يباريني سموا وبي سما

وقال :

لقد راعني بدر الدجي بصدوده
ووكل أجفاني برعي كواكبه
فياجزعي مهلا عساه يعود لي
ويا كبدي صبراً علي ما كواك به

وله

صل محبا أعياه به وصف هواه
فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سواك تصدت
مقلتاه بدمعه ترجمانه

وله

ياذا الذي أرسل من طرفه
على سيفا قدني أوفرا
شفاء نفسي منك تخميشة
تغرس في خدك نيلوفرا

وقال

أما حان أن تشفي المستهام
بزورة وصل وتأوي له
يجمجم عن سؤله هيبة
ويعلم علمك تأويله

وله

سقياً لدهر جرى والوصل يجمعنا
ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذا علقت نفسي حبائلكم
بسهم هجرك ترمي ثم تنويني

وقال أيضاً سامحه الله تعالى

ان كنت تأنس بالحبيب وقربه
فاصبر على حكم الرقيب وداره
ان الرقيب اذا صبرت لحكمه
بوئت في مثوى الحبيب وداره

وقال

شكوت اليه ما ألاقي فقال لي
رويدافي حكم الهوي أنت موتلي
فلو كان حقاً ما ادعيت من الهوي
لقل بما تلقي اذا أن تموت لي

وقال

ومعشوق يتيه بوجه عاج
شبيه الصدغ منه بلا مزاج
اذا استسقيته راحا سقاني
رضابا كالرحيق بلا مزاج

وقال

ظبي يحار البرق في بريقه
غنيت عن ابريقه بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
حتى شفيت القلب من حريقه

وقال

ان لي في الهوى لسانا كتوما
وجنانا يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه
ستراه يفشي الذي ستراه

(وقال)

تفرق قلبي في هواه فعنده
فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسي اقول له اسقني
وان لم يكن راحا لديك فريق

وقال

أهدت جفونك للفؤا
د من الغرام بلابلا
فالشوق منه بلا مدي
والوجه فيه بلا بلا

ومن شعره رحمه الله تعالى

روض يروض هموم قلبى حسنه
فيه لكاس اللهو أي مساغ
ان تنثني قضبان ريحان به
حيث بمثل سلاسل الاصداغ

ومنه

تصوغ لنا كف الربيع بدائعا
كعقد عقيق بين سمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت
خدود غذاري نقطت بغوالي

وقال في اقتران الزهرة والهلال

أما تري الزهرة قد لاحت لنا
تحت هلال لونه يحكي اللهب
ككرة من فضة مجلوة
أوفي عليها صولجان من ذهب

وقال في طلوع الفجر

أهلا بفجر قد نضا ثوب الدجي
كالسيف جرد من سواد قراب
أو غادة شقت أزارا أزرقا
مابين ثغرتها الى الاقراب

وقال

يامهديا لى بنفسجا أرجا
يرتاح قلبي له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه
بأن ضيق الامور ينفسح

وقال في ذمه

يامهديا لى بنفسجا سمجا
وددت لو أن أرضه سبخ
بشرني عاجلا مصحفه
بأن عقد الحبيب ينفسخ

وقال

ومدامة زفت الى سلسال
تختال بين ملابس كالآل
قد نالها حتى اذا ما افتضها
بالمزج أمهرها عقود لآل

وقال أيضاً

لنا صديق ان رأي مهفهفا لاطفه
فان يكن في دهرنا ذو أبنة لاط فهو

وقال

لنا صديق يجيد لقما
راحتنا في أذي قفاه
ماذاق من كسبه ولكن
أذي قفاه أذاق فاه

﴿ ميكائيل ﴾ اسم ملاك كريم (انظر ملك)

﴿ الميكروبات ﴾ هذه الكلمة تطلق على أجسام حية غاية في الدقة ولا تري الا بالآلات المكبرة المرئيات. وهي مكونة من خلايا مستديرة أو مستطيلة أو معقدة وغير ذلك. هذه الكائنات بين حيوانيه ونباتية توجد في كل مكان وتنمو اذا وافقها شروط الحياة نمواً مدهشا حتى لقد يصل نسل الواحدة منها في أربعة وعشرين ساعة الي نحو خمسة تريليونات وهو عدد يكاد لا يعقل ولكنه هو الواقع كما دلت عليه ابحاث المجربين. ولولا ان العوامل الطبيعية من الضوء والبرودة والحرارة مبيدة لهذه الكائنات لملأت بتكاثرها الأرض في عشية أو ضحاها. وهي تسمى بأسماء مختلفة مثل خمير وبكتريا وباسيل وميكروكولوس وبروزوييت ولم يتفق على تسميتها باسم من هذه الاسماء لعدم استيعاب واحد منها الصفات المميزة لهذه الحيوانات الدقيقة. ولكن يظهر لنا ان كلمة ميكروب تغلبت علي مناظراتها وانتشرت بين رجال العلم وهذه الكلمة اقترحها الدكتور سديو في مجمع العلماء الفرنسي في سنة (١٨٧٨).

هذه الكائنات رغماً عن دقتها لها أثر كبير في عالم الاحياء فهي منتشرة في الهاء والماء وعلى سطح الارض وفي باطنها وفى باطن الحيوانات دائرة مع دمها. وهي اسباب التخمر وتحلل الأجساد الحية فلولاها لما تخمرت مادة ولا تعفنت جثة ولا تحللت مادة عضوية. ولا يخفي ان التخمر والتعفن والتحلل من ضروريات عالم الكون والفساد ولولاها لوقفت حركة تبادل المادة وهلك العالم الحى كله وباد. فهذه الميكروبات اذن ضرورية للحياة وان كان منها ماهو العامل الأول في توليد الأمراض المعدية ونشرها علي سطح الارض. وقد ثبت الآن ان العدوي ليست بشيء غير انتقال هذه الحيوانات من جسم المصاب بواسطة مبرزاته من بصاق وعرق وبول وغائط الى جسم آخر فتصيبه بذات المرض الذي أصيب به الأول. فكان اكتشاف هذا السر

سبباً عظيما لتوقي الامراض المعدية بواسطة التحوطات الصحية . وقد كان هذا السر محجوبا عن القدماء حتى عن الذين كانوا عائشين في مقدمة النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكان اذا حل بأمة طاعون أو كوليرا أو نوع من الحميات الخبيثة انتشر بسرعة بين أفرادها فاجتاح الملايين منها وربما انتشر فيما يجاورها ويبعد عنها من البلدان محمولا علي بضائعها فأحدث فيها عين الأثر الذي يحدثه في البلاد التى ظهر فيها

فلما جاء العلامة باستور في النصف الأول من القرن التاسع عشر ودرس خصائص هذه الحيوانات وحذا حذوه كوخ في المانيا وتندل في انجلترة وغيرهم أدركوا سر حياة هذه الكائنات وأطوار نموها وعوامل ابادتها وميزوا بين أنواعها واستطاعوا بهذه المباحث ايجاد المطهرات التى تبيدها فأفادوا النوع البشري فوائد عظيمة بل كانوا سبباً لنجاة حياة عدد لا يحصي من الناس

وأهم ماعرفوا ان الرطوبة والحرارة المعتدلة تساعد علي نموها وزيادة تكاثرها وتفاقم شرها ، وعلموا ان بعضها يحتاج في معيشته الى الهواء ، والبعض الآخر لا يعيش الا بمعزل عنه ، وان الضوء والشمس من مبيداتها العظيمه . وتحققوا أيضاً ان وجود بعض الميكروبات يعيق نمو البعض الآخر أو يبيده فأسسوا على هذه المعلومات الثمينه فنونا من التحوطات الصحية ، وأصولا من الوسائل العلاجية كان لها أعظم تأثير فى حفظ الصحة العامة

أحسن أثر في اكتشاف هذه الحيوانات ظهر في الأعمال الجراحية فان الجروح كانت لاتبرأ الا بصعوبة بسبب تكاثر الميكروبات فيها وعدم معاملتها بما يزيلها فكانت الجراحة تعجز عن اداء وظيفتها بسبب تعفن الجراح وتسممها . ولكن لما اكتشف هذا الحيوان أمكن الجراح أن يعمل عمله بكل طمأنينة فيفتح فى الجسم الانساني فتحات تختلف اتساعا وعمقا على حسب مايهديه اليه العلم وهو آمن شر هذه الآفات بتسليطه عليها المطهرات من محلول السليماني وماء الاوكسيجين وغيرهما فتبيد تلك الميكروبات وتندمل الجراح بعيدة من الأخطار والمعاطب

وكان اكتشاف هذه الميكروبات ومعرفة أطوارها سبباً في اختراع عدة أنواع من المصل تحقن في الدم فتساعد البنية على قتل ما انتشر في الدم من الميكروبات . وقد أسس مصل الدفتيريا ومصل الجدري ومصل الحمى التيفودية على هذه النظرية وقد اكتشف حديثا مصل (٦٠٦) لابادة الميكروبات الزهرية وما يدرينا ماذا تولده القرائح من أنواع المصل لمثل التدرن والسرطان وغيرهما من آفات النوع البشري (انظر تاريخ اكتشاف الميكروبات في الفصل التالي)

﴿ الميكروبيولوجيا ﴾ هو علم الميكروبات يبحث عن حياة الميكروبات وأطوارها وعوامل وجودها وابادتها وخصوصا فيما يتعلق بصحة النوع الانساني وصحة الحيوانات والنباتات . وهذا الاسم مرادف لكلمة بكتريولوجيا (انظر هذه الكلمة فى حرف الباء) ولكنه أعم منها لأنه يشمل من أنواع هذه الكائنات مالا تشمله البكتريولوجيا

اكتشفت الميكروبات عقب صنع الميكروسكوب أي النظارة المعظمة للمرئيات فان العالم (لوينبيك) اكتشف بميكروسكوبه الناقص الذي صنعه من سنة (١٦٧٠)الي (١٦٦٥) عدداً عظيما من هذه الأحياء الدقيقه ونبه ان هذه الميكروبات أكثر ماتوجد في الاسهال . وبعد هذا التاريخ بقرن أي في سنة (١٧٧٣) تكمل الميكروسكوب وصار جديرا باسمه فاكتشف مولر أنواعا كثيرة من هذه الحيوانات ونشر فيها كتابا . ولما أصدر العلامة اهرنبرغ سنة (١٨٣٠) كتابه على الميكروبات حدث انقلاب عظيم في هذا العلم ارتفع به الى درجته الحالية فانه وصف هذه الكائنات وصفاً دقيقا وأتي علي أكثر حالاتها وأطوارها. وعقبه كوهن سنة (١٨٥٠) ونوجلي سنة (١٨٦٠) فأتيا بمعلومات ثمينة على هذه الكائنات زادا بها علم الميكروبيولوجيا زيادة تذكر

الى هذا الحين لم يتقدم أحد لدرس هذه الكائنات من وجهة التاريخ الطبيعى ولم يتعرض للوجهة الطبية أحد . فلما جاء العلامة (باستور) سنة ١٨٠٢ والاستاذ كوخ سنة ١٨٧٦ بحثا في هذه الحيوانات من وجهة احداث التخمر ووجهة انتشارها في الهواء الجوي وقررا بذلك ان لهذه

الحيوانات علاقة عظيمة بالأمراض الانسانية

في هذا الحين كان في فرنسا العالم (بوشيه) زعيما للقائلين بتولد الأحياء تولدا ذاتيا فناقضه باستور قائلا لايتولد الحي الا من حي مثله وان مايشاهد من تولدها بذاتها خطأ سببه الغفلة عن هذه الميكروبات المنتشرة في الهواء فاحتدم الجدال بين هذين العالمين عدة سنين وقف العالم كله بأزائهما وقفة المتفرج ثم انتهى الأمر بفوز باستور على خصمه وكان ذلك في مصلحة العالم من كل وجه

وقد سلك باستور لاثبات قضيته بالتجارب العملية فأخذ مقدارا من مرق اللحم وهو السائل الذي تتسارع اليه الميكروبات و يتعفن بسرعة فملأ به قنينة وسدها سداً محكما بحيث لايصيبها الهواء وترك مقدارا آخر معرضا للهواء و بعد أيام فتح القنينة وبحث مافيها من المرق فلم يجد به أثرا لتلك الكائنات و بحث المرق المعرض للهواء فوجده مشحونا بها فثبت له ان الهواء هو سبب ذلك التعفن بما فيه من تلك الأحياء ، وان الحي لايتولد الا من حي مثله

ثم أخذ عدة قناني من المرق مقفلة بأحكام وانتقل بها الى أمكنة متباعدة فتح في كل منها قنينة ثم عاد بها وفحصها فوجد في كل قنينة نوعا من الميكروبات من جنس النوع المنتشر في الجو الذي فتحت فيه فثبت له بدليل لايقبل النقض ان الحى لايتولد بذاته وان هذه الميكروبات التى كان يظنها بوشيه متولدة بذاتها في الجسم أو في المواد المتعفنة بواسطة التعفن انما تولدت من الميكروبات المنتشرة في الهواء بدليل ان المرق وهو أسرع السوائل تعفنا وشمولا للميكروبات لو عزل عن الهواء لم تتولد فيه تلك الاحياء

وفي هذا الوقت نفسه بين (دافين) سنة (١٨٦٤) ان المرض الفحمي يتولد من بكتريا تتولد في جسم الانسان والحيوان فدخل هذا العلم بهذه الاكتشافات في دور جديد وأخذ العلماء يبحثون فيه من الوجهة العلاجية فجاءت ابحاث (ابيرث) على ميكروبات الحمى التيفودية سنة (١٨٧٠-١٨٨٠) و (كوخ) على ميكروبات التدرن والكوليرا سنة (١٨٧٨ - ١٨٨٢) و (ليسير) على ميكروبات البلينوراجيا سنة (١٨٧٩)

و (فريدلاند) سنة (١٨٨٢) و (تلامون) و (فرانكل) سنة (١٨٨٦) على العوامل المولدة للبنوموئيا و (لوفر) على الميكروبات المولدة للدفتيريا سنة (١٨٨٤) ونيكولاييف علي ميكروبات التيتانوس سنة (١٨٨٤) جاءت كل هذه الابحاث دالة علي الاندفاع العظيم الذي ظهر به العلماء لادراك فعل الميكروبات في البنية الانسانية ووسائل التوقي منها

لما ظهرت هذه المباحث مؤيدة لنظرية تأثير الميكروبات في احداث الامراض انبري لدحضها كثيرون من علية العلماء الطبيين فاحتدم القتال بين الفريقين عشرين سنة ثم انتهى بفوز القائلين بنظرية الميكروبات فوزا حاسما نهائيا وثبت بكل دليل محسوس ان الميكروبات سبب أكبر العاهات الانسانية

ونحن هنا لا يجوز لنا أن ننتقل من هذا البحث حتى نبين الدور الأخير الذي وصلت اليه نظرية تأثير الميكروبات في البنية الانسانية فنقول:

لما اكتشف العالم (دافين) ميكروب المرض الفحمي في دم الحيوانات كان العلماء يظنون ان الضرر الذي يحيق بالبنية من تأثير هذه الميكروبات ينحصر في امتصاصها لمصل الدم فيقع المصاب فى ضعف يعرضه لكل أنواع العاهات ، ولكن اذا صدقت هذه النظرية من وجه فلا تصدق من وجوه أخري خصوصاً وان الميكروبات قد تميت ولا تكون في الدم ، وتميت ولا تنتشر انتشارا كبيرا ، وقد تتسلط في بعض أجزاء الجسم بعيدة عن مراكز الحياة فتقتل المصاب في سويعات كميكروبات الكوليرا وغيرها وهذا أمر لا يعلل بأنها تنتشر فى الدم فتمتص المصل الذي فيه . ولكنه يعلل بأنها تفرز سائلا ساما تمتصه الأوعية فيتسرب الى الدم فيقتل المصاب أو يصيبه بأنواع الآفات . فالانسان قد منح وقايات كثيرة تقيه شر هذه الميكروبات ولكنه لم يمنح الوقايات من هذه السوائل فتراها تتسرب الى دمه بسهولة فتعمل فيه الأفاعيل المزعجة

ثم ان البحاثين وقفوا علي نحو ٢٥ نوعا من أنواع الميكروبات المرضية فزعموا ان كلا منها يحدث مرضا خاصا فأكبوا على درس المظهرات التي تبديه ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الميكروب الواحد قد

يكون مولدا لامراض متعددة على حسب الأمكنة متى يختارها لاقامته من الجسم الانساني فانتهى بهم الأمر الي اعتبار نوعين اثنين من الميكروبات وهما ميكروب الزهري وميكروب البلينوراجيا ولا يخفي ان هذا يعود بأحسن الفوائد على البحث فى المطهرات من هذه الحيوانات . وهو البحث الذي سيؤدي الى اكتشاف أنواع المصل التى تحقن لكل مرض من الامراض وأول من طبق نظرية المصل على الامراض هو باستور فانه اكتشف مصلا لعضة الكلب الكاب ثم تلاه غيره فى مصل الدفتيريا والحمى التيفويدية والزهري وغيرها

﴿ الميكروسكوب ﴾ هو المنظار المعظم للدقائق فيري به مالا يري بالبصر من الاجسام البالغة حد الصغر وهذه الآلة مركبة من عدستين زجاجيتين كعدستي النظارة العادية . فالعدسة الاولى ترسم المرئي مكبرا والعدسة الثانية ترسم ذلك الرسم المكبر مكبرا فيكبر عن أصله مئات من المرات فتراه العين في دقائقه الصغري

﴿ مال ﴾ الى المكان يميل ميلا . عدل اليه و (مال الى فلان) أحبه و (مَيِل الشيءُ) يَمْيَل مَيَلا . كان مائلا خلقة فهو اميل و (ميّل الشيء) جعله مائلا و (تميَّل في مشيه) تبختر ومثله تمايل و (استماله) استعطفه و (المِيل) المِرْود

﴿ المِيل ﴾ البري يساوي ٣٧٣ ، ٢٥٥٤ ذراعا بلديا والميل البحري يساوي ٧٧٦ ، ٣١٩٢ ذراعا بلديا . وأما الميل الانجليزي فيساوي «١٧٦٠» ياردة

﴿ ميليا ﴾ هو اسم نبات فارسى ويقال له بمصر زنزلخت وبالشام الجرود واسمه بالأفرنجية أزاودراك وهو مأخوذ من الاسم العربي أو الفارسى ومعناه بالفارسية عتيق الشجر ويسمى بطبرستان طافك أو يقال طاوك ويسمى باللسان النباتي ميليا ازادراخ فجنسه ميليا أخذ منه اسم فصيلته ميلياسية ونحن نقول أزادرختية وهذا الجنس عشري الذكور احادي الاناث وأخذ اسمه من مشابهة أوراقه المجنحة لأوراق الدردار أي شجر لسان العصفور المسمى بالأفرنجية فرين وباليونانية ميليا وهو يحتوي على أشجار ريشية الورق أو ثنائية التريش

والصفات النباتية للنوع المذكور هنا هي أنه شجر جميل كبير يعلو من ٢٠ الى ٣٠ قدما وينبت بالهند وفارس الذي هو مأواه ومصر وغير ذلك حتى اعتاد على بلاد المشرق وامريكا بل والأقاليم الجنوبية من اوروبا وأوراقه كبيرة متعاقبة ثنائية التريش فكل وريقة يتكون منها ورقة ريشية منتهية بفرد وتتركب من ٥ أزواج وغالبا من سبع وريقات متقابلة سهمية حادة جدا مسننة الحافات كالميشار وكلها خالية من الزغب والازهار بنفسجية وتنتشر منها رائحة ذكية تشبه رائحة الزنبق (ليلاس) ويتكون منها عنقود محمول على حامل أو نوع باقة قائمة فى آباط الاوراق العليا وهذه الباقات أكثر من الأوراق والكاس صغير جداً ذو ٥ قطع منفرجة الزاوية وزغبية قليلا والاهداب الخمسة أطول من الكاس ومنفرشة بل قد تنخفض مدة النوم وتلتوي على نفسها وتقرب للشكل البيضاوي وهي مستطيلة منفرجة الزاوية وأنبوبة الذكور منتصبة أقصر بقليل من أهداب التويج ومنتفخة من قاعدتها ولونها بنفسجي داكن جداً ويوجد في قمتها ٢٠ سنا و ١٠ حشفات ثنائية المسكن مثبتة في قاعدة هذه الاسنان من الباطن والمبيض كري يعلوه مهبل ثخين يرتفع كارتفاع أنبوبة الذكور وينتهي بفرج صغير جدا ذي ٥ فصوص قائمة متقاربة لبعضها والثمر لحمي بيضاوي في غلظ الكرز يحتوي علي نواة مستطيلة لها ٥ أضلاع و ٥ مخازن . وثمار هذا النبات تفهة الطعم مغثية وجذره مر الطعم مغث أيضا وأوراقه فيها بعض قبض وحرافة وهي ملس مائلة للسواد وعظيمة المرار ويوجد هذا الشجر في بعض بساتين اوروبا مع أنه شديد الحساسية للبرد وأزهاره تتفتح في جزء من الفصل الجميل وقد علمت أنه انما يألف بالأكثر من البلاد الحارة بلادنا وبلاد الهند والجاوة نعم استنبت ببساتين الغواة فى بعض جنوب أوروبا بسبب جمال عناقيد أزهاره المتلونة بالبياض والبنفسجية ورائحتها المقبولة ولذلك تسمى بزنبق الصين وكان القدماء يقولون انها سامة لأن الأوربيين نقلوا عن ابن سينا أن خشبها وأوراقها تقتل الحيوانات ويخرج من خشبها صمغ شبيه بالصمغ العربي ويعمل من نوي ثمرها سبح فى كثير من البلاد ولذا يسمي

الشجر هناك شجر التسبيح وشجر السبحة قال ميره ويظهر أن هذه الثمار سامة ولكن لايحصل التسمم الا باستعمال مقدار كبير فقد اتفق أن بنتا صغيرة عمرها ٣ سنين أكلت من ذلك الثمر اثنتين أو ٣ فحصل لها تشنجات قوية بعد ٤ ساعات مع كزاز في الاسنان وعرق بارد واستفراغات عديدة من الاعلى ومن الاسفل فأعطى لها بعض نقط من الاتيروزيت الزيتون فسكنت هذه الاعراض حتي ذهبت بعد ذلك بالكلية وكذا ذكر أيضاً أطباؤنا كالرازي أن ثمرته رديئة المعدة مكربة وربما قتلت وقال احمد بن أبي خالد الاكثار من ثمرته يعرض منه غشى وقيء وعسر تنفس وغشاوة في البصر ودوار في الرأس وكرب وصغر في النبض وعلاجه كعلاج من استعمل الفربيون والبلادر والدفلى أي فيعالج آكلها بالقيء وشرب اللبن وأكل التفاح والرمان انتهي . وقال ميره ان الطيور تأكل لب هذه الثمار بدون خطر عليها بل بعضها يفتش عليها بشراهة ولا سيما السمان والدج والحمام البري وشوهد من البقر ما أكل أربعة أرطال منه بل خمسة

ولم يحتج لاسعاف الصناعة منها الا بقرة واحدة فقط وأعطي من ذلك الثمر للكلاب مقدار كبير فلم يحصل لهم منه نتيجة رديئة ولكن ضرره للآدميين مشهور. ورأي بوري أن ثمار الازادرخت الذي هو طبيعى بالاندلس كما قال يصير المياه الكثيرة السعة هناك رديئة الصحة وانها تقتل الاسماك كسم الحوت ومما يقوي ذلك نادرة صحيحة حاصلها أنه يوجد في سنتا ماريا من بلاد النمسا ينبوع ماء معين يتجمع ماؤه فى أحواض مصنوعة من الحجارة ينتبه دائما لامتلائها فعساكر فرنسا مدة اقامتهم بالاندلس في حرب سنة ١٨٠٨ و ١٨١٣ عيسوية حسنوا تلك الأماكن وزينوها بزراعتهم الازادرخت حول هذا الينبوع بمقدار كثير لأجل أن تظللهم بظلها ولتعطير ماحولها فتغيرت صحة هؤلاء العساكر تغيرا رديئا وكان في تلك الأماكن صيدلاني نباتي ماهر يسمى جوتييرز فنسب رداءة الماء لثمار الازادرخت التي تسقط من الاشجار فى الاحواض بمقدار كبير فأمر بازالة تلك الاشجار فلما أزيلت صار الماء كامل النقاوة وزيادة على ذلك

أنهم نصبوا الطلمبات على تلك المياه لأجل تنظيف تلك الاحواض. ويستخرج من الجزء اللحمي لهذه الثمار زيت يستعمل في اليابونيا وفارس وغير ذلك ويقال ان فقاحه أي زهره المتفتح صالح للمشايخ والمبرودين اذا استعمل بمقدار درهم وشمه يفتح السدد الدماغية وجذر هذه الشجيرة الذي هو مر الطعم مغث وسيما الجزء الباطن للقشر فيه خاصة مضادة الديدان بمقدار درهمين مطبوخا وكذلك يستعمل في بلاد الجاوة وجزيرة فرنسا وامريكا الشمالية بل اعتبره برطون أحسن مايعرف من مضادات الديدان وكاد استعماله المذكور يكون عاما بين الناس في بلاد الجرج وسيما اذا أعطي القشر رطبا مجنيا في شهر مرس وافريل حيث يكون زمن تكوّن العصارة النباتية. وذكر أن المقدار الكبير منه ينتج سباتا واتساعا في الحدقة وتعبا في التنفس واهتزازا في الاوتار ونحو ذلك ولكن تلك الاعراض تذهب حالا. وكما يعطي للديدان المبرومة يعطي أيضاً لدودة القرع وللأمراض الديدانية وسيما الحميات المنسوبة للديدان وأوصى هذا الطبيب بأن يغلى ٤ اواق من الجذر الرطب في قنينة ما. حتي يكتسب الماء لون القهوة القوي فيعطى منه حينئذ نصف أوقية أو أوقية في كل ساعتين أو ٣ حتى يؤثر الدواء وأحيانا يوجد قيء عند مايحصل الاسهال اذا أثر الدواء تأثيرا قويا. والثمر الجاف يستعمل أيضاً مضادا للديدان وكانوا يمرهمون لب الثمر مع الشحم الحلو علاجا للسعفة مع النجاح ولأجل موت القمل ولم يزل هذا الاستعمال موجوداً ببلاد الفرس. واعتبروا أوراق هذا النبات قابضة ومقوية للمعدة ونجح ذلك أيضاً في الاستيريا، وهو مرض يستعمل فيه ذلك عموما في كلكوتة فتغلي أوقية من أوراقه في ٣ أرطال من الماء وتشرب المريضة من ذلك أوقيتين تقريبا ثم بعد ساعة تشرب مثل ذلك فينتج تخفيف واضح ثم يجدد ذلك المقدار في كل ساعتين فلا ترجع النوبة لتلك المريضة الشابة أصلا وذكر أطباء العرب أن ورقه تستعمله النساء لتطويل الشعر فيدق ويغلف به الشعر واذا شرب من عصير الورق وأطراف الاغصان الرطبة الي أوقية بالعسل نفع من السموم الباردة وعرق النسا وأدر البول

والطمث وحلل الدم الجامد في المثانة وقالوا ان كلاً من ورقه وثمره ينقي قروح الرأس المتقيحة اذا جعل عليه مدقوقا واذا سحق بعصارة ورقه وثمره شيء من المرداسنج وأضيف اليهما دهن ورد ولطخ به الرأس مدة أيام ويجدد ذلك في كل يوم ويترك بعضه على الرأس أي تطلى الطلية فوق الطلية ولا تقلع وفي كل ٣ أيام يدخل الحمام فاذا خرج منه طلاه أيضاً بالدواء المذكور وذرّه بشيء خفيف فان ذلك ينبت شعره ويذهب بقروحه واذا غسل الشعر بماء أطرافه قواه وطوله وحسنه . ومن أنواع ميليا مايسمي ميليا ازادركتا ينبت بالهند حيث يسمي نيم ونمبو بكسر النون في الاسمين يستعمل مضادا للديدان كالنوع السابق وقشره مر يستعمله أطباء الهند مقويا جيدا مع بعض عطريات فيعطونه مسحوقا أو مطبوخا في الحميات وفي الامراض الروماتزمية المزمنة ويستخرج من لب ثماره التي في حجم الزيتون زيت شحمي فيه خاصة مضادة الديدان وقدم طبيب يسمى بيدنجتون لمجلس العلماء بكلكوتة ملحا سماه كبريتات الازادرين وقال ان قاعدته مرة مضادة للحمى مستخرجة من هذا النبات ولونها مبيض وتكون بهيئة بلورات صغيرة لامعة وذكروا أن أوراق النبات ملحمة للجروح وعصارتها مخرجة للديدان (المادة الطبية)

(حرف النون)

﴿ النون ﴾ المفردة تلحق آخر فعل الامر والفعل المضارع للتأكيد نحو (افعلنّه وليقومنّ) وهي اما خفيفة ساكنة أو ثقيلة مشددة

والنون المفردة أيضاً تلحق الفعل مطلقا وتسمي بنون الاناث نحو (افعلنَ يانساء . والزينبات يقرأن)

وهناك نون تسمى نون الوقاية تلحق الفعل قبل ياء المتكلم نحو (كلمني) لتقي الفعل من الكسر

﴿ نابلس ﴾ بلدة من بلاد الشام يعمل فيها الصابون الجيد

﴿ النابلسي ﴾ هو عبد الغني النابلسي الأديب الصوفي له ديوان شعر في كلام القوم وله كتاب (ايضاح الدلالات في سماع الآلات) توفي سنة (١١٤٣) ﻫ

للنابلسي ديوان شعر صرح فيه بمذهب الصوفية فى وحدة الوجود وأكثر في ذلك حتى بلغ ديوانه نحواً من ثلاثة عشر الف بيت من الشعر استوعب فيها كل مذهب الصوفية في الخالق والخلق، والوجود والفناء، والانسان والكائنات فنري أن نأتي بشئ من هذا الشعر ليتبين للقارئين مذهب الرجل بل مذهب صوفية المسلمين في كل زمان . وانا اذا أكثرنا من هذا الشعر فلأن هذا المذهب قد صار مذهب الفلسفة العصرية كما يري القارئ في كلمة وحدة الوجود فى مادة (وحد) فنحيل القاري اليها

من شعره قوله :

وجه تعدّد في المرائي
وبه تحير كل رائي
والكائنات بأمره
موج على صفحات ماء
والأمر أمر واحد
فيه التقارب والتنائي
ان العوالم كلها
بظهورها والاختفاء
في سرعة وتقلب
مثل الكتابة في الهواء
قد خطها القلم الذي
هو باب ديوان العطاء
بمداد أنوار الوجود
الحق من يد ذي العلاء
قلم له عدد الوري
أسنان رقم وانتشاء
صبغ الارادة طبق ما
فى الارض يظهر والسماء
يا باطنا هو ظاهر
في كل ختم وابتداء
اني وانك واحد
وثنان عند الانثناء
من لي بمجهول العدا
عرفته كل الأولياء
ان غاب عن أغيارنا
هو عندنا ملء الاناء
يشقي ويسعد من يشا
بالداء جاء وبالدواء
هو بالتكبر في الشعار
وبالتعاظم في الرداء
وهو الجليس بذكره
للعارفين وبالثناء
غني بمن غني وقد
طبنا به لا بالغناء

وبدا بكل مهفهف
زاكي الملاحة والبهاء
وبه القلوب تهيمت
لا بالموشح فى القباء
قمر محا ظلماتنا
بطلوعه وقت اللقاء
حتى رأيناه به
فى كل أنواع الضياء
شمس وكل الخلق في
أنوارها مثل الهباء
طلعت فأعدمت السوي
والكون آل الي الفناء
حتي تجلي في عما
ثم باطل غيب العماء
فاختص قوما بالضلا
ل وعمنا بالاهتداء
والكشف جاء بعسكر
والكون خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا
والزمر أرواح الفضاء
وبموكب الأملاك ح
ف الغيب سلطان الوفاء
هذا فكيف عقولنا
لاتضمحل من الهناء

وقال أيضاً :

انا عندي أن الشهود حجاب
والتنائي سيان والاقتراب
فادخلوا دار صبوتي ياندامي
واحذروا أن يريبكم مرتاب
هذه ملة المفضل طه
فافهموا ان تكن لكم ألباب
ماعليكم من لفظها العذب فيها
للذي ينكر المعاني عذاب
فهلموا الي الحمي وارفعوا عن
بابه الستر فهو نعم الباب
واشربوا فضل خمرتي من انائي
وسط حاني يا أيها الاحباب
انما عندي الشراب وغيري
عنده موضع الشراب سراب
أنا خمار ديرها وكفوفي
هذه عند أهلها أكواب
ورهابينها رعية حكمي
كل داع بي عندهم مستجاب
قرب الفجر فاشربوا بكر دنّ
ماعلي وجهها سواكم نقاب
وارفعوا لى نفوسكم عن كؤوس
هي فيها لكم يروق الشراب

هي بحر وما سواها فموج
وهى خمر والعالمون حباب
قام شماس ديرها يتمشى
وعليه من نورها أثواب
وجلتها القسوس بين اناس
عندهم في جمالها أوصاب
فاحتسوها بين جنك وعود
حيث راق الصبا ورق رباب
ثم راحوا مجردين سكاري
وتثنوا معربدين فغابوا
خرجوا عن نفوسهم وعن الكو
ن وعن كل ماهم يستطاب
ثم عن ذاك الخروج فكانوا
صورا للوجود فيها انقلاب
وهم الحان والدنان وكاسا
ت الطلا والديار والابواب
وهم الفوز في جنان نعيم
وسواهم جهنم وعذاب
طفح الكاس ياسقاة الحميا
دار من فرط رقصنا الدولاب
وبأشواقنا الحمائم هاجت
فغناء على الربا وانتحاب
والبرايا عن الحبيب سؤال
كلهم حائر ونحن جواب

وقال أيضاً :

قلبي لعلم الاله باب
وما له دونه حجاب
وكل أحوالنا تناج
وكل أدراكنا خطاب
وكل أرواحنا عمار
وكل أجسامنا خراب
وكل معقولنا كؤوس
وكل محسوسنا شراب
وكل اعدائنا سؤال
وكل أحبابنا جواب
وكل وقت لنا دنو
وكل حين لنا اقتراب
وكل شيء له الينا
من حيث معروفنا انتساب
وكل لفظ لنا رسول
وكل معني لنا كتاب
وروحنا للسوي حسام
يخفيه من جسمنا قراب
ورؤية الحق جل فينا
وليس فيها لنا ارتياب
والشمس في الافق ذات نور
وان بدا دونها السحاب

ونحن من ربنـا كلام
لنا وألفاظه العـذاب
ونحن قوم اذا أردنا
ارشدنا الدف والرباب
ونحن روح الجميع ضرنا
وذهب المـاء والتراب
ونحن حق ونحن خلق
ونحن قوس ونحن قاب
وكشفت وجهها سليمى
وانهتك الستر والنقاب
وراق خمر الوجود منها
ونحن من فوقه حباب
وحاصل الأمر كل شئ
غـير اله الوري سراب

وقال أيضاً :

أنت قيد الوجود ان غبت غابا
واذا ماحضرت كنت حجابا
وكذا الكائنات علوا وسفلا
هو منهن لابس أثوابا
كل ذا باعتبار نفسك أما
هو فى ذاته تجل مهابا
واحد مطلق عن القيد بل عن
قيد اطلاقه يلوح اقـترابا

وهو في بيت عزة وجلال
لست تلقي اليه غيرك بابا
قف عـلي بابه به وتأدب
بخشوع وقبّـل الاعتـابا
كن بلاأنت أنت تكشف الحجب عنه
ويريك الذي أري الانجابا
وجهه النور ظاهر بك لكن
عنه ابدي عليك منه نقابا
ياندیمي خـذ المـدامة مني
انني قد أردت هذا الشرابا
وبسطت البساط في دار قومي
وملأت الكؤوس والاكوابا
وكنست الكنائس السود مما
كان فيها حتى البياض اجابا
واستحالت الى الاصول فروع
احكمتها يد الفناء انقلابا
فوجودي هو الوجود الحقيقي
والتصاوير فيه كانت خضابا
ان علمي علم اليقين بأني
كنت سعدي وزينبا والربابا
كنت ليلى أنا ومجنون ليلي
والمحبـين قبل والأحبـابا
وأنا الآن كل ماهو باد
وسأبدو حبائبا وصحابا

مثل فعل الحرباء يصبغ منها
كل لون به تلوح الاهابا
وهي في أي صبغة هي فيها
ذاتها لاتزال والالقابا
كل شيء نطق الوجود حروف
عاليات تحير الالبابا
قلم ان بحثت عنه ولوح
باعتبار ولقبوه الكتابا
وهى عين تري وتدرك اندت
ماسواها الجفون والاهدابا
شمس ذات لها الاشعة أسما
ء عليها الجميع كان سحابا
تتجلى بنا فنظهر عنها
مثل مايظهر البقاع السرابا
لكن الغر بالحقائق لايع
رف شيأ فيحسب الشهد صابا
ويظن الوجود قسمين هذا
خطأ منه لايكون صوابا
ويزيد الشرك الخفي عليه
كلما غاير الشراب الحبابا
والكلام المجاز عين الحقيقي
وتري فى معناهما استغرابا
لكن المنكر الجهول غبي
ومحب السوي له يتغابي

والذي يفهم الامور تراه
جامعا فارقا عصيا مجابا
هذه ملة بها الله أدني
منه أهل الكمال والاقطابا
لم يوفق لها الاله سوي من
خر نجما على الجهول شهابا
حافظا لم يزل عهود التصابي
في شهود الوجود والآدابا
فعليه السلام ماحن قلب
نحو أحبابه وزاد التهابا
و بسعدي رأي العذاب نعيما
حين وافته والنعيم عذابا

وقال أيضاً :

أطوف على ذاتي بكاسات خمرتي
وأستمع الالحان في حان حضرتي
وأنفخ مزماري وأصغي لصوته
وأضرب دفي حين ترقص قينتي
وأنشق من روضى نسيم حقائقي
ويسرح طرفي فى حدائق نشأتي
وعندي الي رؤيا جمالي تشوق
كثير وما عشقي لغير حقيقتي
ويالهف أحشائي علي حسني الذي
فؤادي به صب ويافرط لوعتي

أحن الي ذاتي صباحا وفي المسا
وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها
غـداً فمتى مني تقوم قيـامتي
وأرفع عن وجهي خماري مجردا
ثيابي عن ذاتي وأهتك سترتي
أبي الحب الا أن أ كون مولها
بقلب على طول النوي متفتت
وشـوق كثير واصطبار ممنـع
وسقم وأشجان عـليّ شديدة
واني لأرجو من حقيقتي اللقا
وأطلب منها أن أفوز بنظرة
فلا عجب ان بحت بالسر للوري
وعربدت في هذا الوجود بسكرتي
وتهت بمحبوبي على كل ناسك
وغبت عن الا كوان بل عن هويتي
وعندي انتظار كل يوم وليلة
الي رؤيتي بل كل وقت وساعة
وما أنا الا من أحب وان من
أحب أنا من غير شـك وشبهة
أردت ظهوري لي وما كنت خافيا
فطورت في الاطوار من كل صورة
وقد كنت قدما في عمى ليس فوقه
ولا تحته أيضاً هواء بوحـدة

وللقلم الاعلي تنزلت من يدي
وللوح حـتي للذوات الكثيرة
وقد كنت عرشي واستويت عليه من
قديم زماني في الوجود برحمتي
ومنه الى الكرسي تنزلت بل الي
سمواتي السبع الطباق العليـة
وطورت أملاكي فلي كنت عابدا
وطورت أفلاكي فدارت بقدرتي
وعدت نجوما مشرقات على الوري
أزيد ضياء في ظـلام الدجنـة
وطورت شمساً في طلوع نهاركم
وما الليل الا من نتائج غيبتي
وصرت هلالا تحسبون الشهور بي
وأجلو عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياما لكم ولياليـا
ودهرا وساعات وكل دقيقة
وطورت شكل الجان في الارض قبلكم
وجئت لهم رسلا لابلاغ حجتي
وقد كنت تكذيبا لرسلي منهم
فصرت لهم أوفي هلاك ونقمة
وفي كل أطوار الشياطين بينكم
ظهرت بوسواس لاصحاب شقوة
وطورت في شكل العناصر ثم في
مواليدها في الارض تلك الثلاثة

فني معدن طورا وطورا ظهرت في
نبات وحيوان لتميم حكمتي
وكنت رياحا من شمال ومن صبا
أهب فأروي عن حديث الاحبة
وكنت بحارا زاخرات على المدي
تفيض فتبدي موجة بعد موجة
وطوّرت أرضا ثم صرت جبالها
لارسائها فوق البحار المحيطـة
واني علي ما كنت فيه ولم أزل
ولي رتبة التـنزيه أرفع رتبـة
وما كثرة الاطوار مني غيرت
صفاتي ولا ذاتي ولا قـدر ذرّة
وهل أنت في تخييل ذاتك باطنا
تغيرت عما كنت فى كل مرة
فيجلو عليك الفكر ماقد أردت من
زخارف أشباح هنـا مستحيلة
وذاك كهذا غير ان الخيال مع
تخيله فى الغـير لا في الهـوية
وما هي الا أنت لاشيء ههنا
سواك فحقق سر تلك الحقيقـة
واياك والتشبيه في كل موضع
توهمت فيه الغير وافطن للبسة
وخذ كل ما ألقي عليك مـنزها
ولا تخش عارا ان فهمت اشارتي

وهـذا الذي قد قلته كله أنا
ظهرت به لي قاصداً لنصيحتى
ولما انقضت أطوار ذاتي بمقتضى
صفاتي وأسمائي العظام الجليـلة
وتم التباسى بالذي أنا مظهـر
له من شخوص فصلتها ارادتي
وسوّيت جسم الكل بي فهو قابل
لروحي وتفصيلي استعد لجملتي
جمعت من الأشياء طينة آدم
ومنها الى الكل الرقائق مدت
وخمرتهـا حتي تناسق نشؤها
وسوّيتها حتى لنفخي استعدت
ولما استتم الأمر واستكمل الذي
أردت من الاجمال في البشرية
ففي تلك من روحي نفخت وقدسرت
نسائم أمري في رياض الطبيعة
فقمت سـميعاً باصرا متكلما
مريدا علـيما ذا حيـاة وقدرة
فلم يبـد مني غـير ماهو كائن
لدي وبي مني عليّ حكومتي
فكنت كماء لونه من انائه
وكالشمس تبدي خضرة بالزجاجة
وأسجدت أملاكي بأمري لمظهري
فكان سجودي لي وآدم قبلتي

ولمـا أبي ابليس عني تكبرا
ولم يأت لي من بعد أمري بسجدة
عن الملأ الأعلى له كنت مخرجا
وآب بخسران وطرد ولعنة
وأسكنته في الارض أظهر كامنا
به من شقا أصحاب قبضة يسرتي
وأظهرت في ذاك الملا فضل آدم
وأنزلتـه أعـلي مقـام بجنتي
وأخرجت حوّا منه فهي له كما
هو الآن لي من حيث وصفي وصورتي
وعن بعض أشجار هناك نهيته
ولي كان مني النهى عني لحكمتي
ولما اقتضى فعلي لما كنت عنه قد
نهيت كمال الصورة الآدميـة
أتيت بأقسام الىّ موسوساً
وأوقعت نفسي في غرور وغفلة
وذقت كما ذاق العدو تباعدي
وما الأكل الا الفرق والجمع توبتي
وقد لاح عصياني عليّ ومذ بدت
طفقت بأوراق اخصف سوءتي
ومن بعد ذا أهبطت للارض هيكلي
وكنت بها في العـالمين خليفتي
وسخرت لي كل الوجود تفضلا
علي صورتي مني وأتممت منتي

وعرّفت مابيني وبيني كلاهما
على عرفات بعد طول التشتت
فكان نكاح الامر في الخلق ظاهرا
بنافى كلا الشخصين قبل النتيجة
وأظهرت من صلبي جميع مظاهري
بصـورة ذر للعهـود الوثيقـة
وأشهدتهم عـني ألست بربكم
فقالوا بلى طرا بنفس مطيعة
وأوهمتهم غيرا فأنكر بعضهم
وأوفي بعهـدي بعضهم مع لبسة
وأول أطـواري الكوامن أنني
لآدم شيئا كنت وهو عطيتي
وطوّرت نوحا جاء ينذر قومـه
وكنت له التكذيب منهم ببعثتي
وألفا سوي خمسين عاما لبثت في
جماعتهم أبغى لهم نشر دعوتي
وهم يعبدون الغـير بل يعبدونني
ولا غير لكن وهمهم هو سترتي
ولمـا أبوا واستكبروا كافرين بي
دعوت عليهم واستجبت لدعوتي
وأرسلت طوفانا عليهم فأغرقوا
ولم ينج الا من معى في سفينتي
وطوّرت ادريسا ولي كنت رافعاً
مكانا علياً لي أجـل مكانة

وطورت ابراهيم يدعو الي بي
على قومه آتيته أي حجة
ومذ قال ذا ربي له كنت كوكبا
كذا قمرا أيضاً وشمساً بوجهة
ولا فرق الا بالافول ألم تكن
اذا لا أحب الآفلين مقالتي
كما قلت سموهم لقوم تعلقوا
بما قيد الامكان من مطلقيتي
وجئت الي النمروذ أدعوه للهدي
فلم يمتثل حتي ثوي بالبعوضة
وأضرم لى نارا وأرسلني بها
فعادت بأمري لى على جنة
وقد كنت مني طالبا أنني أري
لحق يقيني كيف احياء ميتة
فجاء جوابي لى بأربعة فخذ
من الطير واجعل في العلا كل قطعة
وناد بهم يأتين سعياً وبعد ذا
فكن عالما لا شيء الا بقدرتي
وطوّرت اسماعيل لما بلغت مع
أبي السعي ذبحي قد رأيت بنومتي
وناديت لما أسلما حين تله
أصدّقت حتي كان بالكبش فديتي
وطوّرت اسحق الغيور ولم تكن
على غير تحريم الفواحش غيرتي

وطوّرت يعقوب بليت بيوسف
وأسلمني حبي له كل محنة
وفرقت مابيني زمانا وبينه
ووا أسفي ناديت من طول فرقتي
وعيناي من حزني قد ابيضتا وقد
مننت بجمع الشمل بعد التشتت
ويوسف قد طوّرت زاد ملاحة
بوجه سبي كل الوجوه المليحة
وبالثمن البخس اشتراني مشتر
وفي الجب ألقتني من الكيد اخوتي
وقد عشقت حسني زليخاء والهوي
أضر بها حتي هممت وهمت
وطوّرت هودا كان يشهد قومه
علي انه من شركهم ذو براءة
ولوطا لقد طوّرت أيضاً وصالحا
أتيت الي قومي لابلاغ دعوتي
فزاغوا وعن أمري عتوا وتكبروا
وقد عقروا لما عصوني ناقتي
وطوّرت موسى ضارب البحر بالعصا
وقد شق حتي قومه فيه مرّت
وآنس نارا من جوانب طوره
فرام ليأتي الأهل منها بجذوة
فنال الهدي في شكل مقصده وقد
تجلى له من مظهر الأحدية

وقد حاز منه رؤية بسؤاله
ولكنها الاطواد بالصعق دكت

وعيسى لقد طوّرت يبريء أكمها
وأبرص والأموات يحيي بدعوة

وأرسلت روحي طبق ماهو عادتي
الى الأم حتي كان مظهر نفختي

وأظهرت ماقد كان فى الأب مضمرا
و بينت للأقوام سر الأمومة

فضلوا وزاغوا عن مثال ضربته
لفهم علوم في الوجود دقيقة

وقالوا بأني قد غدوت له أبا
وقد خص من دون الوري ببنوّتى

وأين الوجودان اللذان تباينا
وما عز خلاق كذل خليقة

ومن بعد هذا جئت في طور كل ما
مضى من رسول أو نبي لأمة

وأصبحت في شكل النبي محمد
الى الله أدعو الناس في أرض مكة

فآذتني الأقوام بغياً وحاولوا
بأفواههم اطفاء نور النبوة

وأظهرت دين الحق بعد خفائه
فأصبحت الكفار في سوء حالة

ونكست أصنام الضلال وفي الوري
أزلت ظلام الظلم من فرط سطوتي

وطوّرت أصحابا ومن هو تابع
لهم بالهدي مثل الكرام الأئمة

ومن بعد ذا مازلت أظهر دائما
على أمد الازمان في كل هيئة

وطوّرت أهوال القيامة والذي
يكون غدا في يوم عرض الخليقة

واياك من قولى بأن تفهم الذي
تدين به الكفار بين البرية

فانى بريء من حلول رمت به
عقول تغذت بالظنون الخبيثة

وما بالحلال واتحاد أدين في
حياتي وان دانتهما شر أمة

وكل الذي أبديته لك ناظما
فمن فوق أطوار العقول السليمة

فان كنت من أهل المعارف لم تلم
لانك تلقاه بنفس تزكت

وان كنت مطموس البصيرة جامدا
على ماتري من صورة بعد صورة

فانك معذور بقلة فهم ما
أقول لضعف في قواك الكليلة

فواظب على التنزيه وادأب عليه لا
تكن من أناس بالتشبه ضلت

ودع عنك تجسيما ولا تك جاهلا
بأوصاف من أبداك في كل حالة

وقال أيضاً :

ظهرت ذاتي لذاتي
في صفات من صفاتي
و بدت في النفس نفس
سكنت في حركات
كنت كالقشر عليها
وهي كاللب المواتي
والذي أبديه عنها
هو نعتى وسماتى
عينها غابت ولكن
حضرت باللحظات
وغدت تكشف عني
لي بها عن ظلماتى
وتبدت شمسها من
فوق سبع الطبقات
فأنارت أرض قلبي
وبها ضاءت جهاتي
وأنا الحادث ماض
وأنا الدائم آت
وهو أمر واحد واثـ
ـنان بعد الالتفات
فتنحوا عن طريقي
يانفوسا جاهلات
واحذروا أن تدخلوا فى
طرقاتي الضيقات
وابحثوا عنكم وخلوا الـ
ـبحث عن أوصاف ذاتي
أنا الاروح أمر
فوق كل الكائنات
أنا الامحض نور
فائض باللمحات
أنا الاسر عرش
وأنا ماء الحياة
وأنا المعروف في السبـ
ـع الطباق العاليات
وأنا فوق اشارا
تى وكل الشطحات
ومعانى الكون دونى
وهى من أدني هباتي
كيف لا والنفس مني
ذهبت فى الذاهبات
وبدا الحق مكانى
يتجلى بصفاتى
والذي يعرف ربي
عارف بي وبذاتي
والذي يجهله يجـ
ـهلني بالغفلات

يا أخلائي رويدا
كم بتعويج قناتي
ظنكم أعدم نوري
عندكم ذا اللمعات
كلما لمتم شربنا
كم كؤوس صافيات
وعلمناكم دنان ال
باقيات الصالحات
وجهلتم مالديكم
لحمير سارحات
عندكم ماء وأنتم
قد عطشتم الممات
هيئوا الاكباد منكم
في غد للحسرات
واستعدوا لسؤال
عن جميع السيئات
ليت منكم لو شربتم
ماحويتم ياسقاتى
مخرج الافلاك أضحي
بحروف الجسم ياتى
عن لسان الملا الاع
لى وهاتيك الذوات
ومعاني الروح تتلى
في المسا والغدوات

وكلام الله برق
خصنا بالومضات
وسمعنا وتر الوت
ر بأيدي الغانيات
ودفوف الحق من نق
رتها زالت سناتي
ومزامير المعانى
أطربت بالنغمات
وحلى رقصى مع الار
واح تلك الراقصات
ثم يا آتى جميعا
دخلت في ألفاتي
وانقضى صحوي وقد عم
ت ببحر السكرات
غرست في أرضه بالل
طف منه شجراتى
وهو بزري وهو أيضاً
ظاهرا من ثمراتي
وانثنت أغصاننا من
أمره بالنسمات
في ربا أوج التجلى
ورفيع الحضرات
ياشذا عرف غراسى
فاح ياطيب نبتاتى

والسوي في كل حـزن
وأنا في الـنزهات
والذي عنـدي مـني
غـير ماعنـد عـداتي
هم يرونى في شـتات
مثـل ماهم في شتات
وانطوي عنهم خصوصى
وانتـفي عنهم ثبـاتي
وانجلت شمسي وهم بالـ
ـجسم خلف الهضبات
فاح مسـكي وزكام
عندهم عن نفحات
وأنا فى محض ايقـا
ن وهم في الشبهات
وعـلى الجمـلة فيهـم
قد أجيبت دعـواتى
وأصيبـوا بـرزايا
هي احـدي السطوات

وقال أيضاً :

قف جانب الدير سل عنها القساسيسا
مدامة قدستها القوم تقـديسا
بكراً اذا ما انجلت في الكاس تحسبها
من فوق عرش من الياقوت بلقيسا
رقت فراقت وطابت فهي مطربة
كأنهـا بيننـا دقت نواقيسـا
مالت بها القوم صرعي عندما برزت
بها البطارق تسقيها الشماميسا
كأنها وهي في الكاسات دائرة
صافي الزلال حوي فيه طواويسا
صرف صفت وصفت دار النعيم لنا
وآدمـا والذي يحـكي وابليسا
عجنا على ديرها والليـل معتكر
حتى زجرنا لدي حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها
توما ويوشا ويوحنا وجرجيسا
نأتى الكنائس والرهبان قد عكفوا
لدي الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شـغفاً
فلم نخف عنـدها عيباً وتدنيسا
حيث القساقس قاموا في برانسهم
يومون بالرأس نحو الشرق عن عيسي
والكل في بحر نور اليثربيّ حكي
موجاً أرته رياح القرب تأنيسا

وقال أيضاً :

فريدة حسن وجهها البدر طالع
أشاهـد معني لطفها وأطالع

تجلت وكل الحادثات مغارب
تجلت وكل الحادثات مطالع
ولاحت لعيني وهى نور فأعدمت
ظلام سواها واستنارت مرابع
وكانت ولا شئ كما هي لم تزل
كذلك والاشياء منها وقائع
نفتني بأنوار التجلى وأثبتت
فكلي لهـا منها اليها ودائع
وعندي لها أنواع عشق تفصلت
على قدر ماتبديه منها البراقع
تثنت فقالوا لاح ثان وثالث
علي الزور والبهتان منهم ورابع
ولو وحدوها طبق مازعموا لمـا
رأوا غيرها في كل ماهو واقع
فهل من فتى ياغافلون أدله
عليها فيحظى بالذي هو طامع
وتنفتح الابواب بعد انغلاقها
و يدخل بيت العز من هو قارع
نعم هو هذا لو ثبتم علي التقى
كما أنا أدري واستقلت مطالع
وسلمتم الاحوال لله كلهـا
وفيه استقمتم مالنا كم منازع
تريدون لكن بالامانى وصالها
فيدفعكم وهم السوي ويمانع

ولا صدق الا في مراد نفوسكم
لكم واعاقتكم دعاو قواطع
وأين اقتحام الحرب من ذاكرها
ولا يشبه الشبعان من هوجائع
ومن يخطب الحسناء يسخ بمهرها
وطالب شهد لم تخفه اللواسع
ريدوك مهلا ان للحق عصبة
وما منهموا الا و بالحق صادع
أقاموا علي محض اليقين بناءهم
وجامدهم من هيبة الامر مائع
وداموا علي صدق الارادة والرجا
وهم كل قرم للخطوب يقارع
وقد عمروا أوقاتهم بحضوره
وعندهم الدنيـا ديار بلاقع
وأعلي العلى من دون دون نعالهم
يعز بهم متبوعهم والمتـابع
هي الشمس أبدت ماسواها أشعة
اذا غربت تحن النجوم الطوالع
أشارت بجفن العين فافتتن الوري
ولا قلب الا وهو حيران والع
وأبصرها طرفي وذلك طرفها
فكان لها منها بصير وسامع
وأحببتها بل تلك كانت هي التى
قديما أحبتني فزال التقاطع

وقد ملأت عيني بأنوار قدسها
ومنها لغزلان الجمال مراتع
وما الكل الا صورة مستحيلة
كماء له موج وفيه فواقع
وما الماء الا الروح والموج أنفس
فواقعها الاجسام وهي الجوامع
وتلك تقادير بها الأمر ظاهر
ومن خلف هذا كله الذات واسع
صدقتك جاء الحق والباطل انتفي
وزالت تماثيل الخيال الخوادع
ومخطوبة الارواح ألقت لثامها
عن الوجه منها وهو بالنور ساطع
فأفنت جميع الكائنات وهيمت
رجالا وهت منهم عليها الاضالع
وكم فتنت فى عشقها من متيم
اذا ذكرت منه تفيض المدامع
صلت بالمصلي مهجتى بفراقها
ونلت مُني اذ لي مُني هو جامع
وجادت على كل الذوات بذاتها
فلا ذات الا ذاتها يا مدافع
وكل صفات الكون فهي صفاتها
وتنزيهها في الكون بالكون شائع
ولا قائم الا بها في وجوده
ولا صانع الا بها هو صانع
الفت قديما حبها وهو حب ما
أحب فكانت ما أنا فيه والع
وقرت بها عيني غداة عرفتها
فمن عينها تجري لعيني منابع
و بانت وما بانت فلا شيء غيرها
سوي اننا عنها بروق لوامع
اذا أسفرت عن وجهها برقع السوي
هدت كل ضال في الوري هو ضائع
وان سترت بالغير وجه جمالها
أضلت عقولا تعتلي فتقارع
ولولا دفاع الناس بعضا ببعضهم
لهدّت كما قال الاله صوامع
ونحن أولاء المؤمنين بحسنها
عداوتنا سمّ حذارك ناقع
ومن رامنا بالسوء فالله دائما
كما جاء فى القرآن عنا يدافع
ألمت بنا والكون كالليل مظلم
فلم تشعر الواشون اذ هم هواجع
وزات علي رغم الاعادي فأنكروا
زيارتها قالوا خيال يرافع
وما ذاك الا أنني كنت فارسا
ببيدائها والغير فى السير ظالع
محجبة الا على كل محرم
لها قربته فهو للوتر شافع

ومقبـلة لكن على كل تارك
سواها بها عنهـا اليها يسارع

اعارت معاني الكون ثوب صفاتها
وكل معـار للمعـيرة راجع

وأودعت الأشياء سر وجودها
ولا بد يوما أن ترد الودائع

ظهرنا بها لا بل بنا ظهرت وقد
تساوت دوان ههنا وشواسع

ولا دين الا حبها عند أهلها
فكم نحوها من ساجد وهو راكع

اليها صلاة القوم أين توجهوا
وقبلتهم وجـه لهـا يتـلامع

وبالماء ماء الروح من أمرها لهم
وضـوء وغسـل دائم متتابع

وان خالطوا الاخيار كانت جنابة
لهم رفعها فرض علي القوم قاطع

وان لم يكن ماء هناك تيمموا
صعيدا له طيب من الجسم ضائع

هو الحق لاقوا من سواه نجاسة
فمنها قد استنجوا وزالت فظائع

وعن غيره لم ينطقوا فتمضمضوا
وشموه باستنشاقهم فهو ذائع

وعما سواه كان غسل وجوههم
لكي يقبلوا عنهم له و يسارعوا

وغسل يديهم من جميع أمورهم
بتفويضهم فيه تنال المطامع

وتثليث هذا الغسل شكل مثلث
به ظهرت ممن براه صنـائع

وقد مسحوا فيه رؤوس رياسة
فما الذل الا وصفهم والتواضع

وقد غسلوا أقدامهم في قيامهم
بخدمتـه عن كل ماهو مانع

وقد كبروه عن مدي وصفهم له
برفع يديهم ظاهرا وهو رافع

وأثنوا عليـه بالذي هو أهله
ومنه استعاذوا فهو ضار ونافع

وهم باسمه قاموا ليتلوا كلامه
فما منهمو الا به هو خاشع

وان ركعوا مالوا اليه بكلهم
وصاروا لديه والقلوب خواضع

وان سجدوا يفنوا و يبقوا به له
اذا سجدوا الأخري وتبدو بدائع

وفيهم سكون من قعود تشهد
له وانقضي تحريكهم والتنازع

وقد سلموا طوعا اليه وأسلموا
ومنهم له التسليم للسوء دافع

ولا مال عند القوم الا نفوسهم
تجارتهم فيهـا غلت والبضائع

وقد أنفقوها حين آتوا زكاتهم
على الحق لم يقطع بهم عنه قاطع
وأدوا اليه فطرة فطروا بها
وما غيروها والقلوب طوائع
وصاموا عن الاغيار فيه وأفطروا
على وجهه مذ غاب للكون طالع
وفي الحج كانوا بيت عزته فهم
بنشأتهم طافوا فست وسابع
وقد رملوا في ذا الطوف تدللا
عليه وفخر عندهم فيه بارع
ولما بدا من قلبهم حجر الهدي
له استلموا اذ منه بانت أصابع
وفي عرفات الوصل حازوا تقربا
بوقفتهم فيها فزالت موانع
ونالوا مناهم في مني وبها رموا
جمار هموم كلهن مصارع
وقد ودعوا البيت العتيق وأقبلوا
على أصلهم في العلم وهو مواضع
وفي عيد نحر الهجر فازوا بذبحهم
ضحايا طباع هن فيهم لواسع
ذبيحة نفس قطع عرق فسادها
الي أن يفني منها خؤون مخادع
وأخذ لقيط القلب في مسجد الحجى
مهم له تسعي الكرام المصاقع
ومن يلتقط سراً بتعريفه له
يرد على الروح الالهي ضائع
وغيبة مفقود عن الكون حكمها
كموت له في كل أمر يضارع
وحب معاني الحق اخراج عشرها
خراج لأرباب الجهالة قاطع
وجزية كفار النفوس تكون عن
يد وصغار حيث قرر واضع
ومن نال صيد الغيب كان هواه أو
أعيقت بباري القلب طير سواجع
فقد فاز بالقصد الذي هو راكب
اليه على خيل وهن الطبائع
وواهب ذات الخال ظلمة كونه
تعوضه نورا به هو لامع
وقد آجر الاقوام امكانهم له
فأجرتهم انعامه المتسارع
وباعوا نفوسا في هواه نفيسة
له فاشتراها حين أوجب بائع
فقال لهم فاستبشروا اذ ببيعكم
توليتكم فالكل عندي مطاوع
وان جهاد القلب للنفس واجب
عليهم لفتح الروح فهو المصارع
وقد دخلوا بالملك في قاعة الانا
فليس لهم عما يرومون دافع

وقادوا أساري كل خلق مذمم
وفاز شجاع بالغنائم دارع
وقد شاركوه في الوجود فثامن
لفسخ اشتراك كان منهم وتاسع
وقد كفل الرحمن أرزاقهم لهم
وطالب بالاعمال وهى منافع
فان الدعاوي الزمتهم كفالة
بأعمالهم والكل منه نوابع
وتوكيلهم للحق أنتج قربهم
اليه وهذا للكمال ذرائع
أحال بهم يوما عليهم فأفلسوا
وقد أصبحوا بعض لبعض يتابع
ولما اليه بالحوالة ردهم
لهم بالفنا كانت لديه مواقع
ونحن له وقف لأجل صفاته
وقد عمرت منالهن المزارع
وقاض قضي بالحق والروح شاهد
فكان لحق النفس منها مقامع
ودعوي الغني تعطى الخصومة في الهوي
وقد جمعت للعاشقين مجامع
وجاءت بأنواع الشهادات أمة
علي الحق زكتها صفات بوارع
وهذا نكاح الأمر عقد محقق
ومن كل شيء خلق زوجين بادع
شهدنا على ايجابنا وقبولنا
وكانت لنا بالحضرتين وقائع
وزفت عروس القرب ليلة قدرنا
وفي ذكر الذكر استلذ المجامع
وانزاله القرآن قد حملت به
فروج قلوب بالعلوم تدافع
وبت طلاق الصبر زوج فتى الهوي
ثلاثا علي سلمي فكيف يراجع
ولو دفعت كل الذي هو ملكها
على طاقة ما كان قلبي يخالع
وبرّت يمين واليمين ثلاثة
غموس بحكم الغير للغير رائع
ولغو علي أهل المجاهدة احتوي
ولا أثم فيه لكن القلب جازع
ومنعقد وهو الذي بين قومنا
تلذ به عند اللقاء المسامع
كلام علي حكم العيان مفصل
به الغيث من سحب الحقائق هامع
وتكفيره في حنثه ستر كل ما
بدا فثمار الحظ منه أيانع
ومن يأخذ الدنيا بشفعة داره
من الحق لما باعها فهو باخع
ومن رد عبداً آبقا كان أجره
عظيما على مولاه فهو الموادع

واحياموات النفس بالذكر واجب
ليسعد فيهـا بالحراثة زارع
وقتلك معني الروح بالروح يقتضى
قصاصا بسيف الحق اذهو شارع
وان أخذت من وصفها دية له
فذلك حكم للقصاص يضارع
وهيأت الاقوام أرض نفوسهم
فكان المساقي شيخهم والمزارع
واقرارهم بالحق حجتهم علي
سواه وكل لابس الأمر خالع
واعطاء رأس المال وهو وجودهم
اليه اقتضى ربحا وضل المخادع
مضاربة منه قديما مع الذي
له كل مافى الكائنات توابع
وان غصبوا أوصافهم من ذواتها
أغارت عليهم منه خيل طلائع
وفى الصلح عن دعوي المغايرة اختفوا
فهم منه في الدنيا غيوث هوامع
وقد رهنوه بالديون قلوبهم
وماض وحال لايفي ومضارع
حدود الهوي قامت عليهم بربهم
فلم يعتدوها والحدود روادع
ومن يدعي ملكا فذلك سارق
يمد يدا فالحق لليد قاطع

وعينيك فاسمع لا تمدن قال في
امام فكيف المقتدي وهو تابع
وخمر السوي منه اذا شرب امرؤ
عليه بأنواع الخطوب مقارع
وزانية لم تحصن الفرج عن سوي
لها الرجم بالحرمان حد يمانع
وقذف أولي التشبيه يوجب حدهم
سياط بعاد عن حمـاه قوارع
وقد كان بالتقوي وصيته لنـا
غداة بدت سبل ولاحت مشارع
به منـه تقوانا فلا ندعي لنـا
وجودا ونرضي حكمه ونطاوع
ومـيراثه منـا بمـيراثنا له
فرائض كانت منه فينا بواضع
فثمن وثلث ارث أم كتابنا
علي حكمها فى قسمتي لا أنازع
ولا يرث المحجوب منهم بحاجب
على العين حكم قررته الشرائع
و بالعول ان زادت سهام أولى الحجي
خيالا تراءته العيون الهواجع
أعد نظرا مازاد شيء على الذي
علمت ولكن لجـة وزعازع
وقام وصي الحق يحفظ بالهدي الا
يتيم الالهي والجميـع مراضع

وفقه الهوي فرض على القوم درسه
وكم ناله شيخ وكهـل ويافع
ومن كان مقداما يلج كل لجة
اليه وان ضجت عليه الضفادع
وأهل طريق الله قد ألفوا السري
وطال بطاح دونهم وأجارع
وغابوا عن الاكوان في الغيب حيث لم
يكن ههنا الا الشخوص الخوادع
ومدت لهم منـه يد أقدسية
تبايعهـم فيما رأوا فتبايعوا
هم القوم لا يشقي الجليس بهم اذا
لهم كان في سر وجهر يطاوع
وقد زهدوا في الزهد عما سواه اذ
رأوا الزهد معني للعقول يخادع
وعن توبة تابوا وهذا مقامهم
لهم هو من فوق المقامات رافع
وتقواهم التقوي على كل حالة
لديهم عن التقوي وتلك بدائع
وما ورع الا عن الورع اقتفوا
وما منهمو الا عن القنع قانع
وفاتوا مقامات السلوك لانها
علي أوجه الاسرار منهم مقانع
وقاموا بوصف الذات في غيب غيبه
له فيه ختم مثل ما كان طابع
وتمت معـانيهم علي كلماته
وماء الهدي من عينهم هو نابع
وزال الذي كانوا يظنون انه
سواهم له عز عن الكل شاسع
وقد كان وهما ذاك عند عقولهم
كمثل رقوم أظهرتها المـدارع
وقد بدلت أرض لهم غير أرضها
كذاك سموات وزالت طوالع
وقد برزوا للواحد الأحد الذي
بهم هو فيـه عالم ثم صانع
وكانوا كما كانوا على الحالة التي
بها ازلا كانوا كلم يك واضع
كما انه باق بمـا هو فيه من
قديم وهـذا الامر للوهم قامع
بدايتهم كانت نهـايتهم به
ومهيعهم آلت اليـه المهايع
وفي العلم كل هكذا مترتب
حضور له ماقد مضي والمضارع
فمن يعلم العلم القديم يري الذي
أقول وترمي عن حمير براذع
وتخفي علوم للعقول حوادث
عنا كبها تبني البيوت خوادع
ولم يك ذا الا بتعليمـه ولا
يعـلم الا من لديه يوادع

وما كان فيه فهو يبدو له به
وما لم يكن فيه فما هو واقع
هيولي شهدنا انها نور نوره
لها صور شتى به تتدافع
وألوانها ذات الفنون فأزرق
سماوي لون ثم أبيض ناصع
وأسود غربيب وأخضر ناضر
وأحمر قان ثم أصفر فاقع
ظواهر منه فيه عنه له به
بواطن أفناها من الذات لامع
وبالحق أنزلنا وبالحق نازل
لقد حققته العارفون المصاقع
وما الحق الا واحد فهو عالم
وعلم ومعلوم ثلاث قوارع
ومن ههنا الهي التكاثر أمة
محققها من كوثر هو جارع
وذلك نهر الجنة العذب ماؤه
وفي الحوض أنبو بان منه شوارع
هو الحوض منه كل من نال شربة
فلا ظمأ يلقي ولا هو جازع
ويطرد عنه كل من تبع الهوي
وتمزيقه دينا بدنياه راقع
أباريقه قوم به امتلأوا وهم
نجوم بآفاق العلوم سواطع
يضئ بهم ليل السراة الي الحمي
ومنهم رجوم للطغاة قوامع
حنانيك عش ان فزت منهم بواحد
سعيدا قرير العين غصنك يانع
وكن عبده لا عبد حظ وشهوة
فما أنت ناويه على القلب طابع
وهذا مقام حق بالبؤس والاسي
وما ناله الا الشجاع المقارع
ودم طالبا منه التحقق فيه لا
سواه تجده عنك فيك يسارع
وان زدت صدقا في محبته له
به زدت قربا واهتدي منك ضائع
وزالت معاني الغير في العين وانطوت
مسافة نفس بالمحال تخادع
وكنت كما قد كنت من قبل لم تكن
وكان كما قد كان وهو الموادع
عليم بذات منه تجلي عليه في
معاني صفات كلهن بوادع
وفيه زمان والمكان تداخلا
وكيف وكم وهو للكل جامع
له الكل وهو الكل وهو منزه
عن الكل فاعرف واعتبر يامنازع
تصاويره فيه تماثيله له
تقاديره منه فروض بوارع

من العدم امتدت الي العدم انتهت
خيالات عقل واحـد يتلامع
وما هو الا النور نور محمـد
تبدي من النور الذي هو طالع
فنور على نور كذا قال ربنا
وذلك مشفوع لديه وشافع
وأعلاهم النور الالهى شأنه الـ
تكبر والأدني هو المتواضع
وذلك لايفني وذا كل لمحـة
بأيدي الفنا ثم البقا يتتـابع
تجليـه يبقيه به واستتاره
فناء له في الفكر والحس قالع
هو العقل عقل الكل مفرد جوهر
يلوح ويخفي عن ضيا وهو شارع
هو الروح روح الكل والقلم الذي
به الكل مكتوب له اللوح واضع
وعرش وكرسى تجسم فيهما
له صـورة تحويهما وأضالع
وفي كل شئ سر أمر ملبس
بخلق جـديد للخفاء مسارع
كبرق عن الذات النزيهة لامع
فيالك برق من حمى الحب لامع
سرت نسمات الروح من روضة الحمى
فمطرني طيب من الحب ضائع
وعطرت الانفاس مني بنفحها
جميع الوري حتى استطيبت مصانع
وقامت دعاة الحق بالحق عن يدي
تعاهد أرباب التـقي وتبايع
فحيهلا ياقوم نحـو حقيقتى
فان طيوري بالجمال سواجع
وحوضي مـلآن ومائي مروّق
وروضي بأنواع المحـاسن يانع
وباعي طويل والزمان مساعد
لنا وعيون الدهر عنا هواجع
وكاسات أفراحي براحي وراحتي
دهاق وأيامي المواضى رواجع
عليّ سلامي في الوري يوم مولدي
وموتي وبعثي ماهمي الدهر هامع

وقال أيضاً :

اني أنا لست أنا
فليت شعري من أنا
صورة لاهوت بدت
في شكل ناسوت دنا
كلاهمـا مستحدث
من عـدم ومن فنا
وذاك لاذاك له
ومن هنا ليس هنا

والقصد مني لم يقع
على سؤالي والمـنى
فافهم كلامي وانتفع
به ودع عنك العنا
اياك اياك بأن
يوقعك الجهل بنا
ولا تكن معتديا
ولا تكن مفتتنا
ودع كلام عصبة
بنا أساؤوا الظننا
من شرهم ما أحد
بين البرايا أمنا
قد شبهوا خالقهم
وجسموه علنا
ونسبوا اليه ما
كان بهم مكتمنا
وهم على ذا درجوا
وفيه عاشوا بالهنا
وعبدوه مثل قو
م يعبدون الوثنا
قد نشأوا في بدع
لايعرفون السننا
وهذه حالتهم
قد جعلوها ديدنا

فاحذر تكن مستمعا
لهم بهم ممتحنا
وخذ بما لاح ودع
عنك التباسا فتنا
بالله يامن هجروا
وعظموني شجنا
وقد أطالوا سهري
وأحرموني الوسنا
وملء قلبي شغف
ودمع عيني هتنا
ولى اليهم أبدا
فرط غرام وعنا
رفقا بصب دنف
بكم غدا مرتهنا
ايان ولى منكمو
أبصر وجهاً حسنا
بشعب واد سلم
جاآذر لحن لنا
لما رنوا وانعطفوا
خلت سيوفا وقنا
أواه من جفونهم
وليس لى عنهم غنى
ياليتهم لو سمحوا
ولى أتموا المنى

عهدي بهم قد نزلوا
بالسفح من وادي مني
من كل روح جعلوا
للأمر منهم بدنا
وشرفوا منازلا
حلوا بها ودمنا
وكل حي جعلوا
بالوصف فيه وطنا
وشغلوا الكون بهم
وهيجوه شجنا
فهام في بهجتهم
ولم ينل منهم مني
يخفق قلبه بهم
وكم يقاسى محنا
وجوده تحريكه
وفقده ان سكنا

وقال أيضاً :

لمائه كلنا أواني
ونحن في نفسه معاني
والكل عن أمره ظلال
وذاته الشمس في البيان
مراتب بالوجود صارت
حقائق الغيب والعيان
عن كل أوصافه أبانت
عند الوري مثل ترجمان
وجوده لايزال منها
يطلى بنيل وزعفران
وبظلام وبضياء
وبضراب وبطعان
وبجماد وبنبات
وبأناس وحيوان
وبرجال وبنساء
وأهل شيب وعنفوان
وكل عقل وكل حسن
والمتمنين والأماني
وكل فهم وكل وهم
وكل وقت وكل آن
وملكوت وجبروت
وكل انس وكل جان
وكل ساق وكل كاس
وكل خمر وكل حان
وبحسان وبقباح
وبهموم وبتهاني
وكل شيء صرفت عنه
ولم يصرح به لساني
توهمات الجميع فيه
من فرط عز ورفع شان

يجل عنها وعن مقالي
يجل فيما به سباني
والعلم بالجهل قد تساوي
عجزهما عنه في قرآن
وكل عبد بما لديه
في محنة منه وافتتان
وقد تجلى بكل شئ
والشئ من عالم الكيان
فضاء منه فضاء كل
كالنور في صبغة القناني
وفيه كانت فصار فيها
والقلب ينبيك عن بيان
وليس غير الوجود فيها
بقائم والجميع فاني
وهو على ماعليه قدما
بلا انتقال ولا اختزان
ولا اتصال ولا انفصال
ولا افتراق ولا اقتران
ولا التفات ولا جهات
ولا زمان ولا مكان
ولا حلول ولا اتحاد
ولا تناء ولا تداني
فان تكن فاهما والا
فدع كلامي لمن يداني

ولا تعب ماجهلت منه
بقلبك القاصر الجبان
وخل ماقلته لقوم
يطرب اسماعهم اذاني
فان داعي الكمال مني
يسمع من شاء بامتنان
وكل شيء للحق شان
والحق باد في كل شان
مسك له الـ طيب عرف
معني له الكل كالمباني
نحن التقادير منه فيه
كالكيف والكم والمكان
وهو الوجود القديم صرفا
وماله في الوجود ثاني
رآه موسى الكليم نارا
عنه بدا الكل كالدخان
ورام منه بأن يراه
فجاء عنه لن تراني
لكونه رائيا فلو لم
يري رآه اليه داني
لكن علا شوقه عليه
منه غدا مالك العنان
وزاد حتى أزال عنه
تثبتا كان في الجنان

ومنه قد صار في ذهول
وفي اندهاش لما يعاني
والشوق يوهي المعقول جدا
في رؤية الأوجه الحسان
حتى اذا دك منه طور
وعاد بالصعق في اكتمان
أفاق مستغفرا منيبا
مسبحا طالب الأمان
ماقال اني رأيت أو ما
رأيت اذ كان في عيان
كان محباً له فأضحى
محبوبه الرائق الدنان
وما عليه اختفي تبدي
له جهارا بلا تواني
وصار يبديه كل شئ
قد كان أخفاه باجتنان
والمثاني آيات حق
تظهر في نغمة المثاني
يذوقها كل ذي فؤاد
بنيل قرب الاله عاني
سماؤه بالغرام شقت
وورده صار كالدهان
يموت بالفكر ثم يحيا
بالذكر في القلب واللسان

ويستريب الجهول منه
والله يلقيه في امتحان
ولا تراه يعيش الا
في فرط ذل وفي هوان
وان يمت فالجزاء نار
لانه للضلال جاني
وبافتراء وباعتداء
انكر حقا وبامتهان
ولا يضيع الاله شيئا
فكيف ايذاء ذي العيان

وقال أيضاً :

أنا النور المبين ولا أكني
أنا التنزيل يعرفني ابن فني
يضل الله بي خلقا كثيرا
ويهدي بي كثيرا فاستبني
ولكن لا يضل سوي نفوس
بانكار بغت وبسوء ظن
واني الملك والملكوت فضلا
واني صخرة الوادي واني
ولما كنت منه بغير فصل
ولا وصل شهدت الكل مني
أحقق من أريد بعلم حقي
وأسكر من أشاء بخمر دني

واسعد باللقا قوما واشقي
بهجري آخرين وبالتجني
مقامي ليس يحصل بالترجي
وحالي ليس يدرك بالتمني
وما باب الهبات ولا العطايا
بمسدود علي أهل التهني
ولكن القلوب لها عليها
من الأغيار ينشأ كل كن
وبالتوحيد يعرف كل شيء
ويجهل كل شيء بالتثني
هي الابواب قد سدت جميعاً
سوي بابي فدع عنك التعني
وما أنا شاعر وجميع نظمي
بعيد عن مدي شعر المغني
وميز بين الهام وشعر
وصرح بالمقام ولا تكني
ولا تكفر بجهلك في كلامي
ودعه لمن يوحد يامثني
ولا تعجل على مالست تدري
فانك سوف تدري بالتأني
نصحتك فاستطع صبرا معي ان
سلكت عن الروافض نهج سني
تعالى أصلنا عن كل فرع
وجل عن التزوج والتبني
وكل فتي على مقدار ماقد
سقاه بكفه الساقي يغني
وحين رويت عنه روت بصدق
جميع رجال هذا العصر عني

﴿ النارجيل ﴾ هو جنس من هذه الفصيلة يقال له قوقوس أي نارجيل ويسمي النوع المقصود لنا بالترجمة بهذا الاسم أي نارجيل وبالجوز الهندي وجوز الهند وباللسان النباتي قوقوس نيسفيرا وهو نبات مسكنه بين المدارين وهو من أجل أشجار الكون لنفع جميع أجزائه في احتياجات الناس اذ بدونه لاتسكن جزائر الاوقيانوس الكبير الهادي ولا توجد مساكن في المتسع الكبير الاستوائي ولو لم يكن لماتوا جوعا وعريا فلذلك سمي النبات بملك النباتات اذ يخرج منه نبيذ وكؤول وخل وزيت وسكر ولوز وابن وقشدة وحبال وأواني وثياب وزنابيل وخشب. وهو شجر كالنخل من غير فرق الا أن وجه الجريدة فيه الى الاسفل ويقال انه اذا قطع لم يمت ويزرع ثمر الاقضبا وزمن غرسه نزول الشمس في الجوزاء ويثمر بعد سبع سنين وتبقي شجرته نحو ١٠٠ عام ويدرك ثمره اذا

نزلت الشمس الميزان وجذورهذا النبات قليلة التعمق في الارض متقاربة الفروع الكثيرة وطعمها أولا حريف ثم تصير قابضة تستعمل في الهند في الدوسنطاريا المزمنة والاسهالات مسحوقة مع مسحوق الانيسون مدة ٨أيام. وذكروا أن الجذع يعلو ١٦٠ قدما اذا كان قرب البحر وينقص علوه كلما بعد عنه وتتكوّن منه غابات جميلة المنظر فى جزائر بولينسيا والاوقيانوس تأوي اليها السياحون بعد التعب وفقد الزاد وتنفع جذوعها في العمارات والأثاثات وغير ذلك وتحتوي أغصانها الصغيرة في باطنها على نخاع مأكول سكري مقبول الذوق واذا كمل تكوّن السوق كان خشبها الذي من الخارج قليل الثخن لكن شديد الصلابة مكونا من ألياف مستطيلة بطول الجذع ويصنع من تلك الاشجار حبال للسفن لكنها أقل متانة من التيل واذا تبقى فى الماء أحسن منها. وأوراق النارجيل تطول من ١٥ قدما الي ١٨ وهي مركبة من وريقات متينة خضراء سهلة الانثناء يصنع منها مايصنع من خوص النخل وكل ورقة محاطة من أول منشئها بنوع شبكة خيطية

هي الليف تستعمل مرشحاومنخلاوتصنع منها ملبوسات وتسقط كل سنة مع الورقة ويبقى منها أثر على الجذع ويستعمل فى بلاد الهند منسوجها القطني لايقاف دم لدغ العلق. والزر الذي ينتهي به الجذع طري لطيف المأكل يسمي أيضاً بالجمار وهو ألطف من جمار النخل ولكنه مثله فيما اذا قطع ماتت الشجرة ويظهر أنه لايستخرج من الجذع الا قليل من نبيذ وينال من ثمره لبن أحسن من ذلك ويقال ان عصارته النباتية تركز في بعض الأماكن فتنال منها مادة سكرية مسودة تربي مربيات. وأزهار النارجيل كثيرة بيض أو صفر قد تؤخذ وتدق فينال منها سائل مائي يكون مشروبا لذيذا يتحول الى خل قوي واذا تفتحت كانت صدرية وقليل منها يتحول ثمارا والا لكانت الثمار عديمة الحصر. والجزء المهم من النبات هو الثمر وهو النارجيل الحقيقي وحجمه كبير ولونه مسود وشكله قريب للتثليث والشجرة يوجد فيها جملة أقناء كل قنو فيه نحو ٣٠ نارجيلة ويخرج النارجيل في غلف ليفية خارجة تسمى بالأفرنجية كير بفتح الكاف أو بستان بفتح الباء

يجهز منه بعد الدق والهرس نوع مشاق لقلفطة السفن وقد تعمل منه أقمشة غليظة وملبوسات وغير ذلك ثم في داخل هذه الغلف غلاف خشبي صلب وهو قشرة الجوزة تستعمل بمنزلة الأواني وتعمل منها أكواب وأصحن تطلى بالأطلية وتزخرف ويقطر هذا الغلاف الخشبي فينال منه دهن شياطي يستعمل في الهند لوجع الاسنان وفحم خملي قطيفي يستعمل في صناعة التصوير ثم في داخل ذلك الجوزة وهي اذا كانت طرية كانت مملوأة بمادة مائية دهنية بيضاء مسكرة وكذا اذا ارتقي الي الشجرة وقد طلع الطلع قبل ن ينشق فيقطع طرف طلعة من طلعها ويلقم كوزا ويعلق بالعرجون فيقطر فيه من الطلعة الي آخر النهار الرطلان والثلاثة والخمسة بحيث يسمع حس القطر من هو في أسفل الشجرة فيخرج في الكوز لبن ثخين حلو عذب يسكر سكرا مفرحا قويا فان ضرب الهواء شاربه طرحه بالارض وان شربه من لم يعتده أو ضعيف المزاج أذهب عقله فان بات ذلك السائل ليلة صار خلا قاطعا أشد من الخل الاعتيادي مهريا للحوم الغليظة كلحوم الجواميس

كذا قال أطباؤنا. وقال ميره لايجني الا الثمر الذي ليس له من نضجه أقل من سنة اذ الثمار والازهار موجودة على الاشجار دائما فتختار والثمار الصغيرة الخضر الغير المغلفة اذا أريد أخذها بوصف كونها شديدة القبض ويستعمل مبشورها في فيضان الدم وتدخل في مراهم تعالج بها الاوذيما فاذا اكتسب الثمر حجمه الطبيعي كان مملوأ بعصارة أي بسائل أبيض يسمى لبن النارجيل بحيث تجعل الثمرة الواحدة منه رطلين ويمكن اخراجه منها بثقب الخروق الثلاثة التي في قاعدتها وذلك اللبن عذب سكري فيه قليل حموضة فيكون مشروبا لذيذا مرطبا في البلاد الحارة التي ينبت فيها ويمكن أن يشرب منه مقدار كبير بدون سآمة بل ذكروا أنه نافع لآفات الصدر وذكر بعض الاوربيين أنه شرب منه ٢٠ زجاجة مسودة في اليوم بدون أن يحصل له أدني كدر وهو المشروب الاعتيادي لمعظم قبائل بحر الجنوب ويقال أيضاً انه مدر للبول وأما ميسون فأتهمه بأنه أحدث أكلا شديدا في الجنوريا وحرض سيلان لوث الخرق بالسواد. ونساء جزائر انتيلة يغسلن

وجوههن بهذا اللبن. وهو قابل لان يتخمر تخمرا كؤوليا بحيث يستخرج منه الكؤول أو الخل . ووجد فيه بالتحليل الكيماوي ماء وسكر وصمغ وكربونات ومريات ملحية وغير ذلك وكلما نضج الثمر اكتسب اللبن قواما وتيبس تيبسا لوزيا من الدائرة الي المركز فيتكوّن في الوسط بين الجزء المتيبس والجزء الباقي على لبنيته نوع قشدة يلذ أكلها بالسكر وماء زهر البرتقان ويبقي في المركز دائما بعض لبن وفي بعض الأحيان لكن مع الندرة يتكوّن فيه جسم بيضاوي متجمد هو نوع باد زهر نباتي أبيض مزرق كالصيني تنسب الاهالي له خواص طبية جليلة ويسمي في بلاد الهند كلابيت أو يقال كلابا ويسميه الاوربيون حجر النارجيل وتباع تلك التجمدات في الصين ويحملونها كالتمائم ويظنون أنها تحفظ من الوقوع في كثير من الامراض واللوزة النضيجة تؤكل فتكون غذاء اعتياديا لأهالى الجزائر النابت فيها الشجر وهى شديدة البياض معتمة يابسة تشبه البندق في الطعم وتؤكل وحدها أو متبلة بالفلفل والخل وتدخل فى الفطائر وغير ذلك ويدخلها أهالي

بلادنا في معاجين يستعملونها في العادة للتقوية ويعدونها في البلاد التي ينبت الشجر فيها عسرة الهضم ومع ذلك هي عندهم أقبل من غيرها ويعمل منها في جزائر أنتيلة مستحلبات ولعوقات وغير ذلك وتقوم هناك مقام اللوز الحلو ويستخرج من لوزة النارجيل دهن اذا كان جديدا جيد الاستحصار دخل فى الأغذية فان عتق أو كان رديء التحضير استعمل للاستصباح. وسكان تلك البلاد يدهنون به فتصير رائحتهم كريهة ولو استعملوا الاستحمام كل يوم . وكذا يدهنون به خيولهم ويستعمل في بلاد الهند لتحضير اللصوقات وغيرها وهو مركب تركيبا كيماويا كما ذكر بعض الكيماويين من دهن زيتى سايح فى العصارة اللبنية يستخرج بالعصر ويتجمد بسهولة ومن ماء وسكر سائل وزلال. ومن الكيماويين من استخرج منه زيتا يتجمد فى ١٥ درجة من مقياس ريومور فيكون ذلك زبدة نباتية وذكر مرسال صنفا من النارجيل يسمى ثمره بالنارجيل الملوكي ويحتوي علي لبن تنسب له خواص مرطبة أعلي من خواص النارجيل الاعتيادي ومن أنواع النارجيل نوع يقال

له نارجيل البريزيل و باللسان النباتي قوقوس بوطراسيا ينبت بالبريزيل وامريكا الجنوبية مع انه لا يوجد أصلاً في الهند الذي هو بحسب الظاهر ينبوع النوع السابق وربما كان ينبوع هذا أيضاً ثم نقل الى أمريكا ووعي فيها. وثمره أكبر من بيض الدجاج بيسير ولونه من الظاهر أخضر ويحتوي علي لوزة أي نواة تؤكل ويستخرج منها دهن أو زبد أبيض رائحته مقبولة يستعمل لتتبيل الاطعمة واذا عتق استعمل للاستصباح و يصح استعماله دواء مرخيا وملطفا. وذكر قوكس أنه يمكن تقليده بالصناعة بأن يصنع من الشحم الحلو الملون بالكركم والمعطر بايرسافلورنسة و يوجد تحت الغلاف الليفي الظاهر لهذا الثمر لحم أصفر زعفراني رقيق عديم الطعم تأكله السودان وتحته قشرة يابسة محتوية علي اللوزة التى ليس فيها خروق كخروق النارجيل الاعتيادي وهذا يدل على أنه نوع آخر غيره وذكر بزون أنه يسيل من قمة هذه الشجرة صمغ شفاف رائحته مقبوله يمكن استعماله في محل الصمغ العربي ونخاع الشجرة يؤكل بالملح كما قال بزون ولم يذكر هذا المؤلف أنه يستخرج منه عصارة نبيذية اذ ثمره أصغر حجما من أن يجهز لبنا (من المادة الطبية)

﴿ النارنج ﴾ هو نوع من أنواع البرتقال وقد استوفينا الكلام على زراعة البرتقان في مادته فلا يحسن بنا أن نعود اليها هنا ولكن يهم قراء دائرة المعارف أن يعرفوا أمورا كثيرة عن فوائد النارنج الصحية والدوائية لأن ذلك يفيدهم افادات ذاتية خصوصا وهذه الاصناف تكثر في بلادهم وتباع بثمن رخيص ويهملها الناس غفلة عن منافعها الجليلة أو يأكلونها أحيانا علي سبيل التنقل ليس الا مع ان فيها من الخواص ما يجب الالتفات اليه . فنريد الافاضة في الكلام وليس أمامنا مصدر أوسع مما كتبه العلامة الرشيدي في مادته الطبية فانه ترجم كل ما يمكن ترجمته مما يتعلق بهذا الموضوع فنعتمد عليه أيضاً في ايراد هذا الفصل .

(الفصيلة النارنجية) تسمى بالافرنجية أورنطياسيه نسبة لجنس منها يسمى أورنطيون وقد تسمي أيضاً اسبيرديه وانموذج هذه الفصيلة هو النارنج والليمون وتقوم من أشجار وشجيرات جميلة المنظر

تحفظ أوراقها في جميع السنة دائما خضرا وتنبت في الاقسام الحارة من العالم القديم والجديد وتلك النباتات تنتشر فيها غدد كثيرة صغيرة حوصلية مملوأة بدهن طيار رائحته ذكية نفاذة وتوجد في سمك الاوراق والكاس وفي النسيج الخاص للتويج وفي الغلاف السميك المصفر المغطي للثمر من الباطن وتلك القاعدة المريحة هي التى صيرت تلك الاشجار رائحية ومنبهه بحيث ان أجزاءها المختلفة تؤثر تأثيرا منبها في البنية الحيوانية وهذا الفعل واحد في جميع نباتات هذه الفصيلة فكما يكون في أوراقها التي لها طعم مر عطري يكون أيضاً في أزهارها الذكية الرائحة وفي القشور المرة الخارجة لثمارها حيث يكون فيها قليل حرافة وعطرية وكما توجد تلك الاوصاف في أجزاء النارنج والبرتقان توجد أيضاً في غيرهما من نباتات الفصيلة ولب ثمار تلك الفصيلة متشابه فى جميع نباتاتها حيث يكون دائما حمضياً تختلف حمضيته بالقلة والكثرة ومبردا مرطبا ففي البرتقان تكون تلك الحمضية مستورة بطعم سكري و بمادة لعابية والعصارة المأخوذة بالعصر من هذا اللب قابلة للتخمر فيخرج منها سائل كؤولي أي نوع نبيذ يستعمل في بعض جهات الهند للشرب عند أهالى تلك البلاد

(نارنج) النارنج قال أطباؤنا هو اسم فارسي. انتهى . ويسمي بالأفرنجية أورنجير و باللسان النباتي ستروس أورنطيوم أي الليمون النارنجي واشتهر عند العرب تسميته بشجر النارنج وشجر البرتقان فاسم الجنس ستروس من الفصيلة النارنجية كثير الاخوة عشري الذكور واسمه آت من بلد لليهود يسمى سترون فأخذ الرومانيون النوع الذي عرف أولا بأوربا وسموه بذلك وهو يحتوي على عدد يسير من الانواع كثرت أصنافها وزادت بالزراعة والفلاحة حتي صارت زينة للبساتين في البلاد الحارة لجمال أوراقها البسيطة البيضاوية المتتالية البذور فيها نقط شفافة ناشئة من وجود حوصلات مملوأة بدهن طيار وخصوصاً للمعانها حتى كأنهامدهونة بطلاءزاه وخضرتها الدائمةوذكاوةأزهارها ومنفعة ثمارها اللطيفة وأصلها من الصين وجزائر الهند والجزائر المتفرقة فى وسط الاوقيانوس الهادي واستنبتت بكثرةفي جميع الأقاليم حتى في الأماكن الباردة

باحداث حرارة صناعية حولها وأنواع هذا الجنس أشجار وشجيرات مريحة ودائما خضر ومنظرها جميل وأوراقها متعاقبة بسيطة كاملة أو مسننة وعديمة الزغب ومفصلية في قمة ذنيب بسيط أو متسع على شكل أجنحة في جوانبها وكثيرا مايوجد في قاعدة أوراق الانواع البرية وبعض الانواع المستنبتة شوكة مستطيلة تختلف خشونتها وكأنها أذين وحيدة الجانب والازهار في الغالب بيض أو وردية متوسطة العظم ويتصاعد منها رائحة شديدة الذكاوة وتنضم غالبا جملة منها مع بعضها في طرف الأغصان الصغيرة والثمار فيها جميع مايمكن من التنوعات أي من مقدار الكرز الي رأس الطفل وأما شكلها فيختلف أيضاً بحيث يتعسر شرحه بالضبط ولكن تلك الثمار اذا وصلت لتمام نضجها كان لونها من الظاهر أصفر زاهيا والتنوع الذي يستدعي وضع أسماء مخصوصة لها يؤخذ أصله من الألوان الأوليه الأصلية التى يتشكل بها الطيف الشمسى وطعم المنسوج اللبي يختلف كثيرا باختلاف الانواع والاصناف ولكن الغالب كونه حمضيا كثيرا أو قليلا بسبب وجود حمض مخصوص فيها وسمي لأجل ذلك بالحمض الليموني وقد يكون الطعم السكري متسلطا كما في البرتقان الحقيقي وقد يتسلطن الطعم الحمضى وفي بعض الانواع يكون تفهاً وفي بعضها يكون مرا وغير ذلك وقد ذكرنا أن أنواع هذا الجنس قليلة ولكن يعسر تعيين صفاتها بالضبط نظرا لكثرة الاصناف التي حصلت لكل نوع منها بالزراعة في الأزمنة السالفة الى الى الآن وقد اشتغل المؤلفون بتحديد ذلك وسيما العالم النباتي المسمى ريصو بكسر الراء فاختار أولا في رسالة ألفها خمسة أنواع : الأول سماه ستروس ميدكا واليه تنسب النباتات التى تسمى سدرات أو سدروت وأصله من آسيا واستنبت قديما في جنوب أوربا الشمالية والثاني ستروس لميطا بكسر اللام وفتح الميم واليه تنسب نباتات البرجموت ولمتيير أي الليمون الحلو وأصله من آسيا واستنبت بايطاليا والثالث ستروس ليمونيوم وأصله من آسيا واستنبت بأوربا الجنوبية وينسب اليه أصناف الليمون أو السترون والرابع ستروس أورنطيوم وينسب له جميع أصناف البرتقان الحلو وأصله من الهند والخامس

ستروس وبجارس وهو المسمى بيجرد أي الكباد وينسب اليه أصناف البرتقان الذي ثمره مر. واختار تلك الانواع الخمسة دوقندول . ثم ألف ريصو كتابا آخر ترك فيه هذا التقسيم واختار ثمانية أصول رئيسة وتبعه ريشار في القاموس الطبيعي فذكر أصناف النارنجيات الكثيرة الوجود في البساتين فأولا أورنجير ذو الثمر العذب وثانيا بيجرديير أو أورنجير ذو الثمر المر وثالثا برجموتيير ورابعا لمتيير وخامساً بمبلموس وسادسا لومي وسابعاً ليمونيير وثامنا سدرتيير. ولنخص كل واحد منهما بفصل مخصوص وقبل أن نشرع في ذلك نذكر تقسيم ميره

قال هذا الماهر : هناك نوعان رئيسان أحدهما أورنجير المسمى عند لينوس ستروس أورنطيوم وأزهاره بيض من الظاهر والباطن والاوراق لها ذنيب مجنح والذكور ٢٠ تقريبا والثمار كرية ولحمها عذب وقشرها رقيق محمر غير ملتصق. وثانيهما سترونيير أي ليمون ويسميه لينوس ستروس ميدكا وأزهاره بيض من الباطن وحمر من الخارج وأوراقه عديمة الذنيب والذكور من ٣٠ الي ٤٠ والثمار مستطيلة ولحمها حمضى وجلدها يختلف ثخنه وهي صفر زاهية ملتصقة فالنباتات الليمونية تنقسم الى ٣ أقسام ثانوية الاول ليمون وبالافرنجية سترون وهو عند ريصو ستروس ليمونيوم وثمره مستطيل وقشره أملس رقيق ولبه شديد الحمضية. والثاني سدرات وهو داخل فيما سماه ريصو ستروس ميدكا وثمره مستطيل وغير مستو وقشره ثخين جدا ولبه حمضى. والثالث برجموت وسماه ريصو ستروس لميتا وثمره كري صغير وقشره متين ولبه عذب . وأما النباتات البرتقانية فلا يعرف لها الا أصلان رئيسان أحدهما البرتقان الحقيقي الذي سماه ريصو ستروس أورنطيوم وثمره كري وقشره رقيق أملس ولحمه عذب وثانيهما الكباد المسمى بالافرنجية بيجرد ويسمي عند ريصو ستروس وبجارس وثمره كري وقشره رقيق خشن ولحمه حريف مر. ويوجد لهذه الاصول أصناف كثيرة سموها بأسماء مختلفة لكن اهتمام الاطباء بها قليل ثم مع الاشتغال الكثير للنباتيين لم يزل هناك اشتباه واختلاط في تلك الانواع والاصناف

(الفصل الاول في النارنج والبرتقان)

النارنج ومعه البرتقان بل الشرح المذكور هنا شرح شجره تسمي بالأفرنجية أورنجيير وثماره أورنج واسم النبات باللسان النباتي ستروس أورنطيون

(صفاته النباتية) هو شجر جميل يكون دائما أخضر وجذعه أملس اسطواني متفرع حتى من قاعدته أحيانا وأوراقه متعاقبة وحيدة بيضاوية تكاد تنتهي بطرف دقيق وهي كاملة خالية من الزغب لامعة من وجهيها واذا وضعت بين العين والضوء شوهد فيها نقط صغيرة شفافة هي حوصلات مملوأة بدهن طيار مقبول الرائحة وتلك الأوراق مفصلية مع الذنيب الذي طوله تقريبا قيراط مجنح من حافتيه والازهار بيض كبيرة على هيئة باقات لكن بعدد يسير فى أطراف الأغصان ويتصاعد منها رائحة ذكية معروفة لكل أحد والكاس قصير جداً مسطح ذو ٥ أسنان عريضة حادة والتويج ذو ٥ أهداب تقرب لأن تكون ناقوسية والأهداب ايلبسية مستطيلة منفرجة الزاوية عديمة الحامل فيها سموكة ولحمية قليلا وفيها جملة غدد حوصلية شفافة والذكور نحو ٢٠ نصفها أقصر من التويج وهي قائمة متقاربة لبعضها بجوانبها ويقوم منها أنبوبة واسعة من قمتها وهي مندغمة كالذكور حول قرص سفلي الاندغام على شكل حوية تحت المبيض والاعصاب بيض منضغطة قليلا ومنضمة ملتصقة اثنين أو ٣ معاً والحشفات مخفية في باطن الزهرة قلبية الشكل حادة وعضو الاناث مركزي طوله نحو طول الذكور والمبيض بيضاوي يقرب للكرية ذو ٨ أو ٩ أو ١٠ مساكن يحتوي كل منها علي بزرات عددها من ٤ الي ٦ مرتبطة بالمحور والمهبل غليظ جداً اسطواني منته بفرج ثخين مستدير كري مصفر القمة قليلا والثمر هو المسمي برتقان أو نارنج مستدير فيه بعض انضغاط ولبه عذب سكري فيه بعض حمضية . فالمسمي نارنج اماحلو واماما لح والحلو كثير السكرية قليل الحمضية جدا والمالح كثير الحمضية قليل السكرية وهذا النبات أصله من الهند والصين وانتقل من هناك الي بلاد العرب ومصر والشام ثم الى ايطاليا وبروونسة الى أمريكا قال ميره ويظهر أنه كان غير معروف للرومانيين وانما كان عندهم الليمون واستنبت بفرنسا فى القرن الحادي عشر العيسوي وما زالت

زراعته تمتد شيئاً فشيئا حتى صار كما هو الآن لكن ذكر ريشار في القاموس الطبيعى أن النارنج كان معروفا في الخرافات القديمة حيث نمت تلك الاشجار كما قيل في بستان اسبيريد التى هي مدينة قديمة يوجد من آثارها برقة ويقال ان أكثر الشعراء خرجوا منها ولذا سُميت الفصيلة اسبيردية أيضاً . وذكر فى التاريخ القديم الخرافي ان من أعمال هركول أنه أخذ من بستان اسبيريد واختلاف العلماء في محل هذا البستان الشهير فبعضهم جعله في الجزء الغربي من أفريقية بقرب جبل الأطلس وبعضهم جعله في مورتاني ولكن الغالب كونه في جزء أفريقية المبتل بمياه البحر المتوسط وعلي رأي سلسيوس أن النارنج انتقل من جبال مورتاني الي ميديا ومن هناك الى بلاد اليونان وايطاليا واستبعد بوري مجيئه من آسيا الي أقاليم البحر المتوسط وانما كان مجيئه من اسبيريد ونظر في قناريا ومادير فعلم أن النارنج تطبع هناك اذا لم يكن أصله من هناك وأما البرتقان ذو الثمر العذب فاتفق المؤلفون على أن أصله من الاقاليم الجنوبية الصين وجزائر بحر الهند ومريان ومن

جزائر متفرقة في الاوقيانوس الهادي وأغلب المتأخرين يقولون ان البرتغاليين هم الذين أدخلوه أوربا ولعل هذا هو السبب فى تسميته برتقان لأن هذا الاسم غير عربي وغير موجود فى كتب اللغات وهم يقينا انتشروا في الجزائر المذكورة ورسوا عليها ولذا توجد الى الآن أشجار برية من الليمونيات في موريس ومسقرنيو وغيرهما وزعم بعضهم أن العرب هم الذين أدخلوه بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وايطاليا ومهما كان فقد استنبت الآن جيداً وتطبع في الاقسام الجنوبية من أوربا بل تطبع أيضاً بجزائر أنتيلة وأمريكا الجنوبية وأفريقا الشمالية واستنبت بفرنسا وايطاليا واسبانيا أي الاندلس وبلاد اليونان ولكن هو كثير جدا ببلاد الاندلس وما حاذاها حيث تتكوّن منه هناك أشجار كبار تحصل منها غابات حقيقية و بساتين جليلة كبيرة نشأت منها ثروة أصحابها ولم يزل بقرطبة أشجار منها في أراض كانت بساتين لملوك العرب الذين ملكوا تلك البلاد حتي ان منها ماعمره من ٦ أجيال ٧ ولما أخذ جذعها في الاضمحلال اضطر لاسناده ببعض

فروع من الأشجار كذا ذكره بوري وذكر أيضاً أن شجر البرتقان لا يكون مناسبا لشئ من أنواع الحزاز فقشره لايتحمل نوعا منه وأجود البرتقان ذو الثمر الحلو يكون عندنا رقيق القشر أملس لامعاً عظيم الحجم وكذا يكون في مالطة وبلاد البرتغال. وأما برتقان أسور فهو صغير ولكن مع الجودة وأما مايكون ثخين القشر خشنه فيندر كونه جيدا . ولحم البرتقان قد يكون أحيانا ملونا بلون أحمر نبيذي وما يكون كذلك يكون أكثر حلاوة وهذا موجود ببلادنا والكلام على ثمار البرتقان حقه أن يذكر فى المعدلات ولكن حيث أردنا استقصاء أجزاء النارنج والبرتقان وغيره من هذه الفصيلة هنا فلا لوم وكلما دخلنا في رتبة من رتب الادوية يناسبها شئ من تلك الاجزاء نحيل علي هذا الموضع فاذن نقول البرتقان ثمر جليل طعمه سكري ممزوج بطعم حمضي مقبول جدا مرطب ومن خصائصه حفظه زمنا ما بحيث يسهل نقله لمحال بعيدة فلذا يمكن وجدانه في جميع البلاد ولكن الذي يراد نقله لمحال بعيدة يلزم اجتناؤه قبل تمام نضجه حتى قالوا ان ماينقل من

برووانسة الي باريس في شهر ديسمبر ليباع في الايام الاول من السنة يكون أخضر بالكلية حينما يوضع فى الصحارات

(قشر ثمار النارنج والبرتقان) نعني بذلك القشرة الظاهرة للثمر أي جزء الثمر الاصفر المتغري حسب الامكان من المادة البيضاء العديمة الفعل الموجودة تحته وتلك القشرة غير مستوية أي خشنة فيها غدد مملوأة بدهن طيار ويكفي هرسها بين الاصابع لينقذف منها هذا السائل القابل للالتهاب بعيدا عنها وينال هذا الدهن من تلك القشور بتمزيق الخلايا المحوية عليه ويجني مايسيل منها وقد يستخرج منها أيضاً بالتقطير في الماء ويسمي الدهن الطيار النارنجى أو البرتقاني

(صفاته الطبيعية) هذا القشر يكون علي شكل قطع مسطحة صفر قاتمة خشنة مقطبة من وجه وذلك ناشئ من وجود العدد الكثير من الغدد المحتوية في حالة الرطوبة على مقدار كبير من الدهن الطيار وطعمها مر عطري حار لذاع ورائحتها مقبولة جدا

(خواصها الكيماوية) يحتوي اهذ

القشر كما علمت على دهن طيار كثير محوي في حوصلات كثيرة تصيره شفافا وكالمنخل وذلك الدهن قريب الشبه من دهن الازهار ولكنه أنقى منه واذا ضغط على القشر تجاه شعلة ضوئية احترق الدهن الخارج منه ناشرا رائحة مقبولة وكذا يحتوي القشر على مادة شديدة المرار والماء والكؤول يأخذان قواعده الفعالة ويستخرج الدهن الطيار من قشر ثمار أنواع النارنجيات باحدي طريقتين فتارة بالتقطير وتارة بالعصر وتقوم هذه الاخيرة من تحويل الجزء الأصفر من القشر الي لب بالحك الناعم بمحكة ثم تعريض ذلك للضغط في منسوج من الشعر فينال سائل ينفصل الي طبقتين احداهما سفلى مكونة من ماء و بعض بقايا وثانيتهما عليا هي الدهن الطيار الذي يكون ملونا دائما وذكي الرائحة جدا أكثر من الدهن المستخرج بالتقطير وهو قليل النقاوة لأن في محلوله بعض أجزاء ثابتة وبذلك لايكون أهلا لازالة النكت من الثياب لأن الدهن وحده يتصاعد وتبقى المادة الملونة ثابتة على المنسوج (انظر مبحث الليمون)

(تحضير القشر) يجفف قشر البرتقان أو النارنج بعد تعريته حسب الامكان من الجوهر الابيض المغطي لسطحه الباطن

(الجواهر التى لاتتوافق معه) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(الاستعمال) هذا القشر الكثير العطرية الحار الطعم يدخل في كثير من المستحضرات الاقرباذينية ويعمل منه منقوع بأن يؤخذ منه جافا درهم أو ٢ م لأجل ٢ ط من حامل مغلي وقد ركب من هذا المغلى شراب يقال له شراب البرتقان وهناك فرق عظيم بين تأثير هذا الشراب وشراب ماء زهر البرتقان . قال بربيير شاهدت استعمال الشراب الأول جملة مرات غلطا عن الشراب الثاني فحرض احتراقا مؤلما في القسم المعدي بل وفي الصدر وقلقا وضجرا وأحدث قيأ مع ان شراب ماء الزهر لم ينتج شيأ من هذه العواض والدهن الطيار المحوي في هذه القشور يفيدها خاصة التنبيه فأجزاء هذا الدهن تؤثر في المنسوجات الحية فتثير الحركات العضوية ولا تنس

فعل هـذه القوة المؤثرة اذا دخلت تلك القشور في تركيب أقرباذيني ولو عـلى سبيل التعطير وكلما كان القشر أرق كان أعظم اعتبارا وكان شحم البرتقان المغطى به أجـود ويجفف القشر ليوضـع فى العطريات وفي مشروبات الموائد المشهورة بأنها مقوية للمعدة ومهضمة وطاردة للريح واشتهر كونه مضادا للديدان وغير ذلك ويدخل فى الشراب المضـاد للحفر وفي الروح الطارد للرياح لسلفيوس وفي الصبغة المقوية للمعدة وغير ذلك ويربي وتعمل منه عجائن وغير ذلك وذكر أطباؤنا أن قشر الثمر الخارج اذا جفف وشرب منه وزن درهم ونصف بمـاء حار أزال مغص الفـؤاد حالا وسكن القيء والغثيان واذا شرب مع زيت وماء حار أخرج الدود الطوال واذا نقعت القشرة وهي رطبـة في دهن وسيما الشيرج وشمست ٣ أسابيع نفعت في كل ماينفع فيه دهن الناردين واذا شرب منه مثقالان نفع من لدغـة العقرب وسائر نهش الهوام الباردة السموم وكذا حبه نافع من سموم الهـوام كما أن الجذور الدقاق للشجرة اذا جففت وسحقت وشربت بشراب كانت من أنفع الأدوية النافعة من السموم الباردة القـاتلة والاوربيون يسمون باسم أورنجيت أي النارنج الصغير أو البرتقان الصغير ثمـار النارنج أو البرتقان التى تجني بعد تكونها بزمن يسير وقبـل أن تبلغ مقدار حجم الكرز وأكثر ماتجني من الثمار الساقطة بعد تزهرها بزمن يسير وطعم تلك الثمـار مر عطري وفيها خاصـة التقوية والتنبيه واضحة وتقوم مقـام الحمض في التغيير على جرح الحمصة ولا تستعمل فى فرنسا الا في ذلك. أما في انكلترة فتستعمل كقشر النارنج وتدخل في تركيب كثير من الأدوية ويستخرج منها بالتقطير دهن طيار يسمى بدهن النارنج الصغير وخشب النارنجيات صلب مندمج معرق معروف وقابل للصقل الجيـد ويعمل منه شبه حمص صغير للحمصة يستعمل كاستعمال الثمار الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال للقشر)

مقدار مسحوقه من نصف درهم الي درهمين ومنقوعه من درهمين الى ٣ لأجل رطلين من المـاء المغلي ومنقوعه المركب يصنع بأربعة غرامات من ذلك القشر وغرامين من مطبوخ قشر الليمون الرطب وغرام

من القرنفل و ١٢٨ من الماء المغلي والمقدار للاستعمال من درهم الي ٤ دراهم يكون ذلك مرتين أو ٣ فى اليوم والصبغة النارنجيـة تعمل بأخذ ٣ من القشر و ٣٢ من الكؤول والاستعمال من درهم الي درهمين والمـاء الليموني النارنجى من أوقية الى ٤ والشراب النارنجي من أوقية الى أوقيتين والمعجون النارنجي يصنع بأخذ غرام من قشر النارنج الرطب و ٣ من السكر والاستعمال من درهمـين الى ٤ والدهن الطيار للقشر من نقطتين الي ٦ نقط والدهن السكري النارنجى مثله ثم ان أوراق النارنج والبرتقان وازهارهما يلزم ذكر مايعلق بهما من مباحث العلاج في مضادات التشنج ولكن أردنا استيفاء جميع أجزاء النارنج هنا واذا وصلنا لمضادات التشنج نحيل الكلام في تلك الاوراق والازهـار علي ماهنا

(أوراق النارنج والبرتقان) قدعلمت أن رائحة هذه الأوراق عطرية تتصاعد منها وتزيد اذا دلكت بين الاصـابع وطعمها حارمر وهي مملوأة بغدد حوصلية تشاهـد اذا وضعت بين العين والضوء ويدخل في تركيبها أيضاً مادة خلاصية ومادة تنينية ويلزم أن تجني وهي في أعظم خضرتها ويطرح منها ما كان متغيرا وما كان عتيقـا علي الشجر وما يسقط بنفسه ويلزم أن تجفف منعزلة عن بعضهـا في محل يضطرب فيه الهواء في الظل وصناعة العلاج تجد في هذه الاوراق خاصة مزدوجة فيوجد فيها أولا قوة منبهة آتية من دهنها الطيار وثانيا قوة مشددة أي مقوية عامة يظهر انها ناشئة من المواد الأخر ويلزم أن ينسب لفعل هاتين القـوتين المنافع التى تنال من استعمال تلك الاوراق في ضعف المعدة و بطء الهضم وعـدم انتظامه ونحـو ذلك ويكتفي عادة في في تلك الاحوال باستعمال منقوعها وحده قبل الأكل أو مع النبيذ عند الأكل فهذا الدواء يقوي وينبـه عضو الهضم فيزيد في فاعليته وشدته في آن واحـد وتستعمل تلك الاوراق كثيرا في الامراض العصبية فبعض أكواب من منقوعهـا كثيرا ماتنجح لازالة ثقل الرأس المصاحب لضعف القوي العقلية والأدبية والكسل وغير ذلك ومن المعـلوم يقينا أن تجربة منافعها صيرتها دواء عاميا أي مستعملا عند العامة من غير استشارة الطبيب في

كثير من الآفات الحيوية والتقلصات الاستيرية أي الاختناقية والتضايقات الوقتية والخفقانات القلبية والهبوط العصبي والآلام والتضايقات المعدية ونحو ذلك مع أنه يظهر من حال الاعضاء التى تظهر فيها تلك العوارض أنهاسليمة وانما التأثير الغير المنتظم للنخاع المستطيل وللامتدادات الفقرية وخصوصا للاعصاب العقدية هو الذي كدر الحركات الاعتيادية لتلك الاعضاء وحرض الافعال الغير المنتظمة الحاصلة منها فاذا كان هذا التغير في التأثير العصبي ناشئا من سبب خفيف بحيث يكفي لاذهاب هذا السبب تنبه يغير الاستعداد الحاضر للجهاز المخي الشوكي كانت تلك الاوراق دواء قوي الفعل لكن أليس لتلك الاوراق في تلك الحالة فعل خاص على المراكز العصبية ؟ أفلا ينسب لها هذا الفعل الذي أرجع هذه المراكز لحالتها الاعتيادية وصار حينئذ هو الخاصة المضادة للتشنج ؟ فاذا كانت هذه العوارض ناشئة من عمل التهابي في بعض محال من أغشية المخ أو النخاع الشوكى أو الجوهر النخاعي للنصفين المخيين أو الامتدادات الفقرية فان تلك الاوراق لاتناسب حينئذ بل تولد ظاهرات جديدة عصبية يبعد أن تسكن الاعراض الموجودة فالتهيج البسيط في الجوهر النخاعي للمخ والنخاع الشوكي يغير النتائج التي تنتجها في العادة أوراق البرتقان قال بربيير شاهدت أن هذه الاوراق بتأثيرها في الرأس سببت هيئة سكر وأعراضا غريبة في النساء المختنقات اللاتي يستشعرون بعمل التهابي في المخ وحصل لهم على طول السلسلة الفقرية آلام سعت للقسم المعدي وتضايق يظهر أنه حاصل من الحجاب الحاجز ووخزات منتشرة مبهمة في الصدر وفي البطن ونحو ذلك وشاهدت أن كوبا من منقوع هذه الاوراق المقوي المتحمل حصل منه اضطراب وحالة سبات وهيئة اندفاع توجه للقلب والرأس وكانت مصاحبة لحرارة قوية لكن هذه النتائج لاتحصل الا للاشخاص الموجود فى مراكزجهازهم العصبي حساسية متزايدة وحالة مرضية لاتشاهد في الاشخاص الذين جهازهم المخى الشوكي فى حالةاعتيادية ولواستعملوها بمقدار كبير كما تيسر لي تأكيد ذلك فى البحث عن دواء مضاد للحمي في تلك

الاوراق حين أعطيت مسحوقها بمقدار درهمين في مرة واحدة. وقال بر بيير أيضاً أستعملوا تلك الاوراق علاجا للصرع وظنوا أنهم وجدوا منها دواء مضادا لهذا لهذا الداء. وأقول قد اتضح نجاح أحوال تأكد فيها الوثوق بتلك الاوراق في هذا الداء عند بعض الاطباء ففي جميع المصروعين الذين باشرت أحوالهم انتهى الحال معي بكشف آفة دائمة فيهم وتلك الآفة هي التي حرضت الآفات النوبية التي ينسب لها النوب الواصفة للصرع ويمكن أن تكون تلك الآفة التهابا مخياً جزئيا أو ورما في أحد عظام الجمجمة أو ورما ناميا في الأغشية المخية ضاغطا على الجوهر المخي أو درنا أو خراجا في ذلك الجوهر أو نحو ذلك ويمكن أن يكون مجلس تلك الآفة في القلب اذ كثيرا مايشاهد في المصروعين ضخامة البطين الأيسر أو اتساعه واتساع الفتحة الاورطية ولكن في وقت النوبة تظهر آفات أخر فتحصل في الضفائر العصبية للعظيم الاشتراكي تركزات حيوية تثير فيها نوع حركة تذهب من القسم الحجابي الحاجزي الي الصدر فاذا نفذت في الجمجمة حصل في القسمين المخيين احتقان دموي وغير ذلك في الآفة التي تعالج بتلك الاوراق من تلك الآفات. نقول هي لا فعل لها في معظم الآفات المستدامة التي توجد في المصروعين لكن يمكن بتلك الاوراق التحرس من ظهور الآفات النوبية فتمنع حصول النوب. والعظيم الاعتبار هو المقدار المستعمل من تلك الاوراق الموجهة قوتها المؤثرة لمعالجة الصرع والتشنجات فاذا اختير مسحوقها استعمل منه كل يوم من درهمين الى أوقية بلوعا أو معجونا فاذا اختير مغليها وضع مقدار من ٣٠ الي ٣٦ ورقة بل أكثر وتغلى في لتر ونصف من الماء حتي ترجع الي لتر واحد ويشربه المريض في مدة النهار واستعمل بعض الاطباء ١٢٠ ورقة في ٣٠ أوقية من الماء واضاف لهذا المغلى شيئا من نبيذ أحمر وسكرا ومن المعلوم جيدا أن تلك الاوراق اذا استعملت بمقادير كبيرة فان الفعل أي التأثير الحاصل منها يكون عاما فقواعدها تصير المخ والامتداد الفقري في حالة جديدة وتقاوم في كثير من الأحوال الاندفاعات التي تخرجها عن الانتظام

وتمنع تولد الآفات النوبية. وقبل أن يعرض المصروع للعلاج بأوراق البرتقان كثيرا مايضطر لتهيئ جسمه وللتحرس من الاخطار التي يمكن أن تصدر من تنبه فجائي شديد في جميع المنسوجات العضوية فاذا كان ممتلئا عولج بالفصد المناسب وكثيرا مايضطر للاستحمامات ونحوذلك ولا تنس أنه يلزم غاية الاحتراس في علاج الآفات العصبية والتشنجية ونحو ذلك اذا انحط الرأي على ايقاف سير العوارض المرضية أو ازالة شدتها بدواء من الأدوية اذ هذه الامراض تكابد بطبيعتها ترددا وتقطعاً بدون معرفة سبب ذلك فيلزم خصوصاً في الصرع والتشنجات والتقلصات ونحوها أن لا تنسب التحسينات التى تعرض مدة استعمال الدواء الطبي لذلك الدواء وانما تنسب للطبيعة وحدها ومعناه أن نسبتها للدواء المستعمل مشكوك فيها. قال بربيير أيضاً قد استعملت مسحوق هذا الدواء كدواء مضاد للحمى فرأيت أن مقدار درهمين في نصف كوب من نبيذ أو من ماء سكري سبب أولا ثقلا فى القسم المعدي وضيق نفس وقطع الشهية وأثار القاس والقرف من الأغذية مدة ساعات وما شاهدت منه الغثيان والعطش الا نادرا ثم عرضت قولنجات وحركة فى البطن بدون استفراغ ثفلى وحصل لبعض المرضى في اليوم التالى اسهال ولما أعطيت هذه الاوراق بهذا المقدار لم يتحرض منها ظاهرة مخية ولا تكدر في ممارسة الحواس ولا في الادراكات ولا في القوي العقلية وأوراق البرتقان أو النارنج واسطة ضعيفة في علاج الحميات المتقطعة فاستعمالها يكاد لايحدث تنوعا في النوب وزيادة علي ذلك أن المقدار اللازم اعطاؤه في ذلك كبير جداً بحيث يعسر تناوله فتقذفه المرضى ويكرهون استعماله انتهي.

(الأجسام التي لاتتوافق مع تلك الأدوية) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكاس

(المقدار وكيفية الاستعمال) قد علمت مما سبق ان أوراق البرتقان والنارنج تستعمل مسحوقة بمقدار من ١٢ قمحة الى غرام بل أكثر في مرة واحدة واذا أريد منها نتيجة عامة استعملت بمقدار درهمين الى نصف أوقية ومنقوعها يصنع بمقدار درهمين لأجل رطلين من الماء

وكذا مغليها أي مطبوخها الا أن المطبوخ لايحتوي الا على يسير من جزئها العطري وانما يوجد فيه بالأكثر قواعدها المرة وأما المنقوع فيحتوي على جميع الجزء العطري ولذا كان أعظم. وكثيرا ماتجمع مع الزيزفون والمياه المقطرة للأوراق مثل المياه المقطرة للازهار كما أن معظم مستحضرات الاوراق كالأزهارسنذكرها في مبحثها الآتي على الأثر

(أزهار النارنج والبرتقان) هي أزهار النبات المسمي ستروس أورنطيوم كماسبق وهذه الاهداب الزهرية المتعرية عن الكاس وغيره من أجزاء الزهرة شديدة الرائحه وفيها مرار يسير والعطر المتصاعد منها معدود من أجلّ الاعطار المعروفة لكن لاينبغي استنشاقه في بيت صغير مغلق وسيما في الليل خوفا من الاختناق ويجني ذلك الزهر طريا لاجل استعماله لانه اذا جف فقدجزءا عظيمامن عطريته بحيث لا يعرف حينئذ وفي البلاد الحارة لايكون لاجتناء الازهار وقت معلوم فقد تجني في معظم السنة لكون الشجرة تحمل منها دائما كما تحمل من الثمار كذلك فلذا لايجني الا جزء من تلك ويترك الباقي على الشجرة ليصير ثمرا كاملا أما في أوربا فلا ينضج من تلك الثمار الا يسير. كذا قال أطباء الاوربيين مع ان اجتناء الازهار له في بلادنا وقت معلوم وهو أوائل الربيع ويجمع من تلك الازهار الساقطة تحت الشجر مقدار كبير يجمعه الزراعون ويبيعونه للتعطير ولا يأخذون مما على الشجر الا اليسير بل لايأخذون شيئا وذكروا ان الشجرة في نيس من أعمال ايطاليا قد يؤخذ منها من ٢٠ الي ٣٠ رطلا من الزهر ويؤخذ منها من نضيج البرتقان ألف وربما ارتفعت الشجرة هناك من ٤٠ الى ٥٠ قدما فرنساويا ويقال ان في فينال من أعمال ايطاليا أيضاً قد يؤخذ من الشجرة الثمار من ٥ آلاف الى ٦ آلاف في السنة

(الخواص الكيماوية) يستخرج من زهر البرتقان أو النارنج بالتقطير ماء مقطر تختلف صفاته باختلاف البلاد الآتي منها فمنها مايكون فيه دهنه ومنه مالا يكون فيكون صافيا شفافا واذا سد بخشب الخفاف حمض وفسد وصارشديد المرار وأكد هنري أن الماء المقطر

بالبخار لايحمض ولا يرسب منه ندف ولا ينفصل منه دهنه بل يبقي محفوظا جيدا وذكر رويل أنه يمكن تحضير هذا الماء في كل وقت ويكفي لذلك تحويل الزهر الي عجينة في ربع وزنه من الملح عند اجتنائه ويجعل ذلك المخلوط في قنينة يؤخذ منها عند الحاجة فيمكن تقطير هذه الازهار بعد جملة سنين فيكون الماء ذكي الرائحة كما يحضر من الازهار الرطبة وأكد ذلك سفلبير أيضاً

(الاستعمال) الفعل المنبه للأزهار قليل الشدة ولكن يؤثر تأثيرا واضحا علي المجموع العصبي كتأثير مضادات التشنج فيستعمل منقوعها ومقطرها لمقاومة الآفات العصبية والأكثر استعمال مائها المقطر فيستعمل هذا الماء المر الطعم وحده كثيرا بالملاعق الصغيرة أو يضاف على مشروبات المرضي وقد يكون هو الحامل فى كثير من الجرعات ويخدم أيضاً لتعطير المربات والسكريات والمياه السكرية التى تستعملها الناس بعد الأكل لتقوية الهضم أو لدفع التكدرات الوقتية فتصير بذلك تلك المشروبات نافعة مقبولة وقد يحول ذلك الماء الي شراب ويركب أيضاً من هذه الازهار عنبري مقبول وكؤولات وتلك الازهار تحتوي على دهن طيار لطيف ثمين أشقر اللون حريف قوي الرائحة ينال بالتقطير ويسمى في بيوت الأدوية بدهن زهر النارنج والبرتقان (دهن نيرولي) ويحتوي هذا الدهن علي رأي بليصون على مادة قابلة للتبلور يمكن أن تعد فى الأجسام الدسمة ولها خواص تميزها عن الاجسام الشبيهة بها مثل امبريئين وقولسترين وغيرذلك. كذا قال ميره وقال سو بيران النيرولي أي دهن الزهر يحتوي على دهن صلب قابل للتبلور كشفه بليصون وسماه أوراد وفصله بوضع النيرولي فى الكؤول الذي فى ٨٥ من مقياس الكثافة لجيلوساك وتركه ساكناً مدة أيام. انتهى . ووجد بوليبه فى تلك الازهار غير الدهن الطيار قاعدة صفراء مرة تذوب في الماء والكؤول ولا تذوب في الاتير ومادة صمغية وزلالا وخلات الكلس وحمضا خليا زائد المقدار وتحقق بلنش انه يوجد فيها كبريت كما وجد بوليه أيضاً في هذا الدهن المادة المذكورة التي تتجمد وتصير دسمة كبياض القيطس أي من السمك وليس لها رائحة

ولا طعم وهي المادة التي ذكرها بليصون وهذا الدهن الطيار يخدم لتعطير مستحضرات دوائية مختلفة مثل بلسم أبودلدوك وغيره والماء المقطر يؤثر على الاعضاء الحية تأثيرا منها خفيفا فاذا استعمل بالملاعق الصغيرة سكن أو أضعف العوارض التشنجية الناشئة من تغيير تأثير الاعصاب على الاعضاء الرئيسة وأذهب التضايق والقيء والتجمعات الهوائية في الامعاء والقولنجات والخفقانات القلبية وجميع أنواع الحركات التشنجية ونحو ذلك مع ان الأدوية المنبهة الأخر قد لاتنجح في هذه العوارض أفلا ينسب احداث النتائج العلاجية المنالة في تلك الحالة للتأثير المنبه الذي في الماء المقطر المذكور أليس هذا الماء المر محتويا على قاعدة يكون تأثيرها على المخ والنخاع وأعصاب المجموع العقدي هو سبب نجاح علاج تلك الآفات العصبية . والغالب استعمال هذا الماء في الحميات الغير المنتظمة قبل استعمال الوسايط القوية التي فيهاقوة على اذهاب التقلصات والتضايق والضجر والتوتر المؤلم في الحجاب الحاجز فان هذه اعراض تضاعف الداء وتزيد في الاخطار

وهذا الماء يدخل في أغلب الجرعات المضادة للتشنج وفي كثير من المستحضرات الوقتية التي تقاوم بها الآفات العصبية ككثير من المركبات الطبية المدخرة أيضاً كالماء الالهي والملكي والاكسير المقوي للمعدة والمطبوخ الابيض وغير ذلك ويؤخذ ذلك الماء سواء من أزهار النارنج أو البرتقان العذب أو النارنج المر بل يفضل المستخرج من أزهار النارنج المر لأن رائحتها أذكي. وقال أطباؤنا ثم الزهر يقوي الدماغ ويطرد الرياح ويحلل الزكام الخفيف واذا احتمل أدر الطمث وشربه ينفع من لسعة العقرب ويعمل منه دهن يقوم مقام دهن الناردين في جميع خصاله وهذا ألطف منه واذا شرب نقيعه سهل الولادة مجرب. وقالوا انه يستقطر منه ماء طيب الرائحة ذكي مفرح واذا جعل الزهر في الشيرج ٣ أسابيع ناب ذلك الدهن عن دهن الناردين وغيره. انتهى

(المقدار وكيفية الاستعمال للازهار)

تستعمل أهداب الزهر منقوعة أيضاً بمقدار من غرامين الي ٥ غرامات للتر من الماء فيكون هذا المشروب مقويا ومضادا للتشنج في آن واحد وقد يكون

نافعا أيضاً لمقاومة ضعف المعدة والآفات العصبية مع كون هـذا المنقوع مقبولا للشرب جـدا. نعم المستعمل منه عموما ماؤها المقطرفي الآفات العصبية والتشنجية وكيفية تحضيره أن يؤخـذ من الأزهار المجنية جديدا خمسه كيلوغرامات ومن الماء العام المقدار الكافى وتوضع الازهار بدون تراكم على حجاب حاجز مثقب ومهيأ فى الجزء العلوي من القرعة التى يصب فيها قبل ذلك المقدار اللازم من المـاء ويتمم جهاز التقطير ويقطر بالبخار ويتلقي السائل المتكاثف في مرسب لأجل عزل الدهن الطيار منه ويداوم على التقطير حتى ينال من الماء المقطر ٢٠ كيلوغراما وهذا الماءهو ماء زهر النـارنج المزدوج علي حسب الدستور اذا استخرج ٥٠٠ غـرام ماء من ٥٠٠ غراما من الزهر فاذا استخرج من الماء بقدر الزهر ٤ مرات حصل ماء زهر النارنج المربع واذا وضعت الازهار مع الماء البارد كما كان يفعل سابقا ثم علي الكل كان النـاتج متكدرا أما اذا وضع الزهر بعد على المـاء فان النـاتج يكون صافياً ويوصل لذلك اذا قطرت الازهار بالبخار كما ذكرنا. ثم ان الحمض الخـلى الذي يحتوي عليـه ماء زهر النارنج يمر بالتقطير وسيما فى آخر العملية ولأجل منع وجود هذا الحمض فى المـاء حيث يكون خطرا اذا مر هذا الماء في أواني من نحاس ذكر بولبيه أن يخلط كل ٥٠٠ غـرام من الزهر بثمان غرامات من المغنيسيا والمقدار للاستعمال من المـاء المقطر من ٣٠ غراما الي ٥٠ غراما في جرعة ويحضر شراب زهر النارنج بجزء من الماء المقطر وجزء من السكر الشديد البياض والمقدار منه للاستعمال من ٣٠ الى ٥٠ غراما. وأما عطر أزهار النارنج المسمى نيرولي فينفصل على سطح المـاء اذا قطر زهر النـارنج ويحتوي ذلك العطر كما قلنا علي نوعين من الدهن الطيار أحدهما سائل والثـاني صلب سماه بليصون باسم أوراد وينفصل اذا صب الكؤول الذي في ٣٥ درجـة من الكثافة في الدهن الطيار الخـام ويستعمل هـذا الدهن المسمي نيرولى علي السكر بمقـدار من ٢ الى ٦ نقط كدواء مضاد للتشنج ومنقوع زهـر النارنج يصنع كمنقوع الأوراق بمقـدار من ٥ غرامات الى ١٥ لأجل كيلوغرام من المـاء والكؤولات أي الصبغة للأزهار

أو الأوراق أو قشور الثمار ويصنع بأخذ غرام منها و ٤ غرامات من الكؤول الذي في ٢٤ درجة من الكثافة والمقدار للاستعمال من غرامين الي ١٠ غرامات في جرعة

(الفصل الثاني في الليمون وقشره)

الليمون وقد تحذف نونه سماه لينوس ستروس ميدكا وسماه ريصو ستروس ليمونيوم و بعضهم يري أن هذا اسم لنوع غير الأول وانه المسمي ليمونيير بالافرنجية وأما الأول فهو المسمى بالافرنجية سترونيير وقد يسمى بما معناه الليمون الاعتيادي ولكن الاكثر على أن مدلول الاسمين واحد. وهو ينبت طبيعة بالهند ثم حمل الى آسيا وأوربا الجنوبيه ووصل الي جبال البرينيا ويعلو أكثر من شجر النارنج وساقه معتدلة متفرعة تفرعا كثيرا وهي غالبا بنفسجية وتحمل شوكا وسيما في الحالة الوحشية وأوراقه بيضاوية مستطيلة منتهية بطرف دقيق مسننة لونها أخضر مصفر ومحمولة علي ذنيبات مفصلية بدون تجنح في جوانبها والازهار عديدة متوسطة العظم ومهيأة غالبا بهيئة عناقيد ملونة من الخارج بلون أحمر بنفسجي وكأسها قصير ربلأين يكون مقسطحا ذا خمسة أسنان والاهداب ٥ عديمة الحامل والذكور سائبة في الغالب غير ملتصقة بأعسابها على هيئة حزم والثمار بيضاوية صفر زاهية وجلدها رقيق تختلف رقته باختلاف الاصناف وهو أملس وأحيانا يكون ثخينا خشنا وتنتهي الثمار من الاعلي بحلمة مخروطية واللب المحوي فيها مملوء بعصارة حمضية مقبولة ومن تلك الثمار مايبلغ رأس الطفل التام الاشهر وحوصلات الدهن الطيار الذي في القشر مقعرة والمستعمل من النبات ثمره المسمي سترون و بزوره وقشر ثمره المسمي زيست وأصناف هذا النوع كثيرة واستنبتت بالاكثر في حوض البحر المتوسط ويندر وجودها في بساتين البرتقانيات بباريس والفضل في انتشارها لخلفاء العرب الذين امتدت سلطنتهم لعمق آسيا الجنوبية والى جبال البرينيا وتركوا في جميع الاماكن التي كانت تحت أيديهم آثارا مهمة من قوتهم ومعارفهم في الطب والزراعة فشجر الليمون من جملة ما انتشر في الجهات التي استولوا عليها فلذا يوجد في بلاد الشام وفلسطين أشجار منها من أواخر القرون

الحادي عشر العيسوي بل يظهر انه في ذلك الزمن نفسه تضاعف بأفريقة و بلاد الاندلس ويظهر أيضاً أن الحجار بين الذين تصدوا لقتال المسلمين في الحروب المشهورة هم الذين أدخلوا شجر الليمون ايطاليا وسيسليا وقشر الليمون له رائحة جميلة مخصوصة وهو أحد العطريات التي يرغب فيها بسبب مافيه من الدهن الطيار ويحضر من هذا القشر سوائل وعطريات ومربيات وغير ذلك ويصنع منه شراب ويدخل فى المياه الترياقية والمياه المليسية المركبة والماء الملكي وغير ذلك وله يدخل في الاقراص المعدية والاقراص الليمونية والقشر المذكور مقو وطارد للرياح والدهن الطيار المستخرج منه سائل ليموني شفاف رائحته ذكية جدا واذا نيل على البارد ونقي كان عديم اللون وينفع للتعطير ويدخل في صناعة عمل الأرواح وفي أعمال بيوت الأدوية وفي بعض الترياقات وغير ذلك. ويستعمل ضد الدود القرع. والدهن المستخرج بالتقطير يكون أقل ذكاوة ويخدم لازالة الشحم من الخرق والثياب والدهن الليموني يتحد بالحمض المرياتي ويتكون من ذلك شبه ملح يصح أن يسمى مريات ليموني. و بزر الليمون حريف مر يقال انه مضاد للديدان والسموم ونحوها وهو من الأدوية المقوية والطاردة للرياح ويدخل في معجون الياقوت ومعجون سليمان والمغلى المسو والمسحوق المضاد للديدان. ويحضر من قشر جذور الليمون في جودلوب خلاصة تستعمل كمسحوق في الحميات على رأي بعضهم. وذكر أطباؤنا لليمون منافع جليلة وحصروا منافعه أيضاً في القشر والحماض والبزر وقالوا أما القشر فيظهر من مرارته وحرافته اليسيرة وقبضه الخفي وعطريته الظاهرة ان طبيعته التسخين القريب من الاعتدال والتجفيف البين ولذا كان مزاجه حارا يابسا ولما فيه من المرارة والقبض والعطرية كان مقويا للمعدة خاصة ومنبها لشهوة الغذاء ومعيناً على جودة الاستمراء ومطيبا للنكهة محركا مطيبا للجشاء مقويا للقلب مصلحا لكيفية الاخلاط الرديئة وفيه مع ذلك باد زهرية تقاوم بها مضار السموم المشروبة والمصبوبة ويخلص منها هذا حكمه اذا أخذ على جهة الدواء فأما على جهة الغذاء فهو عسر الانهضام بطيء الانحدار قليل الغذاء

ويدل على ذلك صلابة جرمه وعسر مضغه وبقاء طعمه ورائحته في الجشاء مدة طويلة وأما حماضه فحقه أن يذكر في المعدلات وأما بزوره ففيه بادزهرية يقاوم بها سم ذوات السموم كبزر الاترج الحامض الا أنه أضعف منه قليلا والشربة منه من مثقال الى درهمين مقشورا اما بشراب واما بماء حار ومضغه يذهب ضرس حمض الليمون قالوا والليمون المملوح ادام حسن يطيب النكهة والجشاء ويقوي المعدة ويذهب بلتها ويعينها على جودة الاستمراء وهضم الأغذية الغليظة ويزيل وخامتها ويقوي القلب والكبد ويفتح سدد الكلي ويدر البول وينفع من كثير من العلل الباردة كالفالج والاسترخاء ويقاوم سم ذوات السموم وقالوا ومن الليمون صنف مركب على أترج يسمى بالليمون الصيني وهو الاستيوب المعروف في مصر بالحامض الشعيري أو الليمون الشعيري ويسمى أحيانا بليمون أضاليا انتهي . وأما الدهن الطيار فهو واحد في جميع النباتات النارنجية التي منها الليمون واستخراجه من الليمون كاستخراجه من غيره فاذا قطر الزهر انفصل مقدار من الدهن يسبح على سطح

الماء ويسمى نيرولي كما ذكرنا ورائحته عطرية ذكية تختلف عن رائحة الازهار قال سوبيران ويظهر ان النيرولي ناتج من تغير الدهن الطيار الطبيعي فان هذا الطبيعي أكثر ذوبانا من النيرولي ويبقي محلولا في الماء ويمكن اثبات وجوده فيه بتحريك الماء المقطر مع الاتير الخالى من الكؤول فالاتير بتصاعده من نفسه يترك مقدارا يسيرا من دهن طيار رائحته مثل رائحة الازهار ويذوب بسهولة في الماء وقد ذكرنا ان النيرولى يحتوي على دهن صلب قابل للتبلور سماه بليصون أوراد وفصله بالكؤول كما سبق وقد علمت ان قشر الثمر تنبذر في جزئه الخارج حوصلات أو خلايا مملوأة بدهن طيار منبه بخلاف جزئه الابيض فانه يحتوي على مادة مرة تكون على شكل خلاصة مرة لاتذوب فى الاتير وتذوب في الكؤول وكشف في قشر الليمون أيضا جوهر قابل للتبلور سموه سابقا اسبيردين ويظهر كما قال سوبيران انه ينسب للزاتينجيات القابلة للتبلور وهو لايذوب في الكؤول البارد أو يذوب فيه قليلا وليس للاطباء في هذا الجوهر اهتمام طبي وينبغي أن

تعلم أولا أن بزور النارنجيات لاتحتوي على دهن وانما تحتوي علي مادة مرة قابلة للتبلور سماها برنيه باسم ليمونين وهي غير قابلة للذوبان في الماء ولا في الاتير وتذوب جيداً في الكؤول وفي الحوامض الممدودة وثانيا أن الادهان الطيارة المستخرجة من الليمون أو غيره من النارنجيات تستخرج كما ذكرنا سابقا بالعصر أو بالتقطير فقشور الليمون أو النارنج أو البرتقان أو الاترج أو البرجموت أو الليميت أي الاستيوب تجهز مقدارا من الدهن يكون علي حسب مافي هذا الجدول

					بالعصر	بالتقطير
برجموت	١٠٠ بالعدد فيهما من اللب	٣	كيلوغرامات و	٥٠٠ غراما	٨٠ غراما	٠٠
أترج	مثله	٣		٠٠٠	٥٠	٢٧
ليمون	مثله	٣		٥٠٠	٦٠	٤٤
استيوب	مثله	٣		٥٠٠	٣٠	٣٤
برتقان	مثله	٢		٦٠٠	٨٠	٨٨

والدهن الطيار لليمون مركب من ١٠ من كربون و ٨ من أدروجين فيكون تركيبه مثل تركيب الدهن الطيار للتربنتينا ولكن سعته للشبع مزدوجة ويحصل منه مع الحمض كلورادريك كافوران أحدهما صلب والآخر سائل ودهن الليمون سوي رائحته يتميز أيضاً عن دهن التربنتينا بكونه فيه قوة الدوران الي اليمين لا الى اليسار ومثل ذلك الدهن الطيار للاترج والاستيوب والبرجموت فان تركيب هذه الادهان واحد ودورانها لجهة واحدة . قال سوبيران ومع ذلك يظهر أن دهن البرجموت يحتوي علي دهن أوكسيجيني ليس هو الا الادرات الذي شاهدته مع الكيماوي المسمى قبطان ويوجد أيضا مقدار يسير جدا من دهن أوكسيجيني في الادهان الأخر للنباتات النارنجية والمستحضر المسمي بالدهن السكري يصنع بنقطة من الدهن الطيار و ٤ غرامات من السكر يمزجان بالتهوين وتلك المستحضرات هي المستعملة في العادة كعطر من الاعطار وهي ذكية الرائحة اذا نيلت بحك السكر على القشر الرطب للثمر ثم تهوين ذلك لأجل انالة

مسحوق متحمل أيضاً للدهن في جميع أجزائه فيؤخذ لذلك ليمونة أو نارنجة أو برتقانة واحدة و ٨ غرامات من السكر وتحضر كؤولات الليمونيات بأخذ غرام من قشر ثمر الليمونيات و ٦ من الكؤول وبعد ٣ أيام أو ٤ من النقع يقطر الى الجفاف على حمام مارية ويحضر بمثل ذلك كؤولات البرتقانيات والنارنجيات والاترج والبرجموت. وذكر سو بيران هنا ماء قلونيا وجهزه بأخذ ١٦ غراما من كل من الدهن الطيار لكل من الليمون والبرجموت والاستيوب والنارنج والحبوب الصغيرة للنارنج و ٨ من كل من الدهن الطيار للاترج واكليل الجبل والخزامي وازهار النارنج والبرتقان و ٤ من الدهن الطيار للقرفة و ١٥٠ من الكؤول الذي كثافته في مقياس كرتيير ٣٤ فتحل الادهان في الكؤول وبعد بعض أيام يقطر على حمام مارية حتى يقرب من الجفاف ويضاف علي الناتج ٢٠٠ غرام من كؤولات المليسا المركب و ٣٠ من كؤولات الرومران أي اكليل الجبل. انتهى وقال بوشرده في تحضير ماء قلونيا يؤخذ من الدهن الطيار لكل من البرجموت

والليمون والاترج ٩٦ غراما ولكل من اكليل الجبل وزهر النارنج والخزامي ٤٨ غراما ومن دهن القرفة ٢٤ ومن الكؤول الذي فى ٣٤ من مقياس كرتيير ١٢٠٠ ومن كؤول المليسا المركب ١٥٠٠ غرام ومن كؤولات اكليل الجبل ١٠٠٠ غرام تذاب الادهان في الكؤول ويضاف لها النوعان من الكؤولات وتترك ملامسة لبعضها مدة ٨ أيام ثم تقطر على حمام مارية الى أن لا يبقي في القرعة الا خمس المخلوط فالسائل المقطر هو ماء القلونيا كذا في الدستور. وهذا الماء أكثر ما يستعمل للزينة والتعطير ويقل استعماله للتداوي فيصح استعماله مروخات خفيفة منبهة وصبغة قشور الليمون تحضر كتحضير صبغات غيرها من النارنجيات فيؤخذ غرام من القشور و ٥ غرامات من الكؤول الذي في ٢١ من مقياس كرتيير فينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يصفي مع العصر ويرشح وهذه الصبغة دوائية وتحتوي في آن واحد علي الجزي العطري والجزء المر الذي في القشر فاذا استخدمت للتعطير حضرت بأن يوضع في قنينة مع الكؤول النقي الجزء الاصفر الخارج الطري

الذي أخذ على هيئة خيوط رقيقة بواسطة سكين ويوجد فى تلك الصبغة جميع ذكاوة الثمر الرطب وهي أهل لتعطير الاطعمة والتحاضير الدوائية ويحضر بتلك الكيفية شراب القشر من النارنجيات المرة فيؤخذ غرام من القشر و ٧ من الماء المغلى ومقدار كاف من السكر الابيض أي يقرب الي ١٠ غرامات فيصب الماء المغلي على القشور وبعد نقعه ١٢ ساعة أو ٢٤ يرشح السائل ويذوب فى اناء مسدود ١٨٠ غراما من السكر لكل ١٠٠ غرام من السائل فعشرة غرامات من الشراب تعادل نصف غرام من قشر النارنج المر أو غيره وشراب القشر الرطب لليمونيات كشراب قشر البرتقان أو النارنج العذب يحضر بجزء من القشر الرطب الرقيق للنارنج أو غيره و ٥ غرامات من الماء المغلى فيعمل شراب بذوبان بسيط لمائة جزء من المنقوع و ١٨٠ من السكر

﴿ نارمشك ﴾ قال داود الانطاكي: فارسى معناه رمان بري قيل هو الجلنار أو بريه أو أقماع الهندي منه أو هو رمان صغار لا يفتح عن بزر بل عن شيء أحمر يوجد بخراسان وهذا هو الصحيح وهو حار يابس في الثانية أو هو بارد في الاولى أجل منافعه قطع البخار عن الرأس وازالته الوسواس والماليخوليا ويحبس النزف والاسهال ويشد الاعضاء ويهضم بالعصر ويزيل اللزوجات شربا والعرق وسيلان القروح طلاء وزرور وهو يضر المثانة ويصفر اللون ويصلحه دهن اللوز والمرارة خصوصاً ان كان حره فى الثالثة كما قيل وتصلحه الهندبا وشربته درهمان وبدله نصفه قشر فستق وربعه زنجبيل وسدسه سنبل أو بدله مثله كمون

﴿ ناركيوا ﴾ هو فلفل الماء لا الخشخاش الاسود وهو فوق ثلاثة أذرع ورقه كورق الزيتون أسود شديد الملاسة له حب كالبندق الى السواد قوي اللذع والحرافة حار يابس في الثانية يحلل الرياح شربا ويزيل الاورام والآثار طلاء (ومن خواصه) أن الكرسنة والبسلة وما قاربهما اذا سلق في مائه وجفف وغش به الفلفل لم يعرف واذا مسح به الوجه عند القيام من النوم نفخه وحمر لونه جدا وبه تدلس المواشط

﴿ نارقيصر ﴾ نبت دقيق أحمر الي

صفرة خفية يجلب من الروم ويسمي بمصر ساق الحماق وهو عطري طيب الرائحة حار يابس في الثانية يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد ويقال انه يفرح ويدر البول والدم شربا ويحلل الصلابات وضربان المفاصل طلاء وشربته مثقال

﴿ ناصور ﴾ النواصير هي قنوات ضيقة مستطيلة غالباً يخرج منها صديد واذا كانت مستطرقة الى قنوات طبيعية فيخرج منها متحصلات افراز أو مواد تمر في تلك القنوات

وتحصل النواصير من عدم التصاق جدران الجرح الخراجة بعضها ببعض لأن جلد الخراجة يكون علي الغالب رقيقا ومنفصلا عما تحته فلا توجد فيه العروق الدموية الكافية لافراز الليمفا المكونة التى يتم بها الالتصاق فتختلف عنها النواصير . وقد علمنا ان تباعد الحوافي يمنع الالتحام وقلنا بوجوب تقريبها ووضع العضو الوضع اللائق لذلك فاذا لم تراع هذا الشرط تولد الناصور . ومن الأسباب أيضاً استمرار مرور القيح في مجري طويل يمتنع به الالتحام ويشاهد ذلك بنوع خاص عند وجود جسم غريب أو عظم متسوس

العلاج ـ يختلف باختلاف نوع الناصور فالنواصير الجلدية تعالج بالضغط بلازوق وبالحقن المنبهة والقابضة فان لم ينجع ذلك يستدعي الطبيب لشق الجلد المنفصل وكشف قعر الجرح ومعالجته اذ ذاك كجرح بسيط

أما النواصير المستطرقة الي التجاويف الطبيعية أو المسببة عن نخر وتسوس في العظام فعلاجها منوط بالطبيب دون سواه

﴿ ابن ناقيا ﴾ هو أبو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقى بن محمد بن الحسين ابن داود بن ناقيا الأديب الشاعر اللغوي المترسل

قال ابن خلكان هو من أهل الحريم الظاهري وهي محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع سماه ملح المالحة ومنها كتاب الجمان في تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغاني في مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وأثني عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين

البيتين في بعض الرؤساء وقد افتصد فكتبهما اليه

جعل الله ذو المواهب عقبا
لك من الفصد صحة وسلامة
قل ليمناك كيف شئت استهلي
لا عدمت الندي فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره أيضاً

اخلاي ماصاحبت في العيش لذة
ولا زال عن قلبي حنين التذكر
ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت
لحاظي مذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفي بكاس مدامة
يطوف بها ساق ولا جس مزهر

وكان ينسب الى التعطيل ومذهب الاوائل وصنف في ذلك مقالة وكان كثير المجون. وحكي الذي تولى غسله بعد موته أنه وجد يده اليسري مضمومة فاجتهد حتي فتحها فوجد فيها كتابة بعضها على بعض فتمهل حتى قرأها فاذا فيها مكتوب:

نزلت بجار لايخيب ضيفه
أرجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوف من الله واثق
بانعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة. وتوفي ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالى

وناقيا بفتح النون وبعد الالف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف وقد تقدمت له أبيات مرثية فى ترجمة الشيخ ابي اسحق الشيرازي

﴿ نانخواه ﴾ هذا الاسم معرب عن نانخاه الفارسي ومعناه طالب الخبز كأنه يشهى الطعام اذا ألقي علي الارغفة قبل خبزها أو في عجينة الخبز وأهل مصر تسميه نخوة هندية وأهل الاندلس يسمونه نانخة وهو أيضاً الكمون الملوكي ويسمى بالأفرنجية أمي بفتح الهمزة وتشديد الميم المكسورة وقد جعل الآن عند النباتيين اسما لجنس من الفصيلة الخيمية خماسى الذكور أحادي الاناث ولهذا الجنس مشابهة كبيرة واضحة لجنس دوقوس حيث لايختلف عنه الا بثماره الغير المرصعة بنقط شوكية اذ يوجد له كاس كامل وتويج ذو ٥ أهداب متساوية قلبية الشكل و ٥ ذكور ومهبلان متباعدان عن بعضهما

ومحيط وريقي عام ثنائي التشقق ومحيطات وريقية زهرية خاصة مركبة من وريقات ريشية أو بسيطة وثماره صغيرة بيضاوية وفيها على كل وجه ٥ أضلاع بارزة ويدخل في هذا الجنس ٥ أنواع أو ٦ تقرب في الشكل من نباتات الجزر وأكثرها استعمالا هو المقصود لنا هنا المسمى عند لينوس باللسان النباتي أمي ماجوس

(صفاته النباتية) الساق تعلو من قدم الى قدمين محززة تقرب لأن تكون زووية وهي عديمة الزغب والاوراق السفلي ثنائية التريش ووريقاتها بيضاوية سهمية بسيطة أو فصيه في القاعدة مسننة تسنينا منشاريا عديمة الزغب والعليا وريقاتها ضيقة مستطيلة والمحيط الوريقي الزهري العام وريقاته ثلاثية التشقق وضيق ومستطيلة والمحيط الوريقي الخاص وريقاته نحو ١٢ وتقرب لأن تكون دقيقة خشنة والأهداب ذوات فصين منحرفين والازهار بيض وتزهر في يوليه ويوجد هذا النبات في المحال المزروعة بأماكن كثيرة من أوربا وبلاد العجم والمستعمل من النبات بزوره

(صفاتها الطبيعية) هذه البزور صغيرة مخضرة محززة مستطيلة عديمة الزغب منتهية بطرفين دقيقين ورائحتها ضعيفة . وقال أطباء العرب هي حب معروف أصغر من الكمون ويشبه حب الخردل قوي الرائحة والحدة والحرافة يجلب من الهند وبلاد فارس ويغش في مصر ببزر الخلال أي الوخشيزك والفرق ضعف المرار وأجوده الصغار الرزين المائل الى حمرة وبياض. انتهى . لكن نقول شبهه لحب الخردل بعيد جدا وأما شبهه للوخشيز فقريب وأما النبات المسمي أمي ويروم أي الحقيقي المسمي عند الصيدلانيين أمي والجارس أي العام الذي فضل عليه النبات المسمى أمي كندية المنسوب لجزيرة كندية وهو عند بعضهم أمي ويتيروم فهو عند لينوس سيزون أمى أي فجنسه عند لينوس غير جنس النوع السابق وان كان الجنسان من فصيلة واحدة وينبت فى جنوب فرنسا وفى جزائر الروم فبزوره المحمولة على خيم جانبية تكون صغيرة كرية مضلعة سنجابية مخضرة عطرية خالية من الزغب ويندر الآن وجود هذه البزور في المتجر الاوربي واذا وجدت كان الغالب كونها من أمي

ماجوس وقد يوجد النوعان معاً مختلطين ومسميين باسم أمى أي نانخـواه وتلك البزور كلها فيها مرار قليل

(الاستعمال) اشتهرت تقوية هذه البزور للمعدة وطردها للريح وأمر بهـا مثيول وغيره علاجا لعقم النساء وأكـد بعضهم فاعليتها في ذلك وفي علاج الازهار البيض وتدخل النـانخواه في التريق ولأطباء العرب كلام كثير في النانخواه فنقلوا عن جالينوس انه قال انما يستعمل من النبـات بزره وقوته مجففة مسخنة لطيفة وفي طعمه مرار يسير وحرافة واذا كان كذلك كان مدرا للبول محللا ولذا يوضع من الاسخان والتجفيف في الدرجة الثالثـة . وعن ديسقوريدس يصلح اذا شرب بالشراب للمغص وعسر البـول ونهش الهوام وقد يدر الطمث ويخلط بالأدوية المـدرة التي يقع في اخلاطها الرازيانج ليضاد عسر البـول واذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الكمنة من العين وما جمد في العين من نحو مدة واذا شرب أو تلطخ به أحال لون البدن الى الصفرة واذا تدخن به مع الزفت والرازيانج نقي الرحم . وقال أبو جريج طبيخه يحل النفخ البتة وحبه يذهب البلة والحميات العتيقة وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن وجعه . وقال الفـارسي انه يقطع القيح الذي في الصدر والمعدة و يسكن الرياح ويهضم الطعام وهو جيـد لوجع الفـؤاد والغثيان وتقلب النفس و يذهب بالحالة التي لا يجد الانسان فيها طعم الطعام في فيـه طيباً أو طعم المـاء كذلك . وقال فولس انه يسخن المعـدة والكبد أي الباردتين ويضر الحارتين الا اذا قلل منه منقوعا في الخل أو أخذ عليه سكنجبين ساذج . وقال ابن ماسويه انه ينقي الكلي والمثانة . وقال الطبري انه يذيب الحصاة وقد يخرج الدود ودودة القرع وقال اذا أكل بالعسل فعـل ذلك أيضاً . ويقال اذا سحقت تلك البزور وعجنت بعسل وطلي به الوجع في أي موضـع كان من البدن حلت ورمـه وأزالت وجعه واذا أضيف اليها الطفل أي طين قيموليا كانت في ذلك أبلغ واذا حقن بها الرحم نقتها وجففت رطوبتها العفنة وحسنت رائحتها واذا جعلت مـع الأدوية المسهلة نفعت من يعتريهم منها مغص . وقال اسحق ابن سليمان اذا خلطت بالأدوية النافعة

ل البرص والبهق قوت فعلها وزادت في تأثيرها. وقالوا ان ماءها المقطر يحل عسر النفس في الوقت وينفع من الفالج والرعشة وفيه مع قاطر الدار صيني ولسان الثور تفريح يعدل الخمر واذا غلى ٣ مثاقيل منها في رطل حليب وأوقية من السكر حتي يعود الى النصف وشرب فوق اللحم سمن بافراط وقالوا ان بدلها في غير التسمين مثلاها شونيزا . انتهي ومن أنواع جنس أمي مايذكر علي الأثر (المادة الطبية)

﴿ الناوسية ﴾ اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الى قرية ناوسا قالت ان الامام الصادق حي بعدولن يموت حتي يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي ورووا عنه انه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف. وحكي أبو حامد الزوزني ان الناوسية زعمت ان علياً مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا وأما الافطحية فقد قالوا بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبدالله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه وأمها فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان أسن أولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في أكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الامام وهو الذي تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وأن يتخذه اماماً وما طلبها منه أحد الا عبدالله ومع ذلك ماعاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداً ذكرا ومن الامامية الشميطية اتباع يحيي بن أبي شميط قالوا ان جعفراً قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان وُلد لك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

﴿ نأنأ ﴾ عجز و (نأنأ في الرأي) ضعف

﴿ نآي ﴾ عنه ينـأي نأيا بعد . و (أنآه) أبعده

﴿ نبا ﴾ عنه سمعه ينبو أي تجافي . و (نبّأه الخبرَ) أخبره به ومثله (انبأه) و (تنبّأ) ادعي النبوه وتكلم بالنبوة . و (النَبَأ) الخبر . و (النبوءة) اسم من النبي وهي الاخبار عن الله . و (النبى) المخبر عن الله بوحي

﴿ النبوة والانبيـاء ﴾ الـكلام في النبوة والانبيـاء من أهم أركان الفلسفة الدينية والـكلام فيها يطول لما يقتضيه من ايراد آراء علمائنـا المتقدمين وشبهات المـاديين المعاصرين والخوض في اقوالهم واستخلاص نتيجـة حاسمة من مجموع نظرياتهم . لذلك عولنا أن نبدأ هذا المبحث بايراد أقوال علمائنا الاقـدمين ثم نردفه بشبهات المـاديين المعاصرين ثم ندلى برأينا في هذا الباب والله الموفق للصواب

قال العلامـة ابن حزم في كتابه (الفِصَـل) :

« ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهنـد ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قـديم ولهم علامة ينفردون بهاوهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقـلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنـا الا انهم أنكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم في دفعها ان قالوا لمـا صح ان الله عـز وجل حكيم وكان من بعث رسولا الى من يدري انه لايصدقه فلا شك في انه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه

وقالوا أيضاً ان الله تعالى انما بعث الرسل الى الناس ليخرجهم بهم من الضلال الى الايمان فقـد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول الى الايمان به . قالوا فبطل ارسال الرسل على هذا الوجه أيضاً ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع. وأما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبـل أن يبعثهم الله تعالي واقع في باب الامكان وأما بعد ان بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب. ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالي انه لانبي بعده فقد جـد الامتناع ولسنا نحتاج الي تكلف ذكر قول من قال من المسلمين ان مجيء الرسل من باب الواجب واعتـلالهم فى ذلك بوجوب الانذار في الحكمة اذ ليس هـذا القول صحيحاً وانما قولنا الذي بيناه في غـير موضع انه تعالي لايفعل شيئاً لعـلة وانه تعالي يفعل مايشاء وان كل مافعـله فهو عدل وحكمة أي شيء كان . فيقال و بالله التوفيق لمن احتج بالحجـة الأولي من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحـكيم لايبعث الرسل الى من يدري انه يعصيه انكم اضطركم هذا الأصل الفاسد الحاكم

بذلك الي موافقة المنانية علي أصولهـا في أن الحكيم لايخلق من يعصيه ولا من يكفر به و يقتل أوليـاءه وهم يقولون ان الله تعالي خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان فى الناس كثيراً يجحدون الربوبية والوحـدانية فقولوا انه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدري انه لايستدل بهـا . فان قالوا انه قد استدل بها كثير . قيـل لهم وقد صدق الرسل أيضاً كثير . فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء . قيـل لهم وكذلك بعث الرسل أيضاً كما شاء فبعثته . تعالي الرسل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالي وعلى توحيده . و يقال لمن احتج بالحجة الثانيـة من ان الأولى به انه كان يضطر العقول الى الايمان به ان هـذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم ان الله عـز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم نفسه ووحدانيته فيلزمكم علي ذلك الأصل الفاسد انه كان الاولى اذ خلقهم أن لايدعهم والاستدلال وقد علم ان فيهم من لا يستدل وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال فكان الاولى في الحكمة ان يضطر عقولهم الى الايمان به ولا يكلفهم مؤونة الاستدلال وأن يلطف بهم الطافا يختار جميعهم معها الايمان كما فعل بالملائكة

(قال أبو محمد) يعني نفسه . وملاك هذا كله ماقد قلناه في غير موضع من أن الخلق لمـا كانوا لايقع منهم فعل الا لعلة ووجب بالبراهين الضرورية ان الباري تعالي بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات وجب أن يكون فعله لا لعلة بخـلاف أفعال جميع الخلق وانه لايقـال في شئ من أفعاله تعالى انه فعل كذا لعـلة ولا اذ جاء الانسان بالنطق وحرمـه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائداً و بعضه مصيداً و باين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لأحد أن يقول لم خلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق وجعل الحجر جامداً لا حياة له ولا نطق . وهذا أصل قد أوقفتنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هـذا المعني ممن يقول بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالي الانبياء ليس لأحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره من الأزمان ولا لم بعثهم في هـذا المكان

دون غيره من الامكنة كما لا يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره وهكذا كل مافي العالم اذا نظر فيه تعالى الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد) واذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالي وتأييده فلنقل الآن بعون الله تعالي وتأييده في اثبات النبوة اذ وجدت قولا بينا و بالله تعالى التوفيق : قد قدمنا فيما خلا اثبات حدوث الاشياء وان لها محدثا لم يزل واحداً لا مبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى أخرج العالم كله الي الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت انه لم يفعل اذ لم يشأ وفعل اذ شاء كما شاء فيزيد ماشاء و ينقص ماشاء فكل منطوق به مما يتشكك في النفس أولا يتشكك فهو داخل له تعالى في باب الامكان علي مابينا في غير هذا المكان الا اننا نذكر ههنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول و بالله تعالى نتأيد :

ان الممكن ليس واقعاً في العالم وقوعا واحداً ألا تري ان نبات اللحية للرجال ما بين الثمان عشرة الى عشرين سنة ممكن وهو في حدود الاثني عشر سنة الي العامين ممتنع. وان فك الاشكالات العويصة واستخراج المعاني الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذي الذهن اللطيف والذكاء النافذ وغير ممكن من ذي البلادة الشديدة والغباوة المفرطة فعلي هذا ما كان ممتنعا بيننا اذ ليس في بنيتنا ولا في طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع علي الذي لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله فاذا قد صح هذا فقد صح انه لا نهاية لما يقوي عليه تعالى فصح ان النبوة في الامكان وهي بعثة قوم قد خصهم الله تعالي بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل في مراتبه ولا طلب له ومن هذا الباب مايراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحاً وما هو من باب تقدم المعرفة فاذ قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الانبياء عليهم السلام واقعة في حد الامكان فلنقل الآن بحول الله تعالي وقوته على

وجوبها اذا وقعت ولا بد فنقول اذ قد صح ان الله تعالى ابتـدأ العالم ولم يكن موجودا حتي خلقه الله تعالي فبيقين ندري ان العـلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدي أحـد اليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لهـا بالعقاقير التى لاسبيل الى تجريبها كلها أبداً وكيف يجرب كل عقّار في كل علة ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له الا في عشرة آلاف من السنين ومشاهـدة كل مريض في العالم وهـذا يقطع دونه قواطع تلوت والشغل بمـا لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفة دورانهـا وقطعها وعَوْدها الي أفلاكها ممـا لا يتم الا في عشرة آلاف من السنين ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التي قلنـا وكاللغة التي لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الى الاتفاق عليها الا بلغة أخـري ولا بد فصح انه لا بد من مبدأ للغةما. وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الانسال منها والغرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنّب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في القطع بهـا للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار وكل هذا لاسبيل الي الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولا بد انه لا بد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهذه صفه النبوة فاذاً لا بد من نبي أو انبياء ضرورة فقد صح وجود النبوة والنبي فى العـالم بلا شك.

ومن البرهان على ماذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لاسبيل له الي اختراعها البتة كالذي يولد وهو أصم فانه لا يمكن له البتة الاهتداء الي الكلام ولا الي مخارج الحروف وكالبـلاد التي ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الأمم وسكان البـوادي . نعم والحواضر لا يمكن البتة منـذ أول العالم الي وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتـداء

أحد منهم الى علم يعرفه ولا الي صناعة لم يعرف بها فلا سبيل الي تهديهم اليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكنا في الطبيعة التهدي اليها دون تعليم لوجد من ذلك فى العالم علي سعته وعلى مرور الازمان من يهتدي اليها ولو واحدا وهذا أمر يقطع على انه لا يوجد ولم يوجد . وهكذا القول في العلوم ولا فرق ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها في الكتب لأن هذا أمر لامؤنة فيه انما هو كتاب ماسمعه الكاتب واحصاؤه فقط كالكتب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفى النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض انما نعني ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتداء أشخاص الامراض وأنواعها وقوي العقاقير والمعاناة بها وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك انه لابد من وحي من الله تعالي في ذلك

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا أيضاً برهان ضروري علي حدوث العالم وان له محدثا مختاراً ولا بد (اذ لا بقاء) للعالم البتة الا بنشأة ومعاش ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الأعمال والصناعات والآلات ولا يمكن وجود شئ من هذه كلها الا بتعليم الباري تعالى فصح ان العالم لم يكن موجودا اذ لا سبيل الي بقائه الا بما ذكرنا ثم وجد معلما مدبراً مبتدئا بتعليمه على ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد رضي الله عنه) واذ قد تكلمنا على انه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم علي براهينها التى يصح بها علم صدق مدعيها اذا وقعت فنقول انه قد صح ان الباريء تعالى هو فاعل كل شيء ظهر وانه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ماقدمنا انه تعالي مرتب هذه الرتب التي في العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا وانه لا فاعل علي الحقيقة غيره تعالى (ثم) رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدنا طبائع قد أحيلت وأشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة ، وعصى انقلبت حية وميت أحياه انسان ، ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه لا مادة له (فعلمنا) ان محل هذه الطبائع وفاعل

هذه المعجزات هو الأول الذي أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوي قد اصحبها الله تعالي رجالا يدعون اليه ويذكرون انه تعالي أرسلهم الى الناس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالي في عين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها وضراعتهم اليه فى تصديقهم بها (فعلمنا) علما ضروريا لا مجال للشك فيه انهم مبعوثون من قبله عز وجل وانهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالي اذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم الي التحكم على الباري ولا على طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة اذ ظهر علي مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بني عليه العالم. وقد تكلمنا في غير هذا المكان على ان هذه الاشياء لها طرق توصل الى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهي نقل الكافة التى قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس بأول معارفها انه لا سبيل الى جواز الكذب ولا الوهم عليها وان ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه أن لا يصدق ان من غاب عن بصره من الانس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأن صورهم علي حسب الصورة التى عاين ولزم أن يكون عنده ممكناً في بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ماعهد من الصورة اذ لا يعرف أحد ان كل من غاب عن حسه فانه في مثل كيفية ماشاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت ان بعضهم بخلاف ذلك فى بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك. ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم ان لا يصدق ضرورة بأن أحداً كان قبله في الدنيا ولا ان في الدنيا أحداً الا من شاهد بحسه. فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لأن هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير فان نفر عن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن فى كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك فلا سبيل له أصلا الى ان يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل

كافة و بالله تعالي التوفيق، فنقول له حينئذ فرق بين مانقل اليك من كل ذلك و بين كل مانقل اليك من علامات الانبياء ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا. فان قال مفرق بينها و بينها انه لا ينكر أحد هذه الامور وكثير من الناس ينكرون اعلام الانبياء قيل له و بالله تعالى التوفيق ان كثيرا من الناس لايعرفون كثيرا مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها عن الصحة وكذلك جحد من جحد اعلام الانبياء ليس مخرجا لها عن الوجوب والصحة فان قال انه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار مانجدهم على الكذب في اعلام النبوة قيل له و بالله التوفيق هذا كذب بل الامر ان سواء لا فرق بينهما ومن الملوك من يشتد عليهم وصف اسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق. قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب من ملوك الزمان من مدحه كفضائل عليّ رضي الله عنه ماقدر قط

ملوك بني مروان على سترها وطيها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق علي سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا علي ذلك وكل نبي فله عدو من الملوك والأمم يكذبونهم فما قدروا قط على طي اعلامهم ولا على تحقيق مازادوا على ذلك لمن يغضب له من لادين له فصح ان الامرين سواء وان الحق حق. فان قال قائل فلعل هذا الذي ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معها علي اظها ماأظهر قيل له و بالله التوفيق ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد احكمت وليس في شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ماظهر من اختراع الماء الذي لم يكن ولا في شيء منه احالة نوع الي نوع آخر دفعة على الحقيقة ولا جنس الي جنس آخر دفعة على الحقيقة وهذا كله قد ظهر علي أيدي الانبياء عليهم السلام فصح انه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلة فيه ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام و بين مايقدر عليه بالسحر و بين حيل العجائبيين

فنقول و بالله تعالي التوفيق

ان العالم كله جوهر وعرض لا سبيل الي وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى. فأما الجواهر فاختراعها من ليس الي انس وهو من العدم الى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالي مبتدئ العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة من الله تعالي له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا ولذلك احالة الاعراض التي هي جوهريات ذاتيات وهي الفصول التى تؤخذ من الاجناس وذلك كقلب العصاحية وحنين الجذع واحياء الموتي الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء في النار ساعات لاتؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الاعراض التى لاتزول الا بفساد حاملها كالفطس والرزق ونحو ذلك فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه. وأما احالة الاعراض من الغيرات التي تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقر به أصلا وكابعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتي يحسبه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت في جسد المضروب بها فى حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس عن طبائعها كمن أراك مالا يراه غيرك أو مسح يده علي مريض فأفاق أو سقاه مايضر علته فبرئ أوأخبر عن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت اذ ثباتها لايكون الا لنبى فاذ قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك فنقول و بالله تعالي التوفيق : اذ قد صح كل ماذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم يصدق بها أقوالهم فقد وجب

علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ما قالوا وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته واعلامه وكتابه انه أخبر انه لانبي بعده الاماجاءت الاخبارالصحاح بنزول عيسى عليه السلام الذي بعث الى بني اسرائيل وادعي اليهود قتله وصلبه فوجب الاقرار بهذه الجملة وصح ان وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لايكون البتة وبهذا يبطل أيضاً قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبداً وبكل ماقدمناه مما أبطلنا به قول من قال بامتناعهما البتة اذ عمدة حجة هؤلاء هي قولهم ان الله حكيم والحكيم لايجوز في حكمته أن يترك عباده هملا دون انذار

(قال أبو محمد) وقد أحكمنا بحول الله تعالي وقوته قبل هذا ان الله تعالي لاشرط عليه ولا علة موجبةعليهأن يفعل شيئاً ولا أن لايفعله وانه تعالى لو أهمل الناس لكان حقا وحسناً لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذي لم يلزمه شريعة ولا خطر عليه شيء وانه تعالي لو واتر الرسل والنذارة أبداً لكان حقاً وحسنا لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبداً وانه تعالى لو خلق الخلق كفارا كلهم لكان ذلك منه حقاً وحسنا أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقاًوحسنا كما ان الذي فعل تعالي من كل ذلك حق وحسن وانه لايقبح شيء الا من مأمور منهي تقدمت الأوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه ، واما من سبق كل ذلك فله أن يفعل مايشاء ويترك مايشاء لا معقب لحكمه . وأما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم ان الارض وعمقها أقرب الى الفساد من سائرالعناصر ومن سائر الاجرام العلوية وانها مواتية كلها وان الحياة انما هي النفوس المنزلة قسراً الى مجاورة أجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان فقط ثبت يقينا بضرورة المشاهدة ان محل الحياة وعنصرها ومعدنها وموضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد والتثبت بها عن كمال ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة المملوءة آفات ودرنا وعيوبا فصح ان العلو الصافي هو محل الاحياء

الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحبوبين بكل فضيلة في الخلق وهذه صفة الملائكة عليهم السلام. وصح بهذا ان على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وانه لا نسبة لما فى هذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم عن كثرة الملائكة في الاخبار المسندة الثابتة عنه صلي الله عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالى الذي خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم و بين انقاذ النفوس من الهلكة

(الرد على من زعم ان الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم وسلا)

(قال أبو محمد) حديث فرقة مبتدعة تزعم ان محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلي الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول ذهب اليه الاشعرية .

وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم ان محمد بن الحسن ابن فورك الاصبهاني علي هذه المسئلة قتله بالسم محمود بن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال أبو محمد) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالي ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مذ كان الاسلام الي يوم القيامة وانما حماهم هذا قولهم الفاسد ان الروح عرض والعرض يفني أبداً ويحدث ولا يبقي وقتين فروح النبي صلي الله عليه وسلم عندهم قد فنيت و بطلت ولا روح له الان عندالله تعالى وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال أبو محمد) ونعوذ بالله من هذا القول انه كفر صراح لاتردد فيه ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلي الله عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان في الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الارض الي غربها بأعلى أصواتهم قد

قرنه الله تعالى بذكره اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فعلى قول هؤلاء الموكابين الى أنفسهم يكون الآذان كذبا ويكون من أمر به كاذباً وانما كان يجب أن يكون الآذان علي قولهم أشهد ان محمداً كان رسول الله والا فمن أخبر عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب فالآذان كذب على قولهم وهذا كفر مجرد. وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم لا اله الا الله محمد رسول الله فانه باطل علي قول هؤلاء وكذلك ماعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة قتاله الامة وأمره عن الله عز وجل بأن يعمل به بعده أبداً وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الاسلام من أول الاسلام الى آخره ومن شرق الارض الى غربها انسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من التحليل الي التحريم أو الى الحقنة بالجزية من أن يعرض علي أهل الكفر ان يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فيجب على قول هؤلاء المحرومين ان هذا باطل وكذب وانما كان يجب أن يكلفوا أن يقولوا محمد كان رسول الله وكذلك قوله تعالي (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وكذلك قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وقوله تعالي وجيء بالنبيين والشهداء فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضاً أو نافلة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائما لكان السلام على العدم هدراً. فان قالوا كيف يكون ميتاً رسول الله وانما الرسول هو الذي يخاطب عن الله بالرسالة؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولا لله تعالى أبداً لانه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبداً ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ماقلتم لوجب أن لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن فى حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم أيضاً أن لا يكون رسول الله الا مادام يكلم الناس فاذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله

وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان. وأيضاً فان خبر الاسراء الذي ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الانبياء عليهم السلام في سماء سماء فهل رأى الا أرواحهم التي هي أنفسهم ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا محيد عنها وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أخبر ان لله ملائكة يبلغونه منا السلام وانه من رآه في النوم فقد رآه حقاً ولقد بلغني عن بعضهم انهم يقولون ان أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين

(قال أبو محمد) وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء التي ولدته وأبوه الذي ولده أباه وأمه الا في حين الولادة والحمل من الأم فقط وفي حين الانزال من الأب فقط لا بعد ذلك وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مسكة فان قالوا أتقولون ان عمر أمير المؤمنين اليوم أو عثمان أيضاً كذلك؟ قلنا لهم لا وهذا اجماع لانه لا يكون أميراً الا من الائتمار لأمره واجب وليس هذا لأحد بعد موته الا للنبي صلى الله عليه وسلم وانما هو الخليفة بعد خليفة طول حياته فقط فبطل أن يكون لهم فيها متعلق. انتهى

نقول هذا ماقاله العلامة ابن حزم في كتابه الفصل ونرى أن نأتي بقول عالم كبير من علمائنا المحدثين وهو الشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد ثم نبدي رأينا على هذه الاقوال وننظر الى أي حد تقاوم الشبهات المادية العصرية ثم نلقي على مجموع هذه المذاهب المتخالفة نظرة عامة ونحاول حلها على حسب اسلوبنا وبالله التوفيق

قال العلامة الشيخ محمد عبده في كتابه المذكور تحت عنوان حاجة البشر الى الرسالة قال:

﴿ حاجة البشر الى الرسالة ﴾

« سبق لك في الفصل السابق مايهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسل والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله

الي بيان الحاجة اليهم وهو معترك الافهام ومزلة الاقدام ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام ولسنا بصدد الأتيان بما قال الأولون ولا عرض ماذهب اليه الآخرون ولكننا نلزم ما الزمتنا في هذه الوريقات من بيان المعتقد والذهاب اليه من أقرب الطرق من غير نظر الى ما مال اليه المخالف أو استقام عليه الموافق اللهم الا اشارة من طرف خفي أو إلماعا لا يستغني عنه القول الجلي»

«وللكلام في بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الأول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدئ من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخري بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقي فيها بعذاب أليم وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

« اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الا قليلا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ في أجساد البشر أو الحيوان علي الدوام ومن ذاهب الي أن التناسخ ينتهى عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو مابه شقوتها . ومنهم من رأي أنها تتعلق بأجساد أثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التي تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الأمم فيه قديما وحديثا مما لا تكاد تحصي وجوهه

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو الالهامات التي اختص بها هذا النوع

فكما ألهم الانسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وان شذ أفراد منه ذهبوا الى أن العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الي أنه لا يمكن للعقل أن يوقن باعتقاد ولا للفكر أن يصل الى مجهول بل قالوا أن لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى فى أنهم شاكون ولم يطعن في شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة ورأس البقاء الى الأجل المحدود كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه . ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس أنها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجة من الكمال لا تحددها أطراف المراتب والغايات ، معرضة لآلام من الشهوات ، ونزغات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد . الهام يستلفتها بعد هذا الشعور الي أن واهب الوجود للانواع انما قدّر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعدادة لقبول مالا يتناهي من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح أن يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الي تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسى أن تكون عليه متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل . شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الأزمنة والأعصار فى تقويم الانظار وتعديل الافكار واصلاح الوجدان وتثقيف الاذهان ولانزال الي الآن من همّ هذه الحياة الدنيا في اضطراب لاندري متي نخلص منه وفي شوق الي

طمأنينة لانعلم متى ننتهي اليها

«هذا شأننا في فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدي بها الى الغائب وهل في طرق الفكر مايوصل كل أحد الي معرفة ماقدر له في حياة يشعر بها وبأن لا مندوحة عن القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ماينفذ الى تفصيل ماأعد له فيها والشؤون التي لابد أن يكون عليها بعد مفارقة ماهو فيه أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون . هل في أساليب النظر مايأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيك أنت فالنظر في المعلومات الحاضرة لا يوصل الي اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة

«أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم الذي خلق الانسان وعلمه بالبيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدّ لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال مايليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والأمانة علي مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمه فيشرفون على الغيب باذنه ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي علي العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه وما قدّر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول أفهامهم وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم

وتعلمهم من الاعمال ماهومناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في اجماله، ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لاتبلغه قوي البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه الي خلقه مبشرين ومنذرين

«لا ريب أن الذي أحسن كل شيء خلقه وأبدع في كل كائن صنعه وجاد على كل حي بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيرا ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذي أجاد صنعه وأقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره أن ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى أهم حياتيه والضلال في أفضل حاليه

«يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ماتحتاج اليه من العلم ولم يضع فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية في الحياة الآخرة؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم؟ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني ذلك النوع علي ما به وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف أفراده وأن لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وأن يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان إما حيوانا آخر كالنحل والنمل او ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) فى بيان الحاجة الى الرسالة يأخذ من طبيعة الانسان نفسه أرتنا الايام غابرها وحاضرها أن من الناس من يختزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بعض الغابات أو الى رؤوس الجبال ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الأوابد من الحيوان يتغذي بالاعشاب وجذور النبات ويأوي الى الكهوف والمغاور ويتقي بعض العوادي عليه بالصخور والاشجار ويكتفي من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك من حيوان البر ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ولكن مثل

هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ماقدر لنوعها وانما الانسان نوع من تلك الانواع التى غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات علي أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه والمجموع من العمل مالا غني للواحد عنه فى نمائه وبقائه، وأودع في كل شخص من أشخاصها شعور ما بحاجته الى سائر أفراد الجماعة التى يشملها اسم واحد وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه وكفاك من الدليل على أن الانسان لا يعيش الا في جملة ماوهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الى التفاهم بين اثنين أو أكثر الا الشهادة بأن لا غني لأحدهم عن الآخر

«حاجة كل فرد من الجماعة الي سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الأيدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الأهل الى العشيرة ثم الى الأمة والي النوع بأسره . وأيامنا هذه شاهدة على أن الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كما لا يخفي . هذه الحاجة خصوصاً فى الأمة التي حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عمن سواها حاجة في البقاء حاجة في التمتع بمزايا الحياة حاجة في جلب الرغائب ودفع المكاره من كل نوع

«لو جري أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيره لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده عامل يشعر كل نفس أن بقاءها مرتبط ببقاء الكل . فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظا لنظام الأمم وروحاً لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الي من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولعاً وعشقا

«لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذ كانت الحاجة الي ذات المحبوب أو ما هو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها فى الانسان الا اذا كان منشؤه أمرا فى روح المحبوب وشمائله التى لاتفارق ذاته حتي تكون لذة الوصول فى نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعاوض ولوحظ فى العلاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

« يحب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يري أنه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه حرصه على حياته ولو أنه انتقل من حوزته الي حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضاً لخطر ما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضاً واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

«ذلك لأن الالهام الذي هدي به شعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجدانه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب فحاجته في سد عوزه هي حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يبخس منها شوب التعاوض في الخدمة

«أما الانسان وما أدراك ما هو فليس أمره على ذلك ليس مما يلهم ولا يتعلم ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وتسليمه على صغره الى العالم الأكبر على جلالته وعظمه يصارعه بعوامله وهي غير محصورة حتى يعتصر منه منافعه وهي غير محدودة وايداعه من قوي الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة وبجوار كل لذة ألم ومخافة فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) تفاوتت أفراده في مواهب الفهم وفي قوي العمل وفي الهمة

والعـزم فمنهم المقصر ضعفا أو كسلا المتطاول في الرغبـة شهوة وطمعا يري في أخيه أنه العون له علي ما يريد من شؤون وجوده لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة فى الاستئثـار بجميع مافي يده ولا يقنع بمعاوضته في ثمرة من ثمار عمله وقـد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يعمـل و يري الخير في أن يقيم مقام العمل إعمال الفكر في إستنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع و يغلب عليه ذلك حتي يخيـل له أن لاضير عليـه لو انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سلبه فكلما حثه الذكر والخيال الي دفع مخافة أو الوصول الي لذيذ فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيـأ له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحـل الشقاق محـل الوفاق وصـار الضابط لسيرة الانسان اما الحيـلة واما القهر

«هل وقف الهوي بالانسان عنـد التنافس فى اللذائذ الجسدانيـة وتجالد أفراده طمعاً في وصول كل الى مايظنه غاية مطلبـه وان لم تكن له غاية ؟ كلا ولكن قدّر له أن تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له فى نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسبما يمتد اليه نظره وقد بلغت هذه الشهوة حداً من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكانا كاد لاتصعد اليه سائر اللذات وهي من أفضل العوامل فى احراز الفضائل وتمكين الصـلات بين الافراد والأمم لو صرفت فـيما سيقت لأجله ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمـة والعزيمة حتي خيل لكثير من العقـلاء أن يسمي الى اعلاء منزلته في القـلوب باخافة الأمن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة المخافة لاتهيُّب الحرمة

«هل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة علي تعاونهم ورفد بعضهم بعضاً في الاعمال أو لاتكون هذه الافاعيل السابق ذكرها سبباً في تفانيهم؟ لاريب أن البقاء علي تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني في حفظ بقائه من المحبة و ماينوب منابها

«لجأ بعض أهالي البصيرة في أزمنة مختلفة الى العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة. نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذي يضع قواعد العدل و يحمل الكافة على رعايتها؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة وفيها مستقر السكينة. وقد رأينا أن اعتدال الفكر وسعة العلم وقوة العقل واصالة الحكم تذهب بكثير من الناس الى ماوراء حجب الشهوات وتعلو بهم فوق ماتخيله المخاوف فيعرفون لكل حق حرمته و يميزون بين لذة مايفني ومنفعة مايبقي وقد جاء منهم أفراد في كل أمة وضعوا أصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة وقسموا أعمال الانسان الي ماتحضر لذته وتسوء عاقبته وهو مايجب اجتنابه ، والى ماقد يشق احتماله ولكن تسر مَغَبَّاته وهو مايجب الأخذ به. ومنهم من أنفق في الدعوة الي رأيه نفسه وماله وقضى شهيد اخلاصه في دعوة قومه الى مايحفظ نظامهم . فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلي أهل السلطان ان يحملوا الكافة على رعايتها و بذلك يستقيم أمر الناس.

« هذا قول لايجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على سنته أن يخضع كافة أفراده أو الغالب منهم لرأي العاقل لمجرد أنه الصواب؟ وهل كفي في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وان الصواب فيما يدعوهم اليه، وان أقام علي ذلك من الأدلة ماهو أوضح من الضياء ، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء؟ كلا لم يعرف ذلك فى تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا أن مهب الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدّعون المساواة في العقول والتقارب في الاصول ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل الا كما يعرف من أمر الجاهل ومن لم يكن في مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل فمجرد البيان العقلى لايدفع نزاعا ولا يرد طمأنينة وقد يكون القائم على ماوضع من شريعة العقل ممن يزعم أنه أرفع من واضعها فيذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها ويتهدم بناؤها ويفقد ماقصد بوضعها

«أضف الى ماسبق من لوازم نزعات الفكر ونزغات الاهواء شعورا هو ألصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لهـا . كل انسان مهما عـلا فكره وقوي عقله أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته وقوة ما أنس منه الغلبـة عليه مما حوله وأنه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ماهو فيه من العوالم في وجوه قد لاتعرفها معرفة العارفين ولا تتطرف اليها ارادة المختارين. تشعر كل نفس أنهـا مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمي فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها أخري ولا سبيل لهـا الا الطريق التى حددت لنوعهـا وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها ، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور أثرها، ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها ، ومنهم من تبدت له آثار قوي مختلفة في أنواع متفرقة تماثل في أفـراد كل نوع وتتخالف بتخـالف الانواع فجعل لكل نوع إلهـا . ولكن كلـا رق الوجدان ولطفت الاذهان ونفـذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمـه بعض المنازل من ذلك الي معرفة هـذه القدرة الباهرة واهتدي الى أنها قدرة واجب الوجود غير أن من أسرار الجـبروت ماغمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه ثم لم يكن له من المـيزة الفائقة في قومه مايحملهم على الاهتـداء بهديه فبقي الخلاف ذائعا والرشد ضائعا اتفق الناس فى الاذعان لمـا فاق قدرهم وعلا متناول استطاعتهم لكنهم اختلفوا في فهم ماتلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافا كان أشد أثراً في التقاطع بينهم وإِثارة أعاصير الشقاق فيهم من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبـة الشهوات عليهـم

« ان كان الانسان قد فطر على أن يعيش فى جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة مامنحه النحل و بعض أفراد النمل مثـلا من الالهـام الهادي الى مايلزم لذلك وانما ترك الي فكره يتصرف به علي نحو ماسيق كما فطر علي الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفتـه ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما ألقي به في مطارح

النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الي حيث يدري ولا يدري وفي كل ذلك الويل على جامعته والخطر على وجوده أفهل مني هذا النوع بالنقص ورزئ بالقصور عن مثل مابلغه أضعف الحيوانات وأحطها في منازل الوجود؟ نعم هو كذلك لولا ما أتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

«الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى أعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره أرفع معالم الجبروت ويسامي بقوته مايعظم عن أن يسامي من قوي الكون الأعظم ثم يصغر ويتضاءل وينحط الي أدني درك من الاستكانة والخضوع متى عرض له أمر ما لم يعرف سببه ولم يدرك منشأه ذلك لسر عرفه المستبصرون واستشعرته نفوس الناس أجمعين

« من ذلك الضعف قيد الى هداه ومن تلك الضعة أخذ بيده الى شرف سعادته . أكمل الواهب الجواد لجملته ما اقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره أن ينقص من أفراده وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرّف للحواس لينظر في طلب اللقمة وستر العورة والتوقي من الحر والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذي هو عماد كونه بالاجماع . من عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التى أقفرت منها لم يخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير أنه أتاه مع ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين أفراده مرشدين هادين وميزهم من بينها بخصائص في أنفسهم لايشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخذي الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بما لامندوحة عن الاذعان له ويستوي في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك والسلطان والصعلوك والعاقل والجاهل والمفضول والفاضل فيكون الاذعان لهم أشبه

بالاضطراري منه بالاختياري النظري يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أراد أن يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الانبياء والمرسلون فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعد . ثم قال الاستاذ :

﴿ امكان الوحي ﴾

«الكلام فى امكان الوحي يأتي بعد تعريفه لتصوير المعني الذي يراد منه والمتعرّف المعني الحاصل بالمصدر فيفهم معني المصدر نفسه ولا يعنينا ماتشيره الالفاظ في الاذهان ولنذكر من اللغة ماينا سبه . يقال وحيت اليه وأوحيت اذا كلمته بما تخفيه عن غيره . والوحي مصدر من ذلك والمكتوب والرسالة وكل ماألقيته الى غيرك ليعلمه . ثم غلب فيما يلقي الي الانبياء من قبل الله . وقيل الوحي اعلام فى خفاء . ويطلق ويراد به الوحي . وقد عرفوه شرعا أنه كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه . أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه و بين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى مايطلب علي غير شعور منها من أين أتي وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور . أما امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحى) وانكشاف ماغاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا أراه ممايصعب ادراكه الا على من لا يريد أن يدرك ويحب أن يرغم نفسه الفهامة على أن لا تفهم . نعم يوجد في كل أمة وفى كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص في العلم الي ماوراء سواحل اليقين فيسقطون في غمرات من الشك في كل مالم يقع تحت حواسهم الخمس . بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها كما سبقت الاشارة اليه فكأنهم بسقطتهم هذه انحطوا الى ماهو أدني من مراتب أنواع أخري من الحيوان فينسون العقل

وشؤونه وسره ومكنونه ويجدون في ذلك لذة الاطلاق عن قيود الأوامر والنواهي بل عن محابس الحشمة التى تضمهم الى التزام مايليق وتحجزهم عن مقارفة مالا يليق كما هو حال غير الانسان من الحيوان فاذا عرض عليهم شيء من الكلام في النبوات والأديان وهمّ من أنفسهم هام بالاصغاء دافعوه بما أوتوا من الاختيار فى النظر وانصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذر أن يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة وتتبعها الشريعة فيحرموا لذة ماذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في الانفس والقلوب يستشفي منه بالعلم ان شاء الله

«قلت أي استحالة في الوحى وأن ينكشف لفلان مالا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم أن ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة

مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً وأن الأدني منها لا يدرك ماعليه الأعلى الا علي وجه من الاجمال وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط بل لا بد معه من التفاوت في الفطر التى لامدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولا شبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ماهو بديهي عند من هو أرقي منه ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك الى مالا يحصره العدد وان من أرباب الهمم وكبار النفوس ما يري البعيد عن صغارها قريبا فيسعي اليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذي لاينازع والظاهر الذي لايجاحد فاذا أنكره منكر ثاروا عليه ثورتهم في باديء الأمر على من دعاهم اليه ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهرا في كل أمة الي اليوم

«فاذا سلم «ولا محيص عن التسليم» بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول اليها أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية مايكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ماتستعد به من محض الفيض الالهي لأن تتصل بالأفق الأعلى وتنتهى من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان مالم

يصل غيرها الي تعقله أو تحسسه بعصي الدليل والبرهان وتتلقي عن العليم الحكيم مايعلو وضوحا على مايتلقاه أحدنا عن أساتذة التعاليم ثم تصدر عن ذلك العلم الي تعليم ماعلمت ودعوة الناس الى ماحملت على ابلاغه اليهم وأن يكون ذلك سنة لله فى كل أمة وفي كل زمان علي حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفي للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته الي أن يبلغ النوع الانساني أشده وتكون الأعلام التى نصبها لهدايته الي سعادته كافية في ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما سنأتي عليه في رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم

«أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية فما لااستحالة فيه بعد ماعرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود علي ماهو ألطف من المادة وان غيب عنا فأي مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشئ من العلم الالهي وأن يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا علي الاذعان بصحته

« أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند أعداء الانبياء مالا يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الي درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله انه يري ويسمع بل يجالد ويصارع ولاشئ من ذلك فى الحقيقة بواقع، فان جاز التمثل في الصور المعقولة ولا منشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض علي المخ فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفوس العالية وأن يكون ذلك لها عند ماتنزع عن عالم الحس وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صلة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم وغاية مايلزم عنه أن يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف فى تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لأن شأنهم في الناس أيضاً غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه

أن أمراض القلوب تشفي بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة فى أممهم التي تأخذ بعقالهم ومن المنكر في البديهة أن يصدر الصحيح من معتل ويستقيم النظام بمختل

«أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفان ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء على شرعهم ودعوتهم أمناء فكثير منهم نال حظه من الانس بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس لهم مشارفة فى بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة فى عالم المثال لاتنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيأ مما يحدث به عن الانبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودليل صحة مايتحدثون به وعنه ظهور الأثر الصالح منهم وسلامة أعمالهم مما يخالف شرائع أنبيائهم وطهارة فطرهم مما ينكره العقل الصحيح أو يمجه الذوق السليم واندفاعهم بباعث من الحق الناطق في سرائرهم المتلألئ في بصائرهم الى دعوة من يَخِفُّ بهم الي مافيه خير العامة وترويح قلوب الخاصة ولا يخلو العالم من متشبهين بهم ولكن ما أسرع ماينكشف حالهم ويسوء مآلهم ومآل من غرروا به ولا يكون لهم الا سوء الأثر فى تضليل العقول وفساد الاخلاق وانحطاط شأن القوم الذين رزؤا بهم الا أن يتداركهم الله بلطفه فتكون كلمتهم الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار. فلم يبق بين المنكرين لأحوال الانبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما أنبؤا به بل وبوقوعه الا حجاب من العادة وكثيرا ما حجب العقول حتي عن ادراك أمور معتادة. ثم قال الاستاذ:

﴿ وقوع الوحي والرسالة ﴾

« الدليل علي رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر للشاهد الذي يري حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان مايغنيه عن البيان كما سلف في الوجه الاول من الكلام على الرساله أما للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبين في علم آخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم علي الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالاخبار بوجود مكة أو بأن

للصين عاصمة تسمي بكين . وسبب استحالة التواطؤ علي الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك الي العدد وبعد الراوي عن التشيع لمضمون الخبر

« لا نزاع بين العقلاء فى أن هذا النوع من الاخبار يحصل اليقين بالمخبر به وانما النزاع في اعتبارات تتعلق به ومن الانبياء ما استوفي الخبر عنهم شرائط التواتر كابراهيم وموسي وعيسى ومما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالأقوي سلطانا ولا بالأكثر مالا ولم يختصهم أحد بالعناية بهم لتعليمهم علم مادعوا اليه وغاية الأمر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بدعوة الى الله على رغم الملوك وأجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم في عروشهم وادعوا أنهم يبلغون عن خالق السموات والارض ما أراد شرعه للناس واقاموا من الدليل ماتصاغرت دونه قوة المعارضة ثم ثبتت في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطر وكان الخير لاممهم في اتباع ماجاؤا به حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة ما كانوا قائمين عليها ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا وما أقاموه من الأدلة عند التحدي لا يصح معه في العقل أن يكونوا كاذبين فى حديثهم عن الله ولا في دعواهم أنه كان يوحي اليهم ماشرعوا للناس علي ان من لا يعتقد مايقول لا يبقي لمقاله أثر في العقول والباطل لا بقاء له الا في الغفلة عنه كالنبات الخبيث في الأرض الطيبة ينبت باهمالها وينمو باغفالها فاذا لامستها عناية الزارع غلبه الخصب وذهب به الزكاء ولكن تلك الديانات التي جاء بها أولئك الانبياء قامت في العالم الانساني ماشاء الله مما قدر لها مقام سائر قواه مع كثرة المعارضين وقوة سلطان المغالبين فلا يمكن أن يكون أسها الكذب ودعامتها الحيلة وكلامنا هذا في جوهرها الذي يلوح دائما في خلال ما ألحق بها المبتدعون أما بقية الرسل مما يجب علينا الايمان بهم فيكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به وسنأتي علي الكلام

في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في باب على حدته ان شاء الله

﴿ وظيفة الرسل عليهم السلام ﴾

«تبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الي الرسل أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الاشخاص وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو ايداعها مافيه سعادتها في الحياتين أما تفصيل طرق المعيشة والحذق في وجوه المكسب وتطاول شهوات العقل الي درك ما أعد للوصول اليه من أسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريبا في الاعتقاد بأن للكون الهاً واحدا قادرا عالما حكيما متصفا بما أوجب الدليل أن يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في أنها مخلوقة له وصنع قدرته وانما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة أحدا من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الأمة على ماحدد في شريعتها

« يرشدون الحق الى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة. يجمعون كلمة الخلق على إله واحد لا فرقة معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده وينهضون نفوسهم الى التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرة لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى تقوي ماضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا

«يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم ولذاتهم فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ويؤيدون بما يبلغون عنه ماتقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة. يعودون بالناس الي الألفة

ويكشفون لهم سر المحبة ويستلفتونهم الى أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم. يعلمونهم لذلك أن يرعي كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وأن لا يتجاوز في الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له وحظر تناول شئ مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله واحترام الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء بالعقود والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والاقدام علي نصيحة الاقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء. يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية الي طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه

« يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبي لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع في محاظيره يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر انتظارا الجزيل الأجر أو ارضاء لمن بيده الأمر وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الانساني لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله الي اليوم

« ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن من طبقات الارض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج اليه النباتات في نموها ولا

ماتفتقر اليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول الى دقائقه الفهوم فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة هدي الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد في سعادة المحصلين ويقضى فيه بالنكد على المقصرين ولكن كانت سنة الله في ذلك أن يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل على الاجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول الى ما أعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

« أما ماورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في أحوال الافلاك أو هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى مافيه الدلالة على حكمة مبدعه أو توجيه الفكر الى الغوص لادراك أسراره وبدائعه ولغتهم عليهم الصلاة والسلام في مخاطبة أممهم لايجوز أن تكون فوق مايفهمون والا ضاعت الحكمة في ارسالهم ولهذا قد يأتي التعبير الذي سيق الى العامة بما يحتاج الى التأويل والتفسير عند الخاصة وكذلك ماوجه الي الخاصة يحتاج الى الزمان الطويل حتى يفهمه العامة وهذا القسم أقل ماورد في كلامهم

« علي كل حال لايجوز أن يقام الدين حاجزا بين الارواح وبين ماميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان مطالباً لها باحترام البرهان فارضاً عليها أن تبذل ماتستطيع من الجهد في معرفة مابين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد والوقوف في سلامة الاعتقاد عند الحد ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجني عليه جناية لايغفرها له رب الدين

﴿ اعتراض مشهور ﴾

« قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكمالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والأخروية فما بالهم لم يزالوا أشقياء ، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون يتقاتلون ولا يتناصرون ، يتناهبون ولا يتناصفون، كل يستعد للوثبة ولا ينتظر الا مجيء النوبة ، حشو جلودهم الظلم وملء قلوبهم الطمع، عدأهل كل ذي دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم فيه واتخذوا منه

سبباً جديداً للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع . بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم وتختلف مذاهبهم في فهمه وتتفارق عقولهم في عقائدهم ويثور بينهم غبار الشر وتتشبث أهواؤهم بالفتن فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم الي أن يغلب قويهم ضعيفهم فيستقر الأمر للقوة لا للحق والدين فما هو الدين الذي تقول انه جامع الكلمة ورسول المحبة كان سبباً في الشقاق ومضرما للضغينة فما هذه الدعوي وما هذا الأثر ؟ نقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في أيدي من لا يفهمه أو يفهمه ويغلو فيه أولا يغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه أو امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الانبياء أنفسهم أو الخيرة من تبعهم والا فقل لنا أي نبي لم يأت أمته بالخير الجم والفيض الأعم ولم يكن دينه وافياً بجميع ما كانت تمس اليه حاجتها في أفرادها وجملتها

«أظن أنك لا تخالفنا في أن الجمهور الأعظم من الناس بل الكل الا قليلا لا يفهمون فلسفة أفلاطون ولا يقيسون أفكارهم وآراءهم بمنطق ارسطو بل لو عرض أقرب المعقولات الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن أن يأتي بها معبر لما أدركوا منها الا خيالا لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل فاعتبر هذه الطبقات في حالها التي لا تفارقها من تلاعب الشهوات بها ثم انصب نفسك واعظا بينها في تخفيف بلاء ساقه النزاع اليها فأي الطرق أقرب اليك في مواجهة شهواتهم وردها الى الاعتدال في رغائبها

« من البديهي أنك لا تجد الطريق الاقرب في بيان مضار الاسراف في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لا يصل اليه أرباب العقول السامية الا بطويل النظر وانما تجد أقصد الطرق وأقومها أن تأتي اليه من نافذة الوجدان المطلة على سر القهر المحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله الذي وهبه ماوهب الغالب عليه في أدني شؤونه اليه المحيط بما في نفسه الآخذ بأزمة هممه وتسوق اليه من الامثال في ذلك ما يقرب الى فهمه ثم تروي له ماجاء في الدين المعتقد به من مواعظ وعبر ومن سير

السلف في ذلك الدين مافيه أسوة حسنة وتنعش روحه بذكر رضاء الله اذا استقام وسخطه عليه اذا تقحم . عند ذلك يخشع منه القلب وتدمع العين ويستخذي الغضب وتخمد الشهوة والسامع لم يفهم من ذلك كله الا انه يرضى الله وأولياءه اذا أطاع ويسخطهم اذا عصي . ذلك هو المشهود من حال البشر غابرهم وحاضرهم ومنكره يسم نفسه أنه ليس منهم كم سمعنا أن عيونا بكت وزفرات صعدت وقلوبا خشعت لواعظ الدين . لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدي نصاح الأدب وزعماء السياسة ؟ متي سمعنا أن طبقة من طبقات الناس يغلب الخير عل أعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم أوخاصتهم وينفي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك ؟ هذا أمر لم يعهد في سير البشر ولا ينطبق علي فطرهم وانما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للأمرين الا بالدين فعامل الدين هو أقوي العوامل في أخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه علي نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم

« قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص أو منزلة العلم المنصوب علي الطريق المسلوك بل نصعد الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ومع ذلك فقد يسيء البصير استعمال بصره فيتردي في هاوية يهلك فيها وعيناه سليمتان تلمعان فى وجهه . يقع ذلك لطيش أو اهمال أو غفلة أو لجاج وعناد . وقد يقوم من العقل والحس ألف دليل على مضرة شيء ويعلم ذلك الباغي في رأيه من أهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة اللجاج أو نحوها ولكن وقوع هذه الامثال لاينقص من قدر الحس أوالعقل فيما خلق لأجله . كذلك الرسل عليهم السلام أعلام هداية نصبها الله على سبيل النجاة فمن اهتدي بها فانتهي الى غايات السعادة ومنهم من غلط فى فهمها أو انحرف عن هديها فانكب في مهاوي الشقاء فالدين هاد والنقص يعرض لمن دعوا الي الاهتداء به ولا يطعن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا

ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » ألا ان الدين مستقر السكينة وملجأ الطمأنينة به يرضي كل بما قسم له وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس الى أحكام السنن العامة في الكون وبه ينظر الانسان الى من فوقه في العلم والفضيلة والي من دونه في المال والجاه اتباعا لما وردت به الأوامر الالهية . الدين أشبه بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعي الاختيارية. الدين قوة من أعظم قوي البشر وانما قد يعرض عليها من العلل مايعرض لغيرها من القوي وكل ماوجه الى الدين من مثل الاعتراض الذي نحن بصدده فتبعته في أعناق القائمين عليه الناصبين أنفسهم منصب الدعوة اليه أو المعروفين بأنهم حفظته ورعاة أحكامه وما عليهم في ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به ويرجعوا به الى أصوله الطاهرة الاولى ويضعوا عنه أوزار البدع فترجع اليه قوته وتظهر للاعمى حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الى رأي القائلين باهمال العقل بالمرة في قضايا الدين وبأن أساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة أن تنفذ الي فهم ما أودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الأمر كما عساه أن يقال لما كان الدين علما يهتدي به وانما الذي سبق تقريره هو أن العقل وحده لايستقل بالوصول الي مافيه سعادة الأمم بدون مرشد الهى كما لايستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابدمعهامن السمع لادراك المسموعات مثلا كذلك الدين هوحاسةعامة لكشف مايشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال. كيف ينكرعلي العقل حقه في ذلك وهو الذي ينظر في أدلتها ليصل منها الى معرفتها وانها آتية من قبل الله وانما علي العقل بعد التصديق برسالة نبي أن يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطع الوصول الى كنه بعضه والنفوذ الى حقيقته ولا يقضي عليه ذلك بقبول ماهو من باب المحال المؤدي الي مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد

في آن واحد فان ذلك مما تتنزه النبوات عن أن تأتي به فان جاء مايوهم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل أن يعتقد أن الظاهر غير مراد وله الخيار بعد ذلك في التأويل مسترشداً ببقية ماجاء على لسان من ورد المتشابه في كلامه وفي التفويض الى الله فى علمه وفي سلفنا من الناجين من أخذ بالأول ومنهم من أخذ بالثاني.» انتهي كلام الشيخ

(رأينا نحن في مسئلة النبوة والانبياء)

هذه المسئلة أصعب مسائل الفلسفة الدينية وعلى حلها يتوقف ثبوت الأديان السماوية. فقد يسهل على الانسان في هذا العصر أن يستدل على وجود الخالق من النظر الي الكون، وعلى وجود الروح من استعراض المباحث والتجارب النفسية التي قام بها أقطاب العلم الاوروبي فى هذا العصر، ولكن لا يسهل عليه وجدان الأدلة الكافية علي مسئلة النبوة، ولا يهتدي الى الطريق المؤدية الي الاعتقاد بصحة الأديان التى توزعت النوع الانساني منذ أزمان بعيدة

ان كلامنا في هذه المسئلة يجب أن يكون حالا لشبهات الملحدين المعاصرين، ومزيلا لشكوك المترددين من الاعتقاديين، فلا يؤاخذني رجال الدين ان آنسوا مني خلافا لمقرراتهم فى بعض هذه المرامي فان شبهات الملحدين في هذه المسئلة لم تدع وجهاً من وجوه توهينها الا أتت عليه، فأصبح ايمان المؤمنين مهدداً بالانحلال، وفى هذا مافيه من الضرر العظيم، لا بالمؤمنين وحدهم، بل و بالعلم نفسه. واني أري أنه مادام الاعتقاديون حريصين على ماورد في كتبهم الرسمية من أقوال اسلافهم وان لم يؤيده نص صريح من الوحي فان موقفهم بأزاء الملحدين لا يحتمل المقاومة، وينتهى أمرهم كما انتهي فى هذا العصر الي ضعف يعدو على كيانهم، ويضيع من وجودهم. ونحن اعتمادا على هذا سنسلك في هذا البحث مسلك النقد العلمى حتى يكون مانكتبه حالاً للشبهات الرائجة فى هذا العصر

يقرأ الناقد العصري ما كتبه العلامة ابن حزم في حاجة العالم الى الانبياء، وما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده وهو أحسن ما يستطيع أن يقوله الاعتقاديون في هذا الباب، فلا يقنعه ولا يحل له بعض ما لديه من الشبهات

أما شبهاته على قول ابن حزم فكثيرة فقد ذهب الى ان الانسان لم يهتد الى أصغر صناعة من صناعاته ، بل أحقر لهجة من لهجاته، الا بوحي الهي فحط بالانسان الى مادون دركة الحيوان الأعجم ، وغمط قواه العاقلة حقها في هدايته وارشاده ، ومثل هذا الكلام لايقوي على النقد ، ولا يحتمل المناقشة

وأما شبهاته على قول الاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهو أكمل وأبلغ مايستطيع الاعتقاديون أن يحتجوا به ، فلا تزال قوية فى نظره ، ولم تنفك غير محلولة ، فاذا لم يجد من القائمين على العقائد من يؤتيه بنظرية في موضوع النبوة والوحي تتمشي مع العقل والعلم اضطر الي ترك الدين والانضمام الى صفوف الملحدين مضطرا بحكم الدافع العلمى

ونحن في هذا المقام سنخول هذا الناقد العلمى الحق في الادلاء بجميع شبهاته مصغين الى مايقوله بسعة صدر ، وشدة اهتمام حتى لايدع في جعبة شكوكه سهما من تلك السهام التي تصيبه فى اعماق ضميره الا كشف عنه الغطاء وأرانا مكان وجوده ومبلغ تأثيره ، علما منا بأن تلك الشبهات لو بقيت كامنة في صدور الناس ساقتهم الى الالحاد بقوتها الذاتية ، و بقيت عاملة في الخفاء عندهم عمل النار في الهشيم ، وذهب وعظ الواعظين ، وتنبيه المنبهين سدي كما هو حاصل اليوم ، وأخذ الدين في التضاؤل أمام العلم حتى ينتهى أمره الي التلاشى كما تدل عليه الدلائل اليوم

يمكن تلخيص ماقاله الاستاذ الشيخ محمد عبده في هذه الكلمات :

الانسان في حاجة الى النبوة بدافعين طبيعيين فيه

(أولهما) اعتقاده ببقاء الروح بعد الموت في عالم وراء هذا العالم وحاجته لمعرفة ماعليه ذلك العالم من الشؤون وما أعد له فيه من الحالات ، فرحمه الخالق بأن أرسل له من يكشف له من أمور ذلك العالم ماتطمئن نفسه اليه ، ومن الحالات التى تنتظره فيه مايجب التعويل عليه

(ثانيهما) قيام أمر الانسان علي الاجتماع والتضامن بين أفراده في الحياة ولم يفطر الانسان على مافطر عليه النحل أو النمل مثلا من الاجتماع والتضامن بل ترك لتأثير عقله وفكره ، واستدلاله ونظره ، وليس

في صفاته هذه مايحمله على أحكام روابط الاجماع على بني جنسه لغلبة الشهوات عليه ، فكان لا بد للناس من أنبياء يرسلهم الله بالأوامر الصادعة ، والعظات الرادعة ، والمعجزات الباهرة ليحملهم كل ذلك علي الاجتماع عليه ، وعلى ماجاء به من أمر الله فيتحابون بواسطته في الله ، ويجتمعون علي هديه وهداه .

يقول الناقد العلمى : ليس في هذين العاملين مايكفي لتعليل نظرية حاجة الانسان الى الانبياء لجريان السنن الاجتماعية على خلافها ، ولتظاهر الاحوال الانسانية في مناقضتها . ولمخالفة بعض المسلمات التي استند عليها الاستاذ لمقررات العلم . وكلامنا فى نقدنا ينحصر في الوجوه التالية :

(أولا) ليست الأمم كلها تعتقد بخلود الروح فعلى الارض أمم منها من هى على الحالة الوحشية ومنها من هي من أرسخ الأمم قدما فى المدنية لاتقول بهذه العقيدة ، أو تقول بها على نقص فيها ، ولم يمنع هذا من ظهور النبوات أو مايشبهها فيها فالأمة البوذية وهي تعد بمئات الملايين لاتقول بخلود الروح فان مرمي عقيدتها للخلاص من آلام الحياة ومنغصات هذا التكوين هو الفناء وضياع كل حس بالوجود الذاتي . وقد دعا الى هذه العقيدة في الهند قبل نحو الفي سنة رجل منهم يقال له بوذا فلباه الناس سراعا والتفوا حوله وتحمسوا لدعوته تحمسا لا غاية بعده حتى كان أحدهم يعذب بالحديد والنار ليصبأ عن دينه فيحتقر أنواع هذه الآلام في سبيل تمسكه بمذهبه . وانتشر هذا الدين في سنين معدودة بين الهنود والصينيين انتشاراً زعزع أركان الدين البرهمي القديم ونقص من أطرافه نقصاً أضاعه سيادته المطلقة على العقول

بل هذه أمامنا الديانة الموسوية لم يذكر كتابها (التوراة) الخلود بكلمة واحدة بل اقتصر في حث اليهود الى الطاعات علي مكافأتهم بالوصول الى أرض الميعاد وهي فلسطين . ولم تنشأ هذه العقيدة فيهم الا بعد موت موسي عليه السلام كما يدل عليه ماسطر فى كتاب التلمود . فلم يكن علة ظهور نبيهم هدايتهم الى مايتلمسونه من العلم بحال الحياة الآخرة ، ولا ارشادهم الي اتقان الأعمال التي توصلهم اليها

والأمة المصرية القديمة وان كانت تعتقد بخلود الروح الا انها كانت تعتبره من حظ الذين تسعدهم العناية بتصبير أجسادهم بعد موتهم ، وما كان يحصل منهم على هذه الميزة الا الملوك وأفراد من سراة الأمة ، وهذا كله لم يمنع تمسكهم بأنواع من الاعتقادات ، وضروب من العبادات بعثتهم لاقامة الهياكل وتعظيم الكهان .

وفي الأرض أمم تعتقد بالخلود ولكنها تقصره على ملوكها وكبرائها ومحاربيها ولم يمنعها ذلك من تمسكها ببعض العقائد وتحمسها لها تحمساً تسترخص معه في سبيل نصرتها حياتها النفيسة

فيتبين من هذه النظرية الاجتماعية لكل متأمل ان العقيدة بالخلود لاتصح أن تكون علة في بعث الانبياء ولا سبباً موجباً لارسالهم . فان الأمم كما رأيت لاتستوي في الجري وراء هذه العقيدة بل منها ماجعلت الخلاص من الآلام والنجاة من مقتضيات الوجود مرتبطا بالفناء البحت فجعلت عقيدة الفناء غايتها الدينية كالأمة البوذية . فقول الاستاذ (اتفقت كلة البشر الا قليلا لايقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن الخ) لاينطبق علي مقررات العلم الاجتماعي ولا يصح أن يكون أساساً لارسال الانبياء الى الأمم

(ثانياً) قد تقرر فى علم الاجتماع البشري ان السائق الوحيد لاجتماع الانسان علي بني جنسه هو حاجة أفراده الي التضامن في الحياة ، وان هذا الاجتماع والتضامن ليسا في حاجة الي عامل من الاعتقاد بالنبوات لظهور أثرهما في الأمم التي لاتدين للانبياء أكثر من ظهوره في الأمم التى تدين لهم . ونحن لانذهب بالقاريء الي العهود البعيدة من تاريخ الأمم غابرها وحاضرها وهذه أمامنا الأمم المتمدنة قد أقامت وحداتها علي الوطنية المجردة عن كل صبغة دينية حتى ان منها ماحرم تدريس الدين في مدارسه الرسمية وأنت تري ان هذه النزعة فضلا عن انها لم توه روابطها ولم تحل حوافظها قد زادتها قوة على قوة وكل منها اليوم تناضل عن وحدتها مناضلة الحي عن وجوده لاتبالى في سبيلها بما تريق من مهجاتها ، وما تبذل من أموالها . وقد قام فيها التضامن والتكافل والترافد والعدل

على قواعد المصلحة المجردة عن كل غرض ديني ، ولم يظهر على بنائها تضعضع ، ولا على أركانها تزعزع رغما عن جريهاشوطا بعيدا في مناقضة الانبياء والقائمين على تعاليمهم ، فلو كان لا قوام للعدل والحياة الاجتماعية والتضامن في الوجود الا بالنبوات لكانت انحلت روابط هذه الأمم ، وساورتها المحللات من حيث تدري ولا تدري ولسنا نشذ عن مقررات العلم لو قلنا ان هذه الأمم ما اتجهت لهذه الوجهة الصالحة في الحياة ، ولا وصلت الى هذه الغايات البعيدة من العلم والعمران الا بترك التعاليم الدينية ، والافتكاك من تقاليدها القديمة

(ثالثا) لو كانت النبوة كما يقول الاستاذ ضرورية لحياة النوع البشري ، ولا قوام لها الا بها فلم كثرت الانبياء في أمم وحرمتهم أمم أخرى ، كثروا في الأمة الاسرائيلية مثلا وحرمتهم الأمم الافريقية وكثير من الأمم الاسيوية والاوربية ؟ ولم كان يمضي بين رسول ورسول مئات من السنين مع اقتضاء حالة الأمم وخصوصاً في أول عهدها بالحياة لمن يوالبها النصيحة ، ويتابع لها الموعظة ؟ ولم تنقطع النبوة بعد خاتم النبيين مع ان أكثر الأمم لا تزال على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين ؟ ولم لم يرسل لمثل أمم الهوتانتوت والنيام نيام في أفريقيا وأمثالهم في الاوقيانوسية وأمريكا وآسيا أنبياء ونحن نري هذه الملايين من المخلوقات في حاجة الى من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الي سواء السبيل ؟ هل يعقل أن يحابي الخالق الحكيم بعض الأمم فيرسل لها مئات الانبياء كالأمة الاسرائيلية ويحرم من هذه النعمة بقية البشر ، أو يكتفي بأن يرسل اليهم واحداً أو اثنين في ألوف من السنين ؟

يقول الاستاذ قد كان ارسال الانبياء لهداية الخلق الي الحق وان النبوة كانت حاجة من حاجات الاجتماع التى لا محيص عنها ، وقد نص القرآن على عكس هذا فذكر في آيات لا تحصي ان الله كان يرسل المرسلين للأمم فتنفر منهم وتنكر عليهم تعاليمهم ، وتناصبهم الحرب فتارة تقتلهم ، وطورا ينتصر الله لأنبيائه فيبيد تلك الأمم ، حتى صرح بأن الأمم كافة قد اتحدت كلمتها على مناقضة الانبياء والنفور منهم والتألب عليهم ، فكيف

توفق بين هذه التصريحات و بين قول الاستاذ ان النبوة حاجة من حاجات الأمم وعماداً لا يمكن أن يقوم مقامه غيره في بناء هيئتها ؟

لو كانت النبوة حاجة من حاجات الحياة الانسانية لقبلت الأمم دعوتها وعملت بما أتت به طائفة مختارة ولظهر أثرها عليها في أدوار وجودها ولكن الذي نص عليه الكتاب ان الأمم والنبوات كانا على طرفي نقيض ولم يكن من أثر تلك النبوات الا هلاك تلك الأمم التي وجدت فيها ، فان أقوام نوح وابراهيم وصالح وهود وسواهم ممن لا يحصى لهم عدد قد كذبوا رسلهم فأبيدوا ودام الحال على هذا المنوال حتى جاء موسي فلقي من قومه مالقي ووجد قومه من جراء عصيانهم له ماوجدوا حتى مات فانشقت عصاهم وتفرقوا في الارض ، وتمسكوا بقشور من تعاليمهم الاولى . وجاء عيسى فدعا الناس فلم يجتمع عليه الا ضعفاؤهم ممن لا يغني عن نفسه شيئا ودام أمرهم على هذه الحال حتى جاء الامبراطور كونستانتان بعد عيسي بثلاث مئة سنة واتفق انه كان مسيحيا فحمل الناس على التنصر بالقوة فحملوا الى عقيدتهم الجديدة عقائد اسلافهم في تفصيل ليس هذا موضعه ، وجاء خاتم النبيين فكان أوفر الانبياء حظا فدانت له أمته بعد مجالدات عنيفة ، ومصادمات شديدة ، ولكنه لم ينتقل الى جوار ربه حتي ارتد العرب الي وثنيتهم ولولا أبو بكر انتدب لمحاربتهم واجبارهم على الاسلام لكان هذا الدين قاصرا علي أفراد من سكان مكة والمدينة ، ومع هذا كله عادت للجزيرة جاهليتها ولكن علي شكل آخر ، فرجعت العصبية القبيلية ، والمفاخرة بالانساب ، والفرقة والشقاق ، وما هي الا حياة الخلفاء الاربعة حتى انقلبت الخلافة الى ملك عضوض وطمت البدع ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، وخضع الملك الاسلامي للناموس الاجتماعي العام الذي تخضع له كل أمة فلم يكن تحولها على مقتضى دينها وشريعتها بل على مقتضى القوانين الاجتماعية التى تخضع لها كل هيئة اجتماعية ، فانقسمت الى طوائف ، وجعلت تلك الطوائف همها مقاتلة بعضها بعضا ، على نحو ماعليه سائر الطوائف فأين أثر الدين في كل هذا ، وما هي حكمة

رسال الانبياء بعد أن أريناك مارأيت؟

هذه أقوال يستطيع أن يقولها ناقد علمي وهي التي تحيك في صدور النشء وتعمل في الخفاء على سلبهم العقيدة، واخراجهم الي متائه الالحادوان لم يجرأوا علي الادلاء بها، وقد رأينا أن نبرزها للناس من مكامنها حتي يقف عليها كل قائم علي الدين ويجتهد في مكافحتها بالاسلحة التي تناسبها. واننا لوكنا رأينا ان ما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده يحل هذه الشبه لاكتفينا بنقله كما هي عادتنا، ولكنه كما تري لايقوي علي النقد الجدي، ولا يزيل من النفوس بعض ماعلق بها من شبهات الماديين في هذا العصر

وبما ان مسألة النبوة من أهم أركان الفلسفة الدينية وعليها يقوم بناء الدين الاسلامى وكل دين سبقه فقد رأينا أن نبذل الوسع في رد هذه الشبهات ببيان الحقيقة الناصعة في هذه المسئلة بذات الاسلحة العلمية، وفي المجال الذي يقف فيه الناقد العلمي، ولا يؤاخذني أحد فيما أخالف فيه من سبقني في الكلام في هذا الصدد فالأمر جلل، والحقيقة أثمن من أن تضيع تعصبا لمذهب من مذاهب المتقدمين، أو في سبيل نظرية من نظرياتهم. ان الشبه فى عصور آبائنا لم تبلغ الى مثل مابلغته في هذا العصر ولم يكن العلم بأحوال الاجتماع شائعا بين الناس علي نحو ماهو عليه اليوم فكان قليل من العلم يكفي لردشبهات الشاكين، ولكننا اليوم حيال مشاهدات علمية مقررة، وأمور واقعة ثابتة، وأزاء ملحدة قد حذقوا فنون الجدل، ومرنوا علي التلاعب بالأدلة الحسية فاذا أردنا أن ننصر العقيدة نصرا صحيحا وجب علينا أن نقابل هؤلاء المناضلين بمثل علومهم وبذات أسلحتهم، ولو أدانا هذا النضال الي التسامح في بعض مقرراتنا الرسمية والا ضاعت العقيدة بالجمود على تلك المقررات التي لايقوم عليها دليل، بل التي قد قام الدليل العلمي على بطلانها. واذا كان الله هو الحق، وليس لنا من حياتنا ومجهوداتنا الا مانقوله ونعمله من حق، فلا يجوز أن يقف في سبيل وصولنا الى الحق حائل من التعصب القديم، ولا مانع من الجمود علي موروث

(رأينا في حلول هـذه الشبه) هل النبوة حق ويمكن اثباتها علميا ؟ هل هي حاجة من حاجات الانسان الاجتماعيـة والروحية ؟ هل أمرها ينطبق على نواميس الاجتماع البشري ؟ وهل يمكن وجـدان الناموس الاجتماعي الذي تسير بموجبه ، وقد ثبت لنا من استعراض أحوال البشر ان شؤونهم مقودة بنواميس ثابتة لاتتغير تشبه النواميس العاملة فى المواد الطبيعية؟ وهل النبوة، ان ثبتت ، لاتزال حاجة من حاجات البشر أم انقطعت بانقضاء دورها؟ وهل هي شرط من شروط صحة الاعتقاد بحيث يدان في العـالم الأخروي من لا يسلم بها ؟

لامناص لنـا في هذا البحث من استقصاء الكلام فى كل هـذه المسائل فان الروح العصرية تتطلبها وأصبح الناس من أمرها شـيعاً متفرقين ، وينتظر منا اعطاءها القسط الواجب لها من الكلام في هذا الكتاب . فنقول والله المستعان

﴿ هل النبوة حق ﴾
(ويمكن اثباتها علميا ؟)

نعم النبوة حق وقد تناهضت الادلة العلمية اليوم على اثباتها بعد شيوع المباحث النفسية في أوروبا حتى صار في مكنة من يريد تمحيص مسائلهـا أن يقف على أدلتها بالبراهين المحسوسة . هذه جرأة منا في التعبير . ولكنها جـرأة تسوغها مالدينا من المعلومات وان كان الشرقيون لايزالون فى ناحية منها . لقـد أكب علماء الغرب وأقطاب فلسفته على دراسة الروح ومظاهرها على الاسلوب العـلمي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر واهتموا بها اهتماما لم يسبق له مثيل في مسئلة أخرى من المسائل العلميـة وبلغ من عنايتهم بها ان انتدب لبحثها ألوف من رجال العـلم فى كل أمة من الأمم المتمدنة ودونوا مباحثهم في كتب لاتحصى كثرة وأسسوا لها المجلات الخاصة وأقاموا لهـا المجتمعات والنوادي حتى اجتمعوا لها في شكل مؤتمرات عديدة . هذا كله حصل ولا يزال يحصل فى العـالم المتمدن والشرقيون بما عهد فيهم من الاعراض عن دراسـة المسائل العلمية لايزالون في ناحية عنه وقد انقسموا فيما بينهم الى فئتين فئة تؤيد المذاهب القديمة في الروح وأحوالها والنبوة وشؤنها ، وفئة أضربت الصفح عن كل ذلك ووقر في

روعها ان المدنيـة لاتعني غير الخروج عن كل عقيـدة ، والامـلاس من كل رابطة روحية، فاداهم ذلك الى أشنع حالات الاباحـة ، ولم يرزقوا رجالا من ذوي الغيرة العلمية ينبهونهم الى ماهو حاصل فى العالم الغربي ، وما فتح الله به على الناس في آخريات القرن التاسع عشر ومقدمة القرن العشرين . وقد كنا أول من نبه على خطورة هذه المسائل منذ استطعنا أن نمسك القـلم أي منذ نحو عشرين سنة بعد أن هدينا الي هذه المباحث في أثناء اشتغالنا بدراسة المسئلة الدينية ونحن في سن الدراسة التجهيزية فتجلي لنـا منها ماتجلي وأخـذنا منذ ذلك الحين نشيعها وندعو الناس الي تأملها منفردين لم ينصرنا فى الالفات اليها كاتب بل كانت بعض المجلات تسأل عنها فتجيب بأن هـذه حركة قام بها الغفل من الناس ، وجري وراءها من يسهل عليه الانخداع المشعوذين والدجاجـلة. والله يعلم ان أصحاب تلك المجلات كانوا أجهل بما يفتون فيه من سائليهم ، بل كان من الكتاب من كتب في الحط من شأنها ما كتب فجني بذلك على الناس والعـلم أكبر الجنايات وكان من أثر ذلك ان وقفت هذه المسئلة عند حد محدود من أذهان الشرقيين . ونحن قبل أن نخطوا خطوة في الاعتماد على هذه المباحث ننقل للقراء بعض أقوال أقطاب العلم فيها

قال الفيلسوف جان فينو صاحب مجلة المجلات الفرنسية فى مجلته :

« ان عدد أشياع المذهب الروحي قد بلغ الآن نحو العشرين مليـونا . وهم اما علماء واساتذة في الصناعة أو اطباء أو مهندسون . ولا يصح أن نتـوهم ان هؤلاء الرجال يستخدمون التدليس لانجاح الخرافات ، ويصعب علينا أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية أشهر من أن تذكر » انتهي

وقال الاستاذ العلامة روسل ولاس الانجليزي وهو مكتشف مذهب التحول والارتقاء أي مذهب دارون مع دارون في وقت واحد ولكن ثبت ان دارون كان أطلع بعد اصدقائه على مذهبـه قبل أن ينشر روسل ولاس مذهبه ببضع سنين فرأي العلماء من العدل أن ينسب المذهب الي دارون ويكفيك هـذا ادلالا على

فضل الرجل وسعة اطلاعـه ودقته في البحث قال في كتابه المسمى معجزات العصر الحاضر :

« لقـد كنت ماديا صرفا مقتنعاً بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني أدني محل للتصديق بحيـاة روحية ولا بوجود عامل فى هذا الكون غير المـادة وقوتها ولكنني رأيت ان المشاهـدات الحسية لاتغالب فانها قهرتني وأجـبرتني علي اعتبارها أشياء مثبتة قبـل أن أعتقد نسبتها الي أرواح الموتي بمـدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهـدات مكانا من عقلي شيئاً فشيئا ولم يكن ذلك بطريقـة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضاً بطريقة لايمكن التخلص منها بوسيلة أخري» (أي بغير نسبتها الي العالم الروحاني) انتهى

ونحن نستطيع أن نأتي عـلى آراء لايحصى لها عدد فى هـذا الصدد وكلها منسوبة للعلماء الأعلام أمثال الاساتذة وليم كروكس واوليفـر لودج وجارني وميارس ومورجان وشارل ريشيه وكاميل فلامريون وزولنر ولومبروزو ومابس وهار وهيزلوب وهودسون من كل أمـة من الأمم الاوروبيـة والامريكية فراجع ما كتبناه فى كلمة (الله وروح) لتقف علي بعض هذا. وما تردادنا لمثل هذه الأسانيد في هذه المناسبات الا ليذكر القـاريء اننا لانعتمد في ابحاثنـا على الأوهام ، ولا نستند على الاحلام . فان قال قائل بعد هذا ان جميع هؤلاء العلماء مخرفون أو واهمون ، وهم أقطاب العـلم الطبيعي وأساتذة اساتذة أكبر رأس في هذا الشرق الفقير من العلم والعلماء ، فعـلى الفلسفة والفلاسفة السلام

لنرجع الى ما كنا فيه : قلنا ان النبوة ، حق فقد ثبت علمياً و بالتجارب الحسية ان الانسان مكون من جوهرين متميزين المادة والروح ، فهو بجسده مرتبط بهذا العالم المـادي المحسوس المحـدود ، و بروحه متعلق بعالم روحانى ليس له حد ينتهى اليه ، ولا غاية يقف عنـدها ، فهو اذا كان بجثمانه لايفترق عن الحيوان الأعجم في حاجته الى الغذاء والـتزواج لحفظ جسده ونوعه ، الا انه بروحه يلحق بعالم عال لا يُدرِكُ كنه رفعته وهم ، ولا يحوم حول جمـاله وجلاله خيـال ، عالم متسلط علي المـادة يوجدها ويلاشيها ،

متصرف فيها يميتها ويحييها، هو العالم الالهى الحق الذي يعتبر مصدر ومرجع كل وجود غيره، وما هذه المادة الا مظهر من مظاهره، ومجلى من مجاليه، نسبتها اليه كنسبة الزبد من البحر، أو الاشعة من النور

وقد ثبت بما لايحصي من الأدلة العلمية ان الانسان لو أنيم نوما مغناطيسيا فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلق روحه بذلك العالم ظهورا لايحتاج معه لدليل فتراه يري بغير عينيه ويسمع بغير أذنيه ويحس بغير مشاعره، يري البعيدين عنه والقريبين منه على السواء، ويسمع مايقال بجانبه وما يتكلم به على ابعاد شاسعة في اقطار متنائية، يقرأ الخواطر التي تجيش بنفس المحيطين به، ويطلع علي هواجسهم فيصورها كأنه يشاهد جيشانها في صميم النفوس واعماق الصدور. فما هذه الحال اذا كان الانسان مادة محضا، وجسداً صرفا؟ اذا كان الانسان لايشعر الا بحواسه، ولايدرك الا بمشاعره، فما هذا الاحساس بماهو بعيد عنه، والاخبار عما ليس بينه وبينه اتصال؟

من هنا اقتنع العلماء بالحس علي ان للانسان روحا من غير جنس المادة وان هذه الروح لا حد لسلطانها، ولا غاية لارتقائها، وانها تتصل بأرواح متجردة عن المادة فتخبر عنها عن شهود وعيان، لا عن وهم وخيال. قال العلامة (بيو) الفرنسى في كتابه (المذكرات على المغناطيس الحيوي):

«النوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن علي امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخري لم تزل مكسوة بها»

وكتب الكاتب الكبير (جول بوا) فى جريدة الطان الشهيرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ يقول:

«ان ماحدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسى مما يكاد يعد معجزة، وماحصل من الفوائد بواسطة التلقين والاستهواء، وما يشاهد من مزايا الاعتقاد وثبات الارادة، والمحاورات المدهشة بواسطة التلباتيا (وهي التأثير على الاشياء والتأثر بها من بعد) ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الافكار وظهور شبح الانسان فى مكان بينما يكون هو فى محله لم يتحرك، واستخراج القوة الحيوية من الجسد (وقد توصلوا الي

رسمها وقياسها) وما يراه الانسان من الغيوب في النوم والانباء بالامور المستقبلة والخوارق التى تتم على يد الوسطاء ودراويش الهنود وهي في أكثر الاحوال صحيحة صادقة . كل هذا يتكوّن منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل على الانسان أن يزدريها أو أن لايعبأ بها » انتهى

هذا العالم الروحاني الذي تجلّى بجلاله وابهته لعلماء العالم المتمدن أصبح نكرانه ضلة من أكبر الضلات ، وزلة لاتغتفر لفاعلها

هذا العالم الروحاني مصدر الخلق والايجاد، ومنشأ الحس والادراك لايحدث في عالمنا المادي حادث صغر أو كبر ، ولا يتحول فيه أمر جل أو حقر ، الا كان متنزلا منه ، وصادرا عنه

فاذا ثبت ان المنوّم نوما مغناطيسيا يتصل به فيروي عنه معلومات تفوق معلومات البشر ، وان الوسيط الذي يستخدم لتحضير الارواح يتصل منه بالارواح المجردة فتظهر للحاضرين بعد أن تكتسي بالمادة فيلمسونها ويزنونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما تشبه معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ،

اذا ثبت هذا كله، وقد ثبت ثبوت المشاهدات العلمية علي أيدي أقطاب العلم العصري، فهل يسوغ أن ينكر علي أفراد من النوع البشري ادعوا انهم انبياء أن يتصلوا بذلك العالم على قدر مراتبهم فيأتوا منه للناس بعلم مالا يعلمون ، وتفسير ما كانوا يجهلون ، ويوحي اليهم منه مايرفع نفوسهم ، ويزيل شكوكهم ، ويفيدهم فى دنياهم وأخراهم ؟

من الظلم البين ، بل من الجهل الفاضح أن ينكر الرجل العصري هذا الأمر بعد ما ثبت بالمشاهدة فى المجامع العلمية وقد آب العلماء الماديون الي التصديق بالنبوات بعد أن كانوا ينكرونها ويحشرون الانبياء أما فى مصاف المصابين بالهستريا أو المخادعين المرائين ، وأصبحوا يعتقدون بأن الانبياء كانوا صادقين في ادعائهم الاتصال بالعالم الروحاني ، واستقاء معلوماتهم منه

بقي علينا أن نعرف ماهية الوحي ومراتب الاتصال بالعالم الروحاني ، وشؤن ذلك العالم الى غير ذلك من المعارف الضرورية لهذا البحث فنوجه نظر القاري

الي ما كتبناه في كلمة وحي فى حرف الواو فقد أسهبنا الكلام عليه وأتينا على آراء العصريين فيه

﴿ هل النبوة حاجة من حاجات ﴾
(الانسان الاجتماعية والروحية؟)

ان دراسة الاحوال الانسانيـة ، واستعراض شؤون الاجتماع البشري يرينا ان النبوة ليست حاجة من حاجات الاجتماع ولكنها حاجة روحية بمعني ان الاجتماع لايتوقف عليها ولكن يتوقف عليها استقامة النفوس علي جادة الصواب في مراميها المعنوية

فالاجتماع تدعو اليـه الضرورات الحيوية المادية ، وكفي بهذه الضرورات سائقا لتضامّ الافراد وتضامنهم في سبيل الحياة ، وقد نص القرآن الكريم على ان الله كان يرسل رسلا الى أمم كانت قائمة على أقوي الدعائم الاجتماعية ، وعلى جانب عظيم من المدنية المادية فكانت تكذبهم وتستهزئ بهم فيحل بها النكال بسبب ذلك التكذيب . وفي الارض اليوم أمم رفضت تعاليم الانبيـاء وهي على أحسن مايكون من التضامن الاجتماعي . فالنبوة اذن حاجة روحيـة بحت ولم تحرم منها أمة من أمم الارض مهما كانت درجتها من سلم الارتقـاء

قد دلنـا تاريخ البشرية على انه لم توجد على سطح الارض أمة مهما سفلت منزلتها في درجات العقل محرومـة من أساطير دينية ولو على أحط الاشكال ، اللهم الا أفرادا من النوع البشري يهيمون على وجوههم كالانعام لايفترقون عن القردة الا في تجـرد أجسادهم من الشعر يصادفهم السائحون في بعض الغابات على حال من الانحطاط العقلى ليس وراءها غاية ، ويظنهم من يراهم أنهم من بعض القردة . ومثل هؤلاء لايصح أن يعتمد علي حالهم في نقض الحقيقة الاجتماعيـة التي قررناها من شيوع التدين بين جميع طوائف البشر بغير استثناء وفى كل درجات الاجتماع . فان هؤلاء الهمل افراد لم يرقوا لدرجـة الاجتماع ، ولم يصلوا من الحياة الانسانيـة لادراك شأن من شؤونهـا الجامعة .

فالتـدين عام في جميع الطوائف غابرها ومعاصرها ، باديهـا وحاضرها . وهذا التدين فيها يتمثل للناظر في عقائد رسمية ، واصول ايمانية ، وتقاليد محترمة

وان كان منها ماينبذه العقل ، وينفر منه الطبع ، الا انه على أي الاحوال كان دين قائم على أسس راسخة في عقول تلك الطوائف ، ومتسلط على اهوائها بحيث تسترخص في الدفاع عنه أرواحها وتستلين في حياطته كل المراكب الخشنة ، فمن أين أتت هذه الأمم تلك المقررات الدينية وكيف اجتمعت كلمتها عليها ، و بأية وسيلة رسخت أصولها فيها ؟

ان قلنا ان التدين فطرة في النفس البشرية وانها ساقت الأمم الى تأليه قوي الطبيعة أو بعض مظاهرها، فكيف ندرك اتفاق كل طائفة على رسوم مقررة منها ، وأصول معينة فيها ، و كيف توحدت وجوه العبادة لديها واجتمعت اهواؤها علي أشكال محصورة من شؤونها ؟

لا يمكن تعليل هذه الوحدة في الوجهة الا بأحد أمرين وهما اما قيام نبي فيهم دعاهم الى دين يناسب عقولهم وأحوالهم الاجتماعية فحرف القوم تعاليمه حتى أحالوها الى الوثنية ، واما نبوغ فرد من أفرادهم لا من طريق النبوة بل من طريق النظر والاستدلال ، أو التحمس الديني على شكل من الاشكال ، فانفتق له حجاب الحس عن عالم الروح فنال منه طرفا اختلط عليه شئ من الوهم فأتاهم منه بعلم يناسب اهواءهم ومداركهم فاتبعوه ، وتوحدت وجهتهم علي يديه وتلاه على قيادتهم الروحية خلفاؤه من بعده الى اليوم

لامناص من التسليم بأمر من هذين ، وكلاهما يدل على ان النبوة بمعناها العام حاجة من الحاجات الروحية للأمم

قلنا النبوة بمعناها العام ونريد بذلك أن تشمل كلمة النبوة ما يشتبه بها من الكهانة والعرافة فان كلا من هذه الوظائف تستند في اظهار وجودها على العالم الروحاني والفرق بينها ان النبوة حالة سامية تتوارد بواسطتها المعارف على صاحبها من مصدر علوي ، وان الكهانة والعرافة وغيرهما حالات لم تبلغ مبلغ النبوة فتختلط فيها المعارف العلوية علي أصحابها بكثير من الخرافات والاضاليل الشائعة

فالأمم في درجات من أدوار تكونها لا تستطيع أن تتدين الا على الشكل الوثني كما يدل عليه شيوع الوثنية بين جميع الطوائف المنحطة فاذا اتفق ان أرسل الي مثل تلك الأمم رسول يدعوها الى

التوحيد عارضت دعوته بكل قوة ، ونفرت منه أشد النفور ، و بالغت في مناصبته العداء حتي قتلته أو استوجبت قارعة من القوارع التي تصيب الأمم عند نشوء الشغب الديني فيها . وهذا فيما يظهر لنا السبب في عدم موالاة الله ارسال الانبياء للأمم المنحطة فهو يدعها حتي تنضج عقولها لقبول التوحيد الخالص، أوتستدعي حالتها أن تبتلي بدعوة من تلك الدعوات فتبيد فى سبيل معاصاتها كما حدث في أمم كثيرة

فبطلت من هذا البيان شبه كثيرة من شبه الناقد العلمي فيما يختص بارسال انبياء كثيرين الى أمة وعدم ارسال نبي واحد الى غيرها ، أو في اطالة الفترة بين رسول ورسول ، أو في قصرهم على أقطار دون أقطار في أزمنة محدودة

وقد ثبت بهذا التحليل العلمى ان النبوة أو مايشاكلها حاجة من الحاجات الروحية للأمم لتساوي الأمم قاطبة اما في الخضوع الي نبي من الانبياء أو لكاهن من الكهان . فلو لم تكن النبوة أوما يشبهها حاجة روحية فلم كان هذا الاجماع من الأمم على التدين ، ولم كان اطباقها على الالتفاف حول نبي معلوم أو كاهن معين أو هيئة ثابتة تدعي الوساطة بين العالمين؟

فهل تسمح لنا المعلومات الحاضرة بوجدان الناموس الذي تسير علي موجبه النبوات أو مايشبهها على نحو كل الاحوال الاجتماعية ذات النواميس المقررة ؟

لامشاحة فى ان اجماع جميع الطوائف البشرية علي التدين وعلى الخضوع لزعيم ديني يدل علي وجود ارتباط تام بين ميول الانسان الذاتية ، والمعلومات الروحية ، فهو بهذا الارتباط قد دل على انه لايقنعه من الحياة مجرد اشباع حاجاته الجسدية ، بل يميل لأن يفتق الغلف المادية للوصول الى مايشعر بالانجذاب اليه من العوالم الغيبية

قد كان يصح أن يقال ان سبب هذا الانجذاب هو الجهل بأسرار الطبيعة ، والعماية عن نواميس الخليقة ، لولا ان الانسان قد أمعن في طريقه هذا حتى بعد بلوغ علم الطبيعة هذه الغاية البعيدة التي نحن عليها الآن ، بل لا نبالغ ان قلنا ان ميل الانسان لفتق حجب المادة والنفوذ الى ما وراء الطبيعة لم يكن في في عصر من العصور مثل ماهو عليه في هذا

العصر من القوة وشدة الاندفاع ، فقد تصدي لهذا البحث ألوف من العلماء كما ترى في كلمتي الله وروح وغيرهما من هذا الكتاب، وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح فصار لدينا من علم ماوراء المادة معارف مقررة ثابتة دون انكارها انكار الشمس في رابعة النهار

هذا الارتباط التام بين ميول الانسان وبين المعارف الروحية ، يقتضى وجود الموصل بينهما ، والقائم علي كسر الحجب التى تفصلهما ، ولا يكون هذا الا على يد نبي أو مايشبهه من الوسطاء بين هذين العالمين

والذي يشاهد بالحس انه لم ينقطع المدد الالهى عن الناس من هذه الوجهة في زمن من الازمان فان لم يكن في الأمة نبي قام مقامه فيها تابع له على قدمه ، أو كاهن أو ما يشبهه من الذين يجدّون وراء اختراق الحجب للوصول الى عالم الروح ، حتى وصل الأمر الى عصرنا هذا وهو عصر العلم فتولي أمر فتح الطريق الى العالم الروحاني علماء الطبيعة أنفسهم كما قال الاستاذ (كارل دو برل) : « كانت العلوم الطبيعية أول من تجارأت على انكار الروح فعاقبها الله بأن كلفها أن تقيم على وجودها الأدلة الطبيعية »

فالناس لم يحرموا في دور من أدوار وجودهم ولا في درجة من درجات مداركهم ممن يمدهم بحاجتهم من هذه الوجهة

اننا لانستطيع ادراك الناموس الذي أرسلت الانبياء على موجبه كما لانستطيع ادراك الناموس الذي تولي توليد القادة والفاتحين أمثال قامبيز وبختنصر والاسكندر وجنكيزخان وغيرهم ولا الفلاسفة الأولين كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو ، ولكن هذا الجهل منا بناموسهم لايمنع اعتقادنا بضرورة رسالاتهم لاحداث الانقلابات الاجتماعية التي لا مناص منها لترقية النوع البشري . وقد تأثرت البشرية برسالات الانبياء أكثر مما تأثرت بفتوحات الفاتحين . فقد أثارت تلك الفتوحات ثائرة الشعوب وأحدثت فى أحوالها الاجتماعية انقلابات كان لها أثر في دفعها الي الامام في دوائر معينة ، ولكن تلك الرسالات مع احداثها مثل هذه الانقلابات الاجتماعية من الوجهة المادية أحدثت انقلابات نفسية لاتقل عنها خطورة فلطفت

من خشونة تلك الشعوب وهـذبت من أخلاقها و بعثتها الى باحات جديدة من الحياة الروحية ولا سبيل الى انكار هذه الآثار الخالدة الي اليوم

يقول الناقد العلمي في نقده : ما الحكمة في ارسال الرسل ولم يلبث النـاس علي تعاليمهم الا سنين معـدودة ثم ارتكسوا الي أسوأ مما كانوا عليـه وصاروا شيعاً وضرب الامثال بالاسرائيليين والمسيحيين والمسلمـين فى تنكبهم منـاهج رسلهم وعـدم تمسكهم من أصولهم الا بالاسم

نقول ان في هذا الاعتراض شططا عظيما فيجب رده الى حـده المعقول ثم الاجابة عليه

نعم ان اتباع الانبياء لم يسيروا على ما دعوا اليه الا مـدة وجود أنبيـائهم بين ظهرانيهم ثم نزعـوا الى التبـديل والتحريف من بعدهم . وجـروا فى هذا الدور الى مدي بعيد ، ولكنهم لايزالون متمسكين منه بما يرفعهم عن حالتهم السابقة درجات كثيرة تصلح لأن تأخذ بيدهم الي أدوار من الانقلابات جديدة ، ولا أحيـلك الا الى مايشبه الحس من مقررات التـاريخ

جاء موسي الى بني اسرائيل وهم في أسر فراعنة مصر على حال من الضعف والذل ليس بعدهما مرمي فأنقذهم من هذا النـير الثقيل وأنشأ لهم دولة ذات بأس شديد صلحت لأن تبقي ثابتة قوية مدة حياته وقرونا بعـد وفاته ولا يزال لليهود شخصية الى اليوم

نعم ان اتبـاع موسى انحرفوا عن صراطه بعـد موته ولكنهم حافظوا من تعاليمه على مايجعل الفرق بينهم في حالتهم بعده وحالتهم قبله كبيرا جـداً وهـذا كل مايطلب من حوادث الانقلابات الاجتماعية فان الطفرة محال والقرون فى أعمار الجماعات كالسنين في عمر الانسان

وجاء عيسى الى قومه فأخذ بأصوله منهم من أخذ وجمد على ما كان عليه من جمد ، فلم يمض الا نحو ثلاثة قرون بعده حتي ظهر مذهبه يتـلألأ في جو أوروبا تلألؤا يأخـذ بالابصار فحل الاعتراف بالروح وسلطان الروح ، والتخلق بالرحمة والحنان والعطف والزهد، محل الالحـاد والقسوة والفظاظة والانغماس في الترف وغيرها من الاخلاق التي كانت سائدة في آخريات عهد الدولة الرومانية. فانقلبت

الحال في هـذا المدي القصير وأخذت الأصول الجديدة تعمل عملهـا في تهيئة الاوروبيين الى الباحاب الجديدة حتى تأدوا بعوامل الترقي الى ماوصلوا اليوم اليه لا باسم الدين بل باسم العلم

نعم ان اتبـاع عيسى انحرفوا عن طريقه في تمسكهم بمذهبـه في كثير من الشؤون ولكنهم ابقوا من أصـوله على مايميزهم عما كانوا عليه ، ويكفي لادخالهم في الادوار التي تؤدي اليها تلك الأصول . ولا ينكر هذا الا متعنت

يقول قائل ان أقطاب النهضة الاوروبية يزعمون انهم مانهضوا بالعلم الا بمنابذة الدين ، وما أسسوا ما أسسوه من أصول المدنية الا بقهر زعمـاء الدين ومن لف لفهم من أفراد الأمة

نقول كل ذلك كان ، ولكنه لايقدح في قولنا ان الدين المسيحي أوجد لاوروبا مزاجا جديدا لم يكن لها في عهد الرومان ، ولم يكن في أصـول المدنية الرومانيـة مايؤدي اليه ، وقد انتهى أمرها الي أخلاق تستحيل معها الحياة من البذخ والترف والاباحـة ، فلولا أن أسعفها الله بالدين المسيحي في ذلك العهد بما فيه من ملطفات الحياة البهيمية لارتكست تلك المدنية الرومانية الي وحشية ليس لها مثيل

نعم ان المسيحية بما كان في أصولها من الزهد وترك الدنيا ، وبما جمد زعماؤها على درجة معينة من العلم الكنيسي قـد وقفت بأوروبا نحو الف سنة فلم تمد نحو الترقي قدما ، ولكنها كانت وقفـة لابد منها لازالة ما تركته وثنية الرومانيين من صفات الوحشية ، ولازهاق عوامل الفناء التى كانت ولدتها تلك المدنيـة المـادية ، فلما تهيأت النفوس هنالك للنهضة وجـد العاملون عليها من القائمين على الدين مالم يجده من سبقهم من العاملين في أمة من أنواع الاضطهاد ، ولكنه كان اضطهادا أشـبه بالوثني منه بالمسيحي لأن الدين المسيحى ينهي عن الجـبر ولو في مصلحة الدين ، ويحرم استعمال القوة ولو للدفاع عن النفس . فلما نشأ العـلم بشكوكه وعدائه للدين لم يأنف الاوروبيون أن ينتسبوا للمسيحية مع ما أثاره العلم من الشبهات فيها اجلالا لأصول من التحاب والتعاطف والتراحم فيها لم تأت بأرفع منها فلسفة الى اليوم

ولمـا جاء محمد الى قومه كانوا علي حال من الانحطاط والوثنية ليس وراءها

مدي فدعاهم الى دين لانقول انه يصلح لمباراة غيره من الاديان بل لمباراة العلم العصري في جلالة قدره . أصول راقية للاخلاق ، ومبادئ قويمة للشريعة ، وحدود حكيمة للمعاملات، ووجهة كريمة للحياة ، وغاية معقولة للعبادة ، وميدان مفتوح للترقي الصوري والمعنوي فقابله العرب بالنفور والمصادمة ، ثم انتهي أمره بالغلبة . فخرج العرب به من حضيض انحطاطهم الى باحات من الحياة جديدة تؤديهم الي درجات من المدنية عالية ، فتم لهم في عشرات من السنين مالم يتم لسواهم في مئات منها فصارت لهم دولة نشرت سلطانها على أكثر المعروف من الاقطار على عهدها . ثم لما ضعف أمر العرب قام مقامهم باسم الاسلام غيرهم من أمم الفرس والديلم والكرد وسواهم ، وكان من أثر هذا كله ان تم في العالم الانساني انقلاب كبير باسم الاسلام ولا يزال هذا الدين عاملا كبيرا من عوامل الامم التي تدين به وان بعدت به عن أصوله ، وجردته من أكثر مزاياه

فلا يسوغ بعد هذا لناقد مهما استند علي مقررات العلم أن يزعم بأن الانبياء لم يفيدوا المجموعة الانسانية بكبير شئ وهو يري بعينيه ان العالم قد توزعته عدة أديان وصبغته في قالبها ، وقادته الى وجهاتها ، والفت الحالة التي عليها الناس اليوم

ربما قال الناقد هنا : أليس من شر المصائب علي الناس ان توزعتهم هذه الاديان فجعلتهم أعداء الداء ، يتوارثون العداوة والبغضاء ، أليس كان الأولى بهم أن لا يكون لهم دين من أن يكونوا علي هذه الحال ؟

نقول لم تكن الأديان سبباً أولياً لهذا الخلاف فليس في اليهودية نص يأمر ببغض غير اليهود والحقد عليهم ، وطبيعة الديانة المسيحية تنافي التعصب الذميم ، وناهيك بدين يأمر الآخذ به ان يعطي قميصه لمن يسلبه رداءه ، وجوهر الاسلام يجافي التقاطع لاجل الدين وتاريخ نبيه وخلفائه ومن تبعهم باحسان مفعم بآيات في باب التسامح . فالأديان لم تنشئ هذا التحاقد المشاهد بين الأمم وانما هي الطبيعة البشرية حولت الدين الى هواها فتحاقدت باسمه كما هو شأنها في جميع اهوائها ، ولو كانت هذه الأمم غير متدينة لكان هذا التحاقد على أشد مما هو عليه

الآن ؟ ألا تري بعينيك الأمم ذات الدين الواحد بل المذهب الواحد تتصارع وتتناحر من أجل مصالحها المادية لاغير

يستخلص من كلامنا الذي مر ان النبوة آتت الأمم التى حدثت فيها خيرا عظيما ، وأحدثت بها في العالم انقلابات كانت ضرورية لبعثه الي باحات جديدة من الترقي ، وان هذه الاديان لاتزال من أكبر العوامل المؤثرة في تلك الأمم وان بعدت باهواء أهلها عن حقائقها الأولي ، وخرجت بأوهامهم عن حدودها النافعة

﴿ هل النبوة لاتزال حاجة ﴾

(من حاجات البشر ؟)

الانسان مسوق الي التدين بفطرته ، والتدين اذا أخلناه الى معناه الحقيقي وجدنا انه هو شعوره بأن فوق هذا العالم المادي المحسوس عالما أرقي منه يصرفه ويتولى تدبيره ، وانه هو مخلوق تلك القوة ومسخر لها لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً الا بها ، وان سعادته وشقاءه فى يد تلك القوة التي لايدركها عقله .

هذا الشعور الفطري من الانسان دفعه لتلمس تلك القوة العالية في ذلك العالم الاقدس فاحتاج لمن يحدثه عنها ويدله علي مايرضيها ومالا يرضيها من الاعمال لتدر عليه اخلاف الرزق ، وتهبه من القوة مايتغلب بها على أعدائه ومزاحميه

فكان الانسان في جهله هذا مستعدا لقبول كل مايقال له عن تلك القوة ، ومتطلعا لخبير من بني جنسه يستطيع أن يعاونه على كشف حقيقتها ، ومعرفة شؤنها لا لأنه يتوق للخلود في حياة بعد هذه الحياة ، ولا لأنه يعشق جمال العالم الروحاني ، ولكن لأنه كان يتخيل من تغير أحوال الطبيعة حوله ان تلك القوة ترضي وتغضب ، تهب وتمنع ، فاذا رضيت أشرقت الشمس وهبت النسمات اللطيفة ، وأخصبت الارض ، و بعدت الحيوانات المفترسة ، وان غضبت غامت السماء ، وزمجر الرعد وسقطت الصواعق ، وجرفت السيول أكواخ الناس ، وأجدبت الارض ، وانتشرت الامراض ، وأغارت الحيوانات الكاسرة . فكان يري ان هذه القوة الخفية يجب أن يُخضَع لها ويُتَقرب اليها بالطاعات والأضحيات لترضي عنه وتحبوه مواهبها

هذا هو الذي كان يدفع الانسان في دوره الأول لطلب الدين وهو دافع شديد كان يضطره لتلقف كل مايقال له من الخرافات حتى قبِل في سبيله أن يضحي فلذة كبده لارضاء ذلك الاله المنتقم الجبار . ولا أدري هل كان الخالق يرسل الى أمثال هـذه الشعوب أنبياء مزودين بالعقائد الضرورية لهم ، أم كان يقوم فيهم مقام الانبياء كهنة يعلمونهم من خيالاتهم وأوهامهم ما كانوا يرون انه حق يجب الجري عليه ؟ لا أستطيع أن أبت في هـذه المسألة فان تاريخ الأمم الأولية غامض ولم تقص علينا الكتب السماوية من اسماء الانبياء الا عـددا محصورا ارسلوا الأمم معدودة

فلما ارتقي علم الانسان بعد الوف من السنين ، ولطف شعوره بعض التلطف ، ارتقت عقـائده ، وتلطفت تبعاً لذلك وظهرت فيه ميول جديدة يقتضيها درجة الرغد الذي وصل اليه من حياته العملية ، فأخـذ يتخيل الموت وآلامـه ، والفناء وقبحه فتنبهت فيـه عاطفة الخلود في عالم وراء هذا العـالم ، فاندفع يتطلبه فراجت لديه الاساطير التي تمثل الحيـاة في العالم الآخر ووقف فريق أنفسهم لاخـتراق الحجب التي تفصل بين العالمين بأفكارهم فتوصلوا الى درجات مختلفة من الفلسفة النفسية حتي أداهم هذا الميل الى الاهتداء الى التنويم المغناطيسي واستحضار أرواح الموتي كما دل علي ذلك تاريخ المصريين القدماء والهنود والصينيين

ولكن مثل هذا الاندفاع الاعتقادي وراء مسئلة من المسائل الغيبيـة يؤدي عادة الي الخلط بين الحق والباطل فيها ، والباطل يجر وراءه جيشاً من الأضاليل والأوهام فتسوء حالة الأمم وتفسد نفوسها وقلوبها ، فكان الخالق يرسل اليها رسلا لاقامتها علي الطريق القـويم ولاعطائها من علم ماوراء المـادة القدر الذي ينفعها ولا يصح أن تتجاوزه فكان يقف عند حدود ما جاؤا به أفراد ويعصيهم الباقون الي أن استعد النـوع الانساني لقبول الرسالات الكبري كرسالة موسي وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم فجـاؤا يحملون للناس علما جماً من عالم ماوراء المـادة بل كانوا هم أنفسهم في وقوفهم بين العالمين، وتوسطهم بين عالم الشهادة وعالم الروح آيات للناظرين ، فكان موسي يضرب البحر

بعصاه فتظهر اليابسة ويكون كل فرق من الماء كالطود العظيم ، ويضرب الصخر بها فيفجر منها العيون الثرارة ، وتمكن بذلك من انقاذ قومه من فرعون مصر الطاغية على حال لم يسبق له مثيل فى تاريخ الشعوب المهضومة الحقوق ، وكان عيسى يبري الأكمه والابرص ويحيي الموتي ، وكان محمد في اتيانه بهذا القرآن المعجز واتصاله بجبريل ، واسترشاده بالوحي فى كل صغيرة وكبيرة أكبر آية للمتوسمين

استقرت هذه الأديان الثلاثة الكبري فى أقطارها المقدرة لها وثبتت أديان أخري في أقطار أخري لدي أمم وصلت من الرقى الي درجات صالحة ، ورضي أهل كل دين عن دينهم وان كان أكثرهم قد خرجوا عن مناهجها بما زادوا الي أصولها وما نقصوا منها على مايوافق اهواءهم ، الا ان أولئك المرسلين قد عرف تاريخهم ودوّنت آثارهم واعتبروا بحق مؤسسين لمجموعات كبيرة من الأسرة البشرية العامة ، ودام الحال بين تلك المجموعات على مايكون بين الأمم من التدافع حتي وصلوا الي القرن السادس عشر الميلادي الذي فيه ولد العلم ، ذلك العلم الذي يطلق اليوم ويراد به مجموعة الثمرات العقلية التي حصلها الانسان بجهاده المتكرر للطبيعة وخلصتها العقول النقادة مما أضيف اليها من الأوهام . ذلك العلم الذي أوجد جميع المخترعات والمكتشفات الصناعية التى هي اليوم روح هذه المدنية الفتانة وقوامها ، فمال بعض المفكرين الى الزعم بأن عصر النبوات قد انقضى ، وجاء العصر الذي ينظر الانسان لنفسه بنفسه فيتخذ لها العقائد التي يهواها غير متقيد بتعاليم نبي ولا رسول . وتطرف بعضهم فزعم ان أولئك الانبياء كانوا مدلسين ظهروا بما ظهروا به لامتلاك نواصي الأمم في طفولة العقل البشري . فان قلت لهم ان أولئك الرسل كانوا يأتون الخوارق المحيرة للعقول ، هزوا اليك أكتافهم وقالوا أساطير الأولين ....

بهؤلاء القوم جاء دور الماديين فنشروا في العالم تعاليمهم الالحادية مستهزئين بكتب الوحي وزارين علي رجالها فوجدت هذه الاقوال هوي من الافئدة وكان العلم الطبيعي في أثناء ذلك يؤتيهم بالملهيات ،

ويفتح لهم من الرقي الباحات بعد الباحات، فطم الالحاد ، وانزوي الدينيون والقائلون بعالم الروح الي زاوية لاتسمع لهم فيها ركزا . فان تجارأ واحدهم وصاح بالناس قائلا : أيها الاخوان لقد اهملتم عالم الروح . صاحوا اليه من جميع الجهات أرأيت ذلك العالم بعينيك ، أطفت أرجاءه برجليك ، ألمست أهله بيديك ؟

فان قال لهم : ان ذلك العالم لايدرك الا بالبصائر ، وليس هو من اختصاص المشاعر. صاحوا به : لانصدق الا مانري، لأن البصائر التي تذكرها قد تَهِمُ فتضل أصحابها كما أضلت أهل القرون الأولي .

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به

في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

ولكن عالم الروح ذلك العالم العلوي الحق الموجد لهذه المادة ، والمتصرف فيها لم يطل صبره على هذا التحدي الا ريثما يدرك الناس الشبهة ، فانبثق من خلال المادة الصماء معرضاً نفسه للتجارب الحسية ، وكان أول ظهوره في أوربا على يد المتطبب (مِسْمِر) باسم المغناطيس الحيوي ، ثم في أمريكا باسم (استحضار الارواح) فثارت ثائرة الماديين، واستنجدوا بالعلم المادي، ذلك الغول الكبير، لتبديد هذه الأوهام وماهي الا جولات حتي سجد العلم امام ذلك المظهر الالهي الحق ، وأقر لنفسه بالنقص ، وشاع الأمر في أمريكا ومنها تعدي الي أوروبا وانتشر فيها انتشار النور في الظلام فابتدأت اليوم دولة الروح ، تلك الدولة الخالدة، التي لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقيامها علي دعائم العلم العملي ، والفلسفة الحسية، فأخذت العقول المتعطشة للنور الحق تستهدي بأعلام الروح سالكة في طريق عروجها ، راقية في درجات صعودها ، سابحة في أنوار قدسها، مهتدية بمقررات العلم الطبيعي فى أمور دنياها ، وبأصول الفلسفة الروحانية في شؤون أخراها ، فهل انقضى دور الانبياء ولم يعد للناس بهم حاجة؟

كلا ! ان هؤلاء الانبياء كانوا في أزمانهم أعلاما لعالم الروح ونجوما مشرقة يهتدي بهم السالك فيه ، وهم لايزالون علي ذلك الطريق يمر السالك بهم وهو يقطع مراحله ، ويعرج عليهم وهو يتنقل في منازله ، حتى ان بحاثي أوروبا لم يكادوا يسيروا في هذه الطريق الروحانية حتي

صادفوا هـذه النبوات فيه قائمة ، فآمنوا بها عن بينـة وتم قول ربك : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز » فانظر كيف بدأ القرن التاسع عشر ملحدا مكذبا بالروح والخلود والانبياء والنبوات، وكيف ختم مؤمنا بكل ذلك ايمانا مؤيدا بكل الوسائل العلمية

لا أريد أن يفهم القاريء من هذا ان أقطاب العلم الاوروبي آمنوا بالانبياء ايمان الآخذين بأديانهم فأخذوا يعمرون البيع والكنائس والمساجـد مشتغلين بتلاوة الكتب المقدسة تعبداً بألفاظها ، وتبركا بحروفها . لا . وانمـا أريد انهـم اهتدوا في بحثهم الي فهم حقيقة الانبياء فاعترفوا بأنهم لم يكونوا مشعوذين ولا مدلسين،وانما كانوا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادي ، فرأوا (أي الانبياء) تلك المشاهد الروحانية ، واجتمعوا بأرواح مجردة ندبتهم الي ارشاد أممهم الى طريق الحياة الصحيحة ، فصدعوا بأمرهم يدعون الى عقائدهم ، معززين دعاواهم بخـوارق تحير الالبـاب ، وتدهش المشاعر على نحو الخوارق التي تحـدث على أيدي الوسطاء اليـوم

هذه هي عقيدة رجال العلم اليوم في الانبيـاء والنبوة ، ولا يدري الا الله الى أي درجـة يصل بهم البحث فى سبيل الايمان بهم ، فلندعهم في بحثهم دائبين ، فسيتأدون بحول الله الى معـارف علوية لا يدركها خيال أحدنا الآن ، ومن جدّ وجد ، وكل من سار على الدرب وصل

﴿ المتنبي ﴾ هو أبو الطيب المتنبي الشاعر الأشهر اسمه احمـد بن الحسين ابن الحسن بن عبـد الصمد الجعفيّ الكندي الكوفى وانمـا سمى المتنبي لأنه على ماقيل ادعي النبوة في بادية السماوة وتبعـه خلق كثـير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه. وكان قد قرأ علي البوادي كلاما ذكـر أنه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي أخطار امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام أنكره وجحده ولمـا

أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ومدح كافور الاخشيدي وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم تلحقه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك ابن أبي جهل الاسدي في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محشد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد. ويقال انه قال شيأ في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة. ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً. فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديدا ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل فقتل. ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ماوقع. وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ومولده كان في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفيّ. وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعبدان ثم انتقل الى الشام بولده والى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما
ء وحيناً يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسدا له على فضله وتمكنه من

الملوك ومراعاة لتيهه وتكبيره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين علي غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شئ الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتي قيل ان الشيخ أبا عليّ الفارسى قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلي وظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علي أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد. وحسبك من يقول أبو على في حقه هذه المقالة . وقال أبو الفتح بن جني قرأت ديوان المتنبى عليه فلما بلغت الى قوله في كافور الاخشيدي:

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة
فلا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي مايذود الشعر عني أقله
ولكنّ قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز عليّ كون هذا الشعر في غير سيف الدولة . فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع، ألست القائل فيه:

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك
ولا تعطينّ الناس ما أنا قائله

فهو الذي أعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه . والناس فى شعره على طبقات فمنهم من يرجحه علي أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه. ورزق في شعره السعادة واعتني العلماء بديوانه فشرحوه حتي قيل انه وجد له مايزيد على الاربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل به بيتان وهما:

أبعين مفتقر اليك نظرتني
فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني
أنزلت آمالى بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى بقوله:

لا رعي الله سرب هذا الزمان
اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
مارأي الناس ثاني المتنبي
أي ثان يري لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة فى جيـ
ـش وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ولكن
ظهرت معجزاته في المعاني

(ويحكي) أن المعتمد بن عباد اللخمي

صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما فى مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطى ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسى فأنشد ارتجالا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها تفتح اللها

تنبأ عجباً بالقريض ولو دري
بأنك تروي شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيي:

لابن يحيي مآثر بلغت بي الي السها
جادشعري بجوده واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق. ورثاه أيضاً محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضى قدمه ومريقي دمه :

المتنبي قصائد مطولة تعد الي اليوم من معجزات الشعر فنري أن نلم بطرف منها لأن الرجل فى نظرنا أشعر شعراء العرب جاهلية واسلاما وانه قد انتهى اليه الابداع الشعري فصار آيته الكبري وسيكونها مادامت اللغة العربية. فمن محاسن شعره قوله :

كم قتيل كما قتلت شهيد
لبياض الطلى وورد الخدود

وعيون المهي ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود

درَّ درُّ الصباء أيام تجري
ر ذيولى بدار أثلة عودي

عمرك الله هل رأيت بدوراً
طلعت في براقع وعقود

راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود

يترشفن من فمى رشفات
هن فيه حلاوة التوحيد

كل خمصانة أرق من الخمـ
ـر بقلب أقسى من الجلمود

ذات فرع كأنما ضرب العنـ
ـبر فيه بماء ورد وعود

حالك كالغداف جثل دجو
جي أثيث جعد بلا تجعيد

تحمل المسك عن غدائرها الريـ
ـح وتفتر عن شنيب برود

جمعت بين جسم أحمد والسقـ
م وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني
فانقصي من عذابها أو فزيدي
أصل ما بي من الضنى بطل صيـ
د بتصفيف طرة وبجيد
كل شيء من الدماء حرام
شربه ما خلا ابنة العنقود
فاسقنيها فدى لعينيك نفسي
من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتي ونحولي
ودموعي على هواك شهود
أي يوم سررتني بوصال
لم ترعني ثلاثة بصدود
ما مقامي بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ
ن قميصي مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقل عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود
ولعلي مؤمل بعض ما أبلـ
غ باللطف من عزيز حميد
لسريٌّ لباسه خشن القطـ
ن ومرويُّ مروَ لبس القرود
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ
ظ وأشفى لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد
واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظي ودع الذ
ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ
جز عن قطع بخنق المولود
ويوقّي الفتي المخش وقد خو
ض في ماء لبة الصنديد
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجاني وغوث الطريد
ان أكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندي ورب القوافي
وسمام العدي وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال أيضاً في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضي الأزدي

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوي يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أري
عين مسهدة وقلب يخفق
مالاح برق أو ترنم طائر
الا انثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوي ماتنطفي
نار الغضي وتكل عما يحرق
وعذلت أهل العشق حتي ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني
عيّرتهم فلقيت منه مالقوا
أبني أبينا نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوي فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتى
مسودة ولماء وجهى رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفني أشرق
أما بنو أوس بن معن بن الرضي
فأعز من تحدي اليه الأينق
كبّرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحاب أكفهم
من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا أنها
وحشية بسواهم لا تعبق

أمريد مثل محمد في عصرنا
لا تبلنا بطلاب مالا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحداً وظني أنه لايخلق
ياذا الذي يهب الكثير وعنده
أني عليه بأخذه أتصدق
أمطر عليّ سحاب جودك ثرّة
وانظر اليّ برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهله
مات الكرام وأنت حي يرزق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنجي :

عزيز إساً من داؤه الحدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر اليّ فمنظري
نذير الي من ظن أن الهوي سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة
اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جري حبها مجري دمي في مفاصلي
فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتني بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا
رقيب تعدّي أو عدو له دخل
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل
اذا عذلوا فيها أجبت بأنة
حبيبتي قلبي فؤادي هيا جمل
كأن رقيباً منك سد مسامعي
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتي
فبينهما في كل هجر لنا وصل
أحب التي في البدر منها مشابه
وأشكو الي من لايصاب له شكل
الي واحد الدنيا الى ابن محمد
شجاع الذي لله ثم له الفضل
الى الثمر الحلو الذي طيء له
فروع وقحطان بن هود لها أصل
الي سيد لو بشر الله أمة
بغير نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الارواح والضيغم الذي
تحدث عن وقفاته الخيل والرجل
الي رب مال كلما شت شمله
تجمّع في تشتيته للعلي شمل
همام اذا مافارق الغمد سيفه
وعاينته لم تدر أيهما النصل
رأيت ابن أم الموت لو أن بأسه
فشا بين اهل الارض لانقطع النسل

على سابح موج المنايا بنحره
غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله
فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقاً قال للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولى نفسه حمل حلمه
عن الارض لانهدت وناءَ بها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد
وضاقت بها الا الي بابه السبل
ونادي الندي بالنائمين عن السري
فأسمعهم هبّوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده
فليس له انجاز وعد ولا مطل
فأقرب من تحديدها رد فائت
وأيسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الأيام ممن وجوهها
لأخمصه في كل نائبة نعل
وما عزه فيها مراد أراده
وان عز الا أن يكون له مثل
كفي ثعلا فخراً بأنك منهم
ودهر لأن أمسيت من أهله أهل
وويل لنفس حاولت منك غرة
وطوبي لعين ساعة منك لاتخلو
فما بفقير شام برقك فاقة
ولا في بلاد أنت صيبها محل

وقال يمدح عبدالله بن يحيي البحتري

بكيت ياربع حتى كدت أبكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحا لقد هيجت لى طرباً
واردد تحيتنا إنا محيوكا
بأي حكم زمان صرت متخذاً
رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا
أيام فيك شموس ما انبعثن لنا
الا ابتعثن دماً باللحظ مسفوكا
والعيش أخضر والاطلال مشرقة
كأن نور عبيد الله يعلوكا
نجا امرؤ يا ابن يحيي كنت بغيته
وخاب ركب ركاب لم يؤمّوكا
أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا
جميع من مدحوه بالذي فيكا
وعلّموا الناس منك المجد واقتدروا
علي دقيق المعاني من معانيكا
فكن كما شئت يامن لاشبيه له
وكيف شئت فما خلق يدانيكا
شكر العفاة لما أوليت أوجدني
الى نداك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني
أني بقلة ما أثنيت أهجوكا
كفي بأنك من قحطان في شرف
وان فخرت فكل من مواليكا
ولو نقصت كما قد زدت من كرم
علي الوري لرأوني مثل شانيكا
لبي نداك لقد نادي فأسمعني
يفديك من رجل صحبي وأفديكا
مازلت تتبع ماتولي يداً بيد
حتي ظننت حياتي من أياديكا
فان تقل ها فعادات عرفت بها
أو لا فانك لايسخو بلا فوكا
وقال يمدحه أيضاً:
ملث القطر أعطشها ربوعاً
والا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتديريها
فلا تدري ولا تذري دموعا
لحاها الله الا ماضيها
زمان اللو والخود الشموعا
منعمة ممنعة رداح
يكاف لفظها الطير الوقوعا
كأن نقابها غيم رقيق
يضيء بمنعه البدر الطلوعا
أقول لها اكشفي ضري وقولي
بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله في أحياء نفس
متى عصي الاله بأن أطيعا
غدا بك كل خلو مستهاماً
وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر نمل
ثبير أو ابن ابراهيم ريعا
بعيد الصيت منبث السرايا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكرودهي
كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته مافي يديه
فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منه من عليه
وان لايبتدي يره فظيعا
لهون المال أفرشه أديما
وللتفريق يكره أن يضيعا
اذا ضرب الأمير رقاب قوم
فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب الا كثيراً
وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل
كفي الصمصامة التعب القطيعا

عليّ ليس يمنع من مجيءٍ
مبـارزه ويمنعـه الرجوعا
عليّ قاتل البطل المفـدي
ومبـدله من الزرد النجيعا
اذا اعوج القنا في حامليه
وجاز الى ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الأكباد منه
فأولتـه اندقاقا أو صدوعا
فحد في ملتقي الخيلين عنه
وان كنت الخبعثنة الشجيعا
ان استجرأت ترمقه بعيداً
فأنت استطعت شيأ ما استطيعا
وان ماريتني فاركب حصانا
ومثّله تخـر له صريعـا
غمـام ربمـا مطر انتقاماً
فأقحط ودقه البلد المريعـا
رآني بعـد ماقطع المطايا
تيممـه وقطعت القطـوعا
فصير سيله بلدي غـديراً
وصير خـيره سنتى ربيعا
وجاودني بأن يعطي وأحوي
فأغرق نيله أخذي سريعا
أمنسي السكون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا
قد استقصيت في سلب الأعادي
فرد لهم من السلب الهجوعا
اذا ما لم تسر جيشاً اليهم
أسرت الي قلوبهم الهلوعا
رضوابك كالرضى بالشيب قسراً
وقد وخط النواصى والفروعا
فلا عزل وأنت بلا سلاح
لحاظك ماتكون به منيعا
لو استبدلت ذهنك من حسام
قددت به المغافر والدروعا
لو استفرغت جهدك في قتال
أتيت به علي الدنيا جميعا
سموت بهمة تسمو فتسمو
فمـا تلفي بمرتبـة قنوعا
وهبك سمحت حتى لا جواد
فكيف علوت حتي لا رفيعا
وقال يمدح على بن منصور الحاجب:
بأبي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلاببا
المنهبـات عقولنـا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييات
المبديات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقبا
فوضعن أيديهن فوق ترائبا
و بسمن عن بردخشيت أذيبه
من حر أنفاسى فكنت الذائبا
ياحبذا المتحملون وحبذا
واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا
من بعد ما أنشبن في مخالبا
أو حدنني ووجدن حزنا واحداً
متناهياً فجعلنه لى صاحبا
ونصبنني غرض الرماة تصيبني
محن أحدُّ من السيوف مضاربا
أظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقياً مطرت علىّ مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت أمشى راكبا
حال متي علم ابن منصور بها
جاء الزمان اليَّ منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه
يتباريان دماً وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لرفده
ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كرماً فلو حدثته عن نفسه
بعظيم ماصنعت لظنك كاذبا

سل عن شجاعته وزره مسالما
وحذار ثم حذار منه محاربا
فالموت تعرف بالصفات طباعه
لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
ان تلقه لا تلق الا جحفلا
أو قسطلا أو طاعناً أو ضاربا
أو هاربا أو طالبا أو راغباً
أو راهباً أو هالكا أو نادبا
واذا نظرت الى الجبال رأيتها
فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الى السهول رأيتها
تحت الجبال فوارساً وجنائبا
وعجاجة ترك الحديد سوادها
زنجاً تبسم أو قذالا شائبا
فكأنما كسى النهار بها دجى
ليل وأطلعت الرماح كواكبا
قدعسكرت معها الرزايا عسكرا
وتكتبت فيها الرجال كتائبا
أسد فرائسها الأسود يقودها
أسد تصير له الأسود ثعالبا
في رتبة حجب الوري عن نيلها
وعلا فسموه علىّ الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذراً
ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذي أفني النضار مواهباً
وعـداه قتلا والزمان تجاربا
ومخيّب العـذال مما أمّلوا
منه وليس يرد كفاً خائبـا
هذا الذي أبصرت منه حاضرا
مثل الذي أبصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدي الي عينيك نورا ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
أمهجن الكرماء والمزري بهم
وتروك كل كريم قوم عاتبـا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا
وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبيك غيظ الحاسدين الراتبا
انا لنخبر من يديك عجائبا
تدبير ذي حنك يفكر فى غد
وهجوم غر لايخاف عواقبا
وعطاء مال لو عداه طالب
أنفقته فى أن تلاقي طالبـا
خذ من ثناي عليك ما أسطيعه
لا تلزمني في الثناء الواجبـا
فلقد دهشت لما فعلت ودونه
مايدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وخرج بدر بن عمار الى اسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله الي أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد شبع وثقل فوثب الي كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال أبو الطيب:

فى الخد ان عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبى ماحييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما
أجلى تمثل في فؤادي سولا
أجد الجفاء على سواك مروءة
والصبر الا في نواك جميـلا
وأري تدللك الكثير محبباً
وأري قليـل تدلل مملولا
حدق الحسان من الغواني هجن لي
يوم الفـراق صبابة وغليـلا
حدق يذم من القواتل غيرها
بدر بن عمـار بن اسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها
والتارك الملك العزيز ذليـلا

محك اذا مطل الغريم بدينه
جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه
أعطي بمنطقه القلوب عقولا
أعدي الزمان سخاؤه فسخا به
ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة
هنديه في كفه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهباً
لو كن سيلا ماوجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما
يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الأردن منه بليّة
نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجي نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا انه
لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثري مترفقا من تيهه
فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الي يأفوخه
حتي تصير لرأسه أكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه
عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما
ركب الكميّ جواده مشكولا
ألقي فريسته وبربر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في اقدامه
وتخالفا فى بذلك المأكولا
أسد يري عضويه فيك كليهما
متناً أزل وساعداً مفتولا
في سرج ظامئة الفصوص طمرة
يأبي تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا أنها
تعطي مكان لجامها مانيلا
تندي سوالفها اذا استحضرتها
ويظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه
يبغي الى مافي الحضيض سبيلا

وكأنه غرّته عين فادّني
لايبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنيئة تارك
في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم
لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته
فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه
فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله
فنجا يهرول أمس منك مهولا
وأمرّ مما فر منه فراره
وكقتله أن لايموت قتيلا
ثلف الذي اتخذ الجراءة خلة
وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس مابعث الاله رسولا
لوكان لفظك فيهم ما أنزل ال
فرقان والتوارة والانجيلا
لو كان ماتعطيهم من قبل أن
تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسؤددك الحمام تغنياً
وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالى نافذاً
فيها ولا كل الرجال فحولا

وسار بدر الى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه ان ابن كروّس الاعور كتب الى بدر يقول له ان أبا الطيب انما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك. ولما عاد بدر الى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير فقال أبو الطيب:

الحب مامنع الكلام الألسنا
وألذ شكوي عاشق ما أعلنا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكري
من غير جرم وأصلى صلة الضني
بنا ولو حليتنا لم تدر ما
ألواننا مما استعفن تلونا
وتوقدت أنفاسنا حتي لقد
أشفقت تحترق العواذل بيننا
أفدي المودعة التى أتبعتها
نظراً فرادي بين زفرات ثنا
أنكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي
فيها ووقتيّ الضحي والموهنا
فوقفت منها حيث أوقفني الندي
و بلغت من بدر بن عمار المني
لأبي الحسين جدا يضيق وعاؤه
عنه ولو كان الوعاء الأزمنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها
ونهي الجبان حديثها أن يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب
ما كر قط وهل يكر وما انثني
فكأنه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه أن يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه
فقضى على غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بغتاته
فيظل في خلواته متكفنا
أمضي ارادته فسوف له قد
واستقرب الاقصي فثم له هنا
يجد الحديد علي بضاضة جلده
ثوبا أخف من الحرير وألينا
وأمرُّ من فقد الأحبة عنده
فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه
يوما ولا الاحسان أن لا يحسنا

مستنبط من علمه ما في غد
فكأن ما سيكون فيه دوّنا
تتقاصر الافهام عن أدراكه
مثل الذي الافلاك فيه والدني
من ليس من قتلاه من طلقائه
من ليس ممن دان ممن حيّنا
لما قفلت من السواحل نحونا
قفلت اليها وحشة من عندنا
أرج الطريق فما مررت بموضع
الا أقام بها الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها
مدت محيية اليك الأغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من
شوق بها فأدرن فيك الأعينا
طربت مراكبنا فخلنا انها
لولا حياء عاقها رقصت بنا
أقبلت تبسم والجياد عوابس
يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيراً
لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا
والأمر أمرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمني
فعجبت حتي ما عجبت من الظبي
ورأيت حتي ما رأيت من السني

اني أراك من المكارم عسكراً
في عسكر ومن المعالي معدنا
فطن الفؤاد لما أتيت على النوى
ولما تركت مخافة أن تفطنا
أضحى فراقك لي عليه عقوبة
ليس الذي قاسيت منه هينا
فاغفر فدي لك واحبني من بعدها
لتخصني بعطيـة منهـا أنا
وانه المشير عليك فيَّ بضلة
فالحـر ممتحن بأولاد الزني
واذا الفتى طرح الكلام معرضاً
في مجلس أخذ الكلام اللذعني
ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتني
لعنت مقارنة اللئيم فانهـا
ضيف يجر من الندامة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضياً
رزء أخف عليَّ من أن يوزنا
أمسى الذي أمسى بربك كافراً
من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا
خلت البلاد من الغزالة ليلها
فأعاضهاك الله كي لا تحـزنا

وقال يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بانطاكية:

أفاضل الناس أغراض لدي الزمن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
وانمـا نحن في جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولى بكل مكان منهم خلق
تخطى اذا جئت في استفهامها بمن
لا أقتري بلداً الا على غرر
ولا أمرُّ بخلق غير مضطغن
ولا أعاشر من أملاكهم ملكا
الا احق بضرب الرأس من وثن
اني لأعـذرهم ممـا أعنفهم
حتي أعنف نفسى فيهم وأني
فقر الجهول بلا قلب الى أدب
فقر الحمار بلا رأس الي رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل كاسين من درن
خرَّاب بادية غرثي بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا أعطيهم خبري
وما يطيش لهم سهم من الظنن
وخـلة فى جليس أتقيه بها
كيما يري أننا مثلان فى الوهن

وكلة في طريق خفت أعربها
فيهتدي لي فلم أقدر علي اللحن
قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعُلى فى خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالذم في الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته
وهل تروق دفينا جودة الكفن
لله حال أرجيها وتخلفني
وأقتضى كونها دهري ويمطلني
مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من إناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمَّرة
اذا تنوشدن لم يدخلن في أذن
فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا أصالح مغروراً علي دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره
حر الهواجر فى صم من الفتن
ألقي الكرام الألى بادوا مكارمهم
على الخصيبي عند الفرض والسنن
فهن في الحجر منه كلما عرضت
له اليتامي بدا بالمجد والمنن
قاض اذا التبس الأمران عن له
رأي يخلص بين الماء واللبن

غض الشباب بعيد فجر ليلته
مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشح لا للري يطلبه
وطعمه لقوام الجسم لا السمن
ألقائل الصدق فيه مايضر به
والواحد الحالتين السر والعلن
الفاصل الحكم عي الأولون به
والمظهر الحق للساهي علي الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن ابن العارض الهتن ا
ن العارض الهتن ابن العارض الهتن
قد صيرت أول الدنيا وآخرها
آباؤه من مغار العلم في قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا
أو كان فهمهم أيام لم يكن
الخاطرين علي أعدائهم أبداً
من المحامد في أوقي من الجنن
للناظرين الى اقباله فرح
يزيل ما بجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبدالله مغترف
من راحتيه بأرض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوي لثق
ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره
ومن سواه سوي ماليس بالحسن
منذ احتبيت بانطاكية اعتدلت
حتى كأن ذوي الأوتار في هدن
ومذ مررت علي أطوادها قرعت
من السجود فلا نبت علي القنن
أخلت مواهبك الاسواق من صنع
أغني نداك عن الاعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر على ثقة
وزهد من ليس من دنياه في وطن
وهـذه همـة لم يؤتها بشر
وذا اقتدار لسان ليس في المنن
فمر وأوميء تطع قدست من جبل
تبارك الله مجري الروح في حضن
وقال يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكي :
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً وما قولى كذا ومعى الصبر
وأشجع مني كل يوم سـلامتى
وما ثبتت الا وفي نفسهـا أمر
تمرست بالآفات حتي تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت اقدام الأتيّ كأن لى
سوي مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمترق جاران دارهمـا العمر
ولا تحسبن المجـد زقاً وقينـة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر
ومنها :
وتركك في الدنيا دوياً كأنمـا
تداول سمع المرء أنمـله العشر
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخـافة فقر فالذي فعـل الفقر
عليّ لأهـل الجور كل طمرَّة
عليها غلام ملء حيزومه غمـر
يدير بأطـراف الرماح عليهـم
كؤوس المنايا حيث لا تشتهي الخمر
وكم من جبال جبت تشهد أنني ال
جبال وبحـر شاهد انني البحر
وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
يخدن بنا في جوزه وكأننـا
على كـرة أو أرضه معنا سفر
ويوم وصلنـاه بليـل كأنمـا
على أفقـه من برقه حلل حمـر

وليـل وصلناه بيـوم كأنمـا
على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته أن عامراً
علا لم يمت أو في السحاب له قبر
أو ابن ابنه الباقي عليّ ابن أحمد
يجود به لو لم أجز ويدي صفر
وان سحاباً جوده مثـل جوده
سحاب على كل السحاب له فخر
فتى لايضم القلب همات قلبـه
ولو ضمها قلب لمـا ضمه صدر
ولا ينفع الامكان الا سخاؤه
وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
قران تلاقى الصلت فيه وعامر
كما يتـلاقى الهنـدواني والنصر
فجـاء به صلت الجبـين معظما
ترى الناس قُـلاًّ حوله وهم كُثْر
مفـدى بآباء الرجال سميذعاً
هو الكرم المـد الذي ماله جزر
وما زلت حتى قادني الشوق نحوه
يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبـار قبل لقائه
فلمـا التقينا صغر الخـبر الخبر
اليك طعنا في مدى كل صفصف
بكل وآة كل مالقيت نحـر
ذا ورمت من لسعة مرحت لها
كأن نوالا صر في جلدها النبر
فجئناك دون الشمس والبدر في النوى
ودونك في احوالك الشمس والبدر
كأنك برد المـاء لا عيش دونه
ولو كنت برد المـاء لم يكن العشر
دعاني اليك العلم والحلم والحجى
وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعـاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر
ومنها :
واني رأيت الضر أحسن منظراً
وأهون من مرأى صغير به كبر
لساني وعيني والفـؤاد وهمـتي
أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر
وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعري فيك من نفسه شعر
وماذا الذي فيه من الحسن رونقاً
ولكن بدا في وجهه نحوك البشر
واني ولو نلت السماء لعـالم
بأنك ما نلت الذي يوجب القدر

أزالت بك الأيام عتبي كأنما
بنوها لها ذنب وأنت لها عذر

وقال يمدح سيف الدولة أيضاً :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي
وللحب مالم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضى والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي
وغضبي من الادلال سكرى من الصبي
شفعت اليها من شبابي بريّق
وأشنب معسول الثنيّات واضح
سترت فمي عنه فقبل مفرقي
وأجياد غزلان كجيدك زرنني
فلم أتبين عاطلا من مطوّق
وما كل من يهوى يعف اذا خلا
عفافي ويرضى الحب والخيل تلتقي
سقى الله أيام الصبي مايسرها
ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعاً به
تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم
بعثن بكل القتل من كل مشفق
أدرن عيونا حائرات كأنها
مركبة أحداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا
وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه
قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق
قواض مواض نسج داود عندها
اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لاملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقي
تقد عليهم كل درع وجوشن
وتفري اليهم كل سور وخندق
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلّق
ويرجعها حمراً كأن صحيحها
يبكّى دماً من رحمة المتدقق

الى هنا انتهى المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر
ان شاء الله وأوله مادة (نبب)

Date Due
